

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شَرَحُ

الكافية الشافية
في الانتصار للفرقة الناجية

٢

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح
شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية. /
محمد بن صالح العثيمين - الرياض، ١٤٣٤ هـ
٤مح؛ (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٣)
ردمك: ٤ - ٦٢ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٨ - ٦٤ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ٢)
١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - أهل السنة
أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٤/١٠٢٢٧

حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
إلا لمن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيرياً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الأولى

محرم ١٤٣٥ هـ

يطلب الكتاب من:

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧

www.ibnothaimeen.com

info@binothaimeen.com

أسئلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٢٣)

شرح

الكافي للشافعي

في الانتصار للفرقة الناجية

للمحافظ المحقق

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قسيم الجوزية
نعمته الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الثاني

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فصل

فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ إِلَهٌ يُصَلَّى لَهُ وَيُسْجَدُ، وَبَيَانَ فُسَادِ قَوْلِهِمْ عَقْلًا وَنَقْلًا، وَلُغَةً وَفِطْرَةً

الشرح

الْجَهْمِيَّةُ هُمُ أَتْبَاعُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ^(١) الَّذِي أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ^(٢) لَكِنْ نُسِبَ الْمَذْهَبُ إِلَى الْجَهْمِ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَشَرَهُ وَبَثَّهُ فِي الْوَرَى، وَإِلَّا فَإِنَّ أَصْلَ التَّعْطِيلِ مِنَ الْجَعْدِ، حَيْثُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يَكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا.

وَانظُرْ إِلَى أَوَّلِ التَّعْطِيلِ تَمَّحُّدٌ أَنَّ أَوَّلَهُ نَفْيُ الْمَحَبَّةِ وَنَفْيُ الْكَلَامِ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّهُ حَصَلَ انْتِشَارٌ عَظِيمٌ لِهَذَا الْمَذْهَبِ الْحَبِيثِ مَنْسُوبًا إِلَى الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، لِأَنَّهُ نَشَرَهُ.

١٠٤٦- وَاللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَبَرَى الْبَرِيَّةَ وَهِيَ ذُو حَدَثَانِ

١٠٤٧- فَسَلِ الْمُعَطِّلَ هَلْ بَرَّاهَا^(٣) خَارِجًا عَنِ ذَاتِهِ أَمْ فِيهِ حَلَّتْ ذَانِ؟

(١) جهم بن صفوان هو: أبو مُحْرَز السَّمْرَقَنْدِي، رَأْسُ الْجَهْمِيَّةِ مِنْ أَكْذَبِ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَعْظَمِهِمْ فَتْنَةً وَضَلَالَةً فِي الدِّينِ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَفْيًا لِمُحَبَّبَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَاءِهِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ: مَا عَلِمْتَهُ رَوَى شَيْئًا، لَكِنَّهُ زَرَعَ شَرًّا عَظِيمًا، هَلَكَ زَمَنُ التَّابِعِينَ سَنَةَ (١٢٨ هـ). [الشَّارِحُ]. وَانظُرْ تَرْجَمَتَهُ فِي: سِيرِ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ (٦/٢٠٤).

(٢) الجعد بن درهم من الموالي، مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة -يعني العراق- وأخذ عنه مروان بن محمد، أو تآدب عليه في صغره، قُتِلَ (سنة ١١٨). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/١٥١)، وتاريخ الإسلام (٤/٢٣٨)، وميزان الاعتدال (١/ترجمة ١٤٨٢).

(٣) في نسخة برلين «يراها» بياء مثناة.

- ١٠٤٨- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ أُتَاهَا هِيَ عَيْنُهُ مَا تَمَّ مَوْجُودَانِ
- ١٠٤٩- مَا تَمَّ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا شَيْءٌ مُغَايِرٌ هَذِهِ الْأَعْيَانِ
- ١٠٥٠- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَا لَهَا مِنْ رَابِعٍ خَلَّوْا عَنِ الرَّوَغَانِ
- ١٠٥١- وَلِذَاكَ قَالَ مُحَقِّقُ الْقَوْمِ الَّذِي رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ:
- ١٠٥٢- هُوَ عَيْنٌ هَذَا الْكَوْنِ لَيْسَ بغيرِهِ أَنَّى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟
- ١٠٥٣- كَلَّا وَلَيْسَ مُجَانِبًا أَيضًا لَهَا فَهُوَ الْوُجُودُ بِعَيْنِهِ وَعَيْبَانِ
- ١٠٥٤- إِنْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْخَلَائِقِ رَبُّهَا فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ
- ١٠٥٥- إِذْ لَيْسَ يُعْقَلُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ حَلَّ فِيهَا وَهِيَ كَالْأَبْدَانِ
- ١٠٥٦- وَالرُّوحُ ذَاتُ الْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَلَّتْ بِهَا كَمَقَالَةِ النَّصْرَانِيِّ

الشرح

هذا الفصل أراد به -رَحْمَهُ اللهُ- الرَّدَّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ:

ليس الله فوق العرش، فأراد -رَحْمَهُ اللهُ- أَنْ يُلْزِمَهُمْ بِأَحَدِ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ، فَقَالَ:

١٠٤٦- وَاللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَبَرَى الرِّيَّةَ وَهِيَ ذُو حَدَثَانِ

الله كان وليس شيءٌ غيره، وهذا صحيح، يعني: كان ولم يكن شيءٌ معه

-سبحانه وتعالى- ولا قبله.

قوله: «وَبَرَى الرِّيَّةَ» يعني: خَلَقَهَا، وَ(الرِّيَّةَ) فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ.

١٠٤٧- فَسَلِّ الْمَعْطَلُ هَلْ بَرَاهَا خَارِجًا عَنْ ذَاتِهِ أَمْ فِيهِ حَلَّتْ ذَانِ؟

١٠٤٨- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ أَمَّا هِيَ عَيْنُهُ مَائِمٌ مَوْجُودَانِ

قَوْلُهُ: «أَمْ فِيهِ حَلَّتْ» أَي: كُلُّهَا، هَلْ بَرَى الْبَرِيَّةَ خَارِجًا عَنْ ذَاتِهِ، أَوْ بَرَى الْبَرِيَّةَ فِي ذَاتِهِ؟ يَقُولُ: (ذَانِ لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا)، (ذَانِ) مَا هُمَا؟

الْجَوَابُ: الْمَشَارُ إِلَيْهِ أَنَّهَا خَارِجًا عَنْهُ، أَوْ فِي ذَاتِهِ، لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا.

قَوْلُهُ: «أَوْ أَمَّا هِيَ عَيْنُهُ» هَذَا الْإِحْتِمَالُ الثَّلَاثُ.

١٠٤٩- مَائِمٌ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا شَيْءٌ مُغَايِرٌ هَذِهِ الْأَعْيَانِ

١٠٥٠- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَائِمًا مِنْ رَابِعٍ خَلُّوا عَنِ الرَّوَغَانِ

قَوْلُهُ: «لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَائِمًا مِنْ رَابِعٍ» الثَّلَاثُ هِيَ: أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ هِيَ عَيْنُ الْخَالِقِ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، أَوْ نَقُولَ: خَلَقَهَا فِي ذَاتِهِ، أَوْ خَلَقَهَا خَارِجَ ذَاتِهِ، قِسْمَةٌ عَقْلِيَّةٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَمُجَّدَ قِسْمًا رَابِعًا، وَهَذَا قَالَ: (خَلُّوا عَنِ الرَّوَغَانِ).

فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ حَاصِلٌ قَالُوا: (هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكُونِ)، وَلِذَا قَالَ:

١٠٥١- وَلِذَاكَ قَالَ مُحَقِّقُ الْقَوْمِ الَّذِي رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ:

١٠٥٢- هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكُونِ لَيْسَ بغيرِهِ أَنَّى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟

١٠٥٣- كَلَّا وَلَيْسَ مُجَانِبًا أَيضًا لَهَا فَهُوَ الْوُجُودُ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكُونِ» يَعْنِي: قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكُونِ،

فلا خالِقَ ولا مَخْلُوقَ، فالكونُ خالِقٌ مَخْلُوقٌ، فالكونُ هو اللهُ -نسألُ اللهَ العافيةَ- وقد تقدّمَ أنهم قالوا: إنَّ السَّمعَ هو اللهُ، والأرضُ هي اللهُ، والإنسانُ هو اللهُ، والبعيرُ هو اللهُ... وهكذا.

قَوْلُهُ: «أَنْتَى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ» إذا قال: (لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ) يَعْنِي: ليسَ بآئِنًا من الخلقِ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْخَلْقُ.

قال ابن القيم:

١٠٥٤- إِنْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْخَلَائِقِ رَبُّهَا فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ

يعني: إِنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، صَارَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْقَوْلُ، يَعْنِي: هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ فِي الْمِيزَانِ.

قَوْلُهُ: «فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ» المشارُ إليه: الذي قال: إِنَّ اللَّهَ هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكَوْنِ.

فالمعنى: إِنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، لَزِمَ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ عَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ، لأننا إذا قلنا: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْخَلْقِ، ولا عن يمينٍ، ولا شمالٍ، ولا تحت، ولا أمام، ولا خلف، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُوَ عَيْنَ الْخَلْقِ، فإذا قلنا: إِنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ سَلِمْنَا من هذا.

فصارَ قولُ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ يَعُودُ تَمَامًا إِلَى قَوْلِ الْأَتْحَادِيَّةِ (أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ)، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينٍ وَلَا يَسَارَ، وَلَا أَمَامَ وَلَا خَلْفَ، وَلَا مُبَايِنَ، وَلَا مُتَّصِلٌ وَلَا مُنْفَصِلٌ، إِذَنْ هُوَ عَدَمٌ، إِذَنْ هُوَ هَذَا الْكَوْنُ، هُوَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ.

قَوْلُهُ: «فِي الْمِيزَانِ» يعني: الْعَدْلُ، فَالْعَدْلُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَكَذَا، يَعْنِي: إِمَّا

أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَّا فَقُلْ بِهَذَا الْقَوْلِ.

١٠٥٥- إِذْ لَيْسَ يُعْقَلُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ حَلَّ فِيهَا وَهِيَ كَالْأَبْدَانِ

١٠٥٦- وَالرُّوحُ ذَاتُ الْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَلَّتْ بِهَا كَمَقَالَةِ النَّصْرَانِيِّ

يعني: إذا قلنا: إنه ليس فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، لزم أن يكون حالاً في الخلق، فيكون الخلق بمنزلة الجسد، والخالق بمنزلة الروح، كمقالة النصراني، ماذا قال النصراني؟ قال: إن الله حل في عيسى -والعياذ بالله- فجعلوا عيسى جسداً، وجعلوا الله روحاً.

١٠٥٧- فَاحْكُمْ عَلَى مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَا، وَلَا فِيهَا بِحُكْمِ بَيَانِ

١٠٥٨- بِخِلَافِهِ الْوَحْيَيْنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْـ عَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

١٠٥٩- فَعَلَيْهِ أَوْقَعَ حَدَّ مَعْدُومٍ وَذَا حَدُّ الْمُحَالِ بِغَيْرِ مَا فَرَّقَانِ

١٠٦٠- يَا لِلْعُقُولِ إِذَا نَفَيْتُمْ نَحْبَرَهَا وَنَقِيضَهُ هَلْ ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

١٠٦١- إِنْ كَانَ نَفْيُ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ لَا يَصْدُقَانِ مَعَالِذِي الْإِمْكَانِ

١٠٦٢- إِلَّا عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقُ بِيَدَاهِةِ الْإِنْسَانِ

١٠٦٣- أَيَصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ ذَاتَانِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ؟

١٠٦٤- لَيْسَتْ تَبَايُنُ مِنْهُمَا ذَاتٌ لِأَخْرِى أَوْ مُحَايِثُهَا فَيَجْتَمِعَانِ

١٠٦٥- إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ فَهُوَ ذَا فَارْجِعْ إِلَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

الشرح

١٠٥٧- فَاخُكُمُ عَلَى مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَا، وَلَا فِيهَا بِحُكْمِ بَيَانٍ

١٠٥٨- بِخِلَافِهِ الْوَحِيَيْنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَا» أَي: عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَفَاعِلٌ (خَارِجٍ) يَعُودُ عَلَى اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «وَلَا فِيهَا» يَعْنِي: دَاخِلٌ.

قَوْلُهُ: «فَاخُكُمُ عَلَى... بِحُكْمِ بَيَانٍ» مَا هَذَا الْحُكْمُ؟ قَالَ: (بِخِلَافِهِ الْوَحِيَيْنِ) يَعْنِي: بِأَنَّهُ مُحَالَفٌ لِلْوَحِيَيْنِ، وَهُمَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

قَوْلُهُ: «الْوَحِيَيْنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةَ الرَّحْمَنِ»: حَمْسَةٌ، لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْخَمْسَةِ -وهي: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالْعَقْلُ وَالْفِطْرَةُ- تَطَابَقَتْ عَلَى إِثْبَاتِ عُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١- فَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ ذِكْرِ عُلُوِّ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ أَلْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، وَالْآيَاتُ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

٢- وَأَمَّا السُّنَّةُ فَاجْتَمَعَتْ أَنْوَاعُ السُّنَّةِ الثَّلَاثَةِ: الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ وَالْإِقْرَارُ، أَمَّا الْقَوْلُ فَإِنَّ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»^(١)، وَأَمَّا الْفِعْلُ: فَإِنَّهُ حِينَمَا سَأَلَ النَّاسَ وَهُوَ يَحْطُبُهُمْ يَوْمَ عَرَفَةَ فَقَالَ:

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسلمين وقصرها، باب استحباب القراءة في الصلاة، برقم (٧٧٢).

«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(١)، وَأَمَّا الْإِقْرَارُ: فَسَأَلَ الْجَارِيَةَ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(٢).

٣- وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَقَدْ أَجْمَعَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالأئمة بعدهم على أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه استوى على العرش.

٤- وَأَمَّا الْعَقْلُ الصَّرِيحُ: وَهُوَ الْعَقْلُ السَّالِمُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، لِأَنَّ صَرِيحَ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الْخَالِصُ مِنْهُ، فَالْعَقْلُ السَّالِمُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ يَشْهَدُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الْعُلُوَّ مِنْ صِفَاتِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّنَا نَسْأَلُ: هَلِ الْعُلُوُّ صِفَةٌ كَمَا لِ أَوْ صِفَةٌ تَقْصُرُ؟

كُلُّ أَحَدٍ يَقُولُ: صِفَةٌ كَمَا لِ، وَإِذَا كَانَ صِفَةً كَمَا لِ، فَإِنَّ الرَّبَّ أَحَقُّ بِالْكَمَالِ مِنْ غَيْرِهِ، فَيَكُونُ الْعَقْلُ دَالًّا عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ.

٥- أَمَّا الْفِطْرَةُ: فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَقُولُ: (يَا اللَّهُ) لَا يَرْتَفِعُ قَلْبُهُ إِلَّا إِلَى السَّمَاءِ، وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهَدٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمِيلَ قَلْبُكَ إِذَا قُلْتَ: (يَا اللَّهُ) إِلَى أَسْفَلٍ، وَلَا إِلَى يَمِينٍ، وَلَا شِمَالٍ.

يقول:

١٠٥٩- فَعَلَيْهِ أَوْقَعَ حَدَّ مَعْدُومٍ وَدَا حَدُّ الْمُحَالِ بِغَيْرِ مَا فُرْقَانِ
فالذي يقول: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

ولا شأل، ولا مُتَّصِلٌ ولا مُنْفَصِلٌ، أَوْقَعَ على الله حَدَّ المَعْدُومِ الذي لا وُجُودَ له.
 ١٠٦٠- يَا لِلْعُقُولِ إِذَا نَفَيْتُمْ مَخْبَرًا وَنَقِيضَهُ هَلْ ذَاكَ فِي إِمْكَانِ
 قَوْلُهُ: «يَا لِلْعُقُولِ» عندنا مُسْتَعَاثٌ به، ومُسْتَعَاثٌ لَهُ، فاللام تدخل على
 المُسْتَعَاثِ به فتُفْتَحُ، وتُكْسَرُ في المُسْتَعَاثِ لَهُ، فتقول: (يا لله لِلْمُسْلِمِينَ) فهل هي
 هنا (يا لِلْعُقُولِ) أو أنها (يا لِلْعُقُولِ)؟ يَعْنِي: هل هو يَسْتَعِيْثُ بها أو لها؟ الظاهرُ:
 أنه يَسْتَعِيْثُ لها فتكون: (يا لِلْعُقُولِ).

والمعنى: أنه لا عُقُولَ لكم، فَأَنَا أَسْتَعِيْثُ اللهُ أَنْ يَهَبَكُمُ عُقُولًا.
 قَوْلُهُ: «إِذَا نَفَيْتُمْ مَخْبَرًا وَنَقِيضَهُ» مثل: لا دَاخِلَ العَالَمِ، ولا خَارِجَهُ.
 فَنفَوْا كَوْنَهُ دَاخِلًا وَنفَوْا كَوْنَهُ خَارِجًا، وهذا لا يَصِحُّ، لَأَنَّ نَفْيَ النَّقِيضَيْنِ
 مُحَالٌ، فهو إِذَا لم يَكُنْ دَاخِلًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ خَارِجًا، وَإِذَا لم يَكُنْ خَارِجًا لَزِمَ أَنْ
 يَكُونَ دَاخِلًا، فَأَيُّ عَقْلٍ يَقُولُ: لا دَاخِلَ ولا خَارِجَ، وَيُصَدِّقُ بهذه القَضِيَّةِ فَلَيْسَ
 بعَقْلٍ إِطْلَاقًا، ولهذا قال: (يَا لِلْعُقُولِ).

١٠٦١- إِنْ كَانَ نَفْيُ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ لَا يَصْدُقَانِ مَعَالِذِي الإِمْكَانِ
 ١٠٦٢- إِلاَّ عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقٌ بِبِدَاهَةِ الإِنْسَانِ
 يعني: أَنَّ نَفْيَ الدُّخُولِ والخُرُوجِ مَعًا لا يَصْدُقَانِ إِلاَّ عَلَى شَيْءٍ عَدَمٍ، فالذي
 ليس بدَاخِلٍ ولا بخَارِجٍ معناه أنه عَدَمٌ.

قَوْلُهُ: «لا يَصْدُقَانِ إِلاَّ عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقٌ» إِذَا جَعَلْنَا (نَفْيَهُ
 مُتَحَقِّقٌ) مَبْتَدَأً وَخَبْرًا، صارَ (مُتَحَقِّقٌ) بِالرَّفْعِ.
 وَإِذَا قُلْنَا: (إِلاَّ عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقٌ): فتكون صِفَةً لـ(عدم)،

إِذَنْ يَجُوزُ الْوَجْهَانِ: الْجُرُّ وَالرَّفْعُ.

١٠٦٣- أَيْصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ ذَاتَانِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ؟

الجواب: لا يَصِحُّ، هل يُمَكِّنُ أَنْ نقول: ذاتان، وليست كُلُّ واحدةٍ قائمةً بنفسها؟ إِذَنْ معنى (لَا بِالْغَيْرِ) يَعْنِي: ليست كُلُّ واحدةٍ قائمةً بغير الأخرى.

هل يَصِحُّ أَنْ نقول: عندنا ذاتان: ذاتُ الخالقِ وذاتُ المخلوقِ، وليست كُلُّ واحدةٍ قائمةً بنفسها؟ الجواب: لا، لا يَصِحُّ أبداً.

١٠٦٤- لَيْسَتْ تُبَايِنُ مِنْهُمَا ذَاتٌ لِأَخٍ رَى أَوْ تُحَايِثُهَا فَيَجْتَمِعَانِ

١٠٦٥- إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ فَهُوَ ذَا فَارْجِعْ إِلَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

صحيح، فالمعنى: لا بُدَّ إِذَا أَثَبَّتُمْ لله ذَاتَيْنِ أَنْ تكون إحداهما خارجةً عن الأخرى أو داخله فيها، أمَّا أَنْ نقول: (لا داخل ولا خارج)، فهذا لا يمكن، هذا شَيْءٌ مستحيلٌ، إِلَّا إِذَا قُلْتُمْ بقول أهلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ: إِنَّ الرَّبَّ عَيْنُ الْعَبْدِ، فحِينَئِذٍ تَسْلَمُونَ مِنَ الْمُحَالِ، لكن تأتون بمحالٍ أَنْكَرَ مِنْهُ وَأَشَدَّ.

قَوْلُهُ: «مُحَايِثُهَا» الْمُحَايِثَةُ ضِدُّ الْمُبَايِنَةِ، يَعْنِي: تَتَّصِلُ بِهَا.

١٠٦٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ جِسْمٍ أَوْ جُذْمَانِ

١٠٦٧- وَالرَّبُّ لَيْسَ كَذَا فَنفِي دُخُولَهُ وَخُرُوجَهُ مَا فِيهِ مِنْ بَطْلَانِ

١٠٦٨- فَيَقَالُ: هَذَا أَوْ لَا مِنْ قَوْلِكُمْ دَعْوَى مُجَرَّدَةٌ بِالْبُرْهَانِ

١٠٦٩- ذَاكَ اصْطِلَاحٌ مِنْ فَرِيقٍ فَارْقُوا الـ وَخِي الْمِيَّينَ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ

- ١٠٧٠- وَالشَّيْءُ يَصْدُقُ نَفْيُهُ عَن قَابِلٍ وَسِوَاهُ فِي مَعْهُودٍ كُلِّ لِسَانٍ
 ١٠٧١- أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلِكَ: الظُّ ظَلُمُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ؟!
 ١٠٧٢- وَنَسَيْتَ نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ فِي الْإِمْكَانِ
 ١٠٧٣- وَنَسَيْتَ نَفْيَ الطُّعْمِ عَنْهُ وَلَيْسَ ذَا مَقْبُولِهِ وَالتَّنْفِي فِي الْقُرْآنِ؟!
 ١٠٧٤- وَنَسَيْتَ نَفْيَ وَلَادَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ وَهَمَّا عَلَى الرَّحْنِ مُتَمَنِّعَانِ؟!

الشرح

يريد المؤلف - رحمه الله - في هذه القطعة أن يبيِّن أن هؤلاء الذين نفوا علو الله على عرشه، قالوا: إنَّ هذا التقسيم الذي ذكرتم بأنه إمَّا أن يكون العالم خارج الله عزَّ وجلَّ أو داخلًا فيه، أو هو الله، قال: إنَّ هذا إمَّا أن يكون فيها هو قابل، فهو الذي لا يصحُّ أن يُنفَى عنه أحدُ المتناقضين، إمَّا ما ليس بقابلٍ فإنَّه يصحُّ أن يُنفَى عنه النقيضان.

مثلاً (الجدار) هل يصحُّ أن نقول: إنه لا يظلم أو لا يصحُّ؟

الجواب: لا يصحُّ، لأنَّه غيرُ قابلٍ، فإذاً نقول: ليس بظالم ولا غير ظالم، فننفي عنه الأمرين، لأنَّه ليس بقابل.

ابن القيم - رحمه الله - يقول: قولكم: (هذا الشيء قابل أو غير قابل) هذه دعوى مجردة، ولذا قال:

١٠٦٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ جِسْمٍ أَوْ جُثْمَانٍ

قَوْلُهُ: «أَوْ جُثْمَانٍ» فِي نَسْخَةِ (أَوْ جُسْمَانٍ) بِالسِّينِ، وَالصَّوَابُ (أَوْ جُثْمَانٍ) بِالثَّاءِ.

١٠٦٧- وَالرَّبُّ لَيْسَ كَذَا فَنَفَى دُخُولَهُ وَخُرُوجَهُ مَا فِيهِ مِنْ بَطْلَانٍ

يقول: إن زعمتم أنه لا يصح نفي الدخول والخروج فيما هو قابل من الأجسام والجثمان.

١٠٦٨- فَيُقَالُ: هَذَا أَوْلَىٰ مِنْ قَوْلِكُمْ دَعْوَىٰ مُجَرَّدَةٌ بِلَا بُرْهَانٍ

يعني: قولكم: إن الشيء يجوز نفي وجوده وانتفاؤه إذا كان مضافاً إلى غير قابل، نقول: هذه دعوى مجردة.

١٠٦٩- ذَاكَ اصْطِلَاحٌ مِنْ فَرِيقٍ فَارَقُوا الْوَحْيَ الْمُبِينَ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ

يعني بذلك: أهل المنطق والفلسفة، فهم الذين قالوا: إنه يصح أن يقال: لا داخل ولا خارج، لأنه ليس بقابل للدخول والخروج، فيقال: إن هذا اصطلاح منكم، فإنه يصح أن ينفي الشيء عما ليس بقابل له كما سيأتي.

وَقَوْلُهُ: «فَارَقُوا الْوَحْيَ الْمُبِينَ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ» الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: «بِحِكْمَةٍ» لِلْمُعَاوِضَةِ، يَعْنِي: فَارَقُوا الْوَحْيَ وَأَحْلُوا بَدَلَهُ حِكْمَةَ الْيُونَانِ.

١٠٧٠- وَالشَّيْءُ يَصْدُقُ نَفْيُهُ عَنْ قَابِلٍ وَسِوَاهُ فِي مَعْهُودٍ كُلِّ لِسَانٍ

يعني: يصح أن ينفي الشيء عما يقبله وما لا يقبله في معهود كل لسان.

١٠٧١- أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلَكَ: الظُّلْمُ الْمُحَالُ وَلَيْسَ ذَا إمْكَانٍ!؟

قَوْلُهُ: «أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ» يَعْنِي: عَنْ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «وَقَوْلَكَ: الظُّلْمُ الْمُحَالُ» الْجَهْمِيُّ وَالْمَعْتَزَلِيُّ يَقُولَانِ: إِنَّ الظُّلْمَ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ، فَلَا يُتَصَوَّرُ وجودُ ظلمٍ، ومع ذلك فالله - سبحانه وتعالى - نفاه عن نفسه.

إِذَنْ نَفَى الشَّيْءَ عَمَّا لَيْسَ بِقَابِلٍ لَهُ، فَذَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ يَصِحُّ نَفْيُهُ عَمَّا لَيْسَ بِقَابِلٍ لَهُ، حَتَّى فِي إِقْرَارِكَ، أَنْتَ تَقُولُ: إِنَّ الظُّلْمَ مُحَالٌّ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهِ اللَّهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَهَذَا يَقُولُ: (أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلَكَ) يَعْنِي: وَنَسِيتَ قَوْلَكَ: (الظُّلْمُ الْمُحَالُّ) يَعْنِي: أَنَّ الظُّلْمَ مُحَالٌّ أَنْ يَقَعَ مِنَ اللَّهِ.

فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلَمُ لَيْسَ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، وَلَكِنْ لِعَدَمِ إِمْكَانِ الظُّلْمِ، فَهُوَ -أَصْلًا- غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يُظْلَمَ، فَالظُّلْمُ عِنْدَهُمْ مُحَالٌّ لِدَاتِهِ، لَا لِتَنْزِهِ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ تَنْفِي عَنْهُ الظُّلْمَ مَعَ أَنَّ الْمُحَلَّ -عَلَى زَعْمِكَ- لَيْسَ قَابِلًا لِثُبُوتِهِ أَوْ نَفْيِهِ.

فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الظُّلْمَ هُوَ تَصَرُّفُ الْفَاعِلِ فِي غَيْرِ مُلْكِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا تَصَرَّفَ فِي مُلْكِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ فَهُوَ لَيْسَ بِظَالِمٍ.

١٠٧٢- وَنَسَيْتَ نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ فِي الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَسَيْتَ نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ» نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِقَابِلٍ لِذَلِكَ، وَهَذَا قَالَ: (الَّتِي لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ بِالْإِمْكَانِ).

١٠٧٣- وَنَسَيْتَ نَفْيَ الطَّعْمِ عَنْهُ وَلَيْسَ ذَا مَقْبُولَةٍ وَالنَّفْيُ فِي الْقُرْآنِ!؟

قَوْلُهُ: «وَنَسَيْتَ نَفْيَ الطَّعْمِ عَنْهُ» قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ ذَا مَقْبُولَةٍ» يَعْنِي: لَيْسَ ذَا مَقْبُولًا لَهُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى مُحْتَاجًا إِلَى الطَّعَامِ وَلَا طَاعِمًا لِلطَّعَامِ.

١٠٧٤- وَنَسِيتَ نَفِيَّ وَوَلَادَةَ أَوْ زَوْجَةَ وَهُمَا عَلَى الرَّحْمَنِ مُتَمْتِعَانِ؟!
 قَوْلُهُ: «وَنَسِيتَ نَفِيَّ وَوَلَادَةَ أَوْ زَوْجَةَ» قال تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ﴾
 [الإخلاص: ٣] وقال أيضًا: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَوَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحْبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١]، وهما
 على الرَّحْمَنِ مُتَمْتِعَانِ.

١٠٧٥- وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ أَصَمٌّ وَمَالَهُ عَيْنَانِ
 ١٠٧٦- وَكَذَا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ وَالخَلْقَ نَفِيًّا وَاضِحَ التَّبْيَانِ
 ١٠٧٧- هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قَبُولٌ لِلَّذِي يُنْفَى وَلَا مِنْ جُمَّلَةِ الْحَيَوَانِ
 ١٠٧٨- وَيُقَالُ أَيْضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَذَا الشَّرْطُ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ
 ١٠٧٩- لَا فِي النَّقِیْضَيْنِ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا لَا يَتَّبَتَّانِ وَلَيْسَ يَرْتَفَعَانِ

الشرح

١٠٧٥- وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ أَصَمٌّ وَمَالَهُ عَيْنَانِ
 قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ» قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن
 دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢٠-٢١]، مع أن
 اللات، والعزى ومناة جمادات، فوصفها بأنها ميتة مع أنها غير قابلة لذلك.

إذن فالشيء يثبت فيما لا يقبله، ويُنفى عما لا يقبله بنص القرآن، فكيف
 تقولون: إننا إذا قلنا: إن الله لا داخل ولا خارج، فإن هذا وصف صحيح، لأنه
 غير قابل لأن يكون داخلًا أو خارجًا!؟

نقول لهم: حتى وإن كان غير قابلٍ فإنَّ هذا لا يصحُّ.

قوله: «مَيْتٌ» ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ (المَيْتَ) هو الذي قد مات فعلاً واقعاً، وال (مَيْتٌ) هو الذي سيموت، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، أي: سيموتُ، وبقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وهذا هو الذي حَصَلَ له الموتُ فعلاً، والظاهرُ أنَّ الصحيحَ أنه لا فَرْقَ.

١٠٧٦- وَكَذَّا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ وَالْحَلْقَ نَفِيًّا وَاضِحَ التَّبْيَانِ

قوله: «وَكَذَّا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ وَالْحَلْقَ» قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

١٠٧٧- هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قَبُولٌ لِلَّذِي يُنْفَى وَلَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ

يعني: هذه الأشياءُ جمادٍ، ليست من الحيوانِ الذي يُنْفَى عنه الموتُ أو الشعورُ، ومع ذلك نفاه اللهُ عنها.

١٠٧٨- وَيُقَالُ أَيُّضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَذَا الشَّرْطُ لِمَا هُمَا ضِدَانِ

١٠٧٩- لَا فِي النَّقِیْضَيْنِ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا لَا يَثْبُتَانِ وَلَيْسَ يَرْتَفَعَانِ

هذا هو الوجه الثاني.

الوجه الأول: عَرَفْنَا أَنَّ دَعْوَاكُم أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ قَابِلٌ لِلشَّيْءِ فَيُنْفَى عَنْهُ أَوْ يَثْبُتُ، هذه دعوى مُجَرَّدَةٌ غيرُ مقبولةٍ.

ثانيًا: لو سلَّمْنَا ذَلِكَ جَدَلًا مَا صَحَّ أَنْ يَكُونَ فِي النَّقِیْضَيْنِ، وهما الوجود والعدم، هم يقولون: لا تصفوا الله بأنه موجودٌ ولا بأنه معدومٌ.

نقول: باتفاق العقلاء لا بُدَّ من أن يكون إمَّا موجودًا وإمَّا معدومًا، لأنَّ التقابل بين الوجود والعدم تقابل سلب وإيجاب، لا تقابل عدم ومملكة، فتقابلُهُما من باب تقابل النَّقِيضَيْنِ، والنقيضان لا يَجْتَمِعَانِ ولا يَرْتَفِعَانِ، يَعْنِي: لا يمكن أن يجتمعا ولا يمكن أن يرتفعا، إذن لا بُدَّ من وجود أحدهما، فانت إذا قلت: إنَّ الله لا يُوصَفُ بأنه موجودٌ ولا بأنه معدومٌ، ماذا صنعت؟

الجواب: رَفَعْتَ عنه النَّقِيضَيْنِ، وهذا مُحَالٌ، ولهذا قال: (وَيُقَالُ أَيضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَذَا الشَّرْطُ كَانَ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ)، ما هو الشَّرْطُ؟ الجواب: أن الإثبات والنفي لا يَصِحُّ رَفْعُهُمَا فيما كان قابلاً لهما، لو صحَّ أنه لا يَصِحُّ نَفْيُهُمَا وإثباتهما إِلَّا لِمَا كان قابلاً، فنقول: هذا يَصِحُّ في الضِّدِّينِ، أمَّا في النَّقِيضَيْنِ فلا.

إذن نَحْتَاجُ إلى معرفة الفرق بين الضِّدِّينِ والنَّقِيضَيْنِ، الفرق بينهما أن الضِّدِّينِ لا يَجْتَمِعَانِ ولكن يُمكنُ أن يَرْتَفِعَا جميعًا، وأنَّ النَّقِيضَيْنِ لا يَجْتَمِعَانِ، ولا يمكنُ أن يَرْتَفِعَا جميعًا، بل لا بُدَّ من وُجُودِ أَحَدِهِمَا.

مثال النَّقِيضَيْنِ: (الحركة والسكون) فهذان نقيضان، إذا انتفت الحركة لزم وجود السكون، وإذا انتفى السكون لزم وجود الحركة، ولهذا لا يَصْلُحُ أن تقول: هذا غيرٌ متحركٌ وغيرٌ ساكنٍ، فهذا مستحيلٌ.

(الوجود والعدم) كذلك نقيضان، فلا يمكن أبدًا أن تقول: لا موجود، ولا معدوم.

مثال الضِّدِّينِ: (السواد والبياض) ضدان، لِأَنَّهُمَا لا يَجْتَمِعَانِ، فإذا كان الشيء أسودًا، فليس بأبيض، وإذا كان أبيض، فليس بأسودًا، فلا يُمكنُ أن يكون الشيء أسودًا وأبيض في آنٍ واحدٍ، لكن هل يُمكنُ أن يَرْتَفِعَا؟

الجواب: نعم. كيف؟ الجواب: يعني: يرتفع السواد والبياض ويحلُّ بدله الأحمَرُّ أو الأصفرُ مثلاً.

فمثلاً: (هذا الثوبُ أبيضُ أو أسودُ أو أحمرُّ) إذا قلتَ: (إنه أسودُ) لم يكن (أبيضَ)، وإذا قلتَ: (أبيضُ) لم يكن أسودَ، هل يُمكنُ أن تقولَ: ليس أسودَ ولا أبيضَ؟

الجواب: نعم، ويكون أحمرَّ مثلاً، فهذانِ ضدَّانِ.

لكن (وُجُودٌ وَعَدَمٌ) فهذانِ تَقْيِضَانِ، والشيءُ إذا قُلْتَ فيه: (غيرُ موجودٍ) لَزِمَ أن يكونَ مَعْدُومًا، وإذا قُلْتَ فيه: (مَعْدُومٌ) لم يكن موجودًا، فإذا كان الشيءُ مَعْدُومًا لم يكن موجودًا، وإذا كان موجودًا لم يَكُنْ مَعْدُومًا، لكن إذا كان أسودَ ليس بلازم أن يكون أبيضَ.

وهناك أيضًا (الِخْلَافَانِ): وَالِخْلَافَانِ يَجْتَمِعَانِ وَيَرْتَفِعَانِ لِكِنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ كـ(الحركة والبياض) يُمكنُ أن يَجْتَمِعَا، فيكونَ الشيءُ مَتَحَرِّكًا أبيضَ، وَيُمْكِنُ أن يَرْتَفِعَا فيكونَ ساكنًا أسودَ، لِكِنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ، فهذا غيرُ هذا.

هناك أيضًا المُتَوَافِقَاتُ أو المُتَرَادِفَاتُ، ومعناها أن يَتَّفِقَا في الحقيقة، مثل: (القيام والوقوف) إذا جَعَلْنَا الوُقُوفَ بمعنى القيام، فهما شيءٌ واحدٌ، و(الإنسان والبشر) شيءٌ واحدٌ.

إذن صارت النسبُ أربعةً: نسبةٌ بين مُتَنَاقِضَيْنِ، ونسبةٌ بين ضِدَّيْنِ، ونسبةٌ بين خِلَافَيْنِ، ونسبةٌ بين مُتَّفَقَيْنِ.

وقولنا: (داخلُ العالمِ) و(خارجُ العالمِ)، نسبةٌ بين مُتَنَاقِضَيْنِ، لِأَنَّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ، فكلُّ موجودٍ لا بُدَّ إمَّا أن يكونَ داخلَ العالمِ أو خارجَ العالمِ.

لكن لو قال قائل: (لا داخل العالم ولا خارج العالم)، فليس نسبة بين متناقضين، لأنه يُمكن أن يُقال: هو نفسه العالم؟

قلنا: إذا قلت: (هو نفسه العالم)، لم تثبت موجودين، إنما أثبت موجودًا واحدًا، ونحن نتكلم عن موجودين.

فابن القيم - رحمه الله - يقول: لو صحَّ هذا الشرط وهو أنه يجوز نفي الضدين عما ليس قابلاً لهما ما صحَّ في النقيضين اللذين كلاهما لا يثبتان، أي: (لا يجتمعان)، وليس يرتفعان.

- ١٠٨٠- وَيُقَالُ أَيْضًا: نَفْيُكُمْ لِقَبُولِهِ لَهَا يُزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ
- ١٠٨١- بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ
- ١٠٨٢- فَإِذَا الْمُعْطَلُ قَالَ: إِنَّ قِيَامَهُ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالغَيْرِ ذُو بَطْلَانِ
- ١٠٨٣- إِذْ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ ذَيْنِكَ أَلْ أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ذُو إِمْكَانِ
- ١٠٨٤- جِسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا كَذَا عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِهِ أَخْوَانِ
- ١٠٨٥- فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْإِمْكَانِ
- ١٠٨٦- فَكِلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً وَكِلَاكُمَا فِي نَفْسِهِ سَيِّانِ
- ١٠٨٧- مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي النَّفْيِ صَرَفًا إِذْ هُمَا عِدْلَانِ؟
- ١٠٨٨- وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَكَ بَعْدَمَا ضَاهَيْتَ هَذَا النَّفْيِ فِي الْبَطْلَانِ

- ١٠٨٩- فَوِرَانُ هَذَا النَّفِيِّ مَا قَدْ قُلْتَهُ حَرْفًا بِحَرْفٍ أَنْتُمْ صِنَوَانِ
 ١٠٩٠- وَالْحَصْمُ يَزْعُمُ أَنَّ مَا هُوَ قَابِلٌ لِكُلِّيهَا فَكَقَابِلٍ لِمَكَانِ
 ١٠٩١- فَافْرُقْ لَنَا فَرْقًا يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الْإِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْبُرْهَانِ
 ١٠٩٢- أَوْ لَا فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَخَلِّ لِ الْفُسْرِ- عَنْكَ وَكَثْرَةَ الْهَدْيَانِ

الشرح

١٠٨٠- وَيُقَالُ أَيضًا: نَفِيُّكُمْ لِقَبُولِهِ لِهَمَّا يُزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ

إذا قُلْتُمْ: إنَّ اللهَ ليس بقابلٍ لهما، والضميرُ هنا يعودُ على كونه داخلَ العالمِ وخارجَ العالمِ، يَعْنِي: ليس بقابلٍ أَنْ يكونَ داخلَ العالمِ أو خارجَ العالمِ، وإذا كانَ ليس بقابلٍ جازًا أَنْ نَنْفِيهَما عنه، فنقول: ليس بداخلٍ وليس بخارجٍ، كما يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ فِي الْجِدَارِ: ليس ظالمًا ولا غيرَ ظالمٍ، لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ.

فَنَقُولُ لَهُمْ: إذا قُلْتُمْ: إنه ليس بقابلٍ لهما، فإنَّ هذا يُزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ، يَعْنِي: يجعلُ الشَّيْءَ الْمُمْكِنَ مُسْتَحِيلًا، كيف ذلك؟ بَيِّنْ لَهُمُ النُّظَيْرَ فَقَالَ:

١٠٨١- بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ

وذلك أننا نسألُ هذا الرجلَ الْمُعْطَلَّ الذي يقولُ: إنَّ اللهَ ليس بقابلٍ أَنْ يكونَ داخلَ العالمِ أو خارجَه، نسألُه: هل قامَ بِنَفْسِهِ أو بغيرِه؟

لا يستطيعُ أَنْ يقولَ: لم يَقْمُ بِنَفْسِهِ ولا بغيرِه، لِأَنَّهُ إِنْ قَالَ: لم يَقْمُ بِنَفْسِهِ، لَزِمَ أَنْ يكونَ مُحْتَاجًا إِلَى الْغَيْرِ، وحينئذٍ يكونُ قد وَصَفَ اللهُ بِأَقْبَحِ مِمَّا لَوْ قَالَ: إنه قائمٌ بِنَفْسِهِ، لذلكَ ليسَ له مَفْرُؤٌ، وهو سُؤَالٌ مُحْرَجٌ.

نَقُولُ له: إذا قُلْتَ: ليس بَقَابِلٍ أَنْ يَكُونَ دَاخِلَ الْعَالَمِ أَوْ خَارِجَهُ يَجِبُ أَنْ تَقُولَ: ليس بَقَابِلٍ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ بغيرِهِ.
وهذا لا أَحَدَ يَقُولُ به، لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ بغيرِهِ.

ونحن نقول: ما هذا التكلُّفُ وهذا التنطعُ؟ هل الصحابةُ سَلَكَوا هذا الْمَسْلَكَ؟

الجوابُ: لا، ما ناقشوا هذا النقاشَ، لكن علماء السلف - ولا سيما في العصور الوسطى - اضطروا إلى هذا البحث الذي قد يقول القائل: إنه لا ينبغي أن نبحثه في الله عزَّ وجلَّ وأن نَتَكَلَّفَ ونتنطعَ هذا التنطعَ، اضطروا إلى ذلك، لِأَنَّهُمْ ابْتَلَوْا بِقَوْمٍ يَتَكَلَّمُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ أَجْلِ نَفْيِ اللَّهِ حَقِيقَةً، لِأَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ.

إذا قالوا: (ليس الله بداخل العالم ولا خارجِه) فكلُّ إنسانٍ يفهمُ على فطرته أن الشيء الذي ليس داخل العالم ولا خارجَه شيءٌ معدومٌ، وهم يُخاطِبُونَ النَّاسَ بِعُقُوبِهِمْ وَفِطْرِهِمْ، فَإِذَا سَمِعُوا مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ قَالُوا: إِذَنْ لَيْسَ هُنَاكَ رَبٌّ، لِذَلِكَ اضْطَرَّ الْعُلَمَاءُ - كَشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَابْنِ الْقَيِّمِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعُلَمَاءِ - إِلَى الْخَوْضِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَقُولُ: مَا لَنَا وَهَذَا الْبَحْثُ، الَّذِي قَدْ يَكُونُ تَصَوُّرُهُ صَعْبًا فَضْلًا عَنْ إِقْرَارِهِ أَوْ نَفْيِهِ؟

نقول: لأننا إذا ابتلينا لا ينبغي أن نجعل الباطل في الميدان يركُض حيث شاء وينصرف حيث شاء، بل لا بُدَّ أَنْ نَدْخُلَ الْمَعْرَكَةَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْأَمْرُ.

فهنا - رَحِمَهُ اللَّهُ - يقول: (بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ)، وهذا شيءٌ مستحيلٌ، لا يمكن لأحد أن يقول: إنَّ الله ليس بقائم بنفسه ولا بغيره.

١٠٨٢- فَإِذَا الْمُعْطَلُ قَالَ: إِنَّ قِيَامَهُ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ ذُو بُطْلَانٍ

١٠٨٣- إِذْ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ ذَيْنِكَ أَلْ أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

إذا قال: (إِنَّ قِيَامَهُ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ ذُو بُطْلَانٍ) يَعْنِي: معناه أننا لا يمكن أن نقول: إنه قائمٌ بالغير، لأنَّ هذا أمرٌ معلومُ البطلان، إذ إنَّ اللهَ غَنِيٌّ عن كُلِّ أَحَدٍ، ولو قُلْنَا: إنه قائمٌ بغيره، لَزِمَ أَلَّا يَصِحَّ أَنْ يَكُونَ رَبًّا، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ - إِذَا كَانَ قَائِمًا بِغَيْرِهِ - أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا لِذَلِكَ الْغَيْرِ، بَلْ وَأَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِذَلِكَ الْغَيْرِ، لِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ.

١٠٨٤- جِسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا كَذَا عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِهِ أَحْوَانٍ

١٠٨٥- فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْإِمْكَانِ

يقول: إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَقُومُ بِنَفْسِهِ جِسْمٌ، وَالَّذِي يَقُومُ بِغَيْرِهِ عَرَضٌ، فَالطَّوْلُ وَالْقِصْرُ وَالصِّحَّةُ وَالْمَرَضُ هَذِهِ تَقُومُ بِالْغَيْرِ، فَهِيَ عَرَضٌ، وَالذَّاتُ هَذِهِ جِسْمٌ.

فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّهُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ شَبَّهَتْهُ بِالْجِسْمِ، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ غَيْرٌ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ شَبَّهَتْهُ بِالْعَرَضِ.

هم يقولون: إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَجْسَامِ وَالْأَعْرَاضِ، لَا تَقُلْ: (إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ) وَلَا تَقُلْ: (إِنَّهُ عَرَضٌ)، وَلَا تَصِفْهُ بِالصِّفَاتِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا عَلَى زَعْمِهِمْ، فَلهَذَا نَفَى الْجِسْمَ عَنْهُمْ وَنَفَى الْعَرَضَ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ أَمْرٌ مُمْكِنٌ، لِأَنَّهُ غَيْرٌ قَابِلٌ لِذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ» أَي: إِنَّ هَذَا مُمْكِنٌ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، أَي مُمْكِنٌ أَنْ يَقُومَ بِغَيْرِهِ أَوْ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، أَي: أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ نُنْفِيَ الْأَمْرَيْنِ عَنْهُ.

ولكننا نقول: الواقع أنه يجب أن يكون إمّا قائمًا بنفسه، وإمّا قائمًا بغيره، وليس في ذلك محيدٌ، فكذلك أيضًا نقول: بالنسبة لكونه داخل العالم أو خارجه، لا بُدَّ من أحد الأمرين: إمّا داخلٌ وإمّا خارجٌ، وإمّا الأمر الثالث وهو: أن يكون هو عين الخلق، واسلك مسلك أهل وحدة الوجود.

١٠٨٦- فِكَلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً وَكِلَاكُمَا فِي نَفْسِهِ سَيَّانِ

إذَنْ صار الخِطَابُ مع قومٍ يقولون: (إنَّه لا قائمٌ) على تقدير قول مَنْ يقول: (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره).

نقول لهم: إنَّ هذا يساوي تمامًا قول القائل: (لا داخل العالم ولا خارجه)، فإذا كان يستحيلُ ألا يكون قائمًا بنفسه أو بغيره، فيستحيلُ ألا يكون داخل العالم ولا خارجه، يعني: لا بُدَّ أن يكون قائمًا بنفسه أو بغيره، وإذا كان كذلك فلا بُدَّ أن يكون داخل العالم أو خارجه، فهذه كهذه.

فيكون قَوْلُهُ: «فِكَلَاكُمَا» يشيرُ إلى الذي يقول: (لا داخل العالم ولا خارجه)، والذي يقول: (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره)، مع أنه لا أحد من الجهميَّة والمعتزلة الذين يُنكرون الأوَّل يقولون: (إنَّ الله قائمٌ بنفسه)، ويقولون: مستحيلٌ أن نقول: (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره).

فنقول: إذا جعلتُم هذا مستحيلًا فاجعلوا الثاني -وهو: (لا داخل ولا خارج) - مستحيلًا، وإذا جعلتم (لا داخل العالم ولا خارجه) ممكنًا، فاجعلوا (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره) ممكنًا، ولهذا قال:

١٠٨٦- فِكَلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً وَكِلَاكُمَا فِي نَفْسِهِ سَيَّانِ

١٠٨٧- مَاذَا بَرُدُّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي النَّفْسِ صَرَفًا إِذْ هُمَا عِدْلَانِ؟

صحيح، يعني: يُقال لِمَنْ قال: (لا داخل العالم ولا خارجه)، ماذا تُرَدُّ على مَنْ قال: (لا قائمٌ بِنَفْسِهِ ولا بغيره)؟

لا يُمكنُ أن تُرَدَّ عليه أبداً، لأنك إذا رَدَدْتَ عليه قال لك: إن كان ما أقولُ مستحيلاً، فكذلك ما تقوله أنت مستحيلٌ.

١٠٨٨- وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَكَ بَعْدَمَا ضَاهَيْتَ هَذَا النَّفْيَ فِي الْبُطْلَانِ

١٠٨٩- فَوِزَانُ هَذَا النَّفْيِ مَا قَدْ قُلْتَهُ حَرْفًا بِحَرْفٍ أَنْتُمْ صِنَوَانِ

صار الكلام أن نشبك بين هؤلاء وهؤلاء، يعني: بين مَنْ يقولون: إنه يُمكنُ أن يكونَ لا داخل العالم ولا خارجه، وبين مَنْ يقول: لا يُمكنُ أن نقول: إنه لا قائمٌ بِنَفْسِهِ ولا بغيره.

١٠٩٠- وَالْحِصْمُ يَزْعُمُ أَنَّ مَا هُوَ قَابِلٌ لِكُلِّيهَا فَكَقَابِلٍ لِمَكَانِ

قَوْلُهُ: «الْحِصْمُ» يعني به أهل السنة الذين يقولون: إن ما هو قابلٌ لكليهما فكقابلٌ لمكان، ونحن نقول: إنه يقبلُ المكانَ أو لا يقبل؟

الجواب: يقبلُ، فاللهُ تعالى في مكانٍ، وهو فوقَ كُلِّ شَيْءٍ، لكنَّهُ ليس مكاناً محيطاً به.

١٠٩١- فَافْتَرَقْنَا فَرَقًا يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الْإِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْبُرْهَانِ

يعني: يُبينُ أن هذا ممكنٌ وهذا غيرُ ممكنٍ.

١٠٩٢- أَوْ لَا فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَخَلِّ لِنَفْسِكَ وَكَثْرَةَ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ لَا» يعني: لا تفرِّقْ فأعطِ القوسَ باريها.

قَوْلُهُ: «فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا» وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ للشخص الذي لا يُحْسِنُ الشيءَ، فيقال له: (أَعْطِ القوسَ باريها)، لأنَّ بَارِي القوسِ الذي يَبْرَاهَا وَيَصْنَعُهَا أَعْلَمُ بها.

قَوْلُهُ: «وَخَلَّ الْقَشْرَ عَنكَ وَكَثْرَةَ الْهَدْيَانِ»: الفشر: الكلامُ اللغو الذي ليس فيه فائدةٌ، فكلامُك إِذَنْ لغوٌ.

خلاصةُ هذا الفصلِ كُلُّهُ: أَنَّ ابنَ القَيْمِ يريدُ أَنْ يُلْزِمَ نَفَاةَ الْعُلُوِّ بالقولِ بِالْعُلُوِّ، لِأَنَّهُ يَقُولُ لهم: أَمَامَكُمْ ثَلَاثَةٌ اِحْتِمَالَاتٍ: إمَّا أَنْ يَكُونَ دَاخِلَ الْعَالَمِ، أَوْ خَارِجَ الْعَالَمِ، أَوْ هُوَ الْعَالَمُ بَعَيْنِهِ، ليس فيه خروجٌ عن هذه الثلاثة.

هم لا يمكنُ أَنْ يقولوا: إنه هو نفسُ العالمِ، لِأَنَّهُمْ يُكْفِرُونَ مَنْ يَقُولُ بذلك.

نقولُ: إِذَنْ يُلْزَمُكُمْ أَنْ يَكُونَ إمَّا دَاخِلًا، وَإِمَّا خَارِجًا.

هم يقولون: لا دَاخِلٌ ولا خَارِجٌ، نَقُولُ: لا يمكنُ هذا، فلا يمكنُ أَنْ

تَرْفَعُوا الدخولَ والخروجَ.

فيقولون: إِنَّ ذلكَ ممكنٌ، لأنَّ اللهَ غيرُ قَابِلٍ لهذينِ الوصفينِ، وما كان غيرَ

قَابِلٍ صَحَّ نَفْيُهُما عنه، كما تقول: (الجِدَارُ لا يَظْلِمُ ولا يَعْدِلُ) تنفي عنه النَّقِيزينِ، لِأَنَّهُ غيرُ قَابِلٍ.

بماذا تَرُدُّ عليهم؟ تَرُدُّ عليهم بثلاثةِ أوجهٍ كما قال ابنُ القَيْمِ:

الوجه الأول: قولكم: (إِنَّ النفيَ والإثباتَ إنما يكونُ فيما كان قابلاً)، هذه

دعوى مُجَرَّدَةٌ، لأنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - نَفَى الحياةَ وأثَبَّتَ الموتَ للجِهادِ، وذلك

في الأصنامِ التي تُعْبَدُ، والجِهادُ ليس قابلاً للحياةِ التي هي حياةُ الْحَيَوَانِ، ومع ذلك

نَفَى اللهُ عنه الحياةَ وأثَبَّتَ الموتَ، كما قال تعالى: ﴿ أَمُوتَ عَيْرٌ أَحْيَاؤُ ﴾ [النحل: ٢٠]،

ونفى الشعور مع أن الجماد غير قابل للشعور.

كذلك أيضًا نفى - سبحانه وتعالى - عن نفسه الموت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وهو في حقه مستحيل، فالله لا يقبل الموت، وكذلك النوم والسنة والظلم، مع أن الظلم عندكم محال لذاته، ومع ذلك نفاه الله عن نفسه، فنفى الله الشيء عما ليس قابلاً له.

الوجه الثاني: أن نقول: إن صحَّ هذا فيما ذكرتم من الموت، والسمع، والبصر، والأشياء التي لا يتَّصِفُ بها إلا ما له حياة حيوانية، فإنه لا يصحُّ في النقيضين، وما هما النقيضان؟ الجواب: اللذان لا يجتمعان، ولا يرتفعان.

فأنتم نفيتم الدخول والخروج، وهما نقيضان، لأن ما ليس بداخل فهو خارج قطعاً، فهما نقيضان كالوجود والعدم، فما ليس بموجود فهو معدوم، وهذا باتفاق العقلاء.

الوجه الثالث: أن نقول: نفيتم للدخول والخروج كنفيتم من يقول: إنه ليس قائماً بنفسه ولا بغيره على حد سواء، وأنتم تقولون: إنه قائم بنفسه، فإذا نفيتم أنه لا داخل العالم ولا خارجه، فهو كقول من قال بنفي قيامه بنفسه وقيامه بغيره، إذن فأنتم سواء.

حينئذ نقول: إن الله تعالى قابل لأن يكون فوق العالم أو مع العالم، لكن مع العالم مستحيل، فتعيَّن أن يكون فوق العالم، كما تعيَّن أن يكون قائماً بنفسه، ولا فرق، فأنتم إن أتيتم لنا بفرقٍ فحسن، وإلا فأعطوا القوسَ باريها، نحن عندنا الفرق، ونقول: إن الله تعالى خارج العالم، وهو - سبحانه وتعالى - فوق كل شيء، وإنه قائم بنفسه.

فالنتيجة الآن: أنه سَيُلزَمُ بالإقرارِ بأنه خارجُ العالمِ، وإذا أثبتَ أنه خارجُ العالمِ يُلزَمُه أن يقولَ بالعلوّ، لأنَّ ما سِوَى العُلُوِّ فهو صفةٌ نقصٍ، وهو يُقرُّ بأنَّ اللهَ مُنزَّهُ عن النقصِ.

وبذلك نردُّ عليهم جميعَ شُبُههم التي يدعونها معقولاتٍ، وهي مجهولاتٌ في الواقعِ.

أنا أكرر وأقول: إنَّ الإنسانَ قد يقول: لا حاجةَ لهذه المباحثِ، وهو حقيقة بالنسبة للعالميِّ، فما نقرؤه عليه من هذا الفصل من النونية ونشرحه لو فعلنا ذلك لرميناه ببحرٍ لا ساحلَ له، ولا يستطيعُ أن يُخرَجَ أبداً، لأنَّهُ لم يتعلَّم، فيغرق، لكن طلبه العلمُ يُمكنُ أن يقرؤوا مثلَ هذه المباحثِ، لِأَنَّهَا شَيْءٌ وَقَعَ.

فصل

في سياق هذا الدليل على وجه آخر

- ١٠٩٣- وَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ مَسَائِلِ خَمْسَةٍ تُرَدِّي قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ مَعْبُودٌ حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ؟
- ١٠٩٤- قُلْ لِلْمُعْطَلِّ: هَلْ تَقُولُ: إِلَهَنَا أَلْ
- ١٠٩٥- فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَلِكَ مُعْطَلٌّ
- ١٠٩٦- وَإِذَا أَقْرَبَ بِهِ فَسَأَلَهُ ثَانِيًا
- ١٠٩٧- فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ
- ١٠٩٨- فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصَرِّحًا
- ١٠٩٩- حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ
- ١١٠٠- هُمْ خَصَّصُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأُمِّهِ
- ١١٠١- وَإِذَا أَقْرَبَ بِأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى
- ١١٠٢- فَاسْأَلَهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ
- ١١٠٣- وَإِذَا أَقْرَبَ بِوَأَحِدٍ مِنْ دِينِكَ أَلْ
- ١١٠٤- وَيَقُولُ: أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا
- ١١٠٥- وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلَهُ إِذَنْ
- تُرَدِّي قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ مَعْبُودٌ حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ؟
- قُلْ لِلْمُعْطَلِّ: هَلْ تَقُولُ: إِلَهَنَا أَلْ
- فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَلِكَ مُعْطَلٌّ
- وَإِذَا أَقْرَبَ بِهِ فَسَأَلَهُ ثَانِيًا
- فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ
- فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصَرِّحًا
- حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ
- هُمْ خَصَّصُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأُمِّهِ
- وَإِذَا أَقْرَبَ بِأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى
- فَاسْأَلَهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ
- وَإِذَا أَقْرَبَ بِوَأَحِدٍ مِنْ دِينِكَ أَلْ
- وَيَقُولُ: أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا
- وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلَهُ إِذَنْ
- هَلْ ذَاتُهُ اسْتَعْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ؟

- ١١٠٦- فَلِذَٰكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِأَلِ
أَعْيَانٍ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ
١١٠٧- فَإِذَا أَقْرَرَ وَقَالَ: بَلْ هُوَ قَائِمٌ
بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ: ذَاتَانِ
١١٠٨- بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبِرْنِي هُمَا
مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ
١١٠٩- وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ
لَوْ لَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ
١١١٠- ضِدَّيْنِ أَوْ مِثْلَيْنِ أَوْ غَيْرَيْنِ كَمَا
نَا، بَلْ هُمَا لَا شَكَّ مُتَّحِدَانِ
١١١١- فَلِذَٰكَ قُلْنَا: إِنَّكُمْ بَابٌ لِمَنْ
بِالِاتِّحَادِ يَقُولُ بَلْ بَابَانِ
١١١٢- نَقَطْتُمْ لَهُمْ وَهُمْ خَطُّوا عَلَى
نُقْطِ لَكُمْ كَمُعَلِّمِ الصَّبِيَّانِ

الشرح

في هذا الفصل أراد المؤلف -رحمه الله- أن يستدل على علو الله عز وجل بنفس الدليل العقلي، لكن على وجه آخر، يقول:

١٠٩٣- وَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ مَسَائِلِ خَمْسَةِ تُرْدِي قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
قَوْلُهُ: «تُرْدِيهَا» أَي: تُتْلَفُهَا.

قَوْلُهُ: «مِنَ الْأَرْكَانِ» أَي: مِنَ الْأَصْلِ، وَالشَّيْءُ إِذَا تَرَدَّى مِنْ أَرْكَانِهِ فَإِنَّ فُرُوعَهُ تَبَعٌ لِأَرْكَانِهِ فَتَنْهَدُ.

١٠٩٤- قُلْ لِلْمُعْطَلِّ: هَلْ تَقُولُ: إِلَهِنَا أَلَمْ
مَعْبُودٌ حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ؟

يعني: اسأله هل الله عز وجل خارج الأذهان أو لا؟ إمّا أن يقول: إنه خارج الأذهان، أو داخل الأذهان.

١٠٩٥- فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَلِكَ مُعْطَلٌ لِلرَّبِّ حَقًّا بَالِغُ الْكُفْرَانِ

ماذا نفى؟ الجواب: قال: إنه ليس خارج الأذهان، يقول: (فذالك مُعْطَلٌ لِلرَّبِّ) يَعْنِي: إذا نفى هذا، وقال: لا أقول: إنه خارج الأذهان، فإنه يكون مُعْطَلًا لِلرَّبِّ، لأنَّ هذا هو إنكارُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

١٠٩٦- وَإِذَا أَقْرَبَهُ فَسَلُّهُ ثَانِيًا أَتْرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَقْرَبَهُ» يَعْنِي: قال: إنه خارج الأذهان، يَعْنِي: إنه موجودٌ، (فَسَلُّهُ ثَانِيًا أَتْرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ)؟ يَعْنِي: هل تعتقد أنه غيرُ الأكوانِ أم هو الأكوانِ؟

في الأوَّل: خاطبناه بأنه هل يراه في الذهن أو لا؟ فإذا قال: لا يوجد ولا في الذهن، فهذا مُعْطَلٌ لا شك، وإذا قال: يوجد في الذهن نسأله ثانيًا: (أَتْرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ)؟

١٠٩٧- فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهَا مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا نَفَى» ماذا نفى؟ نفى أن يكون غير الأكوان، وإذا نفى أن يكون غير الأكوان مع إقراره بوجوده عينًا تَعَيَّنَ أن يكون هو الأكوان.

قَوْلُهُ: «مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ» يَعْنِي: قال: ما هَا هُنَا رَبٌّ ومربوب.

١٠٩٨- فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ جَا حِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ» يَعْنِي: إذا قال: إِنَّ الرَّبَّ هُوَ عَيْنُ الْمَرْبُوبِ، فقد ارتدى بالاتحاد مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ جَا حِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ.

فمضى الآن سؤالان:

السؤال الأول: هل هو في الذهن أو لا؟

السؤال الثاني: أن يكون موجودًا، لكن هل هو نفس المخلوق أو غيره؟ إذا قال: إنه عين المخلوق، يَقُولُ: (فقد ارتدى بالائْتِجَادِ مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ جاحدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ).

١٠٩٩- حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ وَهُمْ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانَ

قَوْلُهُ: «حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ» يَعْنِي: يُنَزِّهُ النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ هَذَا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ النَّصَارَى قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَلَّ فِي الْمَسِيحِ فَقَطْ، وَهَذَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَلَّ فِي كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى فِي الْحَيَوَانِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

قَوْلُهُ: «وَهُمُ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانَ» وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ حَمِيرٌ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا، لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الصَّلِيبَ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ، وَلَوْ كَانُوا عَقْلَاءَ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَكْسِرُوا الصَّلِيبَ، لِأَنَّهُ صُلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ.

كَيْفَ تُعْظَمُونَ الصَّلِيبَ وَقَدْ صُلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ؟! وَلَكِنْ هَذَا لِبِلَادَتِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فَهَمْ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُ وَالْجَهْلُ، كَالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا وَلَا يَنْتَفِعُ مِنْهَا.

فَلِضَلَالِهِمْ وَبِلَادَتِهِمْ صَارُوا يَعْبُدُونَ الصَّلِيبَ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ، أَدْنَى وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ لَهُ عَقْلٌ إِذَا وَجَدَ الْحِجْرَةَ الَّتِي حُسِبَ فِيهَا صَدِيقُهُ مَاذَا يَفْعَلُ؟ الْجَوَابُ: يَهْدِمُهَا، لَكِنْ هُوَ لَاءَ قَالُوا: لَا، بَلْ نَعْبُدُ الصَّلِيبَ.

إِذْ نَاسْتَحَقُّوا الْوَصْفَ الَّذِي وَصَفَهُمْ بِهِ ابْنُ الْقَيْمِ وَهُوَ (الْحَمِيرُ)، وَإِنَّمَا كَانُوا كَذَلِكَ لِبِلَادَتِهِمْ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وأنت تتعجب من هذه العقول، ذكاء بلا زكاء، ليس عندهم عقل، وإلا لو تأملوا قليلاً لقالوا: كيف يكون عيسى - عليه الصلاة والسلام - رباً وإلهاً، ثم يُقتل، ثم يُصلب، ثم يُعبد الصليب الذي صلب عليه؟! ولهذا يقول: (وَهُمُ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانَ).

وكان من الوفاء له - لو كانوا صادقين - أن يكسروا الصليب إذا رأوه، لأنه صلب عليه نبيهم - عليه الصلاة والسلام - كما يزعمون، وهذا الصليب الذي يدعون أن المسيح صلب عليه قد كذبه الله تعالى في القرآن، فقال: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]، لكن تنزلاً معهم وما يعتقدون في نبيهم - عليه الصلاة والسلام - نقول: كيف تعبدون الصليب وقد صلب عليه نبيكم؟! كان أجدر بكم أن تكسروا الصليب إذا رأيتموه، لا أن تعبدوه!

أما نحن فعقيدتنا في المسيح عيسى بن مريم: أنه عبد الله ورسوله، وأنه آية من آيات الله عز وجل هو وأمه، لأنها حملت بلا زوج، وخلق بلا أب، وتكلم في المهدي، ورفع إلى السماء وهو حي، وهو باقٍ إلى أن ينزل في آخر الدنيا.

ونؤمن بأنه ما قتل وما صلب، بل رفعه الله إليه، وسينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة النبي ﷺ إلا في الجزية، فإنه لا يقبل الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصُّلْبَ وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ وَيَبْضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ

أَحَدٌ»^(١). وليس هذا ابتداءً شريعة، وَلَكِنَّهُ تَقْرِيرٌ لَشَرِيعَةٍ أُخْبِرَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ، فَكَأَنَّ النَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَقُولُ: سَتُقْبَلُ الْجِزْيَةُ إِلَّا إِذَا نَزَلَ عَيْسَى.

هذا هو حَاصِلُ الكَلَامِ عَلَى عَيْسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَمَا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ.

١١٠٠ - هُمْ خَصَّصُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأُمِّهِ وَأَوْلَاءِ مَا صَانُوهُ عَنْ حَيَوَانٍ
قَوْلُهُ: «هُمْ خَصَّصُوهُ» أَي: خَصَّصُوا اللَّهَ.

قَوْلُهُ: «وَأَوْلَاءِ مَا صَانُوهُ عَنْ حَيَوَانٍ» يَعْنِي: قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُوَ كُلُّ شَيْءٍ: هُوَ الْمَرْأَةُ، وَالرَّجُلُ، وَالْفَرَسُ، وَالْبَعِيرُ، وَالْحِمَارُ -وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ- وَغَيْرَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ عَيْنُ الْوُجُودِ.

١١٠١ - وَإِذَا أَقْرَبَ بَأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى عَبْدٌ وَمَعْبُودٌ هُمَا شَيْئَانِ
قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَقْرَبَ بَأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى» هَذَا هُوَ السُّؤَالُ الثَّلَاثُ، إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أَقُولُ: إِنَّهُ عَيْنُ الْخَلْقِ، بَلْ هُوَ غَيْرُهُ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ:

١١٠٢ - فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ؟ هُنَا أَمْرَانِ
قَوْلُهُ: «فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ؟» فَيَكُونُ الْخَلْقُ حَالًا فِي ذَاتِ اللَّهِ؟!
قَوْلُهُ: «أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ» يَعْنِي: ذَاتِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ.

يعني: هل الخالق حل في المخلوق؟ أو المخلوق حل في الخالق؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، برقم (٢٣٤٤)، ومسلم: كتاب الإيثار، باب نزول عيسى -عليه السلام-، برقم (١٥٥).

١١٠٣- وَإِذَا أَقْرَبَ بَوَاحِدٍ مِنْ ذَيْنِكَ أَلْ أَمْرَيْنِ قَبَّلَ خَدَّهُ النَّصْرَانِي

قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَقْرَبَ بَوَاحِدٍ مِنْ ذَيْنِكَ الْأَمْرَيْنِ» مَا الْأَمْرَانِ؟ إِذَا قَالَ: إِنَّ الْخَالِقَ حَلَّ فِي الْمَخْلُوقِ، أَوْ قَالَ: الْمَخْلُوقُ حَلَّ فِي الْخَالِقِ.

فهذا يقول: (قَبَّلَ خَدَّهُ النَّصْرَانِي)، وذلك تعظيماً له، لِأَنَّهُ مِثْلُهُ، وَافَقَهُ عَلَى حُلُولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَيْسَى وَأُمَّه.

١١٠٤- وَيَقُولُ: أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا خُشِدَاشُنَا وَحَبِيبُنَا الْحَقَّانِي

قَوْلُهُ: «خُشِدَاشُنَا» الظاهر أنها كلمة أعجمية، لكن معناها -والله أعلم- أنه ناصِرنا وولينا.

قَوْلُهُ: «حَبِيبُنَا الْحَقَّانِي» يَعْنِي: الْحَبِيبَ حَقًّا.

والمعنى أن مَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَارَ حَبِيبًا لَهُمْ، غَالِيًا عَلَيْهِمْ، يُرَحَّبُونَ بِهِ.

١١٠٥- وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ إِذَنْ هَلْ ذَاتُهُ اسْتَعْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ؟

١١٠٦- فَلِذَاكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِأَلْ أَعْيَانِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ» مَا هُمَا الْأَمْرَانِ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَجَلَّ فِي الْوَرَى، وَلَمْ يَجَلَّ الْوَرَى فِي ذَاتِهِ.

قَوْلُهُ: «فَاسْأَلْهُ» أَي: اسْأَلْهُ هَلْ قَامَ بِنَفْسِهِ أَوْ قَامَ بِغَيْرِهِ؟

نحن وصلنا الآن -بعد المنازلة- إلى مرحلة أنه ذاتٌ مُنفردةٌ خارجُ الأكوانِ، نَسْأَلُهُ الْآنَ هَلْ قَامَ بِنَفْسِهِ أَوْ قَامَ بِغَيْرِهِ؟ وَهَذَا قَالَ: (وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ هَلْ ذَاتُهُ اسْتَعْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ؟)، وَهَذَا عِبَارَةٌ عَنْ أَنَّهُ قَامَ بِنَفْسِهِ.

قَوْلُهُ: «أَمْ قَامَ بِالْأَعْيَانِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ» الأعراض تقوم بالأعيان، فالمرص مثلًا هذا عرض يقوم بعين، واللون كالبياض والسواد عرض أيضًا يقوم بعين.

١١٠٧- فَإِذَا أَقْرَرَ وَقَالَ: بَلْ هُوَ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ: ذَاتَانِ

١١٠٨- بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبِرْنِي هُمَا مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ

إذا قال: إنه قائم بنفسه، فقل له: هما ذاتان الآن: خالق ومخلوق.

قَوْلُهُ: «بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ» أي: كُلُّ وَاحِدٍ انْفَصَلَ عَنِ الْآخَرِ وَبَيَّنَ الْآخَرَ، فَاسْأَلْهُ: هَلْ هُمَا مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ؟

طبعًا: لن يقول: إنها مثلان، لِأَنَّهُ إِنَّمَا عَطَّلَ الصِّفَاتِ خَوْفًا مِنَ التَّمْثِيلِ.

وهل يقول: إنها ضِدَّانِ؟ الْجَوَابُ: قد يقول، وقد لا يقول، لأنَّ الضدَّ هو الذي يُجَالِفُ ضِدَّهُ، ولكن رُبَّمَا يَرْتَفِعَانِ، وهنا الارتفاع غير ممكن، لأنَّ هنا خالقًا ومخلوقًا، لا يمكنُ ألا يوجد خالقٌ ولا مخلوقٌ بخلافِ الضدَّينِ.

وهل هما غَيْرَانِ؟ الْجَوَابُ: نعم، كُلُّ مَا سَبَقَ يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الْخَالِقَ غَيْرُ الْمَخْلُوقِ.

١١٠٩- وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ لَوْلَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ

يعني: حتى إن قلت: مثله، أو ضده، أو غيره، فلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُبَايِنًا لَهُ، لِأَنَّ مِثْلَ الشَّيْءِ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ إِيَّاهُ مَا صَحَّ أَنْ نَقُولَ: مِثْلُهُ، وَضِدُّ الشَّيْءِ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ أَيْضًا، وَغَيْرُ الشَّيْءِ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ أَيْضًا، فَإِذَنْ لَوْلَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ.

١١١٠- ضِدِّينِ أَوْ مِثْلَيْنِ أَوْ غَيْرَيْنِ كَا نَا، بَلْ هُمَا لَا شَكَّ مُتَّحِدَانِ

يعني: أنه لو لم يكن تباين، للزم الاتحاد، وعدنا إلى الأول، وهدمنا كل ما سبق من قولنا: إنه عين قائم بنفسه، منفصل عن المخلوق، مباين له.

١١١١- فَلِذَاكَ قُلْنَا: إِنَّكُمْ بَابٌ لِمَنْ بِالْإِتِّحَادِ يَقُولُ بَلْ بَابَانِ

مُحَاطِبُ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ، لَأَنَّ لَازِمَ إِنْكَارِهِمْ أَنْ يَقُولُوا فِي النِّهَايَةِ: إِنَّهُمَا مُتَّحِدَانِ، وَحِينَئِذٍ يَفْتَحُونَ الْبَابَ لِأَهْلِ الْإِتِّحَادِ، بَلْ يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: بَابَانِ.

١١١٢- نَقَطْتُمْ لَهُمْ وَهُمْ خَطُّوا عَلَيَّ نَقَطِ لَكُمْ كَمُعَلِّمِ الصَّبِيَانِ

المُعَلِّمُ إِذَا أَرَادَ مِنَ الطَّالِبِ أَنْ يُحِطَّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا، فَإِنَّهُ يَضَعُ نُقْطَةً، وَنَقَطْتَيْنِ، وَثَلَاثًا، وَأَرْبَعًا... إِلَى نِهَايَةِ الْوَرَقَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: (خُطَّ)، حِينَئِذٍ يَكُونُ (خُطَّهُ) مُسْتَقِيمًا، لَكِنْ لَوْ قَالَ: (خُطَّ) بَدُونَ أَنْ يُنْقَطَ لَهُ، مَا اسْتَطَاعَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مُعْوَجًّا.

على كل حال يقول ابن القيم -رحمه الله-: أنتم إذا لم تقولوا بمباينة الخالق للمخلوق وعلوه، لا بد أن تقعوا في الاتحاد، وتقولوا: إنه هو والمخلوق شيء واحد، وحينئذ تكونون فتحتم الأبواب لأهل وحدة الوجود.

وصحيح أن المعطلة يفتحون الأبواب لأهل وحدة الوجود، ومن ذلك ما سبق لنا في (الكلام)، حيث قالوا: إن كلام الله مخلوق، فإذا قالوا: مخلوق، لزم أن نقول: كل كلام مخلوق فهو كلام الله.

فصل

في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه

- ١١١٣ - وَلَقَدْ آتَانَا عَشْرُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْ
مَنْقُولِ فِي فَوْقِيَةِ الرَّحْمَنِ
- ١١١٤ - مَعَ مِثْلِهَا أَيْضًا تَزِيدُ بِوَاحِدٍ
هَذَا نَحْنُ نَسْرُدُهَا بِلَا كِتْمَانٍ
- ١١١٥ - مِنْهَا اسْتِوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي
سَبْعِ آتَتْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
- ١١١٦ - وَلِذَلِكَ أَطْرَدَتْ بِلَا لَامٍ وَلَوْ
كَانَتْ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْأَذْهَانِ
- ١١١٧ - لِأَنَّتِ بِهَا فِي مَوْضِعٍ كَمَا يُحْمَلُ الْ
بَاقِي عَلَيْهَا بِالْبَيَانِ الثَّانِي
- ١١١٨ - وَنَظِيرٌ ذَا إِضْمَارِهِمْ فِي مَوْضِعٍ
حَمَلًا عَلَى الْمَذْكَورِ فِي التَّبْيَانِ
- ١١١٩ - لَا يُضْمَرُونَ مَعَ أَطْرَادِ دُونَ ذِكْرِ
رِ الْمُضْمَرِ الْمَحْدُوفِ دُونَ بَيَانِ
- ١١٢٠ - بَلْ فِي مَحَلِّ الْحَذْفِ يَكْثُرُ ذِكْرُهُ
فَإِذَا هُمْ أَلْفُوهُ إِفْ لِسَانِ
- ١١٢١ - حَذْفُوهُ تَخْفِيفًا وَإِيجَازًا فَلَا
يَخْفَى الْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ
- ١١٢٢ - هَذَا وَمِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا يَبْطُلُ النَّ
تَفْسِيرُ بِ (اسْتَوْلَى) لِذِي الْعِرْفَانِ
- ١١٢٣ - قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامِ هـ
ذَا الشَّأْنِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَّانِيِّ

الشرح

هذا الفصل أشار المؤلف فيه إلى الطرق النقلية الدالة على علو الله عز وجل،

وَالْفَضْلَانِ السَّابِقَانِ فِيهَا الْأَدْلَةُ الْعَقْلِيَّةُ.

الأدلة النقلية: ما كان منشؤه النقل من كتاب، أو سنة، أو قول صحابي، أو إمام من الأئمة، يقول -رحمه الله-:

١١١٣ - وَلَقَدْ أَنَا عَشْرُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَنْقُولِ فِي فَوْقِيَةِ الرَّحْمَنِ

١١١٤ - مَعَ مِثْلِهَا أَيْضًا تَزِيدُ بِوَاحِدٍ هَا نَحْنُ نَسْرُدُهَا بِلَا كِتْمَانٍ

فيكون الجميع واحدًا وعشرين نوعًا.

قوله: «ها نحن نسردُها بلا كتمان» جزاء الله خيرًا، يسردُها بيانًا للحق، وإظهارًا له.

١١١٥ - مِنْهَا اسْتِوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي سَبْعِ أَنْتِ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

قوله: «منها» أي: من هذه الأنواع.

والاستواء ذكره الله عزَّ وجلَّ في سبعة مواضع من القرآن: في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد.

سبعة مواضع ذكرها الله كُلُّهَا بلفظ: (استوى على العرش) (١).

١١١٦ - وَلِذَلِكَ اطَّرَدَتْ بِلَا لَامٍ وَلَوْ كَانَتْ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْأَذْهَانِ

١١١٧ - لِأَنَّهَا فِي مَوْضِعِ كَيْ يُحْمَلُ الْبَاقِي عَلَيْهَا بِالْبَيَانِ الثَّانِي

قوله: «وكذلك اطردت بلا لام» يعني: أن السبعة كُلُّهَا أتت بـ(استوى)،

(١) المواضع كلها استوى على العرش، لكن اللفظ الذي في سورة طه: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥].

ولم تأت باللام، يَعْنِي: لم يَقُلْ في موضعٍ منها: (استولى على العرشِ)، بل قال: (استوى على العرشِ).

قَوْلُهُ: «وَلَوْ كَانَتْ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْأَذْهَانِ لَأَتَتْ بِهَا فِي مَوْضِعٍ» يَعْنِي: لو كانت (استوى) بمعنى (استولى) لَأَتَتْ بها في موضعٍ، يَعْنِي: في موضعٍ واحدٍ من أَجْلِ أَنْ (يُحْمَلُ الْبَاقِي عَلَيْهَا بِالْبَيَانِ الثَّانِي)، والمرادُ بِالْبَيَانِ الثَّانِي هنا الذي أَتَتْ فيه باللام، فَتُحْمَلُ النُّصُوصُ الْأُخْرَى الْخَالِيَةُ مِنَ (اللام) على النَّصِّ الذي فيه (اللام).

١١١٨- وَنَظِيرٌ ذَا إِضْمَارِهِمْ فِي مَوْضِعٍ حَمَلًا عَلَى الْمَذْكُورِ فِي التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَظِيرٌ ذَا» يَعْنِي: أن هذه القاعدة التي قَعَدَهَا -رَحِمَهُ اللهُ- أنها لو كانت بمعنى (استولى) لَأَتَتْ به ولو في موضعٍ واحدٍ.

المعنى أنهم -أي العرب- يُضْمِرُونَ في مَوْضِعٍ حَمَلًا على المذكورِ في مَوْضِعٍ آخَرَ، فيكونُ الْمُضْمَرُ في هذا المَوْضِعِ هو المذكورِ في المَوْضِعِ الْآخَرَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْمَلُ هذا الذي فيه المضمَرُ، ودلالته مُبْهَمَةٌ -كما هو معلوم- فالشيءُ الْمُضْمَرُ مُبْهَمٌ، فَيُحْمَلُ هذا الذي فيه الإضمارُ، ودلالته مُبْهَمَةٌ، على الذي فيه الذِّكْرُ لِيَكُونَ مُبَيَّنًا.

١١١٩- لَا يُضْمِرُونَ مَعَ اطِّرَادِ دُونَ ذِكْرِ الْمُضْمَرِ الْمَحْذُوفِ دُونَ بَيَانِ

يعني: لا يمكنُ أَنْ يُضْمَرَ العَرَبُ شيئًا بدونِ بَيَانٍ أَبَدًا، بل لا بُدَّ من بَيَانِ.

والبَيَانُ إمَّا أَنْ يَكُونَ في نفسِ اللَّفْظِ، وإمَّا أَنْ يَكُونَ من سياقِ آخَرَ يُبَيِّنُهُ، فمثلًا: (القرية) جاءت في القرآن الكريم أحيانًا تُضَافُ إليها كلمة (أهل)، وأحيانًا

تُحَدَفُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١]، فَأُضِيفَتْ كَلِمَةُ (أَهْلٍ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: ٤]، كَلِمَةُ ﴿قَرْيَةٍ﴾ هُنَا مَا الْمُرَادُ بِهَا؟ الْجَوَابُ: أَهْلُهَا، عَلَى إِضْمَارِ (أَهْلٍ).

مَنْ أَيْنَ عَرَفْتَ أَنَّ فِيهَا إِضْمَارَ (أَهْلٍ)؟ الْجَوَابُ: مِنَ السِّيَاقِ، وَمِنْ آيَاتِ أُخْرَى.

فَلَا يُمَكِّنُ لِلْعَرَبِ أَنْ يُضْمِرُوا بِلَا بَيَانٍ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ بَيَانٍ، إِمَّا مِنْ نَفْسِ السِّيَاقِ، وَإِمَّا مِنْ سِيَاقٍ آخَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

تَقُولُ: (بَنَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَدِينَةَ الْفُسْطَاطِ فِي مِصْرَ)، مَنْ الَّذِي بَنَاهَا مَبَاشَرَةً؟ الْجَوَابُ: الْعَمَّالُ، لَكِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَائِهَا، كُلُّ يَعْزِفُ أَنَّ مِثْلَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ الْقَائِدِ الْمَشْهُورِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُبَاشِرَ الْبِنَاءَ، إِنَّمَا الَّذِي بَنَاهُ الْعَمَّالُ بِأَمْرِهِ.

وَتَقُولُ مِثْلًا: (بَنَى الْمَلِكُ قَصْرَهُ)، هَلْ هُوَ الَّذِي وَضَعَ اللَّبْنَةَ عَلَى اللَّبْنَةِ؟ الْجَوَابُ: لَا، بَلْ هُوَ أَمَرَ بِذَلِكَ.

إِذَنْ لَا يُمْكِنُ لِلْعَرَبِ أَبَدًا أَنْ يُضْمِرُوا شَيْئًا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ فِي سِيَاقِهِ، أَوْ يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظٌ آخَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

١١٢٠ - بَلْ فِي مَحَلِّ الْحَدَفِ يَكْثُرُ ذِكْرُهُ فَإِذَا هُمْ أَلْفُوهُ إِفْ لِسَانِ

١١٢١ - حَدَفُوهُ تَخْفِيفًا وَإِيجَازًا فَلَا يَخْفَى الْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ

إِذَنْ الْإِضْمَارُ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يُدْعَى إِلَّا إِذَا جَاءَ، وَلَوْ فِي مَوْضِعٍ، حَتَّى إِذَا أَلْفَهُ النَّاسُ سَهْلًا عَلَيْهِمْ.

فهم يقولون: (استوى) فيها حذفٌ، والمحذوفُ هو اللامُ، وأصلُها عندهم (استولى).

وهذا باطلٌ، ولا يُمكنُ أن يكونَ هذا هو الأصلُ، لأنَّ هذا الأصلَ لم يُذكرَ ولا بنصٍّ واحدٍ، ولا يمكنُ أن يُحذفَ حرفٌ من كلمةٍ إلاً بدليلٍ، ولا دليلَ على هذا.

يقول: جَرَتْ عادةُ العربِ أن يُحذفوا من الكلمة ما يحذفون، أو من الجملة ما يحذفون إذا ذكروها أوَّلاً، حتَّى يألَفها اللسانُ، وحتَّى تصيرَ معروفةً عندهم، حينئذٍ ربَّما يُحذفون ذلك اختصاراً، كمسألة الترخيم في النداء، وغير ذلك ممَّا هو معروفٌ عندهم في الحذف، أمَّا بدون دليلٍ، ولا قرينةٍ، ولا استعمالٍ، فهذا لا يُمكنُ.

١١٢٢- هَذَا وَمِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا يَبْطُلُ التَّـ تَفْسِيرُ بـ (اَسْتَوَى) لِيَذِي الْعِرْفَانَ

١١٢٣- قَدْ أُفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامٍ^(١) هـ لَذَا الشَّانِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَائِي

قَوْلُهُ: «لِإِمَامٍ هَذَا الشَّانِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَائِي» المرادُ به أحمدُ ابنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- شيخُ الإسلامِ، يَعْنِي: أَنَّهُ -رَحِمَهُ اللهُ- بَحْرٌ لِلْعَالَمِ فِي الْعُلُومِ.

وَقَوْلُهُ: «الْحَرَائِي» فِي نَسْخَةِ: (الرَّبَّانِي).

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ- ذَكَرَ فِي رِسَالَةٍ لَهُ أَنَّ تَفْسِيرَ (اَسْتَوَى) بـ (اَسْتَوَى)

(١) يشير إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، المولود في حرَّان سنة (٦٦١هـ) المتوفي في دمشق سنة (٧٢٨هـ)، وكان آيةً من آيات الله في العلوم النقلية والعقلية، وقد بارك الله في عمره وعمله وتأليفاته.

باطلٌ من عَشْرِينَ وَجْهًا، لكنني لا أدري هل هذه الرسالة موجودة أم لا؟ إنما يمكنُ للإنسانِ إذا تأمَّلَ هذا، وَجَدَ أَنَّ هذا التفسيرَ باطلٌ من عِدَّةِ أَوْجُهٍ.

إذَنْ هذا واحدٌ من الأنواع الدالة على عُلُوِّ الله، وهو ذِكْرُ استوائِهِ على عَرْشِهِ، وَوَجْهُهُ كَوْنِ هذا دالًّا على العُلُوِّ أَنَّ عَرْشَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَى المَخْلُوقَاتِ على الإِطْلَاقِ، فإذا كان اللهُ مُستَوِيًّا عليه، لَزِمَ من ذلك أن يكونَ عَالِيًّا.

فصل

- ١١٢٤- هَذَا وَثَانِيهَا: صَرِيحٌ عُلوُّهُ
 وَلَهُ بِحُكْمٍ صَرِيحِهِ لَفْظَانِ
 ذِكْرَتْ مُعْرِفَةً لِقَصْدِ بَيَانِ^(١)
- ١١٢٥- لَفْظُ (الْعُلَى) وَلَفْظَةُ (الْأَعْلَى) أَتَتْ
 ١١٢٦- إِنَّ الْعُلُوَّ لَهُ بِمُطْلَقِهِ عَلَى التَّ
 تَعْمِيمِ وَالْإِطْلَاقِ بِالْبُرْهَانِ
 ١١٢٧- وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا
 ذَاتًا، وَقَهْرًا، مَعَ عُلوِّ الشَّانِ
 ١١٢٨- لَكِنْ نَفَاةٌ عُلوُّهُ سَلْبُوهُ إِكْرَ
 مَالِ الْعُلُوِّ فَصَارَ ذَا نُقْصَانِ
 ١١٢٩- حَاشَاةٌ مِنْ إِفْكِ النُّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ
 فَلَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الرَّبَّانِي
 ١١٣٠- وَعُلوُّهُ فَوْقَ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا
 فَطَرَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ وَالثَّقَلَانِ
 ١١٣١- لَا يَسْتَطِيعُ مُعْطَلٌ تَبْدِيلَهَا
 أَبَدًا وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
 ١١٣٢- كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى
 مُتَوَجِّهًا بِضَرُورَةِ الْإِنْسَانِ
 ١١٣٣- نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ
 وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ

الشرح

- ١١٢٤- هَذَا وَثَانِيهَا: صَرِيحٌ عُلوُّهُ
 وَلَهُ بِحُكْمٍ صَرِيحِهِ لَفْظَانِ

(١) هكذا صححه الشيخ الشارح - رحمه الله -، وقال: «لعلَّ البيتَ هكذا حتى يستقيم الوزنُ» إذ هو في الأصل: لَفْظُ الْعُلَى وَلَفْظَةُ الْأَعْلَى مُعَرِّ رَفَةٌ ذَكَرَتْ لِقَصْدِ بَيَانِ

١١٢٥- لَفْظُ (الْعَلِيِّ) وَلَفْظَةُ (الْأَعْلَى) أَتَتْ ذَكَرَتْ مُعْرِفَةً لِقَصْدِ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَثَانِيهَا» يَعْنِي: هَذَا هُوَ النُّوعُ الثَّانِي مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُلُوًّا ذَاتِيًّا، وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِالْعُلُوِّ، وَهُوَ صِيغَتَانِ:

الصِّيغَةُ الْأُولَى: (الْعَلِيُّ) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَهِيَ هُنَا صِيغَةٌ مُشَبَّهَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُلُوَّ وَصْفُهُ الدَّائِمُ الثَّابِتُ، لِأَنَّ مَدْلُولَ الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ مَعَ الْحَدَثِ الثَّبُوتُ وَالِاسْتِمْرَارُ.

الصِّيغَةُ الثَّانِيَّةُ: فَهِيَ اسْمُ التَّفْضِيلِ (الْأَعْلَى) لِيُفِيدَ أَنَّ عُلُوَّهُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، لِأَنَّ مَطْلَقَ الْعُلُوِّ قَدْ يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، فَتَقُولُ مَثَلًا: (فَلَانٌ عَلِيٌّ وَفَلَانٌ عَلِيٌّ)، لَكِنَّ الْعُلُوَّ الَّذِي اتَّصَفَ اللَّهُ بِهِ لَا يَسَاوِيهِ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَهَذَا جَاءَ بِلَفْظِ (الْأَعْلَى)، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

إِذْنُ فَالتَّصْرِيحُ بِالْعُلُوِّ يَشْمَلُ - كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - الْعُلُوَّ الْمَطْلُوقَ، فَلَفْظُ (الْعَلِيِّ)، وَ(الْأَعْلَى) جِيءَ بِهِ مُعْرِفًا بِ (أَل) لِيَدُلَّ عَلَى الْعُلُوِّ الْمَطْلُوقِ، وَهَذَا قَالَ:

١١٢٦- إِنَّ الْعُلُوَّ لَهُ بِمُطْلَقِهِ عَلَى التَّعْمِيمِ وَالْإِطْلَاقِ بِالْبُرْهَانِ

يَعْنِي: لَهُ الْعُلُوُّ الْمَطْلُوقَ الْعَامُّ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْلِفُ أَنَّ الْعُلُوَّ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ، فَقَالَ:

١١٢٧- وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا ذَاتًا، وَقَهْرًا، مَعَ عُلُوِّ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا» وَهِيَ: عُلُوُّ الذَّاتِ، وَالثَّانِي: عُلُوُّ الْقَهْرِ، وَالثَّلَاثُ: عُلُوُّ الشَّانِ، يَعْنِي: عُلُوُّ الْقَدْرِ، هَكَذَا قَسَمَ الْمَوْلِفُ الْعُلُوَّ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ:

فَالْأَوَّلُ: عُلُوُّ الذَّاتِ، أَي: أَنَّهُ - سَبْحَانَهُ - فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

الثاني: عَلُوُّ الْقَهْرِ، والقهر يَعْنِي الغلبة، فهو غَالِبٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، ومن عَلُوِّ الْقَهْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، لكن ما المراد بـ (الأعلون) هنا، هل هو عَلُوُّ الْمَكَانِ؟ الْجَوَابُ: لا، بل هو عَلُوُّ الْقَهْرِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْكُفَّارِ فِي الْأَرْضِ، فَالمراد إِذْنٌ فِي الْآيَةِ عَلُوُّ الْقَهْرِ، يَعْنِي: أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ، قَاهِرُونَ لَهُمْ.

إِذْنٌ عَلُوُّ الذَّاتِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ نَفْسَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلُوُّ الْقَهْرِ، أَنَّهُ قَاهِرٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّ الْعُلُوَّ يَأْتِي بِمَعْنَى الْقَهْرِ.

الثالث: عَلُوُّ الشَّانِ، أَي: شَأْنُهُ عَالٍ، وَقَدْرُهُ عَزَّ وَجَلَّ رَفِيعٌ، وَلِهَذَا قَالُوا: عَلُوُّ الْقَدْرِ.

وهذا - لا شك - تَقْسِيمٌ جَيِّدٌ، لَكِنْ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الْعُلُوَّ نَوْعَانِ: عَلُوُّ ذَاتٍ، وَعَلُوُّ صِفَةٍ، وَالصَّفَةُ إِمَّا صِفَةُ قَهْرٍ، أَوْ صِفَةُ قَدْرِ وَشَرَفٍ، أَمَّا عَلُوُّ الذَّاتِ فَهُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى بِذَاتِهِ، وَأَمَّا عَلُوُّ الصَّفَةِ فَإِنَّ لَهُ الْوَصْفَ الْأَعْلَى مِنْ كُلِّ وَجْهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، إِذَا قُلْنَا بِهَذَا صَارَ أَخْصَرَ، وَرَبَّمَا يَكُونُ أَعَمُّ أَيْضًا، لِأَنَّ الْقَهْرَ وَالْقَدَرَ لَمْ يُحِيطَا بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ.

فَنَحْنُ نَقُولُ: لَهُ عَلُوُّ الْقَدْرِ، وَعَلُوُّ الْقَهْرِ، وَعَلُوُّ السَّمْعِ، وَعَلُوُّ الْبَصَرِ، فَيَكُونُ قَوْلُنَا: عَلُوُّ اللَّهِ نَوْعَانِ: (عَلُوُّ ذَاتٍ)، وَ(عَلُوُّ صِفَةٍ) أَخْصَرَ وَأَشْمَلٌ.

١١٢٨ - لَكِنْ نَفَاةُ عَلُوِّهِ سَلْبُوهُ إِكْمَالٌ - كَمَالُ الْعُلُوِّ فَصَارَ ذَا نَقْصَانٍ

الَّذِينَ سَلَبُوا إِكْمَالَ الْعُلُوِّ قَالُوا: إِنَّهُ عَالٍ قَهْرًا وَشَأْنًا، وَلَيْسَ عَلِيًّا ذَاتًا، إِذْنٌ نَقَّصُوا مَعْنَى الْعُلُوِّ.

١١٢٩- حَاشَاهُ مِنْ إِنْكَ النَّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ فَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الرَّبَّانِي
قَوْلُهُ: «فَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الرَّبَّانِي» يَعْنِي: لَهُ -جَلَّ وَعَلَا- الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ
مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

١١٣٠- وَعُلُوُّهُ فَوْقَ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ وَالشَّقْلَانِ
هذا الدليل فِطْرِيٌّ، فالدليل الفِطْرِيٌّ على عُلُوِّ الله لا أحدَ يَمَارِي فيه، ولذلك
الذين يُنْكِرُونَ عُلُوَّ الله إِذَا دَعَوْا الله فإِنَّهُمْ يَنْصَرِفُونَ إِلَى الْعُلُوِّ.

تَجَادَلَ رَجُلَانِ فِي مَنَى فِي يَوْمِ الْعِيدِ فِي عُلُوِّ الله الذَّاتِيّ، فَقَالَ النَّافِي: إِنَّهُ لَيْسَ
فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: أَنْتَ -أَمْسِ- وَاقِفْ بَعْرِفَةَ تَدْعُو الله؟ قَالَ:
نَعَمْ. قَالَ: أَيْنَ رَفَعْتَ يَدَيْكَ؟ هَلْ قُلْتَ: (يَا رَبِّي)، هَكَذَا مَشِيرًا إِلَى الْأَرْضِ، أَوْ
قُلْتَ: (يَا رَبِّي)، هَكَذَا مَشِيرًا إِلَى السَّمَاءِ؟ قَالَ: قُلْتُ: (يَا رَبِّي) مَشِيرًا إِلَى السَّمَاءِ،
فَقَالَ: أَنْتَ الْآنَ حَكَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ، كَيْفَ تُوجِّهُ يَدَيْكَ إِلَى فَوْقٍ، وَأَنْتَ تَدْعُو الله
وَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَيْسَ فَوْقَ؟!!

ولهذا لا يمكنُ أبدًا لهؤلاء النفاة أن يَحِيدُوا عن هذا الدليل الفِطْرِيّ.

١١٣١- لَا يَسْتَطِيعُ مُعَطَّلٌ تَبْدِيلَهَا أَبَدًا وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
قَوْلُهُ: «سُنَّةُ الرَّحْمَنِ» أَي: طَرِيقَتُهُ الَّتِي فَطَرَ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، فَجَمِيعُ النَّاسِ
مَفْطُورُونَ عَلَى أَنَّ اللهَ عَالِمٌ بِذَاتِهِ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١١٣٢- كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يَرَى مُتَوَجِّهًا بِضَرُورَةِ الْإِنْسَانِ
١١٣٣- نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ

وهل هذا صحيحٌ أو غيرُ صحيحٍ؟ الجوابُ: صحيحٌ، فالكلُّ يدعوُ مُتوجِّهًا إلى جهةِ العلوِّ وَحَدَهَا.

ولذلك قال أبو جعفرِ الهمدانيُّ^(١) لأبي المعالي الجوينيِّ^(٢) وهو يُقرِّرُ نفيَ علوِّ الله في قوله: «كان اللهُ ولا عرشٌ، وهو على ما عليه كان». فقال له أبو جعفرِ الهمدانيُّ: «يا شيخُ، دعنا من ذكرِ العرشِ».

لماذا يقول: دعنا منه؟ الجوابُ: لأنَّ دليله سَمْعِيٌّ، وليس فِطْرِيًّا، والسَمْعِيُّ قابلٌ للتأويلِ ولو تحريفًا.

«أخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدُها في قلوبنا، فإنه ما قال عارفٌ قطُّ: يا اللهُ، إلا وجدَ من قلبه ضرورةً بطلبِ العلوِّ، ولا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً ولا يَسْرَةً، فكيفَ ندفعُ هذه الضرورةَ عن قلوبنا؟».

فصرخَ أبو المعالي ولطمَ على رأسه، وقال: «حَيَّرَني الهمدانيُّ حَيَّرَني الهمدانيُّ»^(٣).

تحيرٌ، لأنَّ هذا دليلٌ فِطْرِيٌّ لا يُمكنُ النزاعُ فيه، كما قال ابنُ القيمِ -رحمه اللهُ-

قوله: «نحو العلوِّ... إلخ» وهذا صحيحٌ، أين تطلبُ ربَّك إذا دعوتَه؟

(١) أبو جعفر الهمداني الشيخ الإمام الحافظ الرحال الزاهد، بقية السلف والأئمة، أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله، الهمداني توفي سنة (٥٣١هـ). ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠١/٢٠).

(٢) أبو المعالي الجويني: إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، ولد في جوين من أعمال نيسابور سنة (٤١٩هـ)، وأقام مدةً بالحجاز (مكة والمدينة) كان من أعلم المتأخرين من الشافعية، تُوفِّي بقرية من أعمال نيسابور سنة (٤٧٨هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨).

(٣) انظر: كتاب الاستقامة (١٦٧/١).

هل تطلبه من فَوْق أو من يسار أو من أمام أو من خلف؟! الجَوَابُ: من فوق.

لكن لو قَالَ قَائِلٌ: إِذَا قُلْتَ لَهُؤُلَاءِ: لِمَاذَا تَرْفَعُونَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ؟ يَقُولُونَ: لِأَنَّ السَّمَاءَ أَفْضَلُ الْجِهَاتِ؟

فَنَقُولُ لَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ: هَلْ أَنْتُمْ تَقُولُونَ: (يَا سَمَاءُ)؟! أَنْتُمْ تَقُولُونَ: (يَا اللَّهُ)، إِذَنْ هُوَ فِي الْجِهَةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْجِهَاتِ، لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ -الآن- إِذَا رَفَعْتُمْ أَيْدِيَكُمْ تُنَادُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تَقُولُونَ: (يَا سَمَاءُ)، وَتَقُولُونَ: دَعَوْنَاهَا، لِأَنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَاتِ، إِنَّمَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ الَّذِي هُوَ فِي أَفْضَلِ الْجِهَاتِ.

لكن لو قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ فِي مَكَانٍ، وَبَيْنَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ لَا فِي مَكَانٍ؟

نَقُولُ: هَذَا تَنَاقُضٌ، إِلَّا إِذَا قَصَدَ بِقَوْلِهِ: (لَا فِي مَكَانٍ) أَي: لَيْسَ فِي مَكَانٍ يَحْضُرُهُ، كَمَا نَحْنُ الْآنَ فِي الْمَسْجِدِ، وَالْجُدْرَانُ أَمَامَنَا وَيَمِينَنَا وَشِمَالَنَا وَوَرَاءَنَا، أَمَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ ذَلِكَ فَهَذَا تَنَاقُضٌ وَاضِحٌ، ثُمَّ نَقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَعْلَمُمْ أَمِ الرَّسُولُ -عليه الصلاة والسلام- الَّذِي قَالَ لِلْجَارِيَةِ «أَيْنَ اللَّهُ؟»^(١)، وَهَذِهِ صِفَةٌ مُبَيَّنَّةٌ عَنِ الْمَكَانِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ اللُّغَةِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

- ١١٣٤- وَنَهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكٌ وَتَحُورٌ — مَيْشٌ وَتَغْيِيرٌ عَلَى الْإِيمَانِ
- ١١٣٥- لَا يَسْتَطِيعُ تَعَارُضُ الْمَعْلُومِ وَالْمَعْقُولِ عِنْدَ بَدَائِهِ الْإِنْسَانِ
- ١١٣٦- فَمِنْ الْمَحَالِ الْقَدْحُ فِي الْمَعْلُومِ بِالشُّبُهَاتِ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ
- ١١٣٧- وَإِذَا الْبَدَائَةُ قَابَلَتْهَا هَذِهِ الشُّبُهَاتُ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى بُطْلَانِ
- ١١٣٨- شَتَانٍ بَيْنَ مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا بَعْضٌ لِبَعْضٍ أَوَّلٌ لِلثَّانِي
- ١١٣٩- وَمَقَالَةٍ فَطَرَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ حَقًّا عَلَيْهَا مَا هُمَا عِدْلَانِ

الشرح

١١٣٤- وَنَهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكٌ وَتَحُورٌ — مَيْشٌ وَتَغْيِيرٌ عَلَى الْإِيمَانِ

هذه نهاية الشُّبُهَاتِ التَّشْكِيكُ وَالتَّحْمِيشُ وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ التَّشْكِيكِ، وَالتَّغْيِيرِ، فَالشُّبُهَاتُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - إِذَا أُلبِسَتْ فِي الْقَلْبِ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - فَهَذِهِ نَهَائَتُهَا، يَبْقَى الْإِنْسَانُ فِي شَكٍّ وَحَيْرَةٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُ التَّخْلُصَ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ.

١١٣٥- لَا يَسْتَطِيعُ تَعَارُضُ الْمَعْلُومِ وَالْمَعْقُولِ عِنْدَ بَدَائِهِ الْإِنْسَانِ

يعني: مَا ثَبَتَ بِنِدَاهَةِ الْعُقُولِ أَوْ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنَ الْمَقُولِ هَلْ يُمْكِنُ لِهَذِهِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي تَرُدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ تُعَارِضَ ذَلِكَ؟ الْجَوَابُ: لَا.

فَلَا يُمْكِنُ أَبَدًا، لِأَنَّ الْمَعْلُومَ تَزُولُ بِهِ الشُّبُهَةُ، وَالْمَعْقُولَ تَبْطُلُ بِهِ الشُّبُهَةُ

أَيْضًا.

١١٣٦- فَمِنْ الْمَحَالِ الْقَدْحُ فِي الْمَعْلُومِ بِالشُّبُهَاتِ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ

يعني: الشيءُ المَعْلُومُ هل يُمكنُ أن تُبطله الشُّبُهَاتُ؟

الجَوَابُ: أبدأ، أنا إذا قيل لي: هذا فلان، وأنا أعرفُ أنه فلان، وجاءَ إنسانٌ يُشكِّكُنِي فيه، هل يَردُّ على قلبي شكٌّ؟

الجَوَابُ: أبدأ، مهما كان، فالشيءُ المَعْلُومُ لا يُمكنُ أن تُبطله الشُّبُهَاتُ.

١١٣٧- وَإِذَا الْبِدَائِهِ قَابَلَتْهَا هَذِهِ الشُّبُهَاتُ لَمْ تَحْتَجِ إِلَى بُطْلَانِ

أيضاً الشُّبُهَاتُ هل يمكنُ أن تُبطلَ ما يُعلَمُ بالبِدَاهَةِ؟

الجَوَابُ: لا يمكنُ أبدأ، ولذلك حُجَّةٌ مَنْ أَنْكَرَ عُلُوَّ اللَّهِ أَنَّهُمْ قَالُوا: لو كانَ فوقَ بذاتِهِ، لَزِمَ أن يكونَ محدوداً بحدِّ، والله تعالى لا يُحدِّه شيءٌ.

فهذه شُبُهَةٌ لكن لا تُبطلُ أبدأ ما كان معلوماً بالسَّمْعِ أو معقولاً بالبِدَاهَةِ.

١١٣٨- شَتَانٌ بَيْنَ مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا بَعْضُ لِبَعْضٍ أَوَّلٌ لِلثَّانِي

١١٣٩- وَمَقَالَةٍ فَطَرَ إِلَهُ عِبَادَهُ حَقًّا عَلَيْهَا مَا هُمَا عِدْلَانِ

قَوْلُهُ: «مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا» هِيَ مَقَالَةُ الْمُعْطَلَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا عُلُوَّ اللَّهِ.

صحيحٌ، شَتَانٌ بَيْنَ مَقَالَةٍ فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا وَمَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا أَوَّلٌ لِلثَّانِي مَبْنِيَّةٌ عَلَى الشُّبُهَاتِ، فَبَيْنَ الْمَقَالَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَكِنْ مَا هِيَ الْمَقَالَةُ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَيْهَا؟

الجَوَابُ: هِيَ قَوْلُنَا: إِنَّ اللَّهَ بَدَأَهُ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَأَمَّا الْمَقَالَةُ الَّتِي أَوْصَىٰ بِهَا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ قَالُوا: لَا تَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَالَمِ بَدَاتِهِ، لَا تَقُولُوا هَذَا أَبَدًا.

لكن ماذا نقول؟ لهم في ذلك طَرِيقَانِ: إِمَّا أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ لَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينٍ وَلَا شِمَالٍ، وَلَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُتَّصِلَ بِالْعَالَمِ وَلَا مُنْفَصِلَ عَنْهُ، هَذَا قَوْلٌ، أَوْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ بَدَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، هَذَا قَوْلَانِ.

القول الثالث - وهو قول أهل الحق - : إِنَّ اللَّهَ بَدَاتِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي سَاقَ الْمُؤَلِّفُ الْأَدْلَةَ لِإِبْطَاتِهِ.

فصل

- ١١٤٠ - هَذَا وَثَالِثُهَا: صَرِيحُ الْفَوْقِ مَضْمُونًا وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ:
- ١١٤١ - إِحْدَاهُمَا: هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ وَالْأُصْلُ الْحَقِيقَةُ وَحَدَاهَا بَيَانٌ
- ١١٤٢ - فَإِذَا ادَّعَى تَأْوِيلَ ذَلِكَ مُدَّعٍ لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانٍ
- ١١٤٣ - لِكَيْتَمَا الْمَجْرُورُ لَيْسَ بِقَابِلِ التَّأْوِيلِ فِي لُغَةٍ وَعُرْفٍ لِلسَّانِ
- ١١٤٤ - وَأَصْحُ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
- ١١٤٥ - إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ يُبْدِي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
- ١١٤٦ - أَضْحَى كَنْصَ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أَوْلُو الْأَذْهَانِ
- ١١٤٧ - فَسِيَاقَةُ الْأَلْفَاظِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ إِنَّهُمَا لَنَا صِنْوَانِ
- ١١٤٨ - إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا لَكِنَّ ذَاكَ لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ
- ١١٤٩ - فَإِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ بَعْدَ سِيَاقَةٍ تُبْدِي الْمُرَادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ
- ١١٥٠ - وَإِذَا أَتَى الْكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ كَانَ كَأَقْبَحِ الْكِتْمَانِ

الشرح

في هذه القطعة بين المؤلف - رحمه الله - النوع الثالث من أدلة العلو، وهو التصريح بالفوقية، وذكر أنها نوعان: إحداهما مقرونة بـ (من)، والثانية مطلقة،

ففي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ أَلْفَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، هذه غيرُ مُقَيَّدَةٍ بـ(مِنْ)، فهي مطلقَةٌ، وفي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، هذه مقَيَّدَةٌ بـ(مِنْ).

ويقول -رَحِمَهُ اللهُ-: إِنَّ التِّي لَمْ تُقَيَّدْ بـ(مِنْ) تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، أَمَّا الْمُقَيَّدَةُ بـ(مِنْ) فَإِنهَا لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ.

الأولى تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، وهي أَنْ تَكُونَ الفُوقِيَّةُ فُوقِيَّةَ الشَّأْنِ وَالصِّفَةِ، كَمَا تَقُولُ مَثَلًا: (الذَّهَبُ فُوقَ الفِضَّةِ)، يَعْنِي: فِي الشَّرَفِ وَالقِيَمَةِ.

أَمَّا (مِنْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، فَإِنهَا لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، لِأَنَّهَا صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ المَرَادَ فُوقِيَّةَ المَكَانِ، وَأَنَّ اللهُ تَعَالَى فُوقَ جَمِيعِ الخَلْقِ، فَإِنَّ كَانَتْ هَذِهِ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ وَجَبَ أَنْ تُحْمَلَ تِلْكَ عَلَى هَذِهِ حَتَّى يَتَّفَقَ النَّصَّانِ.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ- عَلَى التَّأْوِيلِ الأوَّلِ أَنَّ المَطْلُوقَ يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ: لَا نَقْبَلُ التَّأْوِيلَ، لِأَنَّ الأَصْلَ الحَقِيقَةَ، ثُمَّ ذَكَرَ قَاعِدَةَ مُهِمَّةً، وَهِيَ أَنَّهُ إِذَا أَتَى اللَّفْظُ بِسِيَّاقِهِ مُبَيِّنًا لِلْمُرَادِ، فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ تَأْوِيلُهُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالصَّرِيحِ، كَمَا أَنَّ شَوَاهِدَ الأَحْوَالِ كَالصَّرِيحِ عِنْدَ كِتْمَانِ الشَّيْءِ، إِذَا كَتَمَ الإِنْسَانُ شَيْئًا، وَكَانَتْ شَوَاهِدُ الأَحْوَالِ تُدَلُّ عَلَى كَذِبِهِ صَارَتْ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ كَالصَّرِيحِ.

قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٤٠- هَذَا وَثَالِثُهَا: صَرِيحُ الفُوقِ مَصْـ حُوبًا بـ(مِنْ) وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ:

قَوْلُهُ: «مَصْحُوبًا بـ(مِنْ) وَبِدُونِهَا» كَمَا يَكُونُ؟ الجَوَابُ: نَوْعَانِ.

١١٤١- إِحْدَاهُمَا: هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ وَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ وَحَدَّهَا بَيَانِ
قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ» ما هو قَابِلُ التَّأْوِيلِ؟
الجواب: الذي بدون (من).

قَوْلُهُ: «وَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ وَحَدَّهَا بَيَانِ» يَعْنِي: حَتَّى عَلَى قَوْلِنَا بِأَنَّهُ قَابِلُ
التَّأْوِيلِ فَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ وَعَدَمُ التَّأْوِيلِ.

١١٤٢- فَإِذَا ادَّعَى تَأْوِيلَ ذَلِكَ مُدَّعٍ لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانِ
إِذَا ادَّعَى تَأْوِيلَ ذَلِكَ مُدَّعٍ، وَقَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِكَذَا كَذَا. عَلَى خِلَافِ اللَّفْظِ،
فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانِ، أَي: بِلَا دَلِيلٍ، يَعْنِي: أَنَّهُ يُحْمَلُ الْكَلَامُ عَلَى
حَقِيقَتِهِ وَأَصْلِهِ، وَلَا تُقْبَلُ دَعْوَى التَّأْوِيلِ إِلَّا بِدَلِيلٍ.

١١٤٣- لَكِنَّمَا الْمَجْرُورُ لَيْسَ بِقَابِلِ التَّأْوِيلِ فِي لُغَةِ وَعُرْفِ لِسَانِ
قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا الْمَجْرُورُ» أَي: بِ(مِنْ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ
فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، (لَيْسَ بِقَابِلِ التَّأْوِيلِ)، لِأَنَّ الْفَوْقِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ فَوْقِيَّةَ الشَّأْنِ
لَا تَأْتِي بِ(مِنْ)، فَ(مِنْ) تَأْتِي لِابْتِدَاءِ الْمَكَانِ، فَيَكُونُ مَكَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ،
وَلَا تُقْبَلُ غَيْرَ هَذَا.

١١٤٤- وَأَصْخِ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
قَوْلُهُ: «وَأَصْخِ» يَعْنِي: اسْتَمِعْ.
قَوْلُهُ: «لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ» بَيَّنَّ هَذِهِ الْفَائِدَةَ
بِقَوْلِهِ:

١١٤٥- إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ يُبْدِي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

١١٤٦- أَضْحَى كَنَصَّ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ تَأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أَوْلُو الْأَذْهَانَ

يعني: إذا أتى الكلامُ بسياقةٍ مُعَيَّنَةٍ، أي: بصيغةٍ مُعَيَّنَةٍ، فإنه (يُبْدي المراد)،
يَعْنِي: يُظْهِرُهُ.

قَوْلُهُ: «أَضْحَى كَنَصَّ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ» يَعْنِي: إذا كان سِياقُهُ يُبْدي
الْمُرَادَ فَإِنَّ هَذَا يَكُونُ كَالنَّصِّ الْقَاطِعِ الصَّرِيحِ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ.

وهذا واضحٌ، بل أبلغُ من هذا نفسُ نبراتِ الإنسانِ يَختلفُ بها المعنى، فإذا
زَجَرَ الإنسانُ صَبِيًّا قَائِلًا له: يا ولد كيف فعلتَ هذا الشيءَ؟ هل مثل أن يقول له:
لماذا سوَّيتَ هذا؟

الجوابُ: لا، فالأوَّلُ أبلغُ في الزجرِ.

فالسِّيَاقُ، والأحوالُ، وكذلك نبراتُ الأصواتِ، وغيرُ ذلك كُلُّها تدلُّ على
المعنى المرادِ، وهذا شيءٌ قد فطَرَ الناسُ عليه.

١١٤٧- فِسِّيَاقَةُ الْأَلْفَاظِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ إِنَّهَا لَنَا صِنَوَانٍ

يعني: أن سِيَاقَةَ الْأَلْفَاظِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ، كُلُّ مِنْهَا يُعَيِّنُ الْمُرَادَ.

شَوَاهِدُ الْأَحْوَالِ - أحيانًا - تَكُونُ كَالصَّرِيحِ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنْكُمْ
قِصَّةُ عَمِّ حَيِّ بْنِ أَخْطَبَ حِينَما أَنْكَرَ مَالَ حَيِّ بْنِ أَخْطَبَ^(١)، فَعَنَ ابْنُ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ حَتَّى أَلْجَأَهُمْ إِلَى قَصْرِهِمْ، فَغَلَبَ عَلَى
الْأَرْضِ وَالزَّرْعِ وَالنَّخْلِ، فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُجْلَوْا مِنْهَا وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ،

(١) حبي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن
النحام بن ينحوم من بني إسرائيل. وهو والد صفية زوج النبي ﷺ، وسيد بني النضير. جاء
ذكره في ترجمة صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٠/٨).

وَلرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ، وَيُخْرَجُونَ مِنْهَا، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيَّبُوا شَيْئًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ، فَغَيَّبُوا مَسْكًَا فِيهِ مَالٌ وَحُلِيٌّ لِحُيِّ بْنِ أَخْطَبَ كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى خَيْبَرَ حِينَ أُجْلِيَتِ النَّضِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّ حُيِّ: «مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟». فَقَالَ: أَذْهَبَتْهُ النَّفَقَاتُ وَالْحُرُوبُ. فَقَالَ: «العَهْدُ قَرِيبٌ، وَالسَّالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ». فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الزُّبَيْرِ فَمَسَّهُ بِعَذَابٍ، وَقَدْ كَانَ حُيِّ قَبْلَ ذَلِكَ دَخَلَ خَرِبَةً، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ حُيًّا يَطُوفُ فِي خَرِبَةٍ ههنا. فَذَهَبُوا وَطَافُوا فَوَجَدُوا الْمَسْكَ فِي الْخَرِبَةِ. (١) وَالْمَسْكُ يَعْنِي: جِلْدُ الثَّوْرِ.

الشاهد من هذا أن قرائن الأحوال صارت كالصريح، وكشواهد الألفاظ، يعنى: كأن هذه القرينة قالت لهم: إنَّ عنده مالاً، ولم ينفد ماله.

قَوْلُهُ: «صِنَوَانٍ» الصَّنَوَانِ هُمَا الْفَرْعَانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، قَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِعُمَرَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنَوَانِي» (٢).

١١٤٨ - إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا لَكِنَّ ذَاكَ لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا» يَعْنِي: الْقَرَائِنَ.

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ ذَاكَ» يَعْنِي: سِيَاقَ الْأَلْفَافِ (لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ) يَعْنِي: إِذَا سَمِعَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا وَتَفَهَّمَ السِّيَاقَ عَرَفَ دَلَالَتَهُ عَلَى الْمُرَادِ، وَالسِّيَاقُ يَجْعَلُ الْمُرَادَ بِالْقَرَائِنِ كَأَنَّهُ صَرِيحٌ.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب من رأى قسمة الأراضي، برقم (١٨٨٥١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، برقم (٩٨٣).

١١٤٩- فَإِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ بَعْدَ سِيَاقَةٍ تُبْدِي المُرَادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ
وهذا صَحِيحٌ، إِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ وَهُوَ صَرَفُ اللفظِ عن ظاهِرِهِ بعدَ سِيَاقَةٍ
تُبْدِي المُرَادَ، ماذا يكون هذا التَّأْوِيلُ؟

الجوابُ: يَكُونُ مُسْتَهْجَنًا، مَرْدُودًا، لا يُقْبَلُ، لَأَنَّ السِّيَاقَ يُعَيِّنُ المعنى، حَتَّى
وَإِنْ احْتَمَلَ مُجَرَّدُ اللفظِ مَعْنَى آخَرَ فَإِنَّ السِّيَاقَ يَمْنَعُ هذا المعنى الآخَرَ.

١١٥٠- وَإِذَا أَتَى الكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الأَحْوَالِ كَانَ كَأَقْبَحِ الكِتْمَانِ
وهذا -أيضًا- صَحِيحٌ، فَإِذَا أَتَى الكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الأَحْوَالِ صارَ مِنَ
أَقْبَحِ الكِتْمَانِ، كَقَضِيَةِ الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرْنَا، وَهُوَ حَيِّيُّ بْنُ أَخْطَبَ، فَشَوَاهِدُ
الأَحْوَالِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَهُ مَا لَا مَوْجُودًا.

والكتمانُ في هذا الموضع هو فَوْفِيَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَاتِهِ.

فَإِذَا أَتَى الكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الأَحْوَالِ كَانَ مِنَ أَقْبَحِ الكِتْمَانِ، لَأَنَّ الواجِبَ
إِجْرَاءَ اللفظِ عَلَى ما يَتَقَضِيهِ السِّيَاقُ، وَعَلَى ما تَقْتَضِيهِ الأَحْوَالُ، وَقَدْ مَثَّلْنَا فِيها سَبَقَ
ب أَنَّ الإنسانَ يَخْتَلِفُ معنَى كلامِهِ بِنَبْرَاتِ صَوْتِهِ وَمُخَاطَبَةِ النَّاسِ، فَالشَوَاهِدُ لا بُدَّ
منها.

١١٥١- فَتَأَمَّلِ الأَلْفَاطَ وَانظُرْ مَا الَّذِي سِيقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانٍ
١١٥٢- وَالفُوقُ وَصَفٌ ثابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الوُجُوهِ لِفاطِرِ الأَكْوَانِ
١١٥٣- لَكِنْ نَفَاةُ الفُوقِ مَا وَافُوا بِهِ جَحَدُوا كَمَالَ الفُوقِ لِلدِّيَانِ

- ١١٥٤ - بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنَّ قَدَرَ اللهُ أَعْدَ لِي لَا يَفْوَوقِ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ
 ١١٥٥ - قَالُوا: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ:
 ١١٥٦ - هُوَ فَوْقَ جِنْسِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَا بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثَانِ
 ١١٥٧ - وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا اللهُ تَابِتَةٌ بِلَا نَكْرَانَ
 ١١٥٨ - هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقَ الْقَهْرِ وَالْ فَوْقِيَّةِ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ

الشرح

- ١١٥١ - فَتَأَمَّلِ الْأَلْفَاظَ وَانظُرْ مَا الَّذِي سَيِّقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ
 يقول المؤلف -رحمه الله-: (تأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقَتْ له) لأنك إذا تأملت الألفاظ ونظرت ما الذي سيقَتْ له عيَّنتَ لك المرادَ، وذلك لأنَّ الإنسان لا ينبغي أن ينظرَ إلى الألفاظِ مُجَرَّدَةً عن قرائنِ السِّياقِ، لأنَّ الألفاظَ نفسَها مُجَرَّدَةٌ ليس لها معنى إلا بالسِّياقِ، فالسِّياقُ هو الذي يُظهِرُ معناها، ولهذا رُبَّ كلمةٍ تكونُ في هذا السِّياقِ لمعنى، وفي سياقٍ آخَرَ لمعنى آخَرَ.
 إذن تأملِ السِّياقَ، وانظرْ لِأَيِّ شَيْءٍ جَاءَ هَذَا السِّياقُ، فإذا جَاءَ لِإثباتِ الفَوْقِيَّةِ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْفَوْقِيَّةِ فَوْقِيَّةَ الذَّاتِ، وهذا مِثَالٌ، وَإِلَّا فَالْقَاعِدَةُ أَنَّ السِّياقَ يُعَيِّنُ الْمُرَادَ.

- ١١٥٢ - وَالْفَوْقُ وَصْفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ
 يعني: أَنَّ الْفَوْقَ وَصْفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ اللهُ فَاطِرُ الْأَكْوَانِ، وَ(فَاطِرُ الْأَكْوَانِ) هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا ابْتِدَاءً عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، وَلِهَذَا قَالُوا:

(فَاطِرُ السَّمَوَاتِ) أَي: مُنْشِئُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، يَعْنِي: مُنْشِئُهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ،
فَالَّذِي فَطَرَ الْأَكْوَانَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

١١٥٣- لَكِنَّ نَفَاةَ الْفَوْقِ مَا وَافَوْا بِهِ جَحَدُوا كَمَا لِ الْفَوْقِ لِلدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ نَفَاةَ الْفَوْقِ مَا وَافَوْا بِهِ» يَعْنِي: مَا اتَّوَابَ بِهِ وَافِيًا.

وَنَفَاةُ الْفَوْقِ هُم: الْجَهْمِيَّةُ^(١)، وَالْأَشَاعِرَةُ^(٢)، وَنَحْوُهُمَا مِمَّنْ يُكْرَهُونَ الْعُلُوقَ
الذَّاتِيَّ، فَهَؤُلَاءِ جَحَدُوا كَمَا لِ الْفَوْقِ لِلدِّيَانِ.

١١٥٤- بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنَّ قَدَرَ اللَّهِ أَعْمَى إِلَى لَا بِفَوْقِ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ

إِذَنْ فَسَّرُوا الْفَوْقِيَّةَ بِالْقَدْرِ، أَي: فَوْقِيَّةَ الْمَعْنَى فَقَطُّ.

١١٥٥- قَالُوا: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعِيقَانِ:

١١٥٦- هُوَ فَوْقَ جِنْسِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَا بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثْمَانِ

فَالذَّهَبُ فَوْقَ الْفِضَّةِ، وَالْبِلَاتِينُ فَوْقَ الذَّهَبِ، وَالصُّوفُ فَوْقَ الْقُطْنِ،
وَالْمَسْجِدُ فَوْقَ السُّورِ، هَذِهِ فَوْقِيَّةُ الْقَدْرِ.

(١) هم أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الحبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمد، وقتله سلم بن أخوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء منها قوله: لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيهاً، فنفي كونه حياً عالماً، وأثبت كونه: قادراً، فاعلاً، خالقاً، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقُدرة والفعل والخلق. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦).

(٢) هم أصحاب الأشعري: علي بن إسماعيل، أبو الحسن، من نسل أبي موسى الأشعري، كان من أئمة المتكلمين المجتهدين، أسس مذهب الأشاعرة، ولد سنة (٢٦٠هـ) في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، والتزم مذهب أحمد بن حنبل، وتوفي ببغداد سنة (٣٢٤هـ).

فقالوا: هذه الفوقية لله هي فوقية القدر، أما الذات فلا.

قوله: «العقيان» اسم للذهب.

ثم بين المؤلف أن الفوق ثلاثة أنواع كالعلو، فقال:

١١٥٧- وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا اللَّهُ ثَابِتَةٌ بِأَلَا نُكْرَانَ

١١٥٨- هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقَ الْقَهْرِ وَالْ فَوْقِيَّةَ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ

قوله: «هذا الذي قالوا» يعني: فوق القدر.

قوله: «والفوقية العليا على الأكوان» أي: فوق الذات.

فجعل المصنف - رحمه الله - فوقية الله كعلو الله، فوقية قدر، وقهر، وذات، وهي كلها ثابتة لله عز وجل.

الآن إذا قلتم: (سبحان ربِّي الأعلى)، ما الذي يتبادر إلى أذهانكم؟ الجواب:

يتبادر علو الذات، أما علو المعنى فيغيب عن كثير من الناس، حتى طلاب العلم

قد لا يستحضرون علو المعنى عند قولهم: (سبحان ربِّي الأعلى)، ولكن نقول: من

يُضِلُّ اللهُ فلا هادي له.

فصل

- ١١٥٩- هَذَا وَرَابِعُهَا: عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْأَمْلاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ
- ١١٦٠- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ كِلَاهُمَا اشْتِمَلًا عَلَى التَّقْدِيرِ بِالْأَزْمَانِ
- ١١٦١- فِي سُورَةٍ فِيهَا الْمَعَارِجُ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ أَلْفًا كَامِلَ الْحُسْبَانِ
- ١١٦٢- وَبِسَجْدَةِ التَّنْزِيلِ أَلْفًا قُدِّرَتْ فَلَأَجَلٍ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ
- ١١٦٣- يَوْمُ الْمَعَادِ بِذِي الْمَعَارِجِ ذِكْرُهُ وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلٍ) فِي ذَا الْآنِ
- ١١٦٤- وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فِيَوْمٌ وَاحِدٌ وَعُرُوجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدِّيَانِ
- ١١٦٥- فَالْأَلْفُ فِيهِ مَسَافَةٌ لِنُزُولِهِمْ وَصُعُودِهِمْ نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي
- ١١٦٦- هَذِي السَّمَاءُ فَإِنَّهَا قَدْ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ فِي عَشْرِ وَذَا ضِعْفَانِ
- ١١٦٧- لَكِنَّمَا الْخَمْسُونَ أَلْفَ مَسَافَةَ السُّسْبَعِ الطَّبَاقِ وَبُعْدُ ذِي الْأَكْوَانِ
- ١١٦٨- مِنْ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ التَّحْتَانِي
- ١١٦٩- وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَلْبَغْوِيُّ ذَاكَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِي
- ١١٧٠- وَجَاهِدٌ قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لَكِنْ ابْنُ إِسْحَاقَ الْجَلِيلِ الشَّانِ
- ١١٧١- قَالَ: الْمَسَافَةُ بَيْنَنَا وَالْعَرْشِ ذَا أَلْمَقْدَارُ فِي سَيْرٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

- ١١٧٢- وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلُ عِكْرِمَةَ وَقَوْلُ
 لُ قَتَادَةَ وَهُمَا لَنَا عَلَمَانِ
 ١١٧٣- وَاخْتَارَهُ الْحَسَنُ الرُّضَا وَرَوَاهُ عَنْ
 بَحْرِ الْعُلُومِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ
 ١١٧٤- وَيُرْجَحُ الْقَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ
 سَادَاتُنَا فِي فَرْقِهِمْ أَمْرَانِ:
 ١١٧٥- إِحْدَاهُمَا: مَا فِي الصَّحِيحِ لِمَنْعِ
 لِرِكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ
 ١١٧٦- يُكْوَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهْرُهُ
 وَجَبِينُهُ وَكَذَلِكَ الْجَبْنَانِ
 ١١٧٧- خَمْسُونَ أَلْفًا قَدْرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي
 هَذَا الْحَدِيثِ وَذَلِكَ ذُو تَيْبَانَ
 ١١٧٨- فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمِ
 مَّ وَاحِدًا مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ
 ١١٧٩- قَالُوا: وَإِرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْـ
 مَمْضُومَ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ
 ١١٨٠- فَانظُرْ إِلَى الْإِضْمَارِ ضَمْنِ (يَرُونَهُ)
 وَ(نَرَاهُ) مَا تَفْسِيرُهُ بَيَّانِ
 ١١٨١- فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَا
 بٍ وَاقِعٍ لِلْقُرْبِ وَالْحَيْرَانِ
 ١١٨٢- وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّ
 دُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 ١١٨٣- فَتَزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَالِكَ ثَابِتٌ
 كَتَزُولِهِمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ
 ١١٨٤- وَعُرُوجُهُمْ بَعْدَ الْقَضَا كَعُرُوجِهِمْ
 أَيْضًا هُنَا فَالْهُمُ إِذَنْ شَأْنَانِ
 ١١٨٥- وَيَزُولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا
 فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ
 ١١٨٦- هَذَا وَمَا اتَّضَحَتْ لَدَيْ وَعِلْمُهَا أَلِ
 مَوْكُوتٍ بَعْدَ لِمُنْزَلِ الْقُرْآنِ
 ١١٨٧- وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمِ بِلَا
 عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الْإِمْكَانِ

١١٨٨- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ

الشرح

هذا الفصل فيما يتعلق بالنوع الرابع من الأدلة الدالة على علو الله - جلّ وعلا-، يقول -رحمه الله-:

١١٥٩- هَذَا وَرَابِعُهَا: عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْأَمَلَاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَرَابِعُهَا» يَعْنِي: رَابِعَ الْأَنْوَاعِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ بِذَاتِهِ.

قَوْلُهُ: «عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْأَمَلَاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ» كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذِي

الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ [المعارج: ٣-٤] الْمَلَائِكَةُ مَعْرُوفَةٌ.

قَوْلُهُ: «الرُّوحُ» هَلْ هُوَ (جِبْرِيْلُ)، فَيَكُونُ عَطْفُهُ عَلَى (الْمَلَائِكَةِ) مِنْ بَابِ

عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾

[القدر: ٤]، أَوْ الرُّوحُ جِنْسُ أَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

بِأَنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَتْ صُعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَذَلِكَ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَلَى رُوحِ الْمُؤْمِنِ

وَالْكَافِرِ فِي قَوْلِهِ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا

هَذَا الرُّوحُ»^(١).

سواء هذا أو هذا، فإن في كل منهما دلالة على أن الله فوق، فهذا دليلٌ.

١١٦٠- وَلَقَدْ آتَىٰ فِي سُورَتَيْنِ كِلَاهُمَا أَشْهُمًا عَلَى التَّقْدِيرِ بِالْأَزْمَانِ

الضمير في قوله: (آتى)، يعودُ على العروج.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٥٥٧).

١١٦١- فِي سُورَةِ فِيهَا الْمَعَارِجُ قُدِّرَتْ حَمْسِينَ أَلْفًا كَامِلَ الْحُسْبَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ١-٤].

١١٦٢- وَبِسُجْدَةِ التَّنْزِيلِ أَلْفًا قُدِّرَتْ فَلِأَجْلِ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ

هَذَا أَلْفٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، وَفِي آيَةٍ ثَانِيَةٍ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

لَكِنَّ الْمَوْلَفَ أَتَى بِهِذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ فَقَطُّ: فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ، وَفِي سُورَةِ التَّوْبَةِ

﴿١﴾ تَنْزِيلٌ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾.

قَوْلُهُ: «فَلِأَجْلِ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ» (قَالُوا) أَي: أَهْلُ الْعِلْمِ.

١١٦٣- يَوْمُ الْمَعَارِجِ بِذِي الْمَعَارِجِ ذَكَرَهُ وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلِ) فِي ذَا الْآنِ

قَوْلُهُ: «وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلِ) فِي ذَا الْآنِ» هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ حِمِيمٌ حِمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصِرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ٤-١١].

وَالسِّيَاقُ وَاضِحٌ جَدًّا أَنْ الْمُرَادَ بِهَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ

مُسْلِمٍ «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ

وَوَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(١). فيكون الذي في المعارج هو يوم القيامة.

قَوْلُهُ: «وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلُ) فِي ذَا الْآنِ» (في الآن) يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا، فَالْيَوْمُ الَّذِي فِيهِ ﴿آلَمَ ۝١﴾ تَنْزِيلُ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾، لَيْسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَلْ هُوَ يَوْمٌ فِي الدُّنْيَا.

فَقَالُوا: هُمَا إِذَنْ يَوْمَانِ: أَحَدُهُمَا: يَوْمُ الْمَعَادِ، وَالثَّانِي: يَوْمُ الْمَعَاشِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جَمُهورُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ.

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَأْيَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، ثُمَّ فِي النِّهَايَةِ ذَكَرَ أَنَّهَا لَمْ تَتَّضِحْ لَهُ.

لَكِنْ لِنَنْظُرِ إِلَى قَوْلِ الْجَمُهورِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمَرْوِيَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَغَيْرِهِمَا.

وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ فِي ﴿آلَمَ ۝١﴾ تَنْزِيلُ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ سَمَاءً، وَهُنَاكَ أَرْضًا، وَهُنَاكَ تَدْبِيرًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ [السجدة: ٥]، يَعْنِي: فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَفِي لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، مِقْدَارُ هَذَا الَّذِي يَأْتِي مِقْدَارُهُ فِي يَوْمٍ، وَقَدْ يَكُونُ فِي لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، لِأَنَّ (فِي) لِلظَّرْفِيَّةِ، وَ(الْيَوْمِ) ظَرْفٌ، وَالظَّرْفُ أَوْسَعُ مِنَ الْمَطْرُوفِ، يَعْنِي: هَذَا التَّدْبِيرُ يَكُونُ فِي يَوْمٍ، وَقَدْ يَكُونُ فِي لِحْظَةٍ، فَالْحِظَةُ فِي يَوْمٍ، مَا خَرَجَتْ عَنْ طَوْرِ الْيَوْمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَسَافَةَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧).

فنزوله من السماء في خمسمائة عام، وصعوده من الأرض إلى السماء في خمسمائة عام، قَالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، فيكون الجميع ألفاً ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ⑤ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑥ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ﴿[السجدة:٥-٧].

وهذا واضحٌ جداً من السِّيَاقِ أنه في الدنيا.

فالسِّيَاقُ -كما عَلَّمَنَا ابنُ الْقَيْمِ -رحمه الله- يُعَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ بهذا اليوم يومٌ في الدنيا، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي فِيهِ التَّدْبِيرُ، ثُمَّ الْعُرُوجُ، وَوَضَحٌ جَدًّا مِنَ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ الَّذِي فِي الْآخِرَةِ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ.

ولنأتِ إلى اليوم الثاني في الآخرة، يقول اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَأَلْ سَائِلًا بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ② مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:١-٤] تعرجُ إلى مَنْ؟ الْجَوَابُ: إلى ذِي الْمَعَارِجِ، ولم يُبَيِّنْ -سبحانه وتعالى- في هذه الآية مدةَ عُرُوجِهَا إلى اللهِ.

وأما قَوْلُهُ: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ فهذا متعلِّقٌ بـ(واقِعٍ)، يَعْنِي: (بعذابٍ واقِعٍ) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ بِرُؤْنِهِ بَعِيدًا ⑥ وَنَزَلَتْ قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ [المعارج:٤-٨] وهذا واضحٌ أنه يومُ الْقِيَامَةِ.

وهذا في الطُّولِ، لا في الْمَسَافَةِ، يَعْنِي: طُولُ هذا اليوم خمسون ألفَ سَنَةٍ، وَيُؤَيِّدُ هذا ما رَوَاهُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبَ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ

صَفَائِحٍ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبَهُ وَجَبِينَهُ وَظَهْرَهُ، كُلَّمَا
بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى
سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(١)، فالآية والحديث يدلان دلالَةً صريحةً على أن
هذا اليوم هو يوم القيامة.

وَأَمَّا ﴿الْمَ ١﴾ تَنْزِيلُ ﴿[السجدة: ١-٢]، فواضحٌ من السِّيَاقِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هَذَا
اليوم الذي في الدنيا.

إِذَنْ فَالْقَوْلُ الرَّاجِحُ فِي الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ مَا قَالَهُ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الَّذِي
فِي سُورَةِ: ﴿الْمَ ١﴾ تَنْزِيلُ ﴿[السجدة: ١-٢] فِي الدُّنْيَا ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى
الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وَأَمَّا الَّذِي فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى
هَذَا فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، مَنْقُطَعًا عَمَّا بَعْدَهُ،
وهو كالتفسير لقَوْلِهِ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣]، لَكِنْ لِمَاذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِذِي
الْمَعَارِجِ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ تَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ كالتفسير والبيان
لقَوْلِهِ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣].

بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ يُقَالَ: هُنَاكَ يَوْمٌ ثَالِثٌ، لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْعُرُوجِ، وَهُوَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

نَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَذَا الْيَوْمِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾
فَاخْتَصَّ بِهِ، وَلَا نَدْرِي مَا هَذَا الْيَوْمُ؟ نَقُولُ: هَذَا يَوْمٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ عَيْنَهُ،
لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْ مَا يَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِهِ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ وَلَمْ يُخْبِرْنَا بِهِ، فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ
نُحْجِمَ عَنْهُ، وَأَنْ نَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَذَا الْيَوْمِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي فِي سُورَةِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧).

﴿الْم ١ تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢]، لَأَنَّ الَّذِي فِي ﴿الْم ١ تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢] هو يومٌ في الدنيا، أمَّا هذا فلا ندري، لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَهَمَّهُ وَلَمْ يُبَيِّنْهُ، وليس كما قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْأَيَّامَ عِنْدَ اللَّهِ كَأَلْفِ سَنَةٍ، لَأَنَّ اللَّهَ نَكَرَ الْيَوْمَ فَقَالَ: ﴿يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾، فهو يومٌ واحد، اللهُ أَعْلَمُ بِهِ، ونحن لا يلزِمُنَا أَنْ نَعْلَمَ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ عَقُولُنَا.

قَالَ الْمَوْلَفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١١٦٤- وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ وَاحِدٌ وَعُرُوجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ وَاحِدٌ» (كلاهما) الضميرُ يعودُ إلى اليومِ الذي في ﴿الْم ١ تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢]، واليومِ الذي في ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١].

١١٦٥- فَالْأَلْفُ فِيهِ مَسَافَةٌ لِنُزُولِهِمْ وَصُعُودِهِمْ نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي

١١٦٦- هَذِي السَّمَاءُ فَإِنَّهَا قَدْ قَدَّرْتُ خَمْسِينَ فِي عَشْرِ وَذَا ضِعْفَانِ

قَوْلُهُ: «خَمْسِينَ فِي عَشْرِ» يَعْنِي: خَمْسَائِتِي، هذا الصعودُ والنزولُ في خمسمائة، فهذا ألفٌ، ولذا قال: (وذا ضعفان)، لماذا صاروا ضِعْفَيْنِ؟

الجواب: لِأَنَّهُمْ بَيْنَ صُعُودٍ وَنُزُولٍ.

١١٦٧- لَكِنَّا الْخَمْسُونَ أَلْفَ مَسَافَةَ السُّدِّ سَبْعَ الطَّبَاقِ وَبَعْدُ ذِي الْأَكْوَانِ

١١٦٨- مِنْ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ التَّحْتَانِي

المعنى: (خمسون ألف) التي في (سأل)، يُرَادُ بِهَا مَا بَيْنَ قَاعَةِ الْأَرْضِ السُّفْلَى

إِلَى الْعَرْشِ، فَيَكُونُ خَمْسِينَ أَلْفًا، لَكِن كَيْفَ ذَلِكَ؟

الجَوَابُ: إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْأَرْضِينَ سَبْعٌ، وَكُلُّ أَرْضٍ مَسَافَتُهَا خَمْسَمِائَةَ عَامٍ، فَإِذَا ضَرَبْتَ خَمْسَمِائَةَ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ.

وَالسَّمَوَاتِ سَبْعٌ، سَمَكُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسَمِائَةَ عَامٍ، فَالْجَمِيعُ يَكُونُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ، بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسَمِائَةَ، فَيَكُونُ سَبْعٌ فِي خَمْسَمِائَةَ، فَيَكُونُ الْجَمِيعُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ، إِذْ نَ الْجَمِيعُ سَبْعَةُ آلَافٍ، وَعِنْدَنَا بِالْأَرْضِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ، فَهَذِهِ عَشْرَةُ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ.

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: سَمَكُ كُلِّ أَرْضٍ خَمْسَمِائَةَ، فَيَكُونُ الْجَمِيعُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَيَقُولُونَ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ.

لَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَنَا هَذَا؟! يَعْني: مِنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ؟! وَهَلْ كَانُوا يُرِيدُونَ تَكْمِيلَ الْعَدَدِ فَيَكُونُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ؟!!

لَا نَدْرِي، وَهَذَا كُلُّهُ تَأَمَّلْتَ هَذَا الْقَوْلَ وَجَدْتَهُ ضَعِيفًا جَدًّا، فَخَمْسُونَ أَلْفًا الْمُقَدَّرُ بِهَا فِي ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] لَيْسَتْ لِلْمَسَافَةِ، وَلَكِنْ لِلْمُدَّةِ (لَطُولِ الزَّمَنِ)، يَعْني: مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، هَذَا بِاعْتِبَارِ الطَّوْلِ، لَا بِاعْتِبَارِ الْمَسَافَةِ، وَهَذَا الْأَمْرُ وَاضِحٌ.

وَهَذَا ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي النِّهَايَةِ تَرَدَّدَ، وَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ، وَلِنَنْظُرْ:

١١٦٩- وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ الْبَغَوِيُّ^(١) ذَاكَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِي

(١) الْبَغَوِيُّ هُوَ: الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ، مَحْبِي السُّنَّةِ، الْبَغَوِيُّ، نَسَبُهُ إِلَى بَغَا مِنْ قَرْيَةِ خُرَاسَانَ، الْمَوْلُودُ سَنَةَ (٤٣٦هـ) الْمُتَوَفَى بِمَرُورِ الرَّوْذِ سَنَةَ (٥١٦هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩).

١١٧٠- وَجَاهِدٌ^(١) قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لَـ كَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ^(٢) الْجَلِيلَ الشَّانِ

١١٧١- قَالَ: الْمَسَافَةُ بَيْنَنَا وَالْعَرْشِ ذَا أَلْـ مِقْدَارٌ فِي سَيْرٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

المعنى أن ابن إسحاق قال: «اختلاف الزمن أو اختلاف التقدير ما بين ألف إلى خمسين ألفاً باعتبار السَّيرِ، فلو أن الإنسان سارَ من نُحُومِ الأَرْضِ السُّفْلَى إِلَى الْعَرْشِ لَكَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَأَمَّا الْمَلَائِكَةُ فَأَلْفُ سَنَةٍ».

فَجَعَلَ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْعَدَدَيْنِ - وَهُوَ فَرْقٌ كَبِيرٌ - بِاعْتِبَارِ السَّيْرِ.

وهذا -أيضاً- ضعيف، لأنَّ هذا الجَمْعَ مُسْتَكْرَهٌ فِي الْوَاقِعِ، لَا نَلْجَأُ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْجَمْعِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ ضَرُورَةٌ تَجْعَلُنَا نَجْعَلُ الْيَوْمِينَ يَوْمًا وَاحِدًا. نَنفَكُ عَنْ كُلِّ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ بِأَنَّ نَقُولَ: هُمَا يَوْمَانِ: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْيَوْمُ فِي الدُّنْيَا.

١١٧٢- وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلٌ عِكْرَمَةٌ^(٣) وَقَوْ لُ قَتَادَةَ^(٤) وَهُمَا لَنَا عَلَمَانِ

(١) مجاهد هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، أخذ التفسير عن ابن عباس، ولد سنة (٥٢١هـ) واستقرَّ بالكوفة ومات سنة (١٠٤هـ)، وقيل: مات بمكة وهو ساجدٌ سنة (١٠٢هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩).

(٢) ابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار، المطلبى، مولاهم المدني، سكن بغداد، ومات فيها، قال ابن حبان: «لم يكن بالمدينة أحدٌ يقاربُ ابنَ إسحاق في علمه، أو يوازيه في جمعه». [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/٣٣).

(٣) عكرمة هو: أبو عبد الله البربري، المدني، مولى ابن عباس، ولد سنة (٢٥هـ)، ومات بالمدينة سنة (١٠٥هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/١٢).

(٤) قتادة هو: قتادة بن دعامة السدوسي، البصري، المولود سنة (٦١هـ)، كان من أحفظ أهل البصرة، مات بواسط في الطاعون سنة (١١٨هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٩).

١١٧٣- وَاخْتَارَهُ الْحَسَنُ^(١) الرِّضَا وَرَوَاهُ عَنْ بَحْرِ الْعُلُومِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ^(٢) كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اخْتَارُوا هَذَا الْقَوْلَ أُمَّةٌ أَجَلٌ مِنَ الَّذِينَ اخْتَارُوا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

١١٧٤- وَيُرْجِّحُ الْقَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ سَادَاتُنَا فِي فَرْقِهِمْ أَمْرَانِ: قَوْلُهُ: «يُرْجِّحُ» أَي: قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَهَذَا مِنْ عَدْلِ ابْنِ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَإِنْصَافِهِ، حَيْثُ ذَكَرَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ .

١١٧٥- إِحْدَاهُمَا: مَا فِي الصَّحِيحِ لِإِمَاعٍ لِزَكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ قَوْلُهُ: «الْأَعْيَانِ» جَمْعُ (عَيْنٍ)، وَهِيَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ .

١١٧٦- يُكْوَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهْرُهُ وَجَبِينُهُ وَكَذَلِكَ الْجَبْنَانِ

١١٧٧- حَمْسُونَ أَلْفًا قَدْرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَذَلِكَ ذُو تَبْيَانِ

وَهَذَا يُؤَيِّدُ قَوْلَ الْجُمْهُورِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي سُورَةِ ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا قَالَ:

١١٧٨- فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمٌ وَاحِدٌ مَا إِنَّهُمَا يَوْمَانِ

قَوْلُهُ: «الظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمٌ وَاحِدٌ» يَعْنِي بِذَلِكَ: الْيَوْمَ الَّذِي فِي ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١]، وَالْيَوْمَ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمَا يَوْمٌ وَاحِدٌ .

(١) لعله الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن يسار، إمام أهل البصرة، وخبير الأمة في زمنه، ولد بالمدينة سنة (٢١هـ)، وشب في كنف علي بن أبي طالب، وتوفي بالبصرة سنة (١١٠هـ). انظر ترجمته في: تهذيب الكمال (٦/٣٦٣).

(٢) لعله عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ بحر العلم وترجمان القرآن.

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ»، (ما) نافية، و(إِنْ) زائدة، ونظيرُ هذا قولُ الشاعر

العربي:

بَنِي غَدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبًا وَلَا صَرِيْفًا وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْحَزْفُ^(١)

الشاهد قَوْلُهُ: «مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبًا»، (إِنْ) هنا زائدة، والتقدير: (ما أنتم ذهب).

١١٧٩- قَالُوا: وَإِرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْـ مَضْمُونَهُ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا» أي: الجمهور.

قَوْلُهُ: «وَإِرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْمَضْمُونَهُ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ» وسبقت هذه

القاعدة في كلام ابن القيم: أن السِّيَاقَ يُعَيِّنُ المعنى المراد.

١١٨٠- فَانظُرْ إِلَى الْإِضْرَارِ ضَمْنَ (يَرُونَهُ) وَ(نَرَاهُ) مَا تَفْسِيرُهُ بَيَّانِ

١١٨١- فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَا بٍ وَاقِعٍ لِلْقُرْبِ وَالجِيرَانِ

نقرأ دائماً قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ^(٢)

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ^(٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ

أَلْفَ سَنَةٍ^(٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا^(٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا^(٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا^(٧) [المعارج: ١-٧]،

الضمير في (يرونه) هل يعود على (العذاب) أو يعود على (اليوم)؟ ابن القيم

يقول: إنه يعود إلى (اليوم).

قَوْلُهُ: «فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَابٍ وَاقِعٍ» لماذا؟ الجواب: للقرب، لأنَّ

الضمير يعود إلى أقرب مذكور، ولكننا نقول في الجواب عن هذا: حتى وإن قلنا:

(١) البيت من البسيط، وهو غير منسوب، انظر: مختار الصحاح، مادة: صرف.

إنه عائذٌ إلى (اليوم) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَزَنُّهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧] نقول: نعم، حتى لو عاد إلى (اليوم) لا إلى (العذاب)، فإنَّ العذابَ أين يقع؟ الجواب: في اليوم، فإذا قَرَّبَ العذابَ قَرَّبَ اليومَ، وإذا بَعَدَ العذابَ بَعَدَ اليومَ.

وعندي أنه لا فرق بين أن نقول: إِنَّ الضميرَ يعودُ على (اليوم)، أو إنه يعودُ على (العذاب)، فهو على كُلِّ تقديرٍ لا يَدُلُّ على ما ذَهَبَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- بل إنهم يَرَوْنَ هذا اليومَ بَعِيدًا ونراه قَرِيبًا، بل إنهم أَنْكَرُوا هذا اليومَ، قَالَ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، أو إنهم يرون العذابَ بعيدًا، ونراه قريبًا، بل هم أنكروه، واستبعدوه، ولا فرق، ولكن الذي يَتَبَيَّنُ به المعنى أن نَقُولَ: قَوْلُهُ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ﴾ [السجدة: ٥] هل هو متعلقٌ بـ ﴿تَعْرُجُ﴾ [المعارج: ٤] أو متعلقٌ بـ ﴿وَاقِعٌ﴾ [المعارج: ١]؟

الجواب: نَقُولُ: متعلقٌ بـ (واقع) أي: واقع في هذا اليوم ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۖ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۖ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۖ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ١-٤]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ تَبَعُ لِقَوْلِهِ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾، وانقطع الكلامُ بها.

وحتى لو قُلْنَا: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ متعلقٌ بـ (تَعْرُجُ)، فإنه لا يَتَبَيَّنُ به ما ذَهَبَ إليه ابنُ القَيِّمِ، لأنَّ من الجائز أن قَوْلَهُ تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ في ذلك اليوم، يَعْنِي: يوم القيامة، ولا مانع، فإنَّ الملائكةَ في ذلك اليوم قد تعرَّجُ إلى الله عزَّ وجلَّ بما شاء الله.

وعلى كُلِّ تقديرٍ فإنَّ ما ذَهَبَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- يدلُّ على أنَّ الإنسانَ مهما بلغ في العلم فإنه لا يخلو من الخطأ -فيما نرى- والعِلْمُ عندَ الله.

١١٨٢- وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ» أَي: عُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ.

قَوْلُهُ: «فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ»، يَعْنِي: أَنَّ عُرُوجَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ.

لَكِنْ نَقُولُ لَهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أَيْنَ فِي الْآيَةِ أَنَّهَا تَعْرُجُ فِي الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ!؟

إِذَا جَعَلْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفًا﴾ مُتَعَلِّقًا بِ(تَعْرُجُ)، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْعُرُوجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَكَيْفَ يَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ)؟! لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُمْ يَعْرُجُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَالَّذِي فِي سُورَةِ: ﴿الْمَرْ ۝١ تَنْزِيلٌ﴾ [السجدة: ١-٢] مَا الَّذِي يَعْرَجُ؟

الْجَوَابُ: الْأَمْرُ، وَلَيْسَ الْمَلَائِكَةُ، وَلَا ذُكِرَتْ الْمَلَائِكَةُ إِطْلَاقًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُدِيرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

١١٨٣- فَتَنْزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَالِكَ ثَابِتٌ كَنْزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ

قَوْلُهُ: «هُنَالِكَ» الْإِشَارَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ: «ثَابِتٌ»، لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

قَوْلُهُ: «كَنْزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ» أَي: فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي نَزُولِهِمْ فِي الدُّنْيَا: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤].

١١٨٤- وَعُرُوجُهُمْ بَعْدَ الْقَضَا كَعُرُوجِهِمْ أَيْضًا هُنَا فَلَهُمْ إِذَنْ شَأْنَانِ
قَوْلُهُ: «عُرُوجُهُمْ» أي: يوم القيامة.

قَوْلُهُ: «بَعْدَ الْقَضَا» يَعْنِي: بَعْدَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَالْمَلَائِكَةُ صُفُوفٌ، وَيُنْتَهِي الْأَمْرُ، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

قَوْلُهُ: «كَعُرُوجِهِمْ أَيْضًا هُنَا» وهل هم يَعْرُجُونَ هنا؟

الجواب: نعم، الملائكة يَعْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِحِفْظِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّ لِلْإِنْسَانَ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِينَ بِهِ فِي اللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةً فِي النَّهَارِ، إِذَا جَاءَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ عَرَجَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَإِذَا جَاءَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ عَرَجَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ.

١١٨٥- وَيَزُولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ
يقول: إِنَّ السَّقْفَ الَّذِي هُوَ السَّمَاءُ يَزُولُ، وَدَلِيلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، يَبْقَى عُرُوجُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْعَرْشِ رَأْسًا، وَهَذَا قَالَ: (فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ).

١١٨٦- هَذَا وَمَا اتَّضَحَتْ لَدَيْ وَعِلْمُهَا أَلَمْ مَوْكُولٌ بَعْدَ لِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ
أَكْثَرُ النَّسْخِ (وَمَا اتَّضَحَتْ)، لَكِنْ تَوْجَدُ نَسْخَةً، وَعَلَيْهَا شَرَحَ ابْنُ عِيْسَى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (هَذَا وَمَا نَضِجَتْ لَدَيْ) وَالنَّضِجُ بِمَعْنَى الْكَمَالِ، وَمِنْهُ نَضِجَتْ اللَّحْمَةُ، وَنَضِجَ الطَّعَامُ، يَعْنِي: كَمَّلَ وَاسْتَوَى.

كَأَنَّ الْمُؤَلَّفَ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي النِّهَايَةِ شَكَّ فِي الْأَمْرِ، وَقَالَ: إِنَّهَا مَا نَضِجَتْ.
والحقيقة أن هذه تُعْتَبَرُ مرتبةً ثانيةً بعد أن بَحَثَ وناقش -رَحِمَهُ اللهُ-، ففي
النِّهَايَةِ تَرَدَّدَ.

فَعِنْدَنَا الْآنَ ثَلَاثَةُ مَقَامَاتٍ:

جَزْمٌ بِأَنَّ الْيَوْمِينَ وَاحِدٌ، وَجَزْمٌ بِأَنَّ الْيَوْمِينَ مُخْتَلِفَانِ، وَتَرَدُّدٌ كَمَا فِي حَالِ ابْنِ
الْقَيْمِ أَخِيرًا.

وَالصَّوَابُ الْجَزْمُ بِأَنَّهَا يَوْمَانِ، وَالسِّيَاقَانِ لَا يَتَّفِقَانِ أَصْلًا، بَلْ يَخْتَلِفَانِ فِي أُمُورٍ:
أَوَّلًا: يَخْتَلِفَانِ فِي الْعَدَدِ: هَذَا أَلْفٌ، وَهَذَا خَمْسُونَ أَلْفًا.

ثَانِيًا: يَخْتَلِفَانِ فِي الَّذِي يَعْرُجُ: فِي ﴿الْمَرْ ١﴾ تَنْزِيلٌ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾ الَّذِي
يَعْرُجُ الْأَمْرُ، وَفِي ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] الَّذِي يَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ.

ثَالِثًا: يَشْهَدُ لِلَّذِي فِي ﴿سَأَلَ﴾ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
(يَوْمَ الْمَعَادِ).

فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يُشْكَلُ الْأَمْرُ؟!

فَالصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ أَنَّ مَا ذَكَرَ فِي ﴿الْمَرْ ١﴾ تَنْزِيلٌ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾، هُوَ يَوْمٌ
فِي الدُّنْيَا، أَي: أَنَّ اللَّهَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ
كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ: خَمْسَمِائَةَ لِلنُّزُولِ، وَخَمْسَمِائَةَ لِلْعُرُوجِ، وَيُنْتَهِي الْأَمْرُ.

وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُ الْكَافِرُونَ، أَوْ يَقَعُ بِهِمُ الْعَذَابُ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
الَّذِي مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عُرُوجٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

لكن مع ذلك نحن نرى أن الذي في سورة ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ﴾ [السجدة: ١-٢] هو مقدار المسافة ما بين الأرضِ والسَّماءِ، وأن ما في سورة المعارجِ هو مقدارُ الزمنِ، يَعْنِي: أنَّ اليومَ طویلٌ، لا أنَّ المساحةَ كبيرةٌ، بل اليومَ طویلٌ مقدارُهُ خمسون ألفَ سنةٍ، ثُمَّ بعدَ ذلك ينتهي كُلُّ شَيْءٍ، ويعود أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ، وأهلُ النارِ إلى النارِ.

قَوْلُهُ: «بَعْدُ» أَي: بعد أن ناقَشَ هذه المناقشة. ثُمَّ قال:

١١٨٧- وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلا عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلا عِلْمٍ»، استعاذَ بالله من أن يَجْزِمَ بأحدِ القولينِ بلا علمٍ، وهذا هو الواجِبُ على كُلِّ مسلمٍ، فكلُّ مؤمنٍ إذا كان عنده تَرَدُّدٌ في الأمرِ لا يجوزُ أن يَجْزِمَ به، وهذا دأْبُ السَّلَفِ: الإمامُ أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- وهو من أئمةِ السَّلَفِ، إذا سُئِلَ عن شَيْءٍ، قال: أرجو، أو يُعْجِبُنِي، أو لا يُعْجِبُنِي، أو لا أقولُ، أو أجبنُ عن هذا، أو ما أشبه ذلك من الكلمات التي تدلُّ على وَرَعِهِ -رَحِمَهُ اللهُ-.

لكن عندنا في الوقت الحاضر -ما شاء اللهُ- شبابٌ في أوَّلِ درجةٍ من طلب العلم يقول عن مسألة يتردّد فيها الفحوّل من أهل العلم: هذه حرامٌ قطعاً، وهذا واجبٌ قطعاً، ويجبُ المولاةُ والمعاداةُ على هذه المسألةِ.

وهذا خطأ عظيم، والواجِبُ أن الإنسانَ يتأدّبُ مع اللهُ، لأنَّ الذي يُفْتِي أو يقول يتكلّمُ عن اللهُ وعن شريعةِ اللهُ، والعلماءُ ورثةُ الأنبياءِ، وخلفاءُ الأنبياءِ، فيجبُ أن يتأتّى، وألا يَجْزِمَ بالشَيْءِ إلا بعلمٍ، ولهذا أعودُ بالله من جزمٍ بلا علمٍ.

الجزْمُ لا بُدَّ له من علمٍ، ولا يكفي الظنُّ، بل لا بُدَّ من علمٍ، ولكنَّ الإنسانَ بشرٌ قد لا يستوعبُ الأدلّة، وقد لا يستوعبُ فَهْمَهَا، ففي مثل هذه الحال يقول:

هذا فيما أعلم، هذا في غالب ظني. وما أشبه ذلك، أمّا أن يجزّم بلا علم وتكون بضاعته من العلم مزجاة^(١)، لم يعرف إلا حديثاً أو حديثين، أو تفسير آية أو آيتين، ثم يقول على لسان حاله: (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا)^(٢) هذا ليس بصحيح، والواجب أن الإنسان يتأدّب في شرع الله عز وجل، ونسأل الله أن يجعلنا كذلك.

قوله: «وهذا غاية الإمكان» جزاه الله خيراً، يعني: هذا غاية ما تمكنت منه، عرضت عليك البحث والمناقشة، وأنا مع ذلك لم تنضح عندي، ولم تنضح لي.

وهذا -والله- غاية الورع، وغاية التقوى، رجل بهذا المقدار من العلم، والفهم، وحفظ النصوص يصل إلى حدّ التوقّف، ويستعيد بالله عز وجل أن يجزّم بلا علم، وهؤلاء هم العلماء الأخيار الأطهار، فعلى الإنسان أن يتوقّف عند منتهى علمه، والشيء الذي لا يعلمه لا يكلف به، وحسبه أن يقول: الله أعلم بما أراد في كلامه، ولذا قال -رحمه الله-:

١١٨٨- والله أعلم بالمراد بقوله ورَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفَرْقَانِ

قوله: «الله أعلم بالمراد بقوله» صحيح -والله- فالله أعلم، ولهذا نجد أن المحرّفين لكلام الله عن ظاهره ادّعوا لأنفسهم أنهم أعلم بالله من الله.

فمثلاً قالوا: ليس لله عين مع أن الله قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القم: ١٤].

وقالوا: ليس لله يد، مع أن الله قال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

(١) أي: قليلة. انظر: لسان العرب، مادة: زجا.

(٢) هذا شطر بيت من الوافر، وهو لسحيم بن وثيل، وشطره الثاني: متى أضع العمامة تعرفوني.

انظر: لسان العرب، مادة: جلا.

وقالوا: ليس لله وجه، مع أن الله قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وهَلُمَّ جَرًّا.

فهؤلاء نقول لهم: الله أعلم أم أنتم؟ فإن قالوا: نحن، فيا ويلهم، وإن قالوا: الله أعلم، قلنا: الزموا ما أخبر الله به، ولا تتعدوه.

قوله: «وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ» لماذا لم يقل بالقرآن؟ الجواب: لأنَّ المقام مقام فرقي وتفريقي، فكان ذكْرُ الفرقانِ أولى من ذِكْرِ القرآن، ولا شك أن القرآن فرقان، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالقرآن فرقان، والله لو تمسكنا به ورَجَعْنَا إليه ما بقي عندنا مشكلة، لكن المشكلة في الإعراض الذي هو التقصير، أو من عدم الآلة الذي هو القصور، فالإنسان يُؤْتَى إمَّا من تقصيره، أو قصوره، أو سوء نيَّته، أمَّا إذا اجتمع حسنُ النيَّة، وقوةُ الفهم، وكثرةُ العلم فإنَّ الغالب أن يُوفَّقَ الإنسان للصواب.

فصل

- ١١٨٩ - هَذَا وَخَامِسُهَا: صُعُودُ كَلَامِنَا
بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ
١١٩٠ - وَكَذَا صُعُودُ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
تِ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ ذِي الْإِيمَانِ
١١٩١ - وَكَذَا صُعُودُ نَصَدَقٍ مِنْ طَيِّبٍ
أَيْضًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ
١١٩٢ - وَكَذَا عُرُوجُ مَلَائِكِكَ قَدْ وُكِّلُوا
مِنَّا بِأَعْمَالٍ وَهُمْ بَدَلَانِ
١١٩٣ - فَإِلَيْهِ تَعْرُجُ بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ
وَالصُّبْحُ يَجْمَعُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ
١١٩٤ - كَيْ يَشْهَدُونَ وَيَعْرُجُونَ إِلَيْهِ بِالْ
أَعْمَالِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!
١١٩٥ - وَكَذَاكَ سَعْيُ اللَّيْلِ تَرْفَعُهُ إِلَى الرَّ
رَحْمَنِ مِنْ قَبْلِ النَّهَارِ الثَّانِي
١١٩٦ - وَكَذَاكَ سَعْيُ الْيَوْمِ يَرْفَعُهُ لَهُ
مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ حَافِظُ الْإِنْسَانِ
١١٩٧ - وَكَذَاكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ
قُ ثَابِتٌ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
١١٩٨ - بَلْ جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ وَقَدْ دَنَا
مِنْهُ إِلَى أَنْ قُدِّرَتْ قَوْسَانِ
١١٩٩ - بَلْ عَادَ مِنْ مُوسَى إِلَيْهِ صَاعِدًا
خَمْسًا عِدَادَ الْفَرَضِ فِي الْحُسْبَانِ
١٢٠٠ - وَكَذَاكَ رَفَعُ الرُّوحِ عِيسَى الْمُرْتَضَى
حَقًّا إِلَيْهِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
١٢٠١ - وَكَذَاكَ تَصَعَّدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ
لَمَّا تَفُوزُ بِفِرْقَةِ الْأَبْدَانِ

- ١٢٠٢- حَقًّا إِلَيْهِ كَيْ تَفُوزَ بِقُرْبِهِ وَتَعُودَ يَوْمَ الْعَرْضِ لِلْجَنَّةِ
 ١٢٠٣- وَكَذَا دُعَا الْمُضْطَّرِّ أَيْضًا صَاعِدٌ أَبَدًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ
 ١٢٠٤- وَكَذَا دُعَا الْمَظْلُومِ أَيْضًا صَاعِدٌ حَقًّا إِلَيْهِ قَاطِعَ الْأَنْوَانِ

الشرح

في هذا الفصلِ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَعْضَ أَنْوَاعِ أُدْلَةِ الْعُلُوِّ، وَمِنْهَا صُعُودُ الْأَشْيَاءِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصُّعُودُ إِلَى الشَّيْءِ يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّهِ، لِأَنَّ الصُّعُودَ يَكُونُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى، فَإِذَا أَضَافَ اللهُ الشَّيْءَ إِلَى نَفْسِهِ صَاعِدًا، عَلِمَ أَنَّ اللهُ تَعَالَى فِي الْعُلُوِّ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٨٩- هَذَا وَخَامِسُهَا: صُعُودُ كَلَامِنَا بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَنَحْنُ أَوْلَى صُعُودَ كَلَامِنَا بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

الْكَلِمُ الطَّيِّبُ: كُلُّ مَا طَابَ، وَضِدُّهُ الْكَلِمُ الْخَبِيثُ، فَالذُّكْرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، كُلُّ هَذَا مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ. وَالسَّبُّ، وَالسَّتْمُ، وَاللَعْنُ، وَالْقَذْفُ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْكَلِمِ الْخَبِيثِ.

١١٩٠- وَكَذَا صُعُودُ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ تِلْكَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ ذِي الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ» هِيَ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وَحَيْرٌ أَمَلًا ﴿ [الكهف: ٤٦]، فالباقيات الصالحاتُ كُلُّ الأعمالِ الصالحةِ، ويدخلُ في ذلك الذُّكْرُ، والصومُ، والحجُّ والصلاةُ، وغيرُ ذلك.

يقول المؤلف: إنها تُرْفَعُ إلى الله لقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، مَنْ يَرْفَعُهُ؟ الجوابُ: اللهُ عزَّ وجلَّ، فيصعدُ إليه الكلمُ الطيبُ، والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ اللهُ إليه ويقبله.

١١٩١ - وَكَذَا صُعُودُ تَصَدَّقٍ مِنْ طَيِّبٍ أَيْضًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

قَوْلُهُ: «تَصَدَّقٍ مِنْ طَيِّبٍ» التَّصَدَّقُ مِنَ الطَّيِّبِ، أَي: مِنَ الكَسْبِ الطَّيِّبِ، وقد جاء في الحديث: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ ثَمَرَةٌ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ - وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ - فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهٗ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(١)، هذا إذا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ، أَمَا إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ غَيْرِ طَيِّبٍ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٢).

١١٩٢ - وَكَذَا عُرُوجُ مَلَائِكٍ قَدْ وُكِّلُوا مِنْ أَعْمَالٍ وَهُمْ بَدَلَانٍ

قَوْلُهُ: «عُرُوجُ مَلَائِكٍ» أشار إليه النبي - عليه الصلاة والسلام - في قَوْلِهِ: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، رقم (٦٩٩٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم (١٠١٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب، برقم (١٣٤٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم (٦٣٢).

١١٩٣- فَإِلَيْهِ تَعْرُجُ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَالصُّبْحُ يَجْمَعُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ

١١٩٤- كَيْ يَشْهَدُونَ وَيَعْرُجُونَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

ولهذا قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، يجتمعُ في صلاةِ الصبحِ ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ، ثُمَّ تَصْعَدُ ملائكةُ الليلِ، وتبقى ملائكةُ النهارِ.

وهذا من عظمة الله عزَّ وجلَّ أَنَّ هؤُلاءِ الملائكةَ المُوكَّلونَ بحفظِ بني آدمَ يتعاقبونَ بانتظامٍ عندَ صلاةِ الصبحِ وعندَ صلاةِ العصرِ، ولهذا ينبغي للإنسانِ أَنْ يستحضرَ هذا وهو يصليُ الفجرَ، وهو أَنَّ الملائكةَ المُوكَّلينَ بحفظِ بني آدمَ يجتمعونَ في هذه الصلاةِ، وكذلك عندَ صلاةِ العصرِ، لكننا -والله- نَعْقُلُ كثيرًا حتَّى تَمَرَّ بنا هاتانِ الصلاتانِ، وكأنهما بقيةُ الصلواتِ، وهذا أمرٌ سَبَبُهُ الغفلةُ عن هذه الأمورِ العظيمةِ، وإِلَّا فإنك لو استحضرتَ وأنت تصليُ الفجرَ أَنَّ ملائكةَ الليلِ وملائكةَ النهارِ شاهدونَ معك في هذه الصلاةِ، وكذلك في العصرِ، لو وجدتَ لهاتينِ الصلاتينِ شأنًا كبيرًا، وأمراً عظيماً، لا تَجِدُهُ في غيرهما.

١١٩٥- وَكَذَلِكَ سَعَى اللَّيْلِ تَرْفَعُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ قَبْلِ النَّهَارِ الثَّانِي

١١٩٦- وَكَذَلِكَ سَعَى الْيَوْمِ يَرْفَعُهُ لَهُ مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ حَافِظُ الْإِنْسَانِ

هذا فيه أَنَّ الملائكةَ السابِقينَ يَحْفَظُونَ الإنسانَ، وهناك ملائكةُ أُخْرَى تَحْفَظُ عَمَلَ كُلِّ إنسانٍ بِنَفْسِهِ قَالَ اللهُ تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ [ق: ١٧]، كُلُّ هؤُلاءِ يَرْفَعُونَ ما كَتَبُوا إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

١١٩٧- وَكَذَلِكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ قَدْ ثَابَتْ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانٍ
معراج الرسول إلى الله عز وجل، وذلك ليلة الإسراء، وكان في ربيع الأول
على المشهور قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات.

عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ السَّبْعِ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ، لَيْسَ بِالرُّوحِ فَقَطْ، لَوْ
كَانَ بِالرُّوحِ فَقَطْ مَا أَنْكَرْتَهُ قَرِيشٌ، لِأَنَّ الْمَنَامَاتِ لَا تُنْكَرُ، لَكِنَّهُ عُرِجَ بِهِ بِجَسَدِهِ
وَرُوحِهِ ﷺ، أَوْلَا أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنَ الْحِجْرِ الَّذِي هُوَ الْحَطِيمِ عَلَى
الْبُرَاقِ بِصُحْبَةِ جِبْرِيلَ -عليهما السلام-.

وهذا البراق دون البغل وفوق الحمار، فهو دابة عجيبة، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ
مُنْتَهَى طَرَفِهِ، الْخَطْوَةُ مَدُّ بَصَرِهِ، وَبَصَرُهُ قَوِيٌّ بِلا شَكٍّ، وَلِذَلِكَ وَصَلَ إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدِسِ، وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ -عليهم الصلاة والسلام-، وَعُرِجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى
السَّمَوَاتِ -سبحان الله- مَسَافَاتٍ عَظِيمَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ هَذَا فِي لَيْلَةٍ
وَاحِدَةٍ، يَسْتَفْتِحُ جِبْرِيلُ، فَيَقَالُ: «مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟
قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ»^(١)، وَمَرَّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي كُلِّ
سَمَاءٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي
حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ»^(٢)، الَّتِي تَكْتُبُ مَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ، سَمِعَهُ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ بَشَرٌ،
عُرِجَ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢].
برقم (٣٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس -عليه السلام-، برقم (٣١٦٤). وصريف
الأقلام: أي صوت جريانها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: صرف.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ ثَابِتٌ» أي: بدلالة الكتابِ والسُّنَّةِ، ففي سورة الإسراء دليلُ الإسراء، قَالَ تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وفي أول سورة النجم قصةُ المعراج، قَالَ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١-١٨] هذه الآياتُ كُلُّهَا في المعراج.

١١٩٨- بَلْ جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ وَقَدْ دَنَا مِنْهُ إِلَىٰ أَنْ قُدِّرَتْ قَوْسَانِ يُقَرَّرُ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللهُ - أَيضًا: أَنَّ الرَّسُولَ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، حَتَّىٰ دَنَا مِنَ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، يَعْنِي: قَدَّرَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ.

وهذا الذي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُؤَلَّفُ ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ولكنَّ الْقَوْلَ الصَّحِيحَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جَبْرِيْلُ، وَليْسَ اللهُ - سبحانه وتعالى -، وَأَنَّ اللهُ لَمْ يَدْنُ فَيَتَدَلَّىٰ حَتَّىٰ كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ، لِأَنَّ اللهُ تَعَالَىٰ قَدْ ثَبَتَ لَهُ الْعُلُوُّ الْمُطْلَقُ، وَالتَّدَلَّىٰ ضِدُّ الْعُلُوِّ، أَمَّا الدَّنْوُ فَلَيْسَ ضِدًّا الْعُلُوِّ، لَكِنَّ التَّدَلَّىٰ مَأْخُوذٌ مِنَ الدَّلْوِ إِذَا هَبَطَ فِي الْبَيْرِ، فَهَذَا يَنَافِي الْعُلُوَّ، وَلِهَذَا ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ فِي هَذِهِ النُّونِيَّةِ هَذَا

القول الذي مَشَى عليه، وذكرَ في موضعٍ آخَرَ في (التبيان في أقسام القرآن) أنَّ الذي دنا فتدلى هو جبريل، وهذا هو الصحيح بل هو مُتَعَيَّنٌ، لأنَّ الدلالة اللفظية والمعنوية كُلُّها تؤيِّد ذلك.

أمَّا الدلالة اللفظية فسياقُ الكلامِ يرجعُ فيه الضميرُ إلى مرجعٍ واحدٍ، ولنقرأ قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ جبريل أيضًا ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ جبريل، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من الأفق الأعلى ﴿فَدَدَكَ﴾ (٨) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، الذي دنا فتدلى هو جبريل، فجبريل دنا من محمد، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَدَدَكَ﴾ ولو كان الدنو من الله لقال: (فصعد).

بقي علينا قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، ليس هناك مانعٌ أن يكون المعنى: أوحى جبريلُ إلى عبد الله، فيكون فاعِلُ (أَوْحَى) جبريلُ، والضمير في ﴿عَبْدِهِ﴾ يعودُ إلى الله عزَّ وجلَّ، واختلافُ الضميرين هنا قد تبَيَّنَ من السِّياقِ، لأنَّ محمداً ﷺ لا يمكنُ أن يكونَ عبداً لجبريلَ، أمَّا الوحيُّ فيمكنُ أن يكونَ من الله، ويُمْكِنُ أن يكونَ من جبريلَ، ولهذا يُمكنُ أن نقولَ: إنَّ الضميرَ في (أَوْحَى) يَحْتَمِلُ أن يعودَ إلى جبريلَ كبقية الضمائرِ السابقة، ويَحْتَمِلُ أن يعودَ إلى (الله) (فَأَوْحَى الله إلى عبده).

ويجوز ذلك أيضًا من حيث المعنى، فقوله: ﴿فَدَدَكَ﴾، لا يليقُ بالله، لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - لا يتدلى، لأنَّ التدليَّ هو السُّفول من الأعلى، ويؤيِّد ذلك من حيث المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (١٤) [النجم: ١٣-١٤]، يَعْنِي: مرَّةً أُخْرَى، رأى النَّبِيُّ ﷺ جبريلَ عندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ولهذا ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيْلَ لَمْ يَرَهُ فِي صُوْرَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ:

مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَرَّةً فِي جِيَادٍ، لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ^(١).

وبهذا يتبين أن ما ذهب إليه ابن القيم في هذه المسألة قولٌ ضعيفٌ، وإن كان قد قال به كثيرٌ من المفسرين.

لكن لا شك أن الرسول ﷺ عُرِجَ بِهِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ، كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ.

١١٩٩- بَلْ عَادَ مِنْ مُوسَى إِلَيْهِ صَاعِدًا خَمْسًا عِدَادَ الْفَرَضِ فِي الْحُسْبَانِ

عاد من موسى إلى الله، لأن الرسول ﷺ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً، فَقَبِلَ وَرَضِيَ، وَأَسْلَمَ اللَّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَمَّا نَزَلَ إِلَى جَبْرِيلَ إِلَى الْأَرْضِ مَرَّ بِمُوسَى، وَكَانَ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَدْ غَبَطَ النَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضَائِلِ، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: لَا، إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، إِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالِجَةِ، فَازْهَبْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

وهذا من توفيق الله عزَّ وجلَّ، لا في فرضها خمسين، ولا في تنبيه موسى للرسول ﷺ فَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ، صَعِدَ مِنْ مُوسَى إِلَى اللَّهِ، لِأَنَّ مُوسَى فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وَمَا زَالَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللَّهِ، حَتَّى صَارَتْ خَمْسًا فِي الْفِعْلِ، وَخَمْسِينَ فِي الْمِيزَانِ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن، سورة والنجم، برقم (٣٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٢)، ومسلم:

كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (١٦٣).

والحمد لله، هل هي خمسون في الميزان لأنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالها؟ الجوابُ: لا، لِأَنَّهُ لو كان كذلك لم يَكُنْ للصلواتِ مَزِيَّةً، لكنَّ خمسين في الميزان على أننا نصلي خمسين بالفعل، وليس المرادُ الثواب، لأنَّ ثوابَ كُلِّ الحسنة هكذا، الحسنةُ بعشرِ أمثالها، فالخمسُ بخمسين، لكن المرادُ أنها خمسٌ في الميزان، أي: أننا نُعْطَى أجرَ خمسين صلاةً، وهذا -والحمد لله- من نعمة الله، وهو أن الله خَفَّفَ عَنَّا، وأعطانا ما فَرَضَهُ علينا أوَّلًا.

١٢٠٠- وَكَذَلِكَ رَفَعُ الرُّوحِ عِيسَى الْمُرْتَضَى حَقًّا إِلَيْهِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وهذا موجودٌ في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وفي قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطِي فِي الْوَحْيِ وَارْقُطِي إِلَى يَدَيْكَ وَارْقُطِي إِلَى يَدَيْكَ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، وفي هذا دليلٌ على أن الله في العُلُوِّ.

١٢٠١- وَكَذَلِكَ تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ لَمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ

نعم، تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ -أي: مؤمن- إلى الله وتُحْرِقُ السموات حتى تَصِلَ إلى الله عزَّ وجلَّ.

قوله: «لَمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ» أي: روحُ المؤمنِ تفوزُ إذا فارقتَ البدنَ، لكن كيف تفوزُ وكُلُّ يكره الموت؟!!

نقول: هذا الإشكالُ أوردته عائشةُ على النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-، حَدَّثَ النبيُّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ. قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ»، يَعْنِي: لَيْسَ الْأَمْرُ مَا تَظُنِّينَ «الْمُؤْمِنُ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ وَبُشِّرَ بِالْجَنَّةِ

أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ»^(١) لِأَنَّهُ يُبَشِّرُ بِنَعِيمٍ أَكْثَرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَلْفِ المَرَاتِ وَلَا يُقَاسُ، فَتُحِبُّ رُوحَهُ لِقَاءَ اللَّهِ، وَتَخْرُجُ وَقَدْ سَهَّلَ عَلَيْهَا الخُرُوجَ، حَتَّىٰ إِنَّمَا تُسَلُّ مِنْ بَدَنِهِ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ العَجِينِ، وَالشَّعْرَةُ مِنَ العَجِينِ سَلُّهَا سَهْلٌ.

لكنَّ رُوحَ الكَافِرِ -والعياذُ بالله- إِذَا بُشِّرَتْ بِالغَضَبِ وَالسَّخَطِ تَفَرَّقَتْ فِي البَدَنِ -يَعْنِي: هَرَبَتْ- مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَتْ بِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا مَلَكُ المَوْتِ كَمَا يُنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصَّوْفِ المَبْلُولِ، وَالسَّفُودُ: هُوَ الَّذِي يُغزَلُ بِهِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الخَشْبَتَيْنِ فِيهِمَا مَسَامِيرٌ يَكُونُ فِيهَا الصَّوْفُ، إِذَا نَشِبَ الصَّوْفُ فِي هَذَا السَّفُودِ لَا يُسْتَطَاعُ أَنْ يُنَزَعَ، فَيَنْتَزِعُهَا الشَّخْصُ بِأَشَدِّ مَا يَكُونُ -والعياذُ بالله- فَتَكْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ^(٢)، لِأَنَّهَا بُشِّرَتْ بِالْعَذَابِ وَالغَضَبِ وَمَا يَسُوءُهَا، فَلِهَذَا قَالَ المَوْلَفُ: (لَمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الأَبْدَانِ).

فهي إِذَا بُشِّرَتْ بِرُوحِ وَرِيحَانِ رَبِّ غَيْرِ غَضْبَانٍ تَفْرَحُ وَتُسْرُّ، بِأَخْذِهَا مَلَكُ المَوْتِ، وَيُعْطِيهَا المَلَائِكَةُ الَّذِينَ حَضَرُوا، وَمَعَهُمْ كَفَنٌ مِنَ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنَ الجَنَّةِ، فَيَجْعَلُونَهَا فِي هَذَا الكَفَنِ وَالْحَنُوطِ، ثُمَّ يَصْعَدُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، فَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، بِخِلَافِ المَكْدَبِ، فَإِنَّهُمْ يَصْعَدُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ تُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، وَتُطْرَحُ عَلَى الأَرْضِ طَرْحًا -والعياذُ بالله- وَهَذَا أَشَدُّ مِمَّا لَوْ لَمْ يَصْعَدُوا بِهَا، لِأَنَّهَا لَوْ بَقِيَتْ فِي الأَرْضِ كَانَ أَهْوَنَ مِنْ أَنْ يَصْعَدُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ تُرَدُّ مِنْ هُنَاكَ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مِنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، رَقْمٌ (٦١٤٢)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ، بَابُ مِنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، رَقْمٌ (٢٦٨٣).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/٢٨٧، رَقْمٌ ١٨٥٥٧).

(٣) أَخْرَجَهُ النِّسَائِيُّ: كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا يَلْقَى بِهِ المُؤْمِنُ مِنَ الكِرَامَةِ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، رَقْمٌ (١٨٣٣)، وَابْنُ مَاجَهَ: كِتَابُ الزَّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ المَوْتِ وَالتَّعَدُّادِ لَهُ، رَقْمٌ (٤٢٦٢).

إِذَنْ رُوحَ الْمُؤْمِنِينَ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ- تَفَوْزُ إِذَا فَارَقْتَ الْبَدْنَ،
لَأَنَّهَا تَنْتَقِلُ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا انْتَقَلَتْ مِنْهُ.

١٢٠٢- حَقًّا إِلَيْهِ كَيْ تَفَوْزَ بِقُرْبِهِ وَتَعُودَ يَوْمَ الْعَرْضِ لِلْجُثْمَانِ

تَفَوْزُ بِقُرْبِهِ، لِأَنَّهَا فِي الْجَنَّةِ تَسْرُحُ فِي أَنْهَارِهَا وَأَشْجَارِهَا هُنَاكَ، فَإِذَا كَانَ
يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ خَرَجَتْ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الصُّورِ، وَعَلَيْهَا
نُورٌ، حَتَّى تَكُونَ فِي الْأَبْدَانِ، فَتَحُلُّ بِالْأَبْدَانِ حُلُولًا أَبَدِيًّا، وَلَا تَخْرُجُ مِنْ هَذَا
بَعْدُ.

١٢٠٣- وَكَذَا دُعَا الْمُضْطَرِّ أَيْضًا صَاعِدٌ أَبَدًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

وهذا من رحمته عز وجل، أنه يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ كُلُّ أَوَانٍ، حَتَّى لَوْ كَانَ
كَافِرًا، فَإِنَّ اللَّهَ يُجِيبُهُ، لِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ مُجَابٌ
دَعْوَتُهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وَلَمْ
يَقُلْ: (الْمُؤْمِنِ)، بَلْ جَعَلَ سَبَبَ الْإِجَابَةِ الْاضْطِرَارَ.

ومثال واقعي أنهم إذا كانوا في الفلك، وهاجت بهم الأمواج، دَعَا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَيُنَجِّبُهُمْ، مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيُشْرِكُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا
بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، لَكِنْ مِنْ أَجْلِ اضْطِرَارِهِمْ
فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْبِقُ غَضَبَهُ، فَالْمُضْطَرُّ تَصْعَدُ دَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ حَتَّى يُجِيبَهَا
عَزَّ وَجَلَّ.

١٢٠٤- وَكَذَا دُعَا الْمَظْلُومِ أَيْضًا صَاعِدٌ حَقًّا إِلَيْهِ قَاطِعَ الْأَكْوَانِ

دَعَاءُ الْمَظْلُومِ أَيْضًا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «أَتَيْتُ دَعْوَةَ

المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

تُرْفَعُ فَوْقَ السَّحَابِ، وَيُجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى دَعَاءَهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَالْمَظْلُومُ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجِيبُ دَعَاءَهُ، لِمَاذَا؟ هَلْ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَلَكِنْ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَدْلَ وَالْإِنصَافَ، وَالْإِنصَافُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ عَدْلٌ، وَلَيْسَ جَوْرًا، فَلَمَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَدْلِ يَقْبَلُ اللَّهُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، وَهَذَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: إِنَّا نُعَامِلُ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْحُكْمِ مَعَ أَنَا بَشَرٌ.

إِذَا جَاءَ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ يُحْتَصِمَانِ إِلَى الْقَاضِي، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُحَايِيَ الْمُسْلِمَ أَبَدًا، بَلْ يَدْخُلَانِ جَمِيعًا، وَيَجْلِسَانِ أَمَامَ الْقَاضِي جَمِيعًا، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا نَظْرًا وَاحِدًا، فَلَا يَنْظُرُ إِلَى الْكَافِرِ بَوَجْهِ الْغَضَبِ وَإِلَى الْمُسْلِمِ بَوَجْهِ الرِّضَا، لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ عَدْلٍ.

وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَقُومَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا يَقُومَ لِلْكَافِرِ فِي بَابِ الْمَحَاكِمَةِ؟

الْجَوَابُ: لَا، لِأَنَّ هَذَا خِلَافُ الْعَدْلِ، فَإِذَا كُنَّا نَحْنُ الْمُنْفِذِينَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ فَيَجِبُ عَلَيْنَا الْعَدْلُ حَتَّى مَعَ الْكُفَّارِ، فَمَا بِالكَ بِالرَّبِّ الَّذِي هُوَ أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا ظَلَمَ أَحَدٌ - وَلَوْ مِنَ الْكُفَّارِ - فَدَعَا اللَّهَ اسْتَجَابَ لَهُ.

وَيُذَكَّرُ أَنَّ بَعْضَ الْقَضَايَةِ كَانَ لَهُ صِهْرٌ - وَالصَّهْرُ: هُوَ قَرِيبُ الزَّوْجَةِ - وَكَانَ هَذَا الصَّهْرُ لَهُ خَصْمٌ، فَجَاءَ الصَّهْرُ وَدَخَلَ بَيْتَ الْقَاضِي، لِأَنَّ فِيهِ ابْنَتَهُ، أَوْ أُخْتَهُ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِمَا أَحْسَسَ بِمَجِيءِ الْخَصْمِ لِلْمُخَاصِمَةِ، وَجَاءَ الْقَاضِي وَدَخَلَ الْبَيْتَ، وَلَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ خِصْمَةً، فَقَالَ لِصَّهْرِهِ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ؟

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَتَرَدُّ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، رَقْمُ (١٤٢٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الدَّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشُرَائِعِ الْإِسْلَامِ، رَقْمُ (١٩).

قال: بيني وبين فلانٍ خصومةٌ، قال: الخصومة مجلسها غداً - يَعْنِي: ليس في هذا اليوم الذي جئت فيه إلى بيتي - حتى أفصلَ بينكما.
وهكذا يجب، لأنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ.

إذَنْ نقول: المظلومُ والمضطَرُّ يجبُ اللهُ دعوتَهما ولو كانا كافرين، أمَّا إجابة المضطَرِّ، فلأنَّ رحمةَ الله سبقتُ غضبه، وأمَّا إجابة المظلومِ فلأنَّ اللهَ حَكَمَ عدلًا، لا يدعُ للظالمين فرصةً.

فصل

- ١٢٠٥- هَذَا وَسَادِسُهَا وَسَابِعُهَا: النَّزْوُ
 لُ، كَذَلِكَ التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ
 ١٢٠٦- وَاللَّهُ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كِتَابَهُ
 تَنْزِيلُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 ١٢٠٧- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامٌ مِّنْ
 فَوْقَ الْعِبَادِ؟! أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ؟!
 ١٢٠٨- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا مِّنَ الرَّحْمَنِ وَالرُّ
 رَحْمَنُ لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟!
 ١٢٠٩- وَكَذَا نَزُولُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 فِي النَّصْفِ مِنْ لَيْلٍ وَذَاكَ الثَّانِي
 ١٢١٠- فَيَقُولُ: لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَخ-
 مَنِ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سُؤْلَهُ؟
 ١٢١١- مَنِ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سُؤْلَهُ؟
 ١٢١٢- مَنِ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَأَغْفِرَ ذَنْبَهُ؟
 ١٢١٣- مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سُقْمِهِ؟
 ١٢١٤- ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ
 ١٢١٥- يَا قَوْمٍ لَيْسَ نُزُولُهُ وَعُلُوُّهُ
 حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ
 ١٢١٦- وَكَذَا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ
 لَا ذَا، وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي
 ١٢١٧- كُلُّ مَجَازٍ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ
 أَوَّلُ وَزِدْ وَانْقُصْ بِلَا بُرْهَانِ

الشرح

في هذا الفصل ذكر المؤلف نوعين من الأدلة على علو الله -جلّ وعلا- وهما: النزول والتنزيل، ولذا قال -رحمه الله-:

١٢٠٥- هَذَا وَسَادِسُهَا وَسَابِعُهَا: النُّزُوءُ لُ، كَذَلِكَ التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ» قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ [فصلت: ١-٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥]، وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

١٢٠٦- وَاللَّهُ أَخْبَرَ نَابِيَّ أَنْ كِتَابَهُ تَنْزِيلُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

أَخْبَرَ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ بَأَنَّ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِهِ.

١٢٠٧- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامَ مَنْ فَوْقَ الْعِبَادِ؟! أَذَاكَ ذُو إِمَّكَانٍ؟!

قَوْلُهُ: «أَيْكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامَ مَنْ فَوْقَ الْعِبَادِ»؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ.

قَوْلُهُ: «أَذَاكَ ذُو إِمَّكَانٍ» الْجَوَابُ: لَا.

١٢٠٨- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ وَالرَّحْمَنِ لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟!

الْجَوَابُ: لَا، فَهَذَا التَّنْزِيلُ، فَإِذَا أَخْبَرَ اللَّهُ بَأَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْهُ، وَهُوَ كَلَامُهُ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ، فَإِذَا كَانَ تَنْزِيلَهُ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ.

وَأَمَّا النُّزُوءُ فَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٢٠٩- وَكَذَا نَزُوءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي النِّصْفِ مِنْ لَيْلٍ وَذَاكَ الثَّانِي

يعني: يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى فِي النِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، إِمَّا حِينَ يَبْقَى الثُّلُثُ^(١)،
وإِمَّا مِنْ حَيْثُ انْتِصَافُ اللَّيْلِ، عَلَى رَوَايَتَيْنِ فِي هَذَا.

والمشهورُ أنه من الثلث، لكن توجد روايةٌ أنه من النصف، وليس ببعيد أن
يكون من النصف، لكن إلى أن يَطْلُعَ الفجرُ^(٢).

ونزولُ الرَّبِّ جاء متواتراً عن الرسولِ -عليه الصلاة والسلام- أنه يَنْزِلُ
إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

لكن من الذي ينزلُ؟ الجوابُ: ينزلُ هو نفسه، وذلك لأن القاعدةَ العامَّةَ أن
ما أضافه اللهُ إلى نفسه من الأفعالِ والصفاتِ فهو له نفسه، لا لغيره.

فمثلاً: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٤] مَنْ خَلَقَهَا؟ هو نفسه.

وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، مَنْ الَّذِي أَنْزَلَ؟ هو نفسه،

﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] مَنْ الَّذِي اسْتَوَى؟ هو نفسه، وهَلُمَّ جَرًّا.

فكُلُّ فِعْلٍ أَضَافَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ لَهُ نَفْسُهُ، لَا يَعُودُ إِلَى غَيْرِهِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، مَنْ الْفَاعِلُ؟ الجوابُ: اللهُ، فهو الخالقُ وهو
المستوي، وكذلك كُلُّ الضمائرِ في أيِّ آيةٍ من القرآنِ.

فإذا كان النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- يقول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»^(٣) مَنْ النَّازِلُ؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم:

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣/١٩٩، رقم ٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم:

الجَوَابُ: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا غَيْرُهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ النَّازِلَ غَيْرُهُ أَبَدًا، لِأَنَّ إِذَا قُلْنَا: إِنَّ النَّازِلَ غَيْرُهُ، فَقَدْ قَدَّمْنَا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُنَزِّلُ، فَإِنَّ جَمِيعَ اللُّغَاتِ تَقْتَضِي أَنْ النَّزُولَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ أَعْلَى إِلَى مَا دُونَهُ.

لكن يَبْقَى عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ نَزُولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَلْزِمُ إِلَّا يَكُونُ عَالِيًا فَوْقَ الْخَلْقِ، فَهُوَ نَازِلٌ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَعَالٍ فَوْقَ الْخَلْقِ كَمَا أَنَّهُ قَرِيبٌ مَعَ الْعِبَادِ، وَعَالٍ فَوْقَ عَرْشِهِ، حَتَّى قَالَ الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١). وَمَكَانُهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ مَعْنَى أَيْضًا وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَيُنَزَّلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَفَوْقَ الْعَرْشِ، وَنَقُولُ: إِنَّهُ نَازِلٌ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

قد تقول: إِنَّ هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ، كَيْفَ يَكُونُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَازِلٌ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟!

نَقُولُ: هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ الَّذِي تُحِيْطُ بِهِ الْأَفْلَاكُ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ الْمُحِيْطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَعْقُولٌ وَمَنْقُولٌ، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ إِذَا حَاوَلْتَ أَنْ تَقِيْسَ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَتَضِلُّ، إِمَّا بِتَحْرِيفِ النَّصِّ وَتَعْطِيلِ الصِّفَةِ، وَإِمَّا بِالتَّمْثِيلِ وَلَا بُدَّ، فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ، وَلِهَذَا نَقُولُ: هُوَ يَنْزِلُ حَقًّا كَمَا أَضَافَ ذَلِكَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَكِنْ

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠٢) واللفظ له، البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، رقم (٢٩٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٤).

نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَعَ نَزْوِلِهِ مَا زَالَ عَالِيًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّ هَذَا مُتَنَاقِضٌ، لِأَنَّ الْخَالِقَ لَا يُبَايِلُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

وهنا ليس مُرَادُ الْمُؤَلِّفِ أَنْ يُثَبِّتَ النُّزُولَ، وَأَنْ يَتَكَلَّمَ عَنِ النُّزُولِ، إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ الْعُلُوَّ، لِأَنَّ النُّزُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عُلُوٍّ.

١٢١٠- فَيَقُولُ: لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَحَدٍ - وَوَالِ الْعِبَادِ، أَنَا الْعَظِيمُ الشَّانِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ يَسْأَلُ عَنِ عِبَادِي غَيْرِي؟ فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي يَسْأَلُ عَنِ عِبَادِهِ، وَلَيْسَ يَسْأَلُ سَوَالَ اسْتِرْشَادٍ أَوْ جَهْلِ، لِأَنَّهُ عَالِمٌ، لَكِنْ يَسْأَلُ سَوَالَ عِنَايَةٍ، مَا حَوَائِجُهُمْ؟ فَيَقُولُ:

١٢١١- مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سُؤْلَهُ؟ مَنْ ذَا يَتُوبُ إِلَيَّ مِنْ عِصْيَانٍ؟

١٢١٢- مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَأَغْفِرَ ذَنْبَهُ؟ فَأَنَا الْوَدُودُ الْوَاسِعُ الْغُفْرَانِ

١٢١٣- مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سُقْمِهِ؟ فَأَنَا الْقَرِيبُ مُجِيبٌ مَنْ نَادَانِي

كُلُّ هَذِهِ يَقُولُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ نَفْسُهُ يَعْزِضُ لِعِبَادِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ، وَأَنْ يَسْأَلُوهُ، كَمَا عَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُؤْمِنُوا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّرٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، يَعْنِي: هَلْ تُحِبُّونَ أَنْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ، ذُلْنَا يَا رَبَّنَا، وَوَفَّقْنَا إِلَيْهَا، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْزِضُ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَذُكُّكُمْ﴾ تَشْوِيقٌ، وَعَرَضَ لِلْعِبَادِ، ثُمَّ ذَكَرَ التِّجَارَةَ فَقَالَ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف: ١١]، وَهَذَا أَيْضًا يَقُولُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَقُومُهُ- فَيَقُولُ هَكَذَا: مَنْ يَتُوبُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُ؟ مَنْ يَسْأَلُ؟ مَنْ يُرِيدُ الشِّفَاءَ: شِفَاءَ الْقَلْبِ وَشِفَاءَ الْبَدَنِ؟

١٢١٤- ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ حَتَّى يَكُونَ الْفَجْرُ فَجْرًا ثَانِي

يعني: إلى أن يطلع الفجر الثاني، لأنَّ الفجرَ فجران، وقد سبق ذلك.

١٢١٥- يَا قَوْمَ لَيْسَ نَزْوُلُهُ وَعُلُوُّهُ حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمَ» يُخَاطَبُ هُنَا الْمُنْكَرِينَ لِلْعُلُوِّ، لَكِنْ كَيْفَ يَقُولُ: (يَا قَوْمَ)، وَهُوَ يُصَلِّلُهُمْ؟! نَقُولُ: نَعَمْ: يَقُولُ ذَلِكَ مِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ، فَهَمْ يَقُولُونَ لِأَقْوَامِهِمْ: (يَا قَوْمَ)، وَهَمْ يُكَذِّبُونَهُمْ، وَيُشْرِكُونَ بِاللَّهِ.

قَوْلُهُ: «بَلْ هُمَا عَدَمَانِ»، لِأَنََّّهُمْ لَا يُقَرِّونَ بَعْلُوَ اللَّهِ وَلَا بِنَزْوُلِهِ.

يَقُولُونَ: عُلُوُّ اللَّهِ هُوَ عُلُوُّ الْقَدْرِ وَالْقَهْرِ، وَيَقُولُونَ فِي النَّزْوُلِ: نَزْوُلُ الْأَمْرِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِذَا قُلْتَ فِي «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١): هُوَ نَفْسُهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ. ضَرَبَ بِيَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ وَصَرَخَ بِكَ: اللَّهُ يَنْزِلُ؟! فَتَقُولُ لَهُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَكَ: لَا، أَنْتَ مَخْطِئٌ، بَلِ الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ هُوَ أَمْرُهُ.

لَكِنْ إِذَا سَأَلْتَهُ: هَلِ الْأَمْرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبْ لَهُ؟ يَقُولُ: لَا، وَيَقُولُ إِذَنْ تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ، وَهَلِ الرَّحْمَةُ تَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ؟ يَقُولُ: لَا، فَتَقُولُ: ثُمَّ مَا الْفَائِدَةُ لَنَا بِنَزْوُلِ الرَّحْمَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟! ثُمَّ الْأَمْرُ لَيْسَ مَمْتَهَاهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، بَلِ مَمْتَهَاهُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

فَيَقُولُ ثَالِثٌ: وَجَدْتُ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ، يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَتِهِ.

نَقُولُ: سَبِحَانَ اللَّهِ! الْمَلَكُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِشْرَاقِ، وَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

فأستجيب له؟! وحينئذٍ تَنْقَطِعُ عنه السُّبُلُ، وَيُصْبِحُ ابنَ سَبِيلٍ مُنْقَطِعًا به، ونُقُولُ: سَلِّمْ واسَلِّمْ، سَلِّمَ الأمرَ إلى الله ورسوله، وقل: ينزلُ رَبُّنا نَزْوًا حَقِيقًا يَلِيقُ به عَزًّا ووجلًّا، وحينئذٍ تَسَلِّمُ، لكن هم يقولون: لا نزولَ ولا علوًّا.

١٢١٦- وَكَذَّا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ لَا ذَا، وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي قَوْلُهُ: «وَكَذَّا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ» لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَلَيْسَ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقُولُ، لَكِنْ يَخْلُقُ قَوْلًا.

قَوْلُهُ: «لَا ذَا، وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي» يَعْنِي: لَا يَقُولُ لَا هَذَا وَلَا غَيْرَهُ، فَاللَّهُ لَا يَقُولُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ: مَنْ يَدْعُونِي؟ وَإِنَّمَا يَخْلُقُ صَوْتًا مِثْلَهُ.

١٢١٧- كُلُّ مَجَازٍ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ أَوَّلٌ وَزِدٌ وَانْقُصٌ بِلَا بُرْهَانٍ يَتَهَكَّمُ بِهِمْ، يَقُولُ: (أَوَّلٌ) وَالتَّأْوِيلُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَعْطَلَةِ حَقِيقَتُهُ التَّحْرِيفُ.

قَوْلُهُ: «وَزِدٌ وَانْقُصٌ» يَقُولُ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا) يَعْنِي: يَنْزِلُ أَمْرٌ رَبُّنَا، وَهَذَا زَائِدٌ، وَ(انْقُصٌ): يَعْنِي: يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَ صِفَةٌ فَيَنْقُصُهَا، وَيَقُولُ: هَذَا زَائِدٌ، فَمِثْلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، بَعْضُهُمْ يَقُولُ: وَيَبْقَى رَبُّكَ، لَكِنْ مَاذَا نَفْعَلُ بِكَلِمَةٍ (وَجْه)؟ يَقُولُ: هَذِهِ صَلَةٌ، فَتَحَاشَى أَنْ يَقُولَ: زَائِدٌ فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ زِيَادَةٌ لَفْظِيَّةٌ، وَجَسَرَ^(١) أَنْ يَقُولَ: زَائِدٌ زِيَادَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ.

(١) جَسَرَ يَجْسُرُ جُسُورًا وَجَسَارَةً: مَضَى وَنَفَذَ. وَجَسَرَ عَلَى كَذَا يَجْسُرُ جَسَارَةً وَتَجَاسَرَ عَلَيْهِ: أَقْدَمَ. وَالْجَسُورُ: الْمَقْدَامُ. وَرَجُلٌ جَسْرٌ وَجَسُورٌ: مَاضٍ شَجَاعٌ. انظر: لسان العرب، مادة: جسر.

فصل

- ١٢١٨ - هَذَا وَثَامِنُهَا بِسُورَةِ غَافِرٍ: هُوَ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٢١٩ - دَرَجَاتُهُ مَرْفُوعَةٌ كَمَعَارِجٍ أَيْضًا لَهُ، وَكِلَاهُمَا رَفَعَانِ
- ١٢٢٠ - وَفَعِيلٌ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ وَسَيَأْتِيهَا يَأْبَاهُ ذُو التَّبْيَانِ
- ١٢٢١ - لَكِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ دَرَجَاتُهُ لِكَمَالِ رِفْعَتِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ
- ١٢٢٢ - هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ فَلَا تَحِدْ عَنْهُ، وَخُذْ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ
- ١٢٢٣ - فَتَظِيرُهَا الْمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرَهَا فِي ذِي الْمَعَارِجِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
- ١٢٢٤ - وَالرُّوحُ وَالْأَمْلاكَ تَصْعَدُ فِي مَعَا رَجِهِ إِلَيْهِ جَلُّ ذُو السُّلْطَانِ
- ١٢٢٥ - ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ حَقًّا مَا هُمَا إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شَبِيهَانِ
- ١٢٢٦ - فَخُذِ الْكِتَابَ بِيَعْضِهِ بَعْضًا كَذَا تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ

الشرح

١٢١٨ - هَذَا وَثَامِنُهَا بِسُورَةِ غَافِرٍ: هُوَ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ لِلرَّحْمَنِ

هذا هو النوع الثامن من أدلة علو الله عز وجل، وهو ما جاء في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]، ف (رفيع) واضح أنها صفة مُشَبَّهَةٌ، يَعْنِي: أَنَّ دَرَجَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ رَفِيعَةٌ، فَالوصفُ هُنَا عَائِدٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

لكنَّ بعضَ الناسِ قال: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: رافعُ الدرجاتِ، فجعلَ (رفيعًا) صيغةً مبالغةً مضافةً إلى المفعولِ، والصوابُ المقطوعُ به أنها صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مضافةٌ إلى الفاعلِ كما تقولُ: (زيدٌ جميلُ الظاهرِ، طيبُ القلبِ) أي: جميلُ ظاهره طيبُ قلبه، فهكذا (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مضافةٌ إلى الفاعلِ.

أما مَنْ فَسَّرَ (رفيع) بمعنى: رافع، وجعلها مضافةً إلى المفعولِ به، فهذا خطأ، ويدلُّ على ذلك ما أشارَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- بأنَّ القرآنَ يُفسِّرُ بعضه بعضًا، وقد قالَ اللهُ تعالى في سورة سأل: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٢-٤]، ف(ذِي الْمَعَارِجِ) يَعْنِي: صَاحِبَ الْمَعَارِجِ، فَهِيَ بِمَعْنَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ سِوَاءَ سِوَاءٍ، أَوْ شَبَّهًا بِشِبْهِهِ.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] أي: صَاحِبُ الْعَرْشِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَرْشَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ، فَإِذَا كَانَ هُوَ صَاحِبَ الْعَرْشِ الَّذِي لَمْ يَسْتَوْ عَلَى عَرْشِهِ غَيْرُهُ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ (رَفِيعٌ) بِمَعْنَى الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ. إِذَنْ فَتَفْسِيرُ الْآيَةِ مِنَ الْآيَةِ، وَمِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ.

١٢١٩- دَرَجَاتُهُ مَرْفُوعَةٌ كَمَعَارِجٍ أَيْضًا لَهُ، وَكِلَاهُمَا رَفَعَانِ قَوْلُهُ: «دَرَجَاتُهُ مَرْفُوعَةٌ كَمَعَارِجٍ أَيْضًا لَهُ» أَيْنَ الْمَعَارِجُ الَّتِي لَهُ؟ الْجَوَابُ: قَوْلُهُ فِي سَأَلَ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

١٢٢٠- وَفَعِيلٌ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ وَسَيَأْقُهَا يَأْبَاهُ ذُو التَّبْيَانِ قَوْلُهُ: «وَفَعِيلٌ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ» هَذَا رَدُّ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا بِمَعْنَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾.

قَوْلُهُ: «وَسِيَّاقُهَا يَا أَبَاهُ ذُو التَّبْيَانِ» يَعْنِي: يَا أَبَاهُ صَاحِبُ التَّبْيَانِ، أَي: يَمْنَعُهُ، لِأَنَّ مَنْ قَرَأَ الآيَةَ عَرَفَ تَمَامًا أَنَّ الوَصْفَ يَعُودُ فِيهَا إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ.

١٢٢١- لَكِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ دَرَجَاتُهُ لِكَمَالِ رِفْعَتِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ

١٢٢٢- هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ فَلَا تَحْذُ عَنْهُ، وَخُذْ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ

١٢٢٣- فَتَنْظِيرُهَا الْمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرُهَا فِي ذِي الْمَعَارِجِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَنْظِيرُهَا الْمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرُهَا» يَعْنِي: الَّذِي يُظْهِرُ لَنَا تَفْسِيرَهَا، مَا هُوَ؟ قَالَ: (فِي ذِي الْمَعَارِجِ) أَي: كَائِنٌ فِي ذِي الْمَعَارِجِ.

١٢٢٤- وَالرُّوحُ وَالْأَمْلَاكُ تَصْعَدُ فِي مَعَا رِجِهِ إِلَيْهِ جَلُّ ذُو السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «الرُّوحُ» أَي: جِبْرِيلُ، أَوْ أَرْوَاحُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

١٢٢٥- ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ حَقًّا مَا هُمَا إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شِبْهَانِ

قَوْلُهُ: «ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ» أَي: الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾

[غافر: ١٥].

قَوْلُهُ: «مَا هُمَا إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شِبْهَانِ» الضَّمِيرُ فِي (هُمَا) يَعُودُ عَلَى (رَفِيعِ

الدَّرَجَاتِ)، وَ(ذِي الْمَعَارِجِ).

١٢٢٦- فَخُذِ الْكِتَابَ بِبَعْضِهِ بَعْضًا كَذَا تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ

أَحْسَنُ التَّفْسِيرِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ بِلا شَكِّ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ تَكَلَّمَ بِهِ وَاحِدٌ، فَإِذَا فَسَّرَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ بِبَعْضِهِ بَعْضٌ صَارَ أَدْرَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ

تفسير القرآن بالقرآن، رجَعْنَا إلى تفسيرِ أعلمِ الخَلْقِ بالقرآنِ، وهو النَّبِيُّ ﷺ، ولا يمكنُ أن نَحِيدَ عنه.

ففي قَوْلِهِ تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بأنها «النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ»^(١)، فلا نَحِيدُ عن هذا، لأنَّ الرسولَ فَسَّرَهَا.

وفي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، قال: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»^(٢)، فنقف على هذا التفسيرِ.

ولذلك الرَّمِيُّ هو السَّلَاحُ الفَعَّالُ الآن في الوقتِ الحديثِ في أساليبِ الحربِ المتطورة،، مثل: القنابل، والصواريخ من فوق أو من جنب، كُلُّ هذا السَّلَاحِ أَشَدُّ من الدبابات.

إذا لم نَجِدْ في السُّنَّةِ، فَمَنْ أعلمُ الناسِ بتفسيرِ القرآنِ فيما يَتَعَلَّقُ بالعباداتِ؟
الجوابُ: الصحابةُ بلا شكَّ، فلا شكَّ أنهم أعلمُ الناسِ فيما يَتَعَلَّقُ بالعباداتِ من غيرهم.

فهم أعلمُ الناسِ بتفسيرِ القرآنِ، فنرجعُ إلى أقوالِ الصحابةِ، فإن اختلفوا على قولين، طَلَبْنَا المُرْجَحَ.

فإذا اختلفَ العلماءُ ولم نَعْلَمَ، فهل نأخذُ بأقوالِ التابعينِ أو لا؟

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب -تبارك وتعالى-، رقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه: كتاب الإيثار وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٧)

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمامة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، رقم (١٩١٧).

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لا نأخذُ بأقوالِ التابعينَ، لأنَّ التابعينَ لم يشهدوا الوحيَ حين نَزولِهِ، وما كانوا مع الرسول -عليه الصلاة والسلام- حتى نَقولَ: فَهَمُوا من الرسول معنى الآية وَعَبَّرُوا عنه بِأَلْسِنَتِهِمْ، فهم كغيرِهِم.

ومِنْهُمْ مَنْ فَصَّلَ وَقَالَ: مَنْ عُرِفَ عنه أَنه تَلَقَّى التفسيرَ من الصحابةِ، فإننا نَرِجِعُ إلى تفسيرِهِ، مثل مجاهدٍ، فقد تَلَقَّى عن ابنِ عَبَّاسٍ، وَمَنْ لا، فهو كغيرِهِ.

لكن يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ قاعدةً مهمةً، وهي أَنه كُلِّمًا كان الناسُ أَقْرَبَ إلى زَمَنِ النُّبُوَّةِ كانوا أَقْرَبَ إلى الصوابِ فيما يَتَعَلَّقُ بالعقائدِ والعباداتِ، وهذا شَيْءٌ معروفٌ، ولهذا قَالَ الرسول ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١). وهذا شَيْءٌ مُشَاهِدٌ، لأنَّ القَرَبِينَ من عهدِ النبوةِ ليس بينهم وبين النبوةِ وسائِطٌ إِلَّا وسائِطٌ قليلةٌ، فالتابعون بينهم وبين الرسولِ واسطةٌ واحدةٌ، وتابعو التابعين بينهم وبين الرسولِ واسِطَتانِ، وتابعو تابعي التابعين بينهم وبين الرسولِ ثلاثِ وسائِطٍ... وهلمَّ جَرًّا.

ثُمَّ إِنَّه من بعدِ القرونِ المفضَّلةِ كَثُرَتِ الفتنُ والأهواءُ، وصارت بضاعةً كثيرٍ من الناسِ قليلةً بالنسبةِ للعلومِ الشرعيةِ.

قَوْلُهُ: «أَهْلُ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ» المرادُ بهم المُفسِّرونَ الذين يُفسِّرونَ الكتابَ بعضُهُ ببعضٍ، وهذا هو الواجبُ، لأنَّ المُتَكَلِّمَ بِالْقُرْآنِ واحدٌ، فهو أعلمُ بما أَرَادَ في كلامِهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم (٢٦٥٢)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

فصل

- ١٢٢٧- هَذَا وَتَاسِعُهَا: النَّصُوصُ بِأَنَّهُ
فَوْقَ السَّمَاءِ وَذَا بِلَا حُسْبَانِ
- ١٢٢٨- فَاسْتَحْضِرِ الْوَحْيِينَ وَانظُرْ ذَاكَ تَلَدٌ
فَقَاهُ مُبِينًا وَاضِحَ التَّبْيَانِ
- ١٢٢٩- وَلَسَوْفَ نَذْكَرُ بَعْضَ ذَلِكَ عَنْ قَرِيبٍ
سِبْ كَيْ تَقُومَ شَوَاهِدُ الْإِيمَانِ
- ١٢٣٠- وَإِذَا أَتَيْتَكَ فَلَا تَكُنْ مُسْتَوْحِشًا
مِنْهَا وَلَا تَكُ عِنْدَهَا بِجَبَانِ
- ١٢٣١- لَيْسَتْ تَدُلُّ عَلَى انْحِصَارِ إِلَهِنَا
عَقْلًا وَلَا عُرْفًا وَلَا بِلِسَانِ
- ١٢٣٢- إِذْ أَجْمَعَ السَّلْفُ الْكِرَامُ بِأَنَّ مَعَهَا
نَاهَا كَمَعْنَى الْفَوْقِ بِالْبُرْهَانِ
- ١٢٣٣- أَوْ أَنَّ لَفْظَ سَمَائِهِ يَعْزِي بِهِ
نَفْسَ الْعُلُوِّ الْمَطْلُوقِ الْحَقَّانِي
- ١٢٣٤- وَالرَّبُّ فِيهِ وَلَيْسَ يَخْصُرُهُ مِنَ الْإِلَهِ
مَمْلُوقِ شَيْءٍ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
- ١٢٣٥- كُلُّ الْجِهَاتِ بِأَسْرِهَا عَدَمِيَّةٌ
فِي حَقِّهِ هُوَ فَوْقَهَا بَيِّنَانِ
- ١٢٣٦- قَدْ بَانَ عَنْهَا كُلُّهَا فَهُوَ الْمُجِيبُ
طُ وَلَا يُحَاطُ بِخَالِقِ الْأَكْوَانِ
- ١٢٣٧- مَا ذَاكَ يَنْقُمُ بَعْدَ ذُو التَّعْطِيلِ مِنْ
وَصْفِ الْعُلُوِّ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
- ١٢٣٨- أَيْرُدُ ذُو عَقْلِ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا
بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أُولِي الْأَذْهَانِ!؟
- ١٢٣٩- وَاللَّهُ مَا رَدَّ امْرُؤًا هَذَا بَغْيًا
رِ الْجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

الشرح

١٢٣٧- مَا ذَاكَ يَنْقُمُ بَعْدَ ذُو التَّعْطِيلِ مِنْ وَصْفِ الْعُلُوِّ لِرَبِّنا الرَّحْمَنِ

صحيح، ماذا ينقم منكرو العلو؟ وسبحان الله على هذه العقول التي تنكر العلو، والذي يُقَرُّ كُلُّ أَحَدٍ بأنه صِفَةٌ كمالٍ، وأنه لو لم يثبت لله لكان الله -تعالى وحاشاه- مُتَّصِفًا بالنقص!

فَتَعَجَّبَ لِلْعِبِّ الشَّيَاطِينِ بِعُقُولِ هَؤُلَاءِ! هُم يُقَرُّونَ -وَكُلُّ أَحَدٍ يُقَرُّ- بِأَنَّ الْعُلُوَّ صِفَةٌ كَمَالٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يُنْكَرُونَهَا مَعَ وَضُوحِهَا عَقْلًا وَنَقْلًا.

١٢٣٨- أَيَرُدُّ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أُولِي الْأَذْهَانِ؟! قَوْلُهُ: «أَيَرُدُّ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا بَعْدَ التَّصَوُّرِ؟» الْجَوَابُ: لا.

١٢٣٩- وَاللَّهِ مَا رَدَّ امْرُؤٌ هَذَا بَغْيًا -رِ الْجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

يعني: الذي يردُّ علو الله فوق كلِّ شيءٍ لا تخلو حاله من أمرين: الأول: (الجهل)، وهذا قصور، قد يكون ناشئًا عن تقصير، لكن كيف عن تقصير؟ يعني: أنه لم يطلب الحق.

الثاني: (حمية الشيطان): وهي التعصب وسوء القصد والنية، وإلا لا يمكن أن يردّه أبدًا.

فَرَدُّ الْحَقِّ أَسْبَابُهُ ثَلَاثَةٌ: قُصُورٌ، وَتَقْصِيرٌ، وَسُوءُ قَصْدٍ وَنِيَّةٍ، يَعْنِي: هَوَى، فَالْقُصُورُ هُوَ الْجَهْلُ، وَالتَّقْصِيرُ هُوَ التَّفْرِيطُ فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَالثَّلَاثُ: سُوءُ الْقَصْدِ، يَعْنِي: لَا يَقْصِدُ الْحَقَّ، إِنَّمَا هُوَ مُتَعَصِّبٌ صَاحِبُ هَوَى، أَمَّا شَخْصٌ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَجِدُّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَحُسْنُ نِيَّةٍ وَقَصْدٍ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَرُدَّ الْحَقَّ إِطْلَاقًا.

فصل

- ١٢٤٠- هَذَا وَعَاشِرُهَا: اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ
أَمَلَاكِهِ بِالْعِنْدِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٢٤١- وَكَذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بِعِنْدِ
عِنْدِ اللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو تَبْيَانٍ
- ١٢٤٢- لَوْلَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى
كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ
- ١٢٤٣- وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسُ وَجِبْ
رِيْلٌ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ
- ١٢٤٤- وَتَمَامُ ذَلِكَ الْقَوْلِ أَنَّ مَحَبَّةَ الرَّ
رَّحْمَنِ عَيْنُ إِرَادَةِ الْأَكْوَانِ
- ١٢٤٥- وَكِلَاهُمَا مَحْبُوبُهُ وَمُرَادُهُ
وَكِلَاهُمَا هُوَ عِنْدَهُ سَيَّانِ
- ١٢٤٦- إِنْ قُلْتُمْ: عِنْدِيَّةُ التَّكْوِينِ فَالذُّ
ذَاتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَخْلُوقَانِ
- ١٢٤٧- أَوْ قُلْتُمْ: عِنْدِيَّةُ التَّقْرِيْبِ تَقْ
رِيْبُ الْحَبِيْبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ
- ١٢٤٨- فَالْحُبُّ عِنْدَكُمْ الْمَشِيئَةُ نَفْسُهَا
وَكَِلَاهُمَا فِي حُكْمِهَا مِثْلَانِ
- ١٢٤٩- لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ يَقُولُ بِأَنَّهَا
عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوْعَانَ
- ١٢٥٠- جَمَعَتْ لَهُ حُبَّ الْإِلَهِ وَقُرْبَهُ
مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الْإِحْسَانِ
- ١٢٥١- وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ
وَالْعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ

الشرح

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذا الفصل نوعًا عاشرًا من أدلة علو الله -سبحانه

وتعالى - وذلك بأن الله تعالى ذكر عن بعض مخلوقاته أنه عند الله، قال:

١٢٤٠ - هَذَا وَعَاشِرُهَا: اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ أَمْلَاكِهِ بِالْعِنْدِ لِلرَّحْمَنِ

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأنبياء: ١٩]،

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ،

وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ووجه ذلك أنه قال: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾، فدل ذلك

على أن هناك خلقاً آخر، ليسوا عند الله، أي: بعيدين منه، وإلا لولا هذه الدلالة لكانت المخلوقات سواء في العندية، وكان إبليس وجبريل سواء عند الله، وهذا مستحيل.

إذن فكون بعض المخلوقات عند الله يدل على أنه - سبحانه وتعالى - فوق

كل شيء وهؤلاء عنده وقريبون منه، والآخرون بعيدون عنه، ولهذا قال:

١٢٤١ - وَكَذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بَعْدَ اللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو تَيَّانٍ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ

غَضَبِي»^(١).

١٢٤٢ - لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ

فهذا دليل صحيح، فلولا أنه فوق كل شيء ما صار هؤلاء عنده وهؤلاء

ليسوا عنده، وكان الناس كلهم عند الله.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، رقم (٣٠٢٢)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم (٢٧٥١).

١٢٤٣- وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسُ وَجِبَّ رِيْلٌ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ

مع أن الله قال لإبليس: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، أبعده الله عز وجل.

١٢٤٤- وَتَمَامُ ذَاكَ الْقَوْلِ أَنْ مَحَبَّةَ الرَّحْمَنِ عَيْنُ إِرَادَةِ الْأَكْوَانِ

١٢٤٥- وَكِلَاهُمَا مَحْبُوبُهُ وَمُرَادُهُ وَكِلَاهُمَا هُوَ عِنْدَهُ سَيَّانِ

قَوْلُهُ: «وَتَمَامُ ذَاكَ الْقَوْلِ»، وَيَجُوزُ (وَتَمَامُ ذَاكَ الْقَوْلِ).

يعني: أن هؤلاء القوم قالوا: المحبة هي الإرادة، وكلُّ الكون مرادٌ له، وعلى ذلك فالنتيجة: كلُّ الكون محبوبٌ له، ولهذا قالوا: إنَّ الله يُحِبُّ الْكُفْرَ، وَالْمَعَاصِي، وَالْفُسُوقَ، وَالغِيَّ، وَالْجَهْلَ، وَالظُّلْمَ، وَالْعُدْوَانَ. لماذا؟

قالوا: لأنَّ الكلَّ مرادُه، بل إنَّ بعضهم -خاصَّةً بعض الصُّوفية- جعلوا هذا غايةَ المُشاهد، وهو أن يَشْهَدَ بأنَّ الكونَ كُلَّهُ مرادٌ لله، وكلُّه محبوبٌ لله، فهم قالوا: المَحَبَّةُ والإِرَادَةُ سواءٌ، كما قالوا: العِنْدُ والبُعْدُ سواءٌ.

ثُمَّ قَالَ الْمُؤَلَّفُ:

١٢٤٦- إِنْ قُلْتُمْ: عِنْدِيَّةُ التَّكْوِينِ فَالذُّذَاتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَخْلُوقَانِ

قالوا: (عِنْدَهُ) أَي: أَنَّهُ خَلَقَ هَذَا وَخَلَقَ هَذَا، فِيرَادُ بِالْعِنْدِيَّةِ عِنْدِيَّةُ التَّكْوِينِ وَالْخَلْقِ.

١٢٤٧- أَوْ قُلْتُمْ: عِنْدِيَّةُ التَّقْرِيبِ تَقْفُ رِيْبُ الْحَبِيبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ

العِنْدِيَّةُ يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُ قَرَّبَهُ وَلَوْ كَانَ بَعِيدَ الْمَكَانِ، (فَعِنْدَهُ) يَعْنِي: أَنَّهُمْ

قَرِيبُونَ مِنْهُ بِطَاعَتِهِ وَلَوْ كَانُوا بَعِيدِي الْمَكَانِ.

١٢٤٨- فَالْحُبُّ عِنْدَكُمْ الْمَشِيئَةُ نَفْسُهَا وَكِلَاهُمَا فِي حُكْمِهَا مِثْلَانِ

قَوْلُهُ: «كِلَاهُمَا» أَي: الْمَشِيئَةُ وَالْمَحَبَّةُ فِي الْحُكْمِ مِثْلَانِ، أَي: شَاءَ هَذَا فَأَجَبَهُ.

١٢٤٩- لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ يَقُولُ بِأَنَّهَا عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوَّعَانَ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ» الْمُنَازِعُ أَي: أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ بِأَنَّهَا عِنْدِيَّةٌ حَقًّا.

قَوْلُهُ: «عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوَّعَانَ» هَلْ هِيَ عِنْدِيَّةٌ خَلَقَ وَتَكْوِينِ، أَوْ تَقْرِيبِ

وإرادة، أو مكان؟

الجواب: مكان.

١٢٥٠- جَمَعْتَ لَهُ حُبَّ الْإِلَهِ وَقُرْبَهُ مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الْإِحْسَانِ

فالذين عند الله جمعوا بين محبة الله لهم، لأنه أَدْنَاهُمْ وَقَرَّبَهُمْ، وكذلك قَرَّبَهُمْ إِلَى ذَاتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالثَّالِثُ: الْكَرَامَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُمْ بِهَا، لِأَنَّ مَنْ كَانُوا قَرِيبِينَ مِنْهُ - جَلَّ وَعَلَا - فَهَمَّ عِنْدَهُ أَكْرَمُ مَنْ كَانُوا بَعِيدِينَ عَنْهُ بِلَا شَكٍّ.

١٢٥١- وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ وَالْعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التَّبَيُّانِ

قَوْلُهُ: «وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ» أَي: الْحُبُّ غَيْرُ الْمَشِيئَةِ، فَقَدْ يَشَاءُ مَا لَا يُحِبُّهُ، وَقَدْ يُحِبُّ مَا لَا يَشَاءُوهُ، فَقَدْ يَشَاءُ مَا لَا يُحِبُّهُ، لِأَنَّ الْمَشِيئَةَ كَوْنِيَّةٌ، وَليْسَ فِيهَا شَرِيعَةٌ.

فقد شاء الكفر وهو لا يُحِبُّهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَقَدْ يُحِبُّ مَا لَا يَشَاءُوهُ، وَهَذَا صَحِيحٌ.

فِيحِبُّ مِنَ الْفَاسِقِ أَنْ يَكُونَ عَدْلًا، وَيُحِبُّ مِنَ الْكَافِرِ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا،
 وَلَكِنَّهُ لَا يَشَاؤُهُ لِحِكْمَةٍ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا
 يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَنَّ
 جَهَنَّمَ ﴿هود: ١١٨-١١٩﴾، فَلَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ لَكَانَ خَلْقُ النَّارِ عَبَثًا، لَكِنَّ
 اللَّهَ حَقًّا، وَعَدَّ النَّارَ أَنْ يَمْلَأَهَا وَالْجَنَّةَ أَنْ يَمْلَأَهَا، وَلَا تَمْلَأُ النَّارُ إِلَّا مِنْ أَهْلِهَا، فَلَا
 بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ كُفَّارًا.

قَوْلُهُ: «وَالْعِنْدُ قُرْبٌ» هَلِ الْعِنْدُ قُرْبٌ أَوْ تَكْوِينٌ؟

الْجَوَابُ: الْعِنْدُ قُرْبٌ، وَلَيْسَ تَكْوِينًا، فَإِذَا قُلْتَ: (الْعِنْدُ تَكْوِينٌ) فَهَذَا خِلَافٌ

الظَّاهِرِ.

فصل

- ١٢٥٢- هَذَا وَحَادِي عَشْرَهْنَ: إِشَارَةٌ نَحْوَ الْعُلُوِّ بِإِضْبَعٍ وَبَنَانٍ
- ١٢٥٣- اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَا غَيْرَهُ إِذْ ذَاكَ إِشْرَاكَ مِنْ الْإِنْسَانِ
- ١٢٥٤- وَلَقَدْ أَشَارَ رَسُولُهُ فِي تَجْمَعِ الْ- حَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ الْغُفْرَانِ
- ١٢٥٥- نَحْوِ السَّمَاءِ بِإِضْبَعٍ قَدْ كُرِّمَتْ مُسْتَشْهِدًا لِلْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
- ١٢٥٦- يَا رَبِّ فَاشْهَدْ أَنِّي بَلَّغْتُهُمْ وَيُشِيرُ نَحْوَهُمْ لِقَصْدِ بَيَانِ
- ١٢٥٧- فَعَدَا الْبَنَانُ مَرْفَعًا وَمُضَوَّبًا صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ ذُو الْغُفْرَانِ
- ١٢٥٨- أَذَيْتَ ثُمَّ نَصَحْتَ إِذْ بَلَّغْتَنَا حَقَّ الْبَلَاغِ الْوَاجِبِ الشُّكْرَانِ

الشرح

هذا الفصل أراد به المؤلف -رحمه الله- أن يبين الدليل الحادي عشر على علو الله - سبحانه وتعالى -، وذلك بالدلالة الفعلية من رسول الله ﷺ، حيث خطب الناس يوم عرفة في حجة الوداع في ذلك المجمع الذي لم يوجد في الإسلام أكثر جمعا منه، وقال: «هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد» يشير إلى السماء، وينكث بإضبعه على الناس^(١)، قال ﷺ ذلك ثلاثا، وهذه دلالة بالفعل وليست بالقول على أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعلى أن الله في العلو.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

فصل

- ١٢٥٩- هَذَا وَثَانِي عَشْرَهَا: وَصَفُ الظُّهُورِ
 ١٢٦٠- وَالظَّاهِرُ الْعَالِي الَّذِي مَا فَوْقَهُ
 ١٢٦١- حَقًّا رَسُولُ اللَّهِ ذَا تَفْسِيرِهِ
 ١٢٦٢- فَأَقْبَلُهُ لَا تَقْبَلُ سِوَاهُ مِنَ النَّفَا
 ١٢٦٣- وَالشَّيْءُ حِينَ يَتِمُّ مِنْهُ عُلُوُّهُ
 ١٢٦٤- أَوْ مَا تَرَى هَذِي السَّمَاءَ وَعُلُوَّهَا
 ١٢٦٥- وَالْعَكْسُ أَيْضًا ثَابِتٌ فَسُقُولُهُ
 ١٢٦٦- فَاَنْظُرْ إِلَى عُلُوِّ الْمُحِيطِ وَأَخْذِهِ
 ١٢٦٧- وَأَنْظُرْ خَفَاءَ الْمَرْكَزِ الْأَدْنَى وَوَصْ
 ١٢٦٨- وَظُهُورُهُ سُبْحَانَهُ بِالذَّاتِ مِثْ
 ١٢٦٩- لَا تَجْحَدْنِيهَا جُحُودَ الْجَهْمِ أَوْ
 ١٢٧٠- وَظُهُورُهُ هُوَ مُقْتَضٍ لِعُلُوِّهِ
 ١٢٧١- وَكَذَلِكَ قَدْ دَخَلَتْ هُنَاكَ الْفَاءُ لِلتَّ
 ١٢٧٢- فَتَأَمَّلَنَّ تَفْسِيرَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ
- رِلَهُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 شَيْءٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانَ
 وَلَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِضَمِّ
 سِيرِ الَّتِي قِيلَتْ بِلَا بُرْهَانَ
 فَظُهُورُهُ فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
 وَظُهُورَهَا، وَكَذَلِكَ الْقَمَرَانِ؟
 وَخَفَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ مُصْطَحِبَانِ
 صِفَةَ الظُّهُورِ، وَذَلِكَ ذُو تَبْيَانِ
 فَ السُّفْلِ فِيهِ وَكَوْنُهُ مَحْتَانِي
 لُ عُلُوُّهُ فَهِيَ لَهُ صِفَتَانِ
 صَافَ الْكَمَالِ تَكُونُ ذَا بُهْتَانِ
 وَعُلُوُّهُ لِيُظْهِرَهُ بَيِّنَانِ
 تَسْبِيبِ مُؤَدِّنَةً بِهَذَا الشَّانِ
 بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

١٢٧٣- إِذْ قَالَ: أَنْتَ كَذَّاءٌ، فَلَيْسَ لِضِدِّهِ أَبَدًا إِلَيْكَ تَطَرُّقُ الْإِنِّيَانِ

الشرح

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله عز وجل وهو المستفاد من اسمه (الظاهر)، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وتفسير (الظاهر) فسره أهل التعطيل المنكرون للعلو بأنه الظاهر بآياته، يعني: الذي يُعرف بآياته، فجعلوا الظهور ظهورًا معنويًا، ولكن أعلم الخلق بالله فسره على خلاف ذلك فقال: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء»^(١). وأتى بالفاء الدالة على التفریع، يعني: أنت فوق كل شيء، فليس فوقك شيء.

وقال: «أنت الباطن فليس دونك شيء»^(٢) هم عندهم أن الباطن هو ما لطف^(٣) حتى لم يكن له جسم - والعياد بالله - فوصفوا الله بأنه لا شيء.

ولكن نقول: إن معنى (ليس دونك شيء)، أي: أنك محيط بكل شيء، فلا يحول دونك شيء.

وعلى هذا فنقول: (الظاهر) بمعنى العالي، وكل ما علا فقد ظهر، انظر إلى النجوم في السماء، فهي ظاهرة لماذا؟ الجواب: لعلوها، فلو كانت في الأرض لم يرها أحد، والقمران - الشمس والقمر - ظاهران لعلوهما، وظهر الحيوان لماذا سمي ظهرًا؟ الجواب: لأنه أعلى ما فيه، فإذا (الظاهر) هو الذي ليس فوقه شيء.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

(٣) أي: صغر. انظر: مختار الصحاح، مادة: لطف.

فصل

- ١٢٧٤- هَذَا وَثَالِثَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ
 ١٢٧٥- فَسَلِ الْمُعْطَلَّ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَا
 ١٢٧٦- أَمْ خَلَفْنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ
 ١٢٧٧- يَا قَوْمِ مَا فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا
 ١٢٧٨- إِذْ رُؤْيَا لَافِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الرُّ
 ١٢٧٩- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعَا
 ١٢٨٠- وَلِذَلِكَ قَالَ مُحَقِّقُ مِنْكُمْ لِأَهْلِ
 ١٢٨١- مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْنَكُمْ لِيذِي التُّ
 ١٢٨٢- شُدُّوا بِأَجْمَعِنَا لِنَحْمِلَ حَمْلَةَ
 ١٢٨٣- إِذْ قَالَ: إِنَّ إِلَهَنَا حَقًّا يُرَى
 ١٢٨٤- وَتَصِيرُ أَبْصَارُ الْعِبَادِ نَوَاطِرًا
 ١٢٨٥- لَا رَيْبَ أَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا بِذَا
 ١٢٨٦- وَيَكُونُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
 أَنَا نَرَاهُ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانَ
 أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ
 أَمْ هَلْ يُرَى مِنْ فَوْقِنَا بَيَانِ؟
 أَوْ أَنَّ رُؤْيَيْتَهُ بِإِلَاحِ الْإِمْكَانِ
 رَائِي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
 سِوَاهُ مُكَابَرَةً عَلَى الْأَذْهَانِ
 لِي الْإِعْتِزَالِ مَقَالَةً بِأَمَانِ
 تَحْقِيقِ فِي مَعْنَى فَيَا إِخْوَانِي
 تَذَرُ الْمُجَسِّمَ فِي أَذَلِّ هَوَانِ
 يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
 حَقًّا إِلَيْهِ رُؤْيَا بِعِيَانِ
 لَزِمَ الْعُلُوَّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ
 فَلِذَلِكَ نَحْنُ وَحِزْبُهُمْ خَصْمَانِ

- ١٢٨٧- لَكِنَّا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ إِذْ تَسَا
عَدْنَا عَلَى نَفِي الْعَلَا الرَّحْمَنِ
١٢٨٨- فَعَلُوهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فَوْ
قَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا دِيَانَ
١٢٨٩- لَا تَنْصِبُوا مَعَنَا الْخِلَافَ فَمَا لَهُ
طَعْمٌ، فَتَحْنُ وَأَنْتُمْ سِلْمَانِ
١٢٩٠- هَذَا الَّذِي - وَاللَّهِ - مُودِعٌ كُتُبِهِمْ
فَانظُرْ تَرَى يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

الشرح

١٢٧٤- هَذَا وَثَالِثَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ أَنَا نَرَاهُ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانَ
هذا أيضًا من الأدلة على علو الله عز وجل أنه أخبر بأننا نراه في جنة
الحيوان.

قوله: «الحيوان» يعني: الحياة، وليس المراد بالحيوان الحي، كما قال الله تعالى:
﴿وَإِنَّ أَدَارَ الْأَخْرَجَةِ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، و(الحيوان) هنا فيه صيغة
مبالغة، يعني: الحياة الكاملة، فنحن نراه في جنة الحيوان - وأسأل الله أن يجعلني
وإياكم ممن يراه - كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وإجماع السلف، يعني: أن الله
تعالى يرى بالعين، لكن لا يحاط به لقول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، كما نرى الشمس الآن ولا ندرِكُها.

- ١٢٧٥- فَسَلِ الْمُعْطَلَّ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَا
أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ
١٢٧٦- أَمْ خَلْفَنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ
أَمْ هَلْ يُرَى مِنْ فَوْقِنَا بَيِّنَاتٍ؟

يقول: اسأل المعطل الذي يُنكرُ علو الله، هل نراه من تحت أو من يمين أو
شمال أو خلف أو أمام؟ يعني: أسأله عن كل الجهات الست، هل نراه من تحتنا؟

الجواب: مستحيل، لأننا لو رأيناه من تحتنا لكان ناقصًا، وهل نراه عن يمين أو شمال أو أمام أو خلف، أربع جهات؟ الجواب: محال، لأنه يستلزم أن يكون ناقصًا كذلك، فبقي أن نراه من فوق، وهذا هو المطلوب، ولهذا قال:

١٢٧٧- يَا قَوْمِ مَا فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا أَوْ أَنَّ رُؤْيَيْهِ بِإِلَّا إِمْكَانِ
١٢٧٨- إِذْ رُؤْيَا لَافِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الرِّ رَائِي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
١٢٧٩- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعَا سِوَاهُ مُكَابَرَةً عَلَى الْأَذْهَانِ

معلوم في الرؤية أنه لا بُدَّ من مقابلة بين الرائي والمرئي، فأنتم إن قلتم: يقابلنا من أسفل تنقصتم الله، وإن قلتم: من يمين، أو شمال، أو أمام، أو خلف، كذلك تنقصتم الله بإقراركم، فلم يبق إلا أن يرى من فوق، وهذا هو المطلوب.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٢٨٠- وَلِذَلِكَ قَالَ مُحَقِّقٌ مِنْكُمْ لِأَهْلِ لِ الْإِعْتِزَالِ مَقَالَةً بِأَمَانِ
١٢٨١- مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْنَكُمْ لِيذِي التَّ تَحْقِيقِ فِي مَعْنَى فَيَا إِخْوَانِي
قال: إنَّ المحقق منكم قال للمعتزلة -وهو الآن يتكلَّم على الأشاعرة-: إنه لا فرق بيننا وبينكم، دعونا نكن إخوانًا سلِّمًا فيما بيننا، حربًا على الجسِّم الذي يُثبِتُ أَنَّ اللَّهَ يُرَى بَعِيَانِ.

١٢٨٢- شُدُّوا بِأَجْمَعِنَا لِنَحْمَلَ حَمَلَةً تَذُرُ الْمُجَسِّمَ فِي أَدَلِّ هَوَانِ
مَنْ الْمُجَسِّمِ؟ الْجَوَابُ: يَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٢٨٣- إِذْ قَالَ: إِنَّ إِلَهَنَا حَقًّا يُرَى يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

وَمَنْ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ؟ الْجَوَابُ: الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-، فهو على رَعْمِهِمْ مُجَسِّمٌ، وهم حَرَبٌ عليه، نَعُوذُ بِاللَّهِ.

انظر كيف الهوى؟! لِأَتَيْتُمْ قَالُوا: مُسْتَحِيلٌ أَنْ يُرَى اللَّهُ بِالْعَيْنِ، وقد ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ جَمْهَرَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَفَرُوا مَنْ يُنَكِّرُ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ.

قال: لِأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ السَّلَفِ كُلَّهَا تَطَابَقَتْ عَلَى إِثْبَاتِهَا. وَهَلْ أَبِينُ مَنْ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ»^(١) أَوْ قَالَ: «كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(٢)؟!!

لَوْ قَالَ لَنَا: (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ) فَقَطْ، لَثَبَّتِ الرُّؤْيَا، فَكَيْفَ إِذَا أَكْثَرَهَا بِقَوْلِهِ: «كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»؟!!

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الَّذِينَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، قَالُوا: لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمُوسَى لَمَّا قَالَ لَهُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي ﴿ [الأعراف: ١٤٣]، كَيْفَ يَقُولُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾، وَتَأْتِي أَنْتَ وَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى؟

فَنَقُولُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ: إِنَّا نَحْنُ لَا نَقُولُ: إِنَّا نَرَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا نَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا قَوْلُكُمْ هَذَا إِلَّا كَقَوْلِ مُنْكَرِي الْبَعْثِ ﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الدخان: ٣٦]، الَّذِينَ يَنْكُرُونَ الْبَعْثَ قَالُوا: كَيْفَ يُبْعَثُ النَّاسُ؟ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ فَتَقُولُ لَهُمْ: نَحْنُ مَا قُلْنَا نَأْتِي بِآبَائِكُمُ الْآنَ، مَتَى يُبْعَثُونَ؟ الْجَوَابُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَحَدِّثِكُمْ هَذَا لَا وَجْهَ لَهُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجِئْتُمْ بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رَقْمٌ (٧٤٣٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الصَّرَاطِ جَسْرُ جَهَنَّمَ، رَقْمٌ (٦٢٠٤)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَا، رَقْمٌ (١٨٢).

كذلك الذين استدلوا بقوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ نقول: هذا لا دليل فيه لكم، لأننا لا نقول: إننا نراه في الدنيا، وإنما نراه في الآخرة.

بل قال أهل السنة: إن طلب موسى - عليه الصلاة والسلام - رؤية الله تعالى في قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يدل على إمكان الرؤية، لأن الرؤية لو كانت رؤية مستحيلة لكانت من النواقص، ولا يمكن لموسى - عليه الصلاة والسلام - أن يعتقد في الله تعالى صفة ناقصة.

الدليل الثاني لهم: قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فنقول: هذا حجة عليكم، وليس دليلاً لكم، لأن الإدراك أخص من الرؤية، فإن الإنسان قد يرى الشيء، ولا يدركه، ولكنه إذا أدركه فقد رآه، أو لمسّه، أو ما أشبه ذلك.

المهم أن الله قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولم يقل: (لا تراه)، فيكون في نفي الإدراك للإبصار دليل على أنها تراه، لأنها لو كانت لا تراه لكان نفي إدراكها له تلبيساً، إذ إننا نقول: ما دام الأعم لا يوجد، فالواجب نفي الأعم، ولقال: (لا تراه الأبصار)، لأننا نعلم أنها إذا كانت لا تراه فلن تدركه.

إذن ففي الآية دليل عليهم، لا دليل لهم.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه: (العقل والنقل) الذي قال عنه ابن القيم: (ما في الوجود له نظير ثاني)، قال: «أنا ملتزم لكل مبتدع أو معطل يأتي بدليل من الكتاب والسنة أن أجعل دليلاً عليه»^(١).

(١) انظر: مقدمة درء تعارض العقل والنقل.

وهذا صحيحٌ واضحٌ، لأنَّ هذا المُبطلَ لم يَسْتَدِلَّ بالنَّصِّ إِلَّا وهو يَجِدُ فيه أو يَشَمُّ منه رائحةً لِمَا يُريدُ، لَكِنَّهَا ليستِ الرائحةُ التي يَتَعَطَّرُ بها، وَلَكِنَّهَا الرائحةُ التي تَزُكُّمُ أنْفَه وتُرُدُّ عليه.

إِذَنْ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ليس فيها دليلٌ، لماذا؟ لِأَنَّهَا في الدنيا، ونحن نُوَافِقُ على هذا، وقَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ليس فيها دليلٌ، بل هو دليلٌ عليهم.

فهم يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه، ويقولون: المرادُ بالرؤية رؤية العلم واليقين، وليست رؤية البصر، ولكن كيف يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(١)، و«كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ»^(٢)، ونقول: المرادُ رؤية العلم؟!

فروية العلم -حتى في الدنيا- فإنَّ أهلَ اليقين يَعْبُدُونَ الله كأنهم يَرَوْنَهُ، كما قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- في الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٣).

فإذا كان النَّصُّ لا يُمكنُ إنكاره حَرَفُوهُ، مثلُ القرآنِ وغيره مما تواتر، وإذا كان آحادًا قَعَدُوا قاعدتهم الفاسدة الباطلة بأنَّ الآحادَ ليسَ فيه حُجَّةٌ في إثباتِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩).

العقائد، مع أننا نقول: إن حديث الرؤية متواتر، قال الناظم:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبَ وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ
وَرُؤْيَا شَفَاعَةً وَالْحَوْضُ وَمَسَّحُ حُفَّيْنِ، وَهَدَى بَعْضُ

ثُمَّ قَالَ الْمَوْلَفُ:

١٢٨٤- وَتَصِيرُ أَبْصَارُ الْعِبَادِ نَوَاطِرًا حَقًّا إِلَيْهِ رُؤْيَا بَعِيَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] أَيْ: تَنْظُرُ إِلَيْهِ.

١٢٨٥- لَا رَيْبَ أَمَّهُمْ إِذَا قَالُوا بِذَا لَزِمَ الْعُلُوُّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

يَعْنِي: إِذَا قَالُوا بِثبُوتِ الرَّؤْيَا لَزِمَهُمْ لَزُومًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَالِيًّا، كَمَا سَبَقَ فِي الْجِهَاتِ الْخَمْسِ أَنَّهَا مَمْتَنَةٌ.

١٢٨٦- وَيَكُونُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلًّا جَلَالُهُ فَلِذَاكَ نَحْنُ وَحِزْبُهُمْ حَضَامِنِ

قَوْلُهُ: «نَحْنُ» يَعْنِي: الْمُعْتَزِلَةَ وَالْأَشَاعِرَةَ.

قَوْلُهُ: «وَحِزْبُهُمْ» أَيْ: الْمُجَسِّمَ - عَلَى زَعْمِهِمْ - وَمِنْهُمْ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

١٢٨٧- لَكِنَّا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ إِذْ تَسَا عَدْنَا عَلَى نَفِي الْعَلَا الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ» يَعْنِي: نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ بَيْنَا سِلْمٌ، لَا حَرْبَ، لِأَنَّ نَا سَاعَدْنَا عَلَى نَفِي الْعُلُوِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالْمَسَاعِدُ لِلْمُبْطِلِ عَلَى بَاطِلِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِلْمٌ، لَكِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ بَيْنَهُ

وبينه حربٌ، كما قَالَ تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وَقَالَ تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

١٢٨٨- فَعُلُوهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا دِيَانَ
أعوذ بالله، يقولون: (عُلُوهُ عَيْنُ الْمُحَالِ)، ونحن نقول: عُلُوهُ عَيْنُ الْكَمَالِ،
فَعُلُوُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا شَكَّ أَنَّهُ عَيْنُ الْكَمَالِ، وَأَنَّهُ مِنْ كَمَالِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ
شَيْءٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

١٢٨٩- لَا تَنْصِبُوا مَعَنَا الْخِلَافَ فَمَا لَهُ طَعْمٌ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سِلْمَانِ
١٢٩٠- هَذَا الَّذِي -وَاللَّهِ- مُودَعٌ كُنْتُمْ هَذَا فَاَنْظُرْ تَرَى يَأْمَنُ لَهُ عَيْنَانِ
يعني: لَا تُخَالِفُونَا، وَلَا تُتَازَعُونَا، لِأَنَّ الْخِلَافَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ، إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ
بِخِلَافٍ.

قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ... سِلْمَانِ» أَي: مُسَالِمٌ بَعْضُنَا بَعْضًا.

وهنا مسألة: هل هؤلاء يكفرون إن كانوا متأولين أو لا؟

الجواب: هم مثل غيرهم، فكلُّ قولٍ مُكْفِرٍ لَا بُدَّ أَنْ تَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ قَالَ
بِهِ مِثْلَ غَيْرِهِمْ، يَعْنِي: لَوْ قَرَضْنَا أَنَّ عِنْدَهُمْ شُبُهَاتٍ يُعْذَرُونَ بِهَا مَا كَفَرْنَا بِهِمْ، لِأَنَّ
هَنَّاكَ فَرْقًا بَيْنَ التَّكْفِيرِ بِالْعَيْنِ وَالتَّكْفِيرِ بِالْوَصْفِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ يُفَرِّقُ فِيهِ بَيْنَ
الْعَيْنِ وَالْوَصْفِ، فَلَوْ قُلْتُمْ: (مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)، فَهَذَا صَحِيحٌ، لَكِنْ
لَا تَقُلْ عَنِ الَّذِي قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ: إِنَّهُ شَهِيدٌ، بَلْ تَقُولْ: يُرْجَى أَنْ يَكُونَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ، أَمَّا أَنْ تَشْهَدَ لَهُ بِعَيْنِهِ بِأَنَّهُ شَهِيدٌ، فَلَا تَدْرِي.

فهذا الرجل الذي قَالَ الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»^(١)، مع أنه كان لا يَدْعُ فَاذَّةً وَلَا شَاذَّةً لِلْعَدُوِّ إِلَّا أَتَى بِهَا، ومع ذلك قال: «إِنَّهُ فِي النَّارِ».

وخطبَ عمرُ بنُ الحَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاِحِلَتَهُ -يَعْنِي: مِنَ الْغُلُولِ- أَلَا لَا تَقُولُوا ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٢)، فقال: (من مات) على سبيلِ العموم.

ولهذا نَقُولُ: كُلُّ مُؤْمِنٍ فِي الْجَنَّةِ، وَنَشْهَدُ بِذَلِكَ، لَكِنْ لَوْ رَأَيْنَا رَجُلًا مُؤْمِنًا فِي ظَاهِرِهِ هَلْ نَشْهَدُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟ الْجَوَابُ: لَا، فَقَدْ بَيَّنَّ الرَّسُولُ -عليه الصلاة والسلام- «أَنَّ الرَّجُلَيْنِ يَهَاجِرَانِ أَحَدُهُمَا: هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالثَّانِي: هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا»^(٣) وما يُدْرِينَا لَعَلَّ هَذَا الَّذِي يُقَاتِلُ يُقَاتِلُ لِأَجْلِ الدُّنْيَا.

ولهذا قَالَ شيخُ الإسلامِ فِي عَكْسِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْجُنُودِ تَوَقَّفُوا عَنْ قِتَالِ التَّتَارِ، قَالُوا: لِأَنَّ التَّتَارَ مَعَهُمْ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ وَمُكْرَهُونَ، فَقَالَ: يَجِبُ قِتَالُهُمْ، حَتَّى الْمُسْلِمُونَ يُقْتَلُونَ، وَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُكْرَهُوا عَلَى الْخُرُوجِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، رقم (٢٧٤٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم (١١٢).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، رقم (٤٧٧٢). والترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، رقم (١٤٢١)، وقال: حسن صحيح. والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه، رقم (٤٠٩٥). وأحمد: (١/١٩٠)، رقم (١٦٥٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية». رقم (١٩٠٧).

يَجُوزُ أَنْ نَقْتَلَهُمْ لِصَالِحِ الْإِسْلَامِ، لَأَنَا لَوْ تَرَكْنَاهُمْ فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ الْمُكْرَهَ مِنْ غَيْرِ الْمُكْرَهِ، فَيَكُونُ حَسَابُهُمْ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى اللَّهِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَنَا، فَإِنَّا نُقَاتِلُ مَنْ وَجَدْنَاهُ فِي صَفِّ عَدُوِّنَا، قَاتِلِنَاهُ وَلَوْ كَانَ مُسْلِمًا، حَتَّى وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ مُكْرَهٌ.

يقول شيخ الإسلام: «ويكون هؤلاء الذين جاءوا مُكْرَهِينَ، وقَاتَلُوا فِي صَفِّ الْكُفَّارِ - وهو يتكلم عن التتار - عند الله شهداء، بناءً على ما في قلوبهم، أما بالنسبة لنا فليس لنا إلا الظاهر، وذكر أثيراً عن العباس بن عبد المطلب لما أسر في بدرٍ قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا، فَقَالَ: «أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، فَأَمَّا ظَاهِرًا مِنْكَ فَكَانَ عَلَيْنَا»^(١).

فكون كل واحد يقول: أنا -والله- مُكْرَهٌ، فممثل هذه المسائل لا يمكن الإحاطة بها، لأنها مبنية على ما في القلوب، ولا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب، ولهذا قال: «باتفاق علماء المسلمين أن الكفار إذا تترسوا بالأسرى المسلمين وخيف على المسلمين من الكفار أن يندفعوا بواسطة الأسرى - لأن المسلمين لا يقتلون أسراهم الذين عند الكفار - فإنه يقتل المسلم الذي تترس به الكافر»^(٢)، فإننا إذا قتلناه فإننا معذورون، وليس علينا إثم، وهو بنفسه أيضاً يكون شهيداً، لأنه قتل لنصرة الحق.

فهذه المسائل - في الحقيقة - مسائل دقيقة، ينبغي للإنسان ألا تأخذه العاطفة في الحكم على هذه الأمور، بل يرجع إلى كلام العلماء، وما قاله أهل العلم في هذه المسائل حتى لا يحكم بالضلال، وهذه مسائل خطيرة جداً، خصوصاً في أحداثنا

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/١٤٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٥٥٢).

هذه، فإن كثيراً من الناس صار ينسى بعض المصائب التي أصابت المسلمين ويتأوه لقوم تترس بهم العدو، نقول: هؤلاء شهداء إذا قتلوا - إن شاء الله - وهم على الإسلام، لكن أن ندع هذا العدو يتترس بما يتترس به من المسلمين، فهذا لا يمكن، وإلا ضاعت الأمور.

المهم أن نقول: إن هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله لا تكفر كل واحد بعينه، ولكن نقول: من أنكر رؤية الله بعد بلوغ الحجّة، فإنه يكون كافراً، لأنه مكذب لله ورسوله، ولما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم.

فصل

- ١٢٩١- هَذَا وَرَابِعَ عَشْرَهَا: إِقْرَارُ سَا
 ١٢٩٢- وَلَقَدْ رَوَاهُ أَبُو رَزِينٍ بَعْدَمَا
 ١٢٩٣- وَرَوَاهُ تَبْلِيغًا لَهُ وَمُقَرَّرًا
 ١٢٩٤- هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ (مَنْ)
 ١٢٩٥- كَلَّا وَلَيْسَ لِي (مَنْ) دُخُولٌ قَطُّ فِي
 ١٢٩٦- دَعُ ذَا فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بِنَفْسِهِ:
 ١٢٩٧- وَاللَّهِ مَا قَصَدَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَ مَعِ
 ١٢٩٨- وَاللَّهِ مَا فَهِمَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ
 ١٢٩٩- يَا قَوْمُ لَفْظُ الِ (أَيْنَ) مُتَمَتِّعٌ عَلَى الرِّ
 ١٣٠٠- وَيَكَادُ قَائِلُكُمْ يُكْفِّرُنَا بِهِ
 ١٣٠١- لَفْظٌ صَرِيحٌ جَاءَ عَنِ خَيْرِ الْوَرَى
 ١٣٠٢- وَاللَّهِ مَا كَانَ الرَّسُولُ بِعَاجِزٍ
 ١٣٠٣- وَالِ (أَيْنَ) أَحْرَفُهَا ثَلَاثٌ وَهِيَ ذُو
 ١٣٠٤- وَاللَّهِ مَا الْمَلِكَانِ أَفْصَحُ مِنْهُ إِذْ
- ئِلَيْهِ بِلَفْظِ الِ (أَيْنَ) لِلرَّحْمَنِ
 سَأَلَ الرَّسُولَ بِلَفْظِهِ بِوِزَانٍ
 لَمَّا أَقْرَبَهُ بِأَلَا نُكْرَانِ
 لَكِنْ جَوَابُ اللَّفْظِ بِالْمِيزَانِ
 هَذَا السِّيَاقِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
 أَيَّنَ الْإِلَهِ؟ لِعَالِمٍ بِلِسَانِ
 نَاهَا الَّذِي وُضِعَتْ لَهُ الْحَقَائِنِ
 وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَضْدِ بَيَانِ
 رَحْمَنِ عِنْدَكُمْ وَذُو بُطْلَانِ
 بَلْ قَدْ وَهَذَا غَايَةُ الْعُدْوَانِ
 قَوْلًا وَإِقْرَارًا هُمَا نَوْعَانِ
 عَنِ لَفْظِ (مَنْ) مَعَ أَتْمَاهَا حَرْفَانِ
 لَبْسٍ وَ (مَنْ) هِيَ غَايَةُ التَّبْيَانِ
 فِي الْقَبْرِ مَنْ رَبُّ السَّمَاءِ يَسْلَانِ

- ١٣٠٥- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللَّهُ؟ يَعْنِي: (مَنْ) فَلَا وَاللَّهُ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ
 ١٣٠٦- كَلَّا وَلَا مَعْنَاهُمَا أَيْضًا لِذِي لُغَةٍ وَلَا شَرْعٍ وَلَا إِنْسَانِ

الشرح

- ١٢٩١- هَذَا وَرَابِعَ عَشْرَهَا: إِقْرَارُ سَا ثَلَاثَةٌ بِلَفْظِ الْ(أَيْنَ) لِلرَّحْمَنِ
 ١٢٩٢- وَلَقَدْ رَوَاهُ أَبُو رَزِينٍ بَعْدَمَا سَأَلَ الرَّسُولَ بِلَفْظِهِ بِوَرَانِ
 ١٢٩٣- وَرَوَاهُ تَبْلِيغًا لَهُ وَمُقَرَّرًا لَمَّا أَقْرَبَهُ بِإِلَّا نَكْرَانِ

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله - سبحانه وتعالى - وهو إقرار سائله بلفظ الـ(أين) يعني: إقرار النبي ﷺ مَنْ سَأَلَهُ: أَيْنَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ»^(١) يَعْنِي: فِي شَيْءٍ مِنْ جِنْسِ الْغَمَامِ وَنَحْوِهِ.

فهذا السائل قال: أين ربنا؟ والـ(أين) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكان، فأقره النبي ﷺ على هذا السؤال، وأجابه بأنه في عماء، يعني: أنه - سبحانه وتعالى - فوق كل شيء، وحواله هذا الذي يكون في عماء من جنس السحاب الخفيف.
 وكذلك أيضًا هو نفسه سأل الجارية فقال لها: «أَيْنَ اللَّهُ؟» فقالت: فِي السَّمَاءِ. فَأَقْرَبَهَا^(٢).

فالنبي ﷺ - عليه الصلاة والسلام - أجاب السائل بـ(أين)، وهو نفسه أيضًا وجّه سؤالاً بـ(أين)، (وأين) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكان.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، رقم (٣١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

قَوْلُهُ: «مُقَرَّرًا لِمَا أَقَرَّ بِهِ» وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَقُولَ: (مُقَرَّرًا لِمَا أَقَرَّ بِهِ) يَعْنِي: أَنَّ
الرَّسُولَ قَرَّرَ مَا أَقَرَّ بِهِ.

١٢٩٤- هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ (مَنْ) لَكِنْ جَوَابُ اللَّفْظِ بِالْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ (مَنْ)» لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ
(مَنْ) كَانَ الِاسْتِفْهَامُ هُنَا لَيْسَ عَنِ الْمَكَانِ، بَلْ عَنِ الذَّاتِ (مَنْ اللَّهِ)؟ مَثَلًا، فَيَقُولُ:
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكِنْ (أَيْنَ اللَّهُ)؟ اسْتِفْهَامٌ عَنِ الْمَكَانِ.

١٢٩٥- كَلَّا وَلَيْسَ لـ (مَنْ) دُخُولُ قَطُّ فِي هَذَا السِّيَاقِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

لِمَا قَالَ: أَيْنَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: فِي السَّمَاءِ، مَا يَصِحُّ أَبَدًا أَنْ تَكُونَ (أَيْنَ) هُنَا بِمَعْنَى
(مَنْ)، فَالِاسْتِفْهَامُ لَيْسَ بِلَفْظِ (مَنْ)، وَ(أَيْنَ) لَا تَصِحُّ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (مَنْ).

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٢٩٦- دَعُ ذَا فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بِنَفْسِهِ: أَيْنَ الْإِلَهِ؟ لِعَالِمِ بِلِسَانِ

قَوْلُهُ: «أَيْنَ الْإِلَهِ» يُخَاطَبُ مَنْ يَعْرِفُ اللُّغَةَ، أَي: مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِاللِّسَانِ،
يُخَاطَبُ امْرَأَةٌ عَرَبِيَّةٌ وَيَقُولُ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهُ؟»^(١).

١٢٩٧- وَاللَّهُ مَا قَصَدَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَ مَعَهَا الَّذِي وُضِعَتْ لَهُ الْحَقَانِي

١٢٩٨- وَاللَّهُ مَا فَهِمَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَصْدِ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُخَاطَبُ» هُوَ الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

قَوْلُهُ: «وَالْمُخَاطَبُ» يَعْنِي: الْمَرْأَةَ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، رَقْمٌ (٥٣٧).

قَوْلُهُ: «وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَصْدِ بَيَانٍ» وهو بَيِّنٌ، فهناك فرقٌ بين (أَيْنَ) وبين (مَنْ).

١٢٩٩- يَا قَوْمُ لَفْظُ الْ(أَيْنَ) مُتَّبِعٌ عَلَى الرَّحْمَنِ عِنْدَكُمْ وَذُو بَطْلَانٍ

يعني: أن الذين يُنكرون علو الله يقولون: لا يجوزُ أن تقول: أين الله؟ وإذا قلت: أين الله؟ فهذا حرامٌ عليك، بل يقول:

١٣٠٠- وَيَكَادُ قَائِلُكُمْ يُكْفِرُنَا بِهِ بَلْ قَدْ وَهَذَا غَايَةُ الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «يَكَادُ» يَعْنِي: يَقْرُبُ أَنْ يُكْفِرَنَا بِهِ.

قَوْلُهُ: «بَلْ قَدْ» يَعْنِي: بل قد كفّرنا، وقال: مَنْ قال: (أين الله؟) فهو كافرٌ، وعلى رأيهم يكونُ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- كافرًا، ويكونُ مقرّرًا للكُفْرِ.

١٣٠١- لَفْظُ صَرِيحٌ جَاءَ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى قَوْلًا وَإِقْرَارًا هُمَا نَوْعَانِ

قَوْلُهُ: «قَوْلًا» فِي قَوْلِهِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟».

قَوْلُهُ: و«إِقْرَارًا» أَي: فِي جَوَابِهِ لِلسَّائِلِ.

١٣٠٢- وَاللَّهُ مَا كَانَ الرَّسُولُ بِعَاجِزٍ عَنِ لَفْظِ (مَنْ) مَعَ أَتْمَاهَا حَرْفَانِ

١٣٠٣- وَال(أَيْنَ) أَحْرَفُهَا ثَلَاثٌ وَهِيَ ذُو لَبْسٍ وَ(مَنْ) هِيَ غَايَةُ التَّبْيَانِ

ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

الأول: كيف تقولون: إن (أين) بمعنى (مَنْ)؟ هل الرسولُ الذي يستطيعُ أن يقول: (أين) يعجزُ عن (مَنْ)؟ الجوابُ: لا، وإذا كان كذلك، فأيهما أكثرُ حروفًا (أين) أو (مَنْ)؟

الجَوَابُ: (أَيْنَ)، كيف يَعِدُّ عن (مَنْ)، وهي أقلُّ حروفًا، إلى (أَيْنَ) وهي أكثر حروفًا، وهذا هو الثاني.

الثالث: (مَنْ) واضحة في المعنى، (وَأَيْنَ) إذا قُصِدَ بها (مَنْ) صارت ذا لَبْسٍ، لأنَّ حَمَلَ (أَيْنَ) على (مَنْ) بعيدٌ، فلو قُصِدَ المُخاطَبُ بها (مَنْ) لكان مُلَبَّسًا غيرَ مُبَيَّنٍّ.

فذكر - رَحِمَهُ اللهُ - ثلاثة مواضع، كُلُّهَا تَمَنَعُ أَنْ تَكُونَ (أَيْنَ) بمعنى (مَنْ).

١٣٠٤ - وَاللَّهِ مَا الْمَلَكَانِ أَفْصَحُ مِنْهُ إِذْ فِي الْقَبْرِ مَنْ رَبِّ السَّمَاءِ يَسْأَلَانِ

لما أَرَادَ النَّبِيُّ - عليه الصلاة والسلام - (مَنْ) بَيْنَهَا، وقال: إِنَّ الْمَلَكَيْنِ يَسْأَلَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ، يَقُولَانِ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ»^(١)؟ ولا يقولان: أَيْنَ رَبُّكَ؟

فَلَمَّا أَرِيدَ مَعْنَى (مَنْ) عُبِّرَ بـ(مَنْ)، وإذا أُريدَ مَعْنَى (أَيْنَ) عُبِّرَ بـ(أَيْنَ).

فهل تَقُولُونَ أَنْتُمْ: إِنَّ الْمَلَكَيْنِ أَفْصَحُ مِنَ الرَّسُولِ - عليه الصلاة والسلام -؟! لأنَّ هَؤُلَاءِ - والعياذُ بالله - يقولون: إِنَّ مَعْنَى (أَيْنَ اللهُ)؟ يَعْنِي: مَنْ اللهُ؟ ولا شكَّ أَنَّ هَذَا مُتَمَنِّعٌ، لكن هذا مَعْنَى كَلَامِهِمْ، فَيَقَالُ: كيف يُعَبَّرُ الرَّسُولُ بـ(أَيْنَ) بدلًا عن (مَنْ)؟!

إِذَنْ - على رَعْمِكُمْ - الْمَلَكَانِ أَفْصَحُ مِنَ الرَّسُولِ وَأَبْيَنُ، مع الْعِلْمِ بَأَنَّ الْمَلَكَيْنِ يُخَاطَبَانِ الْمَيِّتَ، وهو غيرُ مُكَلَّفٍ، والرَّسُولُ يُبَيِّنُ لِلْأَحْيَاءِ الْمُكَلَّفِينَ، فكيف يُعَبَّرُ بـ(أَيْنَ) عن (مَنْ)؟!

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

١٣٠٥- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللَّهِ؟ يَعْنِي: (مَنْ) فَلَا وَاللَّهُ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَقُولُ: أَيْنَ اللَّهِ؟ يَعْنِي: مَنْ؟» يَعْنِي: هُم يَدْعُونَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الرَّسُولِ: «أَيْنَ اللَّهِ؟» يَعْنِي: مَنْ اللَّهِ؟ كَيْفَ يَرِيدُ (مَنْ اللَّهِ)، وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ؟!

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ» صَدَقَ، فَبَيَّنَهَا فَرَقٌ.

١٣٠٦- كَلَّا وَلَا مَعْنَاهُمَا أَيضًا لِذِي لُغَةٍ وَلَا شَرْعٍ وَلَا إِنْسَانٍ

فَهِيَ مُتْبَايِنَانِ لِفِظًا وَمَعْنَى.

وِخْلَاصَةٌ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ: أَنَّ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- سَأَلَ: «أَيْنَ اللَّهِ؟»^(١) فَقِيلَ: فِي السَّمَاءِ، وَسُئِلَ: «أَيْنَ اللَّهِ؟»، فَقَالَ: فِي السَّمَاءِ، إِذْنُ اللَّفْظُ وَاضِحٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِذَاتِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

فصل

- ١٣٠٧- هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا: الْإِجْمَاعُ مِنْ
 ١٣٠٨- فَالْمُرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتُبِهِمْ
 ١٣٠٩- وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعُهُمْ شَيْخُ الْوَرَى
 ١٣١٠- وَأَبُو الْوَلِيدِ الْمَالِكِيُّ أَيْضًا حَكَى
 ١٣١١- وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا قَدْ حَكَى
 ١٣١٢- وَلَهُ أَطْلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ
 ١٣١٣- هَذَا وَنَقَطُ نَحْنُ أَيْضًا أَنَّهُ
 ١٣١٤- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ
 ١٣١٥- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ
 ١٣١٦- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ
 ١٣١٧- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِتَوْ
 ١٣١٨- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ
 ١٣١٩- فَالرُّسُلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أَصْو
 ١٣٢٠- كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَا جُ وَذَا
- رُسُلِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
 قَدْ صَرَّحُوا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ
 وَالَّذِينَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي
 إِجْمَاعُهُمْ أَعْنِي ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي
 إِجْمَاعُهُمْ عَلَّمَ الْهُدَى الْحَرَّانِي
 لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمِ بِلِسَانِ
 إِجْمَاعُهُمْ قَطْعًا عَلَى الْبُرْهَانِ
 بَبَاتِ الصِّفَاتِ لِخَالِقِ الْأَكْوَانِ
 بَبَاتِ الْكَلَامِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
 بَبَاتِ الْمَعَادِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ
 حَيْدِ الْإِلَهِ وَمَالَهُ مِنْ ثَانِ
 بَبَاتِ الْقَضَاءِ وَمَالَهُمْ قَوْلَانِ
 لِالَّذِينَ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
 فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمِ ذَانِ

- ١٣٢١- فَالَّذِينَ فِي التَّوْحِيدِ دِينَ وَاحِدٌ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
- ١٣٢٢- دِينَ الْإِلَهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ وَلِنَفْسِهِ هُوَ قَيِّمُ الْأَدْيَانِ
- ١٣٢٣- فَمِنَ الْمُحَالِ بِأَنْ يَكُونَ لِرُسُلِهِ فِي وَصْفِهِ خَبْرَانِ مُخْتَلَفَانِ
- ١٣٢٤- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَدْلِ اللَّهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
- ١٣٢٥- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ أَيْضًا دَعَاوًا لِلْخَمْسِ وَهِيَ قَوَاعِدُ الْإِيمَانِ
- ١٣٢٦- إِيْمَانُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- ١٣٢٧- وَبِجُنْدِهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأَلَى هُمْ رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ
- ١٣٢٨- هَذِي أَصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أُصُولُ لُ الْخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الْهَمْدَانِي
- ١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلْإِعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ
- ١٣٣٠- وَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ وَنَفْيُهُمْ لِعُلُوِّهِ وَالْقَوُوقِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٣٣١- وَكَذَلِكَ نَفْيُهُمْ لِرُؤُوسِنَا لَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
- ١٣٣٢- وَنَفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ الَّذِي سَبَقَ الْكِتَابُ بِهِ هُمَا حَتْمَانِ
- ١٣٣٣- مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ وَخَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي لَطَى النَّيْرَانِ
- ١٣٣٤- وَلَا أَجْلِيهَا نَفَوْا الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ وَرَمَوْا رُؤَاةَ حَدِيثِهَا بِطِعْمَانِ
- ١٣٣٥- وَلَا أَجْلِيهَا قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِضْيَانِ
- ١٣٣٦- وَلَا أَجْلِيهَا قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِيمَانِ ذِي الْكُفْرَانِ

- ١٣٣٧- وَلَا أَجْلَهَا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشَّـ
شَرَعَ الْمُحَالِ شَرِيعَةَ الْبُهْتَانِ
١٣٣٨- وَلَا أَجْلَهَا هُمْ يُوجِبُونَ رِعَايَةً
لِلْأَصْلَحِ الْمَوْجُودِ فِي الْإِمْكَانِ
١٣٣٩- حَقًّا عَلَى رَبِّ الْوَرَى بِعُقُولِهِمْ
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ!

الشرح

- ١٣٠٧- هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا: الْإِجْمَاعُ مِنْ
رُسُلِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
١٣٠٨- فَالْمُرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتُبِهِمْ
قَدْ صَرَّحُوا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ
١٣٠٩- وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعَهُمْ شَيْخُ الْوَرَى
وَالدِّينِ عَبْدُ الْقَادِرِ الْحِيلَانِي
هذا هو الدليل الخامس عشر في إثبات علو الله، وهو إجماع الرسل على
إثباته.

قَوْلُهُ: «وَخَامِسَ عَشْرَهَا» يَجُوزُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ ثَلَاثَةٌ أَوْ جِهَةٌ:

الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: إِعْرَابُ الطَّرْفَيْنِ، فَتَقُولُ: (هَذَا وَخَامِسُ عَشْرَهَا)، وَهَذَا هُوَ
مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ.

الْوَجْهَ الثَّانِي: إِعْرَابُ الثَّانِي، وَبِنَاءِ الْأَوَّلِ، فَتَقُولُ: (هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا)
(وَخَامِسَ) مُضَافٌ، وَ(عَشْرًا) مُضَافٌ إِلَيْهِ.

الْوَجْهَ الثَّلَاثُ: الْبِنَاءُ عَلَى الْفَتْحِ فِي الْجُرْءَيْنِ، فَتَقُولُ: (هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا).

إِذْ نَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: (خَامِسُ عَشْرَهَا) أَوْ (خَامِسَ عَشْرَهَا) أَوْ (وَخَامِسَ
عَشْرَهَا).

قَوْلُهُ: «عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي»^(١) عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ إِمَامٌ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ، زَاهِدٌ نَاسِكٌ، مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فَقَدْ حَكَى أَنَّ اسْتِوَاءَ اللهِ عَلَى الْعَرْشِ مَذْكُورٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ عَلَوَّ اللهِ مَوْجُودٌ فِي الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ، فَهَذَا فِرْعَوْنُ يَقُولُ لِهَامَانَ: ﴿ابْنَ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى قَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

١٣١٠- وَأَبُو الْوَلِيدِ الْمَالِكِي^(٢) أَيْضًا حَكَى إِجْمَاعَهُمْ أَعْنِي ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي -رَحِمَهُ اللهُ- مَالِكِي الْمَذْهَبِ، وَهُوَ رَجُلٌ مَذْهَبُهُ مَذْهَبُ سَلْفِيٍّ، أَمَّا ابْنُ رُشْدِ الْأَوَّلِ فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ مَذَاهِبِ الْفَلَسَفَةِ.

١٣١١- وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا قَدْ حَكَى إِجْمَاعَهُمْ عَلَّمَ الْهُدَى الْحَرَّانِي قَوْلُهُ: «أَبُو الْعَبَّاسِ» هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللهُ- يُكْنَى أَبُو الْعَبَّاسِ، وَهَلْ يُكْنَى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ؟

الْجَوَابُ: لَا، لِأَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ، لَكِنَّ الْمُزَوَّرِينَ زَوَّجُوهُ، فَإِذَا ذَهَبَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأُمَوِيِّ، قَالُوا: أَتَرَعْبُ أَنْ تَزُورَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ وَابْنَهُ؟ فَإِذَا قُلْتَ: أَرَعْبُ أَنْ أَسْلَمَ عَلَيْهِ، وَأَدْعُو لَهُ، قَالُوا: هَذَا قَبْرُهُ، وَهَذَا قَبْرُ ابْنِهِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠).

(٢) أبو الوليد المالكي هو: محمد بن أحمد، من أهل قرطبة، ولد سنة (٥٢٠هـ)، كان المنصور المؤمني يُجلبه، فرماه خصومه عنده بالزندقة، فنفاه إلى مراكش، ثم رضي عنه، وأذن له بالعودة إلى وطنه، فعاجلته الوفاة بمراكش سنة (٥٩٥هـ) ونُقلت جثته إلى قرطبة. [الشارح]. انظر: ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٣٠٧/٢١).

يَتَزَوَّجُ إِطْلَاقًا، وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَى الْمَزُورِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْعِرَاقِ، وَجَعَلُوهُ فِي الشَّامِ، وَجَعَلُوهُ فِي مِصْرَ.

١٣١٢- وَلَهُ إِطْلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِلِسَانِ قَوْلُهُ: «لَهُ» أَي: لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَهُوَ إِطْلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِلِسَانِ.

وَصَدَقَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَإِنَّ مَنْ رَاجَعَ كُتُبَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ يَأْخُذُهُ الْعَجْبُ الْعُجَابُ فِي كَثْرَةِ مَا يَنْقَلُ عَنْهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَهَذَا مِنْ هِبَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَهُ، أَنْ وَهَبَهُ حِفْظًا رَاسِخًا، وَكَأَنَّهُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- لَا يَنْسَى، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعِدَّ هَذِهِ الْكُتُبَ الَّتِي يَنْقَلُ مِنْهَا لَنْسِيَهَا فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ هُوَ يَنْقَلُ عِبَارَاتِهَا، لَكِنَّ فَضَلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، نَسَأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَعْطَاهُ مِنْ فَضْلِهِ إِلَّا يَجْرِمَنَا.

١٣١٣- هَذَا وَنَقَطَعُ نَحْنُ أَيْضًا أَنَّهُ إِجْمَاعُهُمْ قَطْعًا عَلَى الْبُرْهَانِ أَيْضًا هُوَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقْطَعُ بِإِجْمَاعِ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

١٣١٤- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِخَالِقِ الْأَكْوَانِ أَي: أَنَّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

١٣١٥- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْكَلَامِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ مُجْمِعُونَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ، يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ يَسْمَعُونَهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُنَادِيهِمْ، وَيَسْمَعُونَ نِدَاءَهُ.

١٣١٦- وَكَذَلِكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْمِ بَاتِ الْمَعَادِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ
ولهذا لا يُنْكَرُ الْمَعَادَ أَحَدٌ يَنْتَسِبُ إِلَى دِينِ سَمَائِيٍّ أَبَدًا، حَتَّى الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى يُقَرُّونَ بِالْمَعَادِ، وَأَنَّ هُنَاكَ جَنَّةٌ وَنَارًا، وَأَنَّ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَ، وَالنَّارَ لِمَنْ
عَصَى.

١٣١٧- وَكَذَلِكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِتَوْ حِيدِ الْإِلَهِ وَمَالِهِ مِنْ ثَانِ
لا شك في هذا أيضًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

١٣١٨- وَكَذَلِكَ نَقْطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْمِ بَاتِ الْقَضَاءِ وَمَالِهِمْ قَوْلَانِ
قَوْلُهُ: «إِثْبَاتِ الْقَضَاءِ» أَي: إِثْبَاتِ قَضَاءِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ
لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا تَمَجُّدُهُمْ يَذْكُرُونَ هَذَا فِي مُحَاجَّةِ قَوْمِهِمْ، وَأَنَّ هَذَا مِنْ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى- وَهُوَ الَّذِي قَدَّرَهُ.

١٣١٩- فَالرُّسُلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أَصُولِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
أَصُولِ الدِّينِ الَّتِي لَا تَتِمُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهَا مُتَّفِقُونَ عَلَيْهَا، وَأَمَّا الشَّرَائِعُ
وَالْمَنْهَاجُ الَّذِي يَسِيرُ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي عِبَادَاتِهِمْ مِنْ كَيْفِيَّةٍ، أَوْ عَدَدٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ
الرُّسُلَ مُخْتَلِفِينَ فِيهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَهِيَ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ،
قَالَ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

١٣٢٠- كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَا جَا وَذَا فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمْ ذَانَ
وهذه فائدة عظيمة، فاختلفوا في المأمور، لا في الخبر، أمَّا في التوحيد فلم
يختلفوا، بمعنى أن بعضهم يؤمر بشيء، ويؤمر الآخر بخلافه، يحل له شيء،

وَيُخَرِّمُهُ الْآخِرُ، قَالَ عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

قَوْلُهُ: «فَافْهَمَ ذَان» (ذَان) الْمَشَارُ إِلَى الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ، أَوْ إِنْ شِئْتَ فَقُلْ: الْأَخْبَارُ وَالْأَوَامِرُ، فَالْأَخْبَارُ مُتَّفِقُونَ عَلَيْهَا، وَهِيَ أَصُولُ الْإِيمَانِ السَّتَّةُ، لَكِنَّ الْأَوَامِرَ تَخْتَلِفُ.

١٣٢١- فَالَّذِينَ فِي التَّوْحِيدِ دِينَ وَاحِدٌ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ

١٣٢٢- دِينَ الْإِلَهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ وَلِنَفْسِهِ هُوَ قِيمُ الْأَدْيَانِ

يعني: أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَخْتَارُ الدِّينَ لِلْعِبَادِ حَسَبَ مَا يُصْلِحُهُمْ، وَذَلِكَ فِي الشَّرَائِعِ وَالْمِنَاجِ، وَأَمَّا فِي الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ فَإِنَّهُ وَاحِدٌ.

١٣٢٣- فَمِنَ الْمُحَالِ بِأَنْ يَكُونَ لِرُسُلِهِ فِي وَصْفِهِ خَبْرَانِ مُخْتَلِفَانِ

وهذا صحيح، فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يُوجَدَ فِي كُتُبِ اللَّهِ، أَوْ فِيهَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ خَبْرَانِ مُخْتَلِفَانِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ، فَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَبَدًا، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ.

فمَثَلًا لَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَ اللَّهُ يُنَزِّلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَهَذَا يُنَافِي الْعُلُوفَ؟

قُلْنَا: لَا يَنَافِيهِ، لِأَنَّ كَوْنَهُ فِي الْعُلُوفِ ثَابِتٌ بِخَيْرٍ، وَنَزْوُلُهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثَابِتٌ بِخَيْرٍ، وَالْخَبْرَانِ لَا يَتَنَاقِضَانِ، لِأَنَّا لَوْ جَوَّزْنَا تَنَاقُضَ الْخَبْرَيْنِ لَجَوَّزْنَا أَنْ أَحَدَهُمَا كَاذِبٌ، وَهَذَا مُحَالٌ، وَلَكِنْ يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَزْوُلِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ.

١٣٢٤- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَدْلِ اللَّهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
هذا أيضًا نقطعُ به، فالعدلُ بين الخلقِ في الشرع، وفي القضاءِ الدنيويِّ
والأخرويِّ.

فهذه ثلاثة أمورٍ: عدلٌ في الشرع، وعدلٌ في القضاءِ الدنيويِّ، وفي القضاءِ
الأخرويِّ.

فالغنيُّ إذا سَرَقَ يُقَطَعُ كما يُقَطَعُ الفقيرُ، والشريفُ إذا سَرَقَ يُقَطَعُ كما يُقَطَعُ
الوضيعُ، وكلُّ إنسانٍ تَجِبُ عليه الصلواتُ الخمسُ مثلًا، وكلُّ غنيٍّ تَجِبُ عليه
الزكاةُ، وكلُّ فقيرٍ مُستحقٌّ للزكاةِ يُعطَى من الزكاةِ.

وفي الآخرةِ كذلك، الجزاءُ بحسبِ الأعمالِ، لا بحسبِ الشرفِ والجاهِ،
وهذا عدلٌ.

ولهذا لا يُوجدُ شيءٌ -أبدًا- من الشريعةِ يَخْتَصُّ بشخصٍ لِعَيْنِهِ حتَّى قول
الرسول -عليه الصلاة والسلام- لأبي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ^(١) لَمَّا قَالَ: إِنَّ عِنْدَهُ عَنَاقًا^(٢)
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ شَاتَيْنِ، وَكَانَ قَدْ ذَبَحَ أَضْحِيَّتَهُ قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ -عليه
الصلاة والسلام- أَنَّ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلَا نُسُكَ لَهُ، وَكَانَ جَاهِلًا، فَذَبَحَ قَبْلَ
أَنْ يُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْكُلَ هُوَ وَأَهْلُهُ وَجِيرَانُهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ نُسُكٌ، شَاتُكَ شَاءَ
لَحْمٍ»، وهذا فيه فائدةٌ عظيمةٌ أَنَّ مَنْ فَعَلَ الْعِبَادَةَ الْمُؤَقَّتَةَ قَبْلَ وَقْتِهَا -ولو كان
جاهلًا- فَإِنَّ ذِمَّتَهُ لَا تَبْرَأُ بِذَلِكَ، وَلَا يَنَافِي هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لِأَنَّ هَذَا انْتَفَى عَنْهُ الْإِثْمُ، وَهُوَ الْمُؤَاخِذَةُ، لَكِنْ هُوَ
لَا زَالَ الْآنَ مُطَالِبًا بِفِعْلِ الْعِبَادَةِ، فَيَفْعَلُهَا وَلَا بُدَّ.

(١) انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣١).

(٢) هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: عنق.

المهمُّ أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- لما قال له: «شأتك شاة لحم»، فقال: يا رسول الله، فإنَّ عندنا عناقًا -يعني: عنزًا لها أربعة أشهر أو نحو ذلك- هي أحبُّ إليَّ من شاتين، أفتجزئ عني، قال: «نعم، ولن تجزئ عن أحدٍ بعدك»^(١).

لو أن أحدًا ضحى بعناقٍ فإنَّ أضحيتَه لا تجزئ، لأنَّها لم تبلغ السنَّ، فلم تكن ثنية^(٢)، لكن هذا قال له الرسول ﷺ: «لن تجزئ عن أحدٍ بعدك»، فقال بعض العلماء: إنَّ هذا حكمٌ خاصٌّ بالرجل لا يتعداهُ إلى غيره، لأنَّ قول الرسول ﷺ: «لن تجزئ عن أحدٍ بعدك» صريحٌ في ذلك.

ولكنَّ بحر العلوم ابن تيمية -رحمه الله- أبقى ذلك، وقال: أيُّ سببٍ يختصُّ بهذا الرجل بعينه؟! هذا شرعٌ، وليس جزاءً، حتى الجزاء يتساوى فيه الناس، فكيف؟ قال: إنَّ المراد بقوله: «لن تجزئ عن أحدٍ بعدك» أي: بعد حالك، يعني: لن تجزئ عن أحدٍ إلا مَنْ كانت حاله مثل حالك، فإذا وُجد شخصٌ انطبقت حاله على حالِ أبي بردة أجزأت عنه العناق.

وكلامه -رحمه الله- أصحُّ، لأنَّه هو الموافق للقاعدة الشرعية العامة.

١٣٢٥- وكذلك نقطعُ أنَّهم أيضًا دعواُ للحمسِ وهي قواعِدُ الإيمانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب العيدين، باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد، وإذا سئل الإمام عن شيء وهو يخطب، رقم (٩٤٠)، ومسلم: كتاب الأضاحي، باب وقتها، رقم (١٩٦١).
(٢) الثنية من الغنم ما دخل في السنة الثالثة، ومن البقر كذلك، ومن الإبل في السادسة، والذكر ثني، وعلى مذهب أحمد بن حنبل: ما دخل من المعز في الثانية، ومن البقر في الثالثة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: ثنا.

ثُمَّ ذَكَرَهَا بِقَوْلِهِ:

١٣٢٦- إِيْمَانُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

١٣٢٧- وَبِجُنْدِهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأُولَى هُمْ رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ

فهذه خمسُ قواعدٍ للإيمان، لكن قد يقول قائل: إن ابن القيم مُقَصِّرٌ، لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْقَاعِدَةَ السَّادِسَةَ، وَهِيَ الْإِيْمَانُ بِالْقَدَرِ، فَمَاذَا نُجِيبُ؟

الْجَوَابُ: نَقُولُ: ذَكَرَهَا -رَحِمَهُ اللهُ- مِنْ قَبْلُ فِي قَوْلِهِ:

وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْقَضَاءِ وَمَا لَهُمْ قَوْلَانِ

لَكِنَّهُ افْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْخَمْسِ لِيُرَدَّ بِهَا عَلَى قَوَاعِدِ خَمْسٍ لِلْمُعْتَزِلَةِ، فَخَمْسٌ بِخَمْسٍ، وَهَذَا قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٣٢٨- هَذِي أُصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أُصُولُ الدِّينِ لِلْقَاضِيِ هُوَ الْهَمْدَانِي^(١)

١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلْإِعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا أُصُولُ الْمُعْتَزِلَةِ عِنْدَهُمْ خَمْسَةٌ، وَهِيَ:

الأول: التوحيد، فقالوا: هذه قاعدةٌ من قواعدِ الدين، وهذا صحيحٌ، فالتوحيد هو أصلُ الأصولِ.

الثاني: العدل، وهذا صحيحٌ، فالعدلُ من قواعدِ الإسلامِ.

الثالث: المنزلةُ بين منزلتين، يَعْنِي: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، وَلَا يَكُونُ

(١) القاضي الهمداني هو: عبد الجبار بن أحمد الهمداني، شيخ المعتزلة في عصره، يلقبونه قاضي القضاة، ولي القضاء بالري، ومات فيها سنة (٤١٥هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/٢٤٤).

كافراً، لأنَّ فيه خصالَ كفرٍ، فلا نقولُ له: أنت مؤمنٌ، ولا نقولُ له: أنت كافرٌ، بل أنت بينهما.

الرابع: إنفاذُ الوعيد، قالوا: لأنَّ خبرَ الله صِدْقٌ، وخبرَ رسوله صِدْقٌ، فإذا كانَ مُدْمِنُ الخَمْرِ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ^(١) فِصِدْقٌ، هكذا قَالَ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-.

الخامس: الأمرُ بالمَعْرُوفِ والنهي عن المُنْكَرِ، وهذا صحيحٌ، فهذا من القواعدِ أيضاً.

قُلْنَا: والله هذه قواعدٌ جيِّدةٌ، إذا قرأها الإنسانُ قال: ما أحسنَ هذه القَوَاعِدَ! لكنَّهُم يَعْنُونَ بالتوحيدِ ألا تُثَبَّتَ لله صِفَةٌ، فأَيُّ إنسانٍ يُثَبَّتَ لله صِفَةٌ فهو مُشْرِكٌ، فليسَ لله سَمْعٌ، ولا بَصَرٌ، ولا قَدْرَةٌ، ولا كَلَامٌ، ولا شَيْءٌ، لأنك إذا أثبتَ صِفَةً أثبتَ معَ الله إلهاً، إذ إنَّك إذا قُلْتَ: هذه الصِّفَةُ قَدِيمَةٌ -يَعْنِي: لم تزل- فقد جعلتها معَ الله إلهاً، وأنت الآن كم صفاتِ الله عندك؟ يقول: صفاتِ الله لا تُحْصَى، فيقول: أنت أكفرُ من النصارى، لأنَّ النصارى جعلوا الله ثلاثةً، وأنت جعلته ثلاثين ألفاً أو أكثر، فأنت أكفرُ منهم، إذن أنكرَ الصِّفَةَ.

فإن قُلْتَ: إنَّ لله صفاتٍ غيرَ قَدِيمَةٍ، لَزِمَكَ أن تقولَ بوقوعِ الحوادثِ في الله أو بحُلُولِ الحوادثِ بالله، وحينئذٍ نقولُ: الحوادثُ لا تقومُ إلاَّ بحادثٍ، فتكونُ قد أنكرتَ أزليةَ الله.

فصار توحيدهم تعطيلًا وجحدًا للخالق عزَّ وجلَّ، لأنَّ وجودَ ذاتٍ مُجَرَّدَةٍ عن الصفاتِ أمرٌ مُستحيلٌ، إذن وجودُ الله على قاعدتهم مُستحيلٌ.

(١) أخرجه النسائي: كتاب الأشربة، باب الرواية في المدمنين في الخمر، رقم (٥٦٧٢)، وابن ماجه: كتاب الأشربة، باب مدمن الخمر، رقم (٣٣٧٦).

انظر ماذا يعنون؟ مع أنك أول ما تسمع (التوحيد) تقول: ما شاء الله، من أحسن شيء.

الثاني: العدل، يعني: أن الله عز وجل عدل، فنقول: صحيح، لكن أتدرون ماذا يقولون؟ يقولون: إن الله عدل، إذن ليس له علاقة بفعل العبد، لأنه ليس من العدل أن يدبر للعبد ثم يعاقبه، وبناء على العدل أنكروا القدر، وقالوا: إن الله - سبحانه وتعالى - لم يقدر أعمال العباد، ولا يقدر على أن يجعل الكافر مؤمناً، ولا المؤمن كافراً، ولا العاصي عدلاً، ولا العدل عاصياً، فلا يقدر على هذا، لأنك لو قلت: إن الله قادر على ذلك، وأن الله هو المدبر، فقد وصفت الله بالجور، وأنشدوا على ذلك:

أَلْقَاهُ فِي السِّمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالسَّمَاءِ^(١)

(والسيم) يعني: البحر، والدليل قوله تعالى: ﴿فَاعْرِقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وهذا محال، فلا بد أن يبتل، إلا إذا كان عليه كيس من البلاستيك، فهذا يمكن ألا يبتل، لكن هذا غير موجود.

هم يقولون: كيف يأمرنا الله بشيء، ويكون فعلنا لهذا الشيء أو تركنا لهذا الشيء بتقديره ثم يعاقبنا؟ يقولون: هذا ظلم، وهو محال على الله، إذن فيلزم أن تكون أفعالنا مستقلة، ليس لله فيها تدخل، هذا يسمونه العدل.

إذن الذي ينبغي على العدل عندهم إنكار القدر بالنسبة لفعل العبد، وغريب هذا العدل، لأن هذا العدل يتضمن تكذيب الله عز وجل، وهل من العدل أن يكذب الله ورسله؟! الجواب: أبداً.

(١) البيت في نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين التلمسان (٥/ ٢٩٢) بلا نسبة.

الثالث: المنزلة بين مَنزَلَتَيْنِ - وأظنُّ بعضَهم يجعلُ بدلَها وُجوبَ فِعْلِ الأصلحِ، أو الصَّلاحِ على الله - يَعْنِي: أَنَّ العاصِيَ الذي لا تَصِلُ مَعْصِيَتُهُ إلى الكُفْرِ لا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إنه مؤمنٌ، ولا أَنْ نَقُولَ: إنه كافرٌ، بل هو في منزلةٍ بين مَنزَلَتَيْنِ، كَرَجُلٍ سَافَرَ مِنَ المَدِينَةِ إلى مَكَّةَ، فهو في أَثناءِ الطَرِيقِ لا نَقُولُ: إِنَّه من أَهلِ مَكَّةَ، ولا من أَهلِ المَدِينَةِ، بل هو في منزلةٍ بين مَنزَلَتَيْنِ.

هذا الإنسانَ لَمَّا فَعَلَ الكَبِيرَةَ خَرَجَ مِنَ الإِيانِ، لَكِن لَمَّا كَانَ مَعَهُ بَعْضُ الإِيانِ لَمْ يَصِلْ إلى الكُفْرِ، فَكَانَ فِي مَنزَلَةٍ بَيْنَ مَنزَلَتَيْنِ.

وَبِنَا عَلَى هَذَا أَنَّهُ لَا تَنْفَعُ فِيهِ الشِّفَاعَةُ، لِأَنَّهُمْ يُنْفِذُونَ الوَعِيدَ، كَمَا سَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللهُ - فِي إِنْفَاذِ الوَعِيدِ.

أَمَّا فِي مَسْأَلَةِ وُجوبِ الصَّلاحِ والأَصْلَحِ عَلَى اللهُ، فَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَصُولِهِمْ، يَقُولُونَ: يَجِبُ عَلَى اللهُ أَنْ يَفْعَلَ الأَصْلَحَ، قَالُوا: لِأَنَّهُ حَكِيمٌ، وَالْحَكِيمُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا الأَصْلَحَ، لِأَنَّ العُدُولَ عَنِ الأَصْلَحِ إِلَى مَا دُونَهُ يُنَافِي الحِكْمَةَ، إِذَنْ يَجِبُ عَلَى اللهُ أَنْ يَفْعَلَ الأَصْلَحَ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ الصَّلاحَ.

وهذا القولُ - وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ حَقًّا - لَكِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ الحَقَّ، لِأَنَّا نَقُولُ: مَا مِيزَانُ الأَصْلَحِ أَوْ الصَّلاحِ؟ إِنْ كَانَ عَقولُكُمْ، فَإِنَّ قَوْلَكُمْ هَذَا باطِلٌ، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا هُوَ الأَصْلَحُ مِنْ غَيْرِهِ؟ وَإِنْ كَانَ الأَصْلَحُ هُوَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَةُ اللهُ، فَهَذَا لَيْسَ إِلَيْكُمْ، وَلَسْتُمْ الَّذِينَ أَوْجَبْتُمُوهُ عَلَى اللهُ، بَلْ إِنْ اللهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللهُ لَا يُجِبُ المُفْسِدِينَ، وَيُجِبُ المُصْلِحِينَ، وَيُجَازِيهِمْ.

ولهذا نَقُولُ لَهُمْ: رَجُلٌ لَهُ ثَلَاثَةٌ أَوْلَادٍ: مَاتَ الوَلَدُ الأوَّلُ، وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ، وَمَاتَ الثَّانِي بَعْدَ البُلُوغِ، وَمَاتَ الثَّلَاثُ بَعْدَ أَنْ عُمِّرَ طَوِيلًا، مَوْتُ الأوَّلِ بِالنِّسْبَةِ

لِلوَلَدَيْنِ الْآخَرَيْنِ لَيْسَ فِيهِ صِلَاحٌ وَلَا أَصْلَاحٌ، فَهُوَ وَلَدٌ مِسْكِينٌ، مَا جَاءَهُ صِلَاحٌ وَلَا أَصْلَاحٌ، غَايَةُ مَا هُنَاكَ أَنَّهُ سَلِمَ مِنَ الْإِثْمِ، وَهَذَا هُوَ الْأَوَّلُ.

الثاني: الذي مات بعد البلوغ لكن ما بقي إلا سنة أو سنتين، فهذا حصل له الصِّلَاحُ.

الثالث: الذي طال عمره في طاعة الله، هذا حصل له الصِّلَاحُ وَأَصْلَاحُ.

إِذْنُ الْمَعْنَى - عَلَى زَعْمِكُمْ - لَمْ يَقُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ عِنْدَكُمْ إِلَّا فِي الْإِبْنِ الثَّالِثِ فَقَطُّ.

وهذا قولٌ مُنْكَرٌ، لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ الشَّيْءَ إِلَّا لِلْحِكْمَةِ، لَكِنَّ الْحِكْمَةَ لَسْنَا نَحْنُ مَنْ يَقْرُضُهَا عَلَى اللَّهِ، بَلِ الْحِكْمَةُ يَكُونُ عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بَقِيَّةُ الْكَلَامِ عَلَى أَصُولِهِمُ الْخَمْسَةِ، وَهَذَا هُوَ السَّرُّ فِي أَنَّ ابْنَ الْقِيَمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - جَعَلَ الْقَوَاعِدَ الْخَمْسَ هِيَ خَمْسَةٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلْإِعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ» يَعْنِي: يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ كغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، بَائِنٌ عَنِ اللَّهِ كغَيْرِهِ مِنَ الْبَائِنَاتِ، وَلَيْسَ وَصْفًا لَهُ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ إِضَافَةُ الْمَخْلُوقِ إِلَى خَالِقِهِ، فَ(بَيْتُ اللَّهِ)، وَ(كَلَامُ اللَّهِ) عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ، لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَبَيْتَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ أَيْضًا، وَبَنَوْا عَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ.

١٣٣٠- وَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ وَنَفْيُهُمْ لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ» هَذَا أَيْضًا مِمَّا بَنَوْهُ عَلَى أَصُولِهِمْ، أَوْ عَلَى

قَوَاعِدِهِمُ الْخَمْسِ، فَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ.

قَوْلُهُ: «وَنَفِيهِمْ لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ» هَذَا أَيْضًا مَبْنِيٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ إِثْبَاتَ هَذَا الْعُلُوِّ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ وَالتَّمثِيلَ.

١٣٣١- وَكَذَلِكَ نَفِيهِمْ لِرُؤْيَيْنَا لَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ نَفِيهِمْ لِرُؤْيَيْنَا لَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ» أَيْضًا بَنُوهُ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَوْ رُئِيَ لَكَانَ جَسَمًا، وَهَذَا شَرِكٌ.

١٣٣٢- وَنَفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ الَّذِي سَبَقَ الْكِتَابُ بِهِ هُمَا حَتْمَانِ

١٣٣٣- مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ وَحَلَّدُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي لَظَى النَّيرَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ» وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى الْعَدْلِ.

وَقَوْلُهُ: «هُمَا حَتْمَانِ مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ» يَعْنِي: أَنَّ هَذَا حَتْمٌ لِبِنَائِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ.

قَوْلُهُ: «وَحَلَّدُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي لَظَى النَّيرَانِ» وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى إِنْغَاذِ الْوَعِيدِ.

١٣٣٤- وَلَا أَجْلِيهَا نَفَوْا الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ وَرَمَوْا رُؤَاةَ حَدِيثِهَا بِطَعَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَا أَجْلِيهَا نَفَوْا الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ» هَذَا أَيْضًا مِنْ أَجْلِ إِنْغَاذِ الْوَعِيدِ، لِأَنَّ الْوَعِيدَ إِذَا كَانَ نَافِذًا فَلَا فَائِدَةَ مِنَ الشَّفَاعَةِ فِيهِ.

قَوْلُهُ: «وَرَمَوْا رُؤَاةَ حَدِيثِهَا بِطَعَانِ» الَّذِينَ رَوَوْا أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ طَعَنُوا فِيهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذِهِ أَخْبَارُ أَحَادِيثِ تَنَافِي الْمَقْطُوعِ بِهِ عَقْلًا، فَلَا تَكُونُ مَقْبُولَةً.

وَهَذَا - كَمَا عَلِمْتُمْ - أُسَاسٌ بَنَى عَلَيْهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْبِدْعِ مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ مِنْ

الْبِدْعِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يُخَالِفُ بِدْعَهُمْ يَقُولُونَ: هَذَا خَيْرٌ أَحَادٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنْ أُمُورِ الْقَطْعِيَّاتِ، فَلَا نَقْبَلُ، مَعَ أَنَّ أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ مُتَوَاتِرَةٌ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلشَّفَاعَةِ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ.

أَمَّا الشَّفَاعَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ أَنْ يُقْضَى بَيْنَهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُنْكِرُونَهَا، لِأَنَّهَا شَفَاعَةٌ عَامَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْكَفَّارِ، وَالْفُسَّاقِ، وَالْمُنَافِقِينَ.

١٣٣٥- وَلَا أَجْلَهَا قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِصْيَانِ

لِمَاذَا؟ لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِاللَّهِ، فَالْعَبْدُ إِذَا كَانَ يُرِيدُ الْمَعْصِيَةَ فَلَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى تَعَلُّقٌ فِيهِ، فَلَا يَقْدِرُ اللَّهُ - عَلَى زَعْمِهِمْ - أَنْ يَضْرِبَهُ إِلَى الطَّاعَةِ، وَإِذَا كَانَ يُرِيدُ الطَّاعَةَ لَمْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهُ عَاصِيًا، إِذَنْ هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْعَدْلِ.

١٣٣٦- وَلَا أَجْلَهَا قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِيمَانِ ذِي الْكُفْرَانِ

لَا يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى إِيمَانِ الْكَافِرِ إِطْلَاقًا، فَلَا يَقْدِرُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْكَافِرَ مُؤْمِنًا، وَلَا الْفَاسِقَ مُطِيعًا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ لَا تَعَلُّقٌ لَهُ بِاللَّهِ، فَالْعَبْدُ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ، لَيْسَ لَهُ دَخْلٌ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

١٣٣٧- وَلَا أَجْلَهَا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشَّرِّ

١٣٣٨- وَلَا أَجْلَهَا هُمْ يُوجِبُونَ رِعَايَةَ

كذلك أيضًا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشَّرِّ الْمَحَالِّ، وَهُوَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ الْأَصْلَحَ أَوْ يَفْعَلَ الصَّلَاحَ، قَالُوا: فَإِذَا خَالَفَ فَهُوَ ظَالِمٌ، لِأَنَّهُ تَرَكَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ.

فَحَكَمُوا عَلَى اللَّهِ بِالشَّرِيعَةِ، وَالَّذِي يَحْكُمُ بِالشَّرِيعَةِ هُوَ اللَّهُ، فَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ بِهَا عَلَى الْعِبَادِ، لَا الْعِبَادُ بِهَا عَلَى اللَّهِ.

ونحن نقول: أمّا وجوب الأصلح، فنحن نؤمنُ به، لكن لا نُوجِبُه، بل نؤمنُ به لِأَنَّهُ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ، ولا شكَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَمَامَ الْإِنْسَانِ صَالِحٌ وَأَصْلَحُ، فَالْحِكْمَةُ أَنْ يَتَّبِعَ الْأَصْلَحَ، وَإِذَا كَانَ أَمَامَهُ صَالِحٌ وَفَاسِدٌ فَلْيَتَّبِعِ الصَّالِحَ، لكن لا نوجبه على الله.

نقول: هذا كان واجباً بمقتضى حكمته، وبناءً على ذلك يختلف الفرق بين قولنا هذا وقول المعتزلة، فالمعتزلة يرون أن الأصلح والصالح موكول إلى عقولهم، فإذا وقع فعل الله خلاف ما يرونه أصلح، قالوا: هذا ظلم، أمّا نحن فنقول: إن ميزان الصلاحية والأصلحية ليست عقولنا، بل ميزانها حكمة الله عز وجل.

فمثلاً لو أن الناس أصيبوا بقحطٍ وجذبٍ - القحط: امتناع المطر، والجذب: عدم النبات - وهلكت المواشي، فنحن إذا نظرنا إلى مقتضى العقول القاصرة نقول: هذا ليس بأصلح، بل هذا فساد، ولكن حكمة الله تأبى أن يكون هو الأصلح، لما يترتب عليه من المصالح العظيمة التي قد تظهر الآن لنا، وقد لا تظهر، وقد تظهر بعد زمن، وقد لا تظهر، ونحن قاصرون، فهذا هو الفرق بين قولنا وقول المعتزلة.

١٣٣٩- حَقًّا عَلَى رَبِّ الْوَرَى بِعُقُولِهِمْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ!

لو قالوا: يجبُ على الله فعلُ الأصلحِ بمقتضى الحكمة لا بمقتضى ما تفرّضه عقولنا، لقُلْنَا: هذا صحيح، أمّا بمقتضى العقلِ فنقول: هذا هو الأصلح، فيجبُ على الله أن يفعلَه، فهذا لا شكَّ أَنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ.



فصل



- ١٣٤٠- هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا: إِجْمَاعُ أَهْلِ
 ١٣٤١- مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ
 ١٣٤٢- لَا عِبْرَةَ بِمُخَالَفِ لَهُمْ وَلَوْ
 ١٣٤٣- أَنَّ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 ١٣٤٤- هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ
 ١٣٤٥- فَاسْمَعِ إِذَنْ أَقْوَالَ هُمْ وَاشْهَدْ عَلَيْهِ
 ١٣٤٦- وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأَيْمَةِ ذَاكِرِي الْ
 ١٣٤٧- وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِتَفْ
 ١٣٤٨- وَانظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ
 ١٣٤٩- وَانظُرْ إِلَى الْكَلْبِيِّ أَيْضًا وَالَّذِي
 ١٣٥٠- وَكَذَا رُفِعَ التَّابِعِيُّ أَجْلُهُمْ
 ١٣٥١- كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ
 ١٣٥٢- فَلْيَهِنْ مَنْ قَدْ سَبَّهُ إِذْ لَمْ يُوَا
 ١٣٥٣- فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعُ
- لِ الْعِلْمِ أَعْنِي: حُجَّةَ الْأَزْمَانِ
 أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ
 كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ
 وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
 حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنِ
 هُمْ بَعْدَهَا بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ
 إِسْنَادِ فَهِيَ هِدَايَةُ الْحَيْرَانِ
 سِيرِ (اسْتَوَى) إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
 كَمْ جَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ حَبْرَانِ
 قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرَانِ
 ذَاكَ الرَّيَاحِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 فَلِذَلِكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
 فِئْتِ قَوْلُهُ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانِ
 قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

- ١٣٥٤- وَهِيَ: (اسْتَقَرَّ) وَقَدْ (عَلَا) وَكَذَلِكَ (از)
 تَفَعَّ) الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
 ١٣٥٥- وَكَذَلِكَ قَدْ (صَعِدَ) الَّذِي هُوَ رَابِعٌ
 وَأَبُو عُيَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
 ١٣٥٦- يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ
 أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

الشرح

- ١٣٤٠- هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا: إِجْمَاعُ أَهْلِ
 لِي الْعِلْمِ أَعْنِي: حُجَّةَ الْأَزْمَانِ
 ١٣٤١- مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ
 أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ

في هذه المقطوعة بين المؤلف - رحمه الله - أن من الأدلة على أن الله تعالى عال بذاته فوق كل شيء إجماع أهل العلم - أعني: حجة الأزمان - لأن إجماع أهل العلم حجة في كل زمان، فإذا أجمعوا من غير خلاف سبق، فإجماعهم حجة على من بعدهم، أما إذا أجمعوا بعد اختلافهم، فهذا الإجماع ليس بحجة.

فإذا اختلف الصحابة على قولين ثم أجمع التابعون على أحدهما، فليس هذا الإجماع بحجة، لأنه مسبوق بخلاف، أما لو أجمعوا على شيء، ثم نشأ الخلاف من بعدهم، فهذا الخلاف مرفوض، لأن الحجة ثبتت بالإجماع السابق.

قوله: «أهل الحديث وعسكر القرآن» ويجوز النصب، أي: أعني: أهل الحديث وعسكر القرآن.

- ١٣٤٢- لَا عِبْرَةَ بِمُخَالَفِ لَهُمْ وَلَوْ
 كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ

يعني: الذي يخالف أهل الحديث وأهل القرآن فلا عبرة بقوله، ولو كانوا عديد الشاء والبعران، و(الشاء) جمع: (شاة)، و(البعران) جمع (بعير) وهي الإبل،

وفي هذا من تحمير هؤلاء ما هو ظاهر، حيث شبههم بالنجاج -أي: بالضأن-
وشبههم أيضاً بالبُعران.

١٣٤٣- أَنَّ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٣٤٤- هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ

قَوْلُهُ: «أَنَّ الَّذِي...» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: (إجماع).

قَوْلُهُ: «الرَّحْمَنُ» هنا فيها إشكالٌ من جهة الإعراب، فإِذَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ
المؤلفَ -رَحِمَهُ اللهُ- كَسَرَهَا مِنْ أَجْلِ الرَّوِيِّ، يَعْنِي: مِنْ أَجْلِ الْقَافِيَةِ، وَقَدْ أَجَازَ
بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ تَغْيِيرَ الإِعْرَابِ مِنْ أَجْلِ الرَّوِيِّ.

وإِذَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ كَلِمَةَ (الرَّحْمَنِ) هُنَا لَيْسَتْ فَاعِلٌ (اسْتَوَى)، بَلْ هِيَ بَدَلٌ،
أَوْ عَطْفٌ بَيَانٍ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (سُبْحَانَهُ)، أَيْ: هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ الرَّحْمَنِ، أَوْ مِنَ
الضَّمِيرِ فِي (بِحَمْدِهِ).

١٣٤٥- فَاسْمَعْ إِذَنْ أَقْوَالَهُمْ وَاشْهَدْ عَلَيْنَا هُمْ بَعْدَهَا بِالْكَفْرِ وَالْإِيْمَانِ

قَوْلُهُ: «بِالْكَفْرِ وَالْإِيْمَانِ» يَعْنِي: إِذَا سَمِعْتَ أَقْوَالَهُمْ فَحِينَئِذٍ قُلْ: إِنَّهُمْ إِيمَانًا
كَافِرُونَ، وَإِمَانًا مُؤْمِنُونَ.

١٣٤٦- وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأَيْمَةِ ذَاكِرِي الْإِسْنَادِ فَهِيَ هِدَايَةُ الْحَيْرَانِ

التفاسيرُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يُذَكَّرُ فِيهِ السَّنَدُ، مِثْلُ تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ^(١)
-رَحِمَهُ اللهُ- لَكِنْ يُؤْخَذُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يُمَحَّصِ الْإِسْنَادَ، يَعْنِي: أَتَى بِكُلِّ مَا حَصَلَ،

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر
الطبري، صاحب التصانيف البديعة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٨).

فهو كحاطبٍ ليلٍ، وعُدْرُهُ -رَحْمَةُ اللَّهِ- في ذلك أنه حَرَصَ على جَمْعِ الآثَارِ، وجَعَلَ تَمَحُّيْصَهَا مَوْكُولًا إلى مَنْ بَعْدَهُ، إلى مَنْ يَقْرَأُ هَذَا التَّفْسِيرَ، لِأَنَّهُ لو اشْتَغَلَ بِالتَّمَحْيِصِ لِفَاتِهِ الوَقْتُ ولم يَتِمَكَّنْ من اسْتِكْمَالِ هَذَا.

فهو -رَحْمَةُ اللَّهِ- خَافَ أَنْ يُبَادِرَهُ الأَجْلُ، فَجَمَعَ التَّفاسِيرَ بِأَسَانِيدِهَا، وَوَكَّلَ الأَمْرَ إلى القَارِئِ بَعْدَهُ.

فمثلاً التفسيرُ التي تَذَكَّرُ الإسنادَ هي غايَةُ ما يَكُونُ من التفسيرِ، وبعدها التي تَذَكَّرُ القَوْلَ بدونِ إسنادٍ، فيقولُ مثلاً: قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: كَذَا، قَالَ مجَاهِدٌ: كَذَا، قَالَ مقاتِلٌ: كَذَا، قَالَ قتادةٌ: كَذَا، وما أَشَبَّهَهَا.

وهذا مُشْكِلٌ في الحَقِيقَةِ، ولكن مع ذلك اصْطَلَحَ عليه المُفَسِّرُونَ اليومَ، وصاروا يَذَكِّرُونَ هَذَا بدونِ إسنادٍ، مثلُ ابنِ كَثِيرٍ -رَحْمَةُ اللَّهِ- وغيرِهِ.

١٣٤٧- وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِتَفْـ سِيرِ (اسْتَوَى) إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ

فإنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، يَعْنِي: علا على العَرْشِ، وارتفع، وابنُ عَبَّاسٍ -كما نعلم- هو حَبْرُ الأُمَّةِ، وَتَرْجُمَانُ القُرْآنِ.

١٣٤٨- وَأَنْظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَمُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ^(١) حَبْرَانَ

مُجَاهِدٌ هو أَحْصَى أَصْحَابِهِ به في عِلْمِ التفسيرِ، حتَّى إنه قرأ عليه القرآنَ من فاتحته إلى خاتمته، يُوقِفُهُ عندَ كُلِّ آيَةٍ، ويسأله عن معناها.

قَوْلُهُ: «كَمُجَاهِدٍ وَمُقَاتِلٍ حَبْرَانَ» يَعْنِي: هما حَبْرَانِ^(٢).

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن، كبير المفسرين، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١).

(٢) منى حبر، والحبر أي: العالم. انظر: القاموس المحيط، مادة: حبر.

١٣٤٩- وَأَنْظُرُ إِلَى الْكَلْبِيِّ^(١) أَيْضًا وَالَّذِي قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرَانِ
 ١٣٥٠- وَكَذَا رُفَيْعُ^(٢) التَّابِعِيُّ أَجْلُهُمْ ذَاكَ الرَّيَّاحِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 ١٣٥١- كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
 قَوْلُهُ: «كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ» أَي: إِلَى رُفَيْعٍ، وَيَجُوزُ: أَلْقَى رُفَيْعٌ إِلَيْهِ
 عِلْمَهُ.

قَوْلُهُ: «فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ» يَعْنِي: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-
 كَبِيرُ الشَّانِ، وَاسِعُ الْعِلْمِ، كَثِيرُ الْإِطْلَاعِ.
 ١٣٥٢- فَلَيْهِنَّ مَنْ قَدْ سَبَّهَ إِذْ لَمْ يُوَا فَوْقَ قَوْلِهِ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانِ
 لِأَنَّ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ، وَيَقُولُونَ: (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوَى)، يُنْكِرُونَ
 عَلَى رُفَيْعٍ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ الَّذِينَ يَفْسِّرُونَ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]،
 بِأَنَّهُ عَلا عَلَيْهِ.

١٣٥٣- فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
 ١٣٥٤- وَهِيَ: (اسْتَقَرَّ) وَقَدْ (عَلَا) وَكَذَلِكَ (از) تَفَعَّ (الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

(١) الكلبِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ جَزَيْيِ الْكَلْبِيِّ، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٦٣٩هـ)، وَتَوَفَّى سَنَةَ (٧٤١هـ) مَفْقُودًا وَهُوَ يَجْرُسُ النَّاسَ يَوْمَ مَعْرَكَةِ طَرِيفٍ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ السَّائِبِ بْنِ بَشْرِ الْكَلْبِيِّ كَانَ نَسَابَةً، رَاوِيَةً، عَامِلًا بِالتَّفْسِيرِ، وَوُلِدَ بِالْكُوفَةِ وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ (١٤٦هـ) وَهَذَا أَقْرَبُ. [الشارح].

(٢) رُفَيْعٌ -بِضْمِ الْفَاءِ، مُصَغَّرًا- هُوَ ابْنُ مَهْرَانَ الرَّيَّاحِيِّ، أَبُو الْعَالِيَةِ مِنْ أُمَّةِ التَّابِعِينَ، اخْتَلَفَ فِي سَنَةِ وَفَاتَهُ، فَقِيلَ: سَنَةَ (٩٠هـ)، وَقِيلَ: سَنَةَ (١١١هـ)، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَقَوْلُ الشَّارِحِ -يَقْصِدُ الْهَرَّاسَ- إِنَّهُ الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ فَخَطَأً. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/٢٠٧).

- ١٣٥٥- وَكَذَلِكَ قَدْ (صَعِدَ) الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ^(١) صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
 ١٣٥٦- يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ
 قَوْلُهُ: «فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ» وهي: (استقرَّ)، (وقد علا) اثنان،
 وكذلك (ارتفع الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانٍ) هذه ثلاثة، وكذلك (قَدْ صَعِدَ) الَّذِي هُوَ
 رَابِعٌ.

فصار الواردُ عن السَّلَفِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ -سبحانه وتعالى-: ﴿أَسْتَوَى عَلَى
 الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أربعة معانٍ: علا، وارتفع، واستقرَّ، وصعدَ.

فَأَمَّا (عَلَا، وارتفع، وصعدَ)، فمعناها متقارِبٌ، و أَمَّا (الاستقرار) فشيءٌ
 زَائِدٌ عَلَى الْعُلُوِّ، فَهُوَ أَحْصَى مِنْ مُجَرِّدِ الْعُلُوِّ، وَهَذَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَخْتَصِرَ لَقُلْنَا:
 معناها: (علا) و(استقرَّ)، وبهذا ننتظم المعاني الأربعة.

- ١٣٥٧- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ: تَفْسِيرُ (أَسْتَوَى) بِحَقِيقَةِ (أَسْتَوَى) مِنَ الْبُهْتَانِ
 ١٣٥٨- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِعْتِزَالِ وَقَوْلُ أَتَى
 ١٣٥٩- فِي كُتُبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ (مُوجَزٍ)
 ١٣٦٠- وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَأَ
 ١٣٦١- وَأَنْظَرَ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ
 هُ عَنْهُمْ بِ(مَعَالِمِ) الْقُرْآنِ
 قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي إِتْقَانِ

(١) أبو عبيدة هو: معمر بن المثنى التيمي، مولاهم، من أئمة العلم باللغة والأدب، ولد بالبصرة سنة (١١٠هـ)، ومات بها سنة (٢٠٩هـ) على أحد الأقوال. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥).

- ١٣٦٢- فِي الْإِسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لَـ
- ١٣٦٣- وَرَوَى ابْنُ نَافِعِ الصَّدُوقِ سَمَاعَهُ
- ١٣٦٤- اللَّهُ حَقًّا فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ
- ١٣٦٥- فَانظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْـ
- ١٣٦٦- فَالذَّاتُ حُصَّتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا الـ
- ١٣٦٧- ذَا ثَابِتٌ عَنِ مَالِكٍ مِنْ رَدِّهِ
- ١٣٦٨- وَكَذَلِكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ بِـ (جَامِعِ)
- ١٣٦٩- اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ عِلْمُهُ
- ١٣٧٠- وَكَذَلِكَ أَوْزَاعِيهِمْ أَيْضًا حَكَى
- ١٣٧١- مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ
- ١٣٧٢- إِيمَانُهُمْ بِعُلُوهِ سُبْحَانَهُ
- ١٣٧٣- وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عَنـ
- ١٣٧٤- حَقًّا قَضَى اللَّهُ الْخِلَافَةَ رَبَّنَا
- ١٣٧٥- حُبُّ الرَّسُولِ وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ
- ١٣٧٦- فَانظُرْ إِلَى الْمُقْضِيِّ فِي ذِي الْأَرْضِ لـ
- ١٣٧٧- وَقَضَاؤُهُ وَصَفٌ لَهُ لَمْ يَنْفَصِلْ
- كِنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الْأَذْهَانِ
- مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ
- سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانِ
- مَعْلُومٍ مِنْ ذَا الْعَالَمِ الرَّبَّانِيِّ
- مَعْلُومٍ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الْأَكْوَانِ
- فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهِوَانِ
- عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ:
- مَعَ خَلْقِهِ تَفْسِيرَ ذِي إِيمَانِ
- عَنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
- مُتَوَافِرِينَ وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
- فَوْقَ الْعِبَادِ وَفَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ
- هُ الْبَيْهَقِيُّ وَشَيْخُهُ الرَّبَّانِيُّ
- فَوْقَ السَّمَاءِ لِأَصْدَقِ الْعُبْدَانِ
- بِالْحَقِّ لَا فِشْلٌ وَلَا مُتَمَوَانِ
- كِنْ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلْطَانِ
- عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحٌ الْبُرْهَانِ

الشرح

١٣٥٧- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ: تَفْسِيرُ (اسْتَوَى) بِحَقِيقَةِ (اسْتَوَى) مِنْ الْبُهْتَانِ

١٣٥٨- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ وَقَوْلُ أَتْمَ بَاعٍ لِحَبْمٍ وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ أَنَّ الْأَشْعَرِيَّ يَقُولُ: إِنَّ تَفْسِيرَ (اسْتَوَى) بِ(اسْتَوَى) مِنَ الْبُهْتَانِ، يَعْنِي: مِنَ الْكَذْبِ.

إِذَنْ تَفْسِيرُ (اسْتَوَى) بِ(اسْتَوَى) هُوَ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْجُهْمِيَّةِ.

١٣٥٩- فِي كُتُبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ (مُوجَزٍ) وَ(إِبَانَةٍ) وَ(مَقَالَةٍ) بِيَّانِ

قَوْلُهُ: «فِي كُتُبِهِ قَدْ قَالَ ذَا» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْأَشْعَرِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ-.

قَوْلُهُ: «مِنْ مُوجَزٍ» اسْمُ كِتَابٍ، (وَإِبَانَةٍ) اسْمُ كِتَابٍ أَيْضًا وَهُوَ (الْإِبَانَةُ عَنْ أَصُولِ الدِّيَانَةِ)، (وَمَقَالَةٍ) اسْمُ كِتَابٍ -أَيْضًا- وَهُوَ كِتَابُ (مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ).

١٣٦٠- وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَاهُ عَنْهُمْ بِ(مَعَالِمِ) الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «بِمَعَالِمِ الْقُرْآنِ» يَعْنِي: (مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ)، فَكِتَابُ تَفْسِيرِ الْبَغَوِيِّ -رَحِمَهُ اللهُ- اسْمُهُ: (مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ)، لَكِنِ الْمُؤَلِّفُ قَالَ: بِ(مَعَالِمِ الْقُرْآنِ) مِنْ أَجْلِ الْقَافِيَةِ.

١٣٦١- وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ^(١) قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي إِتْقَانِ

(١) مالك هو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، الحميري، أحد الأئمة الأربعة، ولد بالمدينة سنة (٩٣هـ) وتوفي بها سنة (١٧٩هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/٤٨).

١٣٦٢- فِي الْإِسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لَكَ كِنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الْأَذْهَانِ

الإمام مالك - رَحِمَهُ اللهُ - إمام أهل المدينة، وابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - ينتسب في المذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل، لكن مع ذلك نحن نرى، وابن القيم يرى أن الإمام مالكا إمام له، والإمام الشافعي إمام له، والإمام أبا حنيفة إمام له، والإمام أحمد إمام له، فهم أئمتنا لا شك، ولهذا قال: (كلام إمامنا هو مالك).

وأظنُّ العبارة عنه معروفة، فلما سُئِلَ عن الاستواء، وقال: له رجل: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق برأسه^(١) هكذا، حتى جعل يتصبَّب عرقاً من شدة ما وَقَعَ على نفسه من هذا السؤال العظيم، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وقال: «يَا هَذَا، الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا»^(٢)، ثُمَّ قَالَ: «أَخْرِجُوهُ»، فَأَخْرَجُوهُ مِنَ الْمَسْجِدِ، لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ لَا يَنْبَغِي أَنْ تُجْلِسَهُمْ فِي مَجْلِسِ حَدِيثِكَ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ شَرٍّ، يُلْقَوْنَ الشُّبُهَةَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَهَذَا أَمْرٌ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنْ يُخْرَجَ، فَأُخْرِجَ.

١٣٦٣- وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ^(٣) الصَّدُوقُ سَمَاعَهُ مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ

١٣٦٤- اللهُ حَقٌّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ

(١) أي أماله. انظر: لسان العرب، مادة: طرق.

(٢) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٥)، عن الإمام مالك بإسناد جوده الحافظ في الفتح (٤٠٧/١٣).

(٣) ابن نافع: يحتمل أن يكون أبا بكر بن نافع، أو عمر بن نافع، وكلاهما ثقة، وأما نافع فهو أبو عبد الله مولى ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهو ديلمِّي الأصل، كان أحد الأعلام، مات سنة (١١٧هـ) أو سنة (١٢٠هـ). [الشارح].

هذا، كأنه يُشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فإنَّ هذه الآية لَبَسَ بها الحُلُولِيَّةُ الذين قالوا: إِنَّ اللهَ تعالى في الأرضِ كما أنه في السَّماءِ، وقالوا: إنه مَعَكُمْ أينما كُنْتُمْ.

فردَّ عليهم الأئمةُ، وقالوا: إِنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- في السَّماءِ، ولا يمكنُ أن يكونَ في الأرضِ، وأمَّا قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، يَعْنِي: أنه يَعْلَمُكُمْ وأنتم في الأرضِ، فالمرادُ بِالْمَعِيَّةِ علمُه بكم، وليسَ المعنى أنه هو ذاته معنا، لأنَّ هذا شَيْءٌ مستحيلٌ على الله، قَالَ تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فكيف تُحيطُ به الأرضُ؟! ولهذا يقولُ:

١٣٦٥- فَاَنْظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْمَعْلُومِ مِنْ ذَا الْعَالَمِ الرَّبَّانِي

١٣٦٦- فَالذَّاتُ خُصَّتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا الْمَعْلُومُ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «الْمَعْلُومِ» هم الخَلْقُ. لكن أين هم؟ الجَوَابُ: في الأرضِ، فمعلومُه في الأرضِ، وأمَّا ذاته ففي السَّماءِ.

١٣٦٧- ذَا ثَابِتٌ عَنِ مَالِكٍ مِنْ رَدِّهِ فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهَوَانٍ

قَوْلُهُ: «ذَا» يَعْنِي: هذا الذي قُلْتُ من أن اللهَ في السَّماءِ، وعلمُه في كُلِّ مكانٍ ثابتٌ عن مالكٍ، وَمَنْ رَدَّهُ فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهَوَانٍ.

قَوْلُهُ: «مَالِكًا» يَعْنِي: مالكًا خازِنَ النارِ، يَعْنِي: مَنْ رَدَّ ما قِيلَ عن مالكٍ الإمامِ، فإنه سيكونُ في النارِ، وسيَلْقَى مالكًا خازِنَ النارِ بهوانٍ.

إِذَنْ (مالكٌ) الثانيةُ غيرُ (مالكٍ) الأولى، ف(مالكٌ) الأولى يَعْنِي بها الإمامَ مالكًا، والثانيةُ يعني بها خازنَ النارِ.

وهل نقول: إن هذه مبالغة من المؤلف، أو نقول: إن من ادعى أن الله في الأرض فهو كافر؟ الظاهر الثاني، وأن من قال: إن الله في الأرض فهو كافر، لأنه يُنكرُ علوَّ الله - سبحانه وتعالى - ويلزم من قوله أن يكون الله في كل مكانٍ قدير، وفي كل مكانٍ مكروه، وأن الله تعالى مُتَجَزِّئٌ، وأن الله - سبحانه وتعالى - مُتَعَدِّدٌ، وهذا كله يُفْضِي إلى الكُفْرِ.

١٣٦٨- وَكَذَلِكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ^(١) بِ(جَامِعٍ) عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ:

١٣٦٩- اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ عِلْمُهُ مَعَ خَلْقِهِ تَفْسِيرَ ذِي إِيمَانٍ

قَوْلُهُ: «بِجَامِعٍ» يَعْنِي: بِجَامِعِ الْإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ (سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ).

قَالَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ مَعَ خَلْقِهِ، فَيَجْعَلُونَ الْمَعِيَّةَ مَعِيَّةَ الْعِلْمِ، وَأَمَّا الذَّاتُ فَهِيَ فِي السَّمَاءِ.

والقول الثاني في المسألة - كما سبق في التوحيد -: أَنَّ الْمَعِيَّةَ مَعِيَّةَ الْمُصَاحِبَةِ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، بَلْ هُوَ مَعَنَا حَقِيقَةً، وَهُوَ فِي السَّمَاءِ.

وَدَكَّرْنَا أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي (الْعَقِيدَةِ الْوَسْطِيَّةِ) ضَرَبَ مَثَلًا بِالْقَمَرِ، وَقَالَ: (إِنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ فِي السَّمَاءِ).

المهمُّ أَنَّ الْعُلَمَاءَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ السَّمَاءِ أَبَدًا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ.

(١) هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن: الحافظ العلم الإمام البارع، ابن عيسى السلمى، الترمذي الضرير، مصنف (الجامع)، وكتاب (العلل)، وغير ذلك. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠).

١٣٧٠- وَكَذَلِكَ أَوْزَاعِيهِمْ^(١) أَيْضًا حَكَى عَنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

١٣٧١- مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ مُتَوَافِرِينَ وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

١٣٧٢- إِيْمَانَهُمْ بِعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعِبَادِ وَفَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ

الذي نَقَلَ عنه شيخُ الإسلامِ -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: (كُنَّا نَقُولُ وَالتَّابِعُونَ متوافرون)، ولكنْ كَلَامُ ابْنِ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- له وَجْهٌ.

قَوْلُهُ: «مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ مُتَوَافِرِينَ» يَعْنِي: حَالُ كَوْنِهِمْ مُتَوَافِرِينَ، وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ، نَقَلَ أَوْ حَكَى (إِيْمَانَهُمْ بِعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ).

١٣٧٣- وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ وَشَيْخُهُ الرَّبَّانِيُّ

١٣٧٤- حَقًّا قَضَى اللهُ الْخِلَافَةَ رَبَّنَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِأَصْدَقِ الْعِبْدَانِ

يشيرُ إلى: قولِ الشافعيِّ: «خِلافةُ أَبِي بَكْرٍ حَقٌّ قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهَا قُلُوبَ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ»^(٢) وَهَذَا إِثْبَاتٌ لِعُلُوِّ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

١٣٧٥- حِبُّ الرَّسُولِ وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ بِالْحَقِّ لَا فِشْلٌ وَلَا مُتَوَانٍ

قَوْلُهُ: «حِبُّ الرَّسُولِ» الْحِبُّ بِمَعْنَى: الْمَحْبُوبِ.

قَوْلُهُ: «وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ بِالْحَقِّ» وَيَعْنِي بِذَلِكَ: أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ -رَضِيَ اللهُ

تعالى عنه-؟

(١) نسبة إلى الأوزاعي، وهو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/١٠٧).

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: ٩٥).

١٣٧٦- فَأَنْظُرُ إِلَى الْمَقْضِيِّ فِي ذِي الْأَرْضِ لُ كِنَ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلْطَانِ
 ١٣٧٧- وَقَضَاؤُهُ وَصَفٌ لَهُ لَمْ يَنْفِصِلْ عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
 القضاء في السماء، لأنه من الله، والمقضي في الأرض.

١٣٧٨- وَكَذَلِكَ النُّعْمَانُ^(١) قَالَ وَبَعْدَهُ يَعْقُوبُ^(٢) وَالْأَلْفَاظُ لِلنُّعْمَانِ
 ١٣٧٩- مَنْ لَمْ يُقَرَّرْ بِعَرْشِهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
 ١٣٨٠- وَيُقَرَّرَنَّ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ هَوَاجِسُ الْأَذْهَانِ
 ١٣٨١- فَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانٍ
 ١٣٨٢- هَذَا الَّذِي فِي (الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ) عِنْدَهُمْ وَلَهُ شُرُوحٌ عِدَّةٌ لِبَيَانِ

الشرح

الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - صرح بأن من لم يُقرَّر بعَلْوِ الله عزَّ وجلَّ وعمومِ علمه فإنه كافرٌ، لا شكَّ في تكفيره، وهذا يدلُّ على أنه كافرٌ عنده يقيناً، وقد أثنى عليه ابنُ القَيِّمِ بقوله: (لله دَرَكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانٍ) وهذا يدلُّ على ارتضاء ابنِ القَيِّمِ لهذا القول، وهو حقٌّ، فإن الذي يُنكِرُ علوَّ الله مُكذِّبٌ للقرآنِ والسُّنةِ وإجماعِ السلفِ، ومُخَالِفٌ للمعقولِ، والمفطورِ عليه الناسِ.

(١) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠).

(٢) هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، العلامة المحدث، قاضي القضاة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥).

- ١٣٨٢- وَأَنْظُرْ مَقَالََةَ أَحْمَدٍ وَنُصُوصَهُ فِي ذَاكَ تَلَقَّاهَا بِإِلَّا حُسْبَانَ
- ١٣٨٤- فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِعُلُوِّهِ وَبِالْإِسْتِيَا وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٣٨٥- وَلَهُ نُصُوصٌ وَارِدَاتٌ لَمْ تَقْعْ لِسِوَاهُ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا الشَّانِ
- ١٣٨٦- إِذْ كَانَ مُمْتَحَنًا بِأَعْدَاءِ الْحَدِيدِ ثِ وَشِيعَةِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
- ١٣٨٧- وَإِذَا أَرَدْتَ نُصُوصَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا قَدْ حَكَى الْخَلَّالُ ذُو الْإِنْتِقَانِ
- ١٣٨٨- وَكَذَلِكَ إِسْحَاقُ الْإِمَامُ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْخَيْرَانِ
- ١٣٨٩- وَابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ قَوْلًا شَافِيًا إِنْكَارُهُ عَلَمٌ عَلَى الْبُهْتَانِ
- ١٣٩٠- قَالُوا لَهُ: مَا ذَاكَ نَعْرِفُ رَبَّنَا حَقًّا بِهِ لِنَكُونَ ذَا إِيمَانِ
- ١٣٩١- فَأَجَابَ نَعْرِفُهُ بِوَصْفِ عُلُوِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنِ الْأَكْوَانِ؟
- ١٣٩٢- وَبِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ الرَّفِيعِ فَجَلَّ ذُو السُّلْطَانِ
- ١٣٩٣- وَهُوَ الَّذِي قَدْ شَجَّعَ ابْنَ خُزَيْمَةَ إِذْ سَلَّ سَيْفَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانَ
- ١٣٩٤- وَقَضَى بِقَتْلِ الْمُنْكَرِينَ عُلُوُّهُ بَعْدَ اسْتِيبَاتِهِمْ مِنَ الْكُفْرَانِ
- ١٣٩٥- وَبِأَنَّهُمْ يُلْقَوْنَ بَعْدَ الْقَتْلِ فَوْقَ مَزَابِلِ الْمَيْتَاتِ وَالْأَنْتَانِ
- ١٣٩٦- فَشَفَى الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْحَبْرُ الَّذِي يُدْعَى إِمَامَ أُمَّةِ الْأَرْمَانِ
- ١٣٩٧- وَلَقَدْ حَكَاهُ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ الرَّضَا فِي كُتُبِهِ عَنْهُ بِإِلَّا نُكْرَانِ
- ١٣٩٨- وَحَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي (تَمْهِيدِهِ) وَكِتَابِ (الْإِسْتِدْكَارِ) غَيْرَ جَبَانَ

- ١٣٩٩- إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ بِالْإِيضَاحِ وَالْبُرْهَانِ
- ١٤٠٠- وَآتَى هُنَاكَ بِمَا شَفَى أَهْلَ الْهُدَى
- ١٤٠١- وَكَذًا عَلَيَّ الْأَشْعَرِيُّ فَإِنَّهُ
- ١٤٠٢- مِنْ (مُوجِزٍ) وَ(إِبَانَةٍ) وَ(مَقَالَةٍ)
- ١٤٠٣- وَآتَى بِتَقْرِيرِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ بِالْإِيضَاحِ وَالْبُرْهَانِ
- ١٤٠٤- وَآتَى بِتَقْرِيرِ الْعُلُوِّ بِأَحْسَنِ التَّعْقِيرِ فَاَنْظُرْ كُتُبَهُ بِعِيَانِ
- ١٤٠٥- وَاللَّهُ مَا قَالَ الْمُجَسِّمُ مِثْلَ مَا هَذَا الْمُجَسِّمُ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
- ١٤٠٦- فَارْمُوهُ وَيُحْكَمُ بِمَا تَرْمُوا بِهِ
- ١٤٠٧- أَوْ لَا فَقُولُوا: إِنَّ نَمَّ حَرَازَةَ وَتَنْفَسُ الصُّعْدَاءِ مِنْ حَرَّانِ
- ١٤٠٨- فَسَلُوا الْإِلَهَ شِفَاءَ ذَا الدَّاءِ الْعُضَا لِي مُجَانِبِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
- ١٤٠٩- وَأَنْظُرْ إِلَى حَرْبٍ وَإِجْمَاعٍ حَكَى اللَّهُ دَرْكَ مَنْ فَتَى كِرْمَانِي
- ١٤١٠- وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ وَهْبٍ أَوْحِدِ الْعُلَمَاءِ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي الْمِيزَانِ
- ١٤١١- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي تِلْكَ الرَّسَالَةِ مُفْصِحًا بَيِّنًا
- ١٤١٢- مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَيَحْمَدُهُ بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ
- ١٤١٣- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الْكَرْخِيُّ فِي شَرْحِ لِتَضْنِيفِ امْرِئِ رَبَّانِي
- ١٤١٤- وَأَنْظُرْ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ شَرْحُهُ فَهُمَا الْهُدَى لِْمُلَدِّدِ حَيْرَانَ

- ١٤١٥- وَأَنْظُرُ إِلَى تَفْسِيرِ عَبْدِ مَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْأَثَارِ فِي ذَا الشَّانِ
- ١٤١٦- وَأَنْظُرُ إِلَى تَفْسِيرِ ذَاكَ الْفَاضِلِ الثَّ
- ١٤١٧- ذَاكَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ وَشَيْخُهُ
- ١٤١٨- وَأَنْظُرُ إِلَى النَّسَائِيِّ فِي (تَفْسِيرِهِ)
- ١٤١٩- وَأَقْرَأُ كِتَابَ (الْعَرْشِ) لِلْعَبْسِيِّ وَهُوَ
- ١٤٢٠- وَأَقْرَأُ لـ (مُسْنَدِ) عَمِّهِ وَ (مُصَنَّفِ)
- ١٤٢١- وَأَقْرَأُ كِتَابَ (الِاسْتِقَامَةِ) لِلرِّضَا
- ١٤٢٢- وَأَقْرَأُ كِتَابَ الْحَافِظِ الثَّقَةِ الرَّضَا
- ١٤٢٣- ذَاكَ ابْنُ أَحْمَدَ أَوْحَدُ الْحُفَّاظِ قَدْ
- ١٤٢٤- وَأَقْرَأُ كِتَابَ الْأَثَرِ الْعَدْلِ الرَّضَا
- ١٤٢٥- وَكَذَا الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ الْمُرتَضَى
- ١٤٢٦- تَصْنِيفُهُ نَظْمًا وَنَثْرًا وَاضِحٌ
- ١٤٢٧- وَأَقْرَأُ كِتَابَ (السُّنَّةِ) الْأُولَى الَّذِي
- ١٤٢٨- ذَاكَ النَّبِيلُ ابْنُ النَّبِيلِ كِتَابُهُ
- ١٤٢٩- وَأَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ أَسْبَاطِ الرَّضَا
- ١٤٣٠- وَأَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ ذَاكَ حَمْدُ
- ثَبَّتِ الرَّضَا الْمُتَضَلِّعَ الرَّبَّانِي
- وَأَبُوهُ سُنَيْنَانِ رَازِيَّانِ
- هُوَ عِنْدَنَا سَفَرٌ جَلِيلٌ مَعَانِ
- وَ مُحَمَّدُ الْمَوْلُودُ مِنْ عُثْمَانَ
- أَتْرَاهُمَا نَجْمَيْنِ بَلْ شَمْسَانِ
- ذَاكَ ابْنُ أَصْرَمٍ حَافِظُ رَبَّانِي
- فِي السُّنَّةِ الْعُلْيَا فَتَى الشَّيْبَانِي
- شَهِدَتْ لَهُ الْحُفَّاظُ بِالْإِتْقَانِ
- فِي السُّنَّةِ الْأُولَى إِمَامِ زَمَانِ
- حَقًّا أَبِي دَاوُدَ ذِي الْعِرْفَانِ
- فِي السُّنَّةِ الْمُثَلَّى هُمَا نَجْمَانِ
- أَبْدَاهُ مُضْطَلِعٌ مِنَ الْإِيمَانِ
- أَيْضًا نَبِيلٌ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
- وَأَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الرَّضَا سُفْيَانَ
- سَمَاءٌ وَحَمَّادِ الْإِمَامِ الثَّانِي

- ١٤٣١- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَّمُ الْهُدَى
عُثْمَانُ ذَاكَ الدَّارِمِي الرَّبَّانِي
- ١٤٣٢- فِي (نَقْضِهِ) وَ(الرَّدِّ) يَا لَهَا كِتَا
بَا سُنَّةٍ وَهُمَا لَنَا عَلَّامَانِ
- ١٤٣٣- هَدَمَتْ قَوَاعِدَ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ
خَرَّتْ سُقُوفُهُمْ عَلَى الْحَيْطَانِ
- ١٤٣٤- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا فِي (صَحِيحِ) مُحَمَّدٍ
ذَاكَ الْبُخَارِيُّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
- ١٤٣٥- مِنْ رَدِّهِ مَا قَالَهُ الْجَهْمِيُّ بِالْبَدَنِ
نَقْلِ الصَّحِيحِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
- ١٤٣٦- وَأَنْظُرْ إِلَى تِلْكَ التَّرَاجِمِ مَا الَّذِي
فِي ضِمْنِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
- ١٤٣٧- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ فِي (الشُّدَّ
شَرْحِ) الَّذِي هُوَ عِنْدَكُمْ سِفْرَانِ
- ١٤٣٨- أَعْنِي: الْفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ اللَّالِكَا
ئِي الْمُسَدَّدَ نَاصِرَ الْإِيمَانِ
- ١٤٣٩- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَّمُ الْهُدَى التَّ
تَيْمِيُّ فِي إِيْضَاحِهِ وَبَيَانِ
- ١٤٤٠- ذَاكَ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ (التَّرْغِيبِ وَالتَّنْذِيرِ)
تَرْهِيْبِ) مَمْدُوحٌ بِكُلِّ لِسَانِ
- ١٤٤١- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ فِي (السُّنَّةِ الْكَلِيْمَةِ)
كُتُبِي) سُلَيْمَانُ هُوَ الطَّبْرَانِي
- ١٤٤٢- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ شَيْخُ الْهُدَى
يُدْعَى بِطَلْمَنْكِيَّتِهِمْ ذُو شَانِ
- ١٤٤٣- وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ الطَّحَاوِيِّ الرَّضَا
وَأَجْرُهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانِ
- ١٤٤٤- وَكَذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ هُوَ ابْنُ
سُنِّ الْبَاقِلَانِي قَائِدُ الْفُرْسَانِ
- ١٤٤٥- قَدْ قَالَ فِي (تَمْهِيدِهِ) وَ(رَسَائِلِي)
وَ(الشَّرْحِ) مَا فِيهِ جَلِيٌّ بَيَانِ
- ١٤٤٦- فِي بَعْضِهَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ

- ١٤٤٧- وَأَتَى بِتَقْرِيرِ الْعُلُوِّ وَأَبْطَلَ الْ
لَامَ الَّتِي زِيدَتْ عَلَى الْقُرْآنِ
- ١٤٤٨- مِنْ أَوْجِهٍ شَتَّى وَذَا فِي كُتْبِهِ
بَادٍ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
- ١٤٤٩- وَأَنْظَرَ إِلَى قَوْلِ ابْنِ كُلابٍ وَمَا
يَقْضِي بِهِ لِمُعْطَلِ الرَّحْمَنِ
- ١٤٥٠- أَخْرَجَ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ وَعَقْلِهِ
مَنْ قَالَ قَوْلَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
- ١٤٥١- لَيْسَ الْإِلَهِ بِدَاخِلٍ فِي خَلْقِهِ
أَوْ خَارِجٍ عَنِ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ

الشرح

على كُلِّ حالٍ هذه الكتبُ التي ذكرها ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- تدلُّ على سَعَةِ
اطِّلاعِهِ، ولم نُحِبَّ أَنْ نَقْفَ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، لِأَنَّ الْفَائِدَةَ قَلِيلَةٌ، لَكِنْ كُلُّهَا تَقَرَّرُ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاءِ، وَأَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِدَاخِلٍ وَلَا خَارِجٍ قَوْلٌ مُنْكَرٌ،
لَا يُقَرَّرُهُ الْعَقْلُ وَلَا يُقَرَّرُهُ النَّقْلُ.

إِذَا قُلْنَا: لَيْسَ بِدَاخِلِ الْعَالَمِ وَلَا بِخَارِجِ الْعَالَمِ فَأَيْنَ يَكُونُ؟! لَا شَيْءَ،
لِأَنَّ النَّسْبَةَ بَيْنَ لَا دَاخِلٍ وَلَا خَارِجٍ نَسْبَةٌ بَيْنَ نَقِيضَيْنِ، وَالنَّقِيضَانِ لَا بَدَّ مِنْ وُجُودِ
أَحَدِهِمَا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرْتَفِعَا أَبَدًا، فَإِذَا قُلْنَا: لَا دَاخِلٍ وَلَا خَارِجٍ فَهَذَا هُوَ النَّفْيُ
الْمَحْضُ، وَلِذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ الْعَظِيمَةِ مِنْ هَوْلَاءِ
الْأُمَّةِ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ السَّلْفَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ-
لَا يَشْكُونَ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْعُقُولُ وَالْفِطْرَةُ
السَّلِيمَةُ.

وقولُ المؤلفِ -رَحِمَهُ اللهُ-: (لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ) هَذَا صَحِيحٌ، فَهُوَ
مَسْتَوٍ عَلَى الْجَمِيعِ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَعْنِي أَنَا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ (اسْتَوَى) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ

ما استولى عليه كان مملوكًا لغيره من قَبْلُ، بل تكون الولاية، فإذا قُلْتَ: (استولى فلانٌ على هذا اليتيم)، لا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ من قَبْلُ قد سَبَقَ بولاية، كما أَنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿فَكْفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦] لا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مسبوقًا بفقير.

- ١٤٥٢- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ فِي (التد-
تَفْسِيرِ) وَ(التَّهْدِيْبِ) قَوْلَ مَعَانِي
١٤٥٣- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ فِي سُورَةِ الْ-
أَعْرَافِ مَعَ (طَه) وَمَعَ (سُبْحَانَ)
١٤٥٤- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الْبَغَوِيُّ فِي
(تَفْسِيرِهِ) وَ(الشَّرْحِ) بِالْإِحْسَانِ
١٤٥٥- فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ عِنْدَ الْإِسْتِوَا
فِيهَا وَفِي الْأَوَّلَى مِنَ الْقُرْآنِ
١٤٥٦- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ ذُو سُنَّةٍ
وَقِرَاءَةِ ذَاكَ الْإِمَامِ الدَّانِي
١٤٥٧- وَكَذَاكَ (سُنَّة) الْأَصْبَهَائِيِّ أَبِي الشَّ-
شَيْخِ الرِّضَا الْمُسْتَلِّ مِنْ حَيَّانِ
١٤٥٨- وَأَنْظُرْ مَا قَالَهُ ابْنُ سُرَيْجِ الْ-
بَحْرُ الْخِصْمِ الشَّافِعِيِّ الثَّانِي
١٤٥٩- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الْهُدَى
أَعْنِي: أَبَا الْخَيْرِ الرِّضَا النُّعْمَانِ
١٤٦٠- وَكِتَابُهُ فِي الْفِقْهِ وَهُوَ بَيَانُهُ
يُبْدِي مَكَانَتَهُ مِنَ الْإِيمَانِ
١٤٦١- وَأَنْظُرْ إِلَى السُّنَنِ الَّتِي قَدْ صَنَّفَ الْ-
عُلَمَاءُ بِالْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ
١٤٦٢- زَادَتْ عَلَى الْمِثْبَتَيْنِ مِنْهَا مُفْرَدًا
أَوْفَى مِنَ الْخَمْسِينَ فِي الْحُسْبَانِ
١٤٦٣- مِنْهَا لِأَحْمَدَ عِدَّةٌ مُوجُودَةٌ
فِيْنَا رَسَائِلُهُ إِلَى الْإِخْوَانِ

- ١٤٦٤- وَاللَّاءِ فِي ضَمَنِ التَّصَانِيفِ الَّتِي شُهِرَتْ فَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى حُسْبَانِ
- ١٤٦٥- فَكَثِيرَةٌ جِدًّا فَمَنْ يَكُ رَاغِبًا فِيهَا يَجِدُ فِيهَا هُدَى الْحَيْرَانِ
- ١٤٦٦- أَصْحَابُهَا هُمْ حَافِظُو الْإِسْلَامِ لَا أَصْحَابُ جَهْمِ حَافِظُو الْكُفْرَانِ
- ١٤٦٧- وَهُمْ النُّجُومُ لِكُلِّ عَبْدٍ سَائِرٍ يَبْغِي الْإِلَهِ وَجَنَّةَ الْحَيَوَانِ
- ١٤٦٨- وَسِوَاهُمْ وَاللَّهُ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ سِوَا فِي الَّذِينَ حَكَيْتُ عَنْهُمْ أَنْفًا
- ١٤٧٠- بَلْ كُلُّهُمْ وَاللَّهُ شِيعَةٌ أَحْمَدٍ مِنْ حَنْبَلِيٍّ وَاحِدٍ بَضْمَانِ
- ١٤٧١- وَبِذَاكَ فِي كُتُبٍ لَهُمْ قَدْ صَرَّحُوا وَأَخُو الْعِمَايَةِ مَالَهُ عَيْنَانِ

الشرح

إِنَّمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (مَا فِي الَّذِينَ حَكَيْتُ عَنْهُمْ أَنْفًا مِنْ حَنْبَلِيٍّ)، لِأَنَّ أَهْلَ الشَّرِّ وَالْبَاطِلِ كَانُوا يَرْمُونَ الْحَنَابِلَةَ بِالْمَجْسَمَةِ، وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا، كَمَا رَمَى الْمُتَأَخَّرُونَ أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ بِالْوَهَابِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مُتَشَدِّدُونَ، وَإِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ النَّاسَ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا، وَكُلُّ هَذَا كَذِبٌ.

كَذَلِكَ فِي أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ أَصْحَابَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ حَنَابِلَةٌ مُجَسَّمَةٌ، فَابْنُ الْقَيْمِ يَقُولُ: إِنَّ مَنْ حَكَى عَنْهُمْ لَيْسَ فِيهِمْ حَنْبَلِيٌّ وَاحِدٌ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُمْ مُجَسَّمَةٌ، بَلْ هُمْ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، وَمِنَ التَّابِعِينَ وَالصَّحَابَةِ، فَالْمَسْأَلَةُ وَاضِحَةٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، كُلُّهُمْ يُثْبِتُونَ أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ.

- ١٤٧٢- أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً
مِثْلَ الْحَمِيرِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ؟
- ١٤٧٣- حَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بَلْ وَاللَّهِ هُمْ
أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةِ الْأَذْهَانِ
- ١٤٧٤- فَانظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ
بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
- ١٤٧٥- عَقْلَانِ: عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ
وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِيِّ
- ١٤٧٦- وَاللَّهِ مَا اسْتَوِيَا وَلَنْ يَتَلَقِيَا
حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ
- ١٤٧٧- أَفَتَقْدِفُونَ أَوْلَاءَ بَلْ أَضْعَافُهُمْ
مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ
- ١٤٧٨- بِالْجَهْلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّـ
تَبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبُّهْتَانِ؟! لَا تُفْسِدُوهُ بِنُخْوَةِ الشَّيْطَانِ
- ١٤٧٩- يَا قَوْمَنَا اللَّهُ فِي إِسْلَامِكُمْ
لَا تُفْسِدُوهُ بِنُخْوَةِ الشَّيْطَانِ
- ١٤٨٠- يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَضْرَعٍ مَنْ خَلَا
مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
- ١٤٨١- لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَذِبُهُمْ وَمِحَالُّهُمْ
وَقِتَالُهُمْ بِالزُّورِ وَالبُّهْتَانِ
- ١٤٨٢- كَلَّا وَلَا التَّدْلِيْسُ وَالتَّلْبِيْسُ عِنْدَ
مَدِّ النَّاسِ وَالحُكَّامِ وَالسُّلْطَانِ
- ١٤٨٣- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ غِطَائِهِمْ
مَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي حُسْبَانِ
- ١٤٨٤- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ حَقَائِقِ الْإِ
إِيمَانِ أَمَّهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ
- ١٤٨٥- مَا عِنْدَهُمْ - وَاللَّهِ - غَيْرُ شِكَايَةٍ
فَأَتُوا بِعِلْمٍ وَأَنْطِقُوا بِبَيَانِ
- ١٤٨٦- مَا يَشْتَكِي إِلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ
فَاشْكُوا لِنَعْدِرْكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ
- ١٤٨٧- ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ
وَعَلَيْكُمْ؟ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ

الشرح

يقول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه المقطوعة:

١٤٧٢- أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً مِثْلَ الْحَمِيرِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ؟

قوله: «أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً» لأنَّ من الناس مَنْ ادَّعى أنَّ مذهب السلف الإيمان باللفظ فقط فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته، دون فهم لعناه، فيقولون: إنَّ السلف يقرءون اللفظ، ويجهلون المعنى كالحمار يُقَادُ بالرَّسَنِ^(١)، ولا يدري أين يُذهَبُ به؟

وهذا القول الذي يظنُّ كثيرٌ من المتأخِّرين أنَّه مذهبُ السلف إن هو إلا كذبٌ على السلف، بل هذا القول يقولُ عنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه (العقل والنقل)^(٢): «إنه شرُّ أقوال أهل البدع والإلحاد». وإنه هو الذي فتح الباب على مصراعيه لأهل الفلسفة والمنطق، فقالوا: إذا كان مذهبكم أيها السلفيون أنكم لا تفهمون إلا اللفظ، فأنتم جهالٌ أميون، لأنَّ الله قال في القرآن: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨] يعني: إلا قراءة، ونحن أهل العقول ندري المعاني ونعرفها، ولو بالتحريف الذي يُسمونه تأويلاً.

فالحقيقة أنَّهم فتحوا على المسلمين باباً لا يمكنُ سدُّه لأهل البدع والكلام، يعني: لو أنَّ مذهب السلف -كما يقول هؤلاء- أن تقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ولا تدري ما معنى (استوى) لكنتَ أجهلٌ من حمارك، كيف تقرأ (استوى) ولا تدري ما معناها؟!

(١) الحبل، والجمع (أرسان)، و(أرسن)، وربما قيل: (رُسنٌ) بضمين، انظر: المصباح المنير (ص: ١١٩).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

هم يقولون: نحن ندري معنى (استوى)، فمعنى (استوى): (استولى)،
وكوننا نثبت للنصوص معنى، ولو بالتأويل، خيرٌ من كوننا لا نثبت لها معنى،
لأنَّها إذا لم يكن لها معنى بقيت أفاضلاً لا فائدة منها؛ كالأحجار.

فالمهم أن ابن القيم -رحمه الله- يَنكُرُ هذا الظنَّ الخاطيءَ بالنسبة للسلف،
وهو أنهم لفظية جهليَّة، ولذا قال:

١٤٧٣- حَاشَاهُمْ مِنْ ذَاكَ بَلْ وَاللَّهِ هُمْ أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةِ الْأَذْهَانِ

١٤٧٤- فَانظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

١٤٧٥- عَقْلَانِ: عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِيِّ

قَوْلُهُ: «عَقْلَانِ» العَقْلُ الْأَوَّلُ: عَقْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالثَّانِي: عَقْلُ أَهْلِ الْبِدْعِ.

يقول:

١٤٧٦- وَاللَّهِ مَا اسْتَوِيَا وَلَنْ يَتَلَقِيَا حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ

قَوْلُهُ: «حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ» ومتى تشيب؟

الجواب: لا يمكن أن تشيب أبداً، ولهذا يقول الشاعر الذي لا يحبُّ أهله^(١):

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ

وهذه المدَّة هل هي قريبةٌ أو بعيدةٌ؟

الجواب: بعيدةٌ، لأنَّ الغراب لا يشيبُ.

(١) البيت في النكت والعيون للهاوردي (٢/٢٢٣)، الدر المصون (٥/٣٢٠)، المغني لابن قدامة (١٠/٤٧٥) غير منسوب.

قَوْلُهُ: «وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ» ومتى يصير؟

الجَوَابُ: لا يصيرُ، فلو غليناها بالنار، لا يمكنُ أن يكونَ كاللَّبَنِ الحليبِ.

فالمؤلف يقول: (لَنْ يَتَلَقِيََا حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْعَرَبَانِ)، وهذا أمرٌ مستحيلٌ.

١٤٧٧- أَفْتَقِدُونَ أَوْلَاءَ بَلْ أضعافُهُمْ مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ

١٤٧٨- بِالْجَهْلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّبَدُّعِ وَالتَّضَلُّيلِ وَالبُهْتَانِ؟! تَبَدُّعِ وَالتَّضَلُّيلِ وَالبُهْتَانِ؟!!

قَوْلُهُ: «بِالْجَهْلِ» بِالْجَهْلِ أَي: يقول: هؤلاءُ جُهَّالٌ، لا يعرفون المعنى.

قَوْلُهُ: «وَالْتَّشْبِيهِ» هَذَا لِمَنْ يُثَبِّتُونَ الصِّفَاتِ، يَقُولُ: أَنْتُمْ مُشَبَّهَةٌ.

قَوْلُهُ: «التَّجْسِيمِ» أَيضًا يقول: أَنْتُمْ مَجَسَّمَةٌ، تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ.

قَوْلُهُ: «وَالْتَّبَدُّعِ» يقولون: أَنْتُمْ مبتدعةٌ.

قَوْلُهُ: «وَالْتَّضَلُّيلِ» يقولون: أَنْتُمْ ضُلَّالٌ.

قَوْلُهُ: «والبُهْتَانِ» أَي: الكَذِبِ.

يصفونهم بكلُّ ما يستطيعون من تنفير، ويقولون: حَشَوِيَّةٌ، نَوَابِتٌ، بُسْطَاءٌ،

وما أشبه ذلك من الكلمات التي يُنْفَرُونَ بها الناسَ.

١٤٧٩- يَا قَوْمَنَا اللَّهُ فِي إِسْلَامِكُمْ لَا تُفْسِدُوهُ بِنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ

نَدَبُهُمْ إِلَى أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي إِسْلَامِهِمْ.

١٤٨٠- يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَضْرَعٍ مَنْ خَلَا مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ

١٤٨١- لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَذِبُهُمْ وَمِحَالُّهُمْ وَقَتَالُهُمْ بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ

١٤٨٢- كَلَّا وَلَا التَّدْلِيْسُ وَالتَّلْبِيْسُ عِنْدَ النَّاسِ وَالْحُكَّامِ وَالسُّلْطَانِ

لأنه يوجد من أهل البدع من صار له اتصال بالحكام والسلاطين، وصاروا يسبون أهل السنة.

والغالب منذ انقراض القرون الثلاثة أن الحكام قليلو البضاعة من العلم، فيأتيهم هؤلاء الذين يدعون العلم، ويلتصقون بهم، ويسبون عندهم أهل السنة، ويقولون: هم مجسمة، مشبهة، وما أشبه ذلك، والحاكم لقلّة علمه يظن أن ما قاله هؤلاء حق، وأهل السنة قد يكونون بعيدين عن السلاطين، ولا يحبون أن يلتصقوا بهم، أو يقربوا منهم، إلا إذا دعت الضرورة لبيان حق أو دفع باطل.

١٤٨٣- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكَشَافِ غَطَائِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي حُسْبَانِ

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

١٤٨٤- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكَشَافِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ أَمْهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ

١٤٨٥- مَا عِنْدَهُمْ - وَاللَّهِ - غَيْرُ شِكَايَةٍ فَاتُّوا بِعِلْمٍ وَأَنْطَقُوا بِبَيَانِ

الذي ليس عنده إلا الشكايّة يقول: والله إمّا أن ترجع عن قولك، وإلا أخبرت عنك الأمير، ولا يقول له: ماذا عندك؟ ما الدليل؟ فما عنده إلا الشكايّة.

كثير من الناس ليس عنده شكايّة، ولا يقدر أن يصل إلى الأمير، لكن عنده كلمة «ولو»، تقول له: (يا ابن الحلال هذا لا يجوز) قال: (ولو)، وكلمة (ولو) هذه تُشبهُ الشكايّة عند السلطان والحكّام، ولهذا وشوا بالإمام أحمد بن حنبل - رَحِمَهُ اللهُ -، وشوا بشيخ الإسلام ابن تيمية، وبغيرهما من العلماء، وعذبوا، وهذا كُله من أجل الوشاية من هؤلاء.

- ١٤٨٦- مَا يَشْتَكِي إِلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ فَاشْكُوا لِنَعْدِرْكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ
 ١٤٨٧- ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ؟ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ
 يعني: أنتم إذا شكيتم الأمر (إلى القرآن)، عرفتم ماذا يقضي لكم القرآن أو يقضي عليكم؟ (فالحق في الفرقان).

- ١٤٨٨- لَبَسْتُمْ مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلَنَا
 ١٤٨٩- مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا
 ١٤٩٠- يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمْ
 ١٤٩١- مَا ذَنْبُهُمْ وَنَبِيَّهُمْ قَدْ قَالَ مَا
 ١٤٩٢- مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمْ
 ١٤٩٣- مَا ذَنْبٌ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ
 ١٤٩٤- هَذَا كَمَا قَالَ الْحَيِّثُ لِصَاحِبِهِ
 ١٤٩٥- لَمَّا أَفَاضُوا فِي حَدِيثِ الرَّفْضِ عِنْدَ
 ١٤٩٦- يَا قَوْمُ أَصْلُ بَلَائِكُمْ وَمُصَابِكُمْ
 ١٤٩٧- كَمْ قَدَّمَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ بَلْ غَدَا
 ١٤٩٨- وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاءِ: يَوْمُكُمْ
 ١٤٩٩- وَيَظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ
 فَعَدَا لَكُمْ لِلْحَقِّ تَلْبِيسَانِ
 يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى إِنْسَانٍ!
 بِأَيِّمَةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِ
 قَالُوا، كَذَاكَ مُنْزَلُ الْفُرْقَانِ!
 إِذْ جَسَمَتْ بَلْ شَبَّهَتْ صِنْفَانِ
 مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُذْوَانِ؟
 كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَخْبَثُ الْحَيَوَانِ
 سَدَ الْقَبْرِ لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانِ
 مِنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ الَّذِي تَرِيَانِ
 يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءً ذِي سُكْرَانِ
 عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بِلَا رَوْعَانِ
 حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغُضْبَانِ

- ١٥٠٠ - وَيَقُولُ: لَوْ كُنْتُ الْخَلِيلَ لِوَاحِدٍ فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْخَلِيلَ الدَّانِي
- ١٥٠١ - لَكِنَّهُ الْأَخُ وَالرَّفِيقُ وَصَاحِبِي وَلَهُ عَلَيْنَا مِنَّةُ الْإِحْسَانِ
- ١٥٠٢ - وَيَقُولُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ الْغَارِ: لَا تَحْزَنْ فَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ لَا اِثْنَانِ
- ١٥٠٣ - اللَّهُ ثَالِثُنَا وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ مَا حَازَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ
- ١٥٠٤ - يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْدَ ذَا؟ لَمْ يَذْهَبْكُمْ إِلَّا كَبِيرُ الشَّانِ
- ١٥٠٥ - فَتَفَرَّقَتْ تِلْكَ الرَّوَافِضُ كُلُّهُمْ قَدْ أَطْبَقَتْ أَسْنَانُهُ الشَّفَتَانِ
- ١٥٠٦ - وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ ذَاكَ رَضِيعُهُمْ فَهُمَا رَضِيعًا كُفْرِهِمْ بِلَبَّانِ
- ١٥٠٧ - ثُوبَانَ قَدْ نَسَجَا عَلَى الْمِنْوَالِ يَا عُرْيَانَ لَا تَلْبَسْ فَمَا ثُوبَانَ
- ١٥٠٨ - وَاللَّهُ شَرٌّ مِنْهُمَا فَهُمَا عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالشَّقَا عَلَمَانَ

الشرح

١٤٨٨ - لَبَسْتُمْ مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلُنَا فَعَدَا لَكُمْ لِلْحَقِّ تَلْبِيسَانَ لما ذكر - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ إِلَّا الْوَشَايَةُ لِلْحَكَامِ وَالسَّلَاطِينِ، وَأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ دَأْبَ الْعَاجِزِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الشُّكَايَةِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَيَحْكُمُ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، ذَكَرَ أَنَّهُمْ لَبَسُوا مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلُنَا، يَعْنِي: أَنَّهُمْ حَرَّفُوا النُّصُوصَ وَحَرَّفُوا أَقْوَالَنا أَيْضًا، وَقَالُوا عَلَيْنَا مَا لَمْ نَقُلْ، فَعَدَا لَهُمْ بِالْحَقِّ تَلْبِيسَانَ:

التلبيس الأول: للنصوص.

والتلبيس الثاني: لأقوال أهل السنة.

ثُمَّ قَالَ:

١٤٨٩- مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى إِنْسَانٍ؟!

يعني: أن الذي يتجاسر على تحريف كلام الله وكلام رسوله لا يهّمه أن يتجاسر على تحريف كلام غيرهما من الناس.

١٤٩٠- يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمْ بِأَيِّمَةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «الشَّان» أي: المُبْغِضِ، يَعْنِي: أَنْكُمْ ظَنَنْتُمْ بِأَهْلِ السُّنَّةِ، بَلْ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الْمُبْغِضِ.

١٤٩١- مَا ذَنْبُهُمْ وَتَبِيَّهُمْ قَدْ قَالَ مَا قَالُوا، كَذَاكَ مُنَزَّلَ الْفُرْقَانِ؟!

يعني: هل لهؤلاء الذين يقولون ما قال الله ورسوله هل لهم أي ذنب؟! الْجَوَابُ: أبدأ، هم على الحق.

١٤٩٢- مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمْ إِذْ جَسَمَتْ بَلْ شَبَّهَتْ صِنْفَانِ

هم يقولون: إن ظاهر النصوص التجسيم، فيجب صرفها عن ظاهرها، ظاهر النصوص التشبيه فيجب صرفها عن ظاهرها.

يعني: مثلاً، قالوا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ظاهر النصّ عندهم أن هاتين اليدين مُشَبَّهتان لأيدي المخلوقين، وأنه لا يمكن إثبات هذه الحقيقة إلا بالتشبيه، والتشبيه باطل، فإذا كان لا يمكن إثبات هذه الحقيقة إلا بالتشبيه والتشبيه باطل كانت الحقيقة باطلة، فيجب أن نصرف معنى (اليد) إلى النعمة أو القوة.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قالوا: لا يستوي شيءٌ

على شَيْءٍ إِلَّا وهو جسمٌ، والجسمُ على الله -عندهم- مستحيلٌ، وإذا كان مستحيلاً وَجَبَ أَنْ نُضْرِفَ معنى (الاستواء) إلى (الاستيلاء)، وهو الملك والغلبة والقهر، وهكذا يقولون.

فلذلك قالوا: إِنَّ النصوصَ ظاهرُها التشبيهُ، أو ظاهرُها التجسيمُ، فيجب علينا أَنْ نُضْرِفَها عن هذا الظاهر، فأساءوا وإساءتين:

الإساءة الأولى: ظنُّهم أنها تستلزم التشبيه والتجسيم.

الإساءة الثانية: صرفهم إيَّاهَا عن معانيها التي أرادها اللهُ بها ورسوله.

١٤٩٣- مَا ذَنْبُ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُذْوَانٍ؟
الجواب: لا ذنبَ له.

١٤٩٤- هَذَا كَمَا قَالَ الْخَبِيثُ لِصَاحِبِهِ كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَحَبُّ الْحَيَوَانِ
هذا رجلٌ رافضيٌّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ واقفون عند قبر النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لَهُمْ مَا سِيذِكْرَهُ ابْنُ الْقَيْمِ.

قَوْلُهُ: «كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَحَبُّ» بِالْجُرِّ صِفَةٌ لِلرَّوَافِضِ؛ فابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللهُ- وَصَفَ الرَّوَافِضَ بِأَنَّهُمْ أَحَبُّ الْحَيَوَانِ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ الرَّوَافِضُ الَّذِينَ تَصَلُّ بِدَعْتِهِمْ إِلَى الْكُفْرِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ كَافِرًا فَإِنَّهُ شَرُّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

ماذا قَالَ هذا الخبيث لصاحبه؟ وهذا الخبيث لم أجده لا في شرح (الهراس)، ولا في شرح (إبراهيم بن عيسى)، فلعلَّه منقولٌ لابن القَيْمِ، أو كان في عصره

والله أعلم، وعلى كُلِّ حالٍ لا يهْمُنَا شخصُ الرَّجُلِ، بل الذي يهْمُنَا هو الفعل والقول.

١٤٩٥- لَمَّا أَفَاضُوا فِي حَدِيثِ الرَّفْضِ عِنْدَ سَدِّ الْقَبْرِ لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانٍ

يعني: لما صاروا يتكلمون عن أصول الروافض، ومن أصولهم أن أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ظالمان، معتديان، وأنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَحَقُّ بالخلافة منها، حتَّى إني رأيتُ عجبًا عجبًا قال: إنَّ أبا بكرٍ، وعمرَ، وعليًّا، كُلُّ منهم كافرٌ.

فأمَّا أبو بكرٍ وعمرَ فلاغتصباهما الخلافة، وأما عليٌّ، فَلِأَنَّهُ لم يُدافع عن حقِّ الخلافة، فكفر بتفريطه، وعدم مدافعتِهِ عن الحقِّ الذي يَرُونَ أَنَّهُ من أَوْجَبِ الواجبات.

لما أفاضوا بهذا الحديث، قال: (لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانٍ) يَعْنِي: لا تَخْشَوْنَ من أيِّ إنسانٍ، لأنَّ البلاءَ ليسَ من إنسانٍ، بل البلاءُ من هذا الذي أشار إليه في قَوْلِهِ:

١٤٩٦- يَا قَوْمُ أَصْلُ بَلَائِكُمْ وَمُصَابِكُمْ مِنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ الَّذِي تَرَيَانِ

قَوْلُهُ: «صَاحِبِ الْقَبْرِ» أي: الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: أصلُ بَلَائِكُمْ ومصيبتِكُمْ من صاحب هذا القبر، ثم كيف ذلك؟ فقال:

١٤٩٧- كَمْ قَدَّمَ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ بَلْ غَدَا يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءَ ذِي سُكْرَانَ

فَلَمَّا قَدَّمَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ صَارَ هُوَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ، فَالذَّنْبُ إِذَنْ ذَنْبُ الرَّسُولِ -صلوات الله وسلامه عليه-، وحاشاه من الذَّنْبِ الذي يدعونه.

١٤٩٨- وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاءِ: يَوْمُكُمْ عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بِلَا رَوْعَانَ

قَوْلُهُ: «ويقول» أي: الرسول ﷺ، إِذَنْ هُوَ الَّذِي رَفَعَ مِنْ شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَهُوَ

بليتكم ومصابكم.

١٤٩٩- وَيَظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ

لَمَّا خَاطَبَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِنَّ يَقُمُ مَقَامَكَ يَبْكِي»، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَتْ؛ لَكِنْ هَكَذَا اعْتَذَرْتُ أَمَامَ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَقَالَ: «إِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ» -يَعْنِي: إِنَّ هَذَا كَيْدٌ مِنْ كَيْدِكُنَّ- «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»^(١)، وَغَضِبَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَهَذَا قَالَ: (حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ).

١٥٠٠- وَيَقُولُ: لَوْ كُنْتُ الْخَلِيلَ لِوَاحِدٍ فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْخَلِيلَ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «ويقول» أي: الرسول ﷺ حيث قال: «لو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر»^(٢).

١٥٠١- لَكِنَّهُ الْأَخُ وَالرَّفِيقُ وَصَاحِبِي وَلَهُ عَلَيْنَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وله علينا منه الإحسان»، لِأَنَّهُ قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ»^(٣)؛ فَأَبُو بَكْرٍ أَمَنُ النَّاسِ عَلَيْهِ، لَا عَمَّهُ، وَلَا ابْنَ عَمَّهُ، وَلَا أَيُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ.

١٥٠٢- وَيَقُولُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ الْغَارِ: لَا تَحْزَنْ فَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ لَا ائْتَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، رقم (٦٦٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، رقم (٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا»، رقم (٣٦٥٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨٣).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨٢).

١٥٠٣- اللَّهُ تَالِثًا وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ مَا حَاذَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ

لَمَّا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَهُمَا فِي الْغَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَ نَارًا مَحْتًا قَدَمَيْهِ قَالَ لَهُ: «مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَ بِنَيْنِ اللَّهِ تَالِثَهُمَا»^(١)، وَقَالَ لَهُ: «لَا تُحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»^(٢)، وَلَا شَكَّ أَنَّ حَفْظَ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْرَقَ سِيَاحُهُ أَبَدًا، وَهَذَا يَقُولُ: (الله ثالثنا).

قَوْلُهُ: «فَتَى عُثْمَانَ» هُوَ أَبُو بَكْرٍ، لِأَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ، فَأَبُوهُ اسْمُهُ عُثْمَانُ، وَهَذِهِ الْفَضِيلَةُ مَا حَاذَهَا إِلَّا أَبُو بَكْرٍ، فَانظُرْ إِلَى الْفَضَائِلِ الْعَظِيمَةِ!
فَيَقُولُ هَذَا الرَّافِضِيُّ الْخَبِيثُ: هَذِهِ بَلِيَّتُكُمْ الَّتِي جَعَلَتْ أَبَا بَكْرٍ مُقَدَّمًا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَليست البليّة أن يقول واحد من الناس: إنَّ أبا بكرٍ أفضل من عليٍّ، بل البليّة من صاحب هذا القبر.

١٥٠٤- يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْدَ ذَا؟ لَمْ يَدْهَكُمُ إِلَّا كَبِيرُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْدَ ذَا؟» النَّوَاصِبُ أَي: الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنَّهُمْ يُبْغِضُونَ عَلِيًّا، يَقُولُ: مَا ذَنْبُهُمْ إِذَا قَدَّمُوا أَبَا بَكْرٍ؟

قَوْلُهُ: «لَمْ يَدْهَكُمُ إِلَّا كَبِيرُ الشَّانِ»، وَالرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هُوَ كَبِيرُ الشَّانِ، يَعْنِي: هَذَا هُوَ الَّذِي دَهَاكُمْ، هُوَ الَّذِي ضَرَبَكُمْ بِدَاهِيَةٍ، حَيْثُ فَضَّلَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿تَالِثًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠]، رَقْمُ (٤٦٦٣)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمُ (٢٣٨١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، رَقْمُ (٣٦١٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ فِي حَدِيثِ الْهَجْرَةِ وَيُقَالُ لَهُ حَدِيثُ الرَّحْلِ، رَقْمُ (٢٠٠٩).

أبا بكر، وأنتم تُفَضَّلون عليًّا.

١٥٠٥- فَتَفَرَّقَتْ تِلْكَ الرَّوَافِضُ كُلُّهُمْ قَدْ أَطْبَقَتْ أَسْنَانَهُ الشَّفَتَانِ

يعني: أنهم ممتلئون غيظًا، فليس على وجوههم ابتسامَةٌ إطلاقًا، لِأَنَّهم دُهِوا بهذه الداھية التي ذكرها خبيثهم.

١٥٠٦- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ ذَاكَ رَضِيعُهُمْ فَهُمَا رَضِيعَا كُفْرِهِمْ بِلِيَانِ

فكذلك الجهميُّ أيضًا يقول: الذنبُ ذنبُ النصوصِ في إثبات التجسيم، لأنَّ الجهميَّ يقول: كُلُّ صِفَةٍ فَإِنهَا تَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، فَلَا سِتْوَاءَ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، وَ(اليدُ) تَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، وَ(الوجهُ) يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، وَهَذَا عَلَى رَأْيِ الْجَهْمِيِّ بَلِيَّةٌ وَمَصِيبَةٌ أَنْ تَكُونَ النُّصُوصُ الَّتِي هِيَ كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ تَقْتَضِي - عَلَى زَعْمِهِ - التَّجْسِيمَ.

فهو والرَّافِضِيُّ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، لَكِنَّهُ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الرَّافِضِيِّ، لِأَنَّ الْجَهْمِيَّ جَعَلَ هَذَا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالرَّافِضِيُّ جَعَلَهُ فِي مَسْأَلَةِ الْإِمَامَةِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهَا خَبِيثًا، لَكِنَّ الْجَهْمِيَّ أَشَدُّ.

١٥٠٧- ثَوْبَانٍ قَدْ نَسَجَا عَلَى الْمِنْوَالِ يَا عُرْيَانَ لَا تَلْبَسْ فَمَا ثَوْبَانِ

١٥٠٨- وَاللَّهُ شَرُّ مِنْهُمَا فَهُمَا عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالشَّقَاءِ عَلَمَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تَلْبَسْ» أَي: لَا تَلْبَسْ ثَوْبَ الْجَهْمِيِّ، وَلَا ثَوْبَ الرَّافِضِيِّ.

أَقْسَمَ ابْنُ الْقَيْمِ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ ثَوْبَانَ شَرًّا مِنْ هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ: ثَوْبِ الرَّفِضِ، وَثَوْبِ التَّجْهِمِ، (فَهُمَا عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ) وَالشَّقَاءِ (عَلَمَانِ).

فصل

- ١٥٠٩ - هَذَا وَسَابِعَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ
سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
- ١٥١٠ - عَنْ عَبْدِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ وَحَرْبِهِ
فِرْعَوْنَ ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ
- ١٥١١ - تَكْذِيبَهُ مُوسَى الْكَلِيمِ بِقَوْلِهِ:
اللَّهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ نَبَأَنِي
- ١٥١٢ - وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اعْتِقَا
دَ الْفَوْقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ
- ١٥١٣ - فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَأَشْيَاعٌ لَهُ
أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ
- ١٥١٤ - فَاسْمَعِ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْ
عَوْنَ الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ؟
- ١٥١٥ - وَانظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقِصَصِ النَّبِيِّ
تَمْحِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بَيَّانِ
- ١٥١٦ - وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الضَّلَالََةَ قُدُورَةً
بِأُمَّةٍ تَدْعُو إِلَى النَّيْرَانِ
- ١٥١٧ - فَإِمَامٌ كُلُّ مُعْطَلٍ فِي نَفْسِهِ
فِرْعَوْنٌ مَعَ نَمْرُودَ مَعَ هَامَانَ
- ١٥١٨ - طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكَذِّبًا
مُوسَى وَرَامَ الصَّرْحَ بِالْبُنْيَانِ
- ١٥١٩ - بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ
فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ
- ١٥٢٠ - فَأَبْنُوا لِي الصَّرْحَ الرَّفِيعَ لَعَلَّنِي
أَرْقَى إِلَيْهِ بِحِيلَةِ الْإِنْسَانِ
- ١٥٢١ - وَأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ:
اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو السُّلْطَانِ

- ١٥٢٢- وَكَذَلِكَ كَذَّبَهُ بِأَنَّ إِلَهَهُ نَادَاهُ بِالتَّكْلِيمِ دُونَ عِيَانِ
 ١٥٢٣- هُوَ أَنْكَرَ التَّكْلِيمَ وَالْفَوْقِيَّةَ الـ عُلْيَا كَقَوْلِ الْجَهْمِ ذِي صَفْوَانَ
 ١٥٢٤- فَمَنْ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ إِذَنْ مِمَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبْيَانِ؟

الشرح

هذه المقطوعة فيها الدليل السابع عشر على علو الله، وذلك فيما أخبر الله به عن موسى وفرعون، يقول المؤلف:

١٥٠٩- هَذَا وَسَابِعَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٥١٠- عَنْ عَبْدِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ وَحَرْبِهِ فِرْعَوْنَ ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَحَرْبِهِ فِرْعَوْنَ» يَعْنِي: وَعَنْ حَرْبِهِ فِرْعَوْنَ، «ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ»، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ جَمَعَ بَيْنَ التَّكْذِيبِ، وَالطُّغْيَانِ، وَالِاسْتِكْبَارِ، وَقَصَّتهُ فِي الْقُرْآنِ مَعْرُوفَةٌ.

١٥١١- تَكْذِيبُهُ مُوسَى الْكَلِيمِ بِقَوْلِهِ: اللَّهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ نَبَأِ نَبِي

قَوْلُهُ: «بِقَوْلِهِ» أَي: بِقَوْلِ مُوسَى.

قَوْلُهُ: «اللَّهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ نَبَأِ نَبِي» يَعْنِي: أُرْسِلَنِي، وَفِرْعَوْنُ كَذَّبَ مُوسَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] يَعْنِي: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ أَنَّ اللَّهَ أُرْسَلَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

وَوَاضِحٌ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا أَنَّ فِرْعَوْنَ يُنْكِرُ عُلُوَّ اللَّهِ، بَلْ يُنْكِرُ اللَّهَ رَأْسًا، يَقُولُ: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا.

والعجيبُ أنَّ أهلَ التعطيلِ قالوا: إنكم أنتم -أيها المُشْبِتُونَ للعلوِّ- أنتم الذين جعلتم فرعونَ إمامًا لكم، لأنَّ فرعونَ مُقَرَّرٌ بالعلوِّ، والدليلُ على إقراره أنه قَالَ لوزيره هامان: ﴿أَبْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، وهذا يدلُّ على تصديقه، فأنتم إذا قُلْتُمْ: (إنَّ اللهَ في السَّاءِ) فقد جعلتم فرعونَ إمامًا لكم.

وهذا لا شكَّ أنه من الطغيان على أهلِ السُّنَّةِ، لأنَّ قولهم هذا كقول القائل^(١):

مَا قَالَ رَبُّكَ وَيْلٌ لِّلْأُلَىٰ سَكِرُوا بَلْ قَالَ رَبُّكَ: وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَا

واحدٌ ينهى شخصًا عن شرب الخمر -ينهاه مثلًا وقت صلاةٍ- يقول: اترك الخمرَ، واذهب للصلاة، فيقول له الشاربُ هذا البيتُ والعياذُ بالله.

فهذا ترك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، وهؤلاء تركوا قولَ فرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] ووقفوا على قوله: ﴿أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨] ولم يقولوا: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] فجعلوا فرعونَ يُقَرَّرُ بعلوِّ الله، رجلٌ يُنْكِرُ اللهَ، ويقولُ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] كيف نقولُ: إنه يُقَرَّرُ بعلوه؟! فالذي يُنْكِرُ نفسَ العالِي هل يُمكنُ أن يُقَرَّرَ بعلوه؟ الجوابُ: لا يمكنُ، ولهذا قال:

١٥١٢- وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اعْتَقَا دَ الْفَوْقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ

١٥١٣- فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَاشْيَاعَ لَهُ أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ

(١) البيت غير منسوب في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٢٤).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: «فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَاشْيَاعٍ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ»
(ذَا) يَعْنِي: قَوْلُهُمْ: إِنَّا نَحْنُ أَشْيَاعٌ لِفِرْعَوْنَ بِإِثْبَاتِ الْعُلُوِّ.

١٥١٤- فَاسْمَعِ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ عَوْنَ الْمُعْطَلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟
قَوْلُهُ: «مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ؟» مِنَ الْأَوْلَى؟ وَالْجَوَابُ: الْمُعْطَلَةُ أَوْلَى،
لِأَنَّهُ هُوَ مُعْطَلٌ، بَلْ هُوَ إِمَامُ الْمُعْطَلَةِ.

١٥١٥- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقِصَصِ الَّتِي تَحْكِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بَيَّانِ
١٥١٦- وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الضَّلَالَةَ قُدُوءَةً بِأَثْمَةٍ تَدْعُو إِلَى النَّيْرَانِ

لقول الله تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١-٤٢]، فهم أئمة الكفر، يدعون إلى النيران.

١٥١٧- فَإِمَامٌ كُلُّ مُعْطَلٍ فِي نَفْسِهِ فِرْعَوْنٌ مَعَ تَمْرُودٍ مَعَ هَامَانَ

١٥١٨- طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكَذِّبًا مُوسَى وَرَامَ الصَّرْحَ بِالْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «مُكَذِّبًا مُوسَى» يَعْنِي: غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ، لَكِنْ يَرِيدُ أَنْ يُوْهِمَ قَوْمَهُ بِنِيبَانِ
الصَّرْحِ الْعَالِي، وَيَقُولُ لِصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ: أَنَا - وَاللَّهُ - رَقِيتُ أَبْحَثُ عَنْ إِلَهِ مُوسَى،
وَلَكِنْ مَا لَقِيتُهُ، هَذَا هُوَ مُرَادُهُ بِمَا طَلَبَ.

١٥١٩- بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ» الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ هُوَ فِرْعَوْنٌ، «فَوْقَ
السَّمَاءِ الرَّبُّ» يَعْنِي: قَالَ: إِنَّ مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ أَنَّ الرَّبَّ فَوْقَ السَّمَاءِ.

١٥٢٠- فَأَبْنُوا لِي الصَّرْحَ الرَّفِيعَ لَعَلَّنِي أَرْقَى إِلَيْهِ بِحِيلَةِ الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «أَرْقَى إِلَيْهِ» أي: إلى إله موسى لا إلى الله، فهو لا يُقَرَّبُ به، فيقول: (إلى إله موسى).

١٥٢١- وَأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ: اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو السُّلْطَانِ

١٥٢٢- وَكَذَلِكَ كَذَّبَهُ بِأَنَّ إِلَهَهُ نَادَاهُ بِالتَّكْلِيمِ دُونَ عِيَانِ

١٥٢٣- هُوَ أَنْكَرَ التَّكْلِيمِ وَالْفَوْقِيَّةَ الـ عَلِيًّا كَقَوْلِ الْجَهْمِ ذِي صَفْوَانَ

الجهم بن صفوان يُنكِرُ التَّكْلِيمَ، وفرعون يُنكِرُ التَّكْلِيمَ، يقول لموسى: ما كَلَّمَكَ اللهُ وما أرسلك، الجهم يُنكِرُ العلوَّ، وفرعون يُنكِرُ العلوَّ.

١٥٢٤- فَمَنْ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ إِذَنْ مِّنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبْيَانِ؟

قَوْلُهُ: «فَمَنْ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ مِّنَّا وَمِنْكُمْ؟» والمنصف سيقول: هؤلاء الجهمية وأمثالهم أولى.

١٥٢٥- يَا قَوْمَنَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِنَا أَلْفًا تَدُلُّ عَلَيْهِ بَلْ أَلْفَانِ

١٥٢٦- عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الـ أَوْلَى وَذَوْقِ حَالَاوَةِ الْقُرْآنِ

١٥٢٧- كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٥٢٨- أَتَرَوْنَ أَنَّنَا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ لِبِجَعَا جِيعِ التَّعْطِيلِ وَالْهَدْيَانِ؟!

١٥٢٩- يَا قَوْمُ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحْيِ بِالْإِذْعَانِ

- ١٥٢٠- وَتُحَكِّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ
 ١٥٢١- قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ
 ١٥٢٢- أَنْ لَيْسَ يُؤْمِنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكِّمًا
 ١٥٢٣- بَلْ لَيْسَ يُؤْمِنُ غَيْرَ مَنْ قَدْ حَكَّمَ أَلْ
 ١٥٢٤- هَذَا وَمَا ذَاكَ الْمُحَكِّمُ مُؤْمِنًا
 ١٥٢٥- هَذَا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُسَلِّدَ
- تَحَكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ
 قَسَمًا يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
 غَيْرَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
 وَحَيْثُ حَسَبُ، فَذَاكَ ذُو إِيْمَانِ
 إِنْ كَانَ ذَا حَرْجٍ وَضِيقٍ بِطَانِ
 لِمَ لِلَّذِي يَقْضِي بِهِ الْوَحْيَانِ

الشرح

- ١٥٢٥- يَا قَوْمَنَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلَنَا
 ١٥٢٦- عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ أَلْ
 ١٥٢٧- كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
 أَلْفَاتِدُّ عَلَيْهِ بَلْ أَلْفَانِ
 أَوْلَى وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ^(١)
 فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

هذه الأبيات المقطوعة أيضًا يقول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- فيها: إِنَّ لِقَوْلَنَا فِي
 عَلُوِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَلْفٌ دَلِيلٌ، بَلْ أَلْفَانِ مِنَ الْأَدِلَّةِ، كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى
 عَلُوِّ اللهِ: مِنَ الْعَقْلِ، وَالنَّقْلِ، وَالْفِطْرَةِ، وَالذَّوْقِ، كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى عَلُوِّ اللهِ -سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى- فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

- ١٥٢٨- أَتَرُونَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ
 لَجَعَا جِ التَّعْطِيلِ وَالْهَدْيَانِ؟!
 قَوْلُهُ: «أَتَرُونَ» أَي: أَنْظَنُونَ؟

(١) في نسخة: «حلاوة الإيمان». [الشارح].

قَوْلُهُ: «جَعَّاجِع» هي في الأصل: صوت الرَّحَى، هدير قد يكون فيه طحنٌ وقد لا يكون، فلا يمكنُ أن ندعَ هذه الأدلَّةَ من أجلِ جعاجعِكُم أيُّها المعطلَّة، وهذيانِكُم.

١٥٢٩- يَا قَوْمُ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحْيِ بِالْإِدْعَانِ
وهذا حقٌّ، فكلُّ مَنْ خالفَ الوحيَّ فليس على شَيْءٍ.

١٥٣٠- وَتَحَكُّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ تَحَكِّيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ
قَوْلُهُ: «تَحَكُّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ» الجليلُ: الأمورُ العظيمة، والدَّقُّ: الأمورُ التي ليست من عظامِ الأصول.

وكذلك حتَّى تحكِّمُوهُ في العبادات، وفي المعاملات، في الأمور الاجتماعية، والأمر الاقتصاديَّة، فَمَنْ حَكَّمِ الوحيَ في شَيْءٍ دونَ شَيْءٍ فقد كفرَ بالوحي كُلِّه، وليس بمؤمنٍ، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ: (أرضي بهذا، وأحكمُ به، ولا أرضى بهذا، ولا أحكمُ به) لم يكنُ مُتَّبِعاً لشرعِ الله، وإنما هو مُتَّبِعٌ لهواه، إِذْ إِنَّ الْمُتَّبِعَ لِلشَّرْعِ يَقُولُ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا في أمورِ العبادات، والمعاملات، والاقتصاديَّات، والاجتماعيَّات، وفي جميع شؤون الحياة.

١٥٣١- قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ قَسَمًا يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ

١٥٣٢- أَنْ لَيْسَ يُؤْمِنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكَّمًا غَيْرَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ» وذلك في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

انظر إلى المؤكّدات في هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الآية مُؤكّدة بالقسم، وبـ«لا»، وبإضافة الربوبية إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لآئنه صاحبُ الشريعة.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» هنا زائدة للتنبيه والتأكيد، القسم ﴿وَرَبِّكَ﴾ أُضيفت الربوبية إلى الرسول ﷺ، لآئنه صاحبُ الشريعة، وهذا نوعٌ من التأكيد، لأنّ ربوبية الله -سبحانه وتعالى- لرسوله ليست كربوبية العامة.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ أي: أنت وحدك، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فيما حصل بينهم من نزاع، وهذا هو الأوّل.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ أي: ضيقًا، بمعنى: أن تتقبّل نفوسهم هذا الحكم بانسراح وفرح وسرور، لا بضيقٍ وحرَج، وهذا هو الثاني.

الثالث: ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ أي: ينقادوا، ويذعنوا، ويستسلموا تمامًا.

الرابع: ﴿تَسْلِيمًا﴾ وهذا تأكيدٌ بالمصدر، يعنى: تسليمًا تامًا.

كُلُّ هذه المؤكّدات وهذه الشروط تدلُّ على أنه لا يمكنُ الإيمانُ إلا بهذه الأمور، فلو حَكَمَ غيرَ الرسول فليس بمؤمنٍ، ولو حَكَمَ الرسول لكن ضاق صدره بحُكمه وكرهه لكنّه يُنقّده فليس بمؤمنٍ، ولو قبله ورَضِيَ به لكن لم يُسَلِّم التسليمَ التّام، فصار يُباطلُ فليس بمؤمنٍ، إذن لا بُدَّ من هذه الأمور كُلِّها.

١٥٣٣- بَلْ لَيْسَ يُؤْمِنُ غَيْرَ مَنْ قَدْ حَكَمَ إِلَّا وَوَحِيْنٍ حَسْبُ، فَذَاكَ ذُو إِيمَانٍ

قَوْلُهُ: «حَسْبُ» يَعْنِي: فَقَطْ.

ودليل تحكيم الوحيين قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] يعني: فإن لم تردوه إلى الله والرسول فليستُم بمؤمنين.

١٥٣٤- هَذَا وَمَا ذَاكَ الْمُحَكَّمُ مُؤْمِنًا إِنْ كَانَ ذَا حَرَجٍ وَضَيْقٍ بِطَانٍ

يعني: لو حكّم الوحيين وقيل حكمهما، لكن لم يرتح له، وصار عنده ضيق فإنه ليس بمؤمن -نسأل الله العافية-، فلا بد أن يقبل، وينشرح صدره بذلك.

١٥٣٥- هَذَا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُسَلَّمَ لِمَ لِلَّذِي يَقْضِي بِهِ الْوَحْيَانَ

أيضاً لا يكفي أن ينشرح صدره، بل لا بد أن يسلم، ولنضرب لهذا أمثلة:

المثال الأول: رجلٌ لم يتحاكم إلى الشرع، بل تحاكم إلى القانون، ولم يرض بالشرع أصلاً، فهذا ليس بمؤمن.

المثال الثاني: رجلٌ تحاكم إلى الشرع، وحكم الشرع عليه، فليس له بُدٌّ من تنفيذه، لكن مع الشدة، والخرج والضيق والكرهية، هذا أيضاً ليس بمؤمن، لكنه أهونٌ من الأول.

المثال الثالث: رجلٌ تحاكم إلى الشرع، وانشرح صدره له، لكن صار يباطل، ولم يسلم التسليم التام، هذا أيضاً ليس بمؤمن، لكنه دون الثاني.

فلا بُدَّ من أمورٍ ثلاثة: التحكيم، والرضى والانسراح، والتسليم التام.

أيضاً رجلٌ آخرٌ احتلم في ليلةٍ باردة، وليس عنده ما يسخن به الماء، لكن يستطيع أن يستعمل الماء البارد مع شيءٍ من المسقّة، فقال: ليس هناك داعٍ اليوم للاغتسال، لأنّ الجوُّ بردٌ، فهذا لا يكون حكّم الشرع، إذن ليس بمؤمن.

الثاني: احتلم في الليلة الباردة، واغتسل لكن على كراهة، تجده يتكره للدين، أو لهذا العمل الواجب في الدين، هذا أيضًا ليس بمؤمن، وإن كان نَفَذَ واغتسل.

الثالث: رضي، وانقاد للاغتسال، لكن صار يباطل، ويململ حتى خرج الوقت، هذا أيضًا ليس بمؤمن، لِأَنَّهُ لم يُسَلِّمَ التَّسْلِيمَ التَّامَّ.

ففتش في نفسك الآن هل أنت في جميع العبادات والمعاملات، مُحَكِّمٌ الشريعة وينشرح صدرك لها، وتُسَلِّمُ تسليماً تاماً؟ إن كان الأمر كذلك فأنت سعيد مؤمن، وإن كان هناك عراقيل فأصلح أحوالك، فليست بمؤمن.
فلا بد أن يكون انقياداً تاماً، ورضى، وتسليم.

وهناك مَنْ يصوم رمضان ولا يتأخر، لكن مع ثقل عظيم وكراهة، وربما -نسأل الله العافية- يعترض، فهذا ليس بمؤمن، بل لا بُدَّ أن يُسَلِّمَ، ويصوم بانسراح، وصيام تام، حسب ما يؤمر به، فيكون بذلك تام الإيمان.

- ١٥٣٦- يَا قَوْمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَشَدْتُكُمْ
وَبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
- ١٥٣٧- هَلْ حَدَّثْتُمْ قَطُّ أَنْفُسَكُمْ بِذَا؟
فَسَلُّوا نَفُوسَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ
- ١٥٣٨- لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدَهُ
وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ
- ١٥٣٩- هُمْ يَشْهَدُونَ بِأَنَّكُمْ أَعْدَاءُ مَنْ
ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ
- ١٥٤٠- وَلَايِي شَيْءٌ كَانَ أَحْمَدُ خَصَمَكُمُ
أَعْنِي: ابْنُ حَنْبَلٍ الرَّضَا الشَّيْبَانِي؟
- ١٥٤١- وَلَايِي شَيْءٌ كَانَ بَعْدُ خُصُومَكُمُ
أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ؟

- ١٥٤٢ - وَلَايِي شَيْءٌ كَانَ أَيْضًا خَصَمَكُمُ
شَيْخُ الْوُجُودِ الْعَالِمُ الْحَرَّانِيُّ؟
- ١٥٤٣ - أَعْنِي: أَبَا الْعَبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّةِ الْ-
مُحْتَارِ قَامِعِ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ
- ١٥٤٤ - وَاللَّهِ لَمْ يَكُ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى
تَجْرِيدِهِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
- ١٥٤٥ - إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنِ شِرْكِ، كَذَا
تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ
- ١٥٤٦ - فَتَجَرَّدَ الْمَقْصُودُ عَنِ قَصْدِ لَهُ
فَلِذَلِكَ لَمْ يُنْصَبْ إِلَى إِنْسَانِ
- ١٥٤٧ - مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ دَعَا لِمَقَالَةٍ
غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْفُرْقَانِ
- ١٥٤٨ - فَالْقَوْمُ لَمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ الْهُدَى
وَدَعَاؤُهُمْ أَنْتُمْ لِرَأْيِ فُلَانِ
- ١٥٤٩ - شَتَّانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَحَسْبُكُمْ
يَا قَوْمُ مَا بِكُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ
- ١٥٥٠ - قَالُوا لَنَا لِمَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى
هَذَا مَقَالَةٍ ذِي هَوَى مَلَانِ
- ١٥٥١ - ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الْ-
عُلَمَاءِ بَلْ عَبَّرْتَهُمُ الْعَيْنَانِ
- ١٥٥٢ - وَتَرَكْتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا وَمَا
أَصْغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أُذُنَانِ
- ١٥٥٣ - لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ
نَعُدْ الَّذِي قَالُوهُ قَدْرَ بَنَانِ
- ١٥٥٤ - يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمْ
وَأْتَيْتُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
- ١٥٥٥ - وَنَسَبْتُمْ الْعُلَمَاءَ لِلْأَمْرِ الَّذِي
هُمُ مِنْهُ أَهْلُ بَرَاءَةٍ وَأَمَانِ
- ١٥٥٦ - وَاللَّهِ مَا أَوْصَوْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا
قَوْلَ الرَّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ
- ١٥٥٧ - كَلَّا وَلَا فِي كُتُبِهِمْ هَذَا، بَلَى
بِالْعَكْسِ أَوْصَوْكُمْ بِلَا كِتْمَانِ

- ١٥٥٨- إِذْ قَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ بِالْبُرْهَانِ
 ١٥٥٩- كَلَّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
 ١٥٦٠- فَلِذَاكَ أَوْصَوْكُمْ بِأَنْ لَا تَجْعَلُوا أَقْوَالَ هُمْ كَالنَّصِّ فِي الْمِيزَانِ
 ١٥٦١- لَكِنْ زُنُوهَا بِالنُّصُوصِ فَإِنْ تَوَا فَفَهَا فَتِلْكَ صَاحِبَةُ الْأَوْزَانِ
 ١٥٦٢- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ أَقْوَالَ هُمْ أَبَدًا عَلَى النَّصِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 ١٥٦٣- وَاللَّهُ لَا لِيُوصِيَةَ الْعُلَمَاءِ نَفْـ فَدْتُمْ وَلَا لِيُوصِيَةَ الرَّحْمَنِ
 ١٥٦٤- وَرَكِبْتُمْ الْجَهْلَيْنِ ثُمَّ تَرَكْتُمْ النَّصَّ مَعَ ظُلْمٍ وَمَعَ عُذْوَانِ

الشرح

يقول - رَحِمَهُ اللهُ -:

١٥٣٦- يَا قَوْمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَشَدْتُمْكُمْ وَبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «نَشَدْتُمْكُمْ» المناشدة: الطَّلْبُ بِالْحَاحِ؛ أَي: أَنَا أَنَا شَدُّكُمْ بِاللَّهِ، وَبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ، وَالْقُرْآنِ.

١٥٣٧- هَلْ حَدَّثْتُمْ قَطُّ أَنْفُسَكُمْ بِذَا؟ فَسَلُّوا نُفُوسَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ قَوْلُهُ: «هَلْ حَدَّثْتُمْ قَطُّ أَنْفُسَكُمْ بِذَا» يَعْنِي: بِأَنْ تَرْجِعُوا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحْكُمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ.

الذي يبدو من أفعالهم أنهم لم يُحَدِّثْهُمْ أَنْفُسَهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلِهَذَا إِذَا رَجَعْتَ إِلَى كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْعُقَايِدِ لَا تَجِدُ فِيهَا

(قَالَ اللَّهُ)، وَلَا (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ)، كُلُّهَا تَعْلِيلَاتٌ، وَنَظَرِيَّاتٌ، وَعَقْلِيَّاتٌ تَخَالَفُ
الْبَدَهِيَّاتِ، فَضْلًا عَنِ الْعُقُولِ.

ولهذا يقول:

١٥٣٨- لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ

١٥٣٩- هُمْ يَشْهَدُونَ بِأَنَّكُمْ أَعْدَاءُ مَنْ ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

أَمَّا كَوْنُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَعْدَاءُ لِكُلِّ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ فَظَاهِرٌ، وَكَذَلِكَ جُنْدُ اللَّهِ تَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَعْدَاءُ لِكُلِّ مَنْ يُحْكِمُ الْكِتَابَ
وَالسُّنَّةَ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَعْدَاءُ لِلسَّلَفِ، وَالسَّلَفُ يُحْكِمُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

لكن رسول الله كيف يشهد وهو ميت؟

نقول: يشهد بما جاءت به سنته، فكل إنسان لا يحكم الكتاب والسنة فإن
النبي ﷺ يعلم أنه عدو لمن يحكم الكتاب والسنة.

١٥٤٠- وَلَايِي شَيْءٍ كَانَ أَحْمَدُ خَصْمَكُمْ أَعْنِي: ابْنُ حَنْبَلٍ الرِّضَا الشَّيْبَانِي؟

قَوْلُهُ: «كَانَ أَحْمَدُ خَصْمَكُمْ» هَلْ كَانَ خَصْمَهُمْ؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ، كَانَ خَصْمَهُمْ،
وَشَوَّاهُ إِلَى الْمَأْمُونِ، وَأَذَاهُ الْمَأْمُونِ وَحَبْسَهُ، وَنَظَرُوا أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وَكُتِبَ فِي
الرَّدِّ عَلَيْهِمْ رِسَائِلٌ، فَكَانَ خَصْمًا لَهُمْ.

١٥٤١- وَلَايِي شَيْءٍ كَانَ بَعْدُ خُصُومَتِكُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ؟

كُلُّ مَنْ قَالَ: (قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) فَهُوَ عَدُوٌّ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ
العقائد بالحقول التي يدعون أنها عقول، وليست عقولاً.

١٥٤٢- وَلَايِّ شَيْءٍ كَانَ أَيْضًا خَصَمَكُمُ شَيْخُ الْوُجُودِ الْعَالِمُ الْحَرَّانِيُّ؟
 ١٥٤٣- أَعْنِي: أَبَا الْعَبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّةِ الْ- مُخْتَارِ قَامِعِ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ
 قَوْلُهُ: «أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ» أَي: ابْنَ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ-.

١٥٤٤- وَاللَّهِ لَمْ يَكْ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى تَجْرِيدِهِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
 وهل هذا ذنب؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ- لَا ذَنْبَ لَهُ، وَهُمْ يَعَادُونَهُ، حَتَّى
 إِنَّهُمْ قَالُوا: (مَنْ قَالَ: إِنَّ ابْنَ تَيْمِيَةَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَافِرٌ مَبَاحُ الْمَالِ وَالْدَّمِ)،
 وَأَعُوذُ بِاللَّهِ، إِلَى هَذَا الْحَدِّ، يَعْنِي: الَّذِي يَصِفُ ابْنَ تَيْمِيَةَ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ كَافِرٌ مَرْتَدٌّ،
 وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ يَصِيرُ أَكْفَرُ، فَإِذَا كَانَ مَنْ يَصِفُهُ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ كَافِرًا عِنْدَهُمْ، فَابْنُ
 تَيْمِيَةَ عِنْدَهُمْ أَكْفَرُ.

١٥٤٥- إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنِ شِرْكِ، كَذَا تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ
 قَوْلُهُ: «إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنِ شِرْكِ» فَكَتَبَهُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَكُلُّهَا مَمْلُوءَةٌ بِذَلِكَ فِي
 تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَالرَّبُّوِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ،

وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ، وَ(البُهْتَانِ) فِي الْوَحْيِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْفِظِ
 فَهَذَا لَا يُمْكِنُ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُغَيِّرَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ (لِظَفًا)، وَأَمَّا مَعْنَى فَمَا
 أَكْثَرَ الَّذِينَ حَرَّفُوا الْقُرْآنَ بِالْمَعْنَى! وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ- جَرَّدَ الْوَحْيَ عَنِ
 الْبُهْتَانِ، وَالْمُرَادُ بِالْبُهْتَانِ هُنَا بُهْتَانُ الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُغَيِّرَ لَفْظَةً مِنْ
 كِتَابِ اللهِ أَبَدًا.

١٥٤٦- فَتَجَرَّدَ الْمَقْصُودُ عَنْ قَصْدٍ لَهُ فَلِذَاكَ لَمْ يُنْصِتْ إِلَى إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «فَتَجَرَّدَ الْمَقْصُودُ عَنْ قَصْدٍ لَهُ» (المقصود) هو توحيدُ الله وكذلك توحيدُ الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أمَّا توحيدُ الله فهو بالإخلاص له، وأمَّا توحيدُ الرسول ﷺ فهو متابعتُه، وعدمُ اتِّباعِ هديِّ غيره.

قَوْلُهُ: «لَمْ يُنْصِتْ»، وفي نسخة: (لَمْ يُنْصِفْ)، وفي ثالثة: (لَمْ يُنْضَفْ).

فأما على نسخة: «فَلِذَاكَ لَمْ يُنْصِتْ إِلَى إِنْسَانٍ» هذه النسخة هي أصحُّ النسخ، وأقربها للصواب وللمعنى، يَعْنِي: أنَّ شيخَ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- ما أنصت إلى أحدٍ، ولم يمنعه أحدٌ من نشر ما هو عليه من الحقِّ، ولم يَتَّبِعْ أحدًا فيقلده تقليد الأعمى أبدًا.

وعلى نسخة (لَمْ يُنْصِفْ إِلَى إِنْسَانٍ) والإنصاف يأتي بمعنى الخشوع، يَعْنِي: لم يخشع ولم يخضع لإنسانٍ، وهذا أيضًا معنى صحيح.

وعلى نسخة (لَمْ يُنْضَفْ) ولا أدري هل هذه النقطة زائدة أو غير زائدة؟ لكن إن كانت صحيحة فهو من الإضافة، (لم ينصف إلى إنسان) يَعْنِي: لم يَتَّبِعْ إنسانًا، كما تقول: (انضاف هذا الشيء إلى هذا الشيء).

١٥٤٧- مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ دَعَا لِمَقَالَةٍ غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى- الْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْهُمْ» يَعْنِي: ابن حنبل، وأهل الحديث، وابن تيمية، رحمهم الله جميعًا.

١٥٤٨- فَالْقَوْمُ لَمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ الْهُدَى وَدَعَاؤُهُمْ أَنْتُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ

١٥٤٩- شَتَانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَحَسْبُكُمْ يَا قَوْمُ مَا بِكُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ

قَوْلُهُ: «شَتَانَ» بمعنى بُعد، وصحيحٌ أن ما بين الدعوتين متباعدٌ، ولهذا قال:

(فَحَسْبُكُمْ يَا قَوْمَ مَا بِكُمْ مِنَ الْخُذْلَانِ).

١٥٥٠- قَالُوا لَنَا دَعْوَانَاهُمْ إِلَى هَذَا مَقَالَةَ ذِي هَوَى مَلَانٍ

لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَالُوا لَنَا مَقَالَةَ صَاحِبِ (هُوَ مَلَانٍ) أَي:

ملان من الهوى.

١٥٥١- ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الْ—عُلَمَاءِ بَلْ عَبَرْتَهُمُ الْعَيْنَانِ

يعني: قالوا لنا: أنتم تدعون إلى الكتاب والسنة، وهذا استهانة بالعلماء، ما

للعلماء عندهم قدرٌ ولا حرمة، كيف تقولون: اذهبوا إلى الكتاب والسنة، والشيخُ

الفلائيُّ يقول: كذا وكذا، ما له حرمة عندهم؟!

فنقول: حرمة الكتاب والسنة عندنا أعظم من حرمة هذا وأمثاله وكلِّ

إنسان، هذا جوابنا.

١٥٥٢- وَتَرَكْتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا وَمَا أَصْغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أُذْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَتَرَكْتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا...» قائل هذا هم هؤلاء المتكلمون الذين

يرجعون إلى أقوال الشيوخ.

يقولون لنا: تركتم أقوالهم هدرًا، وما أصغت إليها منكم أذنان، نقول: أبدًا،

ما تركناها هدرًا، بل نظرنا إليها، فإن وافقت الكتاب والسنة فهي حق وقيلناها،

وإن خالفت فهي باطل، ولا نقبلها.

١٥٥٣- لَكِنَّ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ نَعُدْ الَّذِي قَالُوهُ قَدْرَ بَنَانِ

يعني: نحن الذين عرفنا حق الشيوخ، وحرمتهم، ما نتعدى أقوالهم ولو

خالفت الكتاب والسنة.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَدًّا عَلَيْهِمْ:

١٥٥٤- يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمْ وَأَتَيْتُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

١٥٥٥- وَنَسَبْتُمْ الْعُلَمَاءَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُمْ مِنْهُ أَهْلٌ بِرَاءةٍ وَأَمَانِ

ابن القيم يكذب هؤلاء، يقول: أنتم ما احترتم العلماء، ولا رجعتم إلى أقوالهم.

١٥٥٦- وَاللَّهِ مَا أَوْصَوْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا قَوْلَ الرَّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ

وهذا صحيح، ولن تجد من الأئمة من قال: (اتبعوني، ولا تتبعوا الكتاب والسنة؟) أبداً، فما أحد منهم يقول بهذا.

١٥٥٧- كَلَّا وَلَا فِي كُتُبِهِمْ هَذَا، بَلَى بِالْعَكْسِ أَوْصَوْكُمْ بِلَا كِتْمَانِ

ما الذي أوصى به الأئمة؟ أوصوا جميعاً أنه إذا كانت أقوالهم تخالف أقوال الله ورسوله فاضربوا بها عرض الحائط، فكلُّهم متفقون على هذا المعنى، جزاهم الله خيراً.

١٥٥٨- إِذْ قَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ بِالْبُرْهَانِ

فإذا كانوا غير معصومين رجعنا إلى المعصوم: كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

١٥٥٩- كَلَّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

وهذا صحيح، فليس كل واحد من العلماء أحاط بكل حديث قاله الرسول أو فعله أو أقره.

١٥٦٠- فَلِذَلِكَ أَوْصَوْكُمْ بِأَنْ لَا تَجْعَلُوا أَقْوَالَ هُمْ كَالنَّصْرِ فِي الْمِيزَانِ
 ١٥٦١- لَكِنْ زِنُوهَا بِالنُّصُوصِ فَإِنْ تَوَا فَهِيَ فَتِلْكَ صَحِيحَةُ الْأَوْزَانِ
 ١٥٦٢- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ أَقْوَالَ هُمْ أَبَدًا عَلَى النَّصِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 ١٥٦٣- وَاللَّهُ لَا لِيُوصِيَةَ الْعُلَمَاءِ نَفْسًا فَذُنُومًا وَلَا لِيُوصِيَةَ الرَّحْمَنِ
 قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ لَا لِيُوصِيَةَ الْعُلَمَاءِ نَفَّذْتُمْ» ووصيتهم هي الرجوعُ إلى الكتابِ
 والسُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «وَلَا لِيُوصِيَةَ الرَّحْمَنِ» وصيةُ الرحمنِ هي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَنْ نَرْعَمُ فِي
 شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

١٥٦٤- وَرَكِبْتُمْ الْجَهْلَيْنِ ثُمَّ تَرَكْتُمْ النَّصَّ نَصَّيْنِ مَعَ ظُلْمٍ وَمَعَ عُذْوَانٍ
 قَوْلُهُ: «وَرَكِبْتُمْ الْجَهْلَيْنِ» الْجَهْلَيْنِ يَعْنِي: الْجَهْلَ الْبَسِيطَ، وَالْجَهْلَ
 الْمُرَكَّبَ.

قَوْلُهُ: «تَرَكْتُمْ النَّصَّيْنِ» النَّصَّانِ هُمَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

قَوْلُهُ: «مَعَ ظُلْمٍ وَمَعَ عُذْوَانٍ» يَعْنِي: لَيْتَكُمْ تَرَكْتُمْ هَذَا وَسَكَّتُمْ، لَكِنْ تَعْتَدُونَ
 عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ، وَتَقُولُونَ: أَنْتَ امْتَهَنْتَ الْعُلَمَاءَ، أَنْتَ احْتَقَرْتَ الْعُلَمَاءَ، أَنْتَ
 ضَلَلْتَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

١٥٦٥- قُلْنَا لَكُمْ: فَتَعَلَّمُوا، قُلْتُمْ: أَمَا نَحْنُ الْأَيْمَّةُ فَاصْلُوا الْأَزْمَانَ
 ١٥٦٦- مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ فَاسْتَحُوا أَيْنَ النُّجُومِ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!

- ١٥٦٧- لَمْ يُشْبِهِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا أَنْتُمْ
 ١٥٦٨- وَاللَّهِ لَا عِلْمَ وَلَا دِينَ وَلَا
 ١٥٦٩- عَامَلْتُمْ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوَكُمْ
 ١٥٧٠- إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الدُّبَابُ إِذَا رَأَى
 ١٥٧١- وَإِذَا رَأَى فَزَعَا تَطَايَرَ قَلْبُهُ
 ١٥٧٢- وَإِذَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الْبُرْهَانِ كَا
 ١٥٧٣- نَحْنُ الْمُقَلِّدَةُ الْأَلَى أَلْفُوا كَذَا
 ١٥٧٤- قُلْنَا: فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَمَا لَكُمْ
 ١٥٧٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنْ مُقَلِّدًا
 ١٥٧٦- وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهَدَى بِدَلِيلِهِ
 ١٥٧٧- حِرْنَا بِكُمْ وَاللَّهِ لَا أَنْتُمْ مَعَ الْ
 ١٥٧٨- كَلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ فَمَنْ تُرَى
 ١٥٧٩- لِكِنَّهَا وَاللَّهِ أَنْفَعُ مِنْكُمْ
 ١٥٨٠- نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا وَنَالَتْ مِنْكُمْ الْ
 ١٥٨١- فَمَنْ الَّذِي خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلْوَرَى
- أَشْبَهْتُمْ الْعُلَمَاءَ فِي الْأَذْقَانِ
 عَقْلٌ وَلَا بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ
 لِلْحَقِّ بَلْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
 طُعْمًا فَيَا لِمَسَاقِطِ الدُّبَابِ
 مِثْلَ الْبُعَاثِ يُسَاقُ بِالْعِقْبَانِ
 نَ جَوَابِكُمْ جَهْلًا بِلَا بُرْهَانَ
 أَبَاءَهُمْ فِي سَالِفِ الْأَرْمَانِ
 عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانٍ؟!
 لِلنَّاسِ كَالْأَعْمَى هُمَا أَخْوَانِ
 مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ مُسْتَوِيَانِ
 عُلَمَاءٍ تَنْقَادُونَ لِلْبُرْهَانِ
 تُدْعُونَ؟ نَحْسَبُكُمْ مِنَ الثَّيْرَانِ
 لِلْأَرْضِ فِي حَرْثٍ وَفِي دَوْرَانِ
 مَعَهُودَ مَنْ بَغِيٍّ وَمِنْ عُدْوَانِ
 أَنْتُمْ أَمْ الثَّيْرَانُ بِالْبُرْهَانِ؟

الشرح

يقول - رَحِمَهُ اللهُ -:

١٥٦٥- قُلْنَا لَكُمْ: فَتَعَلَّمُوا، قُلْتُمْ: أَمَا نَحْنُ الْأَئِمَّةُ فَاصِلُوا الْأَزْمَانَ

يعني: دعوناهم للعلم، ولكنهم استكبروا، وقالوا: إنا نحن الأئمة فضلا عن العلماء.

١٥٦٦- مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ فَاسْتَحُوا أَيْنَ النُّجُومُ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!

قال ابن القيم: «مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ؟» يعني: أين أنتم من العلماء؟! فكيف تدعون أنكم أئمة؟

قوله: «أَيْنَ النُّجُومُ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!» والنجوم من الثرى التحتاني بعيد بعضها من بعض.

١٥٦٧- لَمْ يُشْبِهِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا أَنْتُمْ أَشْبَهْتُمُ الْعُلَمَاءَ فِي الْأَذْقَانِ

يعني: أنتم تُشبهون العلماء في اللحي فقط، لحيه وهيكلي عالم، ولكن لستم علماء، ولا شك أن هذا من باب التهكم بهم.

١٥٦٨- وَاللَّهُ لَا عِلْمَ وَلَا دِينَ وَلَا عَقْلَ وَلَا بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ

انتفت عنهم كل هذه الأربعة: العلم، والدين، والعقل، والمروءة.

١٥٦٩- عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوَكُمْ لِلْحَقِّ بَلِّ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

قوله: «عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوَكُمْ لِلْحَقِّ» هل عاملتموهم بالحسنى؟ الجواب: لا، ولهذا قال: «بَلِّ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ».

١٥٧٠- **إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الدُّبَابُ إِذَا رَأَى طُعْمًا فَيَا مِسَاقِطِ الدُّبَّانِ**
 يعني: أنتم مثل الدُّبَّانِ، إذا رأى طعامًا: حلاوةً، أو لحمًا وجدته يتساقطُ،
 ولكن إذا نفخت عليه نفخةً واحدةً يطيرُ، أو حَرَّكَتْ أدنى شَيْءٍ من الخُوصِ
 هَرَبَ، ولهذا قال:

١٥٧١- **وَإِذَا رَأَى فَرَعًا تَطَايَرَ قَلْبُهُ مِثْلَ البُعَاثِ يُسَاقُ بِالعُقْبَانِ**
 قَوْلُهُ: «البُعَاثِ» طائرٌ معروفٌ لكنّه جبانٌ.

قَوْلُهُ: «العُقْبَانِ» بالكسر، وهي جمع (عُقَاب) والعُقَابُ طائرٌ معروفٌ.
 فالبُعَاثُ إذا رأى العُقَابَ طار قلبه، وهرب، ثمّ يأتي العُقَابُ وراءه، يضربه
 ضربةً بمنقاره وإذا هو بالأرض، فيشبههم أيضًا بأنهم مثل البُعَاثِ يسوقه
 العُقَابُ.

١٥٧٢- **وَإِذَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى البُرْهَانِ كَمَا نَ جَوَابِكُمْ جَهْلًا بِلَا بُرْهَانِ**
 ١٥٧٣- **نَحْنُ الْمُقْلِدَةُ الأَلَى أَلْفُوا كَذَا أَبَاءَهُمْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ**

يعني: نحن مقلدةٌ، نُقَلِّدُ فُلَانًا وَفُلَانًا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى
 أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

١٥٧٤- **قُلْنَا: فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَمَا لَكُمْ عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانٍ!؟**

يعني: ما دُئِمْتُمْ مُقْلِدَةً، فليس عندكم علمٌ، كيف تكفروننا وأنتم لا تعرفون
 التكفيرَ ولا الإيْمَانَ!؟ هذا عدوانٌ وليس حقًا، ولهذا قال: (فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَمَا
 لَكُمْ عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانٍ!؟).

١٥٧٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مُقْلَدًا لِلنَّاسِ كَالْأَعْمَى هُمَا أَخَوَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ» هذا تعليل لقوله: «وَمَا لَكُمْ عِلْمٌ بِتَكْفِيرِ وَلَا إِيمَانٍ».

يقول: إن العلماء أجمعوا بأن المقلد كالأعمى، لا يهتدي للطريق، وإنما يُقَادُ،
فهما أَخَوَانِ.

يقول بعض الشعراء^(١):

لَا فَرْقَ بَيْنَ مُقْلَدٍ وَبَهِيمَةٍ تَنْقَادُ بَيْنَ جَنَادِلٍ وَدَعَاثِرٍ

لا فرق بين المقلد والبهيمة، فالبهيمة إذا وضعت الرسنَ فيها، وجررتها مع
الدعائر^(٢) والجنادل، تقطع رجليها وهي لا تدري، فالمقلد كذلك.

وقد أجمع العلماء على أن المقلد لا يُعَدُّ من العلماء، ذكر هذا ابن عبد البر
وغيره^(٣)، قال: «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُقْلَدَ لَيْسَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ
يُسْتَفْتَى، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ»، وقد قال الله تعالى: ﴿فَتَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾
[النحل: ٤٣] لكن عند الضرورة إذا لم يوجد عالمٌ مجتهدٌ يأخذ من الكتابِ والسنةِ
فنسأل المقلد.

ثُمَّ بَيَّنَّ الْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ فَقَالَ:

١٥٧٦- وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةٌ أَلْهَدَى بِدَلِيلِهِ مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ مُسْتَوِيَانِ

(١) البيت لأبي عمر بن عبد البر، في جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٥).

(٢) الدعائر، والدعائير: جمع (الدُّعُور)، بالضَّم، وهو حَوْضٌ لم يُتَنَوَّقَ فِي صَنْعَتِهِ، ولم يُوسَّع، أو هو
الْمُتَهَدَّمُ الْمُتَكَلِّمُ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١١/٢٩٧).

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣٣).

قَوْلُهُ: «وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهَدَى بِدَلِيلِهِ» هذا العلم، أن تعرف الهدى -يعني: الحق- بالدليل، وإلا فلست بعالمٍ.

١٥٧٧- حِرْنَا بِكُمْ وَاللَّهِ لَا أَنْتُمْ مَعَ الْ—عُلَمَاءِ تَنْقَادُونَ لِلْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «حِرْنَا بِكُمْ» يعني: أنتم حيرتمونا، ما ندري ما أنتم؟!!

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ لَا أَنْتُمْ مَعَ الْعُلَمَاءِ تَنْقَادُونَ لِلْبُرْهَانِ»، لأن العالم حقيقة هو الذي ينقاد إلى الحق أين وجدّه.

١٥٧٨- كَلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ فَمَنْ تُرَى تُدْعُونَ؟ نَحْسَبُكُمْ مِنَ الثَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ» أي: لا علماء ولا متعلمون.

قَوْلُهُ: «فَمَا تُرَى تُدْعُونَ» يعني: ماذا نسئلكم؟

قَالَ: «نَحْسَبُكُمْ مِنَ الثَّيْرَانِ» وهذا أحسن وصف لكم، أن نقول: أنتم ثيرانٌ.

ثُمَّ قَالَ:

١٥٧٩- لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَنْفَعُ مِنْكُمْ لِأَرْضٍ فِي حَرْثٍ وَفِي دَوْرَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهَا» يعني: الثيران.

قَوْلُهُ: «دَوْرَانِ» الدوران: كانوا يدرسون الحبّ بالبقر، يضعون خشبة قائمة في وسط السنبُل، ثم يربطون بها البقر، ثم يسوقون البقر فتدور على هذه الخشبة، فتدور السنبُل حتى يكون حبًّا، فيقول: هي أحسن منكم في الحرث وفي الدوران.

١٥٨٠- نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا وَنَالَتْ مِنْكُمْ أَلْ مَعَهُودَ مِنْ بَغْيٍ وَمِنْ عُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا» يَعْنِي: الْأَرْضَ.

١٥٨١- فَمَنْ الَّذِي خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلْوَرَى أَنْتُمْ أَمْ الشَّيْرَانُ بِالْبُرْهَانِ؟

قَوْلُهُ: «فَمَنْ الَّذِي خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلْوَرَى؟» الْجَوَابُ: الشَّيْرَانُ.

فصل

- ١٥٨٢- هَذَا وَثَامِنَ عَشْرَهَا: تَنْزِيهُهُ
 سُبْحَانَهُ عَنِ مُوجِبِ التَّقْصَانِ
- ١٥٨٣- وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ التَّمْثِيلِ وَالذُّ
 تَشْبِيهِهِ، جَلَّ اللهُ ذُو السُّلْطَانِ!
- ١٥٨٤- وَلِذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ
 عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ ثَانِي
- ١٥٨٥- أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى
 سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ!
- ١٥٨٦- أَوْ أَنْ يُوَالِيَ خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ
 مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذَلَّةٍ وَهَوَانِ
- ١٥٨٧- أَوْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَصْلًا شَافِعٌ
 إِلَّا بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
- ١٥٨٨- وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ وَالِدٍ
 وَكَذَلِكَ عَنِ وَلَدٍ هُمَا نَسَبَانِ
- ١٥٨٩- وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ زَوْجَةٍ
 وَكَذَلِكَ عَنِ كُفٍّ يَكُونُ مَدَانِي
- ١٥٩٠- وَلَقَدْ أَتَى التَّنْزِيهَ عَمَّا لَمْ يَقُمْ
 كَيْ لَا يَدُورَ بِخَاطِرِ الْإِنْسَانِ
- ١٥٩١- فَانظُرْ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنِ طُعْمٍ وَلَمْ
 يَنْسُبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ
- ١٥٩٢- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَنِ مَوْتٍ وَعَنِ
 نَوْمٍ وَعَنِ سِنَةٍ وَعَنِ غَشْيَانِ
- ١٥٩٣- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَنِ نَسْيَانِهِ
 وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نَسْيَانِ
- ١٥٩٤- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَنِ ظُلْمٍ وَفِي الْ-
 أَعْمَالِ عَنِ عَبَثٍ وَعَنِ بَطْلَانِ
- ١٥٩٥- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَنِ تَعَبٍ وَعَنِ
 عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ

- ١٥٩٦- وَلَقَدْ حَكَى الرَّحْمَنُ قَوْلًا قَالَهُ
 ١٥٩٧- إِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْـ
 ١٥٩٨- وَكَذَلِكَ أَضْحَى رَبَّنَا مُسْتَقْرِضًا
 ١٥٩٩- وَحَكَى مَقَالََةَ قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ
 ١٦٠٠- هَذَا وَمَا الْقَوْلَانِ قَطُّ مَقَالََةُ
 ١٦٠١- لَكِنَّ مَقَالََةَ كَوْنِهِ فَوْقَ الْوَرَى
 ١٦٠٢- قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَعَرْبَهَا
 ١٦٠٣- فَيَلَايَ شَيْءٌ لَمْ يُنَزَّهُ نَفْسَهُ
 ١٦٠٤- عَنْ ذِي الْمَقَالََةِ مَعَ تَفَاقُمِ أَمْرِهَا
 ١٦٠٥- بَلْ دَائِمًا يُبْدِي لَنَا إِبْتَاتَهَا
 ١٦٠٦- لَا سِيَّامًا تِلْكَ الْمَقَالََةُ عِنْدَكُمْ
 ١٦٠٧- أَوْ أَنْهَا كَمَقَالََةِ لِمُثَلَّثٍ
 ١٦٠٨- إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا
 ١٦٠٩- فَالْعَابِدُونَ لِمَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 ١٦١٠- لَكِنَّهُمْ عُبَادُ أَوْثَانٍ لَدَى
 ١٦١١- وَلِذَلِكَ قَدْ جَعَلَ الْمُعْطَلُ كُفْرَهُمْ
 فَنَحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكَفْرَانِ
 حَابُ الْغِنَى ذُو الْوَجْدِ وَالْإِمْكَانِ
 أَمْوَالَنَا، سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ!
 أَنَّ الْعُزَيْرَ ابْنَ مَنْ الرَّحْمَنِ
 مَنْصُورَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانِ
 وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
 وَعَدَتْ مُقَرَّرَةً لِيَذِي الْأَذْهَانِ
 سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 وَظُهُورِهَا فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ!
 وَيُعِيدُهُ بِأَدِلَّةِ التَّبْيَانِ
 مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
 عَبْدَ الصَّلِيبِ الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِيِّ
 لَيْسَ الْإِلَهُ مُنَزَّلُ الْفُرْقَانِ
 بِالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدِي الدِّيَانِ
 هَذَا الْمُعْطَلُ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ
 هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

- ١٦١٢- هَذَا رَأَيْنَاهُ بِكُتُبِكُمْ وَلَمْ
نَحْدُبْ عَلَيْكُمْ فَعَلَ ذِي الْبُهْتَانِ
١٦١٣- وَلَايِي شَيْءٍ لَمْ يُحْدِزْ خَلْقَهُ
عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بَيِّنَانِ
١٦١٤- هَذَا وَلَيْسَ فَسَادُهَا بِمُبَيَّنٍ
حَتَّى يُجَالَ لَنَا عَلَى الْأَذْهَانِ
١٦١٥- وَلِذَلِكَ قَدْ شَهِدَتْ أَفَاضِلُكُمْ لَهَا
بِظُهُورِهَا لِلْوَهْمِ فِي الْإِنْسَانِ
١٦١٦- وَخَفَاءٍ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيٍ عَلَى الْ-
أَذْهَانِ بَلْ تَحْتَاجُ لِلذُّبْرِ هَانِ

الشرح

في هذا الفصل الدليل الثامن عشر في الدلالة على علو الله عز وجل، ووجه ذلك باختصار: أن الله - سبحانه وتعالى - نزه نفسه عن كل نقص وعيب، وذكر المؤلف على هذا أمثلة.

والعلو عند هؤلاء القوم نقص وعيب، فلماذا لم ينزه نفسه عنه في آية واحدة من القرآن؟ مع أن الأشياء التي نزه الله نفسه عنها انقسمت إلى ثلاثة أقسام: قسم لم يقل به أحد، وقسم قال به أفراد، وقسم قال به طوائف.

وكُلُّها نفاها الله عن نفسه، لكن علو الله الذي قال كل الخلق، ولم ينزه نفسه عنه مرة واحدة، فدل هذا على أن العلو صفة كمال لا صفة نقص، وإلا لو كان صفة نقص - كما يزعم هؤلاء - لبيته الله عز وجل ونفاه عن نفسه.

وهذا استدلال خفي يخفى على كثير من الناس.

كيف نقول: إن نفي النقائص عن الله يدل على ثبوت علوه؟

والجواب: وجهه لو كان العلو نقصاً كما ذكرتم لنزه الله نفسه عنه.

يقول - رَحِمَهُ اللهُ -:

١٥٨٢- هَذَا وَثَامِنَ عَشْرَهَا: تَنْزِيهُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ مُوجِبِ النُّقْصَانِ

فهو مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُوجِبُ النُّقْصَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق:٣٨] وهذه تحتاج إلى قدرة وقوة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، وهذا نفي للنقص.

١٥٨٣- وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ التَّمَثِيلِ وَالذِّ تَشْبِيهِهِ، جَلَّ اللهُ ذُو السُّلْطَانِ!

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الْعُيُوبِ» قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- في الدَّجَالِ: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١)، وَالْعَوْرُ عَيْبٌ.

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ وَالتَّشْبِيهِ» قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، والمراد بالتشبيه هنا التمثيل لا مطلق التشبيه؛ كما مرَّ بنا كثيراً.

١٥٨٤- وَلِذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ ثَانِي

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

١٥٨٥- أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي هُبْتَانِ!

قَوْلُهُ: «أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى» قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنَّ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢]، أَي: مِنْ مُعِينٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم (٣٠٥٧)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٢٩٣٣).

١٥٨٦- أَوْ أَنْ يُوَالِيَ خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

يعني: أنه ليس له وليٌّ من الدُّلِّ، كما قَالَ تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، أما وليٌّ من العزِّ والإكرامِ فله أولياء، قَالَ تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

١٥٨٧- أَوْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَصْلًا شَافِعٌ إِلَّا بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وذلك لكهال سلطانه -جلَّ وعلا-، فلا أحدٌ يتكلمُ، ولا بالشفاعة التي فيها نفعٌ للغير، إِلَّا بِإِذْنِهِ.

١٥٨٨- وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ وَالِدٍ وَكَذَلِكَ عَنِ وَلَدٍ هُمَا نَسَبَانِ

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

١٥٨٩- وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ زَوْجَةٍ وَكَذَلِكَ عَنِ كُفٍّ يَكُونُ مُدَانِي

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ زَوْجَةٍ» كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِيبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١].

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ عَنِ كُفٍّ» كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

[الإخلاص: ٤].

١٥٩٠- وَلَقَدْ أَتَى التَّنْزِيَهُ عَمَّا لَمْ يَقُمْ كَي لَا يَدُورَ بِخَاطِرِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «لَمْ يَقُلْ» في نسخة (لَمْ يَقُمْ)، والصواب: (لَمْ يَقُلْ) باللام.

يعني: أتى التَّنْزِيَهُ عن شَيْءٍ لَمْ يَقُلْ، يَعْنِي: لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ.

مثل ماذا؟ قال:

١٥٩١- فَأَنْظُرُ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنِ طُعْمٍ وَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ
قَوْلُهُ: «فَأَنْظُرُ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنِ طُعْمٍ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾
[الأنعام: ١٤].

قَوْلُهُ: «وَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ» يَعْنِي: لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ
يَأْكُلُ، وَمَعَ هَذَا قَالَ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].
وهذا هو القسمُ الأوَّلُ الذي ذكرنا قبل قليل.

١٥٩٢- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ مَوْتٍ وَعَنْ نَوْمٍ وَعَنْ سِنَةٍ وَعَنْ غَشْيَانٍ
كُلُّ هَذَا مُنَزَّهٌ عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ.

١٥٩٣- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ نِسْيَانِهِ وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانٍ
قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ نِسْيَانِهِ» قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾
[طه: ٥٢].

قَوْلُهُ: «وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانٍ» يَعْنِي: لَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَالَ: إِنَّهُ
يَنسَى، وَمَعَ ذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْهُ.

١٥٩٤- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ ظُلْمٍ وَفِي الْ- أَفْعَالِ عَنِ عَبَثٍ وَعَنْ بُطْلَانٍ
قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ ظُلْمٍ» قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَطْلُبُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾
[الكهف: ٤٩].

قَوْلُهُ: «وَفِي الْأَفْعَالِ عَنِ عَبَثٍ، وَعَنْ بُطْلَانٍ» قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ﴿ [ص: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾ [الدخان: ٣٨].

١٥٩٥ - وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنِ تَعَبٍ وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: « وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهُ عَنِ تَعَبٍ » قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].
قَوْلُهُ: « وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ » قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٤].

إِذَنْ نَفَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنِ نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا قِيلَ وَمَا لَمْ يُقَلَّ.
إِذَنْ هَذَا قِسْمَانِ:

قِسْمٌ قِيلَ، فَنَفَاهُ اللَّهُ، مِثْلُ: الْوَلَدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، فَنَفَاهُ اللَّهُ.

قِسْمٌ لَمْ يُقَلَّ، مِثْلُ: الطَّعْمِ، وَالْمَوْتِ، الظُّلْمِ، وَالنِّسْيَانِ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَهَذَا نَفَاهُ اللَّهُ عَنِ نَفْسِهِ.

وَقِسْمٌ قِيلَ، لَكِنْ قَالَه أَفْرَادٌ، قَالَ:

١٥٩٦ - وَلَقَدْ حَكَى الرَّحْمَنُ قَوْلًا قَالَهُ فِنْحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكَفْرَانِ قَوْلُهُ: « فِنْحَاصٌ » فِنْحَاصُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ:

١٥٩٧ - إِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْحَابُ الْغِنَى ذُو الْوَجْدِ وَالْإِمْكَانِ قَوْلُهُ: « ذُو الْوَجْدِ » أَوْ (ذُو الْجِدِّ)، (الْجِدُّ) يَعْنِي: الْحِطُّ، وَ(الْوَجْدُ) يَعْنِي: الْكَثْرَةُ وَالْغِنَى.

وهذا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

١٥٩٨- وَكَذَلِكَ أَضْحَى رَبَّنَا مُسْتَقْرِضًا أَمْوَالَنَا، سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ!

قالوا: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ، لِأَنَّهُ طَلَبَ مِنَّا الْقَرْضَ، فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] فهو فقيرٌ، ونحن الأغنياء، فهذا قيل، لكن الذي قاله أفرادٌ.

ثُمَّ قَالَ الْمَوْلَفُ:

١٥٩٩- وَحَكَى مَقَالََةَ قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ الْعُزَيْرَ ابْنَ مَنِ الرَّحْمَنِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْيَهُودُ.

١٦٠٠- هَذَا وَمَا الْقَوْلَانِ قَطُّ مَقَالََةُ مَنْصُورَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانٍ يعني: أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَمْ يَتَّبِعْهُ أَحَدٌ، مَا قَالَهُ إِلَّا أَفْرَادٌ مِنَ النَّاسِ، وَالْعُلُوُّ قَالَهُ كُلُّ النَّاسِ، فَكُلُّ الْفِطْرِ تَشْهَدُ بِهِ، فَهُوَ قَوْلٌ مَنْصُورٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَهَذَا قَالَ:

١٦٠١- لَكِنَّ مَقَالََةَ كَوْنِهِ فَوْقَ الْوَرَى وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٦٠٢- قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا وَغَدَتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الْأَذْهَانِ

١٦٠٣- فَيَلَايِي شَيْءٍ لَمْ يُنَزَّهُ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٦٠٤- عَن ذِي الْمَقَالََةِ مَعَ تَفَاقُمِ أَمْرِهَا وَظُهُورِهَا فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ؟!

فصارَ تَقْرِيرُ هَذَا الدَّلِيلِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْعُلُوَّ الذَّاتِيَّ عِنْدَكُمْ صِفَةٌ نَقْصِيَّةٌ، وَإِذَا كَانَ صِفَةٌ نَقْصِيَّةٌ مَعَ ظُهُورِهِ وَانْتِشَارِهِ، وَأَنَّهُ طَبَّقَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَغَرْبًا، فَلِمَاذَا لَمْ يُنَزَّهُ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنْهُ مَعَ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُنَزَّهُ نَفْسَهُ عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي قِيلَ،

والعيب الذي قالته طوائف، والعيب الذي لم يقله إلا أفراد، فكلها نزه الله نفسه عنها، فلماذا لم يُنزه نفسه عن العلو؟!

١٦٠٥- بَلْ دَائِمًا يُبْدِي لَنَا إِثْبَاتَهَا وَيُعِيدُهُ بِأَدِلَّةِ التَّبَيُّانِ

يُبْدِي لَنَا إِثْبَاتَ الْعُلُوِّ، وَيُعِيدُهُ عَلَى وَجْهِ مَتْنَوْعَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧].

وَالْأَدِلَّةُ مَتْنَوْعَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، كَيْفَ يُبْدِي وَيُعِيدُ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ -عَلَى زَعْمِكُمْ- نَقْصٌ، مَعَ أَنَّ صِفَاتِ النِّقْصِ يَنْفِيهَا عَنِ نَفْسِهِ حَتَّى التِّي لَمْ تُقَلِّ، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَدُورَ فِي الذَّهْنِ؟

١٦٠٦- لَا سِيَّيَا تِلْكَ الْمَقَالَةَ عِنْدَكُمْ مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِي يُقَرُّ بَعْلُوَ اللَّهِ يَعْبُدُ الْوَثْنَ، لِأَنَّ الْإِقْرَارَ بِالْعُلُوِّ التَّزَامٌ بِأَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ، فَأَنْتَ تَعْبُدُ جِسْمًا كَالَّذِي يَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فَالَّذِي يُقَرُّ بِالْعُلُوِّ مُشْرِكٌ -نَعُودُ بِاللَّهِ-، لِأَنَّهُ عَبَدَ جِسْمًا، وَهَذَا قَالَ: «لَا سِيَّيَا تِلْكَ الْمَقَالَةَ عِنْدَكُمْ مَقْرُونَةٌ...» يَعْنِي: لَا سِيَّيَا وَأَنَّ تِلْكَ الْمَقَالَةَ مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

١٦٠٧- أَوْ أَنَّهَُا كَمَقَالَةٍ لِمُثَلَّثٍ عَبْدَ الصَّلِيبِ الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِي

قَوْلُهُ: «أَوْ أَنَّهَُا كَمَقَالَةٍ لِمُثَلَّثٍ عَبْدَ الصَّلِيبِ»، وَيَجُوزُ (عَبْدَ الصَّلِيبِ). مِنْ هُوَ؟ قَالَ: (الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِي).

المُشْرِكُ النَّصْرَانِيُّ - وَعَلَى النَّصَارَى لَعْنَةُ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ
ثَلَاثٌ ثَلَاثِيَّةٌ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ مُوَحَّدٌ، لِأَنَّ الثَّلَاثَةَ صَارُوا وَاحِدًا.

سُبْحَانَ اللَّهِ! مَنْ قَالَ: إِنَّ الثَّلَاثَةَ يَكُونُونَ وَاحِدًا؟! لَا يُمْكِنُ هَذَا، لَكِنْ
لِجَهْلِهِمْ، لِأَنَّهُمْ ضَالُّونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١٦٠٨ - إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا لَيْسَ الْإِلَهِ مُنْزَلُ الْفُرْقَانِ

١٦٠٩ - فَالْعَابِدُونَ لِمَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدِي الدِّيَانِ

١٦١٠ - لِكِنَّهُمْ عَبَادُ أَوْثَانٍ لَدَى هَذَا الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا» أَي: بِالْعُلُوِّ.

يعني: أَنَّ كُلَّ مَوْصُوفٍ بِالْعُلُوِّ فَهُوَ جِسْمٌ عَلَى زَعْمِهِمْ، فَإِذَا كَانَ جِسْمًا
فَالَّذِي يَعْبُدُ هَذَا الْجِسْمَ كَالَّذِي يَعْبُدُ الْوَثْنَ.

١٦١١ - وَلِذَلِكَ قَدْ جَعَلَ الْمُعْطَلُ كُفْرَهُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

أَعُوذُ بِاللَّهِ، يَعْنِي: الْمُعْطَلُ الَّذِي يُنْكِرُ عُلُوَّ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ كُفْرَ الْمُفْرِّينَ بَعْلُوهُ
«هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ»، يَعْنِي: دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالْبُرْهَانُ.

١٦١٢ - هَذَا رَأْيُنَاهُ بِكُتُبِكُمْ وَلَمْ نَكْذِبْ عَلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي الْبُهْتَانِ

١٦١٣ - وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يُحْدَرْ خَلْقُهُ عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بَيِّنَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يُحْدَرْ خَلْقُهُ عَنْهَا» أَي: عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَهِيَ مَقَالَةُ الْعُلُوِّ.

قَوْلُهُ: «ذَا شَأْنُهَا بَيِّنَانِ» يَعْنِي: أَنَّ شَأْنَهَا - عَلَى زَعْمِكُمْ - خَطِيرٌ جَدًّا، لِأَنَّهَا

هِيَ الْكُفْرُ.

١٦١٤- هَذَا وَلَيْسَ فَسَادُهَا بِمُبَيَّنٍ حَتَّى يُجَالَ لَنَا عَلَى الْأَذْهَانِ

يعني: أن الله تعالى لم يبين فسادها - على زعمهم -، بل أحالها على الأذهان، وجعلها هي التي تحكم على أنها صفةٌ نقصٍ أو صفةٌ مدح.

١٦١٥- وَلِذَاكَ قَدْ شَهِدْتَ أَفْضَلُكُمْ لَهَا بِظُهُورِهَا لِلْوَهْمِ فِي الْإِنْسَانِ

١٦١٦- وَخَفَاءَ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيِ عَلَى الْ- أَذْهَانِ بَلْ تَحْتَاجُ لِلْبُرْهَانِ

يعني: أن أفاضل هؤلاء قالوا: إن دلالة الأدلة على العلو أظهر، وأبين من الأدلة على عدم العلو، بل نحن نقول: لا أدلة، بل ولا دليل واحد على نفي صفة العلو.

فصل

- ١٦١٧- هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرِهَا: إِلْزَامُ ذِي التَّعْطِيلِ أَفْسَادُ لَازِمٍ بَيَّانٍ لِفَسَادِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِالْبُرْهَانِ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ كُلَّ النَّصِيحَةِ لَيْسَ بِالْحَوَانِ فَالْلَفْظُ وَالْمَعْنَى لَهُ طَوْعَانِ؟ مِلَّةٌ مُبَرَّأَةٌ مِنَ النُّقْصَانِ لِلنَّفْسِي وَالْتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ إِنْصَاحٍ مُوَضَّحَةٍ بِكُلِّ بَيَّانٍ؟ صَرَّحْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ؟ فِي النَّصِيحِ أَمْ لِحَفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟ تَعْطِيلِ لَا الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانٍ؟ تَوَلَّى وَيَنْزِلُ أَمْرُهُ وَفُلَانٍ؟
- ١٦١٨- وَفَسَادُ لَازِمٍ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتَضِي
- ١٦١٩- فَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ
- ١٦٢٠- مَاذَا تَقُولُ: أَكَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ
- ١٦٢١- أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا
- ١٦٢٢- أَمْ لَا؟ وَهَلْ حَارَزَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا؟
- ١٦٢٣- فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةُ فِيهِ كَا
- ١٦٢٤- فِلَايِي شَيْءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا
- ١٦٢٥- بَلْ مُفْصِحًا بِالضَّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ الْ
- ١٦٢٦- وَلَايِي شَيْءٍ لَمْ يُصَرِّحْ بِالَّذِي
- ١٦٢٧- أَلْعَجَزَهُ عَنْ ذَلِكَ أَمْ تَقْصِيرَهُ
- ١٦٢٨- حَاشَاهُ، بَلْ ذَا وَضْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ
- ١٦٢٩- وَلَايِي شَيْءٍ كَانَ يَذْكَرُ ضِدًّا ذَا
- ١٦٣٠- أَتْرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنْ قَوْلِهِ اسْ-

- ١٦٣١- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ يَعْنِي: «مَنْ» بِلَفْظِ
ظِ الِ «أَيْنَ» هَلْ هَذَا مِنَ التَّبَيُّانِ؟
- ١٦٣٢- وَاللَّهُ مَا قَالَ الْأَيْمَّةُ كُلَّ مَا
قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانٍ
- ١٦٣٣- لَكِنْ لِأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ
صَاقَتْ بِحَمَلِ دَقَائِقِ الْإِيمَانِ
- ١٦٣٤- وَغَدَتْ بِصَائِرِهِمْ كَخَفَاشٍ أَتَى
ضَوْءُ النَّهَارِ فَكَفَّ عَنْ طَيْرَانِ
- ١٦٣٥- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظِلَامُهُ
أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ
- ١٦٣٦- وَكَذَا عُقُولُكُمْ لَوْ اسْتَشْعَرْتُمْ
يَا قَوْمِ كَالْحَشَرَاتِ وَالْفَيْرَانِ
- ١٦٣٧- أَنْسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا
بِمَطَالِعِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ
- ١٦٣٨- لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُعْطَلٌ
لِعُلُوِّهِ وَصِيفَاتِهِ الرَّحْمَنِ
- ١٦٣٩- لَزِمْتَكُمْ شُنْعٌ ثَلَاثٌ فَارْتَوُوا
أَوْ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ أَوْ ثِنْتَانِ
- ١٦٤٠- تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نَصْحِهِمْ
أَوْ فِي الْبَيِّنِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ؟!
- ١٦٤١- إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ
ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
- ١٦٤٢- إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا
ضِدَّانِ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ
- ١٦٤٣- بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا
وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانِ
- ١٦٤٤- إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعْدٍ أَوْ عَلَى النَّدِ
نَظَامِ أَوْ ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ
- ١٦٤٥- وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ لَهُمْ فَفَعُ الْفَلَا
صُمٌّْ وَبُكْمٌ تَابِعُو الْعُمَيَّانِ
- ١٦٤٦- وَكَذَلِكَ أَفْرَاحُ الْقَرَامِطَةِ الْأُلَى
قَدْ جَاهَرُوا بِعِدَاوَةِ الرَّحْمَنِ

- ١٦٤٧- كَالْحَاكِمِيَّةِ وَالْأَلَى وَالْوَهُمُ
 ١٦٤٨- وَكَذَا ابْنُ سِينَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرٌ أَهْدُ
 ١٦٤٩- وَكَذَلِكَ أَفْرَاحُ الْمَجُوسِ وَشِبْهُهُمْ
 ١٦٥٠- إِخْوَانُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ وَجُنْدُهُ
 ١٦٥١- أَفَمَنْ حَوَالَتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالْ-
 ١٦٥٢- كُمُحَيَّرٍ أَضَحَتْ حَوَالَتُهُ عَلَى
 ١٦٥٣- أَمْ كَيْفَ يَشْمُرُ تَائِهَةً بِمُصَابِيهِ؟
 ١٦٥٤- قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ
 ١٦٥٥- وَمَفَاتِيحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدٍ مَنْ لَهُ التُّ-
 ١٦٥٦- فَاسْأَلْهُ فَتَفْتَحِ الْقُفْلَ مُجْتَهِدًا عَلَى الْ-
- كَأَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ آلَ سَنَانِ
 لِي الشَّرِّكَ وَالتَّكْذِيبِ وَالكُفْرَانَ
 وَالصَّابِئِينَ وَكُلِّ ذِي بُهْتَانِ
 لَا مَرَجَبًا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
 وَوَحْيِ الْمُبِينِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 أَمْثَالِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟
 وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ
 قُفْلُ التَّعَصُّبِ كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ؟
 تَضْرِيفُ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!
 أَسْنَانَ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ

الشرح

- ١٦١٧- هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرَهَا: إِلْزَامُ ذِي التَّ-
 قَوْلُهُ: «هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرَهَا»، وَيَجُوزُ «وَتَاسِعَ عَشْرَهَا»، وَيَجُوزُ «وَتَاسِعُ
 عَشْرَهَا».

قَوْلُهُ: «إِلْزَامُ ذِي التَّعْطِيلِ أَفْسَدُ لَازِمٌ بَيَّانٌ» يَعْنِي أَنْ: يُجَاجَّ صَاحِبُ التَّعْطِيلِ
 الَّذِي أَنْكَرَ عُلُوَّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالْإِلْزَامِ.

١٦١٨- وَفَسَادُ لَازِمٍ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتَضِي لِفَسَادِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِالْبُرْهَانِ

فسادُ اللازم يدلُّ على فسادِ الملزوم، وهذه قاعدةٌ مفيدةٌ؛ لأنَّ القاعدةَ المقرَّرةَ عند جميع العقلاء أنَّ فسادَ اللازمِ مقتضى لفسادِ الملزوم؛ ولهذا نقولُ لكلِّ إنسانٍ: يلزمُ من قولك كذا، وهذا لازمٌ فاسدٌ، فيدلُّ على فسادِ قوله، وجه ذلك يقول:

١٦١٩- فَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ

١٦٢٠- مَاذَا تَقُولُ: أَكَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ

١٦٢١- أَمْ لَا؟.....

اسأل هذا المعطلَّ، وقل: إنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- لَمَّا وصف ربَّه بالعلوِّ، هل كان يعرفُ ربَّه؟ الجواب: إمَّا أن يقول: نعم، أو يقول: لا.

إن قال: (لا)، يعني: إذا قال: الرسولُ لا يعرفُ ربَّه، فقد آذن على نفسه بالكفر، وإن قال: يعرفه، يقول:

١٦٢١- وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا كُلَّ النَّصِيحَةِ لَيْسَ بِالْخَوَّانِ

١٦٢٢- أَمْ لَا؟.....

اسأله مرة ثانية، وقل له: إذا كان يعرفُ ربَّه -سبحانه وتعالى- فهل كان ناصحًا لأُمَّته أو خائنًا؟ إن قال: خائنًا فقد كفر، وإن قال: ناصحًا، نقول:

١٦٢٢- وَهَلْ حَازَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا؟ فَالْلَفْظُ وَالْمَعْنَى لَهُ طَوْعَانِ؟

يعني: أم لا؟ اسأله إذا قال: إنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- ناصحٌ، قل له: هل كان فصيحًا أم عيبًا يعني: أنه يريد معنى لا يطاوعه فيه اللفظُ؟ اسأله؛

لأنَّ العَيْبِيَّ هُوَ الَّذِي يَرِيدُ الْمَعْنَى، لَكِنْ لَا يَطَاوِعُهُ اللَّفْظُ، دَائِمًا الْإِنْسَانُ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ، لَكِنْ يَعْجُزُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهُ، فَسَلُّهُ: هَلِ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَصِيحٌ أَمْ لَا؟ مَا أَظْنُهُ يَقُولُ: إِنَّهُ عَيْبِيٌّ، سَيَقُولُ: إِنَّهُ فَصِيحٌ.

إِذْنُ اجْتَمَعَ فِي كَلَامِهِ: الْعِلْمُ، وَالنُّصْحُ، وَالْبَلَاغَةُ، وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ وَجِبَ الْعَمَلُ بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ.

١٦٢٣- فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةُ فِيهِ كَا مِلَّةٌ مُبْرَأَةٌ مِنَ النَّقْصَانِ

١٦٢٤- فَلِأَيِّ شَيْءٍ عَاشَ فِيْنَا كَاتِمًا لِلنَّفْسِي وَالتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا انْتَهَتْ» يَعْنِي: كَمَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ.

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا تَامَةً فِي حَقِّهِ أَعْنِي: الْعِلْمَ، وَالنُّصْحَ، وَالْبَيَانَ، فَلِمَاذَا يَكْتُمُ مَا كَانَ يَعْرِفُهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ، كَانَ يُفْصِحُ بِخِلَافِهِ؛ وَهَذَا قَالَ:

١٦٢٥- بَلْ مُفْصِحًا بِالضَّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةً أَلْ- إِفْصَاحٍ مُوَضَّحَةً بِكُلِّ بَيَانٍ؟

هَلِ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ لِلنَّاسِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ فَوْقَكُمْ؟ بَلْ كَانَ بِالْعَكْسِ؛ وَلِذَا قَالَ: (بِالضَّدِّ) يَعْنِي: يُفْصِحُ، وَبَيِّنُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١٦٢٦- وَلَايِّ شَيْءٍ لَمْ يُصْرِّحْ بِالَّذِي صَرَّحْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ؟

قَوْلُهُ: «صَرَّحْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ» مَا الَّذِي صَرَّحُوا بِهِ؟ الْجَوَابُ: نَفْيَ الْعَلْوِ، وَمَا صَرَّحَ بِهِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ.

١٦٢٧- أَلْعَجَزِهِ عَنِ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرِهِ فِي النُّصْحِ أَمْ خِيفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟

كُلُّ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ مُتَتَفِيَةٌ، فَهُوَ لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنِ الْإِفْصَاحِ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَفْصَحُ الْخَلْقِ، وَلَيْسَ مُقْصِّرًا فِي النُّصْحِ؛ لِأَنَّهُ أَنْصَحُ الْخَلْقِ، وَلَيْسَ خَافِيًا عَلَيْهِ هَذَا؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ الْخَلْقِ.

١٦٢٨- حَاشَاهُ، بَلْ ذَا وَصْفِكُمْ يَا أُمَّةَ النَّبِيِّ تَعْطِيلٍ لَا الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «ذَا» الْمَشَارُ إِلَيْهِ يَعُودُ عَلَى هَذِهِ الْعُيُوبِ الثَّلَاثَةِ: الْعَجْزُ، أَوْ التَّقْصِيرُ، أَوْ الْخِيفَاءُ، لَكِنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ هُوَ التَّقْصِيرُ، وَعَدَمُ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ بِالْعَدْلِ.

قَوْلُهُ: «لَا الْمَبْعُوثِ» يَعْنِي: لَا وَصْفِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ.

١٦٢٩- وَلَايَ شَيْءٍ كَانَ يَذْكَرُ ضِدًّا ذَا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانٍ؟

قَوْلُهُ: «ضِدًّا ذَا» أَي: ضِدًّا تَعْطِيلِ عُلُوِّهِ، فَكَانَ دَائِمًا يُفْصَحُ بِضِدِّهِ.

١٦٣٠- أَتَرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنِ قَوْلِهِ اسْتَوْلَى وَتَوَلَّى وَيَنْزِلُ أَمْرُهُ وَفُلَانٍ؟

قَوْلُهُ: «أَتَرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنِ قَوْلِهِ اسْتَوْلَى» أَي: بَدَل: (اسْتَوْلَى)، فَالَّذِي يَقُولُ: (اسْتَوْلَى) يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: (اسْتَوْلَى)، فَلَيْسَ عَاجِزًا عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «وَيَنْزِلُ أَمْرُهُ وَفُلَانٍ» وَهَذَا فِي تَحْرِيفِهِمْ لِحَدِيثِ النَّزُولِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١)، قَالُوا: إِنَّ الَّذِي يَنْزِلُ: أَمْرُ اللَّهِ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: الَّذِي يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (فُلَانٍ).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّهَجُّدِ، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، رَقْمٌ (١٠٩٤)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، رَقْمٌ (٧٥٨).

هل الرسول ﷺ لَمَّا قَالَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا، هل هُوَ عاجزٌ عن أن يقول: (ينزل أمره)؟ أبدًا، ليس بعاجزٍ، هل هُوَ عاجزٌ أن يقول: (يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيَقُولُ؟) الجواب: لا، فلماذا لم يَقُلْ هذا؟ لماذا لم يقل: (أمره)؟ لماذا يأتي بكلمة مُوهِمَةٌ للكفر عَلَى زعمهم؟! هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ.

١٦٢١- وَيَقُولُ: أَيَّنَ اللَّهُ؟ يَعْنِي: «مَنْ» بِلَفْظِ «الْأَيْنِ» هَلْ هَذَا مِنَ التَّبْيَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَيَقُولُ: أَيَّنَ اللَّهُ؟» حَيْثُ قَالَ لِلجَارِيَةِ: «أَيَّنَ اللَّهُ؟»^(١)، «يَعْنِي: (مَنْ) بِلَفْظِ «الْأَيْنِ»» يَعْنِي: هُوَ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ لِلجَارِيَةِ: مَنْ اللَّهُ؟ فَتَقُولُ: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلًا، لَكِنْ قَوْلُهُ: أَيَّنَ اللَّهُ؟ يَرِيدُ مَنْ اللَّهُ؟

وسبحان الله! أيهما أسهل (مَنْ) أو (أَيْن)؟

الجَوَابُ: (مَنْ)؛ لأنها حرفان، (وأَيْن) ثلاثة حروف، (ومَنْ) أدلُّ عَلَى المقصودِ مِنَ (أَيْن) إِذَا كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ: مَنْ اللَّهُ.

١٦٢٢- وَاللَّهُ مَا قَالَ الْأَيُّمَةُ كُلُّ مَا قَدَّ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانِ

وَصَدَقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، يَعْنِي: الْأَيُّمَةُ مَا قَالُوا كُلُّ مَا قَالَ الرَّسُولُ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَخْفَاهُ كُلُّ مَا قَالَ الرَّسُولُ، وَيَا حَبْدًا (أمره) إِذَا كَانَ يَعْرِفُ أَكْثَرَ مَا قَالَ الرَّسُولُ، أَمَّا أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ مَا قَالَ الرَّسُولُ، فَهَذَا شَيْءٌ بَعِيدٌ.

١٦٢٣- لَكِنْ لِأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ ضَاقَتْ بِحَمْلِ دَقَائِقِ الْإِيمَانِ

وهذا صحيحٌ، فالأئمةُ جُوبِهُوا بِمَبْتَدَعَةٍ مُعْطَلَةٍ مِثْلَةٍ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، فَكَانُوا يُحَدِّثُونَ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَهُ وَيُؤَافِقُ عَقُولَهُمْ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

١٦٣٤- وَغَدَتْ بَصَائِرُهُمْ كَخَفَاشٍ أَتَى ضَوْءَ النَّهَارِ فَكَفَّ عَنْ طَيْرَانِ
 ١٦٣٥- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ
 قَوْلُهُ: «وَعَدَّتْ بَصَائِرُهُمْ كَخَفَاشٍ» الخَفَاشُ طَائِرٌ لَا يَطِيرُ إِلَّا بِاللَّيْلِ، فَإِذَا
 جَاءَ النَّهَارُ تَوَقَّفَ.

١٦٣٦- وَكَذَا عُقُولُكُمْ لَوِ اسْتَشَعَرْتُمْ يَا قَوْمِ كَالْحَشْرَاتِ وَالْفِيرَانِ
 ١٦٣٧- أَنْسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا بِمَطَالِعِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ
 الحشرات لا تخرج إلا بالليل في الغالب؛ لأنَّ النهارَ يُوحِشُهَا، وتُخَافُ مِنْهُ،
 فتندسُّ في جحورها، فإذا جَاءَ اللَّيْلُ انتشرت.

والفئران لا تخرج وهي تسمع صوتاً في المكان أبداً، وإن اضطرت للخروج
 خرجت بسرعة، لكن إذا غاب الناس عن المطبخ وجدتها تقرض الخبز، والكيك،
 وكل شيء؛ لأنه ليس حولها أحدٌ، فهي لا تعيش إلا في الانفراد.

١٦٣٨- لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُعْطَلٌ لِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمَنِ
 ١٦٣٩- لَزِمْتَكُمْ شُنْعٌ ثَلَاثٌ فَارْتَوُّوا أَوْ خَلَّةٌ مِنْهُمْ أَوْ ثَتَانِ
 ١٦٤٠- تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نُضْحِهِمْ أَوْ فِي الْبَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ!؟

يعني: لو كان الحقُّ فيما قَالَ هؤلاء المعطلةُ لَلَزِمَ أَنْ يَكُونُوا أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ
 رَسُولِهِ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ أَثْبَتَ، وَهُمْ نَفَّوْا، وَالْحَقُّ مَعَهُمْ، يَعْنِي: عَلَيَّ فَرَضَ أَنَّهُ مَعَهُمْ،
 لَزِمَ أَنْ يَكُونُوا أَعْلَمَ بِاللَّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَزِمَ أَنْ يَكُونُوا أَنْصَحَ لِعِبَادِ اللَّهِ مِنْ
 رَسُولِ اللَّهِ.

ولزم أن يكونوا أفصحَ في التعبير من رسولِ الله، وحينئذٍ نقول: الحقُّ إمَّا فيما قُلْتُمْ أيها المعطّلة، أو فيما قاله الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-، فإن كان فيما قاله الرسولُ، فأنتم على باطلٍ يجبُ أن تتركوه، وإن كان فيما قُلْتُمْ لزمكم هذه اللوازمُ الثلاثة، وهي:

الأول: أن يكونوا أعلمَ بالله من رسول الله.

الثانية: أن يكونوا أنصحَ لعباد الله من رسول الله.

الثالثة: أن يكونوا أفصحَ وأبينَ في التعبير من رسول الله ﷺ.

وكُلُّ هَذَا لا أحدَ يقولُ به.

١٦٤١- إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

وهذا صحيحٌ، فلو كان ما يقولون حقًا لكان الوحيُ -يعني: القرآنُ والسنةُ- ضلالًا.

فمثلاً: في السنةِ حديثٌ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١)، وظاهر الحديث أنه نزولٌ ذاتٍ، وهم يقولون: إنَّ مَنْ أثبتَ لله نزولَ ذاتٍ فقد كفرَ، إذن يكون مدلولُ السنةِ كُفْرًا.

وفي القرآنِ قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: استوى اللهُ عزَّ وجلَّ على العرشِ بذاته استواءً يليقُ به -تبارك وتعالى-، هم يقولون: لو فسّرنا (استوى) بمعناها الظاهر من لفظها لكان هذا كُفْرًا، فعلى زعمهم يكون مدلولُ القرآنِ كُفْرًا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

فانظر إلى هذا القول الخبيث الذي يقتضي أن يكون مدلول كلام الله ورسوله كُفْرًا؛ ولهذا قال:

١٦٤٢- إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا ضِدَّانٍ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ

وهذا صحيح.

١٦٤٣- بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانٍ

قَوْلُهُ: «بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا» أي: من الكتاب والسنة.

قَوْلُهُ: «وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانٍ» يعني: عَلَى هَذَا نَقُولُ: الْأَوْلَى بِالنَّاسِ أَلَّا يَأْخُذُوا عَقِيدَتَهُمْ فِي رَبِّهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، لَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَأْخُذُونَهَا؟ قَالَ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ:

١٦٤٤- إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعْدٍ أَوْ عَلَى النَّظَامِ أَوْ ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ

الْجَوَابُ: إِمَّا عَلَى الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، وَالْجَعْدِ بْنِ دَرَهْمٍ، أَوْ عَلَى النَّظَامِ، وَذِي

الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ.

قَوْلُهُ: «ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ» وَهُوَ أَرْسَطُو أَوْ ابْنُ سِينَا، وَغَيْرُهُمَا فَكُلُّهُمَ عَلَى

الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ.

١٦٤٥- وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ لَهُمْ فَقَعُ الْفَلَا صُمَّمْ وَبُكْمٌ تَابِعُوا الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «الْفَلَا»: جَمْعُ فَلَآةٍ، وَ«الْفَقْعُ»: مَعْرُوفٌ، كَمَا أَنَّ لَيْنَةً رَقِيقَةٌ تُدَاسُّ

بِالرَّجْلِ فَتَفْسَدُ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَا يَصْبِرُ وَلَا يَقَاوِمُ، يُقَالُ لَهُ: (أَنْتَ فَقْعُ فَلَآةٍ) يَعْنِي: كَمَا أَنَّ رَقِيقَةً لَا تَتَحَمَّلُ، فَهِيَ لِأَنَّ فَقْعُ الْفَلَآةِ.

قَوْلُهُ: «صُمَّ وَبِكُمْ» مَنْ يَقودُهُمْ؟ قَالَ: «تَابِعُوا الْعُمَيَّانِ»، أَصَمُّ وَأَبْكَمُ يَقودُهُمَا أَعْمَى! والدلالة واضحة، فَكُلُّ ضَائِعٍ، والعياذ بالله.

١٦٤٦- وَكَذَلِكَ أَفْرَاخُ الْقَرَامِطَةِ الْأُلَى قَدْ جَاهَرُوا بِعَدَاوَةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَفْرَاخٌ» جَمْعُ فَرَاخٍ، وَهُوَ وَلَدُ الطَّيْرِ الصَّغِيرِ.

ومعلومٌ أَنَّ الفَرَاخَ يُضْرَبُ به المثلُ في الضعف والمهانة، هؤُلاءِ أَفْرَاخُ القرامطة.

والقرامطة أصحابُ رجلٍ يُقَالُ له: (قَرِمِطٌ)^(١)، رجلٌ مذهبه مذهبُ باطنِيٍّ خبيثٍ، حصل مِنْهُ عدوانٌ كثيرٌ -والعياذ بالله- عَلَى المسلمين حتى إنه دخل مكة في أيام الحجِّ، وَقَتَلَ النَّاسَ وهم يطوفون بالكعبة، وَجَرَّهْمَ، ووضعهم في بئر زمزم، فأفسد ماءها، وأخذ الحجرَ الأسودَ، ونصبه عَلَى بيتِ له في الأحساء من أجل أن يَحْجَّ النَّاسُ إليه، ويدعوا الكعبةَ، وبقي عنده هناك نحوَ ثنتين وعشرين سنةً، وَهُوَ مُسْتَوَلٍ عليه، حتى أنقذه اللهُ منه، فهؤُلاءِ القرامطةُ من أشدِّ الناسِ عداوةً للمؤمنين.

١٦٤٧- كَالْحَاكِمِيَّةِ وَالْأُلَى وَالْوَهُمُ كَأَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ آلِ سَنَانِ

قَوْلُهُ: «كَالْحَاكِمِيَّةِ» الحَاكِمِيَّةُ: أتباعُ الحَاكِمِ العُبَيْدِيِّ، الَّذِي حكم مصرَ، وادَّعى أنه من ذرِّيَةِ الرسولِ -عليه الصلاة والسلام- وقصتهُ معروفةٌ، مذكورةٌ في

(١) بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وفي آخرها الطاء، هذه النسبة إلى المذهب المذموم، والرأي الخبيث، وهم جماعة من أهل هجر والبحرين والأحساء، قيل لهم القرامطة، قتلوا حاج بيت الله في الحرم، وفي رمل زهير، نُسبوا إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قَرِمِطٌ، وقيل: حمدان بن قَرِمِطٌ، وكان ممن قبل دعوتهم ثم صار رأساً في الدعوة، وقد دمر الله تعالى عليه وألحقه بإخوته عاد وشمود. انظر: الأنساب للسمعاني (١٠/٣٨٧).

كتب التاريخ^(١).

١٦٤٨- وَكَذَا ابْنُ سَيْنَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرٌ أَهْلُ الشَّرِّكَ وَالتَّكْذِيبِ وَالْكَفْرَانِ

١٦٤٩- وَكَذَلِكَ أَفْرَاحُ الْمَجُوسِ وَشِبْهُهُمْ وَالصَّابِئِينَ وَكُلُّ ذِي بُهْتَانِ

١٦٥٠- إِخْوَانُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ وَجُنْدُهُ لَا مَرْحَبًا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

ابن القيم - رحمه الله - شدد على هؤلاء الجماعة؛ لأنهم أسأؤوا إلى الإسلام أعظم إساءة، ليس في الأعمال البدنية، ولكن في الأمور العقديّة، أفسدوا عقيدة الناس حتى إن الذي يعتقد ما قالوه، يُصبح الرّبُّ عزَّ وجلَّ عنده عدماً، ليس بشيء.

١٦٥١- أَفَمَنْ حَوَّالْتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالْوَحْيِ الْمُبِينِ وَتَحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٦٥٢- كَمْ حَيْرٍ أَضْحَتْ حَوَّالْتُهُ عَلَى أَمْثَالِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

مُحَيْرٌ حَوْلَ عَلَى حَائِرٍ، كَيْفَ الْهَدَايَةُ؟ لَيْسَ هُنَاكَ هَدَايَةٌ.

قَوْلُهُ: «أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ» لا شك أنه لا يستوي من إحالته على الكتاب والسنة بمن إحالته على متحيرٍ مثله.

وتحيرُ أهلِ الكلام معلومٌ من إقرار رؤسائهم، كما قال الشهرستاني^(٢) وهو

(١) هو الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بن المعز صاحب مصر العبيدي الرافضي، بل الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٥/١٧٣).

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح، شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف، قال ابن أرسلان في (تاريخ خوارزم): عالم كئس متفنن، ولولا ميله إلى أهل الإلحاد وتحبطه في الاعتقاد، لكان هو الإمام، وكثيراً ما كنا نتعجب من وفور فضله كيف مال إلى شيء لا أصل له؟! نعوذ بالله من الخذلان، وليس ذلك إلا لإعراضه عن علم الشرع، واشتغاله بظلمات الفلسفة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٨٦).

من رؤسائهم:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ^(١)

يقول: إنه طاف على جميع المعالم في علم الكلام، ووجدهم على قسمين: (وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقْنٍ)، أو (قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ).

وقال الرازي وهو من رؤسائهم أيضًا^(٢):

نِهَائِيَّةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَدَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ: قِيلَ وَقَالُوا

فبحثهم طول عمرهم جمعوا فيه: قيل: كذا، وقالوا: كذا، وقال الآخرون: كذا، وقال الثالث: كذا، وقال الرابع: كذا، وهكذا.

على كُلِّ حَالٍ هُمْ حَيَارَى، كما قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ هُنَا.

١٦٥٣- أَمْ كَيْفَ يَشْعُرُ تَائِبُهُ بِمُصَابِهِ؟ وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ

نسأل الله العافية، التائب لا يعرف مُصَابَهُ وَهُوَ التَّيْبُ، وقد جُعِلَ عَلَى قَلْبِهِ قُفْلَانِ.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٨).

(٢) الأبيات قالها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/٩٦)، وعيون الأنباء (٢/٢٨).

١٦٥٤- قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ فَوْقَهُ قُفْلُ التَّعَصُّبِ كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ؟

أعوذ بالله، جهلٌ مُرْكَبٌ وَتَعَصُّبٌ، مَنْ يَقْوَى هَذَا؟ لَوْ أُتِيَ إِلَى عَامِّي تُحَدِّثُهُ بِحَدِيثِ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ شَيْخٌ مُتَّبِعٌ يُجِلُّهُ، وَيُقَدِّرُهُ، يَقُولُ لَكَ: أَبَدًا، أَنْتَ جَاهِلٌ، الشَّيْخُ الْفَلَائِيُّ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَهَذَا جَهْلٌ مُرْكَبٌ وَمَعَهُ تَعَصُّبٌ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْجَهْلُ الْمُرْكَبُ وَالتَّعَصُّبُ فَإِنَّهُ يَبْعُدُ جَدًّا أَنْ يَهْتَدِيَ مَنْ اتَّصَفَ بِهَا.

١٦٥٥- وَمَفَاتِيحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التَّصْرِيفُ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

نعم، وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَمَفَاتِيحُ الْأَقْفَالِ بِيَدِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَلَا تَتَّجِهْ لِسِوَاهُ، وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ: أَنَا عَلَى بَصِيرَةٍ، فَلَنْ يُضِلَّنِي أَحَدٌ، فَالرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَمَرَ مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ أَنْ يَنْأَى عَنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ، فِيرَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ يَزِيغُ بِمَا مَعَهُ مِنَ الشَّبَهَاتِ^(١).

فَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى قَلْبِكَ، وَاسْأَلِ اللَّهَ دَائِمًا الثَّبَاتَ، اسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيكَ؛ وَهَذَا قَالَ:

١٦٥٦- فَاسْأَلْهُ فَتَحَ الْقُفْلِ مُجْتَهِدًا عَلَى الْأَسْنَانِ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ

يعني: اسْأَلِ اللَّهَ دَائِمًا أَنْ يَفْتَحَ قَلْبَكَ، وَأَنْ يَعِينَكَ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي هِيَ أَسْنَانُ هَذَا الْقُفْلِ.

وَلَمَّا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ^(٢): إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣)، قَالَ: نَعَمْ، صَدَقَ الرَّسُولُ، لَكِنَّ الْمِفْتَاحَ يَحْتَاجُ إِلَى أَسْنَانٍ، إِنْ كَانَ فِيهِ أَسْنَانٌ فَتَحَ، وَإِلَّا فَلَا يَفْتَحُ، وَهَذَا صَحِيحٌ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ.

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٣١)، أبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣١٩).

(٢) هو وهب بن منبه، كما في تخريج الحديث بعده.

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله.

فصل

هَهَا وَهُوَ أَقْرَبُهَا إِلَى الْأَذْهَانِ
 طُرُقَ الْأَدْلَةِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ
 وَسِيَاقَةِ الْأَلْفَاظِ بِالْمِيزَانِ
 مِنْهَا وَأَيْنَ الْبَحْرُ مِنْ خُلْجَانِ؟
 فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ
 ثِ قَدْ غَدَتْ مَعْلُومَةُ التَّبْيَانِ
 مَعْلُومَةٌ بَرَّتْ مِنَ النُّقْصَانِ

١٦٥٧- هَذَا وَخَاتَمُ هَذِهِ الْعِشْرِينَ وَجْهٌ
 ١٦٥٨- سَرْدُ النُّصُوصِ فَإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ
 ١٦٥٩- وَالنَّظْمُ يَمْنَعُنِي مِنْ اسْتِيفَائِهَا
 ١٦٦٠- فَأَشِيرُ بَعْضَ إِشَارَةِ لِمَوَاضِعِ
 ١٦٦١- فَادْكُرْ نُّصُوصَ الْإِسْتِوَاءِ فَإِنَّهَا
 ١٦٦٢- وَادْكُرْ نُّصُوصَ الْفَوْقِ أَيْضًا فِي ثَلَاثِ
 ١٦٦٣- وَادْكُرْ نُّصُوصَ عُلُوِّهِ فِي خَمْسَةِ

الشرح

هَهَا وَهُوَ أَقْرَبُهَا إِلَى الْأَذْهَانِ
 طُرُقَ الْأَدْلَةِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ
 وَسِيَاقَةِ الْأَلْفَاظِ بِالْمِيزَانِ
 مِنْهَا وَأَيْنَ الْبَحْرُ مِنْ خُلْجَانِ؟

١٦٥٧- هَذَا وَخَاتَمُ هَذِهِ الْعِشْرِينَ وَجْهٌ
 ١٦٥٨- سَرْدُ النُّصُوصِ فَإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ
 ١٦٥٩- وَالنَّظْمُ يَمْنَعُنِي مِنْ اسْتِيفَائِهَا
 ١٦٦٠- فَأَشِيرُ بَعْضَ إِشَارَةِ لِمَوَاضِعِ

فِي هَذَا الْفَصْلِ يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: خَاتَمُ الْعِشْرِينَ أَنْ تُذَكَّرَ
 النُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَليست نوعًا واحدًا، لكنَّ

المؤلف اعتذر عن سياقها بلفظها؛ لأنَّ النَّظْمَ يمنعه، ولا يمكنه أن يأتي بالآيات الكريمة على حسب ميزان النَّظْمِ؛ لأنَّ النَّظْمَ كما قَالَ الحريريُّ - رحمه الله -^(١):
 وَجَائِزٌ فِي صَنَعَةِ الشُّعْرِ الصَّلِفُ أَنْ يَصْرِفَ الشَّاعِرُ مَا لَا يَنْصَرِفُ
 فالشُّعْرُ صَلِفٌ، لا يستطيعُ الإنسانُ أن يتحكَّم فيه، ولذا فَإِنَّهُ يشيرُ بعضُ إشارةٍ لمواضع منها.

قَوْلُهُ: «وَأَيْنَ الْبَحْرُ مِنْ خُلُجَانٍ» أيها أعظم؟
 الْجَوَابُ: البحرُ أعظمُ من الخليج لا شكَّ.

١٦٦١- فَادْكُرْ نُصُوصَ الْإِسْتِوَاءِ فَإِنَّهَا فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ
 هذا نوعٌ من أنواع أدلة العلوِّ، وَهُوَ الْإِسْتِوَاءُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صرَّحَ أَنَّهُ - سبحانه -
 اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَهِيَ مَعْلُومَةٌ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا.

١٦٦٢- وَادْكُرْ نُصُوصَ الْفُوقِ أَيْضًا فِي ثَلَاثِ قَدْ عَدَّتْ مَعْلُومَةَ التَّبْيَانِ
 هذا نوعٌ آخر، وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِذِكْرِ الْفُوقِيَّةِ فِي ثَلَاثِ آيَاتٍ: فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ
 آيَاتَانِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨] وَقَالَ تَعَالَى:
 ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، وَفِي النَّحْلِ قَالَ تَعَالَى:
 ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

١٦٦٣- وَادْكُرْ نُصُوصَ عُلوِّهِ فِي خَمْسَةِ مَعْلُومَةِ بَرَأَتِ مِنَ النَّقْصَانِ
 قَوْلُهُ: «وَادْكُرْ نُصُوصَ عُلوِّهِ فِي خَمْسَةِ» وَهِيَ قَوْلُهُ - سبحانه - وَتَعَالَى -: ﴿وَهُوَ

(١) انظر: ملحة الإعراب (ص: ٧٢).

أَلَعَلِّيَ الْعَظِيمُ ﴿ [البقرة: ٢٥٥] من آية الكرسي ومن سورة الشورى أيضًا [الشورى: ٤].

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾

[الرعد: ٩]، وقوله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، فهذه خمسة.

١٦٦٤- وَاذْكُرْ نُصُوصًا فِي الْكِتَابِ تَضَمَّنَتْ تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبَّنَا الرَّحْمَنِ

١٦٦٥- فَتَضَمَّنَتْ أَصْلَيْنِ قَامَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ كَالْبُنْيَانِ

١٦٦٦- كَوْنِ الْكِتَابِ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

١٦٦٧- وَعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تُعَدُّ أَوْ زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْحُسْبَانِ

١٦٦٨- وَاذْكُرْ نُصُوصًا ضَمَّنَتْ رَفْعًا وَمَعْدَ رَاجَا وَإِضْعَادًا إِلَى الدِّيَانِ

١٦٦٩- هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ فَاطْلُبْهَا مِنَ الْقُرْآنِ

١٦٧٠- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ الْمُلْكِ الَّتِي تُنْجِي لِقَارِيَّتَهَا مِنَ النَّيْرَانِ

١٦٧١- نَصَّانٍ: أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانٍ

الشرح

١٦٦٤- وَاذْكُرْ نُصُوصًا فِي الْكِتَابِ تَضَمَّنَتْ تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبَّنَا الرَّحْمَنِ

١٦٦٥- فَتَضَمَّنَتْ أَصْلَيْنِ قَامَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ كَالْبُنْيَانِ

١٦٦٦- كَوْنُ الْكِتَابِ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

١٦٦٧- وَعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تُعَدُّ أَوْ زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْحُسْبَانِ

هذه أيضًا ثلاثة أنواع، وقد سبق الإِسْتِوَاءُ، وَالْفَوْقِيَّةُ، وَالْعُلُوُّ.

الرابع: كَوْنُ الْقُرْآنِ تَنْزِيلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهَذَا فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ بَلَغَتْ سَبْعِينَ آيَةً أَوْ تَزِيدُ، أَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ تَضَمَّنَتْ أَصْلِينَ قَامَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامُ وَالْإِيْمَانُ كَالْبِنْيَانِ، وَهُمَا:

الأصل الأول: كَوْنُ الْكِتَابِ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالْقُرْآنُ كَلَامٌ، وَالْكَلَامُ صِفَةُ الْمُتَكَلِّمِ، فَإِذَا كَانَ الْكَلَامُ نَزَلَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ صِفَتُهُ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فَوْقًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ صِفَتَهُ، وَقَدْ نَزَلَ مِنْ فَوْقٍ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْمُوصُوفُ فَوْقًا.

الأصل الثاني: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ صِفَةٌ، إِذْ هُوَ كَلَامٌ، وَالْكَلَامُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِمُتَكَلِّمٍ، فَالْقُرْآنُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّهُ صِفَةُ اللَّهِ.

فَتَضَمَّنَ ذِكْرُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمْرَيْنِ:

الأمر الأول: علوُّ الله عزَّ وجلَّ لِأَنَّ النُّزُولَ يَكُونُ مِنْ أَعْلَى.

الأمر الثاني: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ مِنْهُ، وَهُوَ صِفَةٌ، فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللَّهِ.

ثُمَّ ذَكَرَ النَّوْعَ الْخَامِسَ فَقَالَ:

١٦٦٨- وَادْكُرْ نُصُوصًا ضَمَّنْتَ رَفْعًا وَمِعْ رَاجًا وَإِضْعَادًا إِلَى الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «ضُمَّتْ رَفْعًا» قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال عن عيسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

قَوْلُهُ: «وَمِعْرَاجًا» كما في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

قَوْلُهُ: «وَإِضْعَادًا» الإِضْعَادُ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ .
 ١٦٦٩- هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ فَاطْلُبْنَاهَا مِنَ الْقُرْآنِ إِذْ نَ الصَّعُودُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمَصْعُودُ إِلَيْهِ عَالِيًّا، وَالْعُرُوجُ كَذَلِكَ، وَالرَّفْعُ كَذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الْخَامِسُ مِنَ الْأَدَلَّةِ.

النَّوْعُ السَّادِسُ: أَنَّ اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَهَذَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْمَلِكِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٧]؛ وَهَذَا قَالَ:

١٦٧٠- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ الْمُلِكِ الَّتِي تُنْجِي لِقَارِئِهَا مِنَ النَّيرانِ
 ١٦٧١- نَصَّانٍ: أَنَّ اللهُ فَوقَ سَمَائِهِ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانٍ

قَوْلُهُ: «نَصَّانٍ» النَّصُّ يَعْنِي: الدَّلِيلَ الْوَاضِحَ؛ وَهَذَا قِيلَ: «فِيهِ نَصٌّ» مَاخُودٌ مِنْ مَنْصَةِ الْعُرُوسِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا لَيْلَةُ الزَّفَافِ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ رَفِيعَةٌ، فَالنَّصُّ مَعْنَاهُ: الْمَعْنَى الظَّاهِرُ لِلْفِظِ، لَكِنْ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانٍ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: مُلْكُهُ، وَليْسَ هُوَ، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: سُلْطَانَهُ، وَليْسَ هُوَ.

ولا شكَّ أن هذا تحريفٌ؛ لأنَّ قوله: ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ ضميرُ الصلوة يعودُ إلى الله لا إلى غيره، فإذا قلنا: (مَن فِي السَّمَاءِ مُلْكُهُ) فمعناه أنَّ الصلوة عادت إلى غير موصولها، فالصلوة تعودُ إلى الموصول، والموصول هو الله ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾.

فـ(مَن) اسمٌ موصولٌ يعود على الله عزَّ وجلَّ، فالذي في السَّمَاءِ ليس مُلْكُهُ، بل هو الله نفسه، أما مُلْكُهُ فله مُلكُ السَّموات والأرض، فملكُهُ في السَّموات وفي الأرض، وسلطانه في السَّموات وفي الأرض.

لكنَّ المحرِّفَ -والعياذ بالله- لَمَّا طبع اللهُ على قلبه صار لا يرى الحقَّ حقًّا، بل يرى الباطلَ حقًّا، وإلَّا فإنَّ الأمرَ واضحٌ والله الحمد، فتكونُ هذه الآيةُ نوعًا سادسًا في الدلالة على علوِّ الله.

- | | |
|--|---|
| قُلْنَا سَبَّحْ بِلْ أْتَى بِسْمَانِ | ١٦٧٢- وَلَقَدْ أَتَى التَّخْصِيصُ بِالْعِنْدِ الَّذِي |
| أَعْرَافِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي | ١٦٧٣- مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الْ- |
| لِسِوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَانِ | ١٦٧٤- فَتَدَبَّرِ التَّعْيِينَ وَأَنْظُرْ مَا الَّذِي |
| بَادِي الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ | ١٦٧٥- وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ أَيْضًا ثَالِثٌ |
| نَفْسِ الْمُرَادِ وَقَيَّدَتْ بِيَانِ | ١٦٧٦- وَلَدَيْهِ فِي مُزْمَلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ |
| مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا وَلَا تَيَّانِ | ١٦٧٧- لَا تَنْقُضُ الْبَاقِي فَمَا لِمُعْطَلٍ |
| سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ذُو شَانِ | ١٦٧٨- وَبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزْمَلٍ |
| عَلِمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي | ١٦٧٩- فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدْ |

- ١٦٨٠- لَمْ يَسْمَحِ الْمُتَأَخَّرُونَ بِنَقْلِهِ جُبْنَا وَضَعْنَا عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ
 ١٦٨١- بَلْ قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الْإِسْلَامِ هُمْ أَمْرَاءُ هَذَا الشَّانِ
 ١٦٨٢- وَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّيْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» حَكَيْتُ بِهِ الْقَوْلَانَ

الشرح

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله عز وجل وهو أنه جاء آيات متعددة في إثبات (العنديّة)، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢]، وأمثال ذلك.

فـ(العنديّة) تدلُّ على العلو؛ لأنه لو لم يكن عاليًا لكان كلُّ الخلق عنده، وحينئذ لا يتميِّز القريبُ من البعيد، فالنصوصُ التي فيها إثباتُ (العنديّة) تدلُّ على أن الله - سبحانه وتعالى - عالٍ فوق عرشه.

يقول المؤلف:

- ١٦٧٢- وَلَقَدْ أَتَى التَّخْصِيصُ بِالْعِنْدِ الَّذِي قُلْنَا بِسَبْعِ بَلْ أَتَى بِثَمَانٍ
 أي: في ثمان آياتٍ أو ثمانية مواضع.
 ١٦٧٣- مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الْاَعْرَافِ ثُمَّ الْاَنْبِيَاءِ الثَّانِي

قوله: «بِسُورَةِ الْاَعْرَافِ» في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

قَوْلُهُ: «ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي» وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

١٦٧٤- فَتَدَبَّرِ التَّعِينِ وَأَنْظُرْ مَا الَّذِي لِسِوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَانَ
التعِينُ لِمَنْ عِنْدَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سِوَى هَؤُلَاءِ لَيْسُوا عِنْدَهُ، إِذَنْ فَهُوَ -سَبْحَانَهُ
وَتَعَالَى- عَالٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عِنْدَهُ.

١٦٧٥- وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ أَيْضًا ثَالِثٌ بِأَدْيِ الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
قَوْلُهُ: «وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ» كَمَا قَالَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا
فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

١٦٧٦- وَلَدَيْهِ فِي مُزَّمِّلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ
نَفْسَ الْمُرَادِ وَقَيَّدَتْ بَيَانَ
قَوْلُهُ: «وَلَدَيْهِ فِي مُزَّمِّلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ نَفْسَ الْمُرَادِ» وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا﴾ [المزمل: ١٢].

١٦٧٧- لَا تَنْقُضُ الْبَاقِي فَمَا لِمُعْطَلٍ
مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا وَلَا تَبَيَّنِ
يعني: أَنَّ (لدى)، (وعند) لَا يَتَنَاقِضَانِ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: (فَلَانٌ لَدَيْي، وَفَلَانٌ
عِنْدِي)، وَهُمَا سِوَاءٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَلَا يَتَنَاقِضَانِ.

١٦٧٨- وَبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزَّمِّلٍ
سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ذُو شَانِ

١٦٧٩- فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدْ
عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «وَبِسُورَةِ الشُّورَى» يَعْنِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥].

قَوْلُهُ: «وَفِي مُزْمَلٍ» يعني: قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾

[المزمل: ١٨].

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يُرِدْ عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي» يعني: مَنْ يُرِدْ عِلْمًا بِهَذَا الشَّانِ

العظيم في سورة الشورى، وفي سورة المزمل فهو قريبٌ، فقوله - سبحانه وتعالى -:

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ فقوله: ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ يدلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى

فوق، فمن عظمته تكادُ السَّمَوَاتُ تتفطرُ من فوق، ولم يقل: (من تحتهن) ممَّا يدلُّ

عَلَى أَنَّ الَّذِي تُعَظَّمُهُ هَذِهِ السَّمَوَاتُ وَتَكَادُ تَتَفَطَّرُ مِنْهُ فَوْقَهَا.

١٦٨٠- لَمْ يَسْمَحِ الْمُتَأَخَّرُونَ بِنَقْلِهِ جُبْنًا وَضَعْفًا عَنَّهُ فِي الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُتَأَخَّرُونَ» يعني بهم: أهل الكلام؛ لأنَّ أهل الكلام يكرهون كُلَّ

نَصٍّ يَخَالِفُ بَدْعَتَهُمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: (أَتَمْنَى أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ حَكِّ

قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾

[الشورى: ١١]؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فَهَذِهِ صِفَةٌ نَفِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] صِفَةٌ إِثْبَاتِيَّةٌ، فَيَقُولُ: أَنَا أَتَمْنَى أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ حَكِّ

﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لِمَاذَا؟ لِأَنَّهَا جَاءَتْ عَلَى خِلَافِ مَرَادِهِ.

١٦٨١- بَلْ قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الْإِسْلَامِ هُمْ أَمْرَاءُ هَذَا الشَّانِ

١٦٨٢- وَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّيْرِيِّ فِي «تَفْسِيرِهِ» حَكَيْتُ بِهِ الْقَوْلَانَ

يعني: قالوا ما دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾.

فصل

- ١٦٨٣- هَذَا وَحَادِيهَا وَعِشْرِينَ الَّذِي
 ١٦٨٤- إِيْتَانُ رَبِّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
 ١٦٨٥- فَانظُرْ إِلَى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الْ
 ١٦٨٦- إِنَّ الْمَجِيءَ لِذَاتِهِ لَا أَمْرِهِ
 ١٦٨٧- إِذْ ذَانِكَ الْأَمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَبَيْنَ
 ١٦٨٨- وَاللَّهِ مَا اخْتَمَلَ الْمَجِيءُ سِوَى مَجِي
 ١٦٨٩- مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أُوْلِي الْمَعْقُولِ إِنْ
 ١٦٩٠- مِنْ فَوْقِنَا أَوْ تَحْتِنَا أَوْ عَن سَمَاءِ
 ١٦٩١- وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ
 ١٦٩٢- كَلَّا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ
 ١٦٩٣- وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا مِنَ الْ
- قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 وَجِيئُهُ لِلْفَضْلِ بِالْمِيزَانِ
 قُرْآنٍ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَانِ
 كَلَّا وَلَا مَلَكٌ عَظِيمُ الشَّانِ
 نَهْمَا مَجِيءُ الرَّبِّ ذِي الْعُفْرَانِ
 الْعَذَاتِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْبُرْهَانِ
 كُنْتُمْ ذَوِي عَقْلِ مَعَ الْعِرْفَانِ
 ئِلْنَا وَمِنْ خَلْفٍ وَعَنْ أَيْمَانِ؟
 أَبَدًا، تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
 وَعَنْ الشَّمَائِلِ أَوْ عَنِ الْأَيْمَانِ
 عَلُو الَّذِي هُوَ فَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

الشرح

المؤلف - رحمه الله - ذكر هنا الدليل الحادي والعشرين من الأدلة الدالة على علو الله عز وجل وهو ما ثبت في القرآن والسنة من أن الله - سبحانه وتعالى -

يجيء للفصل بين عبادته يوم القيامة، فإذا ثبت هذا فمن أين يجيء؟ هل يجيء من تحت؟ لا يمكن، وهل يجيء من يمين، أو شمال، أو خلف، أو أمام؟ لا يمكن أيضاً؛ لأنه يقتضي أن يكون مساوياً للمخلوق، إذن لا يمكن إلا من فوق.

قال المؤلف:

١٦٨٣- هَذَا وَحَادِيهَا وَعِشْرِينَ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

١٦٨٤- إِتْيَانُ رَبِّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ وَوَجِيئُهُ لِلْفَضْلِ بِالْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «وَجِيئُهُ لِلْفَضْلِ بِالْمِيزَانِ» وهذا يكون يوم القيامة.

١٦٨٥- فَانظُرْ إِلَى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الْـ قُرْآنِ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَانِ

١٦٨٦- إِنَّ الْمَجِيءَ لِذَاتِهِ لَا أَمْرِهِ كَلًّا وَلَا مَلَكٌ عَظِيمُ الشَّانِ

١٦٨٧- إِذْ ذَانِكَ الْأَمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَبَيَّنَّ نُهُمَا مَجِيءُ الرَّبِّ ذِي الْغُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمَجِيءَ» ويجوز: «أن المجيء».

وهذا في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ

صَفًّا صَفًّا ﴿الفجر: ٢١-٢٢﴾ فهنا لا يستقيم أن يُقَالَ: (جاء أمر ربك)، ولا (جاء ملك من الملائكة)؛ لأن الملائكة قد ذُكِرَتْ.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ

يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴿[الأنعام: ١٥٨] وهذا تقسيم وتنويع واضح أن المراد إتيان الله - سبحانه وتعالى - بنفسه، فإذا كان يأتي فيقول:

١٦٨٨- وَاللَّهُ مَا احْتَمَلَ الْمَجِيءُ سِوَى مَجِيءِ الذَّاتِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْبُرْهَانِ

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

- ١٦٨٩- مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أُوْلِي الْمَعْقُولِ إِنَّ
كُنْتُمْ ذَوِي عَقْلٍ مَعَ الْعِرْفَانِ
١٦٩٠- مِنْ فَوْقِنَا أَوْ تَحْتِنَا أَوْ عَنْ شَمَا
ئِلِنَا وَمِنْ خَلْفٍ وَعَنْ أَيِّمَانٍ؟
١٦٩١- وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ
أَبَدًا، تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
١٦٩٢- كَلَّا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ
وَعَنْ الشَّمَائِلِ أَوْ عَنْ الْأَيِّمَانِ
١٦٩٣- وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا مِنَ الْـ
وهذا واضح.

فصل

في الإشارة إلى ذلك من السنة

- ١٦٩٤- وَأذْكَرُ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ
كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ
- ١٦٩٥- لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلِيقَةَ رَبَّنَا
كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الْإِحْسَانِ
- ١٦٩٦- وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الْ
عَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الْأَرْكَانِ
- ١٦٩٧- إِيَّيْنَا الرَّحْمَنُ تَسْبِقُ رَحْمَتِي
غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي
- ١٦٩٨- وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيِّنَا فِي خُطْبَةٍ
نَحْوَ السَّمَاءِ بِأَصْبُعٍ وَبَنَانِ
- ١٦٩٩- مُسْتَشْهِدًا رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ
- ١٧٠٠- أَتْرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَاءِ مُسْتَشْهِدًا
أَمْ لِلَّذِي هُوَ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ؟
- ١٧٠١- وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقِيَّةِ الْمَرْضَى عَنِ الْ
هَادِي الْمُبِينِ أَتَمَّ مَا تَبَيَّنَ
- ١٧٠٢- نَصُّ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ
فَاسْمَعُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْأُذُنَانِ
- ١٧٠٣- وَلَقَدْ أَتَى خَبْرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الْ
عَبَّاسُ صِنُو أَبِيهِ ذُو الْإِحْسَانِ
- ١٧٠٤- أَنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِنْ فَوْقِهَا الْ
كُرْسِيِّ عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ
- ١٧٠٥- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ خَلْقَهُ
فَانظُرْهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْعَيْنَانِ
- ١٧٠٦- وَأذْكَرُ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الثَّ
ثِقَةِ الرِّضِيِّ أَعْنِي: أَبَا عِمْرَانَ

- ١٧٠٧- إِذْ قَالَ: رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغْبَتِي
 ١٧٠٨- فَأَقْرَهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ وَلَمْ يَقُلْ:
 ١٧٠٩- حَيْرَتَ بَلْ جَهَيْتَ بَلْ شَبَّهْتَ بَلْ
 ١٧١٠- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ: مَا
 ١٧١١- فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ
 ١٧١٢- وَادْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبُّ
 ١٧١٣- وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمُعْطَلِ لِلَّذِي
 ١٧١٤- وَاحْكُمْ بِأَيِّمَا تَشَاءُ وَإِنِّي
 ١٧١٥- إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهْمِ صَاحِبِ
- وَلِرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانٍ
 أَنْتَ الْمُجَسِّمُ قَائِلٌ بِمَكَانٍ
 جَسَّمْتَ لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ
 قَدْ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عِمْرَانَ
 أَتْبَاعِهِمْ فَالْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ
 بِي فِي السَّمَاءِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
 قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ
 لِأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ
 التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

الشرح

هذه المقطوعة أشار المؤلف - رحمه الله - فيها إلى أحاديث متعددة فقال:

- ١٦٩٤- وَادْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ
 ١٦٩٥- لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلِيقَةَ رَبُّنَا
 ١٦٩٦- وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الْ
 ١٦٩٧- إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسْبُقُ رَحْمَتِي
- كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ
 كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الْإِحْسَانِ
 عَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الْأَرْكَانِ
 غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي

قَوْلُهُ: «وَادْكُرْ حَدِيثًا...» هَذَا حَدِيثٌ أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ

غَضَبِي»^(١)، فقلوه: «عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ» يدلُّ عَلَى الْعُلُوِّ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَّا لَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ وَغَيْرُهُ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ.

١٦٩٨- وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيُّنَا فِي خُطْبَةٍ نَحْوَ السَّمَاءِ بِأَصْبِعِ وَيَنَانِ

١٦٩٩- مُسْتَشْهِدًا رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ

١٧٠٠- أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَاءِ مُسْتَشْهِدًا أَمْ لِلذِّي هُوَ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ؟

يشير المؤلف - رحمه الله - بهذه الآيات إلى ما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ بَلَّغْتُ» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» يَرْفَعُ أَصْبِعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكُتُهَا لِلنَّاسِ^(٢)، فهل النبي عليه الصلاة والسلام - يستشهد السماء، أو يستشهد من فوق السماء؟

الجواب: الثاني بلا شك؛ ولهذا قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ولم يقل: «يَا سَمَاءُ اشْهَدِي» وهذا شيء معلوم، علمه كلُّ الصحابة الذين سمعوا خطبة النبي عليه الصلاة والسلام.

١٧٠١- وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقِيَةِ الْمَرَضِيِّ عَنِ الْهَادِي الْمُبِينِ أَتَمَّ مَا تَبَيَّنَ

١٧٠٢- نَصٌّ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ فَاسْمَعُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْأُذُنَانِ

وهذا في رقية المريض، حيث كان يقول ﷺ وَهُوَ يَرْقِي الْمَرَضِيَّ: «رَبَّنَا اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، رقم (٣٠٢٢)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم (٢٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ليلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٥)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩) واللفظ له.

الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ، فَاجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبِنَا، وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأُ»^(١).

الشاهد قوله: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»، فإنه صريح بأن الله - سبحانه وتعالى - في السماء.

١٧٠٣- وَلَقَدْ أَتَى حَبْرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الْ- عَبَّاسُ صِنُو أَبِيهِ ذُو الْإِحْسَانِ
١٧٠٤- أَنْ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِنْ فَوْقَهَا الْ- كُرْسِيِّ عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ
١٧٠٥- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ خَلْقَهُ فَانظُرُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْعَيْنَانِ
قَوْلُهُ: «حَبْرٌ» أَي: حَدِيثٌ.

قَوْلُهُ: «فَانظُرُهُ» يَعْنِي: انظُرِ الْحَدِيثَ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْعَيْنَانِ.

وهذا حديثٌ رواه العباسُ عن النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- «أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ بَيْنَهَا مَسِيرَةٌ كَذَا وَكَذَا» وَذَكَرَهَا، «وَأَنَّ الْكُرْسِيَّ فَوْقَ ذَلِكَ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْكُرْسِيِّ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ إِلَى عِبَادِهِ»^(٢)، فهذا حديثٌ دَلَّ عَلَى الْعُلُوِّ.

١٧٠٦- وَادْكُرْ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الْ- سِثْقَةَ الرِّضِيِّ أَعْنِي: أَبَا عَمْرَانَ
١٧٠٧- إِذْ قَالَ: رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغْبَتِي وَلِرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانٍ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الحاقة، رقم (٣٣٢٠)، وقال: هذا حديث

١٧٠٨- فَأَقْرَهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ وَلَمْ يَقُلْ: أَنْتَ الْمُجَسَّمُ قَائِلٌ بِمَكَانِ

عمران بن حصين معروف مشهور، وأبوه «حُصَيْن» سأله النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ» قَالَ: أَعْبُدُ سَبْعَةَ آلِهَةٍ: وَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، وَسِتَّةً فِي الْأَرْضِ، قَالَ: «مَنْ تَعْبُدُ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»^(١) فَأَقْرَهُ عَلَى قَوْلِهِ: «فِي السَّمَاءِ».

وَأَمَّا أَهْلُ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ فَيَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ فَهُوَ مُجَسَّمٌ.

١٧٠٩- حَيَّرَتْ بَلَّ جَهَيْتَ بَلَّ شَبَّهْتَ بَلَّ جَسَّمْتَ لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ

يعني: هم يقولون فيمن قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ: (حَيَّرَتْ) أَي: جَعَلَتْ اللَّهَ تَعَالَى فِي حَيَّرٍ، وَهَذَا نَقْصٌ فِي حَقِّ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ فَيَقُولُونَ: هُوَ لَاءَ مَحْيِزَةٍ، أَي: الْقَائِلُونَ: إِنَّ اللَّهَ فِي حَيَّرٍ تَحْوِزُهُ الْمَخْلُوقَاتُ.

نحن نقول لهم: كلمة (حَيَّرَ) لم تَرِدْ لَا فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، لَا نَفِيًّا وَلَا إِثْبَاتًا، فَأَنْتُمْ لَا تَلْزَمُونَا لَا بِنَفِيهَا وَلَا بِإِثْبَاتِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ نَحْنُ نَنْزِلُ مَعَكُمْ، وَنَقُولُ: مَاذَا تَرِيدُونَ بِالْحَيَّرِ الَّذِي شَوَّهْتُمْ بِهِ سَمْعَتَنَا؟ هَلْ تَرِيدُونَ بِالْحَيَّرِ أَنَّ اللَّهَ مَنَحَازٌّ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ بَائِنٌ مِنْهَا؟ فَنَحْنُ نَقُولُ بِهِ، هَلْ تَرِيدُونَ بِالْحَيَّرِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَحَازٌّ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، يَعْنِي: أَنَّهَا تَحْوِزُهُ وَتُحْيِطُ بِهِ؟ فَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ.

وَحَيْثُذِ نَقُولُ: لَنَا نَظْرَانِ فِي الْحَيَّرِ.

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٧٢١، رقم ١١٨٤).

أولاً: من جهة لفظه، فالواجب علينا أن لا نثبتَه ولا ننفيه؛ لأنه لم يرد إثباتُه ولا نفيه.

ثانياً: من جهة معناه: فإن أردت أن الله في حيزٍ يحوزه، فهذا قولٌ منكر، ولا نقول به، وإن أردت أن الله منحازٌ عن المخلوقات بائنٌ منها ليس حالاً فيها، فهذا حقٌّ.

قوله: «بَلْ جَهِّتَ» يعني: قلت: إن الله في جهة -ويا ويل من قال: إن الله في جهة- مع أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «أَيْنَ اللهُ؟» و(أَيْنَ) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكان، لكن هم يقولون: أيُّ إنسانٍ يُثبِتُ العلوَّ لله فهو مُثبِتٌ للجهة.

نقول في الجهة كما قلنا في الحيز تماماً، فبالنسبة للفظ لا نفيه ولا نثبتَه، فلا نقول: الله في جهةٍ ولا في غير جهة، هذا لا تلزمونا به؛ لأن الله لم يثبتَه لنفسه، ولا نفاه عن نفسه، ونحن في غنى عن الكلام فيه.

لكن تنزلاً معك نقول: إن أردت جهةً تُحيطُ بالله فهذا مُنكِرٌ ولا نقول به، وإن أردت أن الله في العلوِّ، فالعلوُّ عدمٌ، يعني: لا يوجد شيءٌ يُحيطُ بالله، فليس فوق العالم إلا الله عزَّ وجلَّ، فإذا أردت أن الله في جهة، أي: في جهة العلوِّ الذي لا يُحيط به شيءٌ من مخلوقاته فهذا حقيقةٌ نوافقك عليها، وهذا باعتبار المعنى.

أمَّا في اللفظ فليس علينا، بل وليس لنا أن نثبتَه أو ننفيه؛ لأنه لم يرد إثباتُه ولا نفيه.

قوله: «بَلْ سَبَّهْتَ» سَبَّهْتَ يعني: إذا قلت: إن الله في العلوِّ فأنت مُسَبِّهٌ؛ لأنَّ العلوَّ الذاتي لا يقوم إلا بجسم، والأجسام متماثلةٌ.

هنا نقول: لا نوافقكم على هذا، نحن لا ننفي التشبيه المطلق ولا نثبتَه؛ لأنَّ التشبيه المطلق لم يقل به أحدٌ من الناس أبداً حتى الكفار ما يقولون به، فالتشبيه

المطلق معناه: التساوي من كُـلِّ وجه، وهذا لا أحدَ يقولُ به، يعني: لا أحدَ من الناس قال: إِنَّ الخالقَ مشابهٌ للمخلوق من كُـلِّ وجه، حتَّى المجوس الثنويَّة الذين يقولون: (إِنَّ للعالمَ خالقَيْن) لا يقولون بتساويهما، أي: بتساوي هَذَيْنِ الخالقَيْن، ماذا يقول المجوس؟

يقولون: إِنَّ الخيرَ يخلقه النور، والشَّرُّ تخلقه الظلمة؛ لأنَّ الشَّرَّ عدمٌ، والظلمة عدمٌ نورٍ، والنور وجود، والخير وجود، لكن مع ذلك لا يقولون: إِنَّ الظلمة والنور سواء، يقول بعضهم: النور قديمٌ، والظلمة حادثَةٌ، إِذَنْ لا تساوي، النور لا شكَّ أنه أمرٌ مرغوب والظلمة مكروهة، إِذَنْ لا تساوي، النور يُنتج الخير، والظلمة تُنتج الشَّرَّ، فلا يتساويان في آثارهما وتأثيرهما.

إِذَنْ لم يَقُلْ أحدٌ من الخلق: إِنَّ الخالقَ والمخلوقَ متشابهان من كُـلِّ وجهٍ تشابهًا مطلقًا.

وإن أردتم بالتشبيه الاشتراك في أصل المعنى فهذا حَقٌّ، فالخالق والمخلوق بينهما اشتراكٌ في أصل المعنى في الصِّفَات، فـ(الحَيَاة) في الأصل معنى مشترك، (السَّمْع) في الأصل معنى مشترك، لكن فرقٌ بين حياة الخالق وحياة المخلوق، وفرقٌ بين سَمْع الخالق وسَمْع المخلوق، حينئذٍ رميكم إِيَّانا بالمشَبَّهة غيرُ مقبولٍ، فهذه دعوى منكم.

قَوْلُهُ: «بَلْ جَسَّمَتَ» يعني: قلت: إِنَّ اللهَ جَسَّمٌ، الَّذِي يثبُتُ لله صفةٌ يقول: هُوَ مُجَسَّمٌ، فإذا قلت: (إِنَّ للهَ يدين) قالوا: هَذَا تجسيمٌ، (الله وجهٌ) قالوا: هَذَا مُجَسَّم هَذَا تجسيمٌ.

فنقول لهم: أوَّلاً ليس لكم أن تلزمونا بالقول بالجسم أو بنفيه؛ لأنه لم يرد

نفيًا ولا إثباتًا، وليس علينا، بل ولا لنا أن نثبت أو ننفي، لكن في المعنى نقول: ماذا تريدون بالجسم الذي شوَّهتمونا به؟ هل تريدون أن نقول: إنَّ اللهَ جسمٌ مشابهٌ للأجسام، أي: مُرَكَّبٌ من عظم، وعصب، ولحم، ودم؟ فهذا مُنْكَرٌ، ولا نقول به، أو تريدون بأنَّ اللهَ جسمٌ، تريدون به أنَّ اللهَ تعالى موصوفٌ بالصفات وقابلٌ للصفات فهذا حَقٌّ لا شكَّ، فهو - سبحانه وتعالى - موصوفٌ بالصفات: يستوي على العرش، وينزل، ويأخذ بيده عزَّ وجلَّ، ويضحك، وله وجهٌ، وله يدٌ، وله عينان، فهذا حَقٌّ، ونقول به، وما الَّذي يضرنا من هذا؟!!

فإذن هم - والعياذ بالله - يشوَّهون مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ بمثل هذهِ الكلمات؛ لأنَّ اللهَ تعالى لمَّا أرسل الرسلَ جعل أعداءهم ينادونهم بهذهِ الزخارف من القول، ففي سورة الأنعام يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، ولا حظوا أنَّ عدوَّ الرسولِ عدوٌّ لأتباعِ الرسولِ، فالمشركون في عهد الرسولِ أعداءٌ له، وكذلك مَنْ خالفوا هديَه إلى يومنا هذا هم أعداءٌ لنا، يقولون مثل ما قال الأولون.

قَوْلُهُ: «لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ» إِذَنْ مِنَ الْعَارِفِ عَلَى زَعْمِهِمْ؟

الجواب: هم العارفون، هم الذين يعرفون الله، وأنه لا يُوصَفُ بصفةٍ كمالٍ، هذا معرفتهم لرَّبِّهم، يعني: لا يسمعُ، ولا يُبصرُ، ولا يتكلَّمُ، ولا يُحِبُّ، ولا يكرهُ، ولا يرضى، هل الَّذي يصفُ اللهَ بهذا النَّفيِ عارفٌ لله؟! أبدًا والله، بل هو أجهلُ الخلقِ بالله.

١٧١٠- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ: مَا قَدْ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عِمْرَانَ

قَوْلُهُ: «أَبُو عِمْرَانَ» أَي: حُصَيْنِ بْنِ الْمَنْدَرِ.

١٧١١- فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ فَالْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ» هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَعَاءً مِنَ الْمُؤَلَّفِ، يَعْنِي: يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ، أَوْ أَنَّهُ يُجْبِرُ بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ، وَالْمَعْنِيَانِ مُتَلَازِمَانِ.

١٧١٢- وَادْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبِّ بِي فِي السَّمَاءِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

ويعني بذلك: الجارية التي سأها النبي ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(١).

١٧١٣- وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمُعْطَلِ لِلَّذِي قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ

اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، وَعِنْدَ الْمُعْطَلِ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، يَقُولُ: لَا تَعْتَقُهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ.

فهؤلاء يشهدون بالكفر لمن أقرَّ بأنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، وَالنَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- شَهِدَ بِالْإِيمَانِ لِمَنْ أقرَّ بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

١٧١٤- وَاحْكُمْ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ وَإِنِّي لَأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَاحْكُمْ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ» يَعْنِي: هَلْ تَحْكُمُ عَلَيَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ بِالْإِيمَانِ أَوْ بِالْكَفْرِ؟

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

الجواب: بالإيمان كما حكم الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

قوله: «وإِنِّي لَأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ» متى تقبله؟ قال:

١٧١٥- إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهَنَّمَ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
إِذَنْ سَوْفَ تَقْبَلُ مَنْ حَكَمَ عَلَيَّ مَنْ قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ بِالْكَفْرِ إِذَا كُنْتَ مِنْ
أَتْبَاعِ جَهَنَّمَ، وَبِالْإِيمَانِ إِذَا كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

- ١٧١٦- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ إِسْحَاقَ الرَّضِيِّ ذَاكَ الصَّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ
١٧١٧- فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفِعُو
١٧١٨- فَاسْتَعْظَمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ وَقَالَ: شَأْنُ
١٧١٩- اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ
١٧٢٠- وَلِعَرْشِهِ مِنْهُ أَطِيبٌ مِثْلَ مَا
١٧٢١- اللَّهُ مَا لَقِيَ ابْنَ إِسْحَاقٍ مِنْ آلِ
١٧٢٢- وَيَظَلُّ يَمْدُحُهُ إِذَا كَانَ الَّذِي
١٧٢٣- كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَمْثَالَ ذَا
١٧٢٤- هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لَا التَّطْفِيفُ فِي
- ذَاكَ الصَّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ
نَ إِلَى الرَّسُولِ بِرَبِّهِ الْمَنَّانِ
نُ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ أَعْظَمُ شَأْنِ
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ!
قَدْ أَطَّ رَحْلُ الرَّاكِبِ الْعَجْلَانَ
جَهَنَّمَ إِذْ يَرْمِيهِ بِالْعُدْوَانِ
يَرُوي يُوَافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّانِ
فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الشَّانِ
ذَرَعَ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

الشرح

١٧١٦- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ إِسْحَاقَ الرَّضِيِّ ذَاكَ الصَّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ

- ١٧١٧- فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفِعُونَ
نَ إِلَى الرَّسُولِ بِرَبِّهِ الْمَنَّانِ
- ١٧١٨- فَاسْتَعْظَمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ وَقَالَ: شَأْنُ
نُ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ أَعْظَمُ شَأْنِ
- ١٧١٩- اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ!
- ١٧٢٠- وَلِعَرْشِهِ مِنْهُ أَطِيبٌ مِثْلَ مَا
قَدْ أَطَّ رَحْلُ الرَّايِبِ الْعَجْلَانِ
- أشار المؤلفُ أيضًا إلى حديثِ رُوي من طريقِ ابنِ إسحاق، ووصفِ ابنِ القيمِ ابنِ إسحاق بأنه صدوقٌ حافظٌ ربّاني.

والمعروفُ أنَّ ابنَ إسحاق -رحمه الله- من المدلسين، وأنه إذا لم يُصرِّحْ بالتحديث فحديثه مُدلسٌ ضعيفٌ، وإن صرَّحَ بالتحديث فاختلف العلماء فيه: فمنهم مَنْ صَعَّفَ الرجلَ، وقال: إنه لا يُحتجُّ به على أنهم يحتجُّون به في التاريخ والأخبار، ومنهم مَنْ قال: إنَّ حديثه حسنٌ مُحْتَجٌّ به، ومنهم مَنْ قال: بل هو ثقةٌ إذا صرَّحَ بالتحديث.

ف للعلماء فيه ثلاثة أقوالٍ فيما إذا صرَّحَ بالتحديث: ثقةٌ مقبولٌ، حديثه حسنٌ، الثالث: ضعيفٌ.

أمَّا إذا لم يُصرِّحْ بالتحديث فإنه -رحمه الله- مَن عَرِفَ بالتدليس، والمدلسُ إذا عنعن يكون حديثه غير متصلٍ، يعني: ضعيفًا.

على كُلِّ حالٍ أشار المؤلفُ إلى حديثِ أن رجلاً جاءَ يَسْتَسْقِي بالنبيِّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقولُ: «إِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنَّة، باب في الجهمية، رقم (٤٧٢٦).

فذكر الأعرابي جملتين: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ»، «وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ»،
الجملة الأولى صحيحة، والجملة الثانية خطأ عظيم؛ ولهذا سَبَّحَ النَّبِيُّ ﷺ أي:
جعل يُسَبِّحُ سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله! حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ
أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيَحْكُ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ
مِنْ ذَلِكَ وَيَحْكُ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا»، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ
الْقُبَّةِ عَلَيْهِ «وَإِنَّهُ -أي: العرش- لَيَبْطُ بِهِ أَطِيطُ الرَّحْلِ بِالرَّائِبِ»^(١).

الأطيط: الصَّرِير، والرَّحْل: ما يُشَدُّ عَلَى البعير، فتجدُ البعيرَ إذا كان مُحَمَّلًا
يكون للرَّحْلِ صريرٌ يصيرُ صررًا.

وهذا الحديثُ ضَعَّفَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَكِنْ لَعَلَّ ابْنَ الْقَيْمِ -رحمه الله-
صَحَّحَهُ لَشَوَاهِدِهِ.

على كُلِّ حَالٍ نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: «إِنِّي أَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ»
لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الشَّافِعَ مَنْزِلَتُهُ دُونَ الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ أَعْلَى لَكَانَ يَأْمُرُ،
وَلَا يَشْفَعُ، فِإِذَا قُلْتَ: «أَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ» فَقَدْ جَعَلْتَ مَرْتَبَةَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-
دُونَ مَرْتَبَةِ الْمَشْفُوعِ عِنْدَهُ، وَهَذَا شَيْءٌ عَظِيمٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ
بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» لَكِنْ إِذَا قُلْتَ: «أَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ»، وَكَانَ حَيًّا يَقْدِرُ أَنْ
يَدْعُو لَكَ، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «مَا مِنْ رَجُلٍ
مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ
فِيهِ»^(٢) يَعْنِي: جَعَلَهُمْ شَفَعَاءَ.

(١) أخرجه الطبراني (٢٤٦/٨، رقم ٧٩٦٦) قال الهيثمي (٣٩٨/١٠): فيه جعفر بن الزبير وهو متروك. والحاكم (٤٠٢/٢، رقم ٣٤٠٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفَعوا فيه، رقم (٩٤٨).

وهذا مما يدلُّ أيضًا على العلوِّ.

قوله: «فاسْتَغْظَمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ» أي: استعظم كونهم يستشفعون بالله إلى

الرسول.

ثم قال:

١٧٢١- لله مَا لَقِيَ ابْنَ إِسْحَاقَ مِنْ أَل- جَهْمِيِّ إِذْ يَرْمِيهِ بِالْعُدْوَانِ

١٧٢٢- وَيَظَلُّ يَمْدَحُهُ إِذَا كَانَ الَّذِي يَرُوي يُوَافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّانِ

يقول: إن ابن إسحاق إذا روى ما يخالف مذهب المعطل رماه بالقدح والسبِّ والسُّتْم، وإذا روى ما يوافقُه قال: هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الثَّقَةُ الْعَدْلُ الثَّبْتُ؛ لَأَنَّهُ يُوَافِقُ هَوَاهُ، فيقول ابن القيم:

١٧٢٣- كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَمْثَالَ ذَا فَالْحُكْمُ لله الْعَلِيِّ الشَّانِ

١٧٢٤- هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لَا التَّطْفِيفُ فِي ذَرَعٍ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

قال الله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا

كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

فالذي لا يقبل الحق إلا إذا وافق هواه ويردُّه إذا خالف هواه، هَذَا مُطَفِّفٌ،

هَذَا أَعْظَمُ مِنْ تَطْفِيفِ الْكَيْلِ، وَالْوِزْنِ، وَالذَّرْعِ.

١٧٢٥- وَأَذْكَرُ حَدِيثَ نَزُولِهِ نِصْفَ الدُّجَى فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرِ أَوْ ثَانِي

١٧٢٦- فَنَزُولُ رَبِّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ فِي الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي الْقُرْآنِ

- ١٧٢٧- وَادْكُرْ حَدِيثَ الصَّادِقِ ابْنِ رَوَاحَةَ فِي شَأْنِ جَارِيَةِ لَدَى الْغَشِيَانِ
 ١٧٢٨- فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرْشَ اللَّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 ١٧٢٩- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ نَفْيِ ذِي الْبُهْتَانِ
 ١٧٣٠- ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «اسْتِيعَابِهِ» هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلَا نُكْرَانَ

الشرح

هذان أيضًا حديثان ذكرهما المؤلف، الأول: حديث النزول إلى السماء الدنيا في نصف الليل^(١)، والنزول عقلاً لا يكون إلا من أعلى؛ لأنه لا يمكن أن يُقال: «نزل» إلا إذا كان عاليًا.

يقول:

- ١٧٢٥- وَادْكُرْ حَدِيثَ نُزُولِهِ نِصْفَ الدُّجَى فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي
 ١٧٢٦- فَزُرُورٌ رَبِّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ فِي الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي الْقُرْآنِ

قوله: «نِصْفَ الدُّجَى» يعني: نصف الليل، لا يمكن أن ينزل إلا من أعلى، ولكن يجب أن نعلم أن نزول الله من السماء الدنيا لا يعني: أنه يزول وصفه بالعلو، فهو عز وجل نازل عال؛ لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

ولكن هل يخلو منه العرش؛ لأن الاستواء ليس صفة ذاتية أو لا يخلو منه

العرش؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

في هذا ثلاثة أقوالٍ لأهل العلم:
 القول الأول: يخلو منه العرشُ.
 القول الثاني: لا يخلو منه العرشُ.
 القول الثالث: التوقف.
 فلدينا مسألتان:

المسألة الأولى: هل إذا نزل ينتفي عنه العلوُّ؟ الجواب: لا، لا يمكن؛ لأنَّ العلوَّ صفةٌ ذاتٍ، والصفةُ الذاتيةُ لازمةٌ، لا ينفكُ الله عنها.

المسألة الثانية: هل يخلو منه العرشُ؛ لأنَّ الإِسْتِوَاءَ عَلَى العرشِ صفةٌ فعلٍ يفعلها متى شاء؟ نقول: في المسألة ثلاثة أقوالٍ للعلماء: فمنهم مَنْ قال: نعم يخلو منه العرشُ، ومنهم مَنْ قال: لا، وهذا الثاني اختيارُ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه لا يخلو منه العرشُ، والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ، يكون نازلاً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ؛ لأنَّ اللهَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، ومنهم مَنْ قال: بل نتوقفُ أو نسكت.

والصوابُ عندي: أننا نسكتُ، ولا نتكلَّم بهذا إطلاقاً؛ لأنَّ هَذَا لو كان التفصيلُ فيه خيراً لكان الصحابةُ أَوْلَ مَنْ يَسْأَلُ الرَّسُولَ ﷺ، فالصوابُ أن نسكتَ عن هذا، ونُعْرِضَ عنه.

١٧٢٧- وَاذْكُرْ حَدِيثَ الصَّادِقِ ابْنِ رَوَاحَةَ فِي شَأْنِ جَارِيَةِ لَدَى الْغَشَيَانِ
 ١٧٢٨- فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرْشَ اللَّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 ١٧٢٩- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
 سُبْحَانَهُ عَنِ نَفْسِي ذِي الْبُهْتَانِ

حديثُ ابنِ رِواحةَ^(١) هُوَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رِواحةَ عِنْدَهُ جاريةٌ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امرأتهُ، فَأَخَذَتْ السَّكِّينَ؛ لِأَنَّهَا غَارَتْ، كَيْفَ تَجَامَعُ الجاريةُ؟! فَغَارَتْ مِنْهَا فَقَالَ: عَلَى مَهْلِكَ، أَتُحِبُّينَ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ؟ وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْجَنْبَ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَالَتْ: نَعَمْ، أَقْرَأْ، فَقَالَ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

الشاهدُ قَوْلُهُ: «وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ» لما قرأ عليها البيتين قالت: إِذْنًا، لَا جَمَاعَ؛ لِأَنَّ الْجَنْبَ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَظَنَّتْ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قُرْآنًا، فَهَدَأَ غَضَبُهَا، فَأَخْبَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ رِواحةَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ فَأَقْرَهَ عَلَى قَوْلِهِ:

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٢)

١٧٣٠- ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «اسْتِيعَابِهِ» هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلَا نُكْرَانَ

قَوْلُهُ: «ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي (اسْتِيعَابِهِ)» أَي: كِتَابِ (الاسْتِيعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ) لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَهُوَ يُشْبِهُ كِتَابَ (الإِصَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ) لِابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا لَهُ مِيزَةٌ، لَكِنَّ ابْنَ حَجَرٍ مَتَأَخَّرَ عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ؛ وَلِذَلِكَ صَارَ أَجْمَعَ وَأَكْثَرَ بِالنِّسْبَةِ لِتَرَاجُمِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ.

(١) أخرجه الدارقطني (١/٢١٦، رقم ٤٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف، رقم (٢٣٩).

- ١٧٣١- وَحَدِيثُ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ فَثَابِتٌ
وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ
- ١٧٣٢- وَإِلَى إِلَهِ الْعَرْشِ كَانَ عُرُوجُهُ
لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَاحِبِهِ رَجُلَانِ
- ١٧٣٣- وَادْكُرْ بِقِصَّةِ خَنْدَقِ حُكْمًا جَرَى
لِقَرِيظَةٍ مِنْ سَعْدِ الرَّبَّانِي
- ١٧٣٤- شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّ حُكْمَ إِلَهِنَا
مِنْ فَوْقِ سَبْعِ وَفُقَّهُ بِوِزَانِ
- ١٧٣٥- وَادْكُرْ حَدِيثًا لِلْبَرَاءِ رَوَاهُ أَصْبَحُ
حَابُ الْمَسَانِدِ مِنْهُمْ الشَّيْبَانِي
- ١٧٣٦- وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكِمُنَا الرَّضَى
وَأَبُو نَعِيمِ الْحَافِظُ الرَّبَّانِي
- ١٧٣٧- قَدْ صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ
مَا لَمْ يُحَرِّفْهُ أَوْلُو الْعُدْوَانِ
- ١٧٣٨- فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وَدَاعِهَا
وَفِرَاقِهَا لِمَسَاكِينِ الْأَبْدَانِ
- ١٧٣٩- فَتَظَلُّ تَضَعْدُ فِي سَمَاءِ فَوْقَهَا
أُخْرَى إِلَى خَلَاقِهَا الرَّحْمَنِ
- ١٧٤٠- حَتَّى تَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ رَبِّهَا
فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بِأَمَانِ
- ١٧٤١- وَادْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ وَفِيهِ تَحَدُّ
ذِيرٌ لِدَاتِ الْبَعْلِ مِنْ هَجْرَانِ
- ١٧٤٢- مِنْ سُخْطِ رَبِّ فِي السَّمَاءِ عَلَى النَّبِيِّ
هَجَرَتْ بِلَا ذَنْبٍ وَلَا عُدْوَانِ

الشرح

حديثُ معراجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
فَهُوَ مِنَ الْأَدْلَةِ النَّقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعُلُوِّ.
يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٧٣١- وَحَدِيثُ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ فَثَابِتٌ
وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ

١٧٣٢- وَإِلَىٰ إِلَهِ الْعَرْشِ كَانَ عُرُوجُهُ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَحْبِهِ رَجُلَانِ

حديثُ المعراج ثابتٌ بالصَّحاحِ، والمسانيد، وغيرها، وهو ثابتٌ بالقرآن أيضاً، فالله - سبحانه وتعالى - عرج بنبيه ﷺ والعروجُ يكونُ من أسفلِ إلى أعلى.

وقد ثبت الإسراءُ والمعراجُ في القرآن فالإسراءُ ثبت بقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والمعراجُ ثبت بقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿ [النجم: ١-٢] إلى آخر الآيات.

ومن الأدلة قوله:

١٧٣٣- وَأَذْكَرُ بِقِصَّةِ حُنْدَقٍ حُكْمًا جَرَى لِقَرِيظَةٍ مِّنْ سَعْدِ الرَّبَّانِي

١٧٣٤- شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّ حُكْمَ إِلَهِنَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ وَفَقَهُ بِوِرَازِنِ

هذا الحديثُ يُشيرُ إلى حكمِ سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بني قريظة؛ لأنَّ بني قريظة كانوا حلفاءً للأوس، ولَمَّا حاصرهم النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- نحو خمس وعشرين ليلةً نزلوا على حكم سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان سعدٌ قد أُصيبَ في أَكْحَلِهِ في غَزْوَةِ الْحُنْدَقِ، فَضْرَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ خِيَمَةً فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؛ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يُحِبُّهُ وَيُحِبُّهُ؛ لِأَنَّهُ سَيِّدُ الْأَوْسِ، وَقَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ»^(١)، فَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَهُ مَنَادِيلٌ فِي الْجَنَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب، رقم (٢٤٧٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٦٩).

لَمَّا أُصِيبَ فِي أَكْحَلِهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تُمْتِنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ حُلَقَائِهِ، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ.

نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِهِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إِلَيْهِ فَأْتِيَ بِهِ مِنْ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا أَقْبَلَ، قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ» فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَنْزَلُوهُ مِنَ الْحِمَارِ، وَجَلَسَ.

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ حَكَّمُوهُ فِيهِمْ، فَقَالَ: أَحْكُمِي نَافِذٌ فِيهِمْ؟ قَالَ بَنُو قُرَيْظَةَ: نَعَمْ، قَالَ: وَعَلَى هَؤُلَاءِ، وَيَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّهُ قَدْ غَضَّ طَرْفَهُ اخْتِرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «وَعَلَى هَؤُلَاءِ» قَالَ: أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِأَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسَبَى نِسَاؤُهُمْ وَذُرِّيَّتُهُمْ، وَتُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

ثُمَّ فَعَلَ بِهِمْ مَا حَكَمَ بِهِ سَعْدٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-، وَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ، ثُمَّ عَادَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ إِلَى خَيْمَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَنْبَعَثَ الدَّمُ مِنْ جُرْحِهِ، فَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) لَمَّا انْقَضَتِ الْمَهْمَةُ الَّتِي أُقِرَّتْ بِهَا عَيْنُهُ انْتَقَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ.

المهم أن هذا يدل على أن الله فوق؛ لقوله: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

١٧٣٥- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لِلْبِرَاءِ رَوَاهُ أَصْبَحَابُ الْمَسَانِدِ مِنْهُمْ الشَّيْبَانِيُّ

١٧٣٦- وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكِمُنَا الرَّضِيُّ وَأَبُو نَعِيمِ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٣٥٩٣)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، رقم (١٧٦٨).

- ١٧٣٧- قَدْ صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ مَالَمْ يُحَرِّفْهُ أَوْلُو الْعُدْوَانِ
 ١٧٣٨- فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وَدَاعِهَا وَفِرَاقِهَا لِمَسَاكِينِ الْأَبْدَانِ
 ١٧٣٩- فَتَظَلُّ تَصْعَدُ فِي سَمَاءٍ فَوْقَهَا أُخْرَى إِلَى خَلْقِهَا الرَّحْمَنِ
 ١٧٤٠- حَتَّى تَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ رَبِّهَا فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بِأَمَانِ
 قَوْلُهُ: «مِنْهُمْ الشَّيْبَانِي» يعني: الإمام أحمد - رحمه الله -.

قَوْلُهُ: «تَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ رَبِّهَا فِيهَا» أي: تصيرُ إلى سماءٍ فيها ربُّها، وهذا نصُّ الحديث.

يعني: أن المؤمن إذا قبضت رُوحه صعدَ بها إلى السماء الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، إلى أن تصل إلى السماء التي فيها الله عز وجل.
 أمَّا الكافرُ فإنه لا تُفْتَحُ لِرُوحِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، بَلْ تُطْرَحُ فِي الْأَرْضِ طَرْحًا -والعياذ بالله- ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] (١).

١٧٤١- وَادَّكَّرَ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ وَفِيهِ تَحْذِيرٌ لِدَاتِ الْبُعْلِ مِنْ هِجْرَانِ
 قَوْلُهُ: «وَفِيهِ تَحْذِيرٌ لِدَاتِ الْبُعْلِ مِنْ هِجْرَانِ» يعني: للمرأة ذات الزوج، حذرَها الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- مَنْ هَجَرَ زَوْجَهَا، لَكِنْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ حَذَرَهَا؟ قَالَ:

(١) أخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب ما يلقي به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم (١٨٣٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٢).

١٧٤٢- مِنْ سُخْطِ رَبِّ فِي السَّمَاءِ عَلَى التِّي هَجَرَتْ بِلا ذَنْبٍ وَلَا عُذْوَانِ

فإن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْتِي عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»^(١).

فَقَالَ: «الَّذِي فِي السَّمَاءِ» وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

١٧٤٣- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ فِيهِ الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الْإِيمَانِ

١٧٤٤- فِي شَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا وَمَا يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ إِحْسَانِ

١٧٤٥- بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ وَإِذَا بَنُورِ سَاطِعِ الْعَشْيَانِ

١٧٤٦- لَكِنَّهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الْغُفْرَانِ

١٧٤٧- فَيَسَلُّمُ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

١٧٤٨- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي طَرِيقِهِ فِيهِ أَبُو الْيَقْظَانِ

١٧٤٩- فِي فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْيَوْمِ الَّذِي بِالْفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ

١٧٥٠- يَوْمِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

١٧٥١- وَاذْكُرْ مَقَالَتهُ: أَلَسْتُ أَمِينَ مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟

١٧٥٢- وَاذْكُرْ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ ثُمَّ سَقَفَ هُوَ بِطُولِهِ كَمَا فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، رقم (١٤٣٦).

- ١٧٥٣- وَاللَّهُ مَا لِمُعْطَلٍ بِسَمَاعِهِ
 أَبَدًا قُوَى إِلَّا عَلَى النُّكْرَانِ
 ١٧٥٤- فَأُصُولُ دِينِ نَبِينَا فِيهِ أَتَتْ
 فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبْيَانِ
 ١٧٥٥- وَبَطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابْنُ إِمَامِنَا
 فِي «سُنَّةٍ» وَالْحَافِظُ الطَّبْرَانِي
 ١٧٥٦- وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ «تَارِيخٍ» لَهُ
 وَأَبُوهُ ذَاكَ زُهَيْرُ الرَّبَّازِي

الشرح

هذه أيضًا أحاديث أشار إليها المؤلف - رحمه الله -، الأول: قال:

- ١٧٤٣- وَادْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ
 فِيهِ الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الْإِيمَانِ
 ١٧٤٤- فِي شَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا وَمَا
 يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ إِحْسَانِ
 ١٧٤٥- بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ
 وَإِذَا بَنُورِ سَاطِعِ الْغَشَايَانِ
 ١٧٤٦- لَكِنَّهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ
 فَإِذَا هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الْغُفْرَانِ
 ١٧٤٧- فَيَسَلُّمُ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ
 حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

قوله: «وَادْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ...» هَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ جَابِرٌ وَهُوَ «بَيْنَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ...»^(١) فهذا دليلٌ على علوه - سبحانه وتعالى -؛ ولهذا قال: «لكنهم رفعوا إليه رؤوسهم» والرفعُ لا يكون إلا إلى أعلى.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٤).

١٧٤٨- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي طَرِيقِهِ فِيهِ أَبُو الْيَقْظَانَ

١٧٤٩- فِي فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْيَوْمِ الَّذِي بِالْفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ

ومن ذلك أيضًا حديثٌ رواه الشافعيُّ في فضل يوم الجمعة الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْمَزِيدِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، هَذَا الْيَوْمُ (يَوْمُ الْجُمُعَةِ) فِيهِ اسْتَوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ ^(١) كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

١٧٥٠- يَوْمِ اسْتَوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَهَذِهِ الْأَيَّامُ أَوْلَاهَا الْأَحَدُ وَالِاثْنَيْنِ، وَالثَلَاثَاءِ، وَالْأَرْبَعَاءِ، وَالْخَمِيسِ، وَالْجُمُعَةِ، تَمَّتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَبِئْسَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ اسْتَوَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ.

١٧٥١- وَاذْكُرْ مَقَالَتَهُ: أَلَسْتُ أَمِينًا مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟

هَذَا قَالَهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حِينَمَا قَسَمَ ذُهَيْبَةً بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ» ^(٢). وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ اللَّهُ.

١٧٥٢- وَاذْكُرْ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ ثُمَّ سَقَى

١٧٥٣- وَاللَّهُ مَا لِمُعْطَلٍ بِسَمَاعِهِ أَبَدًا قُوَى إِلَّا عَلَى النُّكْرَانِ

(١) انظر: مسند الشافعي (ص: ٧٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ، وخالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن، رقم (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤).

١٧٥٤- فَأُصُولُ دِينِ نَبِيِّنَا فِيهِ أَتَتْ فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبْيَانِ
 ١٧٥٥- وَبَطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابْنُ إِمَامِنَا فِي «سُنَّةٍ» وَالْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ
 قَوْلُهُ: «فِي سُنَّةٍ» وَالتَّسَنُّةُ: لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

١٧٥٦- وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ بِ«تَارِيخٍ» لَهُ وَأَبُوهُ ذَلِكَ زُهَيْرُ الرَّبَّانِيِّ
 فَهؤلاء كُلُّهُمْ سَاقُوا الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ (١).

١٧٥٧- وَادْكُرْ كَلَامَ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: أَقِمِ الصَّلَاةَ وَتِلْكَ فِي سُبْحَانِ
 ١٧٥٨- فِي ذِكْرِ تَفْسِيرِ الْمَقَامِ لِأَحْمَدَ مَا قِيلَ ذَا بِالرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
 ١٧٥٩- إِنْ كَانَ تَجْسِيمًا فَإِنَّ مُجَاهِدًا هُوَ شَيْخُهُمْ بَلْ شَيْخُهُ الْفَوْقَانِيُّ
 ١٧٦٠- وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ الْجُلُوسِ بِهِ وَفِي أَثَرٍ رَوَاهُ جَعْفَرُ الرَّبَّانِيُّ
 ١٧٦١- أَعْنِي ابْنَ عَمِّ نَبِيِّنَا وَبِغَيْرِهِ أَيْضًا أَتَى وَالْحَقُّ ذُو التَّبْيَانِ
 ١٧٦٢- وَالذَّارِقُطْنِيُّ الْإِمَامُ يُبَيِّنُ الْإِتِّسَارَ فِي ذَا الْبَابِ غَيْرَ جَبَانَ
 ١٧٦٣- وَلَهُ قَصِيدٌ ضَمَّنَتْ هَذَا وَفِيهَا هَا لَسْتُ لِلْمَرْوِيِّ ذَا نُكْرَانِ

(١) وَهُوَ حَدِيثُ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا فَوْقَ هَوَاءٍ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ وَمِنْ سُورَةِ هُودٍ، رَقْمُ (٣١٠٩)، وَابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فِيمَا أَنْكَرْتَ الْجَهْمِيَّةَ، رَقْمُ (١٨٢)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي السُّنَّةِ (١/٢٤٥)، رَقْمُ (٤٥٠)، وَالتَّبْرَانِيُّ (١٩/٢٠٧)، رَقْمُ (٤٦٨).

- ١٧٦٤- وَجَرَتْ لِدَلِكِ فِتْنَةً فِي وَقْتِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ
 ١٧٦٥- وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 ١٧٦٦- لَكِنْ بِمِخْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ
 ١٧٦٧- وَقَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَى يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ
 ١٧٦٨- مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالتَّحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ
 ١٧٦٤- وَجَرَتْ لِدَلِكِ فِتْنَةً فِي وَقْتِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ
 ١٧٦٥- وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 ١٧٦٦- لَكِنْ بِمِخْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ
 ١٧٦٧- وَقَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَى يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ
 ١٧٦٨- مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالتَّحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ١٧٥٧- وَادْكُرْ كَلَامَ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: أَقِمِ الصَّلَاةَ وَتَلِكِ فِي سُبْحَانَ
 ١٧٥٨- فِي ذِكْرِ تَفْسِيرِ الْمَقَامِ لِأَخِيذِ مَا قِيلَ ذَا بِالرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
 ١٧٥٩- إِنْ كَانَ مُجَسِّمًا فَإِنَّ مُجَاهِدًا هُوَ شَيْخُهُمْ بَلْ شَيْخُهُ الْفَوْقَانِي
 ١٧٦٠- وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ الْجُلُوسِ بِهِ وَفِي أَثَرِ رَوَاهُ جَعْفَرُ الرَّبَّانِي
 ١٧٦١- أَعْنِي ابْنَ عَمِّ نَبِينَا وَبِغَيْرِهِ أَيْضًا أَتَى وَالْحَقُّ ذُو التَّبَيَانِ
 ١٧٦٢- وَالِدَارُ قُطْنِي الْإِمَامُ يُنْبِتُ الْإِثَارَ فِي ذَا الْبَابِ غَيْرَ جَبَانَ
 ١٧٦٣- وَلَهُ قَصِيدٌ ضَمَّنَتْ هَذَا وَفِيهَا لَسْتُ لِلْمَرْوِيِّ ذَا نُكْرَانَ

هذا أيضًا من الأدلة، وهو ما ذكره مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ﴾

الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩] ذكر أن

من المقام المحمود أن الله - سبحانه وتعالى - يُجَلِّسُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى عَرْشِهِ (١)، وذكر في هَذَا أَثْرًا، والله أعلم بصحة هَذِهِ الآثَارِ، لكن بَعْضُ الْعُلَمَاءِ حَسَّنَهَا لكَثْرَةِ طَرَفِهَا.

وذكر أن الدارقطني أثبت هَذِهِ الآثَارَ، وأنَّ له قصيدةً صُمِّمَتْ هَذَا، وفيها: (لست للمروي ذا نكران) والذي يقول هذا الدارقطني.

١٧٦٤- وَجَرَّتْ لِدَلِكِ فِتْنَةٌ فِي وَقْتِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ

وهذه الفتنة، يقول الشارحون للقصيدة: إنهم لم يعلموا عنها شيئًا.

ثُمَّ قَالَ الْمَوْلَفُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْمَفِيدَةَ الْمَهْمَةَ، قَالَ:

١٧٦٥- وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولُهُ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهَادُ﴾ [غانر: ٥١]، ولكن قال:

١٧٦٦- لَكِنْ بِمِخْنَةِ حَزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ دَا حُكْمُهُ مُدَّ كَانَتْ الْفِتْنَانِ

قَوْلُهُ: «بِمِخْنَةِ حَزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ» يعني: لا بُدَّ أَنْ حَرْبُهُ يَمْتَحِنُونَ حَزْبَهُ بِالْعِدَاوَاتِ،

والبغضاء، والقتال، وغير ذلك.

(١) كما في حديث الأنصاري الذي سأل النبي ﷺ فقال: وَمَا ذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ؟ قَالَ: «ذَلِكَ إِذَا جِيءَ بِكُمْ عُرَاةٌ حَفَاةٌ غُرْلًا، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: اكْسُوا خَلِيلِي، فَيُوتَى بِرِبْطَتَيْنِ بِيضَاوَيْنِ، فَلْيَلْبَسْهُمَا، ثُمَّ يَقْعُدْ فَيَسْتَقْبِلُ الْعَرْشَ، ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِي، فَأَلْبَسْهَا، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِي، يَغِيظُنِي بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ». أخرجه أحمد (١/٣٩٨)، رقم

قَوْلُهُ: «ذَا حُكِّمَهُ مُذْ كَانَتِ الْفِتْنَانِ» يعني أن: هَذَا النِّزَاعَ وَهَذِهِ الْمَحَنَ حِكْمَةٌ
 مِنْ اللَّهِ مَذْ كَانَتِ الْفِتْنَانِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ
 الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الْفُرْقَان: ٣١] ثُمَّ قَالَ:

١٧٦٧- وَقَدْ افْتَصَرْتُ عَلَىٰ يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ رِ فَائِتٍ لِلْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

١٧٦٨- مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالتَّ تَحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

ابن القيم يقول: إني اقتصرْتُ عَلَىٰ يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَىٰ عُلُوِّ اللَّهِ

-سبحانه وتعالى-.

فصل

فِي جِنَايَةِ التَّأْوِيلِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْمَرْدُودِ مِنْهُ وَالْمَقْبُولِ

- ١٧٦٩- هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ
تَأْوِيلِ ذِي التَّحْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ
- ١٧٧٠- وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلْ
زَادَتْ ثَلَاثًا قَوْلَ ذِي الْبُرْهَانِ
- ١٧٧١- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ جَامِعَ الْ
قُرْآنِ ذَا النُّورَيْنِ وَالْإِحْسَانَ
- ١٧٧٢- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ
أَعْنِي عَلِيًّا قَاتِلَ الْأَقْرَانَ
- ١٧٧٣- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهُ
فَعَدُوا عَلَيْهِ مُمَرِّقِي اللَّحْمَانِ
- ١٧٧٤- وَهُوَ الَّذِي فِي يَوْمِ حَرْبِهِمْ أَبَا
حِمْيَ الْمَدِينَةَ مَعْقِلِ الْإِيمَانِ
- ١٧٧٥- حَتَّى جَرَتْ نِلْكَ الدَّمَاءُ كَأَمَّهَا
فِي يَوْمِ عِيدِ سُنَّةِ الْقُرْبَانِ
- ١٧٧٦- وَغَدَا لَهُ الْحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقْفُ
تُلُّ صَاحِبِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
- ١٧٧٧- وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ
مِنْ عَسْكَرِ الْحَجَّاجِ ذِي الْعُدْوَانِ
- ١٧٧٨- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْحَوَارِجَ مِثْلَ إِنْدِ
شَاءِ الرَّوَافِضِ أَحْبَبَتْ الْحَيَوَانَ
- ١٧٧٩- وَلَا أَجْلِهِ شَتَمُوا خِيَارَ الْخَلْقِ بَعْدَ
رَسُلِ الْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
- ١٧٨٠- وَلَا أَجْلِهِ سَلَّ الْبُعَاةُ سُيُوفَهُمْ
ظَنَّنَا بِأَتَمِّهِمْ ذُؤُوبَ الْإِحْسَانِ
- ١٧٨١- وَلَا أَجْلِهِ قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِزَا
لِ مَقَالَةٍ هَدَّتْ قُوى الْإِيمَانِ

- ١٧٨٢- وَلَا أَجْلِيهِ قَالُوا بِأَنَّ كَلَامَهُ
 سُبْحَانَهُ خَلَقَ مِنْ الْأَكْوَانِ
 ١٧٨٣- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ
 شِبْهَ الْمَجُوسِ الْعَابِدِي النَّيْرَانِ
 ١٧٨٤- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا
 ثِرِي فِي الْجَحِيمِ كَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
 ١٧٨٥- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْ
 مُخْتَارِ فِيهِمْ غَايَةَ النُّكْرَانِ
 ١٧٨٦- وَلَا أَجْلِيهِ ضُرِبَ الْإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ
 صِدِّيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْبَانِي
 ١٧٨٧- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ جَهْمٌ: لَيْسَ رَبُّ
 بُ الْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 ١٧٨٨- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 وَالْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ
 ١٧٨٩- مَا فَوْقَهَا رَبُّ يُطَاعُ جِبَاهُنَا
 تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانِ
 ١٧٩٠- وَلَا أَجْلِيهِ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ
 وَالْعَرْشُ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
 ١٧٩١- وَلَا أَجْلِيهِ أَفْنَى الْجَحِيمِ وَجَنَّةِ الْ
 مَأْوَى مَقَالَةَ كَاذِبٍ فَتَّانِ
 ١٧٩٢- وَلَا أَجْلِيهِ قَالُوا: الْإِلَهَ مُعْطَلٌّ
 أَزْلًا بِغَيْرِ نَهَايَةٍ وَزَمَانِ
 ١٧٩٣- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ: لَيْسَ لِفِعْلِهِ
 مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدِّيَانِ
 ١٧٩٤- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ
 نَحْوَ السَّمَاءِ بِنُصْفِ لَيْلٍ ثَانِي
 ١٧٩٥- وَلَا أَجْلِيهِ زَعَمُوا الْكِتَابَ عِبَارَةً
 وَحِكَايَةً عَنِ ذَلِكَ الْقُرْآنِ
 ١٧٩٦- مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَخْلُوقِ وَالْ
 قُرْآنِ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمَنِ
 ١٧٩٧- مَاذَا كَلَامَ اللَّهِ قَطُّ حَقِيقَةً
 لَكِنْ مَجَازٌ وَيُحَ ذَا الْبُهْتَانِ

- ١٧٩٨- وَلَا أَجْلِهِ قَتَلَ ابْنَ نَضْرٍ أَحْمَدُ ذَاكَ الْخُرَاعِي الْعَظِيمُ الشَّانِ
- ١٧٩٩- إِذْ قَالَ: ذَا الْقُرْآنُ نَفْسُ كَلَامِهِ مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَكْوَانِ
- ١٨٠٠- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سِينَا وَالْأَلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الْكُفْرَانِ
- ١٨٠١- فَتَأَوَّلُوا خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَحُدُوثَهَا بِحَقِيقَةِ الْإِمْكَانِ
- ١٨٠٢- وَتَأَوَّلُوا عِلْمَ الْإِلَهِ وَقَوْلَهُ وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ وَالْبُطْلَانِ
- ١٨٠٣- وَتَأَوَّلُوا الْبَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ الْإِلَهِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ
- ١٨٠٤- بِفِرَاقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبَتْ حَتَّى تَعُودَ بِسَيْطَةِ الْأَرْكَانِ
- ١٨٠٥- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ الْقَرَامِطَةَ الْأَلَى يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الْإِيمَانِ
- ١٨٠٦- فَتَأَوَّلُوا الْعَمَلِيَّ مِثْلَ تَأْوِيلِ الْـ عِلْمِيِّ عِنْدَكُمْ بِلَا فُرْقَانِ
- ١٨٠٧- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ حَتَّى أَتَوْا بِعَسَاكِرِ الْكُفْرَانِ
- ١٨٠٨- فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ وَخَارَهَا فِينَا إِلَى ذَا الْآنِ

الشرح

- ١٧٦٩- هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ تَأْوِيلِ ذِي التَّخْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ
- أصل بليّة الإسلام وما حصل فيه من مخالفاتٍ، ومعاصٍ، وبدعٍ، وقتلٍ، وسلبٍ، ونهبٍ، كُله من التأويل، هذا فيمن ينتسب للإسلام.
- أمّا مَنْ لم ينتسب فأصل بليّة الإسلام منه أنه عدوٌ للإسلام، لكن المنتسب للإسلام ما جاءت البليّة للإسلام إلا بسبب تأويله.

قَوْلُهُ: «ذِي التَّحْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ» أَمَا تَأْوِيل مَنْ لَيْسَ بِمَحْرَفٍ - كَمَا سَيَأْتِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَلَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْهُ بَلِيَّةٌ.

١٧٧٠- وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلْ زَادَتْ ثَلَاثًا قَوْلَ ذِي الْبُرْهَانَ

يعني: فَرَّقَ الْأُمَّةَ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً مَعَ أَنَّ الْوَاجِبَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ
الْإِسْلَامِيَّةَ تَكُونُ فِرْقَةً وَاحِدَةً، لَكِنِ التَّأْوِيلُ الَّذِي هُوَ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّحْرِيفِ فَرَّقَ
الْأُمَّةَ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً.

١٧٧١- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ جَامِعَ الْ - قُرْآنِ ذَا النُّورَيْنِ وَالْإِحْسَانَ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ» يَعْنِي بِذَلِكَ: عِثَانَ بْنَ عَفَّانَ الَّذِي قَتَلَهُ
التَّأْوِيلُ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ ثَارُوا عَلَيْهِ وَأَلْبُوا عَلَيْهِ شَعْبَهُ وَأُمَّتَهُ كَانُوا مُتَأْوِلِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُ
فَسَقٌ - بَزَعْمَهُمْ - أَنَّهُ وَلَّى مَنْ لَا يَصْلِحُ لِلْوِلَايَةِ مِثْلَ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ وَغَيْرِهِ،
فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ فَسَقٌ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: إِنَّهُ كَفَرَ، فَجَمَعُوا عَلَيْهِ النَّاسَ
وَاقْتَحَمُوا بَيْتَهُ، وَقَتَلُوهُ وَهُوَ يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

قَوْلُهُ: «جَامِعَ الْقُرْآنِ» نَعَمْ، هُوَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ الْجَمْعَ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ
الْأَوَّلَ كَانَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَكِنَّهُ جَمَعَهُ، وَكَانَ النَّاسُ يَقْرَأُونَهُ عَلَى سَبْعَةِ
أَحْرَفٍ، وَيَخْتَلِفُونَ فِي قِرَاءَتِهِ، فَلَمَّا خَافَ عِثَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْفِتْنَةِ بِذَلِكَ جَمَعَهُمْ عَلَى
حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ حَرْفُ قُرَيْشٍ أَيْ: لُغَةُ قُرَيْشٍ، وَأَحْرَقَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَصَاحِفِ،
وَأَوْجَبَ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ يَقْتَصِرُوا عَلَى لُغَةِ قُرَيْشٍ فَقَطْ، فَكَانَ فِي هَذَا جَمْعٌ لِلْأُمَّةِ،
وَائْتِلَافٌ بَيْنَهَا يُشْكِرُ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَزَاهُ عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ خَيْرًا.

قَوْلُهُ: «ذَا النُّورَيْنِ» يَعْنِي: صَاحِبَ النُّورَيْنِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - زَوَّجَهُ ابْنَتَيْهِ رُقَيْيَةَ وَأُمَّ كَلْثُومَ؛ وَهَذَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ:

إذا افتخر الرافضة بأن علي بن أبي طالب زوجة النبي ﷺ ابنته فإن عثمان يفتخر بأنه زوجة ابنتيه الثنتين.

قوله: «وَالإِحْسَانِ» نعم؛ لأنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ^(١): مِئَةَ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا^(٢) وَأَقْتَابَهَا^(٣)، وَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلْ دَلْوَهُ فِيهَا مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»، فَاشْتَرَاهَا عُمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٤) بِحَرٍّ مَالِهِ، فَقَدْ أَحْسَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِتَجْهِيزِ الْجِيُوشِ، وَاسْتِعْذَابِ الْمَاءِ لَهُمْ.

١٧٧٢- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ أَعْنِي عَلِيًّا قَاتِلَ الْأَقْرَانِ

علي بن أبي طالب قتله الخوارج الذين خرجوا عليه، بعد أن كانوا معه في صفه، لكنهم تنكروا -والعياذ بالله- له، وخرجوا عليه، وقتلوه في الكوفة وهو خارج إلى صلاة الصبح يدعو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الصَّلَاةِ، فقتلوه، فقتل شهيداً ودفن في قصر الإمارة في الكوفة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، رقم (٢٦٢٦).

(٢) جمع جلس، بالكسر، وهو كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والسرج والقتب. انظر: تاج العروس، مادة: جلس.

(٣) جمع القتب والقتب، وهو إكاف البعير؛ وقيل: هو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير. انظر: لسان العرب، مادة: قتب.

(٤) أخرجه البخاري تعليقا: كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وله كنيتان، يقال: أبو عمرو، وأبو عبد الله، رقم (٣٧٠٣)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً، رقم (٣١٨٢).

ومن نعمة الله أن قبره لم يكن معروفًا؛ لأنه دُفِنَ في قصر الإمارة؛ خوفًا عليه من أن يُخرجه الخوارج من قبره في المقبرة ويمثلوا به.

وقوله: «وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ» قتله بأي شيء؟ الجواب: بالتأويل؛ لأنهم قالوا: إنك لما قبلت التحكيم مع معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَفَرْتَ، وَحَلَّ دَمُكَ، فقتلوه بهذا التأويل.

١٧٧٣- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهُ فَغَدَّوْا عَلَيْهِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ

الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَصَّتْهُ مَعْرُوفَةٌ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، غَدَّرُوا بِهِ، وَقَتَلُوهُ حَتَّى مَزَّقُوهُ تَمْزِيقًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَمَثَلُوا بِهِ.

ولكنه ليس كما يزعم بعض الناس أن رأسه دُفِنَ في دمشق، وبعضهم قال: دُفِنَ في العراق، وبعضهم قال: دُفِنَ في مصر، فكان لهذا الرجل ثلاثة رؤوس: رأس في الشام، ورأس في العراق، ورأس في مصر، فتبارك الله أحسن الخالقين، هَذَا الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا رَأْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يُنْقَلْ رَأْسُهُ أَبَدًا إِلَى غَيْرِ مَكَانِهِ.

وكما هو معلوم أن المواصلات صعبة في الزمن السابق، ثم إنه في ذلك الوقت بالذات فتن عظيمة، من الذي يستطيع أن ينقل رأسه إلى الشام أو إلى مصر؟!

١٧٧٤- وَهُوَ الَّذِي فِي يَوْمِ حَرْبِهِمْ أَبَا حَمِي الْمَدِينَةَ مَعْقِلِ الْإِيمَانِ

١٧٧٥- حَتَّى جَرَتْ تِلْكَ الدَّمَاءُ كَأَنَّهَا فِي يَوْمِ عِيدِ سُنَّةِ الْقُرْبَانِ

الله أكبر، هذا يوم الحرّة، اسْتَبِيحَتْ الْمَدِينَةُ وَاسْتَحِلَّتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَقُتِلَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَصَرُوهُ، وَاسْتَبِيحَتْ مَدِينَةُ

الرسول ﷺ، وانتهكت الأعراض، كُلُّ ذلك بالتأويل، وأنه يجوزُ الخروجُ على يزيد، فحصل بذلك الشرُّ العظيمُ، والفتنةُ العظيمةُ، وكذلك يقولُ:

١٧٧٦- وَغَدَا لَهُ الْحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقُ - تُلُّ صَاحِبَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

١٧٧٧- وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ مِنْ عَسْكَرِ الْحَجَّاجِ ذِي الْعُدْوَانِ

أيضاً من التأويل ما جرى في مكة على يد الحججاج بن يوسف الثقفي، فإنه قاتل أهل مكة وحاصرهم، ونصب المنجنيق، ورمى به الكعبة، وانهدم بعض جدرانها، ودخل مكة، وقتل من قتل فيها حتى قتل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومثله به، وعلقه، كُلُّ هَذَا بسبب التأويل، ما هو التأويل؟ هو أنهم فئة خارجة عن الإمام، والفئة الخارجة عن الإمام تُقتل.

١٧٧٨- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْخَوَارِجَ مِثْلَ إِنْ - شَاءَ الرَّوَافِضِ أَخْبَثَ الْحَيَوَانَ

قوله: «وهو» الضمير يعود على التأويل الذي أنشأ الخوارج، والخوارج فرقة ضالة كفرت كثيراً من الصحابة، واستباحت دماء المسلمين بغير حجة لكن بها معها - والعياذ بالله - من التسرع، والاستكبار، والاعتداد بالنفس، حتى رأوا أن من سواهم فهو كافر، وكفروا بالفسق والكبائر، وقالوا: من شرب قطرة من خمر فهو كافر مخلد في النار، يجب قتاله، ويحل دمه، والعياذ بالله.

هذه الفرقة الضالة من أشد الناس خطراً على الأمة الإسلامية.

كذلك «الروافض» ووصفهم ابن القيم بأنهم أخبث الحيوان، فالروافض أيضاً فرقة ضالة، فرقة مشرقة، والمراد بذلك الغلاة منهم، فرقة يدعون أن لهم أئمة يدبرون الكون، وأنه ما من ذرة تكون في الكون إلا ويدبرها الإمام المعصوم

عندهم، وأن مَنْ سوى أئمتهم فهم أئمة ضلالٍ، وكتبهم معروفةٌ، وهم أكثرُ فرق أهل البدع في الأمة الإسلامية، حتَّى قَسَمَ الناسُ الأمةَ الإسلاميةَ إلى قسمين: سُنَّة، وشيعة، والشيعة هم الروافض.

١٧٧٩- وَلَا أَجْلِهِ شَتَّمُوا خِيَارَ الْخَلْقِ بَعْدَ الرَّسْلِ بِالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «لِأَجْلِهِ» أَي: لِأَجْلِ التَّأْوِيلِ.

قَوْلُهُ: «شَتَّمُوا» أَي: الرَّوَافِضُ.

قَوْلُهُ: «خِيَارَ الْخَلْقِ بَعْدَ الرَّسْلِ» أَي: الصَّحَابَةُ.

فالروافض يُكْفَرُونَ الصَّحَابَةَ إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا وَآلَ الْبَيْتِ، وَالبَقِيَّةُ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ، حتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ يُصَرِّحُ بِأَنَّ أبا بَكْرٍ وَعَمْرَ كَافِرَانِ وَمَنَا عَلَى النِّفَاقِ.

ولا شكَّ أَنَّ هَذَا القَوْلَ لَازِمُهُ مِنْ أَبْطَلِ اللِّوَاظِمِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ حُجِّجَ فِي اللَّهِ، وَقَدْ حُجِّجَ فِي الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَقَدْ حُجِّجَ فِي الشَّرِيعَةِ، وَقَدْ حُجِّجَ فِي خِيَارِ الخَلْقِ.

هَذَا المَذْهَبُ يَلْزَمُ مِنْهُ هَذِهِ اللِّوَاظِمُ البَاطِلَةُ، قَدْ حُجِّجَ فِي اللَّهِ: حَيْثُ جَعَلَ أَصْحَابَ رَسُولِهِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ الفَسِقَةَ الفَجْرَةَ الخَوْنَةَ -وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ- هَكَذَا اعتقادهم.

قَدْ حُجِّجَ فِي الرَّسُولِ: حَيْثُ كَانَ أَخْدَانُهُ وَأَحْبَابًاؤُهُ هَؤُلَاءِ الفَسِقَةَ، وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ المَرءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، وَأَنَّ الإِنْسَانَ يُعْرَفُ بِصَاحِبِهِ، يُقَالُ: مَاذَا تَقُولُ فِي فُلَانٍ؟ قَالَ: وَاللَّهِ فُلَانٌ يَصْحَبُ أَنَا سَافِلًا، فَهَذَا قَدْ حُجِّجَ فِيهِ، إِذْ ذُنُ القَدْحِ فِي الصَّحَابَةِ يَسْتَلْزَمُ القَدْحَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وهُوَ قَدْ حُجِّجَ فِي الشَّرِيعَةِ؛ لِأَنَّ الوَسِيلَةَ الَّتِي نَقَلْتَ إِلَيْنَا الشَّرِيعَةَ هُمُ الصَّحَابَةُ، فَإِذَا كَانُوا فَجْرَةَ فَسِقَةَ، أَوْ كُفَّارًا، فَكَيْفَ نَثِقُ بِالشَّرِيعَةِ؟! إِذْ ذُنُ لَا ثِقَةَ لَنَا بِهَا.

هو قدحٌ أيضًا في الصحابة الذين هم خير القرون بشهادة النبي ﷺ لهم^(١).
 وسبحان الله العظيم! أعمى الله بصائرهم، كيف تمرُّ بهم الآياتُ القرآنيةُ
 الواضحةُ في أن الصحابةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ خيرُ الأمة، قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
 وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَبُّهُمْ رُكَّامًا سَجَدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
 وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
 وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى:
 ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالى:
 ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ
 بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ [الحديد: ١٠]، والآياتُ في هذا كثيرةٌ.

والأحاديثُ كثيرةٌ، قال النبي ﷺ لـ «أُحِدٌ» لما اهتزَّ به ومعه أبو بكرٍ وعمر
 وعثمان: «اثبتُّ أُحِدٌ، فإتَّما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان»^(٢). لكن -نسأل الله
 العافية- الهوى يُعمي ويصمُّ.

١٧٨٠- وَلَا أَجْلِيهِ سَلَّ الْبُغَاةُ سِيُوفَهُمْ ظَنًّا بِأَنَّهُمْ ذُؤُوبٌ إِحْسَانِ
 قَوْلُهُ: «الْبُغَاةُ» أي: الخارجون على الأئمة سلُّوا سيوفهم ظنًّا أنهم محسنون،
 فيأتي لإنسان، ويقول: هَذَا الْخَلِيفَةُ يَشْرِبُ الْخَمْرَ، فيقول الثاني: الله أكبر إنه لكافرٌ،
 فيقول الثالث: جَهَّزَ السِّيفَ، ويقول الرابع: انفروا خفافًا وثقالًا، فيخرجون على
 الإمام بمثل هذا التأويل.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم (٢٦٥٢)، مسلم:
 كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).
 (٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٦٧٥).

والإمام الذي يشرب الخمر، والذي يزني، والذي يُعاقِرُ النساء، هل يكونُ كافرًا؟ الجواب: أبدًا، لا يكون كافرًا، لكنّه فاسقٌ لا شك، ولكنّه لا يجوز أن يُخْرَجَ عليه؛ لأنَّ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: «لَا إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ»^(١).

فالشروط ثلاثة: «تَرُونَ»، «كُفْرًا بَوَاحًا»، «عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ».

فالظنُّ لا يكفي حتى ترى بعينك كفرًا بواحا صريحًا، والذي فيه احتمالُ أنه كفرٌ أو فسقٌ لا يُبيحُ الخروجَ عليه.

وَقَوْلُهُ: «بَوَاحًا» هل ذلك بمقتضى ظنِّك أو بمقتضى الدليل الشرعيّ؟ الجواب: بمقتضى الدليل الشرعيّ.

وَقَوْلُهُ: «عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ» قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبُرْهَانُ هُوَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ.

فالمسألة عظيمةٌ جدًّا، ثُمَّ الخروجُ أيضًا مع تمام الشروط المجيزة له، لا بُدَّ فيه من شرطٍ رابع: وَهُوَ أَنَّهُ يَزُولُ هَذَا الشَّيْءُ بِالْخُرُوجِ، وَإِذَا كَانَ لَا يَزُولُ بَلْ يَزِيدُ حَرَمَ الْخُرُوجِ لَا لِعَدَمِ وَجُودِ الْمَبِيحِ لَهُ، وَلَكِنْ لِعَدَمِ الْجُدُوى مِنْهُ، فَلَوْ خَرَجَ عَشْرَةٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى دَوْلَةٍ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَهُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ، وَاحِدٌ مَعَهُ سَكِينٌ، وَالثَّانِي: سَيْفٌ، وَالثَّلَاثُ: مَخْلَبٌ، وَالرَّابِعُ: عَصَا، وَالخَامِسُ: حَجْرٌ، وَهَكَذَا، وَقَالُوا: نَخْرَجُ عَلَى دَوْلَةٍ عِنْدَهَا دَبَابَاتٌ وَقَنَابِلٌ وَصَوَارِيخٌ مَاذَا يَكُونُ خُرُوجُهُمْ؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها»، رقم (٦٦٤٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية رقم (١٧٠٩).

الجواب: يكون خروجهم جنونًا، ولا يحلُّ لهم لا بشرع ولا بعقل، فلا بُدَّ من تهيئة يكون بها زوال هذا المنكر الذي رأينا أنه كفرٌ بواحدٍ عندنا فيه من الله بُرْهَانٌ، أمَّا أن تخرج طائفةٌ ثمَّ تُطْحَنُ ويُطْحَنُ مَنْ وراءها مِمَّنْ هُوَ خَيْرٌ فلا شكَّ أنَّ هَذَا سَفَهُ وَضُرْرٌ؛ ولهذا أنكر الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - مثل هذا، فقيل: إنهم يخرجون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: نعم، ولكن ما يفعلونه أكبرُ مِمَّا يخرجون من أجله.

فالحاصل أنَّ التأويل هُوَ كُلُّ بَلِيَّةٍ، فهو الَّذِي جعل البُعَاةَ يخرجونَ عَلَى الأئمةِ حَتَّى حصلت الشرورُ والفتنُ.

قَوْلُهُ: «ظَنَّ بِأَنَّهُمْ ذَوُو إِحْسَانٍ» ولكنهم والله ذوو إساءةٍ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ.

١٧٨١- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِرَا لِمَقَالَةٍ هَدَّتْ قُوَى الْإِيمَانِ

١٧٨٢- وَلَا أَجْلِيهِ قَالُوا بِأَنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ مِنَ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِرَا لِمَقَالَةٍ هَدَّتْ قُوَى الْإِيمَانِ» مَا الَّذِي قَالُوا؟ قالوا: إِنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - لَا يَتَكَلَّمُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ، وَلَا يَرْضَى، فَأَنكَرُوا الْمُحِبَّةَ، وَأَنكَرُوا الْكَلَامَ، وَأَنكَرُوا كُلَّ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ إِثْبَاتَهَا يَسْتَلْزِمُ التَّمثِيلَ، أَوِ التَّجَسِيمَ، أَوِ الْإِشْرَاكَ، عَلَى خِلَافِ بَيْنِهِمْ.

١٧٨٣- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ شِبْهَ الْمَجُوسِ الْعَابِدِي النَّيِّرَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ» وَهِيَ الْقَدْرِيَّةُ كَذَّبُوا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالْقَدْرِيَّةُ طَائِفَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ يَنْتَسِبُونَ لِلْأُمَّةِ، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِفِعْلِ الْعَبْدِ، وَلَا يَدْرِي عَنِ الْعَبْدِ إِلَّا إِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ.

يقولون: إِنَّ اللَّهَ لَا يَدْرِي عَنِ الْعَبْدِ إِطْلَاقًا، وليس له تصرّف فيه، ولا يعلمُ عن فعله إِلَّا إِذَا فَعَلَهُ، فَأَنكَرُوا الْعِلْمَ، وَأَنكَرُوا الْكِتَابَةَ، وَأَنكَرُوا الْمَشِيئَةَ، وَأَنكَرُوا الْخَلْقَ، وَهَذَا رَأْيُ غَلَاتِهِمْ، فَالْغَلَاةُ قَالُوا: لَا يَعْلَمُ، وَلَا يَشَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ، فَلَيْسَ لَهُ دَخْلٌ بِالْعَبْدِ.

أَمَّا الْمُقْتَصِدُونَ مِنْهُمْ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ لَكِن لَا يَشَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَبْدَ يَفْعَلُ كَذَا، لَكِن لَا يَقْدِرُ أَنْ يُغَيِّرَ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ بِمَشِيئَةِ الْعَبْدِ، وَلَيْسَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ عِلَاقَةٌ.

إِذْنُ أَيُّهَا خَيْرٌ: هُوَ أَمْ الْغَلَاةُ؟ الْجَوَابُ: كِلَاهُمَا شَرٌّ فِي الْحَقِيقَةِ.

عَلَى كُلِّ حَالٍ هُوَ أَمْ الْقَدْرِيَّةُ يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ: إِنَّهُمْ سَبُّهُ الْمَجُوسُ، كَيْفَ كَانُوا سَبُّهُ الْمَجُوسُ؟ مَا وَجْهَ الْمَشَابَهَةِ؟

الْمَجُوسُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْكُونَ لَهُ خَالِقَانِ اثْنَانِ، فَكُلُّ مَا يَحْدُثُ فِيهِ فَهُوَ إِمَّا مِنْ خَلْقِ النُّورِ وَإِمَّا مِنْ خَلْقِ الظُّلْمَةِ، فَكُلُّ مَا يَحْدُثُ فِي الْكُونَ فَهُوَ إِمَّا مِنَ الظُّلْمَةِ وَإِمَّا مِنَ النُّورِ؟ إِنْ كَانَ خَيْرًا فَهُوَ مِنَ النُّورِ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَهُوَ مِنَ الظُّلْمَةِ، فَجَعَلُوا لِلْخَلْقِ خَالِقَيْنِ.

وهؤلاء القدرية جعلوا للحوادث خالقين: حوادث من فعل الله كإنزال المطر، وإنبات الأرض، والإحياء والإماتة، وحوادث من فعل العبد، فالأولى تختص بالله، والثانية تختص بالعبد، إذن للحوادث خالقان؛ ولهذا قال: «سَبُّهُ الْمَجُوسِ الْعَابِدِي النَّيِّرَانِ».

١٧٨٤- وَلَا أَجْلِهِ قَدْ خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا بَرِّ فِي الْجَحِيمِ كَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
قَوْلُهُ: «قَدْ خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا بَرِّ فِي الْجَحِيمِ» خَلَدُوا أَي: الْمَعْتَزَلَةُ وَالْخَوَارِجُ

كلاهما يُخَلَّدُ أهل الكبائر في الجحيم كما يُخَلَّدُ عابدو الأوثان، رجل زنى ولكن لم يتب من الزنى، وفي نفسه أنه لو حَصَلَ امرأة ثانية زنى بها، ومات قبل أن يتوب، ورجلٌ مشركٌ بالله منذ مَيَّزَ حتَّى مات، عند الخوارج والمعتزلة كلاهما مَخَلَّدٌ في النار كعابدي الأوثان.

١٧٨٥- وَلَا جَلِيلِهِ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْـ مُخْتَارٍ فِيهِمْ غَايَةَ النُّكْرَانِ

هم يقولون: ليس لأهل الكبائر شفاعَةٌ كما أن أهل الإِشْرَاقِ ليس فيهم شفاعَةٌ، بناءً عَلَى أَنَّ أَهْلَ الكِبَائِرِ مَخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، وَالْمَخَلَّدُ فِي النَّارِ لَا تَنْفَعُ فِيهِ الشَّفَاعَةُ، وَهَذَا وَاضِحٌ.

١٧٨٦- وَلَا جَلِيلِهِ ضَرَبَ الْإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ صَدِيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْبَانِي

قَوْلُهُ: «ضَرَبَ الْإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ» أَي: الْإِمَامُ أَحْمَدُ ضَرَبَ بِالسَّوْطِ؛ لِأَنَّهُ أَصَرَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَهَمْ يَضْرِبُونَهُ بِالسَّيَاطِ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ، يُجْرُّ بِالْبَغْلَةِ فِي السُّوقِ وَيُضْرَبُ حَتَّى يُغْمَى عَلَيْهِ لِيَقُولَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَلَكِنَّهُ أَصَرَ فَقَالَ: الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَهَذَا كَمَا قَالَ السَّحْرَةُ لِفِرْعَوْنَ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

وَهَكَذَا مَقَامُ أَهْلِ الْحَقِّ، لِأَسِيًّا فِي هَذَا الْمَقَامِ الضَّنْكَ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ لَوْ قَالَ: (الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ) وَلَوْ بِالتَّأْوِيلِ، انْقَلَبَتِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مَعْتَزِلَةً جَهْمِيَّةً، فَمَقَامُهُ هُنَا لَيْسَ مِنْ بَابِ مَقَامِ الْإِكْرَاهِ.

يعني: لو قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا لَمْ يَتَأَوَّلْ، وَالْمُكْرَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ؟ نَقُولُ: لَا، هَذَا مَقَامُ جِهَادٍ، فَفَرَقُ بَيْنَ شَخْصٍ يُكْرَهُ عَلَى أَنْ يَسْجَدَ لِصَنْمٍ وَلَكِنْ لَا يَقْتَدِي بِهِ النَّاسُ هَذَا لَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا أُكْرَهُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ قَلْبُهُ مَطْمَئِنًّا بِالْإِيْمَانِ، وَبَيْنَ شَخْصٍ

يكون إمامًا، هَذَا لا يجوزُ أن يفعلَ ما أُكْرِهَ عليه؛ لأنَّ هَذَا الإمامَ إذا فعلَ ما أُكْرِهَ عليه من الكفر سبَّعَهُ النَّاسُ ويكفرون، فمقامُهُ مقامُ جهادٍ، لكن شخصَ عادي قيلَ له: اسجدَ للصنمِ، فسجدَ، ولا يهتَمُّ به أحدٌ، بل النَّاسُ ينكرون عليه أنه سجدَ، هَذَا نقول: إذا سجدَ دفعًا للإكراه فإنه لا حرجَ عليه، ويكونُ معذورًا ما دام قلبُهُ مطمئنًا بالإيمان.

١٧٨٧- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ جَهْمٌ: لَيْسَ رَبُّ بُ الْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

١٧٨٨- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ

١٧٨٩- مَا فَوْقَهَا رَبُّ يُطَاعُ جِبَاهُنَا تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانِ

جهمُ بنُ صفوانٍ إمامُ الجهميَّة يقولُ: إنَّ اللهَ ليسَ فَوْقَ العرشِ، وليسَ فوقَ السَّمواتِ، وليسَ فوقَ السَّمواتِ من رَبِّ فأينَ اللهُ؟

انقسمت الجهميَّة إلى قسمين:

قسم قالوا: إنَّ اللهَ بذاته في كُلِّ مكانٍ، في المسجدِ، في السُّوقِ، في البرِّ، في كُلِّ مكانٍ، لا تقل: فَوْقَ السَّمواتِ.

قسمٌ آخر: قالوا: إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - ليسَ فوقَ ولا تحتَ، ولا يمينُ ولا شمالُ، ولا داخلًا ولا خارجًا، ولا متصلًا ولا منفصلًا، أينَ هُوَ إِذَنْ؟ الجواب: غير موجود.

فأولئك - والعياذ بالله - جعلوه في كُلِّ مكانٍ، وهؤلاء أَخْلَوْا مِنْهُ كُلَّ مكانٍ. لكن ما هُوَ تَأْوِيلُ الجهميَّةِ في ذلك؟ يقولون: لو قلنا: إنَّ اللهَ فوقَ لزمَ أن يكونَ في جهةٍ، فيكونَ محدودًا، ويكونُ جسمًا، ويكونَ في حيزٍ، وما أشبه ذلك.

ونقول لهم - كما سبق - في الردّ عليهم بأنّ كلّ هذا ليس بلازمٍ بالنسبة لعلو الله إلا ما كان لائقاً به عزّ وجلّ.

١٧٩٠- وَلَا جِلْهٍ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ وَالْعَرْشُ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
صفات الكمال أنكرت بالتأويل، لماذا؟ قالوا: لأننا لو أثبتنا صفةً لزم أن يكون جسمًا، والأجسام متماثلة.

وقال بعضهم: لو أثبتنا صفةً قديمةً لزم تعدّد القدماء، وهذا أعظم من شرك النصارى، فالنصارى جعلوا الآلهة ثلاثة، وأنت إذا أثبتت لله صفةً قديمةً جعلته آفًا، مثلًا إذا أثبت لله سمعًا قديمًا، وبصرًا قديمًا، وقدرةً قديمةً، وحياةً قديمةً، وقوةً قديمةً، وعزةً قديمةً، صار ستة، وهكذا كلما زدت صفةً زدت ربًا، فيقولون: هذا شرك، إذن يجب أن ننكر كلّ صفةٍ، فلأجل هذا التأويل أنكروا صفات الكمال.

١٧٩١- وَلَا جِلْهٍ أَفْنَى الْجَحِيمِ وَجَنَّةَ الْمَأْمُورِ مَقَالَةَ كَاذِبٍ فَتَّانٍ

١٧٩٢- وَلَا جِلْهٍ قَالُوا: الْإِلَهُ مُعْطَلٌ أَزْلًا بِغَيْرِ نَهَايَةٍ وَزَمَانٍ

قوله: «وَلَا جِلْهٍ أَفْنَى الْجَحِيمِ وَجَنَّةَ الْمَأْمُورِ» أي: لأجل التأويل أفنى الجحيم وأفنى جنة المأوى.

فهؤلاء الجهميّة يقولون: إنّ أفعال الله ليس لها استمرارٌ أزليّ، ولا أبديّ فهم يقولون: إنّ الله - سبحانه وتعالى - ليس له فعلٌ مستمرٌّ لا أزلاً ولا أبدًا، وعلى هذا، فالنارُ تفتنى، والجنةُ تفتنى، وقد سبق أنهم يقولون بفناء الجنة وفناء النار، وبعضهم قال: تفتنى الحركات دون الذوات، حتّى إنّ الإنسان إذا كان يريد أن

يأكل ثمرةً من الجنة وأخذ الثمرة ليوصلها إلى فمه، وجاء وقت الفناء بقي هَكَذَا، بقيت الثمرة في يده إلى أبد الأبدین، نسأل الله العافية، عقولٌ غريبةٌ.
على كُلِّ حالٍ هم يقولون بفناء الجنة والنار تأويلاً باطلاً.

١٧٩٣- وَلَا أَجْلِهِ قَدْ قَالَ: لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدِّيَانِ
من مذهب جهم إنكارُ الحكمة أيضاً، يقول: إِنَّ أفعالَ الله غيرُ معلّلة، ليس لها حكمةٌ، يفعلُ هَكَذَا، ليس لها غايةٌ حميدةٌ؛ لأنك لو جعلت لأفعاله حكمةً صيرته يفعلُ لغرضٍ، والذي يفعلُ لغرضٍ ناقصٌ؛ لأنه لا يكْمُلُ إلا بهذا الغرض؛ ولهذا من قواعدهم الفاسدة أن الله مُنَزَّهٌ عن الأعراض والأبغاض والأعراض.

وهي كلمةٌ مسجوعةٌ حلوةٌ في لفظها لكنّها مُرَّةٌ في معناها، ف (مُنَزَّهٌ عن الأعراض) يعني: عن الصفات.

«والأبغاض» يعني: عن اليدين، والوجه، والعين.

«والأعراض» يعني: عن الحكمة، فليس لفعله حكمةٌ.

فأهدروا جميع ما يدلُّ عليه اسمُ الحكيم، فهو حكيمٌ بلا حكمةٍ.

وأنكروا كُلَّ ما جعله الله سبباً؛ لأنَّ الأسبابَ من العِلل، والقُرآنُ مملوءٌ بإثبات الحكمة لله، لكن هم يقولون: يفعلُ بغير حكمة، يفعلُ لمجرد المشيئة، نسأل الله العافية.

١٧٩٤- وَلَا أَجْلِهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِنُصْفِ لَيْلٍ ثَانِي

قَوْلُهُ: «وَلَا أَجْلِهِ» أَي: لِأَجْلِ التَّوْوِيلِ كَذَّبُوا بِنُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

في النصف الثاني من الليل، فقالوا: إِنَّ معنى قوله -عليه الصلاة والسلام-: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»^(١) أي: يَنْزِلُ أمرُ رَبِّنَا، أو رَحْمَةُ رَبِّنَا، أو مَلَكُ رَبِّنَا، وقد سبق الجواب عَلَى هَذَا التحريف.

١٧٩٥- وَلَا أَجْلِهِ زَعَمُوا الْكِتَابَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً عَنِ ذَلِكَ الْقُرْآنِ
١٧٩٦- مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَخْلُوقِ وَالْقُرْآنُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمَنِ

لأجله زعموا أَنَّ الْقُرْآنَ عبارةٌ وحكايةٌ عن كلام الله، وهؤلاء هم الكَلَابِيَّةُ والأشعريَّةُ، قالوا: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يُسْمَعُ، وليس بحروفٍ، لكنَّهُ هُوَ المعنى القائم بنفسه، وَأَنَّ اللَّهَ -سبحانه وتعالى- خَلَقَ أصواتًا تُسْمَعُ عبارة عن هَذَا الكلام، أو حكاية عن هَذَا الكلام؛ ولهذا قَالَ المؤلف:

١٧٩٧- مَاذَا كَلَامَ اللَّهِ قَطُّ حَقِيقَةً لَكِنْ مَجَازٌ وَيُحَ دَا الْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «وَيُحَ» كلمةٌ توجِّعُ ووعيدٌ لهذا البهتان الَّذِي ذهب إليه هؤلاء، هم إذا جعلوا الكلامَ عبارةً عن المعنى القائم بالذات فهل يُسَمَّى المعنى القائم بالذات هل يُسَمَّى كلامًا؟ الجواب: أبدًا، وأما قولُ القائلِ^(٢):

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

يقولون: إِنَّ الْقَائِلَ لِهَذَا الْبَيْتِ هُوَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِيُّ الْمَشْهُورُ، وَبَعْضُهُمْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ فِي دِيْوَانِهِ، وَأَيًّا كَانَ فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).
(٢) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (١/١٨٧).

قوله: «إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ» يعني: أن الكلام الرّصين الذي يُعتبر ما كان خارجاً من القلب، وأمّا الكلام الهذيان فهو الذي يكون على اللسان، فالكلام الرّصين الحقيقي المفيد هو الذي يخرج من القلب، فالإنسان يُقدّر أولاً بقلبه، ثمّ ينطق بلسانه، لكن لا يمكن أن يُقال: إنه متكلّم حتى ينطق باللسان.

١٧٩٨- وَلَا أَجْلِهِ قَتَلَ ابْنَ نَصْرِ أَحْمَدُ ذَاكَ الْخُزَاعِيَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٧٩٩- إِذْ قَالَ: ذَا الْقُرْآنُ نَفْسُ كَلَامِهِ مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

قوله: «ابن نصر أحمد» هو أحمد بن نصر -رحمه الله^(١)- وهو الرجل الثاني الذي وقف أمام المحنة في عهد الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، فإن هذين الرجلين أصراً على أن يقولوا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، فقتل أحمد بن نصر -رحمه الله-، وأمّا الإمام أحمد فنجى.

١٨٠٠- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سِينَا وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الْكُفْرَانِ

١٨٠١- فَتَأَوَّلُوا خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَحُدُوثَهَا بِحَقِيقَةِ الْإِمْكَانِ

ابن سينا وشيعته من الفلاسفة قالوا: ليس هناك خالق ومخلوق، وأمّا خلق السموات فمعناه إمكان حدوثها، وأنها وُجدت، ووجودها دليل على الإمكان، أمّا أن يكون هناك خالق فلا، وتأوّلوا الخلق بمعنى إمكان الحدوث.

١٨٠٢- وَتَأَوَّلُوا عِلْمَ الْإِلَهِ وَقَوْلَهُ وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ وَالْبُطْلَانِ

قالوا: إن الله -سبحانه وتعالى- ليس له صفة هي وجودية، بل كل صفاته

(١) هو الإمام الكبير، الشهيد، أبو عبد الله أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، المروزي، ثم البغدادي، كان أماراً بالمعروف، قوَّلاً بالحق. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/١٦٦).

سليبيَّة، حتَّى قالوا: لا يصحُّ أن تقولَ بأنَّ اللهَ موجود، فهذا غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّه لا يجوزُ أن يُثبتَ للهَ صفةٌ وجوديَّةٌ، بل كُلُّ صفاته سلبيةٌ، ومع هذا أيضًا يقولون: إنه تخييلٌ لا حقيقةَ له، لكنَّ الرسلَ جاؤوا بهذا التخييل من أجل أن يستقيمَ النَّاسُ على ما أُريدَ منهم، وإلَّا فلا رَبَّ، ولا صفاتِ رَبِّ، ولا جنةَ ولا نارَ، ولا يومَ آخرَ، وإنما الرسلَ صَوَّرتَ هذا تصويرًا قصصيًا من أجل أن يستقيمَ النَّاسُ على ما طَلَبتَ منهم الرسلُ.

١٨٠٣- وَتَأَوَّلُوا الْبَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ الْإِلَهِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ

١٨٠٤- بِفِرَاقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبَتْ حَتَّى تَعُودَ بِسَيِّطَةِ الْأَرْكَانِ

البعثُ الَّذِي هُوَ إخراجُ النَّاسِ من قبورهم لربِّ العالمين أحياءَ بعد الموت، قالوا: ليس هذا المرادُ بالبعث، المرادُ بالبعثُ بعثُ الروح من عالمِ المادةِ إلى عالمِ الرُّوح، أي: أنها تخرجُ من عناصرِ المادةِ من البدنِ إلى عالمِ الأرواح.

والحقيقةُ أنَّ هذا تحريفٌ ليس بعده تحريفٌ؛ لأننا إذا قلنا: إنَّ هذا هُوَ البعثُ فحقيقتهُ أنَّ هذا هُوَ الموتُ، فالموتُ أن تفرَّقَ الرُّوحُ البدنَ، تفرَّقَ العنصرَ الماديَّ إلى عنصرِ الأرواحِ الغيبيِّ، وهذا ليس ببعث، هذا حقيقتهُ أنه الموت، لكن لتحريفهم زعموا أنَّ هذا هُوَ البعثُ، وأنكروا أن يكونَ هناكُ بعثٌ للأبدان، قالوا: الأبدانُ تفتني وتذهبُ، ولا يمكنُ أن تُبعثَ مرةً أخرى.

١٨٠٥- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ الْقَرَامِطَةَ الْأَلَى يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الْإِيْمَانِ

القرامطةُ أصلهم شيعةٌ روافضُ، لكن تطورت بدعتهم -والعياذُ بالله- حتَّى قالوا: إنَّ للإسلامِ ظاهرًا وباطنًا، الظاهرُ ما نعرفه من الصلاة والزكاة

والصيام والحج، وهذا لا يُؤمَّرُ به إِلَّا العامة، ولا يقومُ به إِلَّا العامة، فالأنبياء عوام، وتابعوهم عَلَى هَذَا الدين الظاهر عوام، والدينُ الحقيقيُّ هُوَ الدين الباطنيُّ، ولهذا يُسمَّون الباطنيَّة، وهذا الدين الباطنيُّ لا يُؤمَّرُ به إِلَّا خواصُّ الناس وهم أوليائهم ولهذا تأوَّلوا، حتَّى الشريعة العملية تأوَّلوها كما تأوَّل هؤلاء الشريعة العلمية في صفات الله وغيره، تأوَّلوها أي: حرَّفوها.

هؤلاء حرَّفوا حتَّى الأمور العملية، قالوا: الصلاة ليست هي ذات الركوع والسجود، بل الصلاة معرفة أسرار القوم.

والصيام: هل هُوَ الإمساك عن الطعام والشراب والمفطرات؟ لا، فهذا صوم العوام، أمَّا صومُ الخواصِّ فهو كتمان أسرارهم؛ ولهذا لا يُّوحون بأسرار مذهبهم إِلَّا بعد أن يتربَّى الإنسان عَشْرَ مراتبٍ معروفة عندهم، يعني: يُرحِّلونَه مرحلةً مرحلةً حتَّى يصل إلى الغاية.

وأما الحجُّ فقالوا: إنه زيارة أوليائهم، أمَّا أن تزور الكعبة، فهذا حجُّ العوام، حجُّ الخواصِّ أن تذهب إلى الوليِّ الفلانيِّ حيًّا كان أو ميتًا وتقصده، هَذَا هُوَ الحجُّ.

الزكاة ليست بذلَّ المال للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها... إلخ، ولكنها بذلُّ المال في تنمية مذاهبهم، والبناء عَلَى قبور أوليائهم، وما أشبه ذلك.

١٨٠٦- فَتَأَوَّلُوا الْعَمَلِيَّ مِثْلَ تَأَوَّلِ الْـ عِلْمِيِّ عِنْدَكُمْ بِلَا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «الْعَمَلِيُّ» هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقَائِدِ.

قَوْلُهُ: «الْعَمَلِيُّ» هُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.

الباطنية القرامطة تأولوا الأمرين جميعًا، هم في مذهبهم العلمي كمنذهب الفلاسفة تمامًا، يقولون: كُلُّ اليوم الآخر، وأسماء الله، وصفات الله، بل والله عزَّ وجلَّ كُلُّه تخييلٌ.

هم زادوا على ذلك، وقالوا: العمليُّ أيضًا تخييلٌ للعوام فقط دون الخواصِّ.

١٨٠٧- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ حَتَّى أَتَوْا بِعَسَاكِرِ الْكُفْرَانِ قَوْلُهُ: «النَّصِير» هُوَ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيِّ -عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ مَا يَسْتَحِقُّ- هَذَا الرَّجُلُ رَافِضِيٌّ، اسْتَبَطَنَهُ الْخَلِيفَةُ، وَجَعَلَهُ مِنْ بَطَانَتِهِ، فَخَانَهُ أَعْظَمَ خِيَانَةً، وَقَادَ التَّتَارَ إِلَى دُخُولِ بَغْدَادَ، فَدَخَلَ التَّتَارُ بَغْدَادَ، وَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ، وَقَتَلُوا أُمَّمًا لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَالْعَبَّادِ، وَالزُّهَّادِ، وَغَيْرِهِمْ.

حَتَّى إِنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى مَحْتَمِهِمْ قَالَ: «لَقَدْ بَقِيَتْ عِدَّةٌ سَنِينَ مُعْرَضًا عَنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ اسْتِعْظَامًا لَهَا، كَارَهَا لِذِكْرِهَا، فَأَنَا أَقْدَمُ إِلَيْهِ رَجُلًا وَأَوْخَرُ أُخْرَى، فَمَنْ الَّذِي يَسْهَلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ نَعِيَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؟ وَمَنْ الَّذِي يَهْوَنُ عَلَيْهِ ذِكْرُ ذَلِكَ؟ فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، وَيَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ حَدُوثِهَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا، إِلَّا أَنَّنِي حَثْنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ عَلَى تَسْطِيرِهَا وَأَنَا مُتَوَقِّفٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنْ تَرَكَ ذَلِكَ لَا يَجِدِي نَفْعًا»^(١).

وكان يقول: من محتتهم أن العشرة منهم، أو الخمسة، أو الرجلين أو الثلاثة يدخلون السوق، ويدقون البيوت، ويخرجون الرجال، ويأتون بحجر بل بحجرين، ويقولون للرجل: ضع رأسك على هذا الحجر، ويقولون لأخيه: اضرب رأس أخيك بالحجر الثاني، ويفعل ذلك، لا يدافعون عن أنفسهم، يعني:

(١) انظر: الكامل في التاريخ (١٠/٣٣٣).

أنزل الله في قلوبهم الرعب، ويخرجون المرأة وهي حامل فيقرون بطنها، ويخرجون ولدها يتحرك أمامها، ثم يقتلونه - نسأل الله العافية - فإذا رأيت ما جرى تقول: سبحان الحليم الذي لا يؤاخذ عباده بما صنعوا!

يقول ابن القيم:

١٨٠٨- فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةً وَخُمَارُهَا فِينَا إِلَى ذَا الْآنِ

يعني: جرى على الإسلام محنة عظيمة سقطت به الدولة العباسية.

قوله: «وخمَارُها فِينَا» يعني: ما زالت هذه الفتنة إلى وقت ابن القيم في القرن

الثامن، وهي كانت في سنة ستمئة وخمسين، يعني: قبل مائة سنة، وما زالت آثارها.

إذ نعرفنا الآن أن أساس البلاء في الإسلام هو التأويل سواء في الأمور العلمية، أو في الأمور العملية حتى في مسائل الفقه الذين يخالفون الأقوال الصحيحة التي دلت عليها النصوص إنما خالفوها من أجل التأويل، يؤولون النصوص، فيخالفون مراد الشارع.

١٨٠٩- وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدْعٍ وَأَحَدٍ

١٨١٠- فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو الْبُطْلَانِ لَا

١٨١١- إِذْ ذَاكَ تَفْسِيرُ الْمُرَادِ وَكَشْفُهُ

١٨١٢- قَدْ كَانَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ

لَدَاتٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ الْقُرْآنِ

تَأْوِيلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

وَيَبَيِّنُ مَعْنَاهُ إِلَى الْأَذْهَانِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ كُلَّ أَوَانٍ

- ١٨١٣- يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ
- ١٨١٤- هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ
- ١٨١٥- فَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ مَا تَعْنِي بِهِ
- ١٨١٦- أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرَفًا عَنِ الْ
- ١٨١٧- وَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ: عَدُو
- ١٨١٨- مَاذَا أَرَادَ بِهِ سِوَى تَفْسِيرِهِ
- ١٨١٩- قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ لَا
- ١٨٢٠- وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرَّجُوعُ
- ١٨٢١- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الْمَنَامِ حَقِيقَةُ الْ
- ١٨٢٢- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرَتْ
- ١٨٢٣- نَفْسُ الْحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُهَا لَدَى
- ١٨٢٤- لَا خُلْفَ بَيْنَ أُمَّةِ التَّفْسِيرِ فِي
- ١٨٢٥- هَذَا كَلَامِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ
- ١٨٢٦- تَأْوِيلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفْسِيرُهُ
- ١٨٢٧- مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ:
- ١٨٢٨- كَلَّا وَلَا نَفْيُ الْحَقِيقَةِ لَا وَلَا
- وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ
- مَنْ حَكَيْتَهُ عَنْهُ لَهَا بِلِسَانِ
- خَيْرِ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ؟
- مَعْنَى الْقَوِيِّ لِعَبْرِ ذِي الرَّجْحَانِ
- لَمَّا لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ
- وَوَظُهُورِ مَعْنَاهُ لَهُ بِبَيَانِ
- تَأْوِيلِ جَهْمِيِّ أَخِي بُهْتَانِ
- عُ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْبُطْلَانِ
- مَرِيٍّ لَا التَّحْرِيفُ بِالْبُهْتَانِ
- رُسُلُ الْإِلَهِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ
- يَوْمِ الْمَعَادِ بِرُؤْيَا وَعِيَانِ
- هَذَا وَذَلِكَ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
- وَأُمَّةِ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ
- بِالظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ لِلأَذْهَانِ
- تَأْوِيلُهُ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ
- عَزَلُ النُّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ فَذَانِ

- ١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ
 ١٨٣٠- وَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي بَطْلَانِهِ
 ١٨٣١- فَجَعَلْتُمْ لِلْفِظِّ مَعْنَى غَيْرَ مَعْنَى
 ١٨٣٢- وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى
 ١٨٣٣- كَذَبَ عَلَى الْأَلْفَاظِ مَعَ كَذِبٍ عَلَى
 ١٨٣٤- وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا
 ١٨٣٥- إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ
 سَدَّ أُمَّةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ
 وَاللَّهُ يُقْضِي فِيهِ بِالْبَطْلَانِ
 سَنَاهُ لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانِي
 تَى جَاءَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَخْذُورَانِ:
 مَنْ قَالَهَا، كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ
 جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ
 غَيْرُ الْحَقِيقَةِ وَهِيَ ذُو بَطْلَانِ

الشرح

- ١٨٠٩- وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدْعٍ وَأَحَدٍ
 ١٨١٠- فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو الْبَطْلَانِ لَا
 ذكر المؤلف - رحمه الله - أن أساس البلاء في الإسلام هو التأويل الذي
 أبطله، وهو الذي حصلت به كل البدع والأحداث.

ثم ذكر أن هناك تأويلاً صحيحاً، وهو التأويل الذي قاله أهل العلم والإيمان.

- ١٨١١- إِذْ ذَاكَ تَفْسِيرُ الْمُرَادِ وَكَشَفُهُ
 وَبَيَانُ مَعْنَاهُ إِلَى الْأَذْهَانِ

هذا التأويل - وهو تأويل أهل العلم والإيمان - بمعنى التفسير؛ لأن التأويل الذي ذكرنا أنه أصل البلاء هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح، وهذا هو التأويل الذي أبطله ابن القيم، وحققة أمره أنه تحريف.

هناك تأويلٌ بمعنى التفسير، وهو كشفُ المعنى، وإيضاحُه، وبيانه، وهذا التأويلٌ صحيحٌ.

وهذا يستعمله العلماءُ أهلُ العلم والإيمان، فمثلاً يقول ابنُ جرير -وهو إمامُ المُفسرين بالأثر- يقولُ عندما يتكلمُ على تفسير الآية: القولُ في تأويلِ قوله تعالى: كَذَا وكَذَا، «القولُ في تأويل» يعني: في تفسير.

وسُمِّيَ التفسيرُ تأويلاً؛ لأنه بيانٌ لما يؤولُ إليه اللفظُ، فإنَّ تفسيرَ اللفظِ بمعناه بيانٌ لما يؤولُ إليه، وأصلُ التأويلِ مأخوذٌ من الأولِ وهو الرجوع.

١٨١٢- قَدْ كَانَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ كُلاًَّ أَوْانٍ

١٨١٣- يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «قَدْ كَانَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ» فمحمّدٌ رسولُ الله ﷺ هو أعلمُ الخلقِ بكلامِ الله، لا شكٌ في هذا.

قَوْلُهُ: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» فإنه -عليه الصلاة والسلام- لما نزل قولُ الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣] عرف -عليه الصلاة والسلام- أن هذا دنوُّ أجله، وأنَّ الله أمره أن يختمَ عمره بهذا الدعاء: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ فكانَ يُكثِرُ أن يقولَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١).

وقَوْلُهُ: «تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ» أي: ذي علمٍ ودليلٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب التسييح والدعاء في السجود، رقم (٧٨٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٤).

١٨١٤- هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ — نَحْوَ حِكَايَةِ عَنْهُ لَهَا بِلِسَانِ

١٨١٥- فَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ مَا تَعْنِي بِهِ خَيْرُ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ؟

قَوْلُهُ: «هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ» ماذا قالت؟ لِمَا قالت: كان يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ» قالت: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»^(١) ماذا تعني بالتأويل هنا؟ هل تعني: أنه يصرّف القرآن عن ظاهره إلى معنى يخالف الظاهر؟ الجواب: لا، بل قولها: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» أي: يعملُ به؛ لأنَّ حقيقةَ المأمورِ ومآله العملُ به.

فمثلاً إذا أمر الله بشيء فلنا فيه تأويلان: التأويل الأول: تفسير، والتأويل الثاني: فعله والعملُ به.

فقول عائشة: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» ليس معناه يُفسِّره، لا يُفسِّرُ معنى ﴿ فَسِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴾ لكنَّ المعنى: يَعْمَلُ به، والعملُ بالمأمور به يُعتبر تأويلاً؛ لأنه إظهارٌ للمأمور به حتَّى يكون مُشَاهِداً كما أنَّ تأويلَ الخبر إذا وقع يُسَمَّى تأويلاً؛ لأنه ظهورٌ للمُخْبِرِ به أو للمُخْبِرِ عنه حتَّى يُشَاهِدَ وَيُرَى.

فالحاصلُ أنَّ التأويل يُرادُ به التفسيرُ، ويُرادُ به عَيْنُ المؤوَّل، فإن كان مأموراً به فتأويله فعلُ المأمور به، وإذا كان مُخْبِراً عنه فتأويله وقوعُ المُخْبِرِ عنه حتَّى يُشَاهِدَ وَيُرَى.

قَوْلُهُ: «خَيْرُ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ» أما كونُ عائشةَ أفقَهُ النسوان فهذا أمرٌ يعرفه مَنْ عرف حالها، وأَنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُعْتَبَرُ فقيهة النساء.

(١) هو جزء من الحديث السابق.

وأما كونها خير النساء فهذا من الأمور المختلف فيها عند أهل السنة، فمنهم من قال: إن خير النساء عائشة؛ لأن النبي ﷺ قال: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا آسِيَةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).

قالوا: فذكر أنه كمل من النساء فلانة، وفلانة، وفلانة، وفلانة «وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ» وهذا عام «كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

وكان ابن القيم في هذا الكلام يذهب هذا المذهب، ولكن تقدم في العقيدة أن الصحيح أن عائشة لها مزية، وخديجة لها مزية، وفاطمة لها مزية، ومريم لها مزية، كل واحدة من الأخرى خير من الأخرى من وجه آخر.

١٨١٦- أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرَفًا عَنِ الْمَعْنَى الْقَوِيَّ لِغَيْرِ ذِي الرَّجْحَانِ الْجَوَابُ: لا، لا تريد بالتأويل صرف اللفظ عن المعنى القوي، يعني: الظاهر، للمعنى الذي ليس براجع؛ ولهذا قال: «لِغَيْرِ ذِي الرَّجْحَانِ».

١٨١٧- وَأَنْظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ: عَدَّ لِمَهْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ

١٨١٨- مَاذَا أَرَادَ بِهِ سِوَى تَفْسِيرِهِ وَظُهُورِ مَعْنَاهُ لَهُ بَيَانِ

من القائل؟ الجواب: الرسول ﷺ حيث قال لعبد الله بن عباس: «اللَّهُمَّ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: «وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ» [التحریم: ١١]، رقم (٣٢٣٠)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (٣٤١١).

فَقَّهَةٌ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(١)، يعني: التفسير.

١٨١٩- قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ لَا تَأْوِيلُ جَهْمِيٍّ أَخِي بُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ» يعني: هُوَ التَّأْوِيلُ حَقِيقَةٌ، أَي: التفسير.

قَوْلُهُ: «لَا تَأْوِيلُ جَهْمِيٍّ أَخِي بُهْتَانِ» الجهميُّ يعني بالتأويل التَّحْرِيفَ،

فمعناه عنده صرفُ اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يرى أنه صارفٌ، فيرى الجهميُّ وغيره من أهل التَّحْرِيفِ أَنَّ هَذَا الدَّلِيلَ صَارِفٌ، وَالدَّلِيلُ الصَّارِفُ عندهم هُوَ العقل كما سبق.

١٨٢٠- وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرَّجُوعُ عِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْبُطْلَانِ

أَمَّا الْجَهْمِيُّ وَغَيْرُهُ فَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ عَنْهُمْ هُوَ الرَّجُوعُ إِلَى الْمَعْنَى الْبَاطِلِ الَّذِي

يُخَالِفُ ظَاهِرَ الْلفظِ.

١٨٢١- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الْمَنَامِ حَقِيقَةٌ أَلْ - مَرِّيٌّ لَا التَّحْرِيفُ بِالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «تَأْوِيلُ الْمَنَامِ حَقِيقَةُ الْمَرِّيِّ» لَمَّا رَفَعَ يَوْسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَبْوِيَهُ

عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا، مَاذَا قَالَ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ

مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] معنى (هذا تأويلها) أي: هَذَا وَقَوْعُهَا، وَقَوْعُ هَذِهِ الرَّؤْيَا؛

لَأَنَّ الرَّؤْيَا الَّتِي كَانَتْ كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] هَذِهِ الرَّؤْيَا تَصْوِيرٌ فَقَطْ، لَمَّا وَقَعَ الْأَمْرُ،

وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا قَالَ: هَذَا تَأْوِيلُ، أَي: وَقَوْعُ مَا رَأَاهُ فِي

مَنَامِهِ مُشَاهَدًا.

١٨٢٢- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرَتْ رُسُلُ الْإِلَهِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ

١٨٢٣- نَفْسُ الْحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُهَا لَدَى يَوْمِ الْمَعَادِ بِرُؤْيَا وَعِيَانِ

الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَخْبَرَتْ بِمَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَتَى تَأْوِيلُهُ الَّذِي هُوَ وَقُوعُ هَذَا الْمُخْبِرِ بِهِ؟ الْجَوَابُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

فَقَوْلُهُ: ﴿نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يَعْنِي: تَرَكَوهُ، وَلَيْسَ النِّسْيَانُ الَّذِي هُوَ الذَّهْوُ عَنِ الشَّيْءِ الْمَعْلُومِ، بَلِ الْمُرَادُ تَرَكَوهُ.

١٨٢٤- لَا خُلْفَ بَيْنَ أُمَّةِ التَّفْسِيرِ فِي هَذَا وَذَلِكَ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

١٨٢٥- هَذَا كَلَامُ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَأُمَّةِ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ

١٨٢٦- تَأْوِيلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفْسِيرُهُ بِالظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ لِلأَذْهَانِ

١٨٢٧- مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ: تَأْوِيلُهُ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ

١٨٢٨- كَلَّا وَلَا نَفْيُ الْحَقِيقَةِ لَا وَلَا عَزْلُ النُّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ فَذَانِ

١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ أُمَّةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ

مَنْ الَّذِي قَالَ: إِنَّ التَّأْوِيلَ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ؟ الْجَوَابُ: الْجَهْمِيَّةُ وَأَهْلُ الْبِدْعِ، أَمَّا كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ وَكَلَامُ أُمَّةِ التَّفْسِيرِ وَكَلَامُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَالتَّأْوِيلُ عِنْدَهُمْ لَهُ مَعْنِيَانِ لَا ثَالِثَ لِهَما، وَهُمَا: التَّفْسِيرُ، وَالْحَقِيقَةُ الَّتِي يُوَوَّلُ إِلَيْهَا

الكلام، إن كان خبرًا فبوقوع المُخْبِرِ به، مثاله: قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وإن كان طلبًا فبامثاله والعمل به، مثاله: قول عائشة: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ...» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ^(١).

١٨٢٨- كَلَّا وَلَا نَفِي الْحَقِيقَةِ لَا وَلَا عَزَلُ النَّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ فَذَانِ

١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ أُمَّةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا نَفِي الْحَقِيقَةِ» يعني: لم يقل شخص منهم قط: إن التأويل نفي الحقيقة.

قَوْلُهُ: «وَلَا عَزَلُ النَّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ» أهل الباطل عزلوا النصوص عن اليقين، وقالوا: إن دلالتها على المعنى لا تنفيذ اليقين، وإذا لم تُفد اليقين فلنا الحق في تأويلها وصرفها عن ظاهرها.

وهذه مكابرة؛ لأن في النصوص ما يُفِيدُ اليقين قطعاً، فاستواء الله على العرش أي: علوه عليه تدلُّ عليه النصوص يقيناً؛ لأنه ذَكَرَ في القرآن في سبعة مواضع، وليس هناك موضعٌ واحدٌ أبداً قَالَ اللهُ فيه: «إِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» بل في كُلِّ المواضع بلفظ «اسْتَوَى» قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب التسييح والدعاء في السجود، رقم (٧٨٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٤).

١٨٣٠- وَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي بَطْلَانِهِ وَاللَّهُ يَقْضِي فِيهِ بِالْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ يَقْضِي فِيهِ بِالْبُطْلَانِ» الظاهر أن ابن القيم - رحمه الله - سأل الله أن يقضي ببطلان هذا التأويل حتى لا يغتر الناس به، فالظاهر أنها جملة دعائية.

١٨٣١- فَجَعَلْتُمْ لِلْفَظِّ مَعْنَى غَيْرَ مَعْنَى لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانِي

قَوْلُهُ: «لَدَيْهِمْ» أي: لدى أئمة العرفان.

١٨٣٢- وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى تَى جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ:

١٨٣٣- كَذَبَ عَلَى الْأَلْفَازِ مَعَ كَذِبِ عَلَى مَنْ قَالَهَا، كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ

قَوْلُهُ: «جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ» المحذور الأول: «كذب على الألفاظ» حيث قالوا: إنها تدل على كذا.

المحذور الثاني: «كذب على من قالها» حيث قالوا: إن مراده كذا، فعندنا الآن في تأويل أهل التحريف محذوران:

الأول: الكذب على الألفاظ، مثلاً قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] ظاهر اللفظ جاء هو بنفسه، لكن هم كذبوا على اللفظ، وقالوا: المراد به: «جاء أمر ربك».

الثاني: وكذبوا على من تكلم بهذا اللفظ وهو الله، فقالوا: إن الله أراد بقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: «جاء أمر ربك»، فكذبوا على الله.

إذن هنا كذبان: الكذب الأول: على النصوص (اللفظ)، والثاني: على من قالها، فهذان كذبان مقبوحان.

١٨٣٤- وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ

صحيح، ترتب على هذا أنهم جحدوا الحق، وأشادوا بالباطل، فقالوا مثلاً: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ليس معناها (علا)، فجحدوا الحق، وأشادوا بالمعنى الباطل وهو (استولى).

ونحن الآن نبيِّن هذه المحاذير الأربعة:

الأول: في قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ما ظاهر اللفظ؟ ظاهره أنه استوى استواءً حقيقياً على العرش، هم قالوا: المراد بـ(استوى) أي: (استولى)، فكذبوا على اللفظ.

الثاني: ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الْإِسْتِوَاءَ الْحَقِيقِيَّ (العلو عليه)، وهم قالوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ ذَلِكَ، ولكن أراد الاستيلاء، فكذبوا على الله.

الثالث والرابع: الَّذِي تَلَا هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: كَذَّبُوا بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْإِسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ، وَجَحَدُوهُ، ثُمَّ أَثْبَتُوا مَعْنَى بَاطِلًا وَهُوَ الْإِسْتِوَاءُ بِالْحَقِّ وَأَشَادُوا بِالْبَاطِلِ، وَلِهَذَا قَالَ: «وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ» أي: شهدوا بأنه (استولى) ولم (يستوى).

١٨٣٥- إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ غَيْرُ الْحَقِيقَةِ وَهِيَ ذُو بُطْلَانٍ

يعني: يَرَوْنَ أَنَّ الْحَقِيقَةَ بَاطِلَةٌ، وَأَنَّ الْمُرَادَ سِوَاهَا، نَسَأَلَ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْهُدَايَةَ.

فصل

(فِيمَا يَلْزِمُ مُدْعِيَ التَّأْوِيلِ لِتَصِحِّحِ دَعْوَاهُ)

- ١٨٣٦- وَعَلَيْكُمْ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعُ
- ١٨٣٧- مِنْهَا دَلِيلٌ صَارَفٌ لِلْفَظِّ عَنْ
- ١٨٣٨- إِذْ مُدْعِي نَفْسِ الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ
- ١٨٣٩- فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا
- ١٨٤٠- وَهُوَ اِحْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي
- ١٨٤١- فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَلِكَ طَوْلِبْتُمْ بِأَمْرٍ
- ١٨٤٢- إِذْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا
- ١٨٤٣- هَبَ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَـ
- ١٨٤٤- غَيْرَ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ
- ١٨٤٥- كَتَعْبُدِ وَتِلَاوَةِ وَيَكُونُ ذَا
- ١٨٤٦- مِنْ قَصْدٍ تَحْرِيفٍ لَهَا يُسَمَّى بِتَأْ
- ١٨٤٧- وَاللَّهُ مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَا
- ١٨٤٨- بَلِ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ التَّـ
- وَاللَّهُ لَيْسَ لَكُمْ بِهِ يَدَانِ
- مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ
- لِلْأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانِ
- هِيَئَاتِ طَوْلِبْتُمْ بِأَمْرٍ ثَانِي
- قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّبْيَانِ
- رِ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي
- ذَا دَلَّكُمْ أَنْتَحَرَّصُ الْكُفَّانِ؟!
- كِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِي
- نُ اللَّفْظِ مَقْصُودًا بِدُونِ مَعَانِي
- كَ الْقَصْدُ أَنْفَعُ وَهُوَ ذُو إِمْكَانِ
- وَيْلٌ مَعَ الْإِتْعَابِ لِلْأَذْهَانِ
- فِي حِكْمَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَنَّانِ
- تَحْرِيفَ حَاشَى حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ

- ١٨٤٩- وَكَذَلِكَ تُبْطَلُ قَصْدُهُ إِذَا نَزَلَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّبَيَّنِ
- ١٨٥٠- وَهُمَا طَرِيقَا فِرْقَتَيْنِ كِلَاهُمَا عَنِ مَقْصِدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرَفَانِ

الشرح

هذا الفصل فصلٌ عظيمٌ جدًّا، وذلك أن كلَّ مَنْ ادَّعى التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ صَرَفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنَى مَرْجُوحٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ:

الأمر الأول قال:

- ١٨٣٦- وَعَلَيْكُمْ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعٌ وَاللَّهُ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ
- ١٨٣٧- مِنْهَا دَلِيلٌ صَارَفٌ لِلْفَظِّ عَنْ قَوْلِهِ: «يَدَانِ» بِمَعْنَى قَدْرَةٍ.

قَوْلُهُ: «مِنْهَا» يَعْنِي: وَهُوَ الْأَوَّلُ.

يعني: لا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ مَنْ ادَّعى التَّأْوِيلَ بِدَلِيلٍ صَارَفٍ عَنِ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِدَلِيلٍ، هَذَا الدَّلِيلُ إمَّا مِنَ الْقُرْآنِ، أَوِ السُّنَّةِ، أَوِ الْإِجْمَاعِ، أَوِ الْعَقْلِ الصَّرِيحِ.

فَإِنْ قَالَ هَذَا الَّذِي طَالِبُنَا بِهِ الدَّلِيلَ الَّذِي صَرَفَ اللَّفْظَ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَقَلْنَا لَهُ: هَاتِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّهُ مَصْرُوفٌ عَنْ ظَاهِرِهِ، لَوْ أَنَّهُ قَلِبَ عَلَيْنَا ذَلِكَ، وَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ تَأْتُونَ بِالدَّلِيلِ، فِيمَاذَا نُجِيبُهُ؟ قَالَ الْمُؤَلِّفُ فِي الْجَوَابِ عَنْهُ:

- ١٨٣٨- إِذْ مُدَّعِي نَفْسِ الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ لِلْأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانِ

نقول: نحن ما صرفناه عن ظاهره حتى تطالبنا بالدليل.

١٨٣٩- فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا هَيْهَاتَ طَوْلَيْتُمْ بِأَمْرٍ ثَانِي

قَوْلُهُ: «فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا هَيْهَاتَ» يعني: ما أبعدته؟! ما أبعد أن تأتوا بدليلٍ بَيِّنٍ يدلُّ عَلَى صرف اللفظ عن ظاهره، لكن عَلَى فرض أن يستقيم لكم طولبتم بأمرٍ ثاني.

١٨٤٠- وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّبْيَانِ

لا بُدَّ أن يأتوا بدليل عَلَى أن المعنى يحتمل ما ذكروه، فإن كان لا يحتمل لم يُقْبَل منهم.

فمثلاً: هل يمكن أن يحتمل قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] أن يحتمل معنى (استولى)؟ الجواب: لا؛ لأنه يلزم عليه لوازم باطلة تمنع أن يكون اللفظ محتماً لهذا المعنى.

فإذن إذا قالوا: عندنا دليلٌ يصرف اللفظ عن ظاهره، قلنا: نريدُ دليلاً آخرَ، وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ؛ لأنكم قد تدعون معنى لا يحتمله اللفظ، فلا يُقْبَل منكم.

١٨٤١- فَإِذَا آتَيْتُمْ ذَاكَ طَوْلَيْتُمْ بِأَمْرٍ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي

قَوْلُهُ: «فَإِذَا آتَيْتُمْ ذَاكَ» يعني: آتيتم به، طولبتم بأمرٍ ثالث من بعد هذا الثاني.

١٨٤٢- إِذْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا ذَا دَلُّكُمْ أَنْتَحْرُصُ الْكُفَّانِ؟!

إذا أتوا بدليلٍ عَلَى أن اللفظ يحتمل ما ذكروه، نقول: نريدُ منكم دليلاً آخرَ،

وَهُوَ هَلْ يَتَعَيَّنُ مَا ذَكَرْتُمُوهُ مَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ؟ قَدْ لَا يَتَعَيَّنُ، فَقَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ مُحْتَمَلًا
 لِمَعْنَى آخَرَ غَيْرِ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ، مَا دُمْتُمْ صَرَفْتُمُوهُ عَنْ ظَاهِرِهِ وَقُلْتُمْ: الْمُرَادُ كَذَا،
 نَقُولُ: هَذَا الَّذِي عَيَّنْتُمْ يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ غَيْرَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إِذْ قُلْتُمْ: إِنَّ
 الْمُرَادَ كَذَا فَمَاذَا دَلَّكُمْ؟» يَعْنِي: مَا الَّذِي دَلَّكُمْ أَنَّ الْمُرَادَ مَا قُلْتُمْ؟ «أَتُخْرِصُ
 الْكُهَانَ»؟! وَهَذَا الْاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ.

١٨٤٣- هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَـ كِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِي
 ١٨٤٤- غَيْرَ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ مَقْصُودًا بِدُونِ مَعَانِي
 قَوْلُهُ: «الْمَوْضُوعُ» يَعْنِي: الْحَقِيقَةُ.

إِذْنُ رَدَّ الْمُؤَلِّفُ عَلَيْهِمْ إِذَا عَيَّنُوا الْمَعْنَى بِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَعْنَى آخَرَ،
 وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يُرَادَ مَعْنَى هَذَا اللَّفْظِ، لَا الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ، وَلَا الْمَعْنَى الْآخَرَ، إِذْنُ
 مَا الْمُرَادُ بِاللَّفْظِ؟ يَقُولُ:

١٨٤٥- كَتَبْتُ بِدَوْلَاوَةٍ وَيَكُونُ ذَا كَ الْقَصْدُ أَنْفَعٌ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ
 فَصَارَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقُولُ: إِذَا عَيَّنَّا مَعْنَى طَالِبِنَاهُمْ بِالذَّلِيلِ عَلَى تَعْيِينِ هَذَا
 الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرُوهُ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَعْنَى آخَرَ، وَلاَحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ هَذَا
 اللَّفْظُ لَا يُرَادُ بِهِ مَعْنَى، وَإِنَّمَا نَزَلَ لِمَجْرَدِ اللَّفْظِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَائِدَةُ مِنَ اللَّفْظِ؟ يَقُولُ: «كَتَبْتُ بِدَوْلَاوَةٍ»: وَهَذَا فِي
 الْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ: «وَيَكُونُ ذَاكَ الْقَصْدُ أَنْفَعٌ» أَي: أَنْفَعٌ مِمَّا عَيَّنَّوهُ مِنَ الْمَعْنَى الْمُخَالَفِ
 لِلظَّاهِرِ.

١٨٤٦- مِنْ قَصْدٍ تَحْرِيفٍ لَهَا يُسَمَّى بِتَأْ وَيَسِلُّ مَعَ الْإِتْعَابِ لِلْأَذْهَانِ
 إِذَنْ كَوْنُنَا نَقْرَأُ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ وَلَا نَتَعَرَّضُ لِمَعْنَاهَا خَيْرٌ مِنْ كَوْنِنَا نُحَرِّفُهَا عَنْ
 ظَاهِرِهَا مَعَ إِتْعَابِ أَذْهَانِنَا وَالْإِتْيَانِ بِالْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّجَوُّزِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَمَا
 أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ كَوْنَهَا مَجْرَدَةٌ عَنِ الْمَعْنَى لِمَجْرَدِ التَّعَبُّدِ بِالتَّلَاوَةِ أَوْلَى مِنْ كَوْنِهَا مُحَرَّفَةٌ.
 ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٨٤٧- وَاللَّهُ مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَا فِي حِكْمَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَنَّانِ
 قَوْلُهُ: «مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَا» مَا الْمَرَادُ بِالْقَصْدَيْنِ؟ الْمَرَادُ: التَّحْرِيفُ الَّذِي
 هُوَ خِلَافُ الظَّاهِرِ، أَوْ كَوْنِهَا لَيْسَ لَهَا مَعْنَى.

لكن أيهما أولى: أن يُنزلَ اللهُ علينا كتابًا نتعبَّدُ بتلاوته دون أن نتعرَّضَ لمعناه
 أو كتابًا يريدُ منا أن نُحرِّفَهُ عن ظاهِرِهِ وأن نُتعبَّ أذهاننا في تحريفه والمعنى الَّذِي
 نُعيِّنُهُ؟

الجوابُ: الأوَّلُ لا شكَّ؛ لِأَنَّ الأوَّلَ لَيْسَ عِنْدَ نَافِيهِ تَعَبٌ، وَإِنَّمَا نُسَلِّمُ الْأَمْرَ
 إِلَى اللَّهِ.

١٨٤٨- بَلِ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ التَّحْرِيفَ حَاشَى حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «حَاشَى حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ» يَعْنِي: تَنْزِيهًا لَهَا، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ
 الْإِسْتِثْنَاءِ حَتَّى نَقُولَ: إِنَّهَا تُجَرُّ، بَلِ (حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ) هُنَا فَاعِلٌ.

١٨٤٩- وَكَذَلِكَ تُبْطِلُ قَصْدَهُ إِنْزَالُهَا مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّبْيَانِ

يعني: أنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَأْبَى أَنْ يُرِيدَ بِكَلَامِهِ خِلَافَ الظَّاهِرِ كَمَا زَعَمْتُمْ، وَتَأْبَى
 أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى كَمَا قَدَّرْنَا.

إِذْنُ ابْنِ الْقَيْمِ - رحمه الله - رَدَّ الْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا، وَهَمَا: أَنْ يُقْصَدَ بِاللَّفْظِ مَجْرَدُ اللَّفْظِ مِنْ أَجْلِ التَّعَبُّدِ بِالتَّلَاوَةِ فَقَطْ، أَوْ أَنْ يُقْصَدَ بِهِ مَعْنَى يَخَالِفُ الظَّاهِرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنَزِّلْ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ لِمَجْرَدِ أَنْ نَقْرَأَهُ فَقَطْ، بَلْ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ لِفَهْمِ مَعْنَاهُ وَتَدَبُّرِهِ وَاعْتِقَادِ مَوْجِبِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تَبْطُلُ قَصْدَهُ التَّحْرِيفَ) مَا هُوَ التَّحْرِيفُ الَّذِي عَنَى؟ الْجَوَابُ: تَأْوِيلُ هَؤُلَاءِ لِلْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ.

١٨٥٠- وَهُمَا طَرِيقَا فِرْقَتَيْنِ كِلَاهُمَا عَنْ مَقْصِدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرَفَانِ قَوْلُهُ: «وَهُمَا» يَعْنِي: التَّحْرِيفَ، وَتَفْوِيضَ الْمَعْنَى، أَي: الْقَوْلُ بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِ مَعْنَى، هُمَا طَرِيقَا فِرْقَتَيْنِ كِلَاهُمَا مُنْحَرَفٌ عَنْ طَرِيقِ الْقُرْآنِ. إِذْنُ قَوْلُهُ: (هُمَا) أَي: الْمَفْهُومَةُ وَالْمُؤَوَّلَةُ.

وَقَدْ ادَّعَى كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مَذْهَبَ السَّلَفِ حَقِيقَةً ادَّعَى أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ التَّفْوِيضُ، أَي: أَنَّا نَقْرَأُ وَلَا نَتَكَلَّمُ عَنِ الْمَعْنَى، وَقَالَ: هَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَقَالَ: إِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: تَفْوِيضٌ، وَتَأْوِيلٌ.

نَقُولُ: وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ، فَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الْمَعْنَى، وَيَقُولُونَ: حَاشَى لَهِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا قِرَاءَتًا لِمَجْرَدِ التَّلَاوَةِ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى؛ لِأَنَّ هَذَا شِبْهُ عَيْبٍ، وَلَكِنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] فَلَا بُدَّ مِنْ فَهْمِ مَعْنَاهُ، وَإِنْ خَفِيَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فَإِنَّ الرَّاغِبِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ.

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَسَمُوا مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى قَسْمَيْنِ نَقُولُ: أَخْطَأْتُمْ. أَوْلَا: فِي جَعَلِكُمُ الْمُؤَوَّلَةَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَإِنَّ الْمُؤَوَّلَةَ خَالَفُوا السُّنَّةَ فِي تَأْوِيلِهِمْ.

ثانيًا: جعلكم التفويض من مذهب أهل السنة، فإنَّ أهل السنة بريئون من ذلك حتَّى إنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قال: «إنَّ قول أهل التفويض من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد»^(١).

وقال: إنه هُوَ الَّذِي فتح الباب للفلاسفة والمناطقة الذين أنكروا المعاد وأنكروا اليوم الآخر؛ لأنَّ هؤلاء الفلاسفة قالوا: إذا كنتم أنتم يا أهل السنة لا تعرفون معاني القرآن وإنما تقرؤونه تعبدًا بتلاوته، فأنتم بمنزلة العجائز والأميين، ونحن أصحاب الميدان الذين نعرف معاني ما أنزل الله ولو بالتأويل؛ فلهذا فتح هؤلاء المفوضة الباب لأهل التأويل حتَّى للفلاسفة وشبههم.

ومن ثمَّ نجد في كلام بعض العلماء المحققين كالنووي - رحمه الله - «أنَّ طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم»، وهذه العبارة وصف شيخ الإسلام من قالها بالغباوة، فقال - رحمه الله -: «ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يُقدِّر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم»^(٢)، ولا شك أنَّ هذه عبارة كذب، وفيها تناقض.

أمَّا كونها متناقضة: فلأنه إذا كانت طريقة السلف أسلم لزم أن تكون أعلم وأحكم؛ لأننا لا نعلم سلامة إلا بعلمٍ وحكمة، بعلمٍ بمعرفة أسباب السلامة، وحكمة في سلوك هذه الأسباب.

وثانيًا: كيف تكون طريقة الخلف أعلم وأحكم وهم الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه؟! وكيف تكون طريقة الخلف أعلم من طريق النبي ﷺ والصحابة

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ١٨٥).

وخلفائه الراشدين؟! وكيف تكون أعلمَ وهذه أقوال السلف كُلُّها طافحة متضافرة ظاهرة في إثبات المعنى؟!!

من العبارات المشهورة عنهم أنهم قالوا في آيات الصِّفَات وأحاديثها: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفٍ» فَإِنَّ هَذِهِ العبارة تدلُّ دلالة ظاهرة عَلَى أنهم يُثبتون المعنى؛ لأنَّ قولهم: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ» يقتضي إبقاء دلالتها عَلَى ما هي عليه، ومعلومٌ أنها ألفاظٌ جاءت لمعنى، وليست ألفاظًا جوفاء لا معنى لها، وحاشى لله أن يصفَ نفسه، ويسمِّي نفسه بأسماء وصفات في كتابه وهي عندهم ألفاظٌ جوفاءٌ ليس لها معنى، هي جاءت لإثبات المعنى، فإمرأها كما جاءت أن تُثبتَ معانيها التي دلَّت عليها.

وأيضًا قولهم: (بلا كَيْفٍ) يدلُّ عَلَى إثبات أصل المعنى؛ لأنَّ نفي التكييف يدلُّ عَلَى ثبوت أصل المعنى؛ لأنه لو لم يكن الأصل ثابتًا لكان ذكْرُ نفي التكييف لغوا لا فائدة منه.

إِذْ فطريقة السلفِ أسلمٌ وأعلمٌ وأحكمٌ.

والمؤلف هنا ذكر ثلاثة أوجه مع أنه في أوّل الكلام يقول: «وظائف أربع» فأين الرابع؟ لم يذكر إلا ثلاثة.

رابعًا: أن يُثبتوا أنَّ اللفظَ يحتملُ المعنى الَّذي عيّنوه في السِّياق المعين؛ لأنَّ احتمال اللفظ للمعنى عَلَى سبيل الإطلاق لا يعني: أنه يحتمله في كُلِّ سياق، فلا بُدَّ أن يُثبتوا دليلًا عَلَى أنَّ المعنى الَّذي عيّنوه صالحٌ في هَذَا السِّياق المعين؛ لأنَّ احتمال اللفظ للمعنى عَلَى سبيل الإطلاق لا يستلزم أن يحتمله في كُلِّ سياق، فقد يكون في السِّياق ما يمنع المعنى الَّذي يحتمله اللفظ في غير هَذَا السِّياق، وهذا كثيرٌ.

ففي القرآن والسنة ألفاظ لها معانٍ لكنها لا تصلح للمعاني المطلقة في هذا السياق المعين، فمثلاً: إذا قالوا: إنَّ (استوى) يمكنُ أن تأتي بمعنى (استولى)، نقول: لكن نحتاج إلى دليل يدلُّ على أنها تحتمله في هذا السياق المعين، دعنا من كونها تحتمله على سبيل الإطلاق، هذا قد نُقرُّ به، لكن لا بُدُّ أن تقيموا دليلاً على احتمالها لهذا المعنى في هذا السياق المعين.

وأضربُ لكم مثلاً: (القرية) تُطلَقُ على المساكن، وعلى السَّاكن، لكنها في موضع لا تصلح للمساكن، وفي موضع لا تصلح للمساكن، ففي قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥] هل تصلح (القرية) هنا للمساكن؟

الجواب: لا؛ لأنها لا تظلم ولا تُهلك، فالذي يُهلك أهلها كما قال تعالى في قوم هود: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

أمَّا في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] هل (القرية) هنا تصلح للمساكن؟ الجواب: لا، بل تتعين للمساكن.

فقوله: ﴿أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] (أهل) مضاف لـ(القرية)، فلو قلنا: (القرية) هنا للمساكن صار المعنى: إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ أَهْلٍ، ف(أهل القرية) الآن (أهل) هم السَّاكن، (والقرية): المساكن، فهنا القرية لا تصلح للمساكن.

إذْ نَقُولُ لَهُؤْلَاءِ الْمُؤَوَّلِينَ: الْوُظَيْفَةُ الرَّابِعَةُ عَلَيْكُمْ: أَنْ تُثَبَّتُوا أَنَّ اللَّفْظَ صَالِحٌ لِّلْمَعْنَى الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ الْمُعَيَّنِ، فَصَارَتِ الْوُظَائِفُ الَّتِي يُطَالِبُونَ بِهَا أَرْبَعًا.

فصل

فِي طَرِيقَةِ ابْنِ سِينَا وَذَوِيهِ مِنَ الْمَلَا حِدَةِ فِي التَّأْوِيلِ

- ١٨٥١- وَأَتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَا بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى وَلَمْ يَأْتَفَ مِنَ الْكُفْرَانِ سِيلاً وَتَقْرِيباً إِلَى الْأَذْهَانِ لَا فِي مِثَالِ الْحِسِّ كَالصَّبِيَانِ مَحْسُوسٍ مَقْبُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ ذَا الْقَصْدِ وَهُوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِي لِحَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ فِي الْأَذْهَانِ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذِهِ الْخُلُجَانِ قَةً مُتَّفِفٍ مَضْمُونُهَا بَيَانِ مَا إِنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالتَّبْيَانِ فِي الذَّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الْإِحْسَانِ وَطَرِيقَةُ الْبُرْهَانِ أَمْرٌ ثَانِي جُنِيَتْ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ قَدْ خَرَّقُوهُ بِأَسْهُمِ الْهَدْيَانِ
- ١٨٥٢- قَالَ: الْمُرَادُ حَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ تَخْرُجُ عَنِ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ إِلَى كَيْ يُنْزَعُ الْمَعْقُولُ فِي صُورٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَتَسَلُّطُ التَّأْوِيلِ إِبْطَالٌ لَهَا هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَعَ نَفِيهِ وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ عُدَّتْ وَكِلَاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ لَكِنْ قَدْ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ لَكِنَّ عِنْدَهُمْ أُرِيدَتْ ثُبُوتُهَا إِذْ ذَاكَ مَصْلَحَةُ الْمُخَاطَبِ عِنْدَهُمْ فَكِلَاهُمَا ارْتَكَبَا أَشَدَّ جِنَايَةٍ جَعَلُوا التَّنْصُوصَ لِأَجْلِهَا غَرَضًا لَهُمْ

- ١٨٦٤- وَتَسَلَّطَ الْأَوْغَادُ وَالْأَوْقَاحُ وَالْأَزْدَالُ بِالتَّحْرِيفِ وَالْبُهْتَانِ
 ١٨٦٥- كُلُّ إِذَا قَابَلْتَهُ بِالنَّصِّ قَا
 ١٨٦٦- وَيَقُولُ: تَأْوِيلِي كَتَأْوِيلِ الذِّيبِ
 ١٨٦٧- بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُهَا فِي الْوَحْيِ بِالنَّدِ
 ١٨٦٨- أَيَسُوعُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ لَكُمْ وَلَا
 ١٨٦٩- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الصِّفَاتِ مَعَ انْتِهَا
 ١٨٧٠- وَاللَّهُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ
 ١٨٧١- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحَيَاتِهِ
 ١٨٧٢- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحُدُوثِ هَـ
 ١٨٧٣- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضِ الشَّرَا
 ١٨٧٤- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِكَلَامِهِ
 ١٨٧٥- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الرَّفْضِ أَخِ
 ١٨٧٦- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُؤَوَّلٍ
 ١٨٧٧- إِذْ صَرَخَ الْوَحْيَانِ مَعَ كُتُبِ الْإِلَـ
 ١٨٧٨- فَلَايِي شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ بِذَا التَّـ
 ١٨٧٩- إِنَّا تَأْوَلْنَا وَأَنْتُمْ قَدْ تَأَوَّ
- أَزْدَالُ بِالتَّحْرِيفِ وَالْبُهْتَانِ
 بَلْهُ بِتَأْوِيلِ بِلَا بُرْهَانِ
 مَنْ تَأَوَّلُوا فَوَقِيَّةَ الرَّحْمَنِ
 نَصِّينَ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي التَّبْيَانِ
 تَتَأَوَّلُوا الْبَاقِي بِلَا فَرْقَانِ؟!
 مِلْءُ الْحَدِيثِ وَمِلْءُ ذَا الْقُرْآنِ
 تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 وَلِعِلْمِهِ وَمَشِيئَةِ الْأَكْوَانِ
 ذَا الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ بِالْإِمْكَانِ
 نِعِ عِنْدَ ذِي الْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ
 بِالْفَيْضِ مِنْ فَعَالِ ذِي الْأَكْوَانِ
 بَارَ الْفَضَائِلِ حَارَزَهَا الشَّيْخَانِ
 نَصًّا أَبَانَ مُرَادَهُ الْوَحْيَانِ
 بِجَمِيعِهَا بِالْفُوقِ لِلرَّحْمَنِ
 تَأْوِيلِ بَلْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِيمَانِ؟!
 وَلْتُمْ فَهَاتُوا وَاضِحَ الْفُرْقَانِ

- ١٨٨٠- أَلَكُم عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَيْثُ لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وَزُرَانِ؟!
 ١٨٨١- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتُبِهِمْ مِنْهَا نَقَلْنَا هَذَا بِأَعْدْوَانِ
 ١٨٨٢- رُدُّوا عَلَيْنِهِمْ إِنْ قَدَرْتُمْ أَوْ فَتَحُوا حُوا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الْإِيمَانِ
 ١٨٨٣- لَا تَحْطَمَنَّكُمْ جُنُودُهُمْ كَحَطِّ سِمِ السَّيْلِ مَا لَأَقَى مِنَ الدَّيْدَانِ

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله -: «فَصُلِّ فِي طَرِيقَةِ ابْنِ سِينَا وَذَوِيهِ مِنَ الْمَلَا حِدَةِ فِي التَّأْوِيلِ» سبق لنا التَّأْوِيلُ الَّذِي أَوْلَهُ أَهْلُ الْبِدْعِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمَا فِي بَابِ الصِّفَاتِ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا الَّذِينَ أَوْلَوْا نِصُوصَ الْمَعَادِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْمَعَادَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَأَوْلَوْا الْأَعْمَالَ أَيْضًا، وَقَالُوا: إِنَّ الْعِبَادَاتِ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَأَنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ مَا هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَهُمْ، وَأَنَّ لِلْإِسْلَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

أَمَّا عَنْ ابْنِ سِينَا فَقَالَ:

١٨٥١- وَأَتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَلِكَ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى وَلَمْ يَأْنَفْ مِنَ الْكُفْرَانِ

ابن سينا من المتفلسفة الإسلاميين الذي ينتمي إلى الإسلام، ويقول: إنه مسلم، ولكنه - نسأل الله العافية - على خلاف ذلك، وقد صرح ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهما الله - بأنه كافر.

صحيح أنه طبيب، وله معرفة في الطب، ولكنه من جهة العقيدة فاسد العقيدة، ولهذا قال: «أتى بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران» يعني: أنه لم يترفع عن الكفر، بل وقع فيه.

١٨٥٢- قَالَ: الْمُرَادُ حَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ تَحْتَهُ سَبِيلًا وَتَقْرِيبًا إِلَى الْأَذْهَانِ

يقول: إنَّ المرادَ بالألفاظ حقيقتها، لكن من باب التخييل والتقريب للأذهان، وإلَّا فإنَّ الأمرَ شيءٌ وراء ذلك، فالصلاةُ مثلاً يُراد بها حقيقتها، والزكاةُ، والصومُ، وكذلك آياتُ الصِّفَاتِ وأحاديثُها، لكنَّه على سبيل التقريب إلى الأذهان فقط؛ لتدرك الأذهان أنَّ الله سمعًا وبصرًا وقدرةً، لتدرك أنها تُصَلِّي وتصومُ وتُزكي وتُحجُّ، لكن تقريبًا للأذهان فقط، وإلَّا فالأمرُ شيءٌ وراء ذلك.

١٨٥٣- عَجَزَتْ عَنِ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ إِلَّا لَافِي مِثَالِ الْحِسِّ كَالصَّبِيَانِ

يعني: أنَّ النفوسَ أو الأفكارَ عجزت عن إدراك المعقولِ إلَّا إذا صوِّر بصورة المحسوس، يعني: مثلاً: «اللهُ سميعٌ» يعني: أنه لا سمع، لكن ذكِرَ هَذَا من باب التقريب.

وقوله تعالى: ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] ليس هناك شيءٌ مكتوبٌ يُسمَّى صيامًا، لكن من باب التقريب أوجبَ اللهُ الصيامَ على النَّاسِ، وإلَّا فإنَّ الحقائقَ شيءٌ وراء ذلك، هَذَا معنى كلام ابن سينا.

١٨٥٤- كَيْ يُبْرَزَ الْمَعْقُولَ فِي صُورٍ مِنَ الْمَحْسُوسِ مَقْبُولًا لِذِي الْأَذْهَانِ

١٨٥٥- فَتَسَلَّطَ التَّأْوِيلُ لِإِبْطَالِ لَهَا لَذَا الْقَصْدِ وَهُوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِبِي

يعني: الَّذِي يقول: إِنَّ هَذِهِ النَّصُوصَ لَا يُرَادُ بِهَا حَقَائِقُهَا، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهَا خِلَافُ الظَّاهِرِ، فَيَجِبُ تَأْوِيلُهَا، يقول: هَذَا تَسَلَّطٌ مِنَ الْمُؤَوَّلِ، وَجِنَايَةٌ عَلَى النَّصُوصِ، بَلِ الْمُرَادُ حَقَائِقُهَا، لَكِنَّهَا رَمُوزٌ لِأَشْيَاءَ لَا تُدْرَكُ مِنْ أَجْلِ تَقْرِيْبِ الْأُمُورِ لِلأَذْهَانِ فَقَطْ، وَحِينَئِذٍ تَبْقَى الْعِبَادَاتُ لَيْسَ مِنْهَا فَائِدَةٌ إِلَّا مِثْلُ مَا تَرَسَّمُ

للصبي رسماً، وتقول مثلاً: (هذه مثلاً سيارة)، وهي ليست (سيارة)، تقول: (هذا إنسان)، (وهو ليس بإنسان)، لكن طبعاً رسم الإنسان ليس بجائز إلا إذا كان على وجه لا تبقى معه الحياة.

١٨٥٦- هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَعَ نَفِيهِ لِحَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ فِي الْأَذْهَانِ

إذا كان قال هذا القول، ونفى أن يكون للألفاظ حقيقة يتصورها الذهن، فهذا في الواقع إبطال النصوص تماماً، فما دمت تقول: إنها حقيقة، ثم تقول: إن الأمر شيء وراء ذلك، إذن لا فائدة من النصوص، سواء قلنا: حقيقة أو إنها مؤولة ومجاز.

١٨٥٧- وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذِهِ الْحُلُجَانِ

١٨٥٨- وَكِلَاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ مُتَنَفِّ مَضْمُونُهَا بَيَانِ

طريقة التأويل السابق الذي سلكه المبتدعة، وسلكه الفلاسفة مأخوذة من كلام ابن سينا وأمثاله أن الألفاظ لا حقائق لها، وإنما هي مجازات عن أمور يرمز لها بها.

١٨٥٩- لَكِنَّ قَدْ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ مَا إِنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالتَّبْيَانِ

١٨٦٠- لَكِنَّ عِنْدَهُمْ أُرِيدَ ثُبُوتُهَا فِي الذَّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الْإِحْسَانِ

١٨٦١- إِذْ ذَاكَ مَصْلَحَةُ الْمُخَاطَبِ عِنْدَهُمْ وَطَرِيقَةُ الْبُرْهَانِ أَمْرٌ ثَانِي

قوله: «مَا إِنْ أُرِيدَتْ» «إِنْ» زائدة، يعني: ما أُريدت.

إذن الفرق بين طريقة ابن سينا وبين طريقة هؤلاء: أن هؤلاء يقولون: إنه لا يراد من النصوص حقيقتها، إنما المراد معنى آخر.

نضربُ لكم مثلاً بـ(اليد) يقولون: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ إِثْبَاتَ الْيَدِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْقُدْرَةَ وَالْقُوَّةَ، هَذَا التَّأْوِيلُ.

ابن سينا يقول: أراد حقيقة (اليد) لكن ليس له يدٌ إطلاقاً، ولا قدرة، لكنّه ذَكَرَ (اليدَ) من باب التقريب للأذهان أن الله - سبحانه وتعالى - له يدٌ، له سمعٌ، له بصرٌ، لكن ليس له شيءٌ من ذلك إطلاقاً، لكن ذكره من أجل التقريب.

١٨٦٢- فَكِلَاهُمَا ارْتَكَبَا أَشَدَّ جِنَايَةٍ جُنَيْتُ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

١٨٦٣- جَعَلُوا النُّصُوصَ لِأَجْلِهَا غَرَضًا لَهُمْ قَدْ خَرَّقُوهُ بِأَسْهُمِ الْهَدْيَانِ

هؤلاء جعلوا النصوصَ غرضاً لهم؛ كما يرمي الرّماة الغرضَ فيتخرقُ لأنهم لو أنكروا النصوصَ رأساً لأعلنوا كفرهم وقامت عليهم الأمة، لكنهم تحيلوا هذه الحيل بالتأويل سواء على طريقة ابن سينا، أو على طريقة الآخرين، لئلا ينفَرَ الناسُ منهم، ولا يخرجوهم من الإسلام.

١٨٦٤- وَتَسَلَّطَ الْأَوْغَادُ وَالْأَوْقَاحُ وَالْأَزْدَالُ بِالتَّحْرِيفِ وَالبُهْتَانِ

يعني: أن هؤلاء تسلطوا بالتحريف والبهتان من أجل القواعد التي أصّلوها، فابنُ سينا وأمثاله يُنكرون حقيقة الذات حقيقة الله عزَّ وجلَّ، ويقولون: إِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ كُلُّهَا مِنْ بَابِ التَّقْرِيبِ لِلْأَذْهَانِ، وَأَوْلَئِكَ لَا يُنْكَرُونَ وَجُودَ الْخَالِقِ، لَكِنْ يُنْكَرُونَ حَقَائِقَ صِفَاتِهِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا النَّصْرِ كَذَا وَكَذَا مِمَّا يَخَالِفُ الظَّاهِرَ.

١٨٦٥- كُلُّ إِذَا قَابَلْتَهُ بِالنَّصِّ قَا بَلَهُ بِتَأْوِيلٍ بِلَا بُرْهَانِ

ولو قابله بتأويلٍ على بُرْهَانٍ لَقُبِلَ مِنْهُ.

١٨٦٦- وَيَقُولُ: تَأْوِيلِي كَتَأْوِيلِ الذِّبِّ — نَ تَأَوَّلُوا فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ

الذين أنكروا العلوَّ أوَّلوا كُلَّ نَصِّ يَدُلُّ عَلَى الْعَلْوِّ، فقالوا في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] المرادُ فَوْقِيَّةُ النُّوعِ، كما تقول: مثلاً (الذهبُ فوق النُّحاس) أو (فوق الفضة) فهي فَوْقِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وليست فَوْقِيَّةً حَسِّيَّةً، أمَّا الْعَلْوُ فيقولون: إنه علوُّ المعاني، وليس علوُّ الذات، فتأولوا.

فابنُ القَيِّمِ - رحمه الله - يقول:

١٨٦٧- بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُهَا فِي الْوَحْيِ بِالنَّبِيِّ نَصَّيْنِ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي التَّبْيَانِ

١٨٦٨- أَيْسُوغُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ لَكُمْ وَلَا تَتَأَوَّلُوا الْبَاقِي بِلَا فُرْقَانٍ!؟

١٨٦٩- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الصِّفَاتِ مَعَ امْتِنَانِ مِلْءِ الْحَدِيثِ وَمِلْءِ ذَا الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «ذَا» وفي بعض النسخ (ذي) وهذا لا يصح؛ لأنَّ «ذَا» هنا اسمُ إشارة.

يعني: يقول هؤلاء الملاحدة من ابن سينا وأمثاله: نحن أولنا، ولكننا أولنا نصوصاً ليست كالعلوِّ في كثرتها وتنوعها وظهورها، وأنتم تأولتم العلوَّ، فكيف تُنكرون علينا ولا تُنكرون على أنفسكم!؟

١٨٧٠- وَاللَّهُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

القائلُ هم الفلاسفة الذين يقولون: إنَّ القيامةَ لا حقيقة لها، وإنما هي تخيُّلٌ، فهم يقولون: تأويلُ العلوِّ أشدُّ من تأويلنا لقيامَةِ الأبدان.

١٨٧١- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحَيَاتِهِ وَلِعِلْمِهِ وَمَشِيئَةِ الْأَكْوَانِ

هذا يقوله الفلاسفة وغيرهم ممن يُنكرون حياة الله وعلمه.

١٨٧٢- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحُدُوثِ هَـذَا الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ بِالِإِمْكَانِ
وهم الفلاسفة الذين يقولون بِقَدَمِ الْعَالَمِ، وَأَنَّ الْعَالَمَ لَا أَوَّلَ لَهُ، فَهُوَ
أَزَلِّيٌّ أَبَدِيٌّ.

١٨٧٣- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضَ الشَّرَائِعِ نَحْنُ عِنْدَ ذِي الْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ
يُوجَدُ أَيْضًا مَنْ أَوَّلَ الشَّرَائِعِ، قَالُوا: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْحَجِّ زِيَارَةَ شَيْوَحِهِمْ وَالْمُرَادُ
بِالصَّوْمِ كِتْمَانَ أَسْرَارِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ مَعْرِفَةَ أَسْرَارِهِمْ، وَهَكَذَا.
هَمَّ يَجَادِلُونَ، وَيَقُولُونَ: تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضَ الشَّرَائِعِ عِنْدَ ذِي
الْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ.

١٨٧٤- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِكَلَامِهِ بِالْفَيْضِ مِنْ فَعَالِ ذِي الْأَكْوَانِ
هَذَا أَيْضًا قَوْلُ الْفَلَّاسِفَةِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْكَلَامَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، لَكِنَّهُ فَيْضٌ مِنْ
الْعَقْلِ الْفَعَّالِ، فَالْعَقْلُ الْفَعَّالُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، جَعَلَ الطَّبِيعَةَ تَتَحَرَّكُ
وَيَتَوَلَّدُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَيَكُونُ بَعْضُهَا سَبَبًا لِبَعْضٍ، وَهَكَذَا.

١٨٧٥- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الرَّفْضِ أَحَدِ بَارِ الْفَضَائِلِ حَازَهَا الشَّيْخَانَ
قَوْلُهُ: «الشَّيْخَانَ» يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرًا، فَلَهُمَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ
عَلَى الْفَضَائِلِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ، لَكِنَّ أَهْلَ الرَّفْضِ أَوَّلُوا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ وَحَرَّفُوهَا،
وَلَهُمْ فِيهَا تَحْرِيفَاتٌ غَرِيبَةٌ؛ لِهَذَا يَقُولُ: إِنَّ تَأْوِيلَ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الرَّفْضِ
أَخْبَارِ الْفَضَائِلِ حَازَهَا الشَّيْخَانَ.

١٨٧٦- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُؤَوَّلٍ نَصًّا أَبَانَ مُرَادَهُ الْوَحْيَانَ

١٨٧٧- إِذْ صَرَحَ الْوَحْيَانِ مَعَ كُتُبِ الْإِلَهِ جَمِيعَهَا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

إِذَنْ هُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ تَأْوِيلَ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلِنَنْظُرِ.

١٨٧٨- فَلَايِي شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ بِذَا التَّأْوِيلِ بَلْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِيمَانِ؟!

قَوْلُهُ: «بَلْ» هُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ، يَعْنِي: لِأَيِّ شَيْءٍ نَكُونُ نَحْنُ كُفَّارًا وَأَنْتُمْ

مُؤْمِنُونَ؟!

١٨٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا وَأَنْتُمْ قَدْ تَأَوَّلْتُمْ فَهَاتُوا وَاصِحَ الْفُرْقَانِ

يَعْنِي: أَنْتُمْ مُؤَوَّلُونَ وَنَحْنُ مُؤَوَّلُونَ، فَهَاتُوا وَاصِحَ الْفُرْقَانِ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُكُمْ جَائِزًا، وَتَأْوِيلُنَا غَيْرَ جَائِزٍ.

١٨٨٠- أَلَكُمُ عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَيْثُ لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وَزُرَانِ؟!

الْجَوَابُ: لَا؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤَوَّلَةَ يَقُولُونَ: نَحْنُ اجْتَهَدْنَا فَأَصَبْنَا الْحَقَّ، وَأَنْتُمْ

أَخْطَأْتُمْ، فَلَنَا أَجْرَانِ؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَنَا وَأَصَبْنَا الْحَقَّ، وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَزُرَانِ؛ لِأَنَّهُ عَرِضٌ عَلَيْكُمْ الْحَقُّ وَلَكِنْ أَنْكَرْتُمُوهُ.

١٨٨١- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتُبِهِمْ مِنْهَا نَقَلْنَا هَا بِإِلَاءِ عُدْوَانِ

ابْنِ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُحِيلُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَلَى كِتَابِ الْفَلَّاسِفَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا

عَلَى الْمَعْطَلَةِ وَخُصُوصًا مَنْ أَنْكَرُوا عَلُوَّ اللَّهِ، يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَجْمُوكُمْ بِلِجَامِ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَعَهُ فَكَّ الْحَنْكِ.

١٨٨٢- رُدُّوْا عَلَيْهِمْ إِنْ قَدَرْتُمْ أَوْ فَتَنَحْ حُوا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الْإِيمَانِ

وَهَذَا تَحَدُّ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: رُدُّوْا عَلَيْهِمْ، وَيَخَاطِبُ الَّذِينَ أَوَّلُوا الْعُلُوَّ،

يقول: رُدُّوا عليهم ما قالوا لكم «أو فَنَحُوا عن طريق عساكر الإيمان» إذا نَحِينَا عن طريق عساكر الإيمان ماذا يقولون؟ يقولون: نحن لا نُوَوِّلُ لا في هَذَا ولا في هَذَا ونقول: الكُلُّ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، فعلوُ اللهُ ثابتٌ، وأمرُ المعاد ثابتٌ، وما جاءت به النصوصُ من كُلِّ خبر فهو ثابتٌ.

١٨٨٣- لَا تَحْطَمَنَّكُمْ جُنُودُهُمْ كَحَطِّ السَّيْلِ مَا لَأَقَى مِنَ الدَّيْدَانِ

وهذا تشبيهٌ في غاية ما يكونُ من الدقة، عساكرُ الإيمانِ فيهم الحَيَاةُ، والسَّيْلُ فيه الحَيَاةُ، والديدانُ فيها الضعفُ والعفونةُ والفسادُ، فكأنه بهذا شَبَّهَ عساكرَ الإيمانِ بالسَّيْلِ، وهؤلاء بالديدانِ، ومعروفٌ أنَّ السَّيْلَ إذا مرَّ بالديدانِ حَطَّمَهَا.

١٨٨٤- وَكَذَا نُطَالِبُكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ

١٨٨٥- وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمَعَارِضِ إِذْ بِهِ الذِّعْوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ

١٨٨٦- لَكِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ وَلَوْ يَسَا عِدُّكُمْ عَلَيْهِ رَبُّ كُلِّ لِسَانٍ

١٨٨٧- فَأَدِلَّةُ الْإِنْبَاتِ حَقًّا لَا يَقْوَمُ لَهَا الْجِبَالُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ

١٨٨٨- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

١٨٨٩- أَنَّى يُعَارِضُهَا كُنَاسَةٌ هَذِهِ أَلْأَذْهَانِ بِالشُّبُهَاتِ وَالْمَهْدِيَانِ؟

١٨٩٠- وَجَعَّاجٍ وَفَرَّاقِعٍ مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدِ ظَمْآنِ

١٨٩١- فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي الْعُلُومُ اللَّاءِ قَدْ دُخِرَتْ لَكُمْ عَنْ تَابِعِي الْإِحْسَانِ

١٨٩٢- بَلْ عَنْ مَشَائِجِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ وَفَّقْتُمْ لَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانِ

- ١٨٩٣- وَاللَّهِ مَا ذَخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ
 ١٨٩٤- لَكِنْ عَقُولُ الْقَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا
 ١٨٩٥- وَهُمْ أَجَلٌ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وَأَشْ
 ١٨٩٦- فَلِذَاكَ صَانَهُمُ الْإِلَٰهَ عَنِ الَّذِي
 ١٨٩٧- سَمَّيْتُمْ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التَّ
 ١٨٩٨- وَأَضَفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا
 ١٨٩٩- فَجَعَلْتُمْ الْإِبْطَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشْ
 ١٩٠٠- فَقَلَبْتُمْ تِلْكَ الْحَقَائِقَ مِثْلًا
 ١٩٠١- وَجَعَلْتُمْ الْمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَذَا
 ١٩٠٢- وَأَرَدْتُمْ أَنْ تُحَمَّدُوا بِالْإِتْبَا
 ١٩٠٣- وَبَعَيْتُمْ أَنْ تَنْسَبُوا لِلْإِتْبَادَا
 ١٩٠٤- وَجَعَلْتُمْ الْوَحْيَيْنِ غَيْرَ مُفِيدَةٍ
 ١٩٠٥- لَكِنْ عَقُولُ النَّاكِبِينَ عَنِ الْهُدَى
 ١٩٠٦- وَجَعَلْتُمْ الْإِيمَانَ كُفْرًا وَالْهُدَى
 ١٩٠٧- ثُمَّ اسْتَحَفَّيْتُمْ عُقُولًا مَا أَرَا
 ١٩٠٨- حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ التَّ
- لَكُمْ عَلَيْهِمْ يَا أُولِي النُّقْصَانِ
 قَدْرًا وَشَأْنُهُمْ فَأَعْظَمُ شَأْنِ
 رَفُّ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرَفِ الْهَدْيَانِ
 فِيهِ وَقَعْتُمْ صَوْنَ ذِي إِحْسَانِ
 تَعْطِيلَ تَنْزِيهَا هُمَا لِقَبَانِ
 شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا مُهْتَانِ
 سِبِيهَا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْعُدْوَانِ
 قَلِبْتَ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ
 بِالْعَكْسِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ اللَّبْسَانِ
 عِ نَعَمٍ لِمَنْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ؟
 عِ عَسَاكِرِ الْأَنْارِ وَالْقُرْآنِ
 لِلْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْبُرْهَانِ
 لَهَا تَفِيدُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
 عَيْنَ الضَّلَالِ وَذَا مِنْ الطُّغْيَانِ
 دَالِهُ أَنْ تَرْكُوعًا عَلَى الْقُرْآنِ
 تَعْطِيلَ قَدْ هَرَبُوا مِنْ الْإِيمَانِ

١٩٠٩- يَا وَيْجُهُمْ لَوْ شِعُرُونَ بِمَنْ دَعَا وَلِمَا دَعَا قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانَ

الشرح

في هذه الأبيات ذكر المؤلف - رحمه الله - أنه يلزم المتأولين أمرٌ رابع، وهو الجواب عن المعارض؛ لأن الدعوى لا تتم إلا بأمرين: إثبات الحجّة، والجواب عن حجة المعارض، فلا يكفي إذا أردت أن ترجح قولاً على قولٍ أن تذكر حجة قولك، بل لا بدّ من أن تذكر حجة قولك، والجواب عن حجة المعارض وإلا بقيت حجة المعارض قائمةً.

فمثلاً: إذا قالوا المراد ب(اليد): (القوة) نقول: لزم عليكم أمورٌ خمسة:

الأول: وجود الصارف عن المعنى الحقيقي.

الثاني: احتمال اللفظ لمعنى القوة.

الثالث: تعيين المعنى الذي ذكرتموه، إذ يحتمل ألا يكون به لا (اليد) الحقيقية ولا القوة، فيكون هناك معنى آخر غير الذي عيّنتم.

الرابع: احتمال اللفظ للمعنى في هذا السياق المعين، وهذا لم يذكره المؤلف هنا، لكن ذكره في (مختصر الصواعق).

الخامس: الجواب عن المعارض.

المعارض يقول: المراد (اليد) الحقيقية، هم يقولون: المراد ب(اليد) القوة، لكن ما جوابكم عن دليل المعارض؟ قالوا: لأنّ دليل المعارض لو أخذنا به للزم من ذلك التجسيم أي: أن يكون الله جسماً، أو التبعض أي: أن يكون الله له بعض وأعضاء.

نقول لهم: مَنْ قال: إِنَّ هَذَا لازِمٌ؟ إن كان لازماً فهو حقٌّ، وإن لم يكن لازماً فهو باطلٌ، ولا يلزمنا أن نلتزم به، ونقول لهم: إِنَّ البعضَ والجزءَ إنما يكون هَذَا بالنسبة للمخلوق، أمّا الخالق فلا نقول هَكَذَا؛ لأنَّ المعروفَ أَنَّ البعضَ أو الجزءَ هُوَ ما يبقى الكُلُّ بعد فقده، وأمّا الخالقُ فكلُّ صفاته الذاتية لا يمكنُ أن تنفكَ عنه؛ لأنَّ الصِّفَاتِ الذاتيةَ لازمةٌ لا ينفكُ عنها، لا أزلاً ولا أبداً، فأين اللازمُ الباطلُ الَّذي ذكرتم أنه يلزمُ لو أثبتنا النصوصَ على حقيقتها؟! كلُّ هَذِهِ الأمورِ الخمسةِ -والحمد لله- مُتَّفِيةٌ فيما ادَّعوه من التأويل الَّذي خالفوا به طريقَ السلف.

١٨٨٤- وَكَذَا نُطَالِبُكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا نُطَالِبُكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ» أي: نطالبُ أهلَ التأويلِ بأمرٍ رابعٍ، وذكرنا في الشرح أنه يمكنُ أن نجعله أمراً خامساً؛ لأنَّ الأمورَ السابقةَ أربعةٌ: الدَّلِيلُ الصَّارِفُ، احتمالُ اللفظِ للمعنى الَّذي ذكرناه، احتمالُه في هَذَا السِّياقِ المعينِ، تعيُّنُ أن يكونَ هُوَ المرادُ لاحتمالِ أن يكونَ المرادُ غيرَه، والخامسُ هُوَ هذا.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ» كانَ المفروضُ أن يُقالَ: (إمكانُ) يعني: ليسَ لكم بهذا (إمكانُ) بالرفعِ، لكنَّه جعلها بالكسرِ لضرورةِ الشعرِ، أمّا إذا قلنا: (بذي إمكانِ)، فالأمرُ واضح.

ذكر هَذَا الأمرَ الرابعَ فقال:

١٨٨٥- وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمُعَارِضِ إِذْ بِهِ الدُّ دَعَوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «الْجَوَابُ عَنِ الْمُعَارِضِ» مَنْ الْمُعَارِضُ للتأويلِ؟ الجواب: هم أهلُ السُّنَّةِ الَّذين جعلوا النصوصَ على ظاهرها، ولم يؤوِّلوا.

فمثلاً إذا قالوا: المراد بـ«اليد» حقيقة اليد، نقول لهم: أجبوا هؤلاء الذين عارضوكم بالتأويل حيث قُلْتُمْ أنتم: إِنَّ المراد بـ(اليد) القوة، نقول: أجبوا عن معارضتهم إياكم وقولهم: إِنَّ المراد بها حقيقة اليد؛ لأننا نقول: ما المانع من أن يُرادَ بذلك حقيقة اليد؟ فإن أتوا بمانع فحينئذ يُقْبَلُ منهم، ولكنهم لا يمكن أن يأتوا بمانع يمنع من إرادة الحقيقة؛ ولهذا قال:

١٨٨٦- لَكِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ وَلَوْ يُسَا عِدُّكُمْ عَلَيْهِ رَبُّ كُلِّ لِسَانٍ

قوله: «لَكِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ» ما هو المحال؟ الجواب: أن يجيبوا عن دليل المعارض.

١٨٨٧- فَأَدِلَّةُ الْإِبْتَاتِ حَقًّا لَا يَقُو مُ لَهَا الْجِبَالُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ

لأنها أدلة من كتاب الله، وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، ومن العقل، والفطرة، وإجماع السلف، خمسة أنواع من الأدلة لا يمكن أن تقوم لها الجبال الراسيات.

١٨٨٨- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

قوله: «تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي: القرآن.

قوله: «وَوَحْيُهُ» أي: السنة، وهذا مبني على أن السنة وحي.

وقد تأملت السنة، ووجدت أن منها ما هو وحي، ومنها ما هو إقرار من الله لاجتهاد النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قوله: «مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ» أي: الفطرة.

قَوْلُهُ: «وَالْبُرْهَانُ» يحتمل أن يُراد به دليل العقل، فيكون ابن القيم - رحمه الله - ذكر هنا أربعة أنواع من الأدلة: القرآن، والسُّنَّة، والفطرة، والعقل، وبقي أمرٌ خامسٌ، وهو إجماع السلف على هذا.

١٨٨٩- أَنَّى يُعَارِضُهَا كُنَاسَةٌ هَذِهِ أَلْ - أَذْهَانٍ بِالشُّبُهَاتِ وَالْهَدْيَانِ؟
هذا الاستفهام للنفي، يعني: لا يمكن أن يُعارضَ هذه الأدلة كُنَاسَةٌ الأذهان بالشُّبُهَاتِ.

١٨٩٠- وَجَعَّاجٍ وَفَرَّاقٍ مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدِ ظَمَانٍ
الجعجعة والفرقة عبارة عن أصوات لا معنى لها، أي: كلام هذيان ليس فيه فائدة؛ ولهذا قال: «مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدِ ظَمَانٍ» والسَّرَابُ للوارد الظمآن لا يزيده إِلَّا عطشًا وهلاكًا؛ لأنه إذا رأى السَّرَابَ وكأنَّه الماء أقبل إليه مسرعًا، فإذا رآه السَّرَابُ صار ذلك أشدَّ وقعًا عليه ممَّا لو لم يفرح ويؤمِّل النجاة من العطش.

١٨٩١- فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي الْعُلُومُ اللَّاءِ قَدْ دُخِرَتْ لَكُمْ عَنْ تَابِعِي الْإِحْسَانِ
هذا من باب التَّهْكُمِ، واللام في قوله: (فلتهنكم) للدعاء، لكنَّه دعاء تهكُّمٍ، يعني: هنيئًا لكم هَذِهِ الْعُلُومُ التي دُخِرَتْ لَكُمْ عن تابعي الإحسان، يعني: عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، كَيْفَ دُخِرَتْ لَكُمْ هَذِهِ الْعُلُومُ وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوهَا؟!!

١٨٩٢- بَلْ عَنْ مَشَائِخِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ وَفَ - فَتَقْتُمْ لَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانٍ
لأنَّ هَذِهِ الْبِدْعَ لم تنتشر إِلَّا بعد مُضِيِّ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمَفْضَلَةِ.

١٨٩٣- وَاللَّهِ مَا ذُخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ لَكُمْ عَلَيْهِمْ يَا أُولِي النُّقْصَانِ
فأنتم أصحاب النقص، ولا يمكن أن تُدخَرَ لكم الفضيلة وتُحجَبَ عن
الصحابة والتابعين.

١٨٩٤- لَكِنَّ عُقُولَ الْقَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا قَدْرًا وَشَأْنُهُمْ فَأَعْظَمُ شَأْنِ
قَوْلُهُ: «عُقُولَ الْقَوْمِ» يُشِيرُ إِلَى عُقُولِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.
قَوْلُهُ: «كَانَتْ فَوْقَ ذَا قَدْرًا» أَي: فَوْقَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُقُولِ الَّتِي هِيَ فِي
الْحَقِيقَةِ سَفَاهَاتٌ.

قَوْلُهُ: «وَشَأْنُهُمْ» أَي: قَدْرُهُمْ وَفَضْلُهُمْ وَمَرْتَبَتُهُمْ فَأَعْظَمُ شَأْنِ.
١٨٩٥- وَهُمْ أَجَلٌ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وَأَشْرَفُ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرَفِ الْهَدْيَانِ
وصدق - رحمه الله -، فعِلْمُ الْأَوَّلِينَ أَعْمَقُ، وَكَلَامُهُمْ أَقْلٌ، لَيْسَ فِيهِ تَعْقِيدٌ
وَلَا هَدْيَانٌ وَلَا اِحْتِمَالَاتٌ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السَّلْبِقَةِ وَالطَّبِيعَةِ، تَجِدُهُ سَهْلًا
يَخْرُجُ بَدُونَ تَكْلُفٍ، وَيُفْهَمُ بَدُونَ تَكْلُفٍ مَعَ الْعَمَقِ.

١٨٩٦- فَلِذَلِكَ صَانَهُمُ الْإِلَهِ عَنِ الَّذِي فِيهِ وَقَعْتُمْ صَوْنَ ذِي إِحْسَانِ
الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي يَدْعُونَهَا مَعْقُولَاتٍ.

١٨٩٧- سَمَّيْتُمْ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التَّعْطِيلَ تَنْزِيهًا هُمَا لِقَبَانِ
التأويل بالنسبة للنصوص، والتعطيل بالنسبة لصفات الله المتَّصِف بها،
فمثلًا يقولون: المراد بـ(الاستواء) الاستيلاء، فهذا تحريف، وهم يسمونه تأويلًا،
ويقولون: إنَّ اللهَ لَمْ يَسْتَوِ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً، يُنَزَّهُ أَنْ يَكُونَ مَسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ
حَقِيقَةً، فَعَطَّلُوا الصِّفَةَ وَهِيَ صِفَةُ الْإِسْتِوَاءِ، وَسَمَّوْهَا تَنْزِيهًا.

١٨٩٨- وَأَضَفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا بُهْتَانٍ

إِذْنٌ عِنْدَنَا جُنَايَتُهُمْ عَلَى النُّصُوصِ، وَعَلَى الْبَارِئِ -جَلَّ وَعَلَا-، أَمَّا عَلَى النُّصُوصِ فَحَرَّفُوهَا، وَأَمَّا عَلَى اللَّهِ فَعَطَّلُوهُ مِنْ صِفَاتِهِ.

وهناك أمرٌ ثالثٌ جنوه؛ ولذا قال:

١٨٩٩- فَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْعُدْوَانِ

قالوا: إِنَّ الَّذِي يُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ يَكُونُ مُجَسِّمًا مُشَبِّهًا، اللَّهُ بِالْحَلْقِ، فَاعْتَدُوا عُدْوَانًا ثَالِثًا عَلَى مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ، وَسَمَّوْهُ مُجَسِّمًا وَمُشَبِّهًا.

فهذه ثلاثٌ جنایاتٍ: عَلَى النُّصُوصِ وَهِيَ الْخَبْرُ، وَعَلَى الْمُخْبِرِ عَنْهُ وَهُوَ اللَّهُ، وَعَلَى قَابِلِ الْخَبْرِ وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذُوا بِالنُّصُوصِ عَلَى ظَاهِرِهَا، الْأَوَّلُ: بِالْتَّحْرِيفِ، وَالثَّانِي: بِالْتَّعْطِيلِ، وَالثَّلَاثُ: بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ، اعْتَدُوا عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَنْتُمْ مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ.

١٩٠٠- فَكَلَبْتُمْ تِلْكَ الْحَقَائِقَ مِثْلًا قَلَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ

نعوذ بالله، يعني: قلبتم الحقيقة فسميتم التعطيل تنزيهاً وهو تعطيل، والتحريف تأويلاً وهو تحريف، وإثبات الصفات تجسيمياً وهو إثبات للحقيقة، لكنكم قلبتم الحقائق مثلما قلبت قلوبكم عن الإيمان.

قَوْلُهُ: «مِثْلًا قَلَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ» الْقُلُوبُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- تُقَلَّبُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَقَلْبُ أَفْسَدْتَهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرْتَهُمْ فِي طَعْفَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

١٩٠١- وَجَعَلْتُمْ الْمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَذًا بِالْعَكْسِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ اللَّبَّاسُ

المدوح جعلوه مذمومًا، ما هو المدوح في هذا الباب؟ الجواب: هو إثبات الصفات والأخذ بظاهر النصوص، فهذا جعلوه مذمومًا، وجعلوا المذموم وهو التحريف جعلوه ممدوحًا.

١٩٠٢- وَأَرَدْتُمْ أَنْ تُحْمَدُوا بِالِإِتِّبَا عِ نَعَمٍ لِمَنْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ؟

أردتم أن يحمدكم الناس بالاتباع، نعم تحمدون لكن لمن؟ الجواب: للشياطين، فأنتم تتبعون الشيطان وخطوات الشيطان.

قوله: «لِمَنْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ؟» وجواب (لمن)؟ للشيطان، يعني: أردتم من الناس أن يحمدوكم على أنكم المتبعون، ولكن للشيطان.

١٩٠٣- وَبَغَيْتُمْ أَنْ تَنْسِبُوا لِلِإِبْتِدَا عِ عَسَاكِرِ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

وهذا لا شك أنه قلب للحقائق، قالوا لعساكر الآثار والقرآن قالوا: هؤلاء مبتدعة، والحقيقة أن الابتداع فيهم، وليس في هؤلاء.

١٩٠٤- وَجَعَلْتُمْ الْوَحْيَيْنِ غَيْرَ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالبُرْهَانِ

قوله: «وَجَعَلْتُمْ الْوَحْيَيْنِ» يعني: الكتاب والسنة.

قوله: «غَيْرَ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالبُرْهَانِ»؟ يقولون: إِنَّ السُّنَّةَ لَا تُفِيدُ

العلم؛ لأنها خبر آحاد، والقرآن لا يفيد العلم لا من حيث ثبوته، لكن من حيث دلالة، وجعلوا للألفاظ معاني متعددة، وقالوا: هذا اللفظ يحتمل كذا، ويحتمل كذا، ويحتمل كذا، إذن فدلالته غير قطعية، ولا تفيد العلم.

١٩٠٥- لَكِنْ عُقُولُ النَّاكِبِينَ عَنِ الْهُدَى لَهَا تُفِيدُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
قَوْلُهُ: «لَهَا» يعني: للعلم والتَّحْقِيقِ.
قَوْلُهُ: «وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ» أي: هُوَ الَّذِي يَفِيدُ.

يقول: عقول هؤلاء الناكبين ومنطق اليونان هما اللذان يفيدان العلم
والتَّحْقِيقَ.

١٩٠٦- وَجَعَلْتُمُ الْإِيمَانَ كُفْرًا وَالْهُدَى عَيْنَ الضَّلَالِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ
الإيمان جعلوه كفراً، يعني: قالوا: المثبت كافر؛ لأنه مجسّم جعل الله جسماً،
فيكون إيمانه هَذَا كُفْرًا.

قَوْلُهُ: «وَالْهُدَى عَيْنَ الضَّلَالِ» يعني: أن العلم جعلوه هُوَ الضلال والجهل،
«وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ» ولا شك.

١٩٠٧- ثُمَّ اسْتَخَفَّيْتُمْ عُقُولًا مَا أَرَا دَاللهُ أَنْ تَزْكُو عَلَى الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «اسْتَخَفَّيْتُمْ عُقُولًا» يعني: أنكم تهكّمتم بها واستخفّتموها فهي
كقوله تعالى عن فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤].

قَوْلُهُ: «مَا أَرَادَ اللهُ أَنْ تَزْكُو عَلَى الْقُرْآنِ»؛ لأنَّ الله لو أراد أن تزكو هذه
العقول عَلَى الْقُرْآنِ ما أجابتكم ولا أطاعتكم، ولكن قال:

١٩٠٨- حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ التَّعْطِيلِ قَدْ هَرَبُوا مِنَ الْإِيمَانِ
أي: مسرعين لدعوة التعطيل، وهذا واضح أن المراد استخفاف عقول الناس،
وما أكثر الذين أتبعوا أهل التحريف! وقالوا: إنَّ قولهم هُوَ الْحَقُّ وَهُوَ التَّنْزِيهِ.

١٩٠٩- يَا وَيْحَهُمْ لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا وَلِمَا دَعَا قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانَ

قَوْلُهُ: «يَا وَيْحَهُمْ» يعني: يا ويح هؤلاء الذين استخفوا وتابعوا.

قَوْلُهُ: «لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا» أي: بهؤلاء الذين دَعَوْهُمْ وَأَتَّهَمُ مُحَرَّفَةٌ ومضلَّةٌ.

قَوْلُهُ: «وَلِمَا دَعَا» لأيِّ شيءٍ دعا هؤلاء؟ الجواب: لتحريف النصوص

وتعطيل الله - سبحانه وتعالى - عن صفاته التي أثبتتها لنفسه، لو شعروا بهذا يقول: (قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانَ)، وأظنكم تعلمون أن (قعود الجبان) لا قيام بعده؛ لأنَّ الجبان لا تُقَلُّه رجلاه، فإذا قعد لا يقوم.

فهؤلاء لو شعروا بما يدعوا هؤلاء إليه، وشعروا بحالهم ما أجابوهم،

ولا تبعوهم مُهْطِعِينَ، بل قعدوا قعودَ جبان، وتبرؤوا منهم.

فصل

فِي شِبْهِ الْمُحَرِّفِينَ لِلنُّصُوصِ بِالْيَهُودِ، وَإِرْثِهِمُ التَّحْرِيفَ مِنْهُمْ،
وَبِرَاءَةِ أَهْلِ الْإِنْبَاتِ مِمَّا رَمَوْهُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الشُّبْهِ

- ١٩١٠ - هَذَا وَتَمَّ بَلِيَّةٌ مَسْتُورَةٌ فِيهِمْ سَأْبُدِيهَا لَكُمْ بِيَّانٍ
- ١٩١١ - وَرِثَ الْمُحَرِّفُ مِنْ يَهُودٍ وَهُمْ أُولُو التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالكِثْمَانِ
- ١٩١٢ - فَأَرَادَ مِيرَاثَ الثَّلَاثَةِ مِنْهُمْ فَعَصَتْ عَلَيْهِ غَايَةُ الْعِضْيَانِ
- ١٩١٣ - إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مُحْفُوظًا فَمَا التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ فِي الْإِمْكَانِ؟
- ١٩١٤ - فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعْنَى إِذْ هِيَ الِمْقَصُودُ مِنْ تَعْبِيرِ كُلِّ لِسَانٍ
- ١٩١٥ - فَأَتَى إِلَيْهَا وَهِيَ بَارِزَةٌ مِنْ الِمْقَاطِ ظَاهِرَةٌ بِلَا كِثْمَانِ
- ١٩١٦ - فَنَفَى حَقَائِقَهَا وَأَعْطَى لَفْظَهَا مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِي
- ١٩١٧ - فَجَنَى عَلَى الْمَعْنَى جِنَايَةً جَاحِدٍ وَجَنَى عَلَى الِمْقَاطِ بِالْعُدْوَانِ
- ١٩١٨ - وَآتَى إِلَى حِزْبِ الْهُدَى أَعْطَاهُمْ شِبْهَ الْيَهُودِ وَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ
- ١٩١٩ - إِذْ قَالَ: إِيْتَهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَأَنْتُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي
- ١٩٢٠ - فِي هُنَاكَ أَسْتَارِ الْيَهُودِ وَشِبْهِهِمْ مِنْ فِرْقَةِ التَّحْرِيفِ لِلْقُرْآنِ؟
- ١٩٢١ - يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُمْ اسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوهُ وَعِي ذِي عِرْفَانِ

- ١٩٢٢- ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدِ مَنْ هَذَا الَّذِي
أُولَى بِهَذَا الشُّبُهَةِ بِالْبُرْهَانِ؟
- ١٩٢٣- أَمَرَ الْيَهُودَ بِأَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ
فَأَبَوْا وَقَالُوا: حِنْطَةٌ لِهَوَانِ
- ١٩٢٤- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ: اسْتَوَى
فَأَبَى وَزَادَ الْحَرْفَ لِلنَّقْصَانِ
- ١٩٢٥- قَالَ: اسْتَوَى اسْتَوَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ
لُغَةً وَعَقْلًا مَا هُمَا سَيَّانِ
- ١٩٢٦- عِشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِاسْمِ
سَوَى فَلَا تَخْرُجُ عَنِ الْقُرْآنِ
- ١٩٢٧- قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا
تَصْنِيفُ حَبْرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي
- ١٩٢٨- وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً
قَدْ أَبْطَلَتْ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانِ
- ١٩٢٩- هِيَ فِي «الصَّوَاعِقِ» إِنْ تُرِدُ تَحْقِيقَهَا
لَا تَحْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ
- ١٩٣٠- نُونُ الْيَهُودِ وَلَا مُمْجِيٌّ هُمَا
فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ
- ١٩٣١- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصَفَهُ
وَيَهُودٌ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنَّقْصَانِ
- ١٩٣٢- فَهَمَّا إِذْنٌ فِي نَفْسِهِمْ لِصِفَاتِهِ الْـ
عُلْيَا كَمَا بَيَّنَّتْهُ أَحْوَانِ

الشرح

هذا الفصل بين المؤلف - رحمه الله - أن المحرفين يُشابهون اليهود والنصارى ويرثونهم التحريف، وأن أهل الإثبات بريئون مما وصمهم به هؤلاء المحرفون؛ لأن هؤلاء المحرفين قالوا: إن أهل الإثبات هم الذين يُشبهون اليهود؛ لأن اليهود مُشبهَةٌ، وأهل الإثبات - على زعمهم - مُشبهَةٌ.

قال المؤلف - رحمه الله -:

١٩١٠- هَذَا وَثَمَّ بَلِيَّةٌ مَسْتُورَةٌ فِيهِمْ سَأْبُدِيهَا لَكُمْ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «هذا» يعني: هَذَا الْمَذْكُورُ السَّابِقُ.

قَوْلُهُ: «وَتَمَّ» أي: هناك.

قَوْلُهُ: «فِيهِمْ» الضميرُ يعودُ عَلَى أَهْلِ التَّأْوِيلِ الْمُحَرِّفَةِ.

١٩١١- وَرِثَ الْمُحَرِّفُ مِنْ يَهُودٍ وَهُمْ أَوْلُو التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالكِتْمَانِ

يعني: أَنَّ الْمُحَرِّفَ وَرِثَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالْيَهُودُ هُمْ أَوْلُو التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالكِتْمَانِ، لَا شَكَّ أَنَّ الْيَهُودَ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمَمِ تَحْرِيفًا لِنُصُوصِ الْكِتَابِ، حَرَّفُوا التَّوْرَةَ، وَخَرَّقُوهَا، وَمَزَّقُوا الْعَمَلَ بِهَا، وَكَفَرُوا بِهَا، فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُحَرِّفًا فَقَدْ وَرِثَهُمْ.

١٩١٢- فَأَرَادَ مِيرَاثَ الثَّلَاثَةِ مِنْهُمْ فَعَصَتْ عَلَيْهِ غَايَةَ الْعِصْيَانِ

١٩١٣- إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مُحْفُوظًا فَمَا التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ فِي الْإِنْكَارِ؟

١٩١٤- فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعَانِي إِذْ هِيَ الْمَقْصُودُ مِنْ تَعْبِيرِ كُلِّ لِسَانٍ

عندنا تحريفٌ وتبديلٌ وكتمانٌ، أراد أهل التأويل أن يرثوا الثلاثة وهي التحريفُ، والتبديلُ، والكتمانُ.

أَمَّا الْكِتْمَانُ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مُحْفُوظٌ.

وَأَمَّا التَّبْدِيلُ فَكَذَلِكَ لَا يُمْكِنُهُمْ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُحْفُوظًا، وَلَوْ بَدَّلُوا كَلِمَةً مِنْهُ لَثَارَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمَّةُ، فَلَوْ أَنَّهُمْ قَرَأُوا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]،

وبدّلوا بـ (استوى) (استولى) لثارت عليهم الأمة، ولو أنّهم كتموا ومحوّوا من المصحف ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] وجميع آيات الاستواء ما أمكنهم ذلك أيضًا، إذن عمدوا إلى تحريف المعنى؛ لأنه يمكن أن يُلبّسوا على الناس، ويقولوا: (استوى) بمعنى (استولى).

قوله: «فَمَا التَّبْدِيلُ وَالكِتْمَانُ فِي الإِمْكَانِ؟» إذن بقي التحريف؛ ولذا قال: «فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعَانِي» وهي التحريف.

إذن بقي التحريف وهو: إبقاء اللفظ وتحريف المعنى؛ لأنهم لا يستطيعون كتْمَانِ اللفظ ولا تبديله، فسلكوا الطريق الثالث وهو التحريف، فأتوا إلى الألفاظ، وقالوا: تبقى الألفاظ لكن ليس معناها ما دلّت عليه، بل معناها شيء آخر، ومشوا على هذا.

فيقول مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] يقول: (وجاء أمر ربك)، فكأنه محى قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ وأبدله (وجاء أمر ربك)، لكن لفظاً لا يستطيع، فعمد إلى المعنى، وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاء أمر ربك؛ ولذلك يقول:

١٩١٥ - فَأَتَى إِلَيْهَا وَهِيَ بَارِزَةٌ مِنْ أَلْفَافِ ظَاهِرَةٍ بِلا كِتْمَانٍ
قوله: «فَأَتَى إِلَيْهَا» أي: إلى المعاني.

يعني: أتى إليها وهي واضحة بيّنة يدلُّ عليها اللفظ بلا كتْمَانِ.

١٩١٦ - فَتَنَى حَقَائِقَهَا وَأَعْطَى لَفْظَهَا مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِسِي

قوله: «فَتَنَى حَقَائِقَهَا» ففي المثال الأخير الذي ذكرناه، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال: ليس المرادُ جاء هو نفسه، بل المرادُ: جاء أمره.

إِذْنِ نَفِي الْحَقِيقَةِ، وَأَعْطَى لَفْظَهَا مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ، مَا مَوْضُوعٌ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾؟ أَنَّهُ جَاءَ هُوَ نَفْسُهُ حَقِيقَةً، هُوَ قَالَ: لَا، (جَاءَ أَمْرُهُ)، فَأَعْطَى الْحَقِيقَةَ مَعْنَى آخِرِ سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِي.

١٩١٧- فَجَنَى عَلَى الْمَعْنَى جِنَايَةَ جَاحِدٍ وَجَنَى عَلَى الْأَلْفَافِ بِالْعُدْوَانِ قَوْلُهُ: «جَنَى عَلَى الْمَعْنَى جِنَايَةَ جَاحِدٍ»؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ مَعْنَى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: «جَاءَ أَمْرُهُ»، فَقَدْ جَحَدَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ وَهُوَ جِيءَ اللهُ - سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - نَفْسَهُ.

قَوْلُهُ: «وَجَنَى عَلَى الْأَلْفَافِ بِالْعُدْوَانِ» حَيْثُ حَرَّفَهَا، وَقَالَ: إِنَّ مَعْنَاهَا كَذَا، فَهَذِهِ جِنَايَةٌ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ حَمَلَهَا مَعْنَى لَمْ تَحْتَمِلْهُ.

١٩١٨- وَآتَى إِلَى حِزْبِ الْهَدَى أَعْطَاهُمْ شَبَهَ الْيَهُودِ وَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ

١٩١٩- إِذْ قَالَ: إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَأَنْتُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي

١٩٢٠- فِي هُنَاكَ أَسْتَارِ الْيَهُودِ وَشَبَّهِهُمْ مِنْ فِرْقَةِ التَّحْرِيفِ لِلْقُرْآنِ؟

أَتَى إِلَى حِزْبِ الْهَدَى وَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ تُشَبِّهُونَ الْيَهُودَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ مُجَسَّمَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ بَخِيلٌ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ بَكِيٌّ وَحَزَنٌ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَعَبٌ، فَجَسَّمُوا، وَأَنْتُمْ كَذَلِكَ جَسَّمْتُمْ، فَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَشَبَّهْتُمْ الْيَهُودَ، انظُرْ كَيْفَ الطَّغْيَانَ وَالْعِيَاذَ بِاللَّهِ!؟

وَقَوْلُهُ: «إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ» إِنْهُمْ أَي: الْيَهُودَ.

وَقَوْلُهُ: «فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي» أَي: فَمَنْ يَلُومُنِي إِذَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ مُشَبَّهَةٌ

١٩٢١- يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُمْ اسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوهُ وَعَيِّي ذِي عِرْفَانَ

ابن القيم - رحمه الله - لما قال: (من الذي يلحاني في هتك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن؟) نادى المسلمين، فقال: (يا مسلمون)، فالنادي هو ابن القيم.

قوله: «اسمعوا قولي وعوه»؛ لأن السمع بدون وعي لا فائدة منه، لا بد أن يسمع الإنسان ويعي قول مخاطبه، فإن سمع بلا وعي فلا فائدة من سمعه، والسمع في الأذن، والوعي في القلب.

١٩٢٢- ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدُ مَنْ هَذَا الَّذِي أَوْلَى بِهَِذَا الشُّبْهِ بِالْبُرْهَانِ؟

ذكر المثال فقال:

١٩٢٣- أَمَرَ الْيَهُودَ بِأَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ فَأَبَوْا وَقَالُوا: حِطَّةٌ لِهَوَانَ

قوله: «أمر اليهود» وذلك حين قيل لهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤] وقولوا: «حطة» يعني: باب القرية التي أمروا بقتال أهلها، وقولوا: (حطة) ماذا فعلوا؟ «دخّلوا الباب يزحفون على أستاههم»، أي كل واحد يزحف على استيه، يعني: على دبره «فبدّلوا وقالوا حِطَّةٌ حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ»^(١) بدل حطة، يعني: نريد حِطَّةً، أمّا حِطَّةُ الذنوبِ فلا نريدُها، نريدُ حِطَّةً؛ لأنهم يريدون المال، وملاءة البطون، ولا يهمهم أن يحطّ الله ذنوبهم أو لا يحطّها، نسأل الله العافية.

قوله: «حطة» يعني: احطط عنا ذنوبنا، ولكنهم قالوا: (حِطَّة) يريدون الأكل.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨]، رقم (١٠٩٢٢).

فإن قال قائل: وهل اليهود يتكلمون باللغة العربية؟

الجواب: لا، وأما كيف يقولون: حنطة؟ فالجواب: لقد حكى الله عز وجل عن آدم إلى محمد أي: عن الأنبياء كلهم حكى بالعربية، وكُلُّ الأنبياء لغتهم غير عربية، فيحكي الله عنهم، يقول: «قال فرعون»، «قال موسى» باللغة العربية، فهو يحكى كلامهم بالمعنى، فهم قالوا معنى لفظ حنطة.

١٩٢٤- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ: اسْتَوَى فَأَبَى وَزَادَ الْحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ

الجهمي قيل له: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] قال: لا، بل معناه (استولى على العرش)، فزاد حرفاً كما زادت اليهود حرفاً، مَنْ المُشَابِه؟ الجواب: الجهميَّة، فهم المشابهون لليهود، فهؤلاء زادوا حرفاً وَهُوَ النون، وهؤلاء زادوا حرفاً وَهُوَ اللام.

وَقَوْلُهُ: «زَادَ الْحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ» أي: زاد حرفاً فنقص المعنى، فصار العرش وغيره سواء، فإذا كان ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بمعنى: (استولى عليه)، فهو أيضاً مُستولٍ عَلَى الأرض، وحينئذٍ لا فضل للعرش عَلَى الأرض، فزاد حرفاً ولكنه نقص في المعنى، فنقص قدر العرش.

١٩٢٥- قَالَ: اسْتَوَى اسْتَوَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ لُغَةً وَعَقْلًا مَا هُمَا سِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَذَا مِنْ جَهْلِهِ» صدق - رحمه الله - ففرق بين ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وبين (استولى على العرش).

١٩٢٦- عِشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِاسْمِ تَوَلَّى فَلَا تَخْرُجُ عَنِ الْقُرْآنِ

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا عدم الخروج عنه.

لو كان الله يريد (استولى) ما الَّذِي يمنعه أن يقول: (استولى)؟ لا أحد يمنعه أبداً، بل أراد (استَوَى) غير (استولى)؛ ولهذا قال: (لا تخرج عن القرآن).
يقول: (عِشْرُونَ وَجْهًا...).

١٩٢٧- قَدْ أَفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا تَصْنِيفُ حَبْرِ عَالِمِ رَبَّانِي
قَوْلُهُ: «تَصْنِيفُ حَبْرِ عَالِمِ رَبَّانِي» هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-
وَلَهُ كِتَابٌ أَبْطَلُ فِيهِ أَنَّ (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوْلَى) مِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا، فَرَحِمَهُ اللَّهُ
وَجَزَاهُ عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ خَيْرًا.

فَهُوَ عَالِمٌ حَبْرٌ، وَ(الْحَبْرُ) مُثَلَّثُ الْحَاءِ أَي: (حَبْرٌ، حَبْرٌ، حُبْرٌ) وَمَعْنَاهُ:
الْعَالِمُ الْوَاسِعُ الْعِلْمِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَحْرِ، لَكِنَّهُ اشْتِقَاقٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّ الْاِشْتِقَاقَ
الْأَصْغَرَ مَا تَسَاوَتْ فِيهِ الْحُرُوفُ، وَهَذَا مُخْتَلَفٌ.

١٩٢٨- وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً قَدْ أَبْطَلْتَ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانِ
١٩٢٩- هِيَ فِي «الصَّوَاعِقِ» إِنْ تُرِدُ تَحْقِيقَهَا لَا تَخْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيْمِ أَيْضًا أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً (الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ عَلَى عَزْوِ الْجَهْمِيَّةِ
وَالْمُعْطَلَةِ) فَهَذَا -مَا شَاءَ اللَّهُ- عِنَاوَانٌ قَوِيٌّ، فَإِذَا كَانَ صَوَاعِقُ مَرْسَلَةً مَا بَقِيَ لَهُمْ
أَثَرٌ، وَالْكِتَابُ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- الْآنَ مَطْبُوعٌ، وَكَانَ لَا يَوْجَدُ إِلَّا مُخْتَصِرُهُ، وَهُوَ كِتَابٌ
إِذَا قَرَأَهُ الْإِنْسَانُ اسْتَفَادَ مِنْهُ فَائِدَةٌ كَبِيرَةٌ.

١٩٣٠- نُونُ الْيَهُودِ وَلَا مَجْهَمِيٌّ هُمَا فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ
قَوْلُهُ: «نُونُ الْيَهُودِ» أَي: فِي حِنْطَةٍ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾
[البقرة: ٥٨] لَكِنَّهُمْ قَالُوا: (حِنْطَةٌ).

كذلك «لَا مُجْهَمِيٌّ» في (استوى)، الله عز وجل قال: ﴿أَسْتَوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٩] وَهُوَ قَالَ: (استولى)، فهما في وحي رب العرش زائدتان.
ثُمَّ ذَكَرَ شَبَهًا آخَرَ فَقَالَ:

١٩٣١- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصَفَهُ وَيَهُودٌ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنَّقْصَانِ
١٩٣٢- فَهُمَا إِذْنٌ فِي نَفْسِهِمْ لِصِفَاتِهِ الْـ عُلْيَا كَمَا بَيَّنَّتُهُ أَخَوَانِ

اليهود وصفوا الله بالنقصان، قالوا: يد الله مغلولة، وقالوا: إن الله فقير، وقالوا: إن الله تعب يوم السبت، فاستراح -نعوذ بالله- ووصفوا الله بكل عيب.

والجهمي سلب منه وصفه بالكمال، وإذا سلب وصفه بالكمال لزم أن يكون متصفاً بالنقص، ووجه التلازم: أنك إذا نفيت صفة الكمال عن الله لزم أن يكون متصفاً بالنقص؛ لأنه ما من موجود إلا وله صفة، فإذا انتفت عنه صفة الكمال لزم ثبوت صفة النقص، فاليهود وصفوه بالنقص، والجهمي وصفه بالنقص، فمن أحق أن يكون مشابهاً لليهود؟ الجواب: الجهمي المعطل، وليس المثبت.

فصل

فِي بَيَانِ بُهْتَانِهِمْ فِي تَشْبِيهِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ بِفِرْعَوْنَ، وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ مَقَالََةَ الْعُلُوِّعَنَّهُ
أَخَذَوْهَا، وَأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ بِفِرْعَوْنَ، وَهُمُ أَشْبَاهُهُ

- ١٩٣٣- وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ: فِرْعَوْنُ مَذُ
١٩٣٤- وَلِذَلِكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودُ إِلَيْهِ بِالصُّ
١٩٣٥- هَذَا رَأْيُنَا بِكُتُبِهِمْ وَمِنْ
١٩٣٦- فَاسْمَعِ إِذْنُ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَىٰ بِفِرْعَ
١٩٣٧- وَأَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ قَالَ: مُوسَىٰ كَاذِبٌ
١٩٣٨- فَمِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنَ بَيْنَكُمْ
١٩٣٩- وَيَقُولُ: ذَلِكَ مُبَدَّلٌ لِلدِّينِ سَا
١٩٤٠- إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَوْنُ حَي
١٩٤١- فَهُوَ الْإِمَامُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ وَمَت
١٩٤٢- هُوَ أَنْكَرُ الْوَصْفَيْنِ وَصَفَ الْفَوْقِ وَالْت
١٩٤٣- إِذْ قَصَدَهُ انْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ فَالْت
١٩٤٤- وَسِوَاهُ جَاءَ بِسُلْمٍ وَبِآلَةٍ
- هُبُّهُ الْعُلُوُّ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ
صَرَحَ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانَ
أَفْوَاحِهِمْ سَمِعًا إِلَى الْأَذَانِ
عَوْنَ الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ
حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ
أَضْحَى يُكْفِّرُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ
عِ بِالْفَسَادِ وَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ
نَ رَمَى بِهِ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ
بُوعٌ يَقُودُهُمْ إِلَى النَّيْرَانِ
تَكْلِيمِ انْكَارًا عَلَى الْبُهْتَانِ
تَعْطِيلُ مِرْقَاةٍ لِدَا النُّكْرَانِ
وَأَتَى بِقَانُونٍ عَلَى بُنْيَانِ

- ١٩٤٥- وَأَتَىٰ بِذَٰكَ مُفَكَّرًا وَمُقَدَّرًا وَرِثَ الْوَلِيدَ الْعَابِدَ الْأَوْثَانَ
- ١٩٤٦- وَأَتَىٰ إِلَى التَّعْطِيلِ مِنْ أَبْوَابِهِ لَا مِنْ ظُهُورِ الدَّارِ وَالْجُدْرَانِ
- ١٩٤٧- وَأَتَىٰ بِهِ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالتَّوَدُّدِ تَعْظِيمِ تَلْبِيسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ
- ١٩٤٨- وَأَتَىٰ إِلَى وَصْفِ الْعُلُوِّ فَقَالَ: ذَا التَّوَدُّدِ تَجَسُّمِ لَيْسَ يَلِيقُ بِالرَّحْمَنِ
- ١٩٤٩- فَالْلَفْظُ قَدْ أَنْشَأَهُ مِنْ تِلْقَائِهِ وَكَسَاهُ وَصَفَ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
- ١٩٥٠- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ صَبِيُّ الْعَقْلِ لَمْ يَكُنْ يَبْلُغُ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الشَّيْخَانِ
- ١٩٥١- إِلَّا أَنْاسًا سَلَّمُوا لِلْوَحْيِ هُمْ أَهْلُ الْبُلُوغِ وَأَعْقَلُ الْإِنْسَانِ
- ١٩٥٢- فَاتَىٰ إِلَى الصَّبِيَّانِ فَانْقَادُوا لَهُ كَالشَّاءِ إِذْ تَنْقَادُ لِلْجُوبَانَ
- ١٩٥٣- فَانظُرْ إِلَى عَقْلِ صَغِيرٍ فِي يَدَيَّ شَيْطَانٍ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّيْطَانِ؟

الشرح

هذا أيضًا من المصائب، أنهم قالوا: إنَّ أهل السنَّة فرعونية.

فمرة قالوا: يُشبهون اليهود، ومرة قالوا: يُشبهون فرعون.

لماذا يُشبهون فرعون؟ قالوا: لأنَّ أهل السنَّة أثبتوا أنَّ الله فوق كلِّ شيء،

وفرعون أثبت العلوَّ لله، فشاهاوا فرعونَ من هذا الوجه، وعمَّوا عن أنَّ موسى هوَ

الَّذِي قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ؛ ولهذا قَالَ فرعونُ: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنِي لِي صَرَحًا

لَعَلِّي أَجْلُعُ أَلْسَبَبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ

كَذِبًا﴾ [عافر: ٣٦-٣٧] فهل فرعونُ أثبت العلوَّ أو أنكره؟

الجواب: أنكره، ولكنه أمر وزيره (هامان) أن يبني هذا الصرح إيماناً لقومه؛ لأنه سوف يصعد على هذا الصرح، ويقول: بحثت فلم أجد، فيكون قد موّه على قومه، فالجهم موافق تماماً لفرعون، هذا هو الحق.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٩٣٣- وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ: فِرْعَوْنُ مَدُّ هَبُّهُ الْعُلُوُّ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

قالوا: إن فرعون مذهبه إثبات العلو لله، وذلك في القرآن، وهذه دعوى بدليل لكنها باطلة، والاستدلال بها باطل.

١٩٣٤- وَلِذَلِكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَيْهِ بِالصُّ صَرَحَ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانَ

من الذي طلب الصعود إليه؟ فرعون طلب الصعود إلى الله، وهذا يدل - على زعمهم - أنه يُقر بأن الله في السماء.

١٩٣٥- هَذَا رَأَيْنَاهُ بِكُتُبِهِمْ وَمِنْ أَفْوَاهِهِمْ سَمِعْنَا إِلَى الْأَذَانِ

١٩٣٦- فَاسْمَعْ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ الْمُعْطَلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ

أيها أولى بفرعون هل هم أهل السنة المثبتون للعلو أم هم هؤلاء المنكرون لعلو الله؟!

١٩٣٧- وَأَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ

قوله: «من قال موسى كاذب» من الذي قاله؟ الجواب: فرعون.

فرعون قال لموسى: إنه كاذب أن الله في السماء؛ لأن فرعون يُنكر وجود الله نهائياً، ويقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] لا فوق ولا في غير فوق.

فإذن هل أهل السُّنَّةِ أولى بفرعونَ أم هؤلاء المعطَّلة؟ الجواب: هؤلاء المعطَّلة، لكنهم يقلبون الحقائق تلييسًا وترويجًا، نسأل الله العافية.

١٩٣٨- فَمِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنَ يُكْفِّرُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ
يقول: مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ فَهُوَ كَافِرٌ، هَذَا كَلَامُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ.

١٩٣٩- وَيَقُولُ: ذَلِكَ مُبَدَّلٌ لِلَّذِينَ سَاءَ عِبَالِ الْفَسَادِ وَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ
فرعونِيهم يقول: إِنَّ الَّذِي يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ) مُبَدَّلٌ لِلَّذِينَ كَمَا قَالَ
فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦].

قَوْلُهُ: «سَاعَ بِالْفَسَادِ» كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾
[غافر: ٢٦] وفي قراءة (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)^(١).

١٩٤٠- إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَوْنُ حَيْثُ نَزَمَ بِهِ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ
١٩٤١- فَهُوَ الْإِمَامُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ وَمَنْ بُوِعَ يَقُودُهُمْ إِلَى النَّيْرَانِ
قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا» يعني: إنكار العلو.

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَوْنُ» يعني: الَّذِي وَرَثَهُمْ إِنْكَارَ الْعُلُوِّ هُوَ
فرعون.

١٩٤٢- هُوَ أَنْكَرُ الْوَصْفَيْنِ وَصَفَ الْفَوْقِ وَالْتَمَسَ تَكْلِيمَ إِنْكَارًا عَلَى الْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «هُوَ أَنْكَرُ... وَصَفَ الْفَوْقِ» فَأَنْكَرَ وَصَفَ اللَّهَ بِالْعُلُوِّ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ

(١) يقرأ بأو، وبالواو، وبضم الياء وفتحها، وينصب (الفساد) ورفعها. انظر: الحجة في القراءات السبع (ص: ٣١٣).

لهامان: ﴿أَيْنَ لِي صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦] من باب التهكم بموسى من وجه، ومن باب التضييل لقومه من وجهٍ آخر؛ لأنه سيقول: صعدتُ ولم أجد، فأنكر الفوقية.

قَوْلُهُ: «والتَّكْلِيم» أي: وأنكر التَّكْلِيمَ، كَيْفَ أَنْكَرَ التَّكْلِيمَ؟ لأنه أنكر رسالة موسى، ورسالة موسى ثبتت بالوحي، وَهُوَ تَكْلِيمُ اللَّهِ.

ففرعونُ أنكر الفوقية والتَّكْلِيمَ، وهؤلاء المعطلةُ أنكروا الفوقية والتَّكْلِيمَ جميعاً.

١٩٤٣- إِذْ قَصَدَهُ إِنْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ فَالْتَّعْطِيلُ مِرْقَاةً لِذَا النُّكْرَانِ

قصدُ فرعونَ إنكارُ ذاتِ الرَّبِّ، والتعطيلُ من هؤلاء المعطلةِ مرقاةٌ لذا النكران؛ لأنَّ هؤلاء المعطلة إذا حققت مذهبهم صارت نتيجةً أن لا رَبَّ موجود، نسأل الله العافية.

١٩٤٤- وَسِوَاهُ جَاءَ بِسُلْمٍ وَبِآلَةٍ وَأَتَى بِقَانُونٍ عَلَى بُنْيَانِ

١٩٤٥- وَأَتَى بِذَاكَ مُفَكِّرًا وَمُقَدِّرًا وَرِثَ الْوَلِيدَ الْعَابِدَ الْأَوْثَانَ

قَوْلُهُ: «سِوَاهُ» يريد بذلك: أهل التعطيل، أتوا بِسُلْمٍ، وآلَةٍ، وقانونٍ، والمراد به: قانون الكلام، إذا كان كذاً لزم منه كذا، إذا كان الله فوق لزم أن يكون جسمًا، إذا كان جسمًا لزم أن يكون مماثلاً للمخلوق، وهكذا.

فأتوا بقانون، وفرعون ما أتى بهذا القانون، ماذا صنع؟ أنكر رأسًا، قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٢٨] فهو أحسنُ سيرةٍ منهم؛ لأنه أصرحُ منهم، أمَّا هؤلاء فأتوا بهذه القوانين يلعبون بها على الناس.

قَوْلُهُ: «وَرِثَ الْوَلِيدَ الْعَابِدَ الْأَوْثَانَ» مَنْ هُوَ الْوَلِيدُ؟ الوليد بن المغيرة الَّذِي

قَالَ اللهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّهُ، فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ وَالتَّيْجَةُ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٦﴾ [المدثر: ١٨-٢٥].

هؤلاء المتكلمون المعطلون صاروا يُفكِّرون، ويُقدِّرون، ويأتون بقوانين، ويأتون بحجج واهية يدعونها عقليات وهي وهميات وليست بحقيقة، فهم ورتوا فرعون صاحب موسى، وورثوا الوليد أحد زعماء الكفر في هذه الأمة.

١٩٤٦- وَأَتَى إِلَى التَّعْطِيلِ مِنْ أَبْوَابِهِ لَا مِنْ ظُهُورِ الدَّارِ وَالْجُدْرَانِ
أتى إلى التعطيل من أبوابه من أجل أن يلج التعطيل ولو جأ محكمًا؛ لأن الذي يأتي الشيء من بابه يدخله دخولًا محكمًا، أما الذي يأتي من ظهور البيوت يتسلقها تسلقًا فقد يسقط ويموت ولا يصل إلى مراده، لكن هؤلاء أتوا إلى التعطيل من أبوابه بما كسوه من هذه الحجج الواهية التي قال واصفها:

حُجَجٌ تَهَافَّتْ كَالرُّجَاجِ نَحَالَهَا
حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ^(١)

١٩٤٧- وَأَتَى بِهِ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالتَّعْطِيلِ تَلْبِيسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ

قال مثلاً: حاشا وكلاً أن يكون الله تعالى فوق، لماذا؟ قال: لو أثبتنا أنه فوق أثبتنا أنه جسم، وإذا أثبتنا أنه جسم أثبتنا أنه مماثل للمخلوق، فحاشا ربنا من مماثلة المخلوق؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، إذا سمعها العامي و أشباه العوام صدق، وقال: هذا هو الحق؛ إن الله مُنَزَّهٌ؛

(١) انظر: غاية الأمان في الرد على النبهاني (٢/ ٢٢٨).

ولهذا قال:

١٩٤٨- وَأَتَى إِلَى وَصْفِ الْعُلُوِّ فَقَالَ: ذَا التَّجَسِيمِ لَيْسَ يَلِيقُ بِالرَّحْمَنِ

١٩٤٩- فَالَلْفُظُ قَدْ أَنْشَأَهُ مِنْ تَلْقَائِهِ وَكَسَاهُ وَصَفَ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

اللفظ الذي هو التزييه قد أنشاه من تلقائه، ويجوز أن يكون المراد باللفظ: (التجسيم) وأنه كساه وصف الواحد المنان من أجل أن يُرْتَبَّ عَلَى ذلك إنكار العلو.

١٩٥٠- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ صَبِيُّ الْعَقْلِ لَمْ يَبْلُغْ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الشُّيْخَانِ

هذا الوصف للناس مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وإن تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] فالناس كلُّهم صبيُّ العقل وإن كان من الشيوخ جمع (شيوخ)، حتى لو كانوا شيوخاً فعقولهم عقول الصبيان.

١٩٥١- إِلَّا أَنْاسًا سَلَّمُوا لِلْوَحِيِّ هُمْ أَهْلُ الْبُلُوغِ وَأَعْقَلُ الْإِنْسَانِ

فالذين سلّموا للوحي هم العقلاء، وهم أهل البلوغ.

١٩٥٢- فَاتَى إِلَى الصَّبِيَّانِ فَانْقَادُوا لَهُ كَالشَّاءِ إِذْ تَنَقَّادُ لِلْجُوبَانَ

قوله: «أَتَى إِلَى الصَّبِيَّانِ» أي: صبيان العقول فانقادوا له كالشاة إذ تنقاد للجوبان أي: للراعي، فالغنم تنقاد للراعي وهو يقودها إلى المنحر بل إلى المذبح، ولا تدري، وهؤلاء مثلهم.

١٩٥٣- فَانظُرْ إِلَى عَقْلِ صَغِيرٍ فِي يَدَيَّ شَيْطَانٍ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّيْطَانِ؟

عقل صغير بين يدي شيطان ماذا يلقي؟ الجواب: يلقي كل شر ولا شك.

فصل

في بيان تدليسهم، وتلبسهم الحق بالباطل

- ١٩٥٤- قَالُوا: إِذَا قَالَ الْمُجَسِّمُ: رَبَّنَا
حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِلِسَانِ
- ١٩٥٥- فَسَلُوهُ كَمْ لِلْعَرْشِ مَعْنَى وَاسْتَوَى
أَيْضًا لَهُ فِي الْوَضْعِ خَمْسُ مَعَانِي؟
- ١٩٥٦- وَ«عَلَى» فَكَمْ مَعْنَى لَهَا أَيْضًا لَدَى
عَمْرٍو؟ فَذَلِكَ إِمَامٌ هَذَا الشَّانِ
- ١٩٥٧- بَيْنَ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِي وَالَّذِي
مِنْهَا أُرِيدُ بِوَأَصِحَّ التَّبْيَانِ
- ١٩٥٨- فَاسْمَعْ فَذَلِكَ مُعْطَلٌ هَذِي الْجَعَا
جَعَ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَدْيَانِ؟
- ١٩٥٩- قُلْ لِلْمُجْتَمِعِ: وَيْحَكَ اعْقِلْ ذَا الَّذِي
قَدْ قُلْتَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ
- ١٩٦٠- الْعَرْشُ عَرْشُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَاللَّامُ لِلْمَعْهُودِ فِي الْأَذْهَانِ
- ١٩٦١- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ
نَقَلَ الْمَجَازَ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ
- ١٩٦٢- وَمُحَمَّدٌ وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ
شَهِدُوا بِهِ لِلْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
- ١٩٦٣- مِنْهُمْ عَرَفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ
رَبِّ عَلَيْهِ قَدْ اسْتَوَى دِيَانَ
- ١٩٦٤- لَمْ تَفْهَمِ الْأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرِ بَلْدِ
قَيْسٍ وَلَا بَيْتَا عَلَى الْأَرْكَانِ
- ١٩٦٥- كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرِ وَلَا
عَرْشًا لِحَبْرِيْلٍ بِلَا بُتْيَانِ
- ١٩٦٦- كَلَّا وَلَا الْعَرْشَ الَّذِي إِنْ نُثِلَّ مِنْ
عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي

- ١٩٦٧- كَلَّا وَلَا عَرْشَ الْكُرُومِ وَهَذِهِ أَلْ
أَغْنَابِ فِي حَرْثٍ وَفِي بُسْتَانِ
- ١٩٦٨- لَكِنَّهَا فَهَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ
شَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
- ١٩٦٩- وَعَلَيْهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ اسْتَوَى
حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
- ١٩٧٠- وَكَذَا اسْتَوَى الْمَوْصُولُ بِالْحَرْفِ الَّذِي
ظَهَرَ الْمُرَادُ بِهِ ظُهُورَ بَيَانِ
- ١٩٧١- لَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُفْهِمٌ
لِلِإِشْتِرَاكِ وَلَا جَزَازٍ ثَانِي
- ١٩٧٢- تَرْكِيْبُهُ مَعَ حَرْفِ الْإِسْتِعْلَاءِ نَصٌ
صَّ فِي الْعُلُوِّ بِوَضْعِ كُلِّ لِسَانِ
- ١٩٧٣- فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعَ «إِلَى» فَالْقَضْدُ مَعَ
مَعْنَى الْعُلُوِّ لِيُوضِعَهُ بَيَانِ
- ١٩٧٤- وَإِلَى السَّمَاءِ قَدْ اسْتَوَى فَمُقَيَّدٌ
بِتِمَامِ صَنْعَتِهَا مَعَ الْإِتْقَانِ
- ١٩٧٥- لَكِنَّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى هُوَ مُطْلَقٌ
مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ
- ١٩٧٦- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يُقْضَرُ فَهَمُّهُ
عَنْ ذَا فَيْلِكَ مَوَاهِبُ الْمَنَانِ
- ١٩٧٧- فَإِذَا افْتَضَى وَأَوَّ الْمَعِيَّةِ كَانَ مَعًا
سَنَاهُ اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ وَالثَّانِي
- ١٩٧٨- فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعًا
سَنَاهُ الْكَمَالِ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانِ
- ١٩٧٩- لَا تَلْبَسُوا بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ الَّذِي
قَدْ بَيَّنَّ الرَّحْمَنُ فِي الْفُرْقَانِ
- ١٩٨٠- وَ«عَلَى» لِلِاسْتِعْلَاءِ فَهِيَ حَقِيقَةٌ
فِيهِ لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ
- ١٩٨١- وَكَذَلِكَ «الرَّحْمَنُ» جَلَّ جَلَالُهُ
لَمْ يَحْتَمِلْ مَعْنَى سِوَى الرَّحْمَنِ
- ١٩٨٢- يَا وَيْحَهُ بَعَاهُ لَوْ وَجَدَ اسْمَهُ الرُّ
رَحْمَنَ مُحْتَمِلًا لِخَمْسِ مَعَانِي

- ١٩٨٣- لَفَضَى بِأَنَّ اللَّفْظَ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا التَّلَاوُةُ عِنْدَنَا بِلِسَانِ
 ١٩٨٤- فَلِذَلِكَ قَالَ أَيْمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَ كُمْ بَيَانِ
 ١٩٨٥- وَلَقَدْ أَحَلْنَاكُمْ عَلَى كُتُبِ لَهُمْ هِيَ عِنْدَنَا - وَاللَّهِ - بِالْكَيْبَانِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - في هذا الفصل تليبس أهل التعطيل في مسألة (الإستواء).

١٩٥٤- قَالُوا: إِذَا قَالَ الْمُجَسِّمُ: رَبَّنَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِلِسَانِ
 من هو المجسم؟ الجواب: هو الذي يثبت العلو حقيقةً، بل هو الذي يثبت
 الإستواء على العرش حقيقةً؛ ولهذا يُسَمُّونَ أهلَ السُّنَّةِ الْمُجَسِّمَةَ.

١٩٥٥- فَسَلُّوهُ كَمْ لِلْعَرْشِ مَعْنَى وَاسْتَوَى أَيْضًا لَهُ فِي الْوَضْعِ حَسُّ مَعَانِي؟

١٩٥٦- وَ«عَلَى» فَكَمْ مَعْنَى لَهَا أَيْضًا لَدَى عَمْرٍو؟ فَذَلِكَ إِمَامُ هَذَا الشَّانِ

إذا قال: رَبَّنَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فَسَلُّوهُ عَنِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، اسأَلُوهُ عَنِ
 قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] اسأَلُوهُ كَمْ لـ (لعرش) من معنى؟
 اسأَلُوهُ كَمْ لـ (الإستواء) من معنى؟ اسأَلُوهُ كَمْ لـ (عَلَى) من معنى؟

والغرض من هذا السؤال أنه إذا ثبتت المعاني صار اللفظ محتملاً، واللفظ
 المحتمل يسقط الاستدلال به، والقاعدة المشهورة: (إِذَا وُجِدَ الْإِحْتِمَالُ بَطَلَ
 الْإِسْتِدْلَالُ).

قَوْلُهُ: «لَدَى عَمْرٍو» وَهُوَ سَبْوِيهِ.

ف (على) لها معانٍ، و (استَوَى) لها معانٍ، و (العرش) له معانٍ، فاسألوه: أيُّ المعاني يُرادُ؟

١٩٥٧- بَيَّنْ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِي وَالَّذِي مِنْهَا أُرِيدَ بِوَأَضِحِ التَّبْيَانِ
قَوْلُهُ: «بَيَّنْ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِي...» يقول هَذَا تَحَدِّيًّا، وليس استفهامًا واستخبارًا،
لكن يريدون أن يتحدّوا هذا، يقول ابنُ القَيِّم:

١٩٥٨- فَاسْمَعْ فَذَاكَ مُعْطَلٌ هَذِي الْجَعَا جَعَ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَدْيَانِ؟
قَوْلُهُ: «الْجَعَا جَع» الأصواتُ غيرُ المعلومة.

قَوْلُهُ: «مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَدْيَانِ؟» الهديان: كلامُ الرجلِ الْمُخْرَفِ الَّذِي
ليس له ضابطٌ ولا معنى.

١٩٥٩- قُلْ لِلْمُجْجَعِ: وَيَحْكُ اعْقِلْ ذَا الَّذِي قَدْ قُلْتَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ
وهذا تهكُّمٌ به، يعني: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا وتعرف فاعقل ما تقول.

١٩٦٠- الْعَرْشُ عَرْشُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَاللَّامُ لِلْمَعْهُودِ فِي الْأَذْهَانِ
قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] كلُّ يعرف أن المرادَ بالعرشِ
عرشُ الله، وَهُوَ الْعَرْشُ الْمَجِيدُ، هل فيه إجمالٌ؟

الجواب: أبدًا، ليس فيه إجمالٌ، ولا إيهامٌ، ولا اشتراكٌ، ولا مجازٌ، ولا شيءٌ
أبدًا، فاللام يقول: (للمعهود في الأذهان).

١٩٦١- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوَهَّمٌ نَقَلَ الْمَجَازَ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ
قَوْلُهُ: «مَا فِيهِ إِجْمَالٌ» يعني: أنه واضحُ المعنى.

قَوْلُهُ: «وَلَا هُوَ مُوَهُمٌ نَقَلَ الْمَجَازِ» يعني: ليس فيه مجاز؛ لأنه حقيقة.

قَوْلُهُ: «وَلَا لَهُ وَضْعَانِ» أي: مُشْتَرَكٌ، يعني: أنه بإضافته إلى الله ليس مشتركًا يصلح لهذا وهذا.

١٩٦٢- وَحَمَّذُ وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ شَهِدُوا بِهِ لِلْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

فكُلُّ الْأَنْبِيَاءِ جَاءُوا بِأَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ^(١)- قَالَ: إِنَّهُ مَذْكُورٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ.

١٩٦٣- مِنْهُمْ عَرَفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ رَبِّ عَلَيْهِ قَدْ اسْتَوَى دِيَانَ

نحن عرفناه من الأنبياء، والأنبياء عرفوه من الله، وفي هذا إشارة إلى أن دلالة الاستواء دلالة سمعية محضة بخلاف العلو فإن دلالاته سمعية عقلية فطرية، أما الاستواء فدلالته سمعية، ما عرفناه إلا عن الأنبياء، والأنبياء عرفوه عن الله عز وجل.

١٩٦٤- لَمْ تَفْهَمِ الْأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرَ بَلْدٍ قَيْسٍ وَلَا بَيْتًا عَلَى الْأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «لَمْ تَفْهَمِ الْأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرَ بَلْقَيْسٍ» المعطل يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] يعني: على عرش بلقيس التي قال الله عنه: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] هل أحد يفهم هذا؟ الجواب: أبدًا.

قَوْلُهُ: «وَلَا بَيْتًا عَلَى الْأَرْكَانِ» العرش يُطْلَقُ عَلَى السَّقْفِ، عَلَى الْأَعْمَدَةِ، هَلْ يَفْهَمُ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أنه اسْتَوَى عَلَى سَقْفِ، عَلَى أَعْمَدَةٍ؟ الجواب: أبدًا، لا يفهمون ذلك.

(١) تقدمت ترجمته في التعليق على البيت رقم (١٣٠٩).

١٩٦٥- كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرٍ وَلَا عَرْشًا لِجِبْرِيلَ بِلَا بُنْيَانٍ
قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرٍ» العرشُ عَلَى البحرِ هَذَا عَرْشُ الشَّيْطَانِ،
فالشَّيْطَانُ يَنْصُبُ عَرْشَهُ عَلَى البحرِ، وَيُرْسِلُ جَنُودَهُ لِإِضْلالِ النَّاسِ، فَهَلْ أَحَدٌ
يَفْهَمُ أَنَّ المَرادَ بِالعرشِ الَّذِي اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّحْمَنُ هُوَ عَرْشُ الشَّيْطَانِ الَّذِي عَلَى
البحرِ؟ الجواب: كَلَّا.

قَوْلُهُ: «وَلَا عَرْشًا لِجِبْرِيلَ بِلَا بُنْيَانٍ» أَيضًا لَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ عَرْشُ جِبْرِيلَ،
وذلك أَنَّ جِبْرِيلَ -عليه الصلاة والسلام- لَمَّا تَأَخَّرَ الوحيُّ عَنِ النَّبِيِّ -عليه
الصلاة والسلام- أولَ ما نَزَلَ عَلَيْهِ، سَمِعَ صَوْتًا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا هُوَ جِبْرِيلُ عَلَى
كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، هَذَا عَرْشُ جِبْرِيلَ.

١٩٦٦- كَلَّا وَلَا العَرْشَ الَّذِي إِنْ تُلِّ مِنْ عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الحَضِيضِ الدَّانِي
قَوْلُهُ: «تُلِّ» يَعْنِي: هُدِمَ.

قَوْلُهُ: «مِنْ عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الحَضِيضِ الدَّانِي» مِنْ هُوَ عَرْشُهُ هَذَا؟ الجواب:
عَرْشُ السُّلْطَانِ، فَالمَلِكُ لَهُ عَرْشٌ، لَكِنْ لَوْ جَاءَ واحِدٌ مِنْ تَحْتِهِ يَجْرُهُ سَقَطَ.

هل يفهم الناس أن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أنه
استوى على عرش السلطان؟

١٩٦٧- كَلَّا وَلَا عَرْشَ الكُرُومِ وَهَذِهِ الـ أَعْنَابِ فِي حَرْتٍ وَفِي بُسْتَانِ
ما فهموا أنه استوى على عرش الكروم (الأعناب) أبدًا.

إِذْ هَذِهِ الأَسْمَاءُ لِلعرشِ كُلُّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُفْهَمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى
العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] إِذْ تَرْدِيدُهُمْ لِهَذَا الكَلَامِ، وَقَوْلُهُمْ: (العرشُ) يَحْتَمِلُ مَعَانِي

كثيرةً باطلٌ؛ لأنَّ كُلَّ هَذِهِ المعاني التي يذكرونها لا تُفْهَمُ من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥].

١٩٦٨- لَكِنَّهَا فَهَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ شَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

١٩٦٩- وَعَلَيْهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ اسْتَوَى حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهَا فَهَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ» هَذَا معطوف على قوله: «لَمْ تَفْهَمْ الْأَذْهَانَ».

انتهينا الآن من العرش وتشكيكهم في معناه، وتبيّن لنا أن ما ذكروا من المعاني لا يردُّ على قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] وأشباهها؛ لأنَّ العرش هنا المراد به العرش المعهود، وهو عرشُ الله عزَّ وجلَّ.

بقي لنا: (استوى)، فـ(استوى) لها عدة معانٍ، فإذا تبقي مُجْمَلَةً، لا يُعْرَفُ المقصودُ منها، فيقول -رحمه الله-:

١٩٧٠- وَكَذَا اسْتَوَى الْمَوْصُولُ بِالْحَرْفِ الَّذِي ظَهَرَ الْمُرَادُ بِهِ ظُهُورَ بَيَانِ

قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] (استوى) مقيّدٌ بحرف يُعْرَفُ معناه به، فمعنى (استوى على الشيء) يعني: علا عليه، وهذا واضحٌ، لا يَحْتَمِلُ سواه؛ ولهذا قال:

١٩٧١- لَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُفْهِمٌ لِلِاشْتِرَاكِ وَلَا بَجَازٍ ثَانِي

هذه الثلاثة نفاها بالأوّل بالنسبة لـ(العرش)، ونفاها بالثاني بالنسبة لـ(استوى) ليس فيه إجمالٌ حتّى يكون موهماً، ولا فيه اشتراكٌ يعني: أنه موضوع لمعنيين على السواء، ولا فيه مجازٌ، بل هو حقيقةٌ في سياقه.

١٩٧٢- تَرْكِيْبُهُ مَعَ حَرْفِ الْاِسْتِعْلَاءِ نَصٌّ صَّ فِي الْعُلُوِّ بَوَضْعِ كُلِّ لِسَانٍ

قَوْلُهُ: «تَرْكِيْبُهُ» يَعْنِي: (اِسْتَوَى).

قَوْلُهُ: «مَعَ حَرْفِ الْاِسْتِعْلَاءِ» وَهُوَ (عَلَى).

قَوْلُهُ: «نَصٌّ فِي الْعُلُوِّ بَوَضْعِ كُلِّ لِسَانٍ» فَإِذَا قِيلَ: (اِسْتَوَى عَلَى كَذَا) يَعْنِي: عَلا عَلَيْهِ، فَلَا أَحَدَ يُشْكِلُ عَلَيْهِ هَذَا الشَّيْءُ.

بَقِيَ عَلَيْنَا أَنَّهُ قَدْ يَتَرَكَّبُ مَعَ غَيْرِ (عَلَى)، قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٩٧٣- فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعَ «إِلَى» فَالْقَصْدُ مَعَ مَعْنَى الْعُلُوِّ لِيَوْضَعَهُ بَيَّانٍ

إِذَا قِيلَ: «اِسْتَوَى إِلَى كَذَا» صَارَ مَعْنَاهُ: قَصَدَ إِلَى كَذَا، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] مَعْنَاهُ: قَصَدَ إِلَى السَّمَاءِ، لَكِنْ قَصَدَ بِإِرَادَةٍ كَامِلَةٍ مَعَ عُلُوٍّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: (اِسْتَوَى) هُنَا بِمَعْنَى ارْتِفَاعٍ؛ لِأَنَّ (إِلَى) لِلْغَايَةِ، فَإِذَا قُلْنَا: (ارْتِفَعِ إِلَى السَّمَاءِ) لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَوَّلِ سَافِلًا تَحْتَ السَّمَاءِ، وَهَذَا غَيْرُ مَرَادٍ قِطْعًا؛ وَهَذَا فَسَّرَهَا ابْنُ كَثِيرٍ بِأَنَّ الْمَرَادَ بِهَا (قَصَدَ إِلَى السَّمَاءِ)، وَلَيْسَ الْمَعْنَى (عَلا إِلَى السَّمَاءِ)؛ لِأَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ (اِسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ) وَبَيْنَ (اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ).

١٩٧٤- وَإِلَى السَّمَاءِ قَدْ اِسْتَوَى فَمُقَيَّدٌ بِتَمَامِ صَنْعَتِهَا مَعَ الْإِتْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِلَى السَّمَاءِ قَدْ اِسْتَوَى» قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩] وَهَذَا وَاضِحٌ بِأَنَّ الْمَرَادَ قَصْدَ إِلَيْهَا لِيَسْوِيَهَا وَيُحَسِّنَهَا، قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ثُمَّ اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١] مِنْ أَجْلِ إِتْمَامِهَا، لَكِنْ مَا قَالَ: (اِسْتَوَى إِلَى الْعَرْشِ) لِيَتِمَّهُ، فَالْعَرْشُ تَامٌ

من قبل، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ بعد تمامه، بخلاف استوائه إِلَى السَّمَاءِ، فإنه من أجل إتمامها كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]؛ ولهذا قال:

١٩٧٥- لَكِنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى هُوَ مُطْلَقٌ مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ
ففرق بين (اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ)، و(اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ).

١٩٧٦- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يَقْضِرُ فَهْمُهُ عَنْ ذَا فِتْلِكَ مَوَاهِبُ الْمَنَّانِ
الجهميُّ يقصرُ فهمه عن التفريق بين (على) وبين (إلى)، ومواهبُ المَنَّانِ عَزَّ
وجَلَّ تختلفُ من شخصٍ لآخر، فمن الناسِ مَنْ يهبه اللهُ عَزَّ وجَلَّ فهماً وعلماً،
ومن الناسِ من لا يهبه فهماً ولا علماً، ومن الناسِ من يهبه علماً بلا فهمٍ، ومن
الناسِ من يهبه فهماً بلا علمٍ.

١٩٧٧- فَإِذَا اقْتَضَى وَآوِ الْمَعِيَّةِ كَانَ مَعَهُ سِنَاهُ اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ وَالثَّانِي
قَوْلُهُ: «فَإِذَا اقْتَضَى وَآوِ الْمَعِيَّةِ» يعني: إذا اقترن بها، كان معناه (اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ
والثاني) كقولهم: (اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشْبَةُ) يعني: أَنَّ الْمَاءَ حَازِيَ الْخَشْبَةَ، فمعنى
(الِاسْتِوَاءِ) هنا: التساوي؛ ولهذا قال: (كان معناه اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ وَالثاني).

ففي قولنا: (اسْتَوَى الْمَاءُ وَالْخَشْبَةُ) أين المُتَقَدِّمُ؟ المُتَقَدِّمُ: الْمَاءُ، معناه: أنه
تساوى ما قبل (الواو) وما بعدها.

إِذَنْ إِذَا أَتَتْ (اسْتَوَى) مقرونة بـ(على) فمعناها العلوُّ، وإذا أتت مقرونة
بـ(إلى) فمعناها القصدُ، وإذا أتت مقرونة بـ(واو المعية) فالمعنى المحاذاة
والمساواة.

الرابعُ: قَالَ - رحمه الله -:

١٩٧٨- فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعَهُ سِنَاهُ الْكَمَالِ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانٍ

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] هَذَا لَمْ يُقَيِّدْ بِشَيْءٍ، فَمَعْنَاهُ (كَمُلٌ).

فصارت (اسْتَوَى) تُسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَرْبَعَةِ وَجُوهِ:

مقرونة بـ(على)، و(إلى)، مقرونة بواو المعية، مجردة لم تقترن بشيء، وكُلُّ واحدةٍ يُعْرَفُ مَعْنَاهَا بِمَا اقْتَرَنَ بِهَا.

١٩٧٩- لَا تَلْبِسُوا بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ الَّذِي قَدَبَيْنَ الرَّحْمَنُ فِي الْفُرْقَانِ

انتهى الآن من الكلام على (العرش) وعلى (استوى).

بقي عندنا (على) فقال - رحمه الله -:

١٩٨٠- وَ«عَلَى» لِلِاسْتِعْلَاءِ فَهِيَ حَقِيقَةٌ فِيهِ لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ

«على» الأصل فيها أنها للاستعلاء، كما قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِي الْأَلْفِيَّةِ: (عَلَى

لِلِاسْتِعْلَاءِ) فَهِيَ دَائِمًا لِلِاسْتِعْلَاءِ.

فإذا قيل: (اسْتَوَى عَلَى كَذَا) يعني: علا عليه، و(اطَّلَعَ عَلَى كَذَا) يعني: علا

عليه باطلاعه، و(رَكِبَ عَلَى كَذَا) يعني: علا عليه، فهي تدلُّ عَلَى الْعُلُوِّ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِيهَا.

قَوْلُهُ: «لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ» وَالْأَوَّلُ: الْجَهْمِيُّ يَقُولُ: (عِنْدَ عَمْرٍو) أَي:

عِنْدَ سَبْيُوِيهِ، كَأَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ يَقُولُ: أَنْتَ إِذَا نَقَلْتَ عَن عَالِمٍ مِّنْ عُلَمَاءِ النَّحْوِ، فَأَنَا

أُنقِلُ عن جميع علماء النحو؛ ولهذا قال: (لدى أرباب هذا الشأن) يعني: بالإجماع.

١٩٨١- وَكَذَلِكَ «الرَّحْمَنُ» جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَحْتَمِلْ مَعْنَى سِوَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ» وَهُوَ الرَّابِعُ: (الرحمن) هل يحتمل معنى سوى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ؟ ولهذا قال: (لم يحتمل معنى سوى الرحمن) فأين الإجمال، وأين الاشتراك، وأين الإيهام في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ [طه:٥] الجواب: لا يوجد شيء لا في (استوى) ولا في (على) ولا في (العرش) ولا في (الرحمن).

١٩٨٢- يَا وَيْحَهُ بَعْمَاهُ لَوْ وَجَدَ اسْمَهُ الرُّحْمَنَ مُحْتَمِلًا لِخَمْسٍ مَعَانِي

١٩٨٣- لَقَضَى بِأَنَّ اللَّفْظَ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا التَّلَاوَةُ عِنْدَنَا بِلِسَانِ

لو قال: (الرحمن) -والله- يحتمل خمسة معانٍ ماذا يصير؟ يقول: (يا ويحه) يعني: يصيرُ مشركًا، فالرحمنُ لا يحتملُ إلا معنى واحدًا، وهو ربُّ العزة -جلَّ وعلا-، ولذلك لا يُسَمَّى به غيره أبدًا، ولا يُوصَفُ به غيره، فلا يجوزُ أن تقولَ عن أيِّ شخصٍ: «إنه رحمنٌ» حتى النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- لا يصحُّ أن تقولَ: إنه بالمؤمنين رحمنٌ، بل قل: رحيمٌ؛ ولهذا نقولُ: (الله) و(الرحمن) اسمانِ خاصَّانِ بالله لا يُسَمَّى بهما غيره أبدًا.

١٩٨٤- فَلِذَاكَ قَالَ أَيْمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَ كُمْ بَيَانِ

١٩٨٥- وَلَقَدْ أَحَلَّنَاكُمْ عَلَى كُتُبِهِ لَهُمْ هِيَ عِنْدَنَا -وَاللَّهِ- بِالْكَيْبَانِ

قَوْلُهُ: «فَلِذَاكَ قَالَ أَيْمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَعْنَاهُ» أَي: فِي مَعْنَى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى﴾ [طه:٥] قالوا ما قد ساءكم.

قَوْلُهُ: «الْكَيْبَانُ» جمع (أكوام)، والأكوامُ جمعُ كومةٍ وهي الشيءُ المجتمعُ؛ ولهذا إذا أراد الناسُ أن يقولوا عن الشيء: إنه كثيرٌ، قالوا: عندنا كومةٌ من الإبل، كومةٌ من الغنم، كومةٌ من الطعام، فالكيبان هنا (فِعْلَان) جمعُ (أكوام)، وأكوامُ جمعُ كومة.

فصل

فِي بَيَانِ سَبَبِ غَلْطِهِمْ فِي الْأَلْفَاظِ، وَالْحُكْمِ عَلَيْهَا بِاحْتِمَالِ عِدَّةٍ مَعَانٍ؛
حَتَّى اسْقَطُوا الْأَسْتِدْلَالَ بِهَا

- ١٩٨٦- وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ فِي الْإِعْتِبَارِ فَهَا هُمَا سَيَّانِ
١٩٨٧- وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ
١٩٨٨- أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَبَ سَبَبُهُ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ
١٩٨٩- فَيَكُونُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْدَ سِوَاهُمْ هُوَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ
١٩٩٠- وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ لَهُمُ الْمُرَادُ بِهِ اتَّضَاحَ بَيَانِ
١٩٩١- فَالْأَوْلَى لِلْفَهْمِ ذَلِكَ الْخِطَا بَ وَإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طُولَ زَمَانِ
١٩٩٢- طَالَ الْمِرَاسُ لَهُمْ لِمَعْنَاهُ كَمَا اشْتَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَلِكَ الشَّانِ
١٩٩٣- وَالْعِلْمُ مِنْهُمْ بِالْمُخَاطَبِ إِذْ هُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
١٩٩٤- وَلَهُمْ أْتَمُّ عِنَايَةٍ بِكَلَامِهِ وَقُصُودِهِ مَعَ صِحَّةِ الْعِرْفَانِ
١٩٩٥- فَخِطَابُهُ نَصٌّ لَدَيْهِمْ قَاطِعٌ فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التَّبْيَانِ
١٩٩٦- لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونُهُمْ فِي ذَلِكَ لَمْ يَقْطَعْ بِقَطْعِهِمْ عَلَى الْبُرْهَانِ
١٩٩٧- وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ فِي ذَهْنِهِ لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ

- ١٩٩٨- وَلِإِلْفِهِ بِكَلَامٍ مَّنْ هُوَ مُقْتَدٍ بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الْأَزْمَانِ
١٩٩٩- هُوَ قَاطِعٌ بِمُرَادِهِ وَكَلَامُهُ نَصٌّ لَدَيْهِ وَاضِحٌ التَّبْيَانِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله- في بيان سبب غلط هؤلاء الذين يدعون أن للفظ الواحد احتمالات كثيرة من أجل أن يُطَّلوا دلالتة على المراد؛ لأن من القواعد المقررة أنه عند الاحتمال يسقط الاستدلال، فإذا قالوا: هذا يحتمل كذا، وهذا يحتمل كذا وكذا وكذا، فأئى الوجوه تريدون؟ إذا قلت: تُريد كذا، قَالَ لك: من أين الدليل أن المراد كذا دون الاحتمالات الأخرى؟ وحينئذ يسقط الاستدلال.

فالمؤلف -رحمه الله- يريد أن يبيِّن السبب، وأنه ليس كل لفظ يحتمل معنى في سياق يكون محتملاً له في سياق آخر، فاللفظ قد يحتمل معنى في سياق من السياقات لكن لا يحتمل هذا المعنى في سياق آخر، بل يكون من القرائن الحالية أو اللفظية ما يمنع إرادة هذا المعنى بحسب القرينة الحالية وسياق الكلام وتركيبه؛ ولهذا قال:

١٩٨٦- وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ فِي الْإِعْتِبَارِ فَمَا هُمَا سَيَانِ

يعني: قد يكون للفظ معنى عند انفراده ومعنى آخر عند اقترانه في سياق آخر، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: (القرية)، فأحياناً يكون المراد بها أهل القرية، وأحياناً يكون المراد بها نفس القرية.

فإذا سمعت قول الله عز وجل: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥] فالمراد: أهل القرية، وإذا سمعت الله يقول: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ

هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴿ العنكبوت: ٣١ ﴾ فالمرادُ: القريةُ نفسُها، وليس المرادُ هنا أهلُ القرية؛ لأنَّ (أهلَ) موجودةٌ مذكورةٌ، فالمرادُ نفسُ القرية، يعني: إنا مهلكو ساكني هذه القرية.

فتجد أنَّ الكلمةَ الواحدةَ صار لها معنى قاطعٌ في سياقٍ، ومعنى قاطعٌ في سياقٍ آخر.

١٩٨٧- وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «اللفظُ في التَّركيبِ نصٌّ» والنَّصُّ عندهم ما لا يحتملُ إلا معنى واحدًا فهو بمعنى الصَّريح، ومنه قولهم: (مِنَصَّةُ العروس) وَهُوَ الكَرِيسِيُّ الَّذِي تَأْتِي وَتَجْلِسُ عَلَيْهِ، فلو سألتَ الجمعَ مَنْ هذه؟ لقالوا: هي العروس (المرأة) ما يحتملُ غيرَها، كذلك أيضًا النَّصُّ في الكلامِ هُوَ الَّذِي لا يحتملُ سوى معناه، فهو صريحٌ فيه.

قَوْلُهُ: «نصٌّ في الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ» فالتركيبُ يجعلُه نصًّا، ومن هنا قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: (إنه لا مجازَ في القرآن، ولا في اللغة العربية؛ لأنَّ السِّيَاقَ يجعلُ اللفظَ صريحًا في المعنى ونصًّا في المعنى، ولا يحتملُ المجازَ، فقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] غيرُ قولِ القائل: (اكَسِرْ جَنَاحَ الطَّيْرِ)؛ لأنَّ الكُلَّ يعرفُ أنَّ (اكَسِرْ جَنَاحَ الطَّيْرِ) المرادُ به الجناحُ الَّذِي يطيرُ به الطَّيْرُ، وأما ﴿ جَنَاحَ الذَّلِّ ﴾ معناه: مرتفع الذل، يعني: أنك لا ترتفعُ عليهما، بل اخفض لهما، ذلَّ لهما، كالجناح إذا خُفِضَ فَإِنَّ الطَّائِرَ لا يطيرُ.

إِذْ نَ الْكَلَامُ نَصٌّ فِي سِيَاقِهِ، وَحِينَئِذٍ نَقُولُ: لا مجازَ في اللغة العربية؛ لأنَّ السِّيَاقَ يُعَيِّنُ المعنى ويمنعُ المجازَ.

وهذه المسألة - أعني: مسألة المجاز - اختلف الناس فيها، فمنهم من أقره في اللغة والقُرآن، ومنهم من قال: هُوَ مُنْكَرٌ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِ مُنْكَرٍ فِي اللُّغَةِ، وهذا رأي الشيخ الشنقيطي^(١) - رحمه الله - وعلل ذلك بقوله: إِنَّ أَكْبَرَ عِلْمَاتِ الْمَجَازِ صِحَّةُ نَفِيهِ، وليس في الْقُرْآنِ مَا يَصِحُّ نَفِيهِ، فإذا قلت: (أَقْبَلَ أَسَدٌ يَحْمِلُ الْحَقِيئَةَ) فللمخاطب أن يقول: ليس بأسدٍ، وإذا قال: ليس بأسدٍ، فصحيحٌ هُوَ ليس بأسدٍ.

لكن أردُّ عليه بسهولة، وأقول: لِمَا قلنا: (يَحْمِلُ حَقِيئَتَهُ) علمنا أن معنى (أسدٍ) شجاعٌ، فصرنا لا نقصد لفظه الدالَّ على جسده، لكن نقصد اللفظ الدالَّ على المعنى، وهُوَ الشجاعة، وهذا ليس فيه إشكالٌ، ولا يمكن لأحد أن يتبادر إلى ذهنه إذا قلت: (أقبل رجلٌ يحمل الحقيئة) أنه الأسدُ الضرغام.

لكن هل هَذَا الاختلافُ اختلافٌ لفظيٌّ فقط؟

الجوابُ: ليس بصحيح؛ لأنه يترتبُ على هَذَا مسألةٌ تحريف آيات الصِّفَاتِ وأحاديثها، وكذلك أيضًا تحريف النصوص الدالة على الأحكام الفقهية، فقد يُحَرِّفُهَا ويقول: المرادُ من هَذَا المجازُ، كذلك أيضًا في الحِنثِ في اليمين مثلاً: إذا قال: والله لا أتكلَّمُ بكلامٍ مجازٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَلِّ الْقَرِيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] على رأي من يقول: فيه مجازٌ، فإنه يحنثُ؛ لأنه تكلمَّ بالمجاز، فيحنثُ، وتلزمه الكفارة، وعلى رأي من لا يرى ذلك لا يحنثُ؛ لأنَّ هَذَا الكلامَ حقيقةً في سياقه.

ولا يطمئن القلبُ إلَّا إلى هَذَا أي: إلى القول بنفي المجاز في اللغة العربية، لكن الحقيقة قد تُلبسُ ثوبًا جذابًا يجذبُ من أجل صيغة اللفظ، فمثلاً:

(١) انظر كلام الشيخ الشارح - رحمه الله - في شرح العقيدة السفارينية (ص: ٢٥٧).

قول القائل:

وَإِذَا الْمِئْيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(١)

وهذا يُعْطِي المعنى قوةً وهيبَةً، حيثُ شَبَّه المِئْيَةُ بِأَسَدٍ يُنْشِبُ أَظْفَارَهُ، لا يمكنُ أن يفكَّه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، معلوم أن الذُّلَّ ليس له جَنَاحٌ، لكن لَمَّا كان الذُّلُّ يُقَابِلُ التَّعَالِيَّ والْعُلُوَّ والتَّرْفُعَ عَلَى والِدِيهِ، قال: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ بمعنى تَطَامَنَ لهما مع التَّذَلُّلِ.

وهذه المسألة لها غورٌ، ولا شكَّ أن ما قاله شيخ الإسلام - رحمه الله - هو الحقُّ؛ أنه لا مجازَ في اللغة العربية؛ لأنَّ الكلمات في حدِّ ذاتها لا يُعَيَّن معناها تمامًا إِلَّا السِّيَاقُ، فإذا تَعَيَّن معنى الكلمة في سياقها، حينئذٍ يكون احتمالُ إرادة الحقيقة الأصلية في الوضع غيرِ واردةٍ، فيبقى الكلامُ حقيقةً في سياقه، نصًّا في معناه.

وقوله: «وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي فَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ» وهذا واحد.

١٩٨٨- أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَبٌ بَتُّهُ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

قوله: «أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ» الظاهرُ: هُوَ الَّذِي يَحْتَمِلُ معنيين هُوَ في أحدهما أظهرٌ، فمرتبه دون النَّصِّ، يكونُ ظاهراً ولكنه ليس نصًّا، فهو أقلُّ دلالةً من النَّصِّ.

وهناك مُجْمَلٌ يكونُ فيه اللفظُ محتملاً لمعنيين عَلَى السَّوَاءِ.

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في الكامل للمبرد (١٢٧/٢).

إِذْنُ الْكَلَامِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ:

- ما لا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا، فَهَذَا نَصٌّ.
- ما يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ هُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَظْهَرُ، فَهَذَا ظَاهِرٌ، الْأَظْهَرُ هُوَ الظَّاهِرُ.
- ما يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ عَلَى السَّوَاءِ، فَهَذَا مُجْمَلٌ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ.

فَالْمَوْلُفُ بَيَّنَّ هَذَا كُلَّهُ، فَقَالَ: (أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَبْتَهُ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ) يَعْنِي: أَنَّ الظُّهُورَ وَالنَّصِيَّةَ بِحَسَبِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَقَالَ:

١٩٨٩- فَيَكُونُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْدَ سَوَاهِمُ هُوَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ

يعني: يَكُونُ اللَّفْظُ الْوَاحِدُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ مَعْنَى وَاحِدٍ، وَيَكُونُ ظَاهِرًا عِنْدَ طَائِفَةٍ أُخْرَى، يَعْنِي: يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ هُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَظْهَرُ، وَهَنَّاكَ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ يَكُونُ عِنْدَهَا مُجْمَلًا، وَسِيذَكَرُهُ؛ وَلِهَذَا تَجِدُ الْآنَ الْمَفْتِينَ: يُفْتِيكَ رَجُلٌ، فَيَقُولُ: الظَّاهِرُ وَاللَّهُ أَنَّ هَذَا جَائِزٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: كَذَا وَكَذَا، فَيَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ فَاهِمًا لِلدَّلِيلِ فَهَمَ نَصٌّ أَوْ فَهَمَ ظَاهِرٌ؟

الجواب: فَهَمَ ظَاهِرٌ.

وَيَأْتِيكَ مُفْتٍ آخَرَ، فَيَقُولُ: هَذَا حَرَامٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: كَذَا وَكَذَا، فَيَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ فَاهِمًا لِلدَّلِيلِ فَهَمَ نَصٌّ، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَكُونُ الْأَدْلَةُ عِنْدَهُ وَاضِحَةً كَأَنَّهَا نِصُوصٌ صَرِيحَةٌ، وَعِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ تَكُونُ ظَاهِرَةً، وَبَعْضُ النَّاسِ تَكُونُ عِنْدَهُ مُشْتَبِهَةً، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْطِيكَ حَكْمًا مِنْ أَيِّ دَلِيلٍ؛ لِأَنَّ الْأَدْلَةَ عِنْدَهُ مُشْتَبِهَةً.

١٩٩٠- وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ لَهُمُ الْمُرَادُ بِهِ اتَّضَاحَ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَدَى سِوَاهُمْ» يعني: لدى سوى الطائفتين الأوليين.

فَقَسَّم - رحمه الله - الناس باعتبار الدليل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يكون له الدليل نصًا ظاهرًا لا يحتمل معنى آخر.

القسم الثاني: يكون عندهم الدليل ظاهرًا مع احتمال معنى مرجوح.

القسم الثالث: يكون مجملًا لا يتضح به المراد.

ثُمَّ بَيَّنَّ السَّبَبَ، لِمَاذَا كَانَ هَذَا الدَّلِيلُ الْوَاحِدُ نَصًّا عِنْدَ قَوْمٍ، وَظَاهِرًا عِنْدَ قَوْمٍ

وَمُجْمَلًا عِنْدَ آخَرِينَ؟ فَقَالَ:

١٩٩١- فَالْأَوَّلُونَ لِإِلْفِهِمْ ذَاكَ الْخِطَا بَ وَإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طَوَّلَ زَمَانِ

هؤلاء ألفوا خطاب الله ورسوله، وألفوا معناه، وصار المعنى الظاهر

لغيرهم نصًا عندهم، حتى إن بعضهم يُمَيِّزُ صِحَّةَ الْحَدِيثِ مِنْ ضَعْفِهِ بِمَجْرَدِ أَنْ

يَسْمَعَهُ وَإِنْ لَمْ يَرِ سُنْدَهُ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ أَلْفُوا كَلَامَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

وَاخْتَلَطَ بِدِمَائِهِمْ، حَتَّى كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا كَلَامَ الرَّسُولِ مِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ، كَمَا أَنَّا

نَحْنُ الْآنَ إِذَا طَالَعْنَا كِتَابَ عَالِمٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ مَرَّتْ بِنَا عِبَارَةٌ مِنْ عِبَارَاتِهِ وَإِنْ لَمْ

تُنْسَبُ إِلَيْهِ عَرَفْنَا أَنَّهَا مِنْ كَلَامِهِ.

وكثيرًا يمرُّ بنا شيءٌ من كلام شيخ الإسلام نعرف أنه من كلامه وإن لم يكن

منسوبًا إليه؛ لأننا طالعنا كلامه كثيرًا وألفناه، وكذلك ابن القيم وغيره.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَلْفُوا كَلَامَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

وَفَهَمُوهُ يَكُونُ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ نَصًّا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

- ١٩٩٢- طَالَ الْمِرَاسُ لَهُمْ لِمَعْنَاهُ كَمَا اشْتَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَلِكَ الشَّانِ
- ١٩٩٣- وَالْعِلْمُ مِنْهُمْ بِالْمُحَاطَبِ إِذْ هُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
- ١٩٩٤- وَلَهُمْ أَنْتُمْ عِنَايَةٌ بِكَلَامِهِ وَقُصُودِهِ مَعَ صِحَّةِ الْعِرْفَانِ
- ١٩٩٥- فَخِطَابُهُ نَصْرٌ لَدَيْهِمْ قَاطِعٌ فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التَّبْيَانِ
- ذكر - رحمه الله - أمورًا متعددة:

أولاً: أنهم ألفوا خطابَ الرسول - عليه الصلاة والسلام - وألفوا معناه من كثرة ممارستهم له.

ثانياً: أن لهم عنايةً تامةً في معرفة كلام النبي ﷺ وتدبر معناه حتى يكون عندهم نصّاً قاطعاً.

ثالثاً: أنهم يعلمون بحالِ الرسول - عليه الصلاة والسلام - ومراده ومقصده؛ لأنهم يعرفون الغاياتِ الحميدةَ من الشريعة الإسلامية، فتجددهم يعرفون مراد النبي ﷺ بخطابه نصّاً قاطعاً؛ لأنهم يعرفون مقاصد الشريعة.

فلأجل هذه الأمور الثلاثة كانوا يعلمون مراد النبي ﷺ بكلامه علماً قاطعاً نصّاً.

- ١٩٩٦- لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي ذَلِكَ لَمْ يَقْطَعْ بِقَطْعِهِمْ عَلَى الْبُرْهَانِ
- الذين دون هؤلاء إمّا في إلفهم لكلام الرسول وكونهم لا يبارسونه دائماً، وكون أكثر ما يقرؤون كتب العلماء دون الأدلة، أو لأشياء أخرى تكون في نفوسهم تمنعهم من أن يكون الكلام نصّاً لديهم.

١٩٩٧- وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ فِي ذِهْنِهِ لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ
قَوْلُهُ: «وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ فِي ذِهْنِهِ»؛ لَأَنَّهُ لَوْ كَانَ قَاطِعًا لَكَانَ
نَصًّا، لَكِنَّهُ يَقُولُ: يَظْهَرُ كَذَا.

قَوْلُهُ: «فِي ذِهْنِهِ لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ» لَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ نَصٌّ، بَلْ وَهُنَاكَ
مَنْ هُوَ دُونَهُ يَقُولُ: إِنَّهُ مُجْمَلٌ؛ وَهَذَا قَالَ: «لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ».

١٩٩٨- وَلِإِلْفِهِ بِكَلَامٍ مَنْ هُوَ مُقْتَدٍ بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الْأَزْمَانِ
١٩٩٩- هُوَ قَاطِعٌ بِمُرَادِهِ وَكَلَامُهُ نَصٌّ لَدَيْهِ وَاضِحٌ التَّبْيَانِ

يقول: هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ لَا يَفْهَمُ الْأَدْلَةَ؛ لَأَنَّهُ مُشْتَغَلٌ بِكَلَامٍ مَتَّبِعِهِ
وَمُقَلِّدِهِ، فَتَجَدَّه يَفْهَمُ مِنْ خُطَابٍ مُقَلِّدِهِ نَصَّ الْمُقَلِّدِ فَهَمَّا قَاطِعًا (نَصًّا) لَكِنْ كَلَامُ
الرَّسُولِ ﷺ لَا يَفْهَمُهُ هَذَا الْفَهْمَ.

وَمَا قَالَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَاقِعٌ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا سَيِّمًا الْمَكْبُوتِ
عَلَى الْكُتُبِ الْمَهْتَمُونَ بِالتَّقْلِيدِ تَجَدَّه إِذَا جَاءَتْهُمْ النُّصُوصُ يَقْفُونَ حِيَارَى، لَكِنْ فِي
كُتُبِ مُقَلِّدِيهِمْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ كَامِلٌ يَفْهَمُونَ النُّصُوصَ مَنْطُوقًا وَمَفْهُومًا وَإِيهَاءً
وَإِشَارَةً بِخِلَافِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَالَّذِي يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُرَكِّزَ عَلَى فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ
قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَسْتَعِينَ عَلَى فَهْمِهَا بِكُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَعْنِي: لَا يَطْرُحُ كُتُبَ
أَهْلِ الْعِلْمِ جَانِبًا، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَيَدَعِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، بَلْ يَأْخُذُ مِنْ هَذَا وَهَذَا
وَيَجْعَلُ الْعَمْدَةَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

- ٢٠٠٠ - وَالْفِتْنَةُ الْعُظْمَى مِنَ الْمُتَسَلِّقِ الْ-
مُحْدُوعِ ذِي الدَّعْوَى أَخِي الْهَدْيَانِ
- ٢٠٠١ - لَمْ يَعْرِفِ الْعِلْمَ الَّذِي فِيهِ الْكَلَا
مٌ وَلَا لَهُ إِلْفٌ بِهَذَا الشَّانِ
- ٢٠٠٢ - لَكِنَّهُ مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ
سُكَّانِهِ كَلًّا وَلَا الْحِيرَانِ
- ٢٠٠٣ - فَهُوَ الزَّيْنِمُ دَعِيٌّ قَوْمٌ لَمْ يَكُنْ
مِنْهُمْ وَلَمْ يَصْحَبْهُمْ بِمَكَانِ
- ٢٠٠٤ - وَكَلَامُهُمْ أَبَدًا لَدَيْهِ مُجْمَلٌ
وَبِمَعْزِلٍ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ
- ٢٠٠٥ - نَشَدَ التَّجَارَةَ بِالزُّيُوفِ يَحَالَهَا
نَقْدًا صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ
- ٢٠٠٦ - حَتَّى إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ نَالَهُ
مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسُوءٌ هَوَانِ
- ٢٠٠٧ - فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ
نَقْدُ الزُّيُوفِ يَرُوجُ فِي الْأَثْمَانِ
- ٢٠٠٨ - وَرَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بِدُونِ الطَّعْنِ فِي
بَاقِي النَّقُودِ فَجَاءَ بِالْعُدْوَانِ
- ٢٠٠٩ - وَاسْتَعَوَّضَ الثَّمَنَ الصَّحِيحَ بِجَهْلِهِ
وَبِظُلْمِهِ يَبْغِيهِ بِالْبُهْتَانِ
- ٢٠١٠ - عَوَجًا لِيَسْلَمَ نَقْدُهُ بَيْنَ الْوَرَى
وَيَرُوجُ فِيهِمْ كَامِلُ الْأَوْزَانِ
- ٢٠١١ - وَالنَّاسُ لَيْسُوا أَهْلَ نَقْدٍ لِلَّذِي
قَدْ قِيلَ إِلَّا الْفَرْدِي فِي الْأَزْمَانِ
- ٢٠١٢ - وَالزَّيْفُ بَيْنَهُمْ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي
قَدْ رَاجَ فِي الْأَسْفَارِ وَالْبُلْدَانِ
- ٢٠١٣ - إِذْ هُمْ قَدْ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا
بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
- ٢٠١٤ - فَإِذَا أَنَّهُمْ غَيْرُهُ وَلَوْ أَنَّهُ
ذَهَبٌ مُصَفًّى خَالِصُ الْعِيقَانِ
- ٢٠١٥ - رَدُّوهُ وَاعْتَذَرُوا بِأَنَّ نَقُودَهُمْ
مِنْ غَيْرِهِ بِمَرَّاسِمِ السُّلْطَانِ

- ٢٠١٦- فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِتَقْدِ غَيْرِهِ
 ٢٠١٧- وَاللَّهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ
 ٢٠١٨- يَا مَنْ يُرِيدُ تَجَارَةً تُنْجِيهِ مِنْ
 ٢٠١٩- وَتُقَيِّدُهُ الْأَرْبَاحَ بِالْجَنَّاتِ وَالْ
 ٢٠٢٠- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا
 ٢٠٢١- هَيَّئْ لَهَا ثَمَنًا يُبَاعُ بِمِثْلِهَا
 ٢٠٢٢- نَقَدًا عَلَيْهِ سِكََّةٌ نَبَوِيَّةٌ
 ٢٠٢٣- أَظَنَّتْ يَا مَعْرُورُ بَائِعَهَا الَّذِي
 ٢٠٢٤- مَنَّكَ - وَاللَّهِ - الْمُحَالَ النَّفْسُ إِنْ
 قَطَعْتَ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيوانِ
 نَكْذِبُ عَلَيْهِمْ وَيَحِ ذِي الْبُهْتَانِ
 غَضَبِ الْإِلَهِ وَمَوْقِدِ النَّيرانِ
 حُورِ الْحِسانِ وَرُؤْيَا الرَّحْمَنِ
 مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 لَا تُشْتَرَى بِالزَّيْفِ مِنْ أَثْمَانِ
 ضَرْبِ الْمَدِينَةِ أَشْرَفِ الْبُلْدَانِ
 يَرْضَى بِتَقْدِ ضَرْبِ جِنْكَزْ خَانِ؟
 طَمَعَتْ بِدَا وَخُدَعَتْ بِالشَّيْطَانِ

الشرح

- ٢٠٠٠- وَالْفِتْنَةُ الْعُظْمَى مِنَ الْمُتَسَلِّقِ الْ
 وَهَذَا هُوَ الْقِسْمُ الثَّلَاثُ الَّذِي تَكُونُ الْأَدْلَةُ عِنْدَهُ مِنْ بَابِ الْمُجْمَلِ؛ لِأَنَّهُ
 لَا يَعْرِفُ، فَالْفِتْنَةُ الْعُظْمَى مِنَ الْمُتَسَلِّقِ الْمَخْدُوعِ ذِي الدَّعْوَى أَخِي الْهَدْيَانِ.
 ٢٠٠١- لَمْ يَعْرِفِ الْعِلْمَ الَّذِي فِيهِ الْكَلَا
 مُمٌ وَلَا لَهُ إِنْ فَهَذَا الشَّانِ
 وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، فَالْبَلَاءُ كُلُّ الْبَلَاءِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الدَّلِيلَ وَلَا يَهْتَمُّ بِهِ،
 وَهُوَ عِنْدَهُ غَيْرُ قَاطِعِ الدَّلَالَةِ وَلَا ظَاهِرِ الدَّلَالَةِ أَيْضًا.

٢٠٠٢- لَكِنَّهُ مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِهِ كَلًّا وَلَا الْجِيرَانَ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهُ مِنْهُ» أي: من الكلام الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَهُوَ الدَّلِيلُ.

قَوْلُهُ: «مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِهِ كَلًّا وَلَا الْجِيرَانَ»، فهو غريبٌ، ليس من سكان هَذَا الْمَحَلِّ، ولا من جيرانه حتَّى يفهم.

٢٠٠٣- فَهُوَ الزَّيْمُ دَعِيٌّ قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ وَلَمْ يَضْحَبْهُمْ بِمَكَانِ

قَوْلُهُ: «فَهُوَ الزَّيْمُ» وَالزَّيْمُ هُوَ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَى قَوْمٍ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ

-سبحانه وتعالى-: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ [القم: ١٣] فهو يدَّعي العلم، ولكنه ليس من العلماء.

٢٠٠٤- وَكَلَامُهُمْ أَبَدًا لَدَيْهِ مُجْمَلٌ وَبِمَعْزِلٍ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَامُهُمْ» الضميرُ يعودُ عَلَى كَلَامِ الْقَوْمِ الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ

لدى هَذَا الرَّجُلِ، (مُجْمَلٌ) لَا يَبِينُ الْمُرَادُ بِهِ؛ وَهَذَا يَقُولُ: (بِمَعْزِلٍ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ)؛ وَهَذَا يَقُولُونَ: النُّصُوصُ دَلَالَتُهَا ظَنِّيَّةٌ، وَالْعَقْلُ دَلَالَتُهُ قَطْعِيَّةٌ، وَلَا مَعَارِضَةَ بَيْنَ الظَّنِّيِّ وَالْقَطْعِيِّ؛ لِأَنَّنا نَقْدِّمُ الْقَطْعِيَّ عَلَى الظَّنِّيِّ؛ وَهَذَا قَدَّمُوا الْعُقُولَ وَأَنْكَرُوا الْمُنْقُولَ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

فبعضهم مثلاً يقول في الْقُرْآنِ: الْقُرْآنُ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمَعْنَى ظَنِّيَّةٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ

أَنْ يَطْعَنَ فِي سِنْدِهِ، وَالْأَحَادِيثُ إِنْ كَانَتْ مِنْ قِسْمِ الْمُتَوَاتِرِ الَّذِي لَا يُمْكِنُ رُدُّهُ، يَقُولُ: دَلَالَتُهَا ظَنِّيَّةٌ كَالْقُرْآنِ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُمْكِنُ رُدُّهُ - وَهُوَ عِنْدَهُمْ خَبَرُ الْآحَادِ وَلَوْ صَحَّ - يَقُولُ: هُوَ ظَنِّيُّ الثَّبُوتِ فَلَا يُعَارِضُ الْقَطْعِيَّ؛ وَهَذَا ضَلُّوا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - ضَلَالًا بَعِيدًا.

فالقاعدة عندهم أنَّ الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين؛ لأنها إما ظنية الثبوت، وإما ظنية الدلالة، ما الذي يفيد اليقين عندهم؟ الجواب: العقل، هَذَا الْعَقْلُ الَّذِي اضطربوا فيه أعظم اضطراب، لم يختلفوا في شيء كما اختلفوا في مدلولات العقول، حتى إنَّ بعضهم - كما قال شيخ الإسلام - يقول: «هذا واجبٌ عقلاً»، ويأتي آخر يقول: «هذا مستحيلٌ عقلاً» وهذان طرفا نقيض، بل إنَّ بعضهم في مؤلفاته القديمة والحديثة يرى امتناع ما رأى وجوبه من قبل.

فأين اليقين في دلالة العقل بين قوم يرى بعضهم أن هَذَا واجبٌ عقلاً، والثاني يرى أنه مستحيلٌ عقلاً؟! أو أنَّ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ نَفْسَهُ يَقُولُ فِي مَوْضِعٍ: هَذَا مستحيلٌ، ويقولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: هَذَا واجبٌ، فأين الدلالة القطعية في الأمور العقلية، ولكن كلام الله وكلام رسوله حسب ما أَلْفَ الْإِنْسَانَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وكلام الرسول - عليه الصلاة والسلام - يعرفُ أَنَّ هَذَا نَصٌّ قاطعٌ في دلالاته، والآخِرُ الَّذِي دُونَهُ يَرَى أَنَّهُ ظَاهِرٌ، أَمَا الْمُسَلِّقُ الَّذِي يَدَّعِي الْمَعْرِفَةَ وَلَيْسَ بِعَارِفٍ فهذا يرى أنه مُجْمَلٌ وليس فيه شيءٌ يقينيٌّ.

٢٠٠٥ - نَشَدَ التَّجَارَةَ بِالزُّيُوفِ يَخَالُهَا نَقْدًا صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانٍ

إنسان صلَّحوا له قطعاً من الحديد مموَّهة بفضة، مصوَّرة صورة الدرهم، وقالوا: هَذِهِ دَرَاهِمٌ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ، مَاذَا يَكُونُ قَبُولُهُ لَهَا؟ يَقْبَلُهَا عَلَيَّ أَنَّهُ نَقْدٌ صحيح.

٢٠٠٦ - حَتَّى إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ نَالَهُ مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسُوءٌ هَوَانٍ

إذا رُدَّتْ إِلَيْهِ هَذِهِ الزُّيُوفُ قِيلَ: أَنْتَ أُعْطِيتْنَا دَرَاهِمَ مُرَبِّفَةً، حِينَئِذٍ يَبُوءُ بِالخِزْيِ وَالْهَوَانِ.

٢٠٠٧- فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ نَقْدُ الزُّيُوفِ يَرْوِجُ فِي الْأَثْمَانِ

٢٠٠٨- وَرَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بَدُونِ الطَّعْنِ فِي بَاقِي النَّقُودِ فَجَاءَ بِالْعُدْوَانِ

لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَحِّحَ نَقْوَدَهُ الزَّائِفَةَ مَاذَا قَالَ؟ قَالَ: لِمَاذَا تَقُولُ: زَائِفَةٌ؟ قَالَ: لِأَنَّ التِّي بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ تَخَالَفُ نَقْوَدَكَ، قَالَ: كُلُّ النَّقُودِ الَّتِي فِي أَيْدِي النَّاسِ كُلُّهَا زَائِفَةٌ، وَليست بصحيحة، والصحيح عندي.

طَبَّقَ هَذَا عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ، يَقُولُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ: كُلُّ مَا قُلْتُمْ خَطَأً، وَالصَّوَابُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَهَذِهِ تَنْطَبِقُ عَلَى هَذَا الْمَثَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ.

٢٠٠٩- وَاسْتَعْوَضَ الثَّمَنَ الصَّحِيحَ بِجَهْلِهِ وَبِظُلْمِهِ يَبْغِيهِ بِالْبُهْتَانِ

يعني: أنه يريد النقود الصحيحة السليمة، لماذا؟ قال:

٢٠١٠- عِوَجًا لِيَسْلَمَ نَقْدُهُ بَيْنَ الْوَرَى وَيَرْوِجُ فِيهِمْ كَامِلَ الْأَوْزَانِ

وهذا يروج على الناس أو لا؟ الجواب: نعم، يروج؛ ولهذا قال:

٢٠١١- وَالنَّاسُ لَيْسُوا أَهْلَ نَقْدٍ لِلَّذِي قَدْ قِيلَ إِلَّا الْفَرْدُ فِي الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَّا الْفَرْدُ» يَجُوزُ الْوَجْهَانِ (الْفَرْدُ)، وَ(الْفَرْدُ).

وَصَدَقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، يَعْنِي: أَنَّ النَّاسَ يَقْلُ فِيهِمْ مَنْ يَعْرِفُ الصَّحِيحَ مِنَ الزَّيْفِ، فَلَا يَوْجَدُ إِلَّا الْفَرْدُ فِي الْأَزْمَانِ.

٢٠١٢- وَالزَّيْفُ بَيْنَهُمْ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي قَدْ رَاجَ فِي الْأَسْفَارِ وَالْبُلْدَانِ

يعني: أكثر الناس وعامة الناس ليسوا أهلاً للنقد، فلا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الزَّيْفِ وَهُوَ

المعيَّبُ وبين الخالص النقيِّ إلاَّ الفرد، يعني: الواحد في المائة، أو الواحد في الألف.

فأكثرُ ما يروج عند الناس هو الشيء المزيَّف.

٢٠١٣- إِذْهُمْ قَدِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ

قَوْلُهُ: «إِذْهُمْ» أي: الناس الذين اغتروا بالزيَّف، وأخذوا به.

قَوْلُهُ: «قَدِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ» وكتبهم مملوءةٌ بهذا، تجدهم يقرِّرون التعطيلَ ونفيَ صفات الله عزَّ وجلَّ بهذه التعليقات التي يرونها معقولاتٍ وهي مجهولاتٌ في الحقيقة.

٢٠١٤- فَإِذَا آتَاهُمْ غَيْرُهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذَهَبٌ مُصَفًّى خَالِصٌ الْعِقْيَانِ

٢٠١٥- رَدُّوهُ وَاعْتَدَرُوا بِأَنَّ نَقُودَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ بِمَرَّاسِمِ السُّلْطَانِ

يردُّون النقدَ الصحيحَ الخالصَ بحُجَّةٍ أنَّ نقودَهُم من غير هذا النقد ولو كان النقد الَّذي ردَّوه من الذهب الخالص؛ لأنَّ مراسمَ السُّلْطَانِ قرَّرت هذا النقدَ المزيَّف.

والمؤلفُ -رحمه الله- إنما ضرب مثلاً بالنقد، وإلاَّ فهو يريدُ كلامَ أهل الكلام الذين يتبعون علماءهم وأئمتهم، ويقولون: لا نخرجُ عمَّا قاله أئمتنا مهما كان، فهو المقبولُ عندهم، وسواه مردودٌ.

٢٠١٦- فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِنَقْدٍ غَيْرِهِ قُطِعَتْ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيَّانِ

يعني: لو أننا تعاملنا بنقدٍ غير الَّذي ضربه السُّلْطَانُ قُطِعَتْ الجوامكُ، و«الجوامكُ» هي عبارة عمَّا يُسمَّى عندنا بالعوائد التي يُهدِيها السُّلْطَانُ للناس،

وَيُسَمِّيهَا بَعْضُ النَّاسِ بِـ (الشَّرَهَاتِ)، وَتَخْتَلِفُ الْأَسْمَاءُ لَكِنِ الْمَعْنَى وَاحِدٌ، يَعْنِي:
مَا يُجْعَلُ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِلنَّاسِ إِمَّا سَنَوِيًّا، أَوْ شَهْرِيًّا، أَوْ كُلَّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ، فَالْجَوَامِكُ هِيَ عِبَارَةٌ عَمَّا يَأْخُذُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.

يقولون: نحن لو قبلنا هَذَا النَقْدَ الصَّحِيحَ السَّلِيمَ وتركنا نَقْدَ السُّلْطَانِ ماذا
يصنع؟ الجواب: تُقَطَّعُ الْجَوَامِكُ، وَلَا يَأْتِينَا رِزْقٌ مِنَ السُّلْطَانِ.

٢٠١٧- وَاللَّهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ وَيَحَ ذِي الْبُهْتَانِ

المؤلف - رحمه الله - يُقَسِّمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَقْسَمَ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامٌ تَجِبُ الْعِنَايَةُ
بِهِ، وَالْقَسَمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ جَائِزٌ وَإِنْ لَمْ يُطْلَبْ مِنَ الْإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بَلَى
وَرَبِّي لَأُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: ٧] وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا حَرَجَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُقَسِّمَ بِاللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَإِنْ لَمْ يُسْتَقْسَمْ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ ذَا أَمِيَّةٍ.

٢٠١٨- يَا مَنْ يُرِيدُ تَجَارَةً تُنْجِيهِ مِنْ غَضَبِ الْإِلَهِ وَمَوْقِدِ النَّيْرَانِ

٢٠١٩- وَتُقْبِدُهُ الْأَرْبَاحَ بِالْجَنَّاتِ وَالْحُورَ الْحِسَانَ وَرُؤْيَا الرَّحْمَنِ

٢٠٢٠- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٢٠٢١- هَيْئُ لَهَا ثَمَنًا يُبَاعُ بِمِثْلِهَا لَا تُشْتَرَى بِالزَّيْفِ مِنْ أَثْمَانِ

٢٠٢٢- نَقْدًا عَلَيْهِ سِكَّةٌ نَبَوِيَّةٌ ضَرَبَ الْمَدِينَةَ أَشْرَفَ الْبُلْدَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ سُلْطَانٍ» يَعْنِي: مِنْ قُدْرَةٍ.

هَذَا أَيْضًا كَمَا سَبَقَ مِنْ ضَرْبِ الْمَثَلِ، يَعْنِي: الَّذِي يُرِيدُ النَّجَاةَ مِنَ النَّيْرَانِ
وَدُخُولَ الْجَنَّاتِ فَلْيَشْتَرِ هَذِهِ الْجَنَّةَ بِالثَّمَنِ الْمُهَيَّأِ لَهَا، وَالنَّقْدُ الَّذِي يَكُونُ ثَمَنًا لَهَا هُوَ

النقدُ الَّذِي عَلَيْهِ السَّكَّةُ النّبويَّةُ (ضرب المدينة)، وماذا يريدُ بهذا النقدِ الَّذِي عَلَيْهِ السَّكَّةُ؟ الجواب: الكتاب والسُّنَّةُ، فالذي يريدُ النجاةَ عَلَيْهِ بالكتاب والسُّنَّةُ وليدعُ علمَ الكلام وهذيان أهله.

٢٠٢٣- أَظْنَنْتَ يَا مَغْرُورٌ بِأَيْعَهَا الَّذِي يَرْضَى بِنَقْدِ ضَرْبِ جِنْكَزْ خَانَ؟

هذا أحد ملوك التتار له سِكَّةٌ مضروبٌ عليها اسمُه، هَذَا رضي بالنقد، وترك النقدَ السَّلِيمَ الصَّحِيحَ، والمرادُ بذلك أيضًا كما سبق ما عند أهل الكلام من الكلام الفارغ الَّذِي رضيهِ هَذَا لنفسه وترك الكلامَ الصَّحِيحَ السَّلِيمَ.

٢٠٢٤- مَتَّكَ - وَاللَّهِ - الْمُحَالَ النَّفْسُ إِنْ طَمِعَتْ بِدَا وَخُدِعَتْ بِالشَّيْطَانِ

صدق - رحمه الله -، فالعاجزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ، فالإنسانُ الَّذِي يَغْتَرُّ بِظَاهِرِ الْحَالِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَزْعَمُ أَنَّهُ هُوَ الْمُوحَّدُ قَدْ غَرَّتْهُ نَفْسُهُ وَغَرَّهُ الشَّيْطَانُ.

٢٠٢٥- فَاسْمَعْ إِذَنْ سَبَبَ الضَّلَالِ وَمَنْشَأَ التَّخْلِيطِ إِذْ يَتَنَاظَرُ الْحَضَمَانِ

٢٠٢٦- يَحْتَجُّ بِاللَّفْظِ الْمُرَكَّبِ عَارِفٌ مَضْمُونُهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَانِ

٢٠٢٧- وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالْتَّرْكِيبِ مَحْفُوفٌ بِهِ لِلْفَهْمِ وَالتَّبْيَانِ

٢٠٢٨- جُنْدٌ يُنَادِي بِالْبَيَانِ عَلَيْهِ مِثْلُ لِنَدَائِنَا بِإِقَامَةِ وَأَذَانِ

٢٠٢٩- كَيْ يَحْضَلَ الْإِعْلَامُ بِالْمَقْصُودِ مِنْ إِيْرَادِهِ وَيَصِيرُ فِي الْأَذْهَانِ

٢٠٣٠- فَيُنْفِكُ تَرْكِيبَ الْكَلَامِ مُعَانِدٌ حَتَّى يُقْلِقَلَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ

- ٢٠٣١ - وَيَرُومَ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِّلَتْ
مَعْنَى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِي
- ٢٠٣٢ - فَيَكُونُ دُبُوسَ الشُّقَاقِ وَعُدَّةً
لِلدَّفْعِ فِعْلَ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ
- ٢٠٣٣ - فَيَقُولُ: هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُحْ
تَمِلٌ، وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ
- ٢٠٣٤ - وَبِذَلِكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الْوَرَى
وَالْفَهْمُ مِنْ حَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
- ٢٠٣٥ - إِذْ أَكْثَرَ الْأَلْفَاظِ تَقْبَلُ ذَاكَ فِي الْ
إِنْفِرَادِ قَبْلَ الْعَقْدِ وَالتَّيْبَانِ
- ٢٠٣٦ - لَكِنْ إِذَا مَا رُكِّبَتْ زَالَ الَّذِي
قَدْ كَانَ مُحْتَمَلًا لَدَى الْوَحْدَانِي
- ٢٠٣٧ - فَإِذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمَلًا لِغَيْبِ
رِ مُرَادِهِ أَوْ فِي كَلَامٍ ثَانِي
- ٢٠٣٨ - لَكِنْ ذَا التَّجْرِيدِ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ
يُفْرَضُ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الْأَذْهَانِ
- ٢٠٣٩ - وَالْمُفْرَدَاتُ بِغَيْرِ تَرْكِيبٍ كَمَثُ
لِ الصَّوْتِ تَعْقُهُ بِتِلْكَ الضَّانِ
- ٢٠٤٠ - وَهُنَالِكَ الْإِجْمَالُ وَالتَّشْكِيكُ وَالتَّ
تَجْهِيلُ وَالتَّحْرِيفُ بِالْبُطْلَانِ
- ٢٠٤١ - فَإِذَا هُمْ فَعَلُوهُ رَأَمُوا نَقْلَهُ
لِمُرَكَّبٍ قَدْ حُفَّ بِالتَّيْبَانِ
- ٢٠٤٢ - وَقَضُوا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالْحُكْمِ الَّذِي
حَكَمُوا بِهِ لِلْمُفْرَدِ الْوَحْدَانِي
- ٢٠٤٣ - جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتَدْلِيْسًا وَتَلْ
بِيْسًا وَتَرْوِيْجًا عَلَى الْعُمَيَّانِ

الشرح

هذه الأبيات مفيدة ومهمة، خلاصتها أن اللفظ وإن كان محتملاً من حيث هو لفظ لمعانٍ متعددة، فإنه عند التركيب لا يحتمل إلا المعنى الذي دلَّ عليه السياق.

فـ(العرش) - كما سبق - يحتمل معاني كثيرة، لكن عند التركيب لا يحتمل إلا معنى واحداً، و(الإستواء) يحتمل معاني متعددة، لكن عند التركيب لا يحتمل إلا معنى واحداً، وهكذا.

يقول:

٢٠٢٥- فَاسْمَعِ إِذْنَ سَبَبِ الضَّلَالِ وَمُنْشَأَ التَّخْلِيصِ إِذْ يَتَنَاطَرُ الْخَصْمَانِ
ثُمَّ ذَكَرَ السَّبَبَ، فَقَالَ:

٢٠٢٦- يَحْتَجُّ بِاللَّفْظِ الْمُرَكَّبِ عَارِفٌ مَضْمُونَهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَانِ
الإنسان الذي يعرف مضمون الكلام إنما يحتج به حين يكون مركباً، فأما إذا
وُزِعَ ومُزِقَ وأُتِيَ بكُلِّ كلمة على وحدة فإنه لا يكون كلاماً في الواقع، فلو قلنا:
(جاء زيدٌ ركباً) وفصلنا هذه الكلمات الثلاث، قلنا: (جاء) وحدها، وجعلنا
(زيد) وحدها، (وركباً) وحدها هل يفيد؟ الجواب: لا يفيد، فالكلمات في حدِّ
ذاتها لا تفيد إلا بالتركيب، والتركيب يُعَيِّنُ المعنى، بحيث لا يجوز معنى آخر
سوى هذا الذي دلَّ عليه التركيب.

٢٠٢٧- وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالْتَّرَكِيبِ مَحْـمُوفٌ بِهِ لِلْفَهْمِ وَالتَّبَيَّانِ

٢٠٢٨- جُنْدٌ يُنَادِي بِالْبَيَانِ عَلَيْهِ مِثْلُ نِدَائِنَا بِإِقَامَةِ وَأَذَانِ

قوله: «جندٌ يُنَادِي بِالْبَيَانِ» يعني: اللفظ إذا سيق بالتركيب مركباً، فإنه
يحتف به جندٌ ينادي بالبيان عليه مثل ندائنا بإقامة وأذان.

وهذا الجند هو الكلمات التي حوله: واحتفت به تُنادي على هذا اللفظ
بالبيان بأن المراد به كذا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ

خَيْرًا ﴿ [الْفُرْقَان: ٥٩] كلمة (العرش) تصلح لكل عرشٍ لكن ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ هَذَا التَّرْكِيبُ أَوْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي احْتَفَّتْ بِالْعَرْشِ تُعَيِّنُ أَنْ يَكُونَ معناه عرش الرب لا غير.

فالقرائنُ يعني: الكلمات التي تحتفُّ باللفظ، جُند ينادي عليه، يقول: هنا ما تريد، هنا ما تريد، لا يتعداه إلى غيره.

٢٠٢٩- كَيْ يَحْضَلُ الْإِعْلَامُ بِالْمَقْصُودِ مِنْ إِيْرَادِهِ وَيَصِيرُ فِي الْأَذْهَانِ وهذا صحيح، تنادي هذه الكلمات المحتفَّة بالكلمة، تنادي بالبيان بأن المراد كذا وكذا، حتى يصير معلوماً لا يتعداه إلى معنى آخر.

٢٠٣٠- فَيْفُكَ تَرْكِيبَ الْكَلَامِ مُعَانِدٌ حَتَّى يُقْلِقَلَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ قَوْلُهُ: «فَيْفُكَ تَرْكِيبَ الْكَلَامِ مُعَانِدٌ» مثل أهل التعطيل يفككونه، يقولون: (استوى) له عدَّة معانٍ، و(العرش) له عدَّة معانٍ، فأَيُّ المعاني تريدون؟ فيشككون.

نقول: هَذَا الْكَلَامُ إِنَّمَا يَكُونُ لَوْ أُفْرِدَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ، أَمَّا مَعَ ضَمِّ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ فَإِنَّ الْمَعْنَى يَتَّعَيْنُ، لَكِنْ أَنْتُمْ تَفَكِّكُونَ الْكَلَامَ، وَتُجْزِّئُونَهُ، وَتَمَزِّقُونَهُ؛ تَضْلِيلًا لِلخَلْقِ.

٢٠٣١- وَيَرُومُ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِلَتْ مَعْنَى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِي قَوْلُهُ: «يَرُومُ» يعني: يقصد.

قَوْلُهُ: «لَفْظَةً قَدْ حُمِلَتْ مَعْنَى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِي» يعني: هَذِهِ اللَّفْظَةُ الَّتِي يُشَكِّكُنَا فِيهَا الْآنَ تَحْتَمِلُ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالَ لَكِنْ فِي كَلَامٍ آخَرَ، أَمَّا فِي هَذَا الْكَلَامِ فَلَا تَحْتَمِلُ الْمَعْنَى الَّذِي رَامَهُ.

٢٠٣٢- فَيَكُونُ دَبُّوسَ الشُّقَاقِ وَعُدَّةٌ لِلدَّفْعِ فِعْلَ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ

قَوْلُهُ: «الدَّبُّوسُ» معروفٌ وَهُوَ مَا يُنْقَرُّ بِهِ مِثْلَ الْمَسَارِ أَوْ شَبِهُهُ.

قَوْلُهُ: «فَيَكُونُ دَبُّوسَ الشُّقَاقِ» يَعْنِي: هُوَ الَّذِي يَضْرِبُ الْمُجْتَمِعَ حَتَّى يُشَقِّقَهُ.

وَفِي نَسْخَةٍ ثَانِيَةٍ: «دَبُّوسَ السَّلَاقِ» يَعْنِي: الْعِظَامُ؛ لِأَنَّهَا إِذَا دُقَّتْ بِالدَّبُّوسِ تَفَرَّقَتْ؛ فَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُمَزَّقَ الْأَدَلَّةُ بِهِ مِثْلَ دَبُّوسِ السَّلَاقِ أَوْ الشُّقَاقِ.

٢٠٣٣- فَيَقُولُ: هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُحْتَمَلٌ، وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ: هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُحْتَمَلٌ» قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: «وَذَا مِنْ أَعْظَمِ

الْبُهْتَانِ»؛ لِأَنَّهُ بِسِيَاقِهِ لَيْسَ مُجْمَلًا وَلَا مُحْتَمَلًا.

٢٠٣٤- وَبِذَلِكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الْوَرَى وَالْفَهْمُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ

يَعْنِي: بِهَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهَا هَذَا الْمُبْتَدِعُ يَفْسُدُ كُلُّ لَفْظٍ فِي الْوَرَى؛ لِأَنَّ

كُلَّ لَفْظٍ إِذَا أُرْدِنَا أَنْ نُمَزِّقَهُ وَنَمَزِّقَ كَلِمَاتِهِ كَلِمَةً كَلِمَةً، وَنَقُولُ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَحْتَمَلُ

كَذَا وَكَذَا، تَبْقَى كُلُّ الْأَلْفَاظِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا لِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَسْتَطِيعُ

أَنْ يُجَزِّيَ الْكَلَامَ، وَيَقُولُ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَحْتَمَلُ كَذَا.

فَنَقُولُ: نَعَمْ، هِيَ تَحْتَمَلُهُ فِي غَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ، أَمَّا فِي هَذَا السِّيَاقِ فَإِنَّهُ جَمَلَةٌ

وَاحِدَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفَكَّكَ، وَلَوْ أَنَّنَا سَلَكَنَا مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ لَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَتَكَلَّمُ

يَفْسُدُ كَلَامُهُ، حَتَّى لَوْ قَالَ الرَّجُلُ لِرَوْجَتِهِ: (أَنْتِ طَالِقٌ)، لَقَلْنَا: فَكَّ تَرْكِيْبِ

الْكَلَامِ: (أَنْتِ) مَبْتَدَأٌ، وَالْخَبْرُ لَيْسَ (طَالِقٌ)؛ بَلْ مِثْلًا: (أَنْتِ جَمِيلَةٌ)، وَأَمَّا (طَالِقٌ)

فَيَحْتَمَلُ: طَالِقًا مِنْ قَيْدٍ، طَالِقًا مِنْ نِكَاحٍ، طَالِقًا مِنَ الْغَمِّ، هَلْ يَكُونُ لِهَذِهِ الْجَمَلَةُ

(أنتِ طالق) فائدة الآن؟ الجواب: لا يكون، فلو أردنا أن نُجزئ كلام الناس جزءاً جزءاً لفسد الكلام كله، وفسد الفهم، ولم يبق للناس فهم صادق.

٢٠٣٥- إِذْ أَكْثَرَ الْأَلْفَاظِ تَقَبُّلَ ذَلِكَ فِي الْإِفْرَادِ قَبْلَ الْعَقْدِ وَالتَّبَيُّانِ

أكثر الأفراد تقبل ذلك، أي: تقبل التعدد والاحتمال.

قوله: «قبل العقد» يعني: قبل أن يُعقدَ بينها وبين، كل الكلمات غالبها يحتمل معنيين لكن السياق يُعيّن.

٢٠٣٦- لَكِنْ إِذَا مَا رُكِّبَتْ زَالَ الَّذِي قَدْ كَانَ مُحْتَمَلًا لَدَى الْوَحْدَانِي

إذا رُكِّبَت الكلمات بعضها مع بعض، فإن الاحتمال الذي يكون فيما لو أُفردت يزول ولا يبقى.

٢٠٣٧- فَإِذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمَلًا لِغَيْرِهِ أَوْ فِي كَلَامٍ ثَانِي

قوله: «إذا تجرد» يعني: فصل بعضه عن بعض، كان محتملاً لغير المراد، أو محتملاً لكلام ثانٍ مُعيّن.

٢٠٣٨- لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدِ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ يُفْرَضُ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الْأَذْهَانِ

قوله: «لكن ذَا التجريد ممتنع» «التجريد» يعني: أن تجريد الكلمات بعضها من بعض ممتنع، كل كلام العرب تجده لا بُدَّ أن يكون مركباً حقيقةً أو حكماً، يعني: لا تجد أبداً في كلام العرب كلمة (زيد) فقط، لا تجد فيه أبداً (قام) فقط، لا بُدَّ في كلام العرب من أن يكون مركباً، ولهذا فإن علماء النحو يقولون: الكلام هو اللفظ المركب، وليس في كلام العرب شيءٌ غير مركب، بل إذا وُجد غير مركب قيل: هذا ليس بكلام ولا عبرة به.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ يُفْرَضُ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الْأَذْهَانِ» يعني: إِنْ فُرِضَ كَلَامٌ مُفْرَدٌ فَهُوَ فِرَضٌ ذَهْنِيٌّ.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ يُفْرَضُ» يعني: يُفْرَضُ التَّجْرِيدُ يَكُنْ - لَا شَكَّ - فِي الْأَذْهَانِ.
وَقَوْلُهُ: «لَا شَكَّ» جملة معترضة.

يعني: إِنْ فُرِضَ تَجْرِيدُ الْكَلَامِ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ فَهَذَا فِي الْأَذْهَانِ، يَعْنِي: أَنَّ الذَّهْنَ يُقَدَّرُ أَنَّ الْكَلَامَ مَتَمَرِّقٌ مُتَفَرِّقٌ، لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ لَا يُمْكِنُ.

٢٠٣٩- وَالْمُفْرَدَاتُ بِغَيْرِ تَرْكِيْبٍ كَمِثْلِ الصَّوْتِ تَنْعِقُهُ بِتِلْكَ الضَّانِ
وهذا صحيح، فالمفردات بغير تركيب مثل الصوت للذي ينطق بالضأن،
فالضأن تفهم صوته وتأتي، أو حسب تعليمه لها، هل هذه كلمات مفيدة؟ الجواب:
أبدًا، فهي تفيد الضأن، لكن لا تفيد الإنسان.

فإذا قدرنا كلمة موجودة بلا تركيب فهي كصوت الناقع بالبهيمة، لا فائدة
منها، وليست واردة.

٢٠٤٠- وَهَذَاكَ الْإِجْمَالُ وَالتَّشْكِيكُ وَالتَّجْهِيلُ وَالتَّخْرِيفُ بِالْبُطْلَانِ
يعني: أننا لو فرضنا أفراد الكلمات بعضها من بعض وتمزيق الكلام حينئذ
يأتي التشكيك.

٢٠٤١- فَإِذَا هُمْ فَعَلُوهُ رَأَمُوا نَقْلَهُ لِمُرَكَّبٍ قَدْ حُفَّ بِالتَّبْيَانِ
قَوْلُهُ: «فَإِذَا هُمْ» الضمير يعود على أهل التعطيل، يعني: إذا فعلوا ذلك
وجردوا الكلمات من معناها عند تمزيقها وتفريدها نقلوا ذلك إلى المركب؛ ولهذا

قال: (نقلوه لمركبٍ قد حُف بالتيان)، فجعلوا المعنى الذي يُحتملُ عند الأفراد هو المعنى الذي يُحتملُ عند التركيب، فضلّوا الناسَ بهذه الطريقة.

٢٠٤٢- وَقَضُوا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالْحُكْمِ الَّذِي حَكَّمُوا بِهِ لِلْمُفْرَدِ الْوَحْدَانِي

٢٠٤٣- جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتَدْلِيْسًا وَتَلْ-بِيْسًا وَتَرْوِيْجًا عَلَى الْعُمِيَانِ

قَوْلُهُ: «جَهْلًا» أَي: مِنْهُمْ.

قَوْلُهُ: «وَتَجْهِيلًا» أَي: لغيرهم، وتدليسا وتليسا وترويجا على العميان؛ لأنهم إذا جاؤوا بهذه الطريق لبسوا على الأعمى، يقولُ مثلا: أليس العرشُ اسمًا لعرش الملك؟ سنقولُ: بلى، اسمًا لعرش الكروم والعنب؟ سنقولُ: بلى، اسمًا لعرش بلقيس؟ سنقولُ: بلى، اسمًا للسقف على الأعمدة؟ سنقولُ: بلى، إذن ما المراد بـ(العرش) الذي استوى عليه الله؟ ماذا نقولُ له؟

نقول: الاحتمالات التي ذكرناها إنما هو في (العرش) عند الأفراد، أمّا إذا جاء في سياق مركبٍ فإنّ هذا السياقُ يُعيّنُ المراد، فقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] (العرش) هنا لا يحتملُ هذه المعاني التي ذُكرت، إنّما يدلُّ على عرشٍ خاصٍ بالله عزَّ وجلَّ فقط، لا عرش بلقيس، ولا عرش الكروم، ولا سقف البيت، بل هو عرشُ الله عزَّ وجلَّ والذي عيّنه هو السياقُ، لكن هم يأتون للعامة وأشباههم فيقولون: (العرش) له عدّة معانٍ فأبيّ معنى تريدُ؟ نقولُ: هذا الاحتمالُ إنما هو عند الأفراد، أمّا عند الضمِّ، فإنّ الكلماتِ إذا ضُمَّ بعضها مع بعضٍ تعيّن المرادُ بالسياق.

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغطا الفلاسفة في تجريد المعاني

- ٢٠٤٤ - هَذَا هَذَاكَ اللَّهُ مِنْ إِضْلَالِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ
- ٢٠٤٥ - كَمُجَرَّدَاتٍ فِي الْخِيَالِ وَقَدْ بَنَى قَوْمٌ عَلَيْهَا أَوْهَنَ الْبُنْيَانِ
- ٢٠٤٦ - ظَنُّوا بِأَنَّ لَهَا وَجُودًا خَارِجًا وَوُجُودَهَا لَوْ صَحَّ فِي الْأَذْهَانِ
- ٢٠٤٧ - أَنَّى وَتِلْكَ مُشَخَّصَاتٌ حُصِّلَتْ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ بَعِيَانٍ!؟
- ٢٠٤٨ - لَكِنَّهَا كَلِّيَّةٌ إِنْ طَابَقَتْ أَفْرَادَهَا كَاللَّفْظِ فِي الْمِيزَانِ
- ٢٠٤٩ - يَدْعُونَهُ الْكُلِّيَّ وَهُوَ مُعَيَّنٌ فَرْدٌ كَذَا الْمَعْنَى هُمَا سَيَّانِ
- ٢٠٥٠ - مُتَجَرَّدَاتٍ فِي الذَّهْنِ أَوْ فِي خَارِجٍ عَنِ كُلِّ قَيْدٍ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٢٠٥١ - لَا الذَّهْنُ يَعْقِلُهُ وَلَا هُوَ خَارِجٌ هُوَ كَالْخِيَالِ لَطِيفِهِ سُكْرَانِ
- ٢٠٥٢ - لَكِنْ تَجَرَّدُهَا الْمُقَيَّدُ ثَابِتٌ وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ بِلَا إِمْكَانِ
- ٢٠٥٣ - فَتَجَرَّدُ الْأَعْيَانِ عَنِ وَصْفٍ وَعَنِ وَضْعٍ وَعَنِ وَقْتٍ لَهَا وَمَكَانِ
- ٢٠٥٤ - فَرَضَ مِنَ الْأَذْهَانِ يَفْرِضُهُ كَفَرَضِ ضِ الْمُسْتَحِيلِ هُمَا لَهَا فَرَضَانِ
- ٢٠٥٥ - اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ دَهَى مِنْ فَاضِلٍ هَذَا التَّجَرُّدُ مِنْ قَدِيمِ زَمَانِ!
- ٢٠٥٦ - تَجْرِيدُ ذِي الْأَلْفَاظِ عَنِ تَرْكِيبِهَا وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ الْمَعَانِي الثَّانِي

- ٢٠٥٧- وَالْحَقُّ أَنْ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ مَفْرُوضٌ فَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ فِي الْأَذْهَانِ
 ٢٠٥٨- فَيَقُودُكَ الْحَصْمُ الْمُعَانِدُ بِالَّذِي سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الْأَعْيَانِ
 ٢٠٥٩- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتَّبْيَانِ

الشرح

يقول المؤلف في هذا الفصل: إن هؤلاء الذين جرّدوا الألفاظ عن معانيها، ولم يُعيّنوا المعنى بالسّياق يُشبهون مَنْ جرّدوا الأعيان عن أوصافها وهم الفلاسفة؛ لأنّ الفلاسفة - كما هو معلوم - قالوا: إنّ الله تعالى لا يُوصفُ بصفاتٍ ثبوتيةٍ ولا صفاتٍ سلبيةٍ، يعني: لا تصفه بوجودٍ ولا عدم، وعلة ذلك عندهم أنك لو وصفته بالإثبات شبّهته بالموجودات، ولو وصفته بالنفي شبّهته بالمعدومات، إذن فلا تصفه بنفي ولا إثبات.

فقليل لهم: لا يمكن أن تُوجدَ عينٌ لا تُوصفُ بإثبات ولا نفي إلا ما يتخيّله الذهنُ فرضاً أمّا في الخارج، يعني: بأن تُوجدَ عينٌ مستقلةٌ مجسّدةٌ، فإنه لا يمكن أن تُوجدَ عينٌ إلا موصوفةٌ إمّا بنفي وإمّا بإثبات.

والفروضُ الذهنيّةُ لا تدلُّ على حقيقة المفروض، فالإنسان قد يفرض الجمعَ بين الضدّين، ولكن هل الجمعُ بين الضدّين ممكنٌ؟ الجواب: لا.

يقول المؤلف - رحمه الله -: إنّ غلطَ هؤلاء في تجريد الكلمات عن المعنى كغلط هؤلاء في تجريد الأعيان عن الأوصاف.

يقول - رحمه الله -:

٢٠٤٤- هَذَا هَذَاكَ اللَّهُ مِنْ إِضْلَالِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ» أَي: فِي النُّطْقِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَكَلَّمَ فَإِنَّمَا يَعْنِي مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ السِّيَاقِ، وَلَا يَعْنِي غَيْرَهُ، وَيَكُونُ السِّيَاقُ مَعِينًا لِلْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنَ الْمَتَكَلَّمِ.

وَقَوْلُهُ: «فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ»، وَفِي نَسْخَةِ «فِي الْمَنْطِقِ الْيُونَانِي» فَيُشِيرُ إِلَى مَذْهَبِ الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ قَالُوا بِتَجْرِيدِ الْأَعْيَانِ عَنْ أَوْصَافِهَا، هَؤُلَاءِ جَرَّدُوا الْكَلِمَاتِ عَنْ مَعَانِيهَا، وَأَوْلَتْكَ جَرَّدُوا الْأَعْيَانَ عَنْ أَوْصَافِهَا.

٢٠٤٥- كَمْ جَرَّدَاتٍ فِي الْخَيَالِ وَقَدْ بَنَى قَوْمٌ عَلَيْهَا أَوْ هَنَ الْبُنْيَانِ يُشِيرُ إِلَى الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنَّ الْإِلَهَ مُوصُوفًا بِالْإِثْبَاتِ أَوْ مُوصُوفًا بِالنَّفْيِ.

٢٠٤٦- ظَنُّوا بِأَنَّ لَهَا وُجُودًا خَارِجًا وَوُجُودَهَا لَوْ صَحَّ فِي الْأَذْهَانِ قَوْلُهُ: «ظَنُّوا» أَي: هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ. قَوْلُهُ: «بِأَنَّ لَهَا وُجُودًا خَارِجًا» يَعْنِي: ظَنُّوا أَنَّهُ تُوُجِدُ ذَاتٌ لَا تُوصَفُ بِإِثْبَاتٍ وَلَا نَفْيٍ.

فَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «وَوُجُودَهَا لَوْ صَحَّ» فِي أَيِّ شَيْءٍ؟

الجواب: فِي الْأَذْهَانِ، يَعْنِي: أَنَّ الذَّهْنَ هُوَ الَّذِي يَفْرَضُ ذَاتًا لَيْسَ لَهَا صِفَاتٌ، أَمَّا فِي الْخَارِجِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوُجِدَ ذَاتٌ بِلَا صِفَاتٍ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ صِفَاتِهَا إِلَّا الْوُجُودُ لَكَانَ كَافِيًا، مِثْلًا أَمَامَنَا عَصَا قَائِمَةٌ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: هَذِهِ الْعَصَا لَيْسَتْ مَوْجُودَةً وَلَا مَعْدُومَةٌ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، لَكِنَّ الذَّهْنَ قَدْ يَفْرَضُ أَشْيَاءَ مُسْتَحِيلَةً.

٢٠٤٧- أَنَّى وَتِلْكَ مُشَخَّصَاتٌ حُصِّلَتْ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ بَعِيَانٍ؟!

يعني: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَنْفِي وَجُودَ صِفَةٍ فِي الْأَعْيَانِ أَوْ وَجُودَ مَعْنَى فِي الْكَلِمَاتِ وَهِيَ قَدْ سُخِّصَتْ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ، وَالْمُشَخَّصُ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ صِفَةٌ، الْمُسَخَّصُ فِي سِيَاقٍ مُعَيَّنٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ، فَهَذَا مِثْلُ هَذَا.

٢٠٤٨- لَكِنَّهَا كُلِّيَّةٌ إِنْ طَابَقَتْ أَفْرَادَهَا كَاللَّفْظِ فِي الْمِيزَانِ

المعاني كُلِّيَّةٌ إِذَا طَابَقَتْ أَفْرَادَهَا، لَكِنِ الْفَرْدُ مِنْهَا الْمَعْيَّنُ هَذَا جُزْئِيٌّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَوْصُوفًا بِصِفَةٍ، مِثَالُ ذَلِكَ: كَلِمَةُ (الْإِنْسَانِ) نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ جَمِيعَ الْبَشَرِ يَشْتَرِكُونَ فِي مَعْنَى كُلِّيٍّ وَهُوَ الْإِنْسَانِيَّةُ، هَلِ الْإِنْسَانِيَّةُ شَيْءٌ مُشَخَّصٌ يُرَى وَيُشَاهَدُ؟ الْجَوَابُ: لَا، لَكِنَّهُ مَعْنَى كُلِّيٌّ عَامٌ تَسَاوَى فِيهِ الْأَفْرَادُ.

(الحيوان) مِثْلًا: اسْمُ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ مِنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِ الْإِنْسَانِ، فَهَلِ الْحَيَوَانِيَّةُ هَذَا الْمَعْنَى الْكُلِّيُّ، هَلِ هُوَ شَيْءٌ مُشَخَّصٌ يُرَى بِالْعَيْنِ؟

الجواب: لَا، لَكِنِ أَفْرَادُهُ مُشَخَّصَةٌ تُرَى بِالْعَيْنِ، كَذَلِكَ الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةُ، الَّذِي قَالُوا مِثْلًا: (العرش) لَهُ مَعْنَى كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، نَقُولُ: هَذَا مَعْنَى كُلِّيٍّ، وَلَا يَتَعَيَّنُ الْمَعْنَى إِلَّا بِالسِّيَاقِ.

٢٠٤٩- يَدْعُونَهُ الْكُلِّيَّ وَهُوَ مُعَيَّنٌ فَرُدُّ كَذَا الْمَعْنَى هُمَا سَيَّانِ

يعني: أَنَّ الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةَ كُلِّيَّةٌ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْخَارِجِ، فَعِنْدَمَا تَكُونُ فِي الْخَارِجِ تَكُونُ مَعْيَنَةً مُشَخَّصَةً فَرْدِيَّةً، كَذَلِكَ يَكُونُ اللَّفْظُ لَهُ مَعْنَى كُلِّيٌّ عَامٌ لَكِنِ عِنْدَمَا تَضَعُهُ فِي مَكَانِهِ يَكُونُ لَهُ مَعْنَى خَاصٌ يَعْيِنُهُ السِّيَاقُ.

٢٠٥٠ - مُتَجَرِّدًا فِي الذَّهْنِ أَوْ فِي خَارِجٍ عَنْ كُلِّ قَيْدٍ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ

يعني: أنه مستحيل، فمستحيل أن تُجَرِّدَ اللفظَ عن المعنى في حال السِّيَاق، مستحيل أن تجرِّد الأعيانَ عن المعنى الكُلِّيِّ إذا كانت في الخارج.

فخلاصةُ كلام المؤلف: أن هؤلاء غلطوا في اللفظ كما غلط الفلاسفة في الأعيان، فجعلوا اللفظَ لا معنى له، وجعلوه محتماً لكل معنى وإن قُيدَ بالسِّيَاق كما أن هؤلاء جعلوا المعنى الكُلِّيَّ ثابتاً في كل جزء وفي كل فرد، فقالوا: يمكن أن يكون الخالق غير موصوفٍ لا بإثبات ولا بنفي، فنقول: هذا شيءٌ غير ممكن.

٢٠٥١ - لَا الذَّهْنَ يُعْقَلُهُ وَلَا هُوَ خَارِجٌ هُوَ كَالْخَيَالِ لِطَيْفِهِ سُكْرَانٍ

قوله: «لِطَيْفِهِ» بالهاء، وهي ليست بواضحة تماماً، ومما لا شك أن الطَيْفَ هُوَ ما يمرُّ بخيال الإنسان وهو لا حقيقة له، قد تمرُّ بتفكير الإنسان أشياء ليست بحقيقة، فهؤلاء الذين فرضوا كلماتٍ ليس لها معنى، أو لها معانٍ متعددة لا تتعين كالذين فرضوا أعياناً ليس لها صفاتٌ، وهذا إنما يقدره الذهن، ولا حقيقة له في الخارج.

٢٠٥٢ - لَكِنْ تَجَرَّدُهَا الْمُقَيَّدُ ثَابِتٌ وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ بِإِلَّا إِمْكَانِ

قوله: «تَجَرَّدُهَا الْمُقَيَّدُ» بماذا؟ الجواب: بالمعنى بالنسبة للكلام، وبالصفة بالنسبة للأعيان، فتجرَّدُهَا الْمُقَيَّدُ ثابتٌ.

قوله: «وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ» يعني: سوى التجرُّد المقيد ممتنع، لا يوجد أبداً إلا في الذهن كما مرَّ.

٢٠٥٣ - فَتَجَرَّدُ الأَعْيَانِ عَن وَصْفٍ وَعَن وَضْعٍ وَعَن وَقْتٍ لَهَا وَمَكَانٍ

٢٠٥٤- فَرَضَ مِنَ الْأَذْهَانِ يَفْرِضُهُ كَفَرَضِ الْمُسْتَحِيلِ هُمَا لَهَا فَرَضَانِ

وهذا صحيح، يعني: أن توجَدَ عينٌ مجردةٌ عن الوصف، مجردةٌ عن الوضع، لا يشغلها مكانٌ ولا زمانٌ، هَذَا شَيْءٌ مَفْرُوضٌ فَرَضًا، إذ ما من عينٍ إِلَّا ولها وصفٌ، ما من عينٍ إِلَّا وهي مشغولةٌ بزمانٍ أو مكانٍ، وأمَّا ما يفرضه الذهنُ أنه توجَدُ عينٌ لا وصفَ لها ولا مكانَ ولا زمانَ فهذا لا حقيقةَ له.

٢٠٥٥- اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ دَهَى مِنْ فَاضِلٍ هَذَا التَّجَرُّدُ مِنْ قَدِيمِ زَمَانٍ!

صحيحٌ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ بِالْمَفْرُوضَاتِ الذَّهْنِيَّةِ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ، ويقولون: إِنَّ الْإِنْسَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ ذَاتًا لَيْسَ لَهَا صِفَاتٌ، وَأَنْ يَتَصَوَّرَ كَلِمَةً لَيْسَ لَهَا مَعْنَى مُحَدَّدَةٌ، وَكُلُّ هَذِهِ مِنَ الْفَرُوضِ الَّتِي -كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ- أَصَابَتْ الْفَضْلَاءَ بِالذَّوَاهِي.

٢٠٥٦- تَجْرِيدُ ذِي الْأَلْفَاظِ عَنِ تَرْكِيبِهَا وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ الْمَعَانِي الثَّانِي

قَوْلُهُ: «تَجْرِيدُ ذِي الْأَلْفَاظِ عَنِ تَرْكِيبِهَا» يَعْنِي: أَنَّ تَجْرِيدَ الْكَلِمَاتِ عَنِ تَرْكِيبِهَا، مُسْتَحِيلٌ، فَلَا تُوجَدُ كَلِمَةٌ مُجَرَّدَةٌ عَنِ تَرْكِيبٍ إِلَّا فِيمَنْ يَنْعِقُ لِلْحَيَوَانَ وَالشَّاءِ وَالْبَعْرَانَ.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ الْمَعَانِي الثَّانِي» كَذَلِكَ لَا تُوجَدُ عَيْنٌ مُجَرَّدَةٌ مِنَ الْمَعَانِي.

إِذْ لَا بُدَّ لِكُلِّ عَيْنٍ مِنْ مَعْنَى وَوَصْفٍ، وَوُجُودِ عَيْنٍ بِلا مَعْنَى وَلَا وَصْفٍ مُسْتَحِيلٌ.

٢٠٥٧- وَالْحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ مَفْرُوضٌ فَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ فِي الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «الْحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ» الْإِشَارَةُ إِلَى الْأَلْفَاظِ الْمَجْرَدَةِ عَنِ

التركيب، وإلى الأعيان المجردة عن الأوصاف، كلاهما في الذهن مفروض فلا تحكم عليه في الأذهان.

قوله: «في الأذهان» يجب أن تكون متعلقة بقوله: (مفروض)، لا بقوله: (تحكم) يعني: الحق أن كليهما في الذهن مفروض في الأذهان.

وفي نسخة: «فلا تحكم عليه وهو في الأذهان» وهي في المعنى أوضح، لا شك، لكن ينكسر البيت، وفي الثاني يكون فيها تكرار؛ لأننا نقول: (الحق أن كليهما في الذهن مفروض في الأذهان) فيه تكرار، إلا أن يقال: إنه يريد بذلك التوكيد.

على كل حال المعنى: أن تجريد الكلمات من التركيب مستحيل، وتجريد الأعيان من الصفات مستحيل، وأن دعوى تجريد الكلمات كدعوى تجريد الأعيان من الأوصاف.

٢٠٥٨- فَيَقُودُكَ الْخَصْمُ الْمُعَانِدُ بِالَّذِي سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الْأَعْيَانِ

قوله: «فلا تحكم عليه وهو في الأذهان فيقودك الخصم المعاند...» يعني: أن المخاصم كالفلاسفة مثلاً يقول لهؤلاء: كما أنتم تصوّرتهم وجود كلمات مجردة عن التركيب فلتصوّروا أعياناً مجردة عن الأوصاف؛ ولهذا يقول:

٢٠٥٩- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتَّبَيُّانِ

ولهذا ما أكثر الغلط في الإطلاقات، وما أكثر الغلط في الإجماليات، ودائماً يكون التفصيل هو الذي يبين الحق، ويأتي بالتحصيل؛ ولهذا يقال: (بالتفصيل التحصيل).

فصل

فِي بَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ وَعَجْزِهِمْ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ مَا يَجِبُ تَأْوِيلُهُ وَمَا لَا يَجِبُ

- ٢٠٦٠- وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْمُنْقُولِ عَن
 ٢٠٦١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النَّ
 ٢٠٦٢- قَوْلِ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ
 ٢٠٦٣- فَإِذَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ كَانَ إِبْ
 ٢٠٦٤- فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمُرُّ نُصُوصُهُمْ
 ٢٠٦٥- يَا لَيْتَهُمْ أَجْرُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ ذَا
 ٢٠٦٦- بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ
 ٢٠٦٧- لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْحَقِّ الَّذِي
 ٢٠٦٨- وَسَطَوْا عَلَى الْوَحْيَيْنِ بِالتَّحْرِيفِ إِذْ
 ٢٠٦٩- فَانظُرْ إِلَى الْأَعْرَافِ ثُمَّ لِيُوسِفِ
 ٢٠٧٠- فَإِذَا مَرَرْتَ بِآلِ عِمْرَانَ فَهَمْ
 ٢٠٧١- وَعَلِمْتَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبْ
 ٢٠٧٢- وَرَأَيْتَ تَأْوِيلَ النَّفَاةِ مُحَالَفًا
- أَشْيَاخِهِمْ كَتَمَسَّكَ الْعُمَيَّانِ
 نَصَّيْنِ، وَاعْجَبَا مِنَ الْخُذْلَانِ!
 إِذْ قَضَدُهُمْ لِلشَّرْحِ وَالتَّبْيَانِ
 طَالًا لِمَا رَامُوا بِإِلْبَاهَانِ
 وَعَلَى الْحَقِيقَةِ حَمَلَهَا لِيَبَانَ
 الْمَجْرَى مِنَ الْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
 لَفْظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ
 يَبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ
 سَمَّوَهُ تَأْوِيلًا بِوَضْعِ ثَانِي
 وَالْكَهْفِ وَافْتَهَمُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
 تَ الْقَصْدَ فَهَمْ مُوَفِّقِ رَبَّانِي
 سِيْنُ الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي
 لِجَمِيعِ هَذَا لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

- ٢٠٧٣- اللَّفْظُ هُمْ أَنْشَوَالَهُ مَعْنَى بَدَا
 ٢٠٧٤- وَأَتَوْا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْت
 ٢٠٧٥- فَكَسَوَهُ هَذَا اللَّفْظُ تَلْبِيسًا وَتَد
 ٢٠٧٦- فَاسْتَنَّ كُلُّ مَنَافِقٍ وَمُكَدِّبٍ
 ٢٠٧٧- فِي ذَا بُسُنَّتِهِمْ وَسَمَّى جَحْدَهُ
 ٢٠٧٨- وَأَتَى بِتَأْوِيلٍ كَتَأْوِيلَاتِهِمْ
 ٢٠٧٩- إِنَّا تَأْوَلْنَاكُمْ أَوْلَاتُكُمْ
 ٢٠٨٠- فِي الْكِفْتَيْنِ نَحُطُّ تَأْوِيلَاتِنَا
 ٢٠٨١- هَذَا وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَا بِأَيْ
 ٢٠٨٢- وَعَدْوَتُمْ فِيهِ تَلَامِيذًا لَنَا
 ٢٠٨٣- مِنَّا تَعَلَّمْتُمْ وَنَحْنُ سُيُوحُكُمْ
 ٢٠٨٤- فَسَلُّوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَفْهِيمٍ
 ٢٠٨٥- مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ؟ وَأَيْنَ أُصُولُهَا؟
 ٢٠٨٦- فَلَايِي شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأَنْ
 ٢٠٨٧- أَنَّ النَّصُوصَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ
 ٢٠٨٨- فَلِذَاكَ حَكَمْنَا الْعُقُولَ وَأَنْتُمْ
- كَ الْإِضْطِلَاحِ وَذَاكَ أَمْرٌ دَانِي
 تَحْرِيفٍ لِلْأَلْفَاظِ بِالْبُهْتَانِ
 لَيْسَا عَلَى الْعُمَيَّانِ وَالْعُورَانِ
 مِنْ بَاطِنِي قِرْمِطِي جَانِي
 لِلْحَقِّ تَأْوِيلًا بِلَا فُرْقَانِ
 شِبْرًا بِشِبْرٍ صَارِحًا بِأَذَانِ
 فَاتُّوا نَحَاكِمَكُمْ إِلَى الْوَرَانِ
 وَكَذَاكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوَرَانِ
 سِدِينَا صَرِيحُ الْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ
 أَوْلَيْسَ ذَلِكَ مَنْطِقَ الْيُونَانِ؟
 لَا تَجْحَدُونَا مِنَّةَ الْإِحْسَانِ
 وَسَلُّوا الْقَوَاعِدَ رَبَّةَ الْأَرْكَانِ
 وَعَلَى يَدِي مَنْ يَا أُولِي النُّكْرَانِ
 تُمْ مُؤْمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ
 لَمْ تُفْضِ قَطُّ بِنَا إِلَى إِبْقَانِ!؟
 أَيْضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

- ٢٠٨٩- فَلَايَ شَيْءٍ قَدَرَمَيْتُمْ بَيْنَنَا
 ٢٠٩٠- الْأَصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الْوَحْيِ مَع
 ٢٠٩١- لَا بِالنُّصُوصِ نَقُولُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
 ٢٠٩٢- فَذَرُوا عَدَاوَتَنَا فِإِنَّ وِرَاءَنَا
 ٢٠٩٣- فَهُمْ عَدُوُّكُمْ وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا
 ٢٠٩٤- تِلْكَ الْمُجَسِّمَةُ الْأَلَى قَالُوا بِأَنَّ
 ٢٠٩٥- وَإِلَيْهِ يَضَعُدُ قَوْلُنَا وَفِعَالُنَا
 ٢٠٩٦- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً
 ٢٠٩٧- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ بِالذَّاتِ فَوْ
 ٢٠٩٨- وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ كُلِّ آخِرٍ لَيْلَةً
 ٢٠٩٩- لِلْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَذَانِ لِلْ
 ٢١٠٠- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ
 ٢١٠١- أَيْكُونُ ذَلِكَ بِغَيْرِ حَرْفٍ أَمْ بِلَا
 ٢١٠٢- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا حَكَيْنَا عَنْهُمْ
 ٢١٠٣- فَذَرُوا الْحِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كُلَّنَا
 ٢١٠٤- حَتَّى نَسُوقَهُمْ بِأَجْمَعِنَا إِلَى
- حَرْبِ الْحُرُوبِ وَنَحْنُ كَالْأَخْوَانِ
 زُورٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنَوَانِ
 أَيْضًا كَذَلِكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ
 ذَاكَ الْعَدُوَّ الثَّقَلَ ذَا الْأَضْغَانِ
 فَجَمِيعُنَا فِي حَزْبِهِمْ سَيَّانِ
 نَ اللَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
 وَإِلَيْهِ تَرْقَى رُوحُ ذِي الْإِيمَانِ
 وَكَذَا ابْنُ مَرْيَمَ مُضْعَدَ الْأَبْدَانِ
 قَ الْعَرْشِ قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانِ
 نَحْوَ السَّمَاءِ فَهَا هُنَا جِهَتَانِ:
 أَجْسَامِ أَيْنَ اللَّهُ مِنْ هَذَانِ؟!
 قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَيَا إِخْوَانِي
 صَوْتِ؟! فَهَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
 مِنْ قَبْلِ قَوْلِ مُشَبِّهِ الرَّحْمَنِ
 جَمْعًا عَلَيْهِمْ حَمَلَةَ الْفُرْسَانِ
 وَسَطِ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ

الشرح

يريد المؤلف - رحمه الله - في هذا الفصل بيان تناقض هؤلاء الذين يُنكرون صفات الله، ويثبتون بعضاً منها وينكرون بعضاً، وكذلك تناقض من يثبتون الأسماء دون الصفات، فهم أيضاً متناقضون بلا شك، فيقول المؤلف - رحمه الله -:

٢٠٦٠ - وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْمَنْقُولِ عَنْ أَشْيَاخِهِمْ كَتَمَّسِكَ الْعُمَيَّانِ

المنقول عن أشياخهم يتمسكون به تمسكاً قوياً جداً كتمسك الأعمى الذي لا يبصر، والأعمى الذي لا يبصر يتمسك بالشيء وإن كان لا يراه ولا يعرفه، أمّا ظواهر النصوص فلم يتمسكوا بها؛ ولهذا قال:

٢٠٦١ - وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النَّصِّينِ، وَاعْجَبَا مِنَ الْخُذْلَانِ!

والله هذا الخذلان، أن أقوال شيوخهم يتمسكون بظواهرها، ولا يخرجونها عن ظاهرها، ويرون أنها دالة دلالة يقينية على المراد بها، وأمّا القرآن والسنة وهما النصان فإنهم لا يتمسكون بالظواهر، ويحرفونها.

٢٠٦٢ - قَوْلُ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ إِذْ قَضَدْتُمْ لِلشَّرْحِ وَالتَّبْيَانِ

سبحان الله! يقول: إن قول الشيوخ عندهم محرم تأويله؛ لأنهم يأتون بالكلام يريدون به البيان، وإذا أتى الإنسان بالكلام وهو يريد خلاف ظاهره كان ذلك خلاف البيان، فشيوخنا يريدون البيان، فإذا كانوا يريدون البيان فالواجب أن نحمل كلامهم على ظاهره؛ لأن من أراد البيان لا يمكن أن يريد خلاف الظاهر.

والقرآن والسنة عندهم يُراد بهما خلاف الظاهر، إذن فهي ليست بيانا، البيان قول شيوخهم، والكتاب والسنة ليسا ببيان.

٢٠٦٣- فَإِذَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ كَانَ إِبْ- طَالًا لِمَا رَامُوا بِلَا بُرْهَانَ

يقولون: لو تأولنا كلامَ الشيوخ كان إبطالًا لما قصدوا بلا بُرْهَانَ، أمَّا الكتابُ والسُّنَّةُ فواجبٌ أن نؤوِّلهما بلا بُرْهَانَ أيضًا.

٢٠٦٤- فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمُرُّ نُصُوصُهُمْ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ حَمَلُهَا لِبَيَانِ

يقولون: إنَّ الواجبَ في كلامِ شيوخنا إمرارها على ظاهريها، ولا نتعرَّض لها بتأويل، وعلى الحقيقة نحملها.

٢٠٦٥- يَا لَيْتَهُمْ أَجْرُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ ذَا الْمَجْرَى مِنَ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

يقول: ليتهم أجروا نصوصَ القرآنِ والسُّنَّةِ هَذَا الْمَجْرَى وَأَجْرُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا.

السَّلف كانوا يُجرون نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ على ظاهريها، ومن عباراتهم الشهيرة العميمة قولهم: (أمرُّوها كما جاءتِ بلا كَيْفٍ).

٢٠٦٦- بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «تِلْكَ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ» يعني: لا تدلُّ على اليقين بوجهٍ من الوجوه، بل دلالتها لفظيَّةٌ قابلةٌ للتأويل.

٢٠٦٧- لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْحَقِّ الَّذِي يَبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانَ

وهذا كلامُهم، ولا يبعدُ أن الله - سبحانه وتعالى - طبع على قلوبهم؛ لأنهم لم يريدوا الحقَّ، وقد قالَ اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]

فالإنسان الَّذِي لا يريدُ الحقَّ لا يمكنُ أن يهتديَ بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وكيف يصطلي بالنار مَنْ يرى أنها ليست بنار؟! لا يمكنُ، فلا يمكنُ أن ينتفع إنسانُ بالكتاب والسُّنَّةِ إِلَّا مَنْ عَلِمَ أنها حقٌّ، وأنها يدلان على ما يقتضيه ظاهرهما.

٢٠٦٨- وَسَطُوا عَلَى الْوَحِيِّينَ بِالْتَّحْرِيفِ إِذْ سَمَّوْهُ تَأْوِيلًا بِوَضْعِ ثَانِي

سبحان الله! سَطُوا عَلَى الْوَحِيِّينَ بِالْتَّحْرِيفِ، والتحريفُ يعني: صرفُ اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالفُ الظاهر، ولكنهم سَمَّوهُ تَأْوِيلًا، لكن بأيِّ وضع؟ هل هو بالوضع اللغويِّ أو بالوضع الشرعيِّ؟ قال: «بوضع ثاني» أي: من عندهم.

فالتحريفُ الَّذِي سَمَّوهُ تَأْوِيلًا هُوَ في الحقيقة تحريفٌ، لكنهم لَبَسُوا عَلَى العامة وعلى صغار العلم، وقالوا: إنه تأويلٌ، وَهُوَ في الحقيقة تحريفٌ؛ لأنَّ التأويلَ في القرآن والسُّنَّة لا يتعدى معنيين: إمَّا التفسيرُ، وإمَّا الحقيقةُ التي يؤول إليها الأمرُ؛ ولهذا قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

٢٠٦٩- فَانظُرْ إِلَى الْأَعْرَافِ ثُمَّ لِيُوسِفِ وَالْكَهْفِ وَافْهَمْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ إِلَى الْأَعْرَافِ» قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] ما المرادُ بالتأويل هنا؟

الجواب: الحقيقةُ التي أُخْبِرُوا عنها، وليس المرادُ بالتأويل هنا التفسيرَ، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ بمعنى ما ينتظرون، ف(هل) استفهام بمعنى النفي، (وينظرون) بمعنى ينتظرون، أي: ما ينتظرُ هؤلاء إِلَّا وقوعَ ما أُخْبِرُوا به من البعث والجزاء، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ يعني: عاقبته ومآله، وقوله

تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: تركوا العمل له ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] هَذَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ لِيُوسُفٍ» يعني: ثُمَّ انظر لسورة يوسف، ففيها ذِكْرُ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ قَوْلُ يَوْسُفَ لِأَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ ﴿يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] ف(تأويل) هنا معناه: وقوعُ الرؤية؛ لأنه قالها بعد أن سجدوا له، هُوَ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ سَاجِدِينَ لَهُ، وَلَمَّا قَدِمَ مِصْرَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ رَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ جَمِيعًا سُجَّدًا فَقَالَ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] يعني: وقوع ما رأيت في المنام.

قَوْلُهُ: «وَالْكَهْفِ» أَيضًا، فِيهَا ذِكْرُ التَّأْوِيلِ، قَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِهِ يعني: بوقوعه إذا وقع؛ ولهذا قَالَ فِي آخِرِ الْقِصَّةِ ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] أي: وقوعه، حِينَ رَأَيْتَهُ بَعِينِكَ.

إِذْنُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ بِمَعْنَى وَقُوعِ الشَّيْءِ وَمَالِ الشَّيْءِ، وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] أي: عاقبة.

٢٠٧٠- فَإِذَا مَرَرْتَ بِآلِ عِمْرَانَ فَهَمْ - تَ الْقَصْدَ فَهَمْ مُوَفَّقِي رَبَّانِي

يعني: بعد هَذَا نَنظُرُ إِلَى آلِ عِمْرَانَ، وَ(آلِ عِمْرَانَ) هِيَ مُعْتَرِكُ الْأَقْوَالِ وَالْخِلَافِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] أُمُّ الْكِتَابِ يعني: أَصْلُهُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْكِتَابُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧] أي: تشبهُهُ عَلَى النَّاسِ، وَليست مُحْكَمَةً، فَالْمُحْكَمَةُ أَي: الْوَاضِحَةُ الَّتِي يَعْرِفُهَا الْكُلُّ.

فقوله تعالى: ﴿وَأَخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ ينقسمُ الناسُ في هذهِ المتشابهاتِ إلى قسمين: زائغ القلب، وراسخ العلم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْجٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا فَشَبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي: لا يأخذون بالمُحكّمِ ويحملون المتشابهةَ عليه، بل يأتون بالمتشابهة من القرآن من أجل أن يفتنوا الناسَ، فيأتون بالآيات التي ظاهرها التعارض، ويقولون: انظر هذا القرآنُ متناقضٌ، فيقولون ذلك ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، أي: تحريفه عمّا أراد اللهُ به، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي: تأويل المتشابهة.

ما المراد (بتأويله)؟ الجواب: فيه قولان مبنيان على الوقف في الآية، فمن وقف على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهذا وقفٌ أكثرُ السلفِ، قال: المراد بالتأويل: العاقبة والمال، يعني: لا يعلمُ مالٌ هذا المتشابهةَ وعاقبتهِ إِلَّا اللهُ.

وأما الراسخون في العلم فلا يعلمون، لكنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فنؤمنُ بالمستقبلِ كما نؤمنُ بالحاضر، فكُلُّهُ من عند الله، وكُلُّهُ يجبُ الإيمانُ به.

القراءةُ الثانيةُ للسلف: الوصل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران: ٧] وعلى هذا الوجه في القراءة يكونُ المرادُ بالتأويل: التفسير، يعني: لا يعلمُ تفسيرَ هذا المتشابهةِ إِلَّا اللهُ والراسخون في العلم يعلمونه، وهذا أحدُ القولين في المسألة.

قال ابنُ عباس عن نفسه: «أنا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ»^(١)، يعني: تفسيره.

(١) انظر قوله في: تفسير الطبري (٣/١٨٣).

فصار التأويلُ في آية (آل عمران) محتملاً للمأل والعاقبة التي لا يعلمها إلا الله، وللتفسير الذي يعلمه الله والراسخون في العلم.

نتقل الآن إلى إعراب الآية، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا﴾ [آل عمران: ٧] ما هو محلُّ قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ إذا لم نقف؟ الجواب: الواو حرف عطف، ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ معطوف على لفظ الجلالة وجملة: ﴿يَقُولُونَ﴾ تكون حاليَّة، يعني: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون، يعني: حال كونهم قائلين: آمنا به.

وعلى قراءة الوقف تكون (الواو) استثنائية، (والراسخون) مبتدأ، وجملة (يقولون) خبراً.

ذكر ابن القيم -رحمه الله- أن التأويل في المواضع الثلاثة: في (الأعراف)، و(يوسف)، و(الكهف)، بمعنى العاقبة والمأل.

وأما التأويل في (آل عمران) يقول: امرر عليه ويتبين لك الأمر، إن وقفنا على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ فالتأويل فيها كالتأويل في (الأعراف)، و(يوسف)، و(الكهف)، وإن وصلنا فالتأويل بمعنى التفسير.

٢٠٧١- وَعَلِمْتَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبْ سِيْنُ الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي

قوله: «المجاز الثاني» أهل التحريف يقولون: إن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، وبه نعرف أن أقسام التأويل ثلاثة:

الأول: تأويل بمعنى التفسير.

الثاني: تأويل بمعنى الحقيقة والمأل.

الثالث: تأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، هَذَا المعنى هُوَ المجاز الثاني الَّذِي ذكره المؤلف، لكنَّهُ اصطلاحُ المتأخرين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -^(١): هذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم، وأول من عرف أنه تكلم بلفظ (المجاز) أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية.

وما قاله - رحمه الله - صحيحٌ فإنَّ معنى التأويل المشهور عند كثيرٍ من المتأخرين معنى حادثٌ لم يكن معروفًا من قبل.

٢٠٧٢- وَرَأَيْتَ تَأْوِيلَ النَّفَاةِ مُخَالَفًا لِجَمِيعِ هَذَا لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
لأنَّ تأويلَ النَّفَاةِ معناه تحريفُ الحقيقة، فهو صرفُ اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالفُ الظاهرَ لدليلٍ، والدليلُ عندهم هُوَ العقلُ.

٢٠٧٣- اللَّفْظُ هُمْ أَنَشَأُوا لَهُ مَعْنَى بَدَا كَ الإِصْطِلَاحِ وَذَلِكَ أَمْرٌ دَانِي
قَوْلُهُ: «اللَّفْظُ» يعني: التأويل، هم الذين أنشأوا معناه بهذا الاصطلاح، وَهُوَ صرفُ اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، ولكنَّهُ كما قال: «أمرٌ داني» أي: أمرٌ متأخِّرٌ، لا يُعْرَفُ في عهد الصحابة والتابعين.

٢٠٧٤- وَأَتُوا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالتَّحْرِيفِ لِلْأَلْفَاظِ بِالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «وَأَتُوا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ» كَيْفَ أَلْحَدُوا فِيهَا؟ قَالُوا: إِنَّهَا لَا تَدُلُّ
عَلَى الْمَعْنَى، فَ(الرَّحْمَنُ) لَا يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ، بَلْ يَدُلُّ عَلَى الْإِحْسَانِ أَوْ إِرَادَةِ
الْإِحْسَانِ، أَمَا عَلَى رَحْمَةٍ يَكُونُ بِهَا الْإِحْسَانُ وَإِرَادَةُ الْإِحْسَانِ فَلَا، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ
الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَا يُثْبِتُونَ مِنْهَا الصِّفَاتِ، أَتُوا إِلَيْهَا بِالْإِلْحَادِ.

قَوْلُهُ: «التَّحْرِيفِ لِلْأَلْفَاظِ» يَعْنِي: حَرَّفُوا مَعْنَاهَا إِلَى مَعْنَى يَخَالِفُ ظَاهِرَهَا.

٢٠٧٥- فَكَسَوُهُ هَذَا اللَّفْظَ تَلْبِيسًا وَتَدْ لَيْسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ وَالْعُورَانَ
فَقَوْلُهُ: «هَذَا اللَّفْظُ» يَعْنِي: التَّأْوِيلَ، سَمَّوْا هَذَا التَّحْرِيفَ وَالْإِلْحَادَ سَمَّوَهُ
تَأْوِيلًا وَتَلْبِيسًا وَتَدْلِيسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ وَالْعُورَانَ.

الخلاصة أن المؤلف - رحمه الله - يردُّ على الأشاعرة الذين أنكروا ظواهر
النصوص، وحرَّفوها إلى معنى يخالف الظاهر، وأحدثوا للتأويل معنى جديدًا لم
يكن معروفًا من قبل، وهو في الحقيقة عندنا - معشر أهل السنة - تحريفٌ وليس
تأويلًا؛ لأنَّ التأويل بهذا المعنى لم يردِّ في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام
السلف.

٢٠٧٦- فَاسْتَنَّ كُلُّ مَنْافِقٍ وَمُكَذِّبٍ مِنْ بَاطِنِي قِرْمِطِيٍّ جَانِي

٢٠٧٧- فِي ذَا بَسْتَنَّتِهِمْ وَسَمَّى جَحْدَهُ لِلْحَقِّ تَأْوِيلًا بِلَا فُرْقَانِ

٢٠٧٨- وَأَتَى بِتَأْوِيلِ كِتَابِ أَوْلِيَاتِهِمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ صَارِحًا بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «اسْتَنَّ» بِمَعْنَى اتَّبَعَ، أَي: اتَّبَعَ هَذَا الطَّرِيقَ - وَهُوَ التَّحْرِيفُ - كُلُّ
مَنْافِقٍ وَمُكَذِّبٍ مِنْ بَاطِنِي قِرْمِطِيٍّ جَانِي.

الباطنية تَقَدَّم لَنَا مَذْهَبُهُمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: كُلُّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ فَهُوَ عَلَى الظَّاهِرِ، أَمَّا بَاطِنُ الْأَمْرِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَبَاطِنُ الْأَمْرِ لَيْسَ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ؛ وَهَذَا دِينُهُمْ بَاطِنِيٌّ، لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، يَقُولُونَ: لَا تَوْجِدُ جَنَّةً - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ - وَلَا نَارَ، وَلَا رَبًّا وَلَا يَوْمًا آخَرَ، لَا يَوْجِدُ شَيْءًا، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَا عِبَادَاتٍ: لَا صَلَاةَ، وَلَا صِيَامَ، وَلَا حَجَّ،...إِلْخ.

نَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الرَّسُلَ جَاءُوا بِهَذَا، قَالُوا: الرَّسُلُ جَاءُوا يَخَاطِبُونَ الْعَامَّةَ، وَيَذْكُرُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْعَامَّةَ تَسْتَقِيمُ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ، وَالرَّسُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُمْ مُرْسَلٌ، لَكِنَّهُمْ قَوْمٌ عَبَاقِرَةٌ أَذْكَيَاءَ، رَأَوْا أَنَّ النَّاسَ لَا يَصْلِحُهُمْ إِلَّا هَذَا الطَّرِيقُ فَسَنُّوا هَذِهِ الطَّرِيقَ، وَأَهَالُوهَا بِهَالَةٍ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَقِيمَ النَّاسُ.

فَالصَّبِيُّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَكَ إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتَ لَهُ: هُنَاكَ ذَنْبٌ، فَإِنَّهُ يَعْدِلُ عَنِ الطَّرِيقِ.

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْكُصَ عَلَى عَقْبِيهِ مِنْ طَرِيقٍ، وَأَنْتَ تُحِبُّ أَنْ يَذْهَبَ مَعَكَ، فَقُلْتَ لَهُ: هُنَاكَ إِنْسَانٌ يُوزَعُ تَفَاحًا، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ مَعَكَ.

فَهُمْ يَقُولُونَ: لَا تَوْجِدُ جَنَّةً وَلَا نَارًا، لَكِنَّ الرَّسُلَ عَبَاقِرَةٌ أَذْكَيَاءَ، قَالُوا لِلنَّاسِ: تَوْجِدُ جَنَّةً، وَتَوْجِدُ نَارًا، الَّذِي يَطِيعُنَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَالَّذِي يَعْصِينَا يَدْخُلُ النَّارَ، هَذَا مَذْهَبُ الْقَرَامِطَةِ وَالبَاطِنِيَّةِ، حَتَّى الصَّلَاةُ لَا يُقَرُّونَ بِهَا، يَقُولُونَ: هَذِهِ الصَّلَاةُ عِبَارَةٌ عَنِ رِيَاضَاتِ بَدَنِيَّةٍ يُؤَمَّرُ بِهَا الْعَامَّةُ دُونَ الْخَاصَّةِ، فَالْحُجُّ إِلَى مَكَّةَ يُؤَمَّرُ بِهِ الْعَوَامُّ دُونَ الْخَوَاصِّ، وَالصَّوْمُ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالشَّهَوَاتِ يُؤَمَّرُ بِهِ الْعَوَامُّ دُونَ الْخَوَاصِّ.

لكن ما هو حج الخواص وصيامهم وصلاتهم؟ قالوا: حج الخواص السفر إلى زيارة الأولياء، أي: أوليائهم أولياء الطاغوت، والصلاة: معرفة الأسرار؛ لأن الصلاة من الصلة يتصل الإنسان بالأولياء، ويعرف أسرارهم.

الصيام: كتمان الأسرار؛ لأن الصوم بمعنى الإمساك يعني: يمسك الإنسان، فلا يخبر عن مذهبه، ولهذا هم باطنيّة، ولا يسمحون لأحد أن يدخل في المذهب إلا بعد أن يمرّ نوه.

وقد ذكر السّفاريني في شرح (العقيدة السّفارينيّة) أن لهم عشر مراتب يصعدّها الإنسان، بل الحقيقة نقول: ما يصعدّها، بل ينزل بها مرتبة مرتبة حتى يصل إلى الحضيض، وهو عندهم يصل إلى القمة، وحينئذ يدخل.

هؤلاء القرامطة الباطنيّة الملحدون بأيّ طريق توصلوا إلى هذا؟ الجواب: بالتأويل، قالوا: كل ما جاءت به الرّسل فهو مجاز، والحقيقة كذا وكذا.

هؤلاء الأشاعرة وغيرهم من الذين أنكروا الصّفات قالوا: ما جاءت به الرّسل من الصّفات فهو مجاز، والحقيقة كذا وكذا، خلاف ما جاءت به الرّسل.

٢٠٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا كَمَا أَوْلَيْتُمْ فَآتُوا نَحَاكِمَكُمْ إِلَى الْوِزَانِ

قوله: «إِنَّا تَأَوَّلْنَا كَمَا أَوْلَيْتُمْ» القائل هنا الباطنيّة حيث يخاطبون الأشاعرة ومن على شاكلتهم، يقولون: إنا تأوّلنا كما أوّلتم فأتوا نحاكمكم إلى اليزان.

٢٠٨٠- فِي الْكِفْتَيْنِ نَحْطُ تَأْوِيلَاتِنَا وَكَذَلِكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوِزَانِ

وطلب المحاكمة على هذا الوجه حق؛ لأن هؤلاء أوّلوا في الصّفات، وهؤلاء أوّلوا فيما جاءت به الرّسل كلهم.

ويقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : إن تأويل هؤلاء في الصفات أعظم بكثير من تأويل أولئك في المعاد، في الجنة والنار، يقول: لأن إقرار النفوس بما لله تعالى من صفات الكمال أقوى بإقرارها من المعاد، وأيضا نصوص الكتاب والسنة في إثبات الصفات وتقريرها أكثر من نصوص الكتاب والسنة في تقرير المعاد؛ فلهذا كان هؤلاء أشد من أولئك المؤولين، وإن كان أولئك أعظم من وجه.

٢٠٨١- هَذَا وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَا بِأَيِّ - دِينَا صَرِيحُ الْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ

٢٠٨٢- وَغَدَوْتُمْ فِيهِ تَلَامِيذًا لَنَا أَوْلَيْسَ ذَلِكَ مَنْطِقَ الْيُونَانِ؟

مَنْ الَّذِي أَقْرَرَ بِذَلِكَ؟ الْجَوَابُ: الْأَشَاعِرَةُ؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ بَنَوْا عَقِيدَتَهُمْ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ، وَأَصْلُ عِلْمِ الْكَلَامِ عِلْمُ الْمَنْطِقِ، وَعِلْمُ الْمَنْطِقِ مَتَلَقَى مِنَ الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةُ، فَلِذَلِكَ يُعْتَبَرُ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ يَعْتَبِرُونَ تَلَامِيذًا لِلْفَلَسَفَةِ.

٢٠٨٣- مِمَّا تَعَلَّمْتُمْ وَنَحْنُ سُيُوكُمْ لَا تَجْحَدُونَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «مِمَّا تَعَلَّمْتُمْ» الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ هُمُ الْقَرَامِطَةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ الَّذِينَ بُنِيَ مَذْهَبُهُمْ عَلَى الْفَلَسَفَةِ.

وَقَوْلُهُ: «لَا تَجْحَدُونَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ» يَعْنِي: لَا تَجْحَدُونَ مَا مَنَّا بِهِ عَلَيْكُمْ وَأَحْسَنًا بِهِ إِلَيْكُمْ، وَتَعَادُونَا.

وإنما قال ابن القيم هذا؛ لأن الظاهر الآن أنك لو أتيت إلى الأشاعرة أو المعتزلة لوجدتهم يكفرون هؤلاء الباطنية وينكرون عليهم إنكاراً عظيماً، لكن في الحقيقة أصولهم متشابهة أو متقاربة كما سيبيئه المؤلف.

٢٠٨٤- فَسَلُّوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَفَهُّمٍ وَسَلُّوا الْقَوَاعِدَ رَبَّةَ الْأَرْكَانِ

٢٠٨٥- مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ؟ وَأَيْنَ أُصُولُهَا؟ وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أَوْلِي النُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ» الجواب: من عند الفلاسفة؛ لأنَّ علمَ الكلامِ مَبْنِيٌّ عَلَى علمِ المنطقِ، فهي جاءت منهم.

قَوْلُهُ: «وَأَيْنَ أُصُولُهَا؟ وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أَوْلِي النُّكْرَانِ؟» تأخذون مِنَّا الْأُصُولَ والقواعدَ وتبنون عليها عقيدتكم في الله، ثُمَّ بعد ذلك تُكْفِّرُونَنَا، وتقولون: أَنْتُمْ كُفَّارٌ.

٢٠٨٦- فَلِأَيِّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ

٢٠٨٧- أَنْ النَّصُوصَ أَدِلَّةً لَفِظِيَّةً لَمْ تُفَضِّ قَطُّ بِنَا إِلَى إِيقَانٍ؟!

هذا تناقضٌ، ولا شكَّ أَنَّ هَذِهِ حُجَّةٌ لِلْفلاسفةِ وَمَنْ عَلَى شاكلتهم عَلَى الأشاعرة. لكن الحقيقة أَنَّ الأشاعرةَ أَجابوهم بجوابٍ حَقٌّ قالوا: نحن نعلمُ أَنَّ الرُّسُلَ جاؤوا بِإِثباتِ الإلهِ وإِثباتِ المعادِ وإِثباتِ الجنةِ والنارِ، وقد علمنا أَنَّ الشُّبُهَةَ المانعةَ مِنْهُ باطلةٌ، فثبت بالدَّلِيلِ السالمِ عن المعارِضِ، وإذا ثبت بالدَّلِيلِ السالمِ عن المعارِضِ فوجب القولُ به.

هذه حُجَّةٌ يدفعُ بها الأشاعرةُ والمعتزلةُ وشبَّههم مذهبَ القرامطةِ والباطنيةِ وأشباههم.

يقولون: أَنْتُمْ أَنْكرتم البعثَ والجنةَ والنارَ والرَّبَّ والرُّسُلَ، وَقُلْتُمْ: هؤُلاءِ عباقرَةٌ، جاؤوا لِإصلاحِ الناسِ عَلَى زعمهم، ولكنَّ هَذَا ليس بصحيحٍ؛ لأننا علمنا أَنَّ هَذَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَثَبِتَ بِهِ الْحُجَّةُ، وقد علمنا الشُّبُهَةَ المانعةَ مِنْهُ، إذ

لا توجد شبهة تمنع، فالذي خلق الخلق هو الله، والذي يعيده هو الله، فإذا ثبت بالدليل وانتفى المعارض وجب القول به.

أهل السنة والجماعة قالوا: هذا دليل جيد، ونحن نوافقكم على هذا الدليل ونردُّ به قول الفلاسفة، لكننا نحتجُّ به عليكم؛ لأنَّ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ قد ثبتت بالدليل السالم عن المعارض الصحيح؛ لأنه لا معارض لأدلة الصفات إلا ما زعمتم أنه أدلة عقلية وهي وهمية، فوجب القول بثبوتها.

فاحتجَّ أهل السنة على الأشاعرة والمعتزلة بما احتجَّ به الأشاعرة والمعتزلة على الفلاسفة والقرامطة، وهذا هو الحق.

٢٠٨٨- فَلِذَاكَ حَكَمْنَا الْعُقُولَ وَأَنْتُمْ أَيضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

سبحان الله! القرامطة والباطنية يقولون: نحن نُحكِّمُ العقل، والمعتزلة والأشاعرة يقولون: نحن أَيضًا نُحكِّمُ العقل، فيقول: ما دمنا نحن وأنتم نرجعُ إلى العقل، ونقول: إِنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ أدلةٌ لفظيةٌ غيرُ قابلةٍ للإيقان، فلماذا تعادوننا؟ نحن إخوان، ومصطلحان.

٢٠٨٩- فَلِأَيِّ شَيْءٍ قَدْ رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا حَرْبَ الْحُرُوبِ وَنَحْنُ كَالْأَخْوَانِ

قوله: «فَلِأَيِّ شَيْءٍ قَدْ رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا حَرْبَ الْحُرُوبِ» أو البسوس، وهي حربٌ معروفةٌ في الجاهلية، ونحن كالأخوان.

٢٠٩٠- الْأَصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الْوَحْيِ مَعْرُوفٌ وَنَحْنُ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنُونَانِ

٢٠٩١- لَا بِالنُّصُوصِ نَقُولُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ أَيضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

قوله: «الْأَصْلُ مَعْقُولٌ» الأصل المشترك بيننا وبينكم هو العقل، يعني: هو المعقول.

قَوْلُهُ: «وَلَفْظُ الْوَحْيِ مَعزُولٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنَوَانٍ» سبحانه الله! لفظُ الوحي معزولٌ عن اليقين؛ لأنَّ النصوصَ في القرآنِ والسُّنَّةِ عندهم ظواهرٌ لفظيةٌ لا تفيدُ اليقينَ، والعقلُ هو الَّذي يفيدُ اليقينَ.

قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنَوَانٍ» الصنوان: هما الغصنان في أصلٍ واحد.

٢٠٩٢- فَذَرُوا عَدَاوَتَنَا فَإِنَّ وِرَاءَنَا ذَاكَ الْعَدُوَّ الثَّقَلَ ذَا الْأَضْغَانَ
يعني: لنا عدوٌّ ثالثٌ، فدعونا - جميعاً - يُقَوِّي بعضنا بعضاً عليه من أجل أن نقضيَ عليه.

٢٠٩٣- فَهُمْ عَدُوُّكُمْ وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا فَجَمِيعُنَا فِي حَرْبِهِمْ سِيَّانٍ
مَنْ هَذَا الْعَدُوُّ؟ الجوابُ: هم أهلُ السُّنَّةِ؛ ولذا قال: (تلك المجسمة...).

لَمَّا ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْمِصَارِعَةَ وَالْمِجَادَلَةَ بَيْنَ الْمُتَأَوِّلِينَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ وَالْمُتَأَوِّلِينَ فِي نِصُوصِ الْمَعَادِ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ دَعَتِ الْأُخْرَى إِلَى الْمِصَالِحَةِ وَالْأَسْيَا الَّذِينَ تَأَوَّلُوا فِي الْمَعَادِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ تَأَوَّلُوا فِي الصِّفَاتِ شَنُّوا عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ، وَقَالُوا: إِنَّكُمْ كُفَّارٌ.

فَدَعَاهُمْ هُوَ لِإِلَى الْمَسَالِمَةِ، وَقَالُوا: إِنَّنَا أُخْوَانٌ، وَإِنَّا مُصْطَلِحَانُ، فَلَنَكُنْ عَلَيَّ عَدُوًّا مِشْرَكٌ وَهُمْ الْمُجَسِّمَةُ، فَقَالَ:

٢٠٩٤- تِلْكَ الْمُجَسِّمَةُ الْأُلَى قَالُوا بِأَنَّ نَ اللَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

الَّذِينَ يُعْطَلُونَ اللَّهُ مِنْ صِفَاتِهِ يُسَمُّونَ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ صِفَةً يَسْمُونَهُ مُجَسِّمًا؛ وَهَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَشُوهُوا طَرِيقَهُمْ عِنْدَ الْعَامَةِ حَتَّى لَا يَسْلُكُوا طَرِيقَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: (مُجَسِّمَةُ)، قَالُوا: إِذَنْ هُمْ يَعْبُدُونَ جِسْمًا، وَالَّذِي يَعْبُدُ جِسْمًا يَعْبُدُ صِنْمًا،

لا فرق بين معبوده وبين اللات والعزى.

فيشوهون سمعتهم بهذه الألقاب السيئة، وسموهم حشوية من حاشية المتاع، يعني: ليسوا بشيء، وسموهم نوابت، والنوابت هي التي تكون في الزرع، لا تنفع، وتفسد الزرع.

وهذه الألقاب السيئة قد ورثوها من أئمتهم أعداء الرسل الذين قالوا للرسل: إنهم سحرة مجانين، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذريات: ٥٢]. هؤلاء يُسمون أهل السنة الذين يُثبتون الصفات بالمجسمة.

قوله: «فالألى قالوا» «الألى» يعني: الذين قالوا، كما قال ابن مالك - رحمه الله -^(١):

جَمْعُ الَّذِي (الألى)

ف(الألى) بمعنى الذين، ومنه قول الشاعر^(٢):

وَتُبْلِي الألى يَسْتَلْتُمُونَ عَلَى الألى تَرَاهُنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ كَالْحِدَاءِ الْقُبْلِ

فقوله: «فالألى يستلتمون» يعني: الذين يستلتمون، ومعنى «يستلتمون» أي

يلبسون لامة الحرب.

وقوله: (على الألى تراهن) (الألى) الثانية بمعنى اللائي، يعني: على الخيل

اللائي تراهن يوم الحرب كالحدا القبل، والحدا جمع حداة، (القبل) يعني: التي تنظر من جانب واحد فتقصر على الفريسة.

(١) انظر: شرح ابن عقيل (١/١٤١).

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في خزنة الأدب (١١/٢٤٩).

٢٠٩٥- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ قَوْلُنَا وَفِعَالُنَا وَإِلَيْهِ تَرْقَى رُوحُ ذِي الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ» و«ترقى» ولا يكون مثل هَذَا التعبير إِلَّا فِيهَا هُوَ فَوْقَ.

٢٠٩٦- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً وَكَذَا ابْنُ مَرْيَمَ مُصْعَدَ الْأَبْدَانِ

عرج الرسول حقيقةً إِلَى الله ببدنه؛ ولهذا قال: (مصعد الأبدان).

وعرج ابن مريم إِلَى الله حقيقةً ببدنه، وليس بروحه كما ادَّعاه بعض المتأخرين، وقالوا: إِنَّ عيسى لم يُرْفَع ببدنه، وإنه لا ينزل إِلَى الدنيا في آخر الزمان، ولكن هَذَا قولٌ باطلٌ مخالفٌ للقرآن والسنة وإجماع السلف، بل إِنَّ ابن مريم رفعه الله إِلَيْهِ ببدنه لا بروحه؛ لأنَّ الأرواح لا يختصُّ بها ابن مريم، فكلُّ مؤمنٍ فَإِنَّ رُوحَهُ تُرْفَعُ إِلَى الله.

والنبيّ -عليه الصلاة والسلام- كذلك عرج إِلَى الله ببدنه، عرج فوق سبع سموات حتّى وصل إِلَى مكانٍ سَمِعَ فِيهِ صرِيفَ الأَقْلَامِ: أقلام القضاء، فوصل إِلَى سدرة المنتهى، وصعد هَذِهِ السَّمَوَاتِ العَظِيمَةَ الواسِعَةَ البعيدةَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، صعدَهَا وَرَجَعَ إِلَيْهَا، وَحَصَلَ مِنْهُ صَلَاةٌ بِالأَنْبِيَاءِ وَسَلَامٌ عَلَى الأنبياء، وكذلك أيضًا حصل مراجعةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي فِرَاسِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، كُلُّ هَذَا فِي لَيْلَةٍ.

وجاء إِلَى مَكَّةَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ فِي لَيْلَتِهِ، وَاسْتَقْبَلَ مِنْ يَوْمِهِ، وَصَارَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى، فَكَذَّبَهُ المَكْذُوبُونَ، وَأَنْكَرُوا، وَقَالُوا: نَحْنُ نَذْهَبُ إِلَى الشَّامِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَنَرْجِعُ مِنَ الشَّامِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَمُحَمَّدٌ يَدَّعِي أَنَّهُ وَصَلَ الشَّامَ وَوَصَلَ إِلَى العَرْشِ فِي لَيْلَةٍ، هَذَا كَذِبٌ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ وَكَذَّبُوهُ، وَذَهَبُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَقَالُوا: إِنَّ صَاحِبَكَ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَانظُرْ مَاذَا أَفْكَ؟ فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ قَدْ قَالَ

ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ « فمن ذلك اليوم سُمِّي الصِّدِّيقُ ^(١) .

فالحاصل أن الرسول ﷺ عُرِجَ بیدنه، وأما قول مَنْ قال: إنه عُرِجَ بروحه فهو قولٌ باطلٌ؛ لأنَّ الله يقول: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِیْ اَسْرٰی بِعَبْدِهٖ لَیْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] فقال: ﴿بِعَبْدِهٖ﴾ ولم يقل: (بروح عبده)، وقال في المعراج في سورة النجم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰی ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَاٰی مِنْ اٰیٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰی﴾ [النجم: ١٧-١٨] رأى بنفسه، ولو كان قد عُرِجَ بروحه لم تكن قريش لتكذبه؛ لأنَّ قريشًا لا تُكذِّبُ بالرُّؤیا، فكلُّ إنسانٍ يرى ما لا يمكنُ في ليلة ولا في شهر، ويراه في منامه في ساعة، فلو كان منامًا ما كذَّبتَه قريشٌ.

المهم أن هؤلاء المعطلة الذين عطَّلوا الله عن صفاته، والذين عطَّلوا نصوصَ المعاد عن معانيها، سوَّوا هجومًا على ما يقول أهل السنة (المجسِّمة).

٢٠٩٧- وَكَذٰلِكَ قَالُوْا اِنَّهٗ بِالذَّٰتِ فَوْقَ الْعَرْشِ قُدْرَتُهٗ بِكُلِّ مَكَانٍ قَوْلُهٗ: «وَكَذٰلِكَ قَالُوْا»: الضميرُ يعودُ على أهل السنة الذين سبَّاهم هؤلاء مجسِّمة.

قَوْلُهٗ: «اِنَّهٗ بِالذَّٰتِ فَوْقَ الْعَرْشِ» هو - سبحانه وتعالى - فوق العرشِ بذاته، وإنما قالوا: (فوق العرشِ بذاته) ردًّا لمن قالوا: إنه لم يكن فوق العرشِ بذاته، ولكنه فوق العرشِ بنوعه، كما يُقال: (الذهبُ فوقَ الفضةِ)، لكن قالوا: (بذاته) ردًّا عليهم، وإلَّا فلا حاجة أن يُقال: (بذاته)؛ لأنَّ كُلَّ فعلٍ أضافه الله إلى نفسه فهو إليه ذاته، فقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ﴾ [البقرة: ١٦٤] لا حاجة إلى أن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ٦٥، رقم ٤٤٠٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

نقول: (بذاته)، فهو خلقها نفسه، وهَكَذَا جميع ما أُضِيفَ إِلَى الله فهو يُضَافُ إليه نفسه.

قَوْلُهُ: «قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ» هم قالوا: (اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ) أي: مَلَكَ العَرْشَ وقهره، فقال ابنُ القَيْمِ: قُدْرَتُهُ لا تختصُّ بالعَرْشِ، بل قُدْرَتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وليست عَلَى العَرْشِ فقط.

٢٠٩٨- وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ كُلُّ آخِرِ لَيْلَةٍ نَحْوَ السَّمَاءِ فَهَذَا هُنَا جِهَتَانِ:

٢٠٩٩- لِلْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَذَانِ لِلْأَجْسَامِ أَيْنَ اللهُ مِنْ هَذَا؟!

يعني: قالوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُجَسِّمَةَ يقولون: إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ، يَنْزِلُ حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

قَوْلُهُ: «فَهَذَا هُنَا جِهَتَانِ»: جهة للابتداء من نصف الليل، وجهة للإنتهاء إِلَى طلوع الفجر.

قَوْلُهُ: «وَذَانِ لِلْأَجْسَامِ» يعني: لا يمكن أن يكون نزولٌ وطلوعٌ مؤقتٌ بوقتٍ إِلاَّ للأجسام.

قَوْلُهُ: «أَيْنَ اللهُ مِنْ هَذَا؟!» قائل ذلك هم المعطلة، يقولون: أين الله أن يكون جسمًا؟ أن يكون له ابتداءٌ بنزوله وابتداءٌ في انتهاء النزول؟

٢١٠٠- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَيَا إِخْوَانِي

٢١٠١- أَيْكُونُ ذَاكَ بِغَيْرِ حَرْفٍ أَمْ بِلاَ صَوْتٍ؟! فَهَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

هذا أيضًا مما شنعوا به عَلَى أهلِ السُّنَّةِ قالوا: إِنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ قَامَ بِذَاتِهِ، فهل يمكنُ كَلَامٌ بِلاَ حَرْفٍ وَلاَ صَوْتٍ؟!!

الجواب: لا، إذن تقوم به الحروف والأصوات، فيكون حادثاً؛ لأن الحوادث لا تقوم إلا بحادث، نسأل الله العافية.

٢١٠٢- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا حَكَيْنَا عَنْهُمْ مِنْ قَبْلِ قَوْلِ مُشَبِّهِ الرَّحْمَنِ
يعني: قالوا أيضاً سوى هذا من كل ما يدل على التشبيه، وهذا لا شك أنه رمي بالبهتان لأهل السنة والجماعة.

٢١٠٣- فَذَرُوا الْحِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كُنُفَنَا جَمْعًا عَلَيْهِمْ حَمَلَةَ الْفُرْسَانِ

٢١٠٤- حَتَّى نَسُوقَهُمْ بِأَجْمَعِنَا إِلَى وَسَطِ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ
قوله: «نَسُوقُهُمْ» أي: نسوق أهل السنة.

«إِلَى وَسَطِ الْعَرِينِ» أي: مقر الأسد.

قوله: «مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ» يعني: أن الأسود تأكلهم وتمزقهم، ولكن هل يحصل لهم هذا؟ الجواب: لا، ما يحصل؛ ولهذا هم أقرؤا، فقالوا: (ولقد كَوْنُوا بالنصوص... إلخ).

يعني: أعاننا الله عليهم، يقول: اجعلونا جميعاً، ونشئ عليهم الغارة جميعاً من أجل أن نقضي عليهم.

ولكننا نقول: والله لن يقضوا على الحق بباطلهم؛ لأن الله يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الانبياء: ١٨].

- ٢١٠٥ - فَلَقَدْ كَوَوْنَا بِالْتُّصُوصِ وَمَا لَنَا
بِلِقَائِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ
- ٢١٠٦ - كَمْ ذَا بَقَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
مَنْ فَوْقَ أَعْنَاقِ لَنَا وَبَنَانِ!
- ٢١٠٧ - إِنْ نَحْنُ قُلْنَا: قَالَ آرِسْطُو الْمُعَدِّ
سَلِمٌ أَوْ لَا أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي
- ٢١٠٨ - وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا
أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التَّبِيَانِ
- ٢١٠٩ - قَالُوا لَنَا: قَالَ الرَّسُولُ: وَقَالَ فِي الْأُ
قُرْآنٍ: كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ؟
- ٢١١٠ - وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيْضًا بِهِ—
ذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرِيَانِ
- ٢١١١ - إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالْعُقُولِ أَتَوْكُمْ
بِالنَّصِّ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
- ٢١١٢ - فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا
حَرْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سَلْمَانِ
- ٢١١٣ - فَإِذَا فَرَعْنَا مِنْهُمْ فَخِلَافُنَا
سَهْلٌ فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ أَحْوَانِ
- ٢١١٤ - فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ
مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ سِوَى الْعَدَمِ الَّذِي
- ٢١١٥ - مَا اللهُ مُوجُودًا هُنَاكَ وَإِنَّمَا الـ
لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَذْهَانِ
- ٢١١٦ - وَاللهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً
عَدَمُ الْمُحَقَّقِ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٢١١٧ - هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِنَا
بِالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيَصَانِ
- ٢١١٨ - وَكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي التَّـ
وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَةُ الْعِرْفَانِ
- ٢١١٩ - وَكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي التَّـ
تَوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
- ٢١٢٠ - لَيْسَتْ كَلَامَ اللهِ بَلْ فَيُضُّ مِنَ الـ
فَعَالٍ أَوْ خَلَقَ مِنَ الْأَكْوَانِ

- ٢١٢١- فَلَا أَرْضَ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ وَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِلْخَلْقِ مِنْ دِيَّانٍ
 ٢١٢٢- بَشْرٌ أَتَى بِالْوَحْيِ وَهُوَ كَلَامُهُ فِي ذَاكَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ مِثْلَانِ

الشرح

٢١٠٥- فَلَقَدْ كَوَوْنَا بِالنُّصُوصِ وَمَا لَنَا بِلِقَائِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ

قَوْلُهُ: «كَوَوْنَا» يعني: أذاقونا حرَّ النصوص، فلم نستطع أن نتخلص.

قَوْلُهُ: «وَمَا لَنَا... يَدَانِ» يعني: مالنا فيها قوة؛ لَأَنَّ الْكُلَّ يَقْبَلُ النُّصُوصَ، حَتَّى الْعَامَّةُ يَقْبَلُونَهَا، فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ تَوَقَّفُوا، وَأَخَذُوا بِهَا.

٢١٠٦- كَمْ ذَا بَقَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقِنَا وَبَنَانِ!

يعني: ما أكثر ما يُقَالُ: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقِنَا وَبَنَانِ، وَإِنَّمَا قَالَ: «مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقِنَا وَبَنَانِ» تَشْبِيهًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] يعني: أَنْ هَذَا الْقَوْلُ مَنَّا بِمَنْزِلَةِ مَا فَعَلَتْ الْمَلَائِكَةُ بِالْكَفَّارِ يَوْمَ بَدْرٍ.

٢١٠٧- إِنْ نَحْنُ قُلْنَا: قَالَ أَرِسْطُو الْمُعَدِّ لِمَ أَوْلَا أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي

يعني: إِنَّمَا نَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ هَذَا قَوْلُ (أَرِسْطُو)، وَيَسْمُونَهُ الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ، لَكِنَّهُ مُعَلِّمُ الشَّرِّ وَالْفُسَادِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَعَلِيهِ وَزُرُّهَا وَوَزُرُّ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَمَّا الْمُعَلِّمُ الثَّانِي فَهُوَ (الْفَارَابِيُّ)، فَ(الْفَارَابِيُّ) أَيْضًا مِنْ أَسَاطِينِ الْفَلَسَفَةِ، فَقَوْلُهُ: (الثَّانِي) أَي: (الْفَارَابِيُّ).

٢١٠٨- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا» «ابْنُ سِينَا» يُسَمَّى الرَّئِيسَ عِنْدَهُمْ، وَقَدْ صَرَّحَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَابْنُ الْقَيْمِ بِأَنَّ الرَّجُلَ كَافِرٌ، وَهُوَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ الْقَوْمِيَّينَ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَابْنِ الْقَيْمِ مُؤْمِنٌ بِالطَّاعُوتِ كَافِرٌ بِاللَّهِ؛ وَهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُجَجَلَ أَوْ يَعْظَمَ أَوْ تُنْسَبَ الْمَدَارِسُ إِلَيْهِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَا يَفْعَلُ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ جَاهِلٌ.

قَوْلُهُ: «أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التَّبْيَانِ» أَيْضًا «الرَّازِيُّ»^(١) مِنْ أَسَاطِينِهِمْ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، رَجُلٌ طَيِّبٌ، وَلَا أَظُنُّهُ (الرَّازِيَّ) الَّذِي لَهُ التَّفْسِيرُ الْمَشْهُورُ الَّذِي يُلَقَّبُ (فَخِرَ الدِّينِ)، لَا أَظُنُّهُ هَذَا.

٢١٠٩- قَالُوا لَنَا: قَالَ الرَّسُولُ: وَقَالَ فِي الْا قُرْآنِ: كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ؟

قَالَ: إِذَا قُلْنَا: قَالَ أَرَسَطُو، الْفَارَابِيُّ، ابْنُ سِينَا، قَالُوا لَنَا: قَالَ الرَّسُولُ، وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ؟ عَظِيمٌ؛ وَهَذَا قَالَ: (كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ)؟ إِذَا قَالُوا: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ الرَّسُولُ، كَيْفَ نَدْفَعُ هَذَا؟

٢١١٠- وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيْضًا بِهِ - لَذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرَبَّانِ

قَوْلُهُ: «أَنْتُمْ» يَخَاطَبُونَ الْأَشَاعِرَةَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِمَّنْ نَفَوْا الصِّفَاتِ، يَقُولُونَ: إِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ: دَلَّ الْعَقْلُ عَلَى كَذَا، قَالُوا: دَلَّ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ عَلَى كَذَا، فَهَذَا مَعْتَرِكُ ضَنْكُ.

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب، صاحب التصانيف، من أذكى أهل زمانه، وكان كثير الأسفار، وافر الحرمة، صاحب مروءة وإيثار ورأفة بالمرضى، وكان واسع المعرفة، مُكِبًّا على الاشتغال، مليح التأليف، توفي ببغداد، سنة إحدى عشرة وثلاثمئة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/٣٥٤).

٢١١١- **إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالْعُقُولِ أَتَوَكُّمُ بِالنَّصِّ مِنْ أَثَرِ وَمِنْ قُرْآنٍ**
 ونحن أيضًا إذا جئناهم بكلام أرسطو، والفارابي، وابن سينا، أتونا بالقرآن.
إِذَنْ أَنْتُمْ تَسْتَدِلُّونَ بِالْعَقْلِ فَيَدْمَغُونَكُمْ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، نَحْنُ نَسْتَدِلُّ
بِأَرِسْطُو وَأَشْبَاهِهِ، وَيَأْتُونَنَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَصَارُوا عَدُوًّا لَنَا جَمِيعًا.
 انظر صاروا عدوًّا لهؤلاء وهؤلاء.

٢١١٢- **فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا حَرْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سَلْمَانٍ**
قَوْلُهُ: «فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا حَرْبٌ» أَي: لِنَجْرٍ حِلْفًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْنَا
حَرْبٌ عَلَيْهِمْ، وَأَنْنَا فِيهَا بَيْنَنَا سَلْمَانٍ.

٢١١٣- **فَإِذَا فَرَّغْنَا مِنْهُمْ فَخِلَافُنَا سَهْلٌ فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ أَخْوَانٍ**
 يعني: دعونا نقضي عليهم جميعًا، وإذا انتهينا فالخلاف بيننا وبينكم سهل.

٢١١٤- **فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِلَا كِتْمَانٍ**
 لأن المعتزلة والأشاعرة وأشباههم يُنكرون استواء الله على العرش، ويقولون:
 أبدًا، ليس الله فوق العرش، ما فوق العرش أحد، والفلاسفة كذلك؛ لأن
 الفلاسفة يُنكرون الله رأسًا.

٢١١٥- **مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ سِوَى الْعَدَمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَذْهَانِ**

٢١١٦- **مَا اللَّهُ مُوجُودًا هُنَاكَ وَإِنَّمَا الـ**
عَدَمُ الْمُحَقَّقُ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ

٢١١٧- **وَاللَّهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً**
بِالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيَصَانِ

قَوْلُهُ: «عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيَصَانِ» الدِّيَصَانُ: أُمَّةٌ ضَالَّةٌ شَبَّهُوا بِهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ.

أهل السُّنَّة يقولون: نحن نقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ موجودٌ فوق العرش، وهم يقولون: ليس موجودًا فوق العرش، ما فوقه أحد؛ لأنَّ الأشاعرةَ والمعتزلةَ ينكرون استواءَ الله على العرش، والفلاسفة ينكرون وجودَ الله أصلاً.

إذْ نَ ليس فوق العرشِ أحدٌ على رأي هؤلاء وعلى رأي هؤلاء.

٢١١٨- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَةُ العِرْفَانِ
فإذن نحن وأنتم سواء.

٢١١٩- وَكَذًا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي التَّ- تَوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ

٢١٢٠- لَيْسَتْ كَلَامَ اللَّهِ بَلْ فَيُضُّ مِنَ ال- فَعَّالٍ أَوْ خَلْقٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

يعني: ونحن أيضًا متفقون معكم على أن التوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد -عليهم الصلاة والسلام- ليست كلام الله.

المعتزلة يقولون: القرآن ليس كلام الله بالمعنى الذي يريدُه أهل السُّنَّة.

الأشاعرة يقولون: هَذَا الْقُرْآنُ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ.

الفلاسفة أيضًا يقولون: ليس كلام الله؛ لأنه لا إله، لكن يوجد عقل فعَّالٌ يُدَبِّرُ الكونَ وليس هُوَ الله، وهذا الكلامُ كلامُهم؛ ولهذا يقول: (ليست كلام الله بل فيضٌ من الفعَّالِ)، (هذا مذهب الفلاسفة)، (أو خلقٌ من الأكوان) وهذا مذهب المعتزلة والأشاعرة.

الفلاسفة يقولون: هَذَا الكَلَامُ فَيُضُّ مِنَ العَقْلِ الفَعَّالِ يُفِيضُهُ هَذَا العَقْلُ عَلَى بَشَرٍ قَابِلٍ لَهُ فَيَتَكَيَّفُ بِكَيْفِيَّةِ هَذَا النُّورِ الَّذِي أَلْقَاهُ عَلَيْهِ العَقْلُ الفَعَّالُ ثُمَّ يَنْطِقُ بِالكَلَامِ.

الأشاعرةُ والمعتزلةُ يقولون: هَذَا الكَلَامُ المَسْمُوعُ المَكْتُوبُ لَيْسَ كَلَامَ اللهِ،
لِمَاذَا؟ المَعْتَزَلَةُ يَقُولُونَ: هُوَ خَلَقَ خَلْقَهُ اللهُ مِثْلَمَا يَخْلُقُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، لَكِنْ أَضَافَهُ
إِلَى نَفْسِهِ مِنْ بَابِ التَّشْرِيفِ.

وَالأشاعرةُ يَقُولُونَ: كَلَامُ اللهِ هُوَ المَعْنَى القَائِمُ بِنَفْسِهِ، وَخَلَقَ أَصْوَاتًا تَدُلُّ
عَلَيْهِ وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

فَإِذَنْ هَذَا القُرْآنُ - عَلَى كَلَا القَوْلِينَ - مَخْلُوقٌ؛ وَهَذَا يَقُولُ: (أَوْ خَلَقَ مِنْ
الأَكْوَانِ).

٢١٢١ - فَالأَرْضُ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ وَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِلخَلْقِ مِنْ دِيَانِ
٢١٢٢ - بَشَرٌ أَتَى بِالْوَحْيِ وَهُوَ كَلَامُهُ فِي ذَاكَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ مِثْلَانِ
قَوْلُهُ: «الأَرْضُ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ» لِأَنَّهُ مَا فِيهَا إِلَّا شَيْءٌ مَخْلُوقٌ.

٢١٢٣ - وَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ رُؤْيَيْنَا لَهُ عَيْنُ المُحَالِ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
٢١٢٤ - وَزَعَمْتُمْ أَنَّا نَرَاهُ رُؤْيَا أَلِ مَعْدُومٍ لَا المَوْجُودِ فِي الأَعْيَانِ
٢١٢٥ - إِذْ كُلُّ مَرِيٍّ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ، لَا بُدَّ فِي البُرْهَانِ
٢١٢٦ - مِنْ أَنْ يُقَابَلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرِطٍ وَتَدَانِي
٢١٢٧ - وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَى إِبْطَالِ ذَا أَنْتُمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ
٢١٢٨ - أَمَّا البَلِيَّةُ فَهِيَ قَوْلُ مُجَسِّمٍ قَالَ: القُرْآنُ بَدَأَ مِنَ الرَّحْمَنِ
٢١٢٩ - هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَأَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

- ٢١٣٠- سَمِعَ الْأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَذَى
 دَاهُ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ إِنْسَانِ
- ٢١٣١- فَلَهُ الْأَدَاءُ كَمَا الْأَدَا لِرَسُولِهِ
 وَالْقَوْلُ قَوْلُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ
- ٢١٣٢- هَذَا الَّذِي قُلْنَا وَأَنْتُمْ: إِنَّهُ
 عَيْنُ الْمُحَالِ وَذَلِكَ ذُو بَطْلَانِ
- ٢١٣٣- فَإِذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعًا أَنَّهُ
 مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنِ
- ٢١٣٤- إِلَّا كَبَيْتِ اللَّهُ تِلْكَ إِضَافَةُ الْ
 مَحْلُوقِ لَا الْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ
- ٢١٣٥- فَعَلَامَ هَذَا الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا
 مَعَ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ؟
- ٢١٣٦- فَإِذَا أَبَيْتُمْ سَلَمْنَا فَتَحَيَّزُوا
 لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالِإِدْعَانِ
- ٢١٣٧- عُوذُوا مُجَسِّمَةً وَقُولُوا: دِينَنَا الْ
 إِبْرَاتِ دِينِ مُشَبِّهِ الدِّيَانِ
- ٢١٣٨- أَوْ لَا فَلَامِنَّا وَلَا مِنْهُمْ وَذَا
 شَأْنِ الْمُتَنَاقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ
- ٢١٣٩- هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُصُومُهُ
 تَرْمِيهِ بِالتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
- ٢١٤٠- هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ هُوَ جَاحِدٌ
 هُوَ مُثَبَّتٌ تَلْقَاهُ ذَا أَلْوَانِ
- ٢١٤١- يَوْمًا بِتَأْوِيلِ يَقُولُ وَتَارَةً
 يَسْطُو عَلَى التَّأْوِيلِ بِالنُّكْرَانِ

الشرح

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في بيان الخصومة الواقعة بين أهل التعطيل وبين الفلاسفة، وأتاهم يتفقون في أصول متعددة، منها، قال:

٢١٣٣- وَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ رُؤْيَيْنَا لَهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

قال الفلاسفة وقال أهل التعطيل أيضًا من الأشاعرة وغيرهم: إِنَّ رُؤْيَتَنَا لِلَّهِ عَيْنُ الْمَحَالِّ، يَعْنِي: أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ نَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.
وقد سبق لنا أَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ قَدْ دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ، وَأَنَّهَا رُؤْيَةٌ حَقِيقَةٌ بِالْعَيْنِ.

٢١٢٤- وَزَعَمْتُمْ أَنَّ رَأْيَهُ رُؤْيَةٌ أَلَمْ مَعْدُومٍ لَا الْمَوْجُودِ فِي الْأَعْيَانِ

يعني: أَنَّ الرُّؤْيَةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُرَادُ بِهَا رُؤْيَةُ الْمَعْدُومِ، وَرُؤْيَةُ الْمَعْدُومِ الَّذِي لَا يُرَى بِالْعَيْنِ يَعْنِي: الْعِلْمُ بِهِ؛ وَهَذَا يُفَسِّرُونَ الرُّؤْيَةَ بِأَنَّهَا تَمَامُ الْيَقِينِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يَرَوْنَ اللَّهَ أَي: يَتَيَقَّنُونَهُ حَقًّا كَمَا يَتَيَقَّنُ الرَّائِيُّ مَنْ رَأَاهُ حَقًّا، لَكِنْ لِمَاذَا لَا يَرَوْنَهُ رُؤْيَةَ الْمَوْجُودِ؟

قال:

٢١٢٥- إِذْ كُتِبَ لِي بِرَأْيِي يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ،

يعني: كُلُّ مَرْتَبِيٍّ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ قَائِمًا بِغَيْرِهِ، فَالْجِسْمُ مِثْلًا إِذَا رَأَيْنَاهُ رَأَيْنَا قَائِمًا بِنَفْسِهِ، وَاللَّوْنُ فِي الْجِسْمِ إِذَا رَأَيْنَاهُ رَأَيْنَا قَائِمًا بِغَيْرِهِ، فَلَا بُدَّ فِي الْبُرْهَانِ.

٢١٢٥- ، لَا بُدَّ فِي الْبُرْهَانِ

٢١٢٦- مِنْ أَنْ يُقَابَلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرَطٍ وَتَدَانِي

يعني: لَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ نِسْبَةِ بَيْنِ الرَّائِيِّ وَالْمَرْتَبِيِّ وَهِيَ الْمَقَابَلَةُ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، أَمَّا بِغَيْرِ الْمَقَابَلَةِ فَلَا تَمَكَّنُ الرُّؤْيَةَ.

٢١٢٧- وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَىٰ إِبْطَالِ ذَا أَنْتُمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ

إِذْ الْأَشَاعِرَةُ يُنْكِرُونَ أَنَّ اللَّهَ يُرَى - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - مَعَ أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْبِدْعَةُ بِدْعَةٌ مُكْفَرَةٌ، حَتَّىٰ إِنَّهُ نَقَلَ فِي بَعْضِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ اتِّفَاقَ السَّلَفِ عَلَىٰ تَكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ، قَالَ: لِأَنَّهَا جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا السَّلَفُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرِ»^(١)، وَهَلْ أُبْلَغُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ فِي أَنَّ الرُّؤْيَا رُؤْيَا عَيْنٍ؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا، فَلَا أُبْلَغُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، وَلَا أَوْضَحُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، فَمَنْ أَنْكَرَهُ فَقَدْ أَنْكَرَ مَا مَدْلُولُهُ أَمْرٌ قَطْعِيٌّ لَا شَكَّ فِيهِ.

٢١٢٨- أَمَّا الْبَلِيَّةُ فَهِيَ قَوْلُ مُجَسِّمٍ قَالَ: الْقُرْآنُ بَدَأَ مِنَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مُجَسِّمٌ» الْمُجَسِّمُ أَيُّ: الْمُثَبِّتُ لصفاتِ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ أَثَبَّتْ صِفَاتِ اللَّهِ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُجَسِّمٌ.

٢١٢٩- هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَأَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

وهذا قد تقدّم الكلام عليه أن أهل السنة والجماعة يرون أن القرآن كلام الله لفظه ومعناه، وأنه منه بدأ وإليه يعود.

٢١٣٠- سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَذَى دَاهُ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ إِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ» «الأمين» هُوَ جَبْرِيْلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اتَّيَمَنَهُ اللَّهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُ سَفِيرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسَلِهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

قَوْلُهُ: «وَأَدَّاهُ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ إِنْسَانٍ» وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

٢١٣١- فَالَهُ الْأَدَاءُ كَمَا الْأَدَا لِرَسُولِهِ وَالْقَوْلُ قَوْلُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «لَهُ» أَي: لَجَبْرِئِلَ الْأَمِينِ.

قَوْلُهُ: «الْأَدَاءُ» أَي: يُوَدِّيهِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَوْلُهُ: «كَمَا الْأَدَا لِرَسُولِهِ» يُوَدِّيهِ إِلَى الْأُمَّةِ.

قَوْلُهُ: «وَالْقَوْلُ قَوْلُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ»، فَهَذَا ثَلَاثَةٌ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْقُرْآنُ

قَوْلُهُ، مِنْهُ ابْتِدَاءٌ، وَجَبْرِئِلُ مُبَلِّغٌ إِلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ مُبَلِّغٌ إِلَى الْأُمَّةِ؛

وَلِهَذَا أَضَافَ اللَّهُ الْقُرْآنَ إِلَى جَبْرِئِلَ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا

هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] المراد بالرسول هنا (محمد)، لَأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

شَاعِرٍ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-

٢٠] هَذَا جَبْرِئِلُ، وَمَحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ مِنْ قَائِلَيْنِ.

إِذَنْ فَنَسَبَةُ الْقَوْلِ إِلَيْهِمَا نَسَبَةُ أَدَاءٍ وَتَبْلِيغٍ، أَمَّا الْأَصْلُ الَّذِي قَالَهُ أَصْلًا

وَابْتِدَاءً فَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ

فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

٢١٣٢- هَذَا الَّذِي قُلْنَا وَأَنْتُمْ: إِنَّهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَذَلِكَ ذُو بُطْلَانٍ

هَمَّ يَقُولُونَ: مُسْتَحِيلٌ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُسْمَعُ، يَسْمَعُهُ

جَبْرِئِلُ فَيُوَدِّيهِ إِلَى مُحَمَّدٍ، هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ، كَيْفَ ذَلِكَ؟ لِأَنَّ الْفَلَّاسِفَةَ يَقُولُونَ:

إِنَّ الْقُرْآنَ فَيُضُّ مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ، وَلَيْسَ كَلَامَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْأَشَاعِرَةَ

يقولون: إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِ اللَّهِ، وَأَمَّا هَذِهِ الْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ الَّتِي سَمِعَهَا جَبْرِيلُ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ؛ وَهَذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللَّهِ.

٢١٣٣- فَإِذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعًا أَنَّهُ مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنِ

٢١٣٤- إِلَّا كَبَيْتِ اللَّهِ تِلْكَ إِضَافَةٌ أَلْ مَخْلُوقِ لَا الْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَّا كَبَيْتِ اللَّهِ تِلْكَ إِضَافَةٌ» يَعْنِي: بَيْتُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَلَيْسَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ، أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ.

٢١٣٥- فَعَلَامَ هَذَا الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا مَعَ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ؟

٢١٣٦- فَإِذَا أَبِيْتُمْ سَلَمْنَا فَتَحَيَّرُوا لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالِاذْعَانِ

يَعْنِي: إِنْ أَبِيْتُمْ سَلَمْنَا، وَقُلْتُمْ: أَنْتُمْ حَرْبٌ عَلَيْنَا، وَلَا نَكُونُ مَعَكُمْ وَلَا فِي صَفِّكُمْ، فَتَحَيَّرُوا لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالِاذْعَانِ، وَهِيَ مَقَالَةُ السَّلْفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

٢١٣٧- عُودُوا مَجْسَمَةً وَقُولُوا: دِينَنَا أَلْ إِبْتِاتٌ دِينَ مُشَبِّهِ الدِّيَانِ

عُودُوا مَجْسَمَةً، وَقُولُوا: دِينَنَا الْإِبْتِاتُ، فَمَنْ كَانَ مُثَبِّتًا فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَجْسَمٌ مُشَبِّهُ؛ وَهَذَا قَالَ: «دِينَ مُشَبِّهِ الدِّيَانِ».

٢١٣٨- أَوْ لَا فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ وَذَا شَأْنُ الْمُنَافِقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ لَا» يَعْنِي: أَوْ لَا تَحَيَّرُوا إِلَى أَهْلِ التَّجْسِيمِ أَوْ مَقَالَةِ التَّجْسِيمِ.

قَوْلُهُ: «فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ» أَي: مَذْبذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ.

قَوْلُهُ: «وَذَا شَأْنُ الْمُنَافِقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ» المنافقُ له وجهان: يلقي المؤمنين بوجهٍ ويقول: نحن معكم آمنًا بالله، ويلقى الكافرين بوجهٍ فيقول: إننا معكم إنما نحن مستهزئون، فله وجهان -والعياذ بالله- نسأل الله أن يحمينا وإياكم من ذلك.

٢١٣٩- هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُصُومُهُ تَرْمِيهِ بِالتَّعْطِيلِ وَالْكَفَرَانِ فهو تارةً يقول هكذا، وتارةً يقول هكذا.

٢١٤٠- هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ هُوَ جَا حِدٌ هُوَ مُثَبِّتٌ تَلْقَاهُ ذَا أَلْوَانِ قَوْلُهُ: «هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ» قائمٌ مع القائمين، وقاعدٌ مع القاعدين.

قَوْلُهُ: «هُوَ جَا حِدٌ هُوَ مُثَبِّتٌ» جاحدٌ مع الجاحدين، مُثَبِّتٌ مع المثبتين، ليس له قاعدةٌ يستقيم عليها.

٢١٤١- يَوْمًا بِتَأْوِيلٍ يَقُولُ وَتَارَةً يَسْطُو عَلَى التَّأْوِيلِ بِالتُّكْرَانِ

أحيانًا يُؤوِّلُ وَيُحَرِّفُ، وأحيانًا لا يُؤوِّلُ ولا يُحَرِّفُ بل ينكرُ التأويلَ، وهكذَا هؤلاء مذبذبون؛ ولذلك لا تكادُ تجدُ أحدًا من أهل الكلام يثبتُ على قدمِ راسخة، بل إنه ينقدُ نفسه بنفسه، فتجده في موضعٍ من كلامه يقول: هَذَا واجبٌ لله، وفي موضعٍ آخر يقول: هَذَا ممتنعٌ على الله، وفي موضعٍ ثالثٍ يقول: هَذَا جائزٌ، هَذَا وَهُوَ واحدٌ منهم بقطع النظر عن مجموعهم، لو نظرنا إلى مجموعهم لوجدنا بعضهم يُكذِّبُ بعضًا.

فصل

فِي الْمَطَالِبَةِ بِالْفَرْقِ بَيْنَ مَا يُتَأَوَّلُ وَمَا لَا يُتَأَوَّلُ

- ٢١٤٢- فَتَقُولُ: فَرْقٌ بَيْنَ مَا أَوْلَتْهُ وَمَنْعَتَهُ تَفْرِيقٌ ذِي بُرْهَانٍ
 ٢١٤٣- فَيَقُولُ: مَا يُفْضَى إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ
 ٢١٤٤- كَالِاسْتِوَاءِ مَعَ التَّكَلُّمِ هَكَذَا
 ٢١٤٥- إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحَدَّثٍ
 ٢١٤٦- فَتَقُولُ: أَنْتَ وَصَفْتَهُ أَيْضًا بِمَا
 ٢١٤٧- فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ مَعَ
 ٢١٤٨- وَوَصَفْتَهُ بِمَشِيئَةٍ مَعَ قُدْرَةٍ
 ٢١٤٩- أَوْ وَاحِدٍ وَالْجِسْمِ حَامِلٌ هَذِهِ أَلْ
 ٢١٥٠- بَيْنَ الَّذِي يُفْضَى إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ
 ٢١٥١- وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوكُكُمْ كُلُّهُمْ

الشرح

هَذَا الْفَصْلُ يَتَحَدَّى فِيهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ أَوْ يُؤَوِّلُونَ بَعْضَ النُّصُوصِ وَيَتْرَكُونَ بَعْضًا، فَيَقُولُ لَهُمْ: فَارْقُوا لَنَا بَيْنَ مَا يُؤَوَّلُ وَبَيْنَ مَا لَا يُؤَوَّلُ، أَمَّا أَنْ تَتَحَكَّمُوا فَتَقُولُوا: هَذَا يُؤَوَّلُ وَهَذَا لَا يُؤَوَّلُ، فَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ لَكُمْ.

٢١٤٢- فَنَقُولُ: فَزُقْ بَيْنَ مَا أَوْلَتْهُ وَمَنْعَتْهُ تَفْرِيقَ ذِي بُرْهَانَ
 ٢١٤٣- فَيَقُولُ: مَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ
 وَلِنَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ
 قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ» أي: في الجواب.

«ما يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْلِنَاهُ» يعني: وما لا يُفْضِي لا نُؤَوِّلُهُ.

قَوْلُهُ: «مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ» أي: من خيرٍ عن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

«وَمِنْ قُرْآنٍ» أي: من كلام الله -سبحانه وتعالى-.

٢١٤٤- كَالِإِسْتِوَاءِ مَعَ التَّكْلِمِ هَكَذَا لَفْظُ النُّزُولِ كَذَلِكَ لَفْظُ يَدَانِ
 قَوْلُهُ: «كَالِإِسْتِوَاءِ» هَذَا مِثَالٌ لِمَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ، «كَالِإِسْتِوَاءِ»، مع
 «التكلم» هَكَذَا لَفْظُ «النزول»، كذلك لفظ «يدان» هَذِهِ أَرْبَعَةٌ أَمْثَلَةٌ.

يقول: إذا أثبتنا (الإستواء) بمعناه الحقيقي كان ذلك مُفْضِيًّا إِلَى التَّجْسِيمِ؛
 لأنك إذا قلت: «اسْتَوَى كَذَا عَلَى كَذَا» لزم أن يكونَ الأوَّلُ جِسْمًا كما أنَّ الثاني
 جِسْمٌ، وهذا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ.

كذلك (الكلام)، لو أثبتنا الكلامَ بحرفٍ وصوت لزم من ذلك التَّجْسِيمُ؛
 لأنَّ الكلامَ بحرفٍ وصوت يحتاجُ إِلَى آلة: لسان، وشفَتين، ومخارج حروف، وما
 أشبه ذلك، وهذا يقتضي أن يكونَ اللهُ جِسْمًا.

كذلك أيضًا (النزول)، يقولون: لا يكونُ النزولُ من شيءٍ إِلَى شيءٍ إِلَّا إذا
 كان هَذَا النازلُ جِسْمًا، فإذا أثبتَ نزولَ اللهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِثْلًا لزم أن تكونَ
 جِسْمًا.

وكذلك (اليدان)، أثبت الله لنفسه يَدَيْنِ، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال يخاطبُ إبليسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] فيقولون: محالٌّ أن يُثَبَّتَ لله يدان حقيقيتان؛ لأنَّ ذلك يقتضي التَّجَسُّيمَ.

وَكُلُّ هَذِهِ مَوْوَلَةٌ عِنْدَهُمْ، فَ(الِاسْتِوَاءُ) يَعْنِي: الْاسْتِيْلَاءُ، وَ(الْكَلَامُ) يَعْنِي: الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ أَوْ كَلَامَ مَخْلُوقٍ عَلَى رَأْيِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَ(النُّزُولُ) أَي: نَزْوُلُ الْأَمْرِ، فَ«يُنزَلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، يَعْنِي: يَنْزَلُ أَمْرُهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، أَوْ تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ، أَوْ يَنْزَلُ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَتِهِ.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ! كَيْفَ يَتَجَرَّؤُونَ أَنْ يَقُولُوا هَذَا الْكَلَامَ مَعَ أَنَّ الَّذِي نَطَقَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «يُنزَلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟»^(١) هَلْ يُمْكِنُ لِلْأَمْرِ أَنْ يَقُولَ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ فَالَّذِي يَتَصَوَّرُ أَنَّ الْأَمْرَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ وَهُوَ أَمْرٌ، لَا شَكَّ أَنَّ عَقْلَهُ لَيْسَ مَعَهُ.

هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ الْمَلَكُ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ لَوْ أَنَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ هَذَا لِأَدْعَى لِنَفْسِهِ أَنَّهُ إِلَهٌ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَقُولَ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمَكْرَمُونَ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونُوا آلِهَةً، لَكِنْ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- إِذَا صَارَ لِلْإِنْسَانِ الْهُوَى ضَلَّ عَنِ الْهُدَى.

كَذَلِكَ (الْيَدَانِ): يَقُولُ: الْمَرَادُ بِالْيَدِ: (الْقُوَّةُ)، تَقُولُ الْعَرَبُ: (مَا لِي بِذَلِكَ يَدَانِ) أَي: مَا لِي بِهِ مِنْ قُوَّةٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

ولكن كَيْفَ نقولُ هَذَا واللهُ يقولُ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] بِيَدَيَّ؟ لو كانت (اليَدُ) هي القوة لم يكن هناك فرقٌ بين آدمَ وإبليسَ، فإنَّ إبليسَ خُلِقَ بقوة الله، ثُمَّ القوة لا يمكنُ أن تُشَنَّى، قوةُ الله وصفٌ عظيمٌ يُقدَّرُ بالكَيْفِ لا بالكَمِّ و(اليدان) مُقدَّرةٌ بالكَمِّ، هل اللهُ عزَّ وجلَّ له قوتان؟! له قوةٌ مُقدَّرةٌ بالكيفية لا يقهرُها شيءٌ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وإبطالُ كلامهم مرَّ علينا كثيراً، وواضحٌ جداً، لكن هم يقولون: هَذِهِ يمكنُ تأويلُها فنؤوِّلُها.

٢١٤٥- إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحَدَّثٍ لَا يَنْبَغِي لِلوَاحِدِ الْمَنَّانِ قَوْلُهُ: «إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحَدَّثٍ» يشيرُ إِلَى (الإِسْتِوَاءِ)، وَإِلَى (الكلامِ)، وَإِلَى (النزولِ)، وَإِلَى (اليَدِ).

قَوْلُهُ: «لَا يَنْبَغِي» أَي: الجِسْمُ، للواحدِ المَنَّانِ «لَا يَنْبَغِي» هنا بمعنى: لا يمكنُ، يعني: يستحيلُ، فنقولُ له مناقضين لكلامه: أنت وصفته أيضاً بما يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالْحِدْثَانِ؛ ولذا قال:

٢١٤٦- فَنَقُولُ: أَنْتَ وَصَفْتَهُ أَيْضًا بِمَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالْحِدْثَانِ

٢١٤٧- فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ مَعَ نَفْسِ الْحَيَاةِ وَعِلْمِ ذِي الْأَكْوَانِ

٢١٤٨- وَوَصَفْتَهُ بِمَشِيئَةٍ مَعَ قُدْرَةٍ وَكَلَامِهِ النَّفْسِيِّ وَهُوَ مَعَانِي

يعني: أنت وصفته بالسَّمْعِ، وَالْإِبْصَارِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْمَشِيئَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَكَلَامِهِ النَّفْسِيِّ، فهذه سبعُ صفات.

وهذه هي الصِّفَاتُ التي يثبُتها الأشاعرةُ مُدَّعينَ أَنَّ العقلَ دَلٌّ عليها، لكن كَيْفَ دَلٌّ عليها؟ يقولون: إِنَّ التَّخْصِيصَ دَلٌّ عَلَى الإرادة، لكن كَيْفَ التَّخْصِيصَ دَلٌّ عَلَى الإرادة؟

يقولون: تَخْصِيصُ المخلوقاتِ بحقائقها وذواتها وأعيانها وأوصافها دَلٌّ عَلَى الإرادة، السَّمَاءُ لماذا كانت سماءً، الأَرْضُ لماذا كانت أرضاً؟ الَّذِي اقتضت ذلك هي الإرادة، أراد الله أَنْ تَكُونَ السَّمَاءُ سماءً فكانت، وأراد أَنْ تَكُونَ الأَرْضُ أرضاً فكانت، وهَلَمْ جَرًّا.

«الإحكام» يعني: كُونِ هَذِهِ المخلوقاتِ مُحْكَمَةً متقنَةً يَدُلُّ عَلَى العلم؛ لِأَنَّ الجاهلَ لا يَأْتِي بالشَّيْءِ مُحْكَمًا، لو أراد إنسانٌ أَنْ يَصْلِحَ (مذياًعاً) مثلاً، وَهُوَ لا يَعْرِفُ الصَّنْعَةَ، فهل يَمْكِنُ أَنْ يَصْنَعَ لَنَا (مذياًعاً) مُحْكَمًا لا يَمْكِنُ، إِذْ نَ الإحكامُ دَلٌّ عَلَى العلم.

الإيجاد: إيجادُ المخلوقاتِ دَلِيلٌ عَلَى القدرة؛ لِأَنَّ العاجزَ لا يوجد.

هذه الصِّفَاتُ الثلاثُ يقولون: محالٌ أَنْ تَقُومَ إِلَّا بحَيٍّ، فحياةُ الله عزَّ وجلَّ استدلُّوا عليها بالملازمة، أَنه من لازم اتصافه بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الثلاثِ أَنْ يَكُونَ حَيًّا. أثبتنا الآن أربعَ صفات.

والحيُّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بصيرًا متكلِّمًا أو أصمَّ أعمى أخرس، والأَوْصَافُ الثلاثةُ الأخيرةُ ناقِصٌ، واللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النقصِ، فوجب له ثبوتُ السَّمْعِ والبصرِ والكلامِ، ومع ذلك يقولُ ابنُ القَيِّمِ -رحمه الله-: (كلامه النفسي وهو معاني أو واحد) يعني: الأشاعرةُ أيضًا لِيَتَّهَمُوا الكَلَامَ عَلَى ما يَثْبُتُ أَهْلُ السُّنَّةِ، يقولون: إِنَّ كَلَامَ الله هُوَ المعنى القائمُ بالنفسِ وَهُوَ أَرْزَلِيٌّ، وَهُوَ واحدٌ أو متعددٌ؟

فبعضهم يقول: إنه واحدٌ، فيجعلون قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٧٢] هي ﴿وَأَنْ تَشْكُرُوا بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٣].

يقولون: قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢] هي ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣] شيءٌ واحدٌ، الإنجيل والتوراة والقرآن شيءٌ واحدٌ.

وبعضهم يقول: لا، ليس شيئاً واحداً، بل هو متعددٌ: خبرٌ، واستخبارٌ، وأمرٌ، ونهيٌ، أربعةٌ أشياء.

وهؤلاء أهونٌ من الأولين، وأقربٌ إلى المعقول، وكُلُّهم مخالفون للمعقول، فكلامُ الله ليس هو المعنى النفسي، بل هو ما سمعه جبريل -عليه السلام- وأداه إلى محمد ﷺ وما يتكلم الله به في الأمور الكونية التي لا تنتهي لها.

٢١٤٩ - أَوْ وَاحِدٌ وَالْجِسْمُ حَامِلٌ هَذِهِ أَلْ أَوْصَافٍ حَقَّافَاتٍ بِالْفُرْقَانِ

٢١٥٠ - بَيْنَ الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ لَا يَقْتَضِيهِ بَوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

يقولون: السَّمْعُ لا نعقله إلا في الأجسام، والبصرُ لا نعقله إلا في الأجسام، الإرادةُ والقدرةُ كُلُّها في الأجسام، فأنت الآن أثبتت أوصافاً لا تقوم إلا بأجسام، وقلت: إن هذه الأوصاف حقيقة، وأما (الإستواء) و(النزول) و(الكلام) و(اليَد) فهي غيرُ حقيقة؛ لأنَّ هذه الأربعة لا تقوم إلا بجسم، وأثبتت سبعة أوصافٍ لا تقوم إلا بجسم، فهذا لا شك أنه تناقضٌ؛ ولهذا قال: (فأت بالفُرْقَانِ بين الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ لَا يَقْتَضِيهِ).

ثُمَّ أَقْسَمَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَقَالَ:

٢١٥١ - وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوكَ كُلُّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَبَدًا عَلَى الْفُرْقَانِ

وحينئذ يكونون متناقضين متحكِّمين، هَذِهِ صِفَةٌ لَا تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ فَنَبَتْهَا،
وَهَذِهِ صِفَةٌ تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ فَلَا نَبَتْهَا.

ثُمَّ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ كَلِمَةَ (الجسم) لها في اللغة العربية معانٍ متعددة، ولم يَرِدْ
وصفُ الله بها لا نفيًا ولا إثباتًا، فليس في الْقُرْآنِ ولا في السُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ قَالَ عَنْ
نَفْسِهِ: إِنَّهُ جَسْمٌ، وَلَا نَفَى عَنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ جَسْمٌ، فَمَا الَّذِي يَلْزِمُنَا؟

الْجَوَابُ: يَلْزِمُنَا أَنْ نَتَوَقَّفَ بِالنِّسْبَةِ لِلْفِعْلِ، فَلَا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ جَسْمٌ، وَلَا إِنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِجَسْمٍ، نَحْنُ فِي عَافِيَةٍ مِنْ هَذَا، لَكِنْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى نَحْنُ نَوْمُنُ بِأَنَّ اللَّهَ
-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَهُ ذَاتٌ مُتَصِفَةٌ بِالصِّفَاتِ، هَذِهِ الصِّفَةُ مُوصُوفَةٌ بِالْوَجْهِ،
بِالْعَيْنِ، بِالْيَدِ، بِالْقَدَمِ، بِالسَّاقِ، بِالنُّزُولِ، بِالِاسْتِوَاءِ، بِالْمَجِيءِ، بِالِاتِّتْيَانِ، نَوْمُنُ
بِهَذَا، لَكِنْ لَا نَطْلُقُ جَسْمًا مِنْ بَابِ التَّأْدُّبِ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ جَسْمٌ، فَمِنْ بَابِ التَّأْدُّبِ مَعَ اللَّهِ أَلَا نَقُولُ: جَسْمٌ، لَكِنَّا
نُثَبِّتُ صِفَاتٍ ثَابِتَةً لِلَّهِ حَقِيقَةً قَائِمَةً بِهِ، وَنُثَبِّتُ أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- شَيْءٌ مُتَّحِدٌ
بِنَفْسِهِ، مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا قَالَ السَّلْفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فصل

في ذكر فرق لهم آخر، وبيان بطلانه

- ٢١٥٢ - فِلِذَاكَ قَالَ رَعِيْمُهُمْ فِي نَفْسِهِ
فَرَقًا سِوَى هَذَا الَّذِي تَرِيَانِ:
- ٢١٥٣ - هَذِي الصِّفَاتُ عَقُولُنَا دَلَّتْ عَلَيَّ
إِبْتَاتِهِمَا مَعَ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ
- ٢١٥٤ - فِلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ فَاغْ
جَبْ يَا أَخَا التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
- ٢١٥٥ - كَيْفَ اعْتِرَافُ الْقَوْمِ أَنَّ عَقُولَهُمْ
دَلَّتْ عَلَيَّ التَّجْسِيمِ بِالْبُرْهَانِ؟
- ٢١٥٦ - فَيُقَالُ: هَلْ فِي الْعَقْلِ تَجْسِيمٌ أَمْ أَلْ
مَعْقُولٌ يَنْفِيهِ كَذَا النُّقْصَانِ؟
- ٢١٥٧ - إِنْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فَاَنْفُوا هَذِهِ أَلْ
أَوْصَافَ وَأَنْسَلِحُوا مِنْ الْقُرْآنِ
- ٢١٥٨ - أَوْ قُلْتُمْ: نَقْضِي بِإِبْتَاتٍ لَهُ
فِرَارُكُمْ مِنْهَا لِأَيِّ مَعَانِي؟
- ٢١٥٩ - أَوْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ وَلَا
نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ بِلَا بُرْهَانِ
- ٢١٦٠ - فَيُقَالُ: مَا الْفُرْقَانُ بَيْنَهُمَا وَمَا أَلْ
بُرْهَانُ؟ فَاتُّوا الْآنَ بِالْفُرْقَانِ

الشرح

هذا الفصل عقده المؤلف - رحمه الله - لبيان شبهة أخرى للمعطلة، لكن ما هذه الشبهة؟ يقول:

٢١٥٢ - فِلِذَاكَ قَالَ رَعِيْمُهُمْ فِي نَفْسِهِ
فَرَقًا سِوَى هَذَا الَّذِي تَرِيَانِ:

في الفصل السابق زعموا أنَّ بعض الصفات يستلزم التجسيم فنفوه، وبعضها لا يستلزم التجسيم فأثبتوه.

هذا الفصل جاؤوا بدليل آخر، فقالوا: ما أثبتناه دَلَّ عليه العقل، وما نفينا لم يدلَّ عليه العقل، فجعلوا عمدتهم في إثبات الصفات أو نفيها عن الله العقل.

قوله: «تريان» يتخيَّل المؤلف في مثل هذه العبارة أنه يخاطب خليلين له كما تجدون في القصائد الجاهلية، يقول الشاعر: (خَلِيلِي) ^(١) ويخاطب خَلِيلِيَه.

٢١٥٣ - هَذِي الصِّفَاتُ عُقُولُنَا دَلَّتْ عَلَيَّ إِثْبَاتِهَا مَعَ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ
يعني: فاجتمع في الدلالة عليها العقل والسَّمْعُ.

٢١٥٤ - فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ

قوله: «فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ» يعني: لَمَّا كانت العقول تدلُّ عليها وظاهر القرآن يدلُّ عليها، صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ، مع أنها على طريقتهم الأولى تقتضي التَّجْسِيمَ، وهذا على المعنى الأول في الفصل السابق، ولهذا قال المؤلف:

٢١٥٤ - فَاعْبُدْ يَا أَخَا التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

٢١٥٥ - كَيْفَ اعْتِرَافُ الْقَوْمِ أَنَّ عُقُولَهُمْ دَلَّتْ عَلَى التَّجْسِيمِ بِالْبُرْهَانِ؟

وهذا صحيح، محلُّ عجب، أنتم تقولون: إننا نمنع الصفات؛ لأنها تقتضي التَّجْسِيمَ، ثُمَّ الآن تقولون: نُثَبِّتُ الصِّفَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا الْعُقُولُ وَإِنْ اقْتَضَتْ التَّجْسِيمَ.

(١) يعني قول امرئ القيس:

خَلِيلِي مَا فِي الْيَوْمِ مَصْحَى لَشَارِبٍ
وَلَا فِي غَدٍ إِذْ كَانَ مَا كَانَ مَشْرَبٍ

٢١٥٦- فَيُقَالُ: هَلْ فِي الْعَقْلِ تَجْسِيمٌ أَمْ أَلْ - مَعْقُولٌ يَنْفِيهِ كَذَا النُّقْصَانِ؟

٢١٥٧- إِنْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فَاَنْفُوا هَذِهِ أَلْ - أَوْصَافَ وَأَنْسَلِحُوا مِنَ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «إِنْ قُلْتُمْ نَنْفِيهِ» يعني: إِنْ قُلْتُمْ: ننفي النقصان وننفي التجسيم.

«فَاَنْفُوا هَذِهِ الْأَوْصَافَ» يعني: الْأَوْصَافَ الَّتِي أَثْبَتَهَا، وَزَعَمُوا أَنَّ الْعَقْلَ

دَلَّ عَلَيْهَا مَعَ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ.

وَقَوْلُهُ: «فَاَنْفُوا هَذِهِ الْأَوْصَافَ وَأَنْسَلِحُوا مِنَ الْقُرْآنِ» هَذَا هُوَ الْاِحْتِمَالُ

الْأَوَّلُ.

٢١٥٨- أَوْ قُلْتُمْ: نَقْضِي بِإِثْبَاتٍ لَهُ - فِرَارُكُمْ مِنْهَا لِأَيِّ مَعَانِي؟

قَوْلُهُ: «أَوْ قُلْتُمْ: نَقْضِي بِإِثْبَاتٍ لَهُ» هَذَا الْاِحْتِمَالُ الثَّانِي.

يعني: قُلْتُمْ: نقضي بإثبات التجسيم ففراركم من هذه الصفات التي

نفيتها لأي معنى نفيتها ما دمتم قضيتم بالتجسيم؟

٢١٥٩- أَوْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ وَلَا - نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ بِلَا بُرْهَانٍ

وهذا هُوَ الثَّالِثُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَقُولُونَ، يَقُولُونَ: ننفي التجسيم في

وصفٍ، وَلَا نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ، فِي الصِّفَاتِ الَّتِي نُثْبِتُهَا وَإِنْ كَانَتْ تَقْضِي التَّجْسِيمَ

فإِنَّا نَثْبِتُهَا، وَفِي الصِّفَاتِ الَّتِي نَنْفِيهَا فَإِنَّا نَنْفِي التَّجْسِيمَ.

فصارت الآن الاحتمالاتُ ثلاثةً:

▪ إمَّا أَنْ يَثْبِتُوا التَّجْسِيمَ فِي الصِّفَاتِ كُلِّهَا، وَيَلْتَزِمُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ.

▪ وَإِمَّا أَنْ يَنْفُوا التَّجْسِيمَ، وَيَلْتَزِمُوا بِنْفِي الصِّفَاتِ كُلِّهَا.

■ وإما أن يقولوا: ننفي التَّجْسِيمَ في صفاتٍ ولا ننفيه في صفات، ففي الصِّفَاتِ التي أثبتناها لا ننفي التَّجْسِيمَ، وفي الصِّفَاتِ التي نفيناها ننفي التَّجْسِيمَ.

فيقول المؤلف - رحمه الله -:

٢١٦٠- فَيَقَالُ: مَا الْفُرْقَانُ بَيْنَهُمَا وَمَا الْبُرْهَانُ؟ فَآتُوا الْآنَ بِالْفُرْقَانِ

وَالجَوَابُ: أَنَّهُمْ لَنْ يَأْتُوا بِالْفُرْقَانِ بَيْنَ مَا أَثْبَتُوهُ وَمَا نَفَوْهُ، فَمَا الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا؟ لَا فَرْقَ، فَإِمَّا أَنْ يُثْبِتُوا التَّجْسِيمَ بِنَاءً عَلَى ثُبُوتِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتُوهَا وَيَطْرُدُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، وَإِمَّا أَنْ يَنْفُوا التَّجْسِيمَ وَيَطْرُدُوهُ أَيْضًا فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، فَيَنْفُوا مَا أَثْبَتُوهُ.

ولكن مع الأسف أنهم يتناقضون، فيقولون: هَذِهِ الصِّفَةُ تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ فَيَجِبُ نَفْيُهَا، وَهَذِهِ الصِّفَةُ لَا تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ فَيَجِبُ إِثْبَاتُهَا.

٢١٦١- وَيَقَالُ: قَدْ شَهِدَ الْعِيَانُ بِأَنَّهُ دُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانِ

٢١٦٢- مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَتَابِعِي الْقُرْآنِ

٢١٦٣- وَلِذَلِكَ حُصُّوا بِالْكَرَامَةِ دُونَ أَعْدَاءِ الْإِلَهِ وَشِيعَةِ الْكُفْرَانِ

٢١٦٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وَبُغْضٍ مِنْهُ مَعَ مَقْتٍ لِذِي الْعِصْيَانِ

٢١٦٥- وَالنَّصُّ جَاءَ بِهِذِهِ الْأَوْصَافِ مَعَ مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي الْقُرْآنِ

٢١٦٦- وَيَقَالُ: سَلَّمْنَا بِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُفْضِي إِلَيْهَا فَهِيَ فِي الْفُرْقَانِ

- ٢١٦٧- أَفْتَنِي أَحَادِ الدَّلِيلِ يَكُونُ لِلدُّمْدُولِ نَفِيًّا يَا أُولِي العِرْفَانِ؟!
 ٢١٦٨- أَوْ نَفِيٌّ مُطْلَقِهِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَا الْـمَدْلُولِ فِي عَقْلِ وَفِي قُرْآنِ
 ٢١٦٩- أَفْبَعْدَ ذَا الإِنْصَافِ وَيُحْكُمُ سِوَى مَحْضِ العِنَادِ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ؟
 ٢١٧٠- وَتَحْيِيزِ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ لَا إِلَى الْـقُرْآنِ وَالأَثَارِ وَالإِيمَانِ

الشرح

- ٢١٦١- وَيُقَالُ: قَدْ شَهِدَ العِيَانُ بِأَنَّهُ ذُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانِ
 ٢١٦٢- مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الوَفَاءِ وَتَابِعِي القُرْآنِ
 ٢١٦٣- وَلِذَلِكَ خُصُّوا بِالكِرَامَةِ دُونَ أَعْدَاءِ الإِلَهِ وَشِيعَةِ الكُفْرَانِ
 قَوْلُهُ: «يُقَالُ: قَدْ شَهِدَ العِيَانُ بِأَنَّهُ ذُو حِكْمَةٍ» بِأَنَّهُ أَيُّ: بِأَنَّ اللهَ ذُو حِكْمَةٍ، فَأَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ حِكْمَةَ اللهَ بِالدَّلِيلِ العَقْلِيِّ.

نحن نشهد ما في المخلوقات من الحكمة العظيمة والغايات الحميدة، ونشهد كذلك ما في المشروعات التي شرعها الله من الحكمة العظيمة والغايات الحميدة، وهذا يدلنا على ثبوت الحكمة لله مع أنهم ينكرون الحكمة.

كذلك أيضًا شهد العيان بأنه ذو عناية وحنان، أي: ذو عناية بخلقه، وحنان عليهم، وذلك بما يجلب لهم من الخير والمنفعة، ويدفع عنهم من الشر والمضرة، وهذا يدل على عنايته - سبحانه وتعالى - وحنانه.

قَوْلُهُ: «مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ» الشَّاهِدُ يَدُلُّنَا عَلَى رَأْفَةِ اللهَ، وَذَلِكَ بِمَا نَشَاهدُهُ مِنْ الطَّافَةِ فِي مَوَاضِعِ الشَّدَةِ، فَإِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى رَأْفَتِهِ - سبحانه وتعالى -.

قَوْلُهُ: «وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ» من أين نعرف أنه يحبُّ العبادَ أهلَ الوفاء؟
الجواب: بإثابتهم، وتيسير أمورهم، ونصرهم على أعدائهم، وغير ذلك.

٢١٦٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وَبُغْدٍ ضِيٍّ مِنْهُ مَعَ مَقْتٍ لِذِي العِصْيَانِ

يعني: أيضًا نستدلُّ على غضبِ الإله، وبغضه، ومقته بعقوبة أهل العصيان، فإنَّ العقوبة دليلٌ على الغضب وعلى بُغْضِ العملِ الَّذِي أوجبَ العقوبةَ والانتقامَ.

٢١٦٥- وَالنَّصُّ جَاءَ بِهِذِهِ الأَوْصَافِ مَعَ مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي القُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّصُّ جَاءَ بِهِذِهِ الأَوْصَافِ» يشيرُ إلى ما ذكره من الحكمة، والعناية، والرأفة، والمحبة، والغضب، والبغض، والمقت وهو أشدُّ البغض.

قَوْلُهُ: «الصِّفَاتِ السَّبْعِ» أي: الصِّفَاتِ السَّبْعِ التي أثبتتها الأشاعرة، وهي: الحَيَاة، والعلم، والقدرة والسَّمْع، والبصر، والإرادة، والكلام، وهذه لا شكَّ أنها ثابتةٌ لله، فقد جاءَ بها السَّمْعُ، وكذلك الحكمة، والمحبة، والرأفة، والغضبُ كُلُّهَا جاءَ بها السَّمْعُ أيضًا.

٢١٦٦- وَيُقَالُ: سَلَّمْنَا بِأَنَّ العَقْلَ لَا يُفْضِي إِلَيْهَا فَهِيَ فِي الفُرْقَانِ

يعني: لو سَلَّمْنَا أَنَّ العَقْلَ لا يدلُّ على هَذِهِ الصِّفَاتِ فهي في الفُرْقَانِ، يعني: في القُرْآنِ، يعني: فقد دَلَّ عليها القُرْآنُ.

٢١٦٧- أَفَنَفِي أَحَادِ الدَّلِيلِ يَكُونُ لِلْمَدْلُولِ نَفِيًّا يَا أُولِي العِرْفَانِ!؟

يستفهمُ استفهامَ إنكارٍ، يقولُ: هل إذا انتفى الدَّلِيلُ أو الواحد من الأدلة هل يقتضي أن ينتفي المدلولُ؟ الجواب: لا، إذا انتفى دليلٌ واحدٌ، فإنه يجوزُ أن يثبتَ المدلولُ بدليلٍ آخرَ، فانتفاءُ الدَّلِيلِ المعينِ لا يقتضي انتفاءَ المدلولِ.

قَوْلُهُ: «يَا أُولِي الْعِرْفَانِ» هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْكُمِ بِهِمْ، يَعْنِي: أَيْنَ مَعْرِفَتِكُمْ؟
فَإِنَّ انْتِفَاءَ الدَّلِيلِ الْوَاحِدِ لَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَدْلُولِ.

٢١٦٨- أَوْ نَفِي مُطْلَقِهِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَدْلُولِ فِي عَقْلِ وَفِي قُرْآنِ

يعني أيضًا انتفاء مطلق الدليل لا يدل على أن المدلول لا يثبت، فقد يثبت
بغير دليل معلوم لنا؛ فلهذا متى وجد الشيء وثبت فإننا لا نحتاج إلى طلب دليله
ما دام واقعًا.

٢١٦٩- أَفْبَعْدَ ذَا الْإِنْصَافِ وَيَحْكُمُ سِوَى مَحْضِ الْعِنَادِ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ؟

يعني: ليس بعد هذا الإنصاف معكم إلا العناد، أي: أنهم يعاندون،
ويبتخون بنخوة الشيطان، ويعتزون به.

٢١٧٠- وَتَحْيِزُ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ لَا إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانِ

يعني: يتحيزون إلى شيوخهم، ويدعون القرآن والآثار والإيمان.

فصل

فِي بَيَانِ مُخَالَفَةِ طَرِيقِهِمْ لَطَرِيقِ أَهْلِ الْإِسْتِقَامَةِ عَقْلًا وَنَقْلًا

- ٢١٧١- وَأَعْلَمَ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْسُ الطَّرِيقِ
 ٢١٧٢- جَعَلُوا كَلَامَ شَيْوْخِهِمْ نَصًّا لَهُ أَلِ
 ٢١٧٣- وَكَلَامَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ
 ٢١٧٤- فَتَوَلَّدَتْ مِنْ ذَيْنِكَ الْأَصْلَيْنِ أَوْ
 ٢١٧٥- إِذْ مِنْ سِفَاحِ لَا نِكَاحِ كَوْنُهَا
 ٢١٧٦- عَرَضُوا النَّصُوصَ عَلَى كَلَامِ شَيْوْخِهِمْ
 ٢١٧٧- وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرَجِعُهُ إِلَى الشُّـ
 ٢١٧٨- وَكَذَلِكَ أَقْوَالُ الشُّيُوخِ فَإِنَّهَا أَلِ
 ٢١٧٩- إِنْ وَافَقَا قَوْلَ الشُّيُوخِ فَمَرَحَبًا
 ٢١٨٠- إِمَّا بِتَأْوِيلٍ فَإِنْ أَعْيَا فَتَفْـ
 ٢١٨١- إِذْ قَوْلُهُ نَصٌّ لَدَيْنَا مُحْكَمٌ
 ٢١٨٢- وَالنَّصُّ فَهُوَ بِهِ عَلِيمٌ دُونَنَا
 ٢١٨٣- إِلَّا تَمَسَّكْتُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ
 قِي الْمُسْتَقِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 إِحْكَامُ مَوْزُونًا بِهِ النَّصَّانِ
 مُتَشَابِهًا مُتَحَمَّلًا لِمَعَانِ
 لِأَذَاتٍ لِلغَيِّ وَالْبُهْتَانِ
 بِئْسَ الْوَلِيدُ وَبِئْسَتِ الْأَبْوَانِ
 فَكَأَنَّهَا جَيْشٌ لِذِي سُلْطَانِ
 سُلْطَانِ دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ
 مِيزَانُ دُونَ النَّصِّ وَالْقُرْآنِ
 أَوْ خَالَفَتْ فَالِدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ
 وَبِضٌ وَنَتْرُكُهَا لِقَوْلِ فُلَانِ
 فَظَوَاهِرُ الْمَنْقُولِ ذَاتُ مَعَانِ
 وَبِحَالِهِ مَا حِيلَةُ الْعُمَيَّانِ
 حَتَّى يَقُودَهُمْ كَذِي الْأَرْسَانِ

- ٢١٨٤- فَأَعْجَبَ لِعُمَيَانَ الْبَصَائِرِ أَبْصَرُوا
 كَوْنَ الْمُقَلَّدِ صَاحِبِ الْبُرْهَانِ
- ٢١٨٥- وَرَأَوْهُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سِوَا
 هُ بَغَيْرِ مَا بَصَرَ وَلَا بُرْهَانِ
- ٢١٨٦- وَعَمُوا عَنِ الْوَحْيَيْنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا
 مَعْنَاهُمَا عَجَبًا لِذِي الْحِرْمَانِ!
- ٢١٨٧- قَوْلُ الشُّيُوخِ أَنْتُمْ تَبَيَّنَّا مِنْ أَلِ
 سِوَحَيْنٍ لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
- ٢١٨٨- النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ
 ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التَّبَيَّنِ
- ٢١٨٩- وَسِوَاهُ إِمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَحَّ لَمْ
 يَكُ قَوْلٌ مَعْصُومٍ وَذِي تَبَيَّنِ
- ٢١٩٠- أَفَيْسَتَوِي النَّقْلَانِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ؟
 وَاللَّهِ لَا يَتَمَثَّلُ النَّقْلَانِ
- ٢١٩١- هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا
 فِي اللَّهِ، نَحْنُ لِأَجْلِهِ خَصْمَانِ
- ٢١٩٢- نَصَرُوا الضَّلَالََةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ
 لَكِنْ نَصَرْنَا مُوجِبَ الْقُرْآنِ
- ٢١٩٣- وَلَنَا سُؤْلُكَ ضِدَّ مَسْلِكِهِمْ فَمَا
 رَجُلَانِ مِنْ قَطُّ يَلْتَقِيَانِ
- ٢١٩٤- إِنَّا أَبَيْنَا أَنْ نَلِدِينَ بِمَا بِهِ
 دَانُوا مِنْ الْأَرَاءِ وَالْبُهْتَانِ
- ٢١٩٥- إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا
 يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ
- ٢١٩٦- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ فَلَا كَفَا
 هُ اللَّهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَرْمَانِ
- ٢١٩٧- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَانِ فَلَا شَفَا
 هُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ وَلَا أَبْدَانِ
- ٢١٩٨- مَنْ لَمْ يَكُنْ يُغْنِيهِ ذَانِ رَمَاهُ رَبُّ
 بُ الْعَرْشِ بِالْإِعْدَامِ وَالْحِرْمَانِ
- ٢١٩٩- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِيهِ ذَانِ فَلَا هَدَا
 هُ اللَّهُ سُبُلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ

- ٢٢٠٠ - إِنَّ الْكَلَامَ مَعَ الْكِبَارِ وَلَيْسَ مَعَ
 ٢٢٠١ - أَوْسَاخِ هَذَا الْخَلْقِ بَلْ أَتَانِهِ،
 ٢٢٠٢ - الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْ
 ٢٢٠٣ - الشَّامِيِّ أَهْلِ الْحَدِيثِ عَدَاوَةً
 ٢٢٠٤ - جَعَلُوا مَسَبَّتَهُمْ طَعَامَ حُلُوقِهِمْ،
 ٢٢٠٥ - كِبْرًا وَإِعْجَابًا وَتِيهًا زَائِدًا
 ٢٢٠٦ - لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةٍ
 ٢٢٠٧ - لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخْلُفٍ
 ٢٢٠٨ - مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَرُوا
 ٢٢٠٩ - وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّرُوا فِي فَهْمِهَا،
 ٢٢١٠ - وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَرُوا بِالَّذِي
- تِلْكَ الْأَرَادِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ
 جِيْفِ الْوُجُودِ، وَأَخْبَثِ الْأَتْنَانِ
 كُفْرَانَ وَالْعُدَوَانَ وَالْبُهْتَانَ
 لِلْسُنَّةِ الْعُلْيَا مَعَ الْقُرْآنِ
 فَاللَّهُ يُقَطِّعُهَا مِنْ الْأَذْقَانِ
 وَتَجَاوَزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ
 كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانِ
 عَنْ رُتْبَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 بِالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِإِلَّا إِحْسَانِ
 فَأَتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ
 هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ

الشرح

- ٢١٧١ - وَأَعْلَمَ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْسُ الطَّرِيقِ
 ٢١٧٢ - جَعَلُوا كَلَامَ شُيُوخِهِمْ نَصًّا لَهُ الْ
 ٢١٧٣ - وَكَلَامَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ
 ٢١٧٤ - فَتَوَلَّدَتْ مِنْ ذَيْنِكَ الْأُضْلَيْنِ أَوْ
- قِ الْمُسْتَقِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 إِحْكَامَ مَوْزُونًا بِهِ النَّصَّانِ
 مُتَشَابِهًا مُتَحَمَّلًا لِمَعَانِ
 لِأَدَاتِ اللَّغْيِ وَالْبُهْتَانِ

٢١٧٥- إِذْ مِنْ سَفَاحٍ لَا نِكَاحَ كَوْنَهَا بِسَسِ الْوَلِيدُ وَيَسْتِ الْأَبْوَانِ
 ٢١٧٦- عَرَضُوا النَّصُوصَ عَلَى كَلَامِ شَيْوْخِهِمْ فَكَانَتْهَا جَيْشٌ لِيْذِي سُلْطَانِ
 ٢١٧٧- وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ
 قَوْلُهُ: «وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ»؛ المراد بالسلطان هنا هو كلام
 الشيوخ.

قَوْلُهُ: «دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ» وهي نصوص الكتاب والسنة.

٢١٧٨- وَكَذَلِكَ أَقْوَالُ الشُّيُوخِ فَإِنَّهَا أَلْ—مِيزَانُ دُونَ النَّصِّ وَالْقُرْآنِ
 هذا وجه الشبه.

٢١٧٩- إِنْ وَافَقَا قَوْلَ الشُّيُوخِ فَمَرْحَبًا أَوْ خَالَفَتْ فَالِدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ
 إن وافقت نصوص الكتاب والسنة قول الشيوخ فمرحبًا بها، فمثلًا الكتاب
 والسنة دلاً على وصف الله بالسمع، فماذا قال هؤلاء؟ قالوا: مرحبًا، الله سمع؛ لأنه
 وافق كلام الشيوخ.

لكن لما دل الكتاب والسنة على أن الله تعالى رحمة، قالوا: لا مرحبًا؛ لأن كلام
 الشيوخ يقول: ليس الله رحمة، والرحمة هي الإحسان أو إرادة الإحسان، وأما رحمة
 سوى ذلك فلا.

قَوْلُهُ: «أَوْ خَالَفَتْ فَالِدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ» الدفع ينقسم عندهم إلى قسمين: «إِمَّا
 بِتَأْوِيلٍ»، فَإِنْ أَعْيَا «فَتَقْوِيضٌ»؛ ولذا قال -رحمه الله-:

٢١٨٠- إِمَّا بِتَأْوِيلٍ فَإِنْ أَعْيَا فَتَقْفُ—وِيضٌ وَنَتْرُكُهَا لِقَوْلِ فُلَانٍ

إِذَنْ دَفَعُهُمُ لِلنُّصُوصِ إِمَّا بِتَأْوِيلٍ، فَإِنْ عَجَزُوا فَتَفْوِيضٌ، وَلَكِنَّ ابْنَ الْقَيْمِ - رحمه الله - اقتصر على بعض الطُّرُق.

فالطرق عندهم:

أَوَّلًا: رَدُّ النُّصُوصِ؛ وهذا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؛ لأنهم إِذَا رَدُّوْهَا مَا بَقِيَ كَلَامٌ فِي معناها؛ ولهذا قالوا: إنه لَا يُحْتَجُّ بِالْأَحَادِ فِي مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ رَدُّهَا بِأَنْ تَكُونَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنَ السُّنَّةِ الْمَتَوَاتِرَةِ لَجُؤُوا إِلَى التَّأْوِيلِ، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ رَجْعُوا إِلَى التَّفْوِيضِ، وَقَالُوا: اللهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهَا.

٢١٨١- إِذْ قَوْلُهُ نَصٌّ لَدَيْنَا مُحْكَمٌ فَظَوَاهِرُ الْمَنْقُولِ ذَاتُ مَعَانٍ

هذا هو السَّبَبُ فِي أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى قَوْلِ شَيْوَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ نَصٌّ لَدَيْهِمْ، أَمَّا الْمَنْقُولُ - وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ - فَظَوَاهِرُ تَحْتَمِلُ مَعَانِي مُتَعَدِّدَةً.

٢١٨٢- وَالنَّصُّ فَهُوَ بِهِ عَلِيمٌ دُونََّا وَبِحَالِهِ مَا حِيلَةَ الْعُمَيَّانِ

٢١٨٣- إِلَّا تَمَسُّكُهُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُمْ كَذِي الْأَرْسَانِ

يقولون: إِنَّ الشَّيْخَ أَعْلَمُ بِالنَّصِّ مِنَّا وَأَعْلَمُ بِحَالِهِ، وَمَا حِيلَتُنَا وَنَحْنُ بِالنِّسْبَةِ لِلشَّيْخِ عُمَيَّانُ؟

قَوْلُهُ: «مَا حِيلَةَ الْعُمَيَّانِ إِلَّا تَمَسُّكُهُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُمْ» وَهَذَا صَحِيحٌ، فَالْأَعْمَى لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا أَنْ يُمْسِكَ يَدَ مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُ كَذِي الْأَرْسَانِ.

قَوْلُهُ: «كَذِي الْأَرْسَانِ» ذُو الْأَرْسَانِ هُوَ: الْبَعِيرُ، وَالخَيْلُ، وَالْحَمِيرُ، وَالْبِغَالُ، فَكُلُّهَا تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ، فَيَقُولُونَ: نَحْنُ مُقَلِّدَةٌ، مَا لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا التَّمَسُّكُ بِأَقْوَالِ شَيْوَيْهِنَا.

شَبَّهَهُم ابْنُ الْقَيْمِ بِذَوَاتِ الْأَرْسَانِ، وَالْأَرْسَانَ جَمْعَ (رَسَنٍ)، وَهُوَ مَقْوَدُ الْبَهِيمَةِ^(١).

٢١٨٤- فَاعْجَبْ لِعُمَيَّانِ الْبَصَائِرِ أَبْصَرُوا كَوْنَ الْمُقَلِّدِ صَاحِبِ الْبُرْهَانِ

٢١٨٥- وَرَأَوْهُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سَوَا هُ بَغَيْرِ مَا بَصَرَ وَلَا بُرْهَانَ

صحيح، اعجب! كيف عرفوا أن مقلدهم هو صاحب البرهان، ولم يعرفوا أن محمداً ﷺ هو صاحب البرهان؟!

فإذا جاءهم حديثٌ عن رسول الله ﷺ فليس برهاناً؛ لأنه يَحْتَمِلُ، وإذا جاءت أقوالُ شيوخهم فهي البرهان!!

٢١٨٦- وَعَمُوا عَنِ الْوَحِيِّنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا عَجَبًا لِذِي الْحِرْمَانِ!

قَوْلُهُ: «وَعَمُوا عَنِ الْوَحِيِّنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا» وهذا من عقوبة الله - سبحانه وتعالى - لمن تعصّب لهواه، وترك الكتاب والسنة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَتِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]؛ ولهذا يجب عليك الحذر إذا مرّ بك الدليل ألا تحاول معارضته، بل قل: سمعنا وأطعنا؛ لأنك لو حاولت معارضته فإنه ربّما تُحرم الهداية في المستقبل.

٢١٨٧- قَوْلُ الشُّيُوخِ أْتَمُّ تَبْيَانًا مِنَ الْوَحِيِّنِ لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُ الشُّيُوخِ أْتَمُّ تَبْيَانًا مِنَ الْوَحِيِّنِ» وذلك عند هؤلاء، قال ابن القيم: «لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ» يعني: ليست أقوالُ الشيوخ أتمّ بياناً من الوحيين.

(١) الرَّسَنُ: الحبل والرَّسَنُ ما كان من الأَزْمَةِ على الأنف والجمع أَرْسَانٌ وَأَرْسَنٌ. انظر: لسان العرب (١٨٠/١٣)

٢١٨٨- النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التَّبَيَّانِ

قَوْلُهُ: «النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ» يعني: عن رسولِ الله -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «وَالْقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التَّبَيَّانِ» يعني: مِنَ الرَّسُولِ ﷺ

المعصوم، بخلافِ شيوخهم.

٢١٨٩- وَسِوَاهُ إِمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَحَّ لَمْ يَكُ قَوْلَ مَعْصُومٍ وَذِي تَبَيَّانٍ

قَوْلُهُ: «سِوَاهُ» أي: سوى قولِ الرسول -عليه الصلاة والسلام- إمَّا كَاذِبٌ،

يعني: أَنَّهُ مَنْقُولٌ عَنِ الْقَائِلِ كَذِبًا، وَإِمَّا صَحِيحٌ لَكِنَّهُ لَيْسَ قَوْلَ مَعْصُومٍ، فَلَيْسَ

مَعْصُومًا مِنَ الْخَطَا.

٢١٩٠- أَفَيْسَتْوِي النَّقْلَانِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ؟! وَاللَّهُ لَا يَتِمَّائِلُ النَّقْلَانِ

٢١٩١- هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا فِي اللَّهِ، نَحْنُ لِأَجْلِهِ خَصْمَانِ

وفي هذا دليلٌ على أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ -رحمه الله- يَدِينُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِعَدَاوَةِ أَهْلِ

الْبِدْعِ، وَهُوَ حَقٌّ، فَيَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُبْغِضَ أَهْلَ الْبِدْعِ وَيَعَادِيَهُمْ بِحَسَبِ مَا

مَعَهُمْ مِنَ الْبِدْعَةِ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ: إِنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ

بَيْنَهَا مَوَدَّةٌ وَمَحَبَّةٌ؛ حَتَّى مَعَ الْبِدْعِ الْمَكْفُورَةِ تَجِبُ الْمَحَبَّةُ.

ولكن هذا خطأ، بل يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُبْغِضَ الْمُبْتَدِعَ عَلَى بَدْعَتِهِ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ

فِيهِ خَيْرٌ -يعني: بَدْعَةٌ وَسُنَّةٌ، وَهَدَى وَضَلَّالَةً- فَالْعَدْلُ أَنْ نَحْبَهُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنَ

الْهُدَى وَالسُّنَّةِ، وَنَبْغِضَهُ عَلَى مَا مَعَهُ مِنَ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ.

٢١٩٢- نَصَرُوا الضَّلَالَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ لَكِنْ نَصَرْنَا مُوجِبَ الْقُرْآنِ

٢١٩٣- وَلَنَا سُؤُوكُ ضِدِّ مَسْلِكِهِمْ فَمَا رَجُلَانِ مِّنَّا قَطُّ يَلْتَقِيَانِ
وَكُلُّ هَذَا وَاضِحٌ.

٢١٩٤- إِنَّا أَبِينَا أَنْ نَدِينَ بِمَا بِهِ دَانُوا مِنِّ الْآرَاءِ وَالْبُهْتَانِ
يعني: أبيتنا أن ندين لله ونعمل له ونعبده بما دانوا به من الآراء والبهتان.

٢١٩٥- إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ
قَوْلُهُ: «إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا» يعني: عزلنا الآراء التي دانوا بها، ولم نعبأ بها، بل «يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ».

٢١٩٦- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ فَلَا كَفَا هُ اللَّهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ
بدأ - رحمه الله - يدعو عليه، قال: «مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ، فَلَا كَفَاَهُ اللَّهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ» يعني: بل أصابه بها.

٢١٩٧- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَانِ فَلَا شَفَا هُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ وَلَا أَبْدَانِ
الذي لا يشفيه القرآنُ والسُّنَّةُ فاللهُ لا يشفي قلبه ولا بدنه.

ولكننا قد لا نوافق ابن القيم - رحمه الله تعالى - على هذا، قد نقول: مَنْ لَمْ يَشْفِهِ هَذَا إِذَا عَانَدَ، وَإِلَّا فَإِنَّا نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَشْفِيَهُ مِنْ عِلَّتِهِ، لَا سِيَّامَا شَفَاءَ الْقَلْبِ فَهُوَ الْمِهْمُّ، أَمَّا شَفَاءُ الْمَرَضِ فَأَمْرُهُ سَهْلٌ، يَعْنِي: هَلْ لَنَا إِذَا رَأَيْنَا شَخْصًا مَبْتَدِعًا عَرَضْنَا عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَلَكِنَّهُ أَبِي إِلَّا أَنْ يَبْقَى عَلَى بَدْعَتِهِ، هَلْ نَقُولُ لَهُ: لَا شَفَاكَ اللَّهُ مِنْ مَرَضِ قَلْبِكَ؟ ابْنُ الْقَيْمِ - رحمه الله - يقول: لَا شَفَاهُ اللَّهُ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ نَقُولَ: نَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ الْهُدَايَةَ.

ولكنَّ ابنَ القِيَمِ نظرًا لما حصلَ منهم مِن أذِيَّةٍ على أهلِ السُّنَّةِ رأى أنهم ظالمون، وأنه يجوزُ للمظلوم أن يدعوَ على ظالمه.

٢١٩٨- مَنْ لَمْ يَكُنْ يُغْنِيهِ ذَانِ رَمَاهُ رَبُّ بِ الْعَرْشِ بِالْإِعْدَامِ وَالْحِرْمَانِ
إذا كان لا يُغنيه الكتابُ والسُّنَّةُ، فإنَّ اللهَ يرميه بالإعدامِ والحِرمانِ.

٢١٩٩- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِيهِ ذَانِ فَلَا هَدَا هُ اللهُ سُبُلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ
فكُلُّ شيءٍ أتى -رحمه الله- بضده.

٢٢٠٠- إِنَّ الْكَلَامَ مَعَ الْكِبَارِ وَلَيْسَ مَعَ تِلْكَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانَ
الكلامُ مع الكبارِ العقلاءِ الذين يطلبون الحقَّ بصدقٍ، أمَّا هؤلاء فهم أراذلٌ، وسِفْلَةُ الحيوانِ.

٢٢٠١- أَوْسَاخِ هَذَا الْخَلْقِ بَلْ أَنْتَانِهِ، جِيْفِ الْوُجُودِ، وَأَخْبَثِ الْأَنْتَانِ
وهنا شدَّد -رحمه الله- عليهم جدًّا؛ لأنهم أيضًا أشدَّاء على أهلِ السُّنَّةِ.

٢٢٠٢- الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْ كُفْرَانِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعِلْمِ» أي: بالقتل، والحبس، والضرب، وغير ذلك؛ فلهذا كان ابنُ القِيَمِ شديدًا عليهم؛ لأنهم أيضًا أشدَّاء على أهلِ السُّنَّةِ.

٢٢٠٣- الشَّاتِمِي أَهْلِ الْحَدِيثِ عَدَاوَةً لِلْسُّنَّةِ الْعُلْيَا مَعَ الْقُرْآنِ
يشتمون أهلَ الحديثِ لمعاداتهم للسُّنَّةِ، لا لشخصياتهم؛ ولهذا لو كان هذا الشخصُ منهم لكان من أوليائهم، لا من أعدائهم، لكن يُعادونَه؛ لأنه متمسكٌ بالسُّنَّةِ.

٢٢٠٤- جَعَلُوا مَسَبَّتَهُمْ طَعَامَ حُلُوقِهِمْ، فَاللَّهُ يَقْطَعُهَا مِنْ الْأَذْقَانِ

يعني: جعلوا مسبة أهل السنة طعام حُلُوقِهِمْ، يعني: يتمتعون بالكلام عن أهل السنة، ويتلذذون به.

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ يَقْطَعُهَا مِنَ الْأَذْقَانِ»، وَإِذَا قَطَعَهَا مِنَ الْأَذْقَانِ لَا يَبْقَى شَيْءٌ.

٢٢٠٥- كِبْرًا وَإِعْجَابًا وَتِيهًا زَائِدًا وَتَجَاوُزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ

يعني: أن لديهم كبرًا وإعجابًا وتيهًا بأنفسهم، كأنهم هم الملائكة والناس هم الحيوان.

قَوْلُهُ: «وَتَجَاوُزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ» أَي: إِلَى مَرَاتِبِ الرَّبُوبِيَّةِ أَوْ الْمَلَائِكَةِ، فَهُمْ يَرُونَ أَنَّهُمْ فَوْقَ الْبَشَرِ.

٢٢٠٦- لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةٍ كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانِ

٢٢٠٧- لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخَلُّفٍ عَنِ رُتْبَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

يعني: لو أن هذا كان «من وراء كفاية» لَكُنَّا «حملنا راية الشكران»، و«لكنه من خلف كل تخلف»، يعني أن هذا القول ليس عن كفاية وجدارة، ولو كان عن كفاية وجدارة لَكُنَّا نشكرهم، لكنه ليس كذلك، بل عن عناد وإعجاب وكبر؛ ولهذا قال:

٢٢٠٨- مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَرُوا بِالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِإِلَّا إِحْسَانِ

يعني أن هؤلاء أشد من الخوارج؛ لأن الخوارج كفروا المسلمين (بالذنب) بالكبيرة (تأويلًا بلا إحسان)؛ لأنهم لو أولوا بالإحسان لعلموا أن فاعل الكبيرة

لا يُكفِّر، لكنْ هم تأوَّلوا نُصوصَ التكفيرِ، وغفلوا عن النصوص الأخرى المقابلة، فكفَّروا المسلمين بالذُّنب.

٢٢٠٩- وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّروا فِي فَهْمِهَا، فَأَتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُمْ نُصُوصٌ» أي: للخوارجِ نصوصٌ قَصَّروا فِي فَهْمِهَا، «فَأَتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ».

٢٢١٠- وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَّرُونَا بِالَّذِي هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «وَخُصُومُنَا» أي: هؤلاءِ المعطَّلَّة، قد كَفَّرُونَا بِالَّذِي هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، فَهُمْ الْآنَ أَشَدُّ مِنَ الْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ كَفَّرُوا الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ وَمَعَاصٍ، وَهَؤُلَاءِ كَفَّرُوهُمْ بِالتَّزَامِهِم بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَفَرَّقُوا عَظِيمًا، فَصَارَ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةُ الَّذِينَ كَفَّرُوا أَهْلَ السُّنَّةِ، وَوَسَّوْا إِلَى السُّلْطَانِ بِهِمْ أَشَدَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخَوَارِجِ.

فصل

فِي بَيَانِ كَذِبِهِمْ وَرَمِيهِمْ أَهْلَ الْحَقِّ بِأَنَّهُمْ أَشْبَاهُ الْخَوَارِجِ،
وَبَيَانِ شَبَهِهِمُ الْمُحَقِّقَ بِالْخَوَارِجِ

- ٢٢١١ - وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمَنْ قَد دَانَ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ:
- ٢٢١٢ - أَنْتُمْ بِذَا مِثْلِ الْخَوَارِجِ، إِنَّهُمْ أَخَذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدَوْا لِمَعَانِ
- ٢٢١٣ - فَانظُرْ إِلَى ذَا الْبُهْتِ، هَذَا وَصَفَهُمْ نَسَبُوا إِلَيْهِ شِيعَةَ الْإِيمَانِ
- ٢٢١٤ - سَلُّوا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَحِزْبِهِ سَيْفَيْنِ: سَيْفَ يَدٍ، وَسَيْفَ لِسَانِ
- ٢٢١٥ - خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَمَا خَرَجَ الْأُلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
- ٢٢١٦ - وَاللَّهِ مَا كَانَ الْخَوَارِجُ هَكَذَا وَهُمْ الْبُغَاةُ أُمَّةُ الطُّغْيَانِ
- ٢٢١٧ - كَفَرْتُمْ أَصْحَابَ سُنَّتِهِ وَهُمْ فُسَّاقٌ مَلَّتِهِ، فَمَنْ يَلْحَازِي
- ٢٢١٨ - إِنْ قُلْتُ: هُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْكُمْ وَاللَّهِ مَا الْفِتْنَانِ مُسْتَوِيَانِ
- ٢٢١٩ - شَتَانِ بَيْنَ مُكْفَرٍ بِالسُّنَّةِ الْعُلَيَّا، وَبَيْنَ مُكْفَرٍ الْعِضْيَانِ
- ٢٢٢٠ - قُلْتُمْ: تَأَوَّلْنَا، كَذَلِكَ تَأَوَّلُوا وَكِلَاكُمَا فِتْنَانِ بَاغِيَتَانِ
- ٢٢٢١ - وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالبُهْتَانِ
- ٢٢٢٢ - وَلَهُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ الْإِثْبَاتِ وَالتَّصْديقِ مَعَ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

- ٢٢٢٣- أَلَكُم عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ إِذْ
لَهُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِمْ وَزُرَانِ؟!
٢٢٢٤- حَاشَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ذَا الْحُكْمِ، بَلْ
أَنْتُمْ وَهُمْ فِي حُكْمِهِ سَيَّانِ
٢٢٢٥- وَكِلَاكُمَا لِلنَّصِّ فَهُوَ مُحَالِفٌ
هَذَا وَبَيْنَكُمَا مِنَ الْفُرْقَانِ
٢٢٢٦- هُمْ خَالَفُوا نَصًّا لِنَصِّ مِثْلِهِ
لَمْ يَفْهَمُوا التَّوْفِيقَ بِالْإِحْسَانِ
٢٢٢٧- لَكِنَّكُمْ خَالَفْتُمُ الْمَنْصُوصَ لِلشَّ
شُبِّهِ الَّتِي هِيَ فِكْرَةُ الْأَذْهَانِ
٢٢٢٨- فَلَإِي شَيْءٍ أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَقْفٌ
رَبُّ مِنْهُمْ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ؟!
٢٢٢٩- هُمْ قَدَّمُوا الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْظِ الْكِتَابِ
بِ عَلَى الْحَدِيثِ الْمَوْجِبِ التَّبْيَانِ
٢٢٣٠- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ رَأْيَ الرَّجَا
لِ عَلَيْهِمَا، أَفَأَنْتُمَا عِدْلَانِ؟
٢٢٣١- أَمْ هُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَقْرَبُ مِنْكُمْ
لَا حَ الصَّبَاحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
٢٢٣٢- وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْجَزَا
بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ
٢٢٣٣- هَذَا وَنَحْنُ فَمِنْهُمْ بَلْ مِنْكُمْ
بُرَاءٌ إِلَّا مِنْ هُدَى وَبَيَانِ
٢٢٣٤- فَاسْمَعِ إِذْ قَوْلَ الْخَوَارِجِ ثُمَّ قَوْلِ
لِ خُصُومِنَا، وَاحْكُمْ بِلَا مَيْلَانِ
٢٢٣٥- مَنْ ذَا الَّذِي مِمَّا إِذْ أَنْشَبَاهُمْ
إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانِ؟
٢٢٣٦- قَالَ الْخَوَارِجُ لِلرَّسُولِ: اْعْدِلْ فَلَمْ
تَعْدِلْ، وَمَا ذِي قِسْمَةِ الدِّيَّانِ
٢٢٣٧- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قَالَ نَظِيرَ ذَا
لَكِنَّهُ قَدْ رَادَ فِي الطُّغْيَانِ
٢٢٣٨- قَالَ: الصَّوَابُ بِأَنَّهُ «اسْتَوْلَى»، فَلِمَ
عَدَلْتَ عَنْ تَبْيَانِ

- ٢٢٣٩- وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ لِمَ قُلْتَ: يَنْزِلُ صَاحِبُ الْغُفْرَانِ؟
- ٢٢٤٠- مَاذَا بَعْدُ فِي الْعِبَارَةِ وَهِيَ مُوْهُمَةُ التَّحَرُّكِ وَانْتِقَالِ مَكَانٍ أَوْ هَمَّتْ حَيَّرَ خَالِقِ الْأَكْمَوَانِ
- ٢٢٤١- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ فِي السَّمَاءِ فَوْقَ السَّمَاءِ سُلْطَانُ ذِي السُّلْطَانِ
- ٢٢٤٢- كَانَ الصَّوَابُ بِأَنَّ يُقَالَ بِأَنَّهُ بُ إِلَى كَرَامَةِ رَبِّنَا الْمَنَّانِ
- ٢٢٤٣- وَكَذَلِكَ قُلْتَ: إِلَيْهِ يَعْرُجُ وَالصَّوَابُ قُرْآنُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٢٢٤٤- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّ مِنْهُ يَنْزِلُ الْوَحْيُ مِنْ لَوْحِهِ أَوْ مِنْ مَحَلِّ نَائِجٍ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٢٢٤٥- كَانَ الصَّوَابُ بِأَنَّ يُقَالَ: نُزُولُهُ فِي الْقَبْرِ يَسْأَلُ ذَلِكَ الْمَلَكَانَ
- ٢٢٤٦- وَتَقُولُ: أَيْنَ اللَّهُ؟ ذَاكَ «الْأَيْنُ» مُدْعَى تَشِيرُ بِأَصْبَعٍ وَبَنَانِ حَسِيَّةً، بَلْ تِلْكَ فِي الْأَذْهَانِ
- ٢٢٤٧- لَوْ قُلْتَ: مَنْ؟ كَانَ الصَّوَابُ كَمَا تَرَى هَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ لِلْإِخْوَانِ
- ٢٢٤٨- وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ الْوَحِيدُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَمَا إِشَارَتُنَا لَهُ
- ٢٢٤٩- وَاللَّهُ مَا نَدْرِي الَّذِي نُبْدِيهِ فِي دَاعِي كَبَيْتِ اللَّهِ ذِي الْأَرْكَانِ
- ٢٢٥٠- قُلْنَا لَهُمْ: إِنَّ السَّمَاءَ هِيَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ قَالُوا لَنَا: هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ
- ٢٢٥١- قُلْنَا لَهُمْ: إِنَّ السَّمَاءَ هِيَ قِبْلَةُ الدُّعَاءِ قَالُوا لَنَا: هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ
- ٢٢٥٢- قَالُوا لَنَا: هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ فَالْأَناسُ طُرًّا إِنَّهَا يَدْعُونَهُ
- ٢٢٥٣- فَالْأَناسُ طُرًّا إِنَّهَا يَدْعُونَهُ كَيْنَ يَسْأَلُونَ الرَّبَّ ذَا الْإِحْسَانِ
- ٢٢٥٤- لَا يَسْأَلُونَ الْقِبْلَةَ الْعُلْيَا وَلَكِنْ

- ٢٢٥٥- قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى غَيْرِ الشَّهِيدِ مُنَزَّلِ الْفُرْقَانِ
 ٢٢٥٦- أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلِسَمَاءِ مُسْتَشْهِدًا؟! حَاشَاهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي الْبُهْتَانِ

الشرح

٢٢١١- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمَنْ قَدْ دَانَ بِالْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ:

٢٢١٢- أَنْتُمْ بَذَا مِثْلُ الْخَوَارِجِ، إِنَّهُمْ أَخَذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدَوْا لِمَعَانِ

هذا الفصل عقده المؤلف لأنهم قالوا: أنتم يا أهل السنة أشبهتم الخوارج في التمسك بالظاهر؛ لأن أهل السنة فيما يتعلق بالأسماء والصفات يتمسكون بالظاهر، فقالوا: أنتم أشبهتم الخوارج؛ لأن الخوارج أخذوا بظواهر النصوص التي تُفيد الكفر في بعض الكبائر، فابن القيم -رحمه الله- يقول: أنتم الذين أشبهتموهم.

٢٢١٣- فَانظُرْ إِلَى ذَا الْبُهْتِ، هَذَا وَصَفَهُمْ نَسَبُوا إِلَيْهِ شِيعَةَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «الْبُهْت»: الكذب.

٢٢١٤- سَلُّوا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَحِزْبِهِ سَيْفَيْنِ: سَيْفَ يَدٍ، وَسَيْفَ لِسَانِ

قَوْلُهُ: «سَيْفَ يَدٍ» وذلك بالضرب، وربما بالقتل.

قَوْلُهُ: «وَسَيْفَ لِسَانِ» بالكلام، بالسبِّ، بالقدح، فيقولون لهم: أنتم حشوية،

أنتم نوابت، أنتم غناء، أنتم ممثلة، وما أشبه ذلك.

٢٢١٥- خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِثْلًا خَرَجَ الْأَلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «خَرَجُوا» الضمير يعود على أهل التعطيل.

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِمْ» أي: على حزب الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «مِثْلَمَا خَرَجَ الْأَلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ» وهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة وقاتلوهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢٢١٦- وَاللَّهُ مَا كَانَ الْخَوَارِجُ هَكَذَا وَهُمْ الْبُعَاةُ أَيْمَةُ الطُّغْيَانِ
هنا أقسم ابن القيم -رحمه الله- أن الخوارج أهون من هؤلاء، وما كانوا هكذا.

قَوْلُهُ: «وَهُمْ» الضمير يعود على الخوارج.

لكن ما وجه أنهم أقل من هؤلاء؟ قال:

٢٢١٧- كَفَرْتُمْ أَصْحَابَ سُنَّتِهِ وَهُمْ فُسَاقٌ مِلَّتِهِ،

يعني: أنتم كفرتم أصحاب السنة، كيف ذلك؟ قالوا: إنهم مجسمة، وإن التجسيم كفر، فكفروهم بإثبات السنة، وأما الخوارج فكفروا فساق الملة، وعلى ذلك فالخوارج أهون؛ لأن الخوارج إنما كفروا أصحاب الكبائر، وهؤلاء كفروا أصحاب السنة.

٢٢١٧- فَمَنْ يَلْحَانِي

٢٢١٨- إِنْ قُلْتُ: هُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْكُمْ وَاللَّهُ مَا الْفِتْنَانِ مُسْتَوِيَانِ

٢٢١٩- شَتَانٌ بَيْنَ مُكْفَرٍ بِالسُّنَّةِ الْـ عَلِيًّا، وَبَيْنَ مُكْفَرٍ الْعِصْيَانِ

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يَلْحَانِي» أي: من يلومني.

قَوْلُهُ: «شَتَانٌ» بمعنى بُعد، يعني: فرق بعيد بين من كفر بالسنة ومن كفر

بالعصيان، فالأعظم؟ هو من كفر بالسنة، يعني: الذي يكفر الناس لاتباعهم السنة أشد من الذي يكفرهم بقيامهم بالمعصية.

٢٢٢٠- قُلْتُمْ: تَأْوَلْنَا، كَذَلِكَ تَأْوَلُوا وَكِلَاكُمَا فِتْنَانِ بَاغِيَتَانِ

قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ: تَأْوَلْنَا كَذَلِكَ تَأْوَلُوا» يعني: قلتُم مدافعين عن أنفسكم: إننا ذهبنا هذا المذهب متأولين، فنقول لهم: «كَذَلِكَ تَأْوَلُوا»؛ هم أيضًا -هؤلاء الخوارج- تأولوا، وأخذوا بالنصوص التي ظاهرها الوعيد.

ثم قال ابن القيم: «وَكَِلَاكُمَا فِتْنَانِ بَاغِيَتَانِ»، ولكن تأولكم أنتم أشد.

٢٢٢١- وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ» لكم عليهم ميزة، وهي التعطيل، أي: تعطيل صفات الله عز وجل، والتحريف للنصوص، والتبديل، والبُهتان.

٢٢٢٢- وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ مِيزَةُ الإِثْبَاتِ وَالتَّصْديقِ مَعَ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

وهذا فرق، فالخوارج لهم شدة تمسك بالظواهر، ويثبتون الصفات ويصدقون بها، وعندهم من خوف الله ما ليس عند هؤلاء؛ ولهذا تجد الخوارج سُرج الليالي، يبيتون لربهم سُجداً وقيامًا، يصومون، يتلون الكتاب، لا يوجد أحدٌ مثلهم في الظاهر، لكن إيمانهم -والعياذ بالله- لا يتجاوز حناجرهم كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١). نسأل الله العافية.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم: كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

٢٢٢٣- أَلَكُم عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ إِذْ لَهُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِمْ وَزُرَانِ؟!

هذا الاستفهامُ للإنكار، يعني: أنتم تؤولون، وتقولون: إننا مؤولون مُصيبون فلنا أجران، أما هم فهم غيرُ مؤولين، بل معاندون، فلهمِ وزران.

٢٢٢٤- حَاشَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ذَا الْحُكْمِ، بَلْ أَنْتُمْ وَهُمْ فِي حُكْمِهِ سَيَّانِ

٢٢٢٥- وَكِلَاكُمَا لِلنَّصِّ فَهُوَ مُخَالِفٌ هَذَا وَبَيْنَكُمَا مِنَ الْفُرْقَانِ

٢٢٢٦- هُمْ خَالَفُوا نَصًّا لِنَصِّ مِثْلِهِ لَمْ يَفْهَمُوا التَّوْفِيقَ بِالْإِحْسَانِ

٢٢٢٧- لَكِنَّكُمْ خَالَفْتُمُ الْمَنْصُوصَ لِلشَّ شُبِّهِ اللَّيِّ هِيَ فِكْرَةُ الْأَذْهَانِ

أيُّهما أعظمُ مخالفةً؟ الخوارجُ خالفوا النصوصَ الدالَّةَ على أنَّ المؤمنَ لا يكفرُ بالمعاصي والكبائر، لكنَّهم خالفوها لنصوصٍ أخرى اشتبهتُ عليهم، ذلكتُ على كفر بعض فاعلي الكبائر.

فإذن هم خالفوا النصوصَ لنصوصٍ أخرى، ولكنَّهم لم يوفَّقوا للتوفيقِ بينها، أمَّا أنتم فخالفتم النصوصَ للآراء والأفكار، وما زعمتموه عقولاً؛ ولهذا قال:

٢٢٢٨- فَلِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَقْبَرُ مِنْهُمْ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ؟!

هذا الاستفهامُ للإنكار، يعني: لا يمكنُ أن تكونوا أقربَ منهم للحقِّ والإيمان.

٢٢٢٩- هُمْ قَدَّمُوا الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْظِ الْكِتَابِ بِ عَلَى الْحَدِيثِ الْمَوْجِبِ التَّبَيَّانِ

الخوارجُ يعتنون بالقرآن، ولكنَّهم لا يأخذون بالحديث، كما قال ابنُ القيم

هنا، ولعل هذا قول لطائفة منهم، وأن بعضهم يأخذ بالحديث إذا صحَّ سنده، لكنهم يتشدّدون في الأحاديث.

٢٢٢٠- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ رَأْيَ الرَّجَا لِ عَلَيْهِمَا، أَفَأَنْتُمَا عِدْلَانِ؟

قَوْلُهُ: «لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ رَأْيَ الرَّجَالِ عَلَيْهِمَا» يعني: على الكتاب وعلى الحديث.

قَوْلُهُ: «أَفَأَنْتُمَا عِدْلَانِ؟» الجواب: لا، لستما عدلين؛ لأنه على تقدير أنهم أخذوا بالقرآن دون الحديث فأنتم لا أخذتم لا بهذا ولا بهذا.

٢٢٢١- أَمْ هُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَقْرَبُ مِنْكُمْ لَاحَ الصَّبَاحِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «أَمْ هُمْ» بمعنى: بل هم، ف(أم) هنا للإضراب.

قَوْلُهُ: «لَاحَ الصَّبَاحِ» (لاح) بمعنى: اتّضح وبان.

٢٢٢٢- وَاللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْجَزَا بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ وَالْمِيزَانِ

يحكم الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة بين الخلائق بالعدل والميزان؛ لأنَّ الخلائق يومَ القيامة يختصمون، أي: يختصم أهل الحقُّ وأهل الباطل، فمثلاً الآن في عصرنا يوجد أهل باطل، نقول لهم: هذا باطل، فيقولون: لا، يومَ القيامة هم خصومنا، نخاصمهم، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّمُونَ ﴿[الزمر: ٣١]﴾ فالْمُؤْمِنُ يخاصم الكافر يومَ القيامة؛ لأجل أن يُقيم الحجة عليه في يوم لا يستطيع أن يتهرب؛ ولهذا تجدون في آيات كثيرة: ﴿فِيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿[المائدة: ٤٨]﴾ فلا بُدَّ من المخاصمة.

وهذه تُفرِّح الإنسان، فالْمُؤْمِنُ الذي لا يُؤخذُ قوله في الدنيا يفرح بأنَّ هناك

موقفًا آخرًا، سوف يكون قوله هو المتَّبِع وهو العالِي، وربِّمَا يعلو في الدنيا، فربِّمَا يُعَجِّلُ اللهُ النِّصْرَ لِلإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا كَمَا يَنْصُرُهُ فِي الآخِرَةِ، أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَالنِّصْرُ مضمونٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، سَيَكُونُ تَخَاصُمٌ، وَيَحْكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُم بِالْعَدْلِ.

٢٢٣٣- هَذَا وَنَحْنُ فَمِنْهُمْ بَلْ مِنْكُمْ بُرَاءٌ إِلَّا مِنْ هُدَى وَبَيَانٍ
جزاه الله خيرًا، يقول: نحن بُرَاءٌ مِنْكَ، وَبُرَاءٌ مِنْهُمْ، أَي: مِنَ الْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّهُمْ
كُلَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى حَقٍّ.

قَوْلُهُ: «إِلَّا مِنْ هُدَى وَبَيَانٍ» وَهَذَا أَيْضًا مِنْ إِنْصَافِ ابْنِ الْقَيْمِ، يَعْنِي: نَتَبَرَّأُ مِنْكُمْ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ هُدَى وَبَيَانٍ فَإِنَّا نَقْبَلُهُ؛ وَهَذَا لَا يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَحْمِلَهُ بُغْضُ الشَّخْصِ عَلَى رَدِّ قَوْلِهِ مُطْلَقًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

فَالوَاجِبُ أَنْ يَقْبَلَ الْإِنْسَانُ الْحَقَّ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ جَاءَ بِهِ، وَيُرَدُّ الْبَاطِلُ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ جَاءَ بِهِ، أَمَّا أَنْ يَزِنَ الْحَقَّ بِالرِّجَالِ، وَيَقُولُ: كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ هَذَا الشَّخْصُ فَهُوَ حَقٌّ، فَهَذَا غَلْطٌ؛ وَهَذَا قَالَ: (هَذَا وَنَحْنُ فَمِنْهُمْ بَلْ مِنْكُمْ) يَعْنِي: وَمِنْكُمْ أَيْضًا، (بُرَاءٌ إِلَّا مِنْ هُدَى وَبَيَانٍ).

٢٢٣٤- فَاسْمَعِ إِذْنُ قَوْلَ الْخَوَارِجِ ثُمَّ قَوْلَ لْ خُصُومِنَا، وَاحْكُمْ بِلَا مَيْلَانِ

٢٢٣٥- مَنْ ذَا الَّذِي مَنَّا إِذْنُ أَشْبَاهُهُمْ إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانٍ؟

٢٢٣٦- قَالَ الْخَوَارِجُ لِلرَّسُولِ: اْعْدِلْ فَلَمْ تَعْدِلْ، وَمَا ذِي قِسْمَةِ الدِّيَانِ

بدأ المؤلفُ بالمقارنة بين الخوارج، وبين أهل التعطيل، فهل هم أولى أن يكونوا مشابهيين بالخوارج أو نحن؟

يقول: أنتم الذي أشبهتموهم، ثُمَّ رَكَزَ عَلَى نَقْطَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ قَوْلُ الْخَارِجِيِّ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ»^(١)، يعني: كان الصواب أن تقسمها على غير هذه القسمة، فقوله: «اعْدِلْ» يعني: إِذْنُ قَسْمِكَ خَطَأً، وَالصَّوَابُ أَنْ تَقْسِمَهَا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ، وَهَذِهِ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْخَوَارِجِ.

قال: أنتم -الآن- قلتُم في النصوص الدالة على الصفات: إنه لا يُرَادُ بها كَذَا، وَإِنَّ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمْ يَعْذِلْ حِينَ عَبَّرَ بِهَا بِمَعْنَى الصِّفَاتِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُعَبَّرَ بِكَذَا وَكَذَا.

ثُمَّ ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَمْثَلَةً، فَقَالَ:

٢٢٣٧- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قَالَ نَظِيرَ ذَا لَكِنَّهُ قَدْ زَادَ فِي الطُّغْيَانِ

٢٢٣٨- قَالَ: الصَّوَابُ بِأَنَّهُ «اسْتَوَى»، فَلِمَ قُلْتَ: «اسْتَوَى» وَعَدَلْتَ عَنْ تَبْيَانِ

يعني: كأنه يخاطب الرسول فيقول: إِنَّ الصَّوَابَ فِي قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الصَّوَابُ: (استوى) لماذا قلت يا محمد: (استوى) والصَّوَابُ: (استوى)؟

إِذْنُ الْخَوَارِجِ قَالُوا: هَذِهِ الْقِسْمَةُ خَطَأً، وَالصَّوَابُ الْقِسْمَةُ الَّتِي يُرِيدُونَ، وَهَذَا قَالَ: (استوى) خَطَأً، وَالصَّوَابُ (استوى).

(١) أخرجه أحمد (٢٣/١٢٣)، رقم (١٤٨٢٠).

٢٢٣٩- وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ لِمَ قُلْتَ: يَنْزِلُ صَاحِبُ الْغُفْرَانِ؟

يُخَاطَبُ النَّبِيَّ، يَقُولُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١) الصواب: ينزل أمره، لكنك أنت يا محمد عدلت عن الصواب وقلت: (يَنْزِلُ صَاحِبُ الْغُفْرَانِ)، فأنت يا محمد لم تعدل في اللفظ، بل أتيت بلفظ آخر مخالف للعدل.

٢٢٤٠- مَاذَا بَعْدُ فِي الْعِبَارَةِ وَهِيَ مُو هِمَّةُ التَّحْرُكِ وَانْتِقَالِ مَكَانٍ

يقول: إنك لم تعدل في العبارة، بل أتيت بعبارة توهم الانتقال والتحريك، فقلت: إن الله ينزل، وهذا يوهم أنه انتقل من العرش إلى السماء، وأنه تحرك، وهذا ليس بعدل.

ما الذي ينزل على رأي الجهمي؟ الجواب: ينزل أمره، لماذا لم تقل يا محمد: (يَنْزِلُ أَمْرُهُ) حَتَّى تَعْدِلَ فِي الْعِبَارَةِ، وَتَصِيبَ الصَّوَابَ؟

٢٢٤١- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ فِي السَّمَاءِ أَوْ هَمَّتْ حَيْزَ خَالِقِ الْأَكْوَانِ

الآن يخاطب الرسول، لَمَّا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، يقول: هذا غلط، لكن ما الصواب؟ قال:

٢٢٤٢- كَانَ الصَّوَابُ بِأَنَّ يُقَالَ بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ سُلْطَانُ ذِي السُّلْطَانِ

يقول: الذي في السماء هو سلطانه، أما هو فلا، فلا تقل: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، بل قل: سلطانه في السماء؛ لأنك إذا قلت: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ فَقَدْ جُرَّتْ فِي التَّعْبِيرِ، وَمَا أَتَيْتَ بِالْعَدْلِ، وَهَذِهِ مِثَابَةٌ تَمَامًا لِلْخَوَارِجِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

٢٢٤٣- وَكَذَلِكَ قُلْتَ: إِلَيْهِ يُعْرَجُ وَالصَّوَابُ بُ إِلَى كَرَامَةِ رَبِّنَا الْمَنَّانِ

يعني: قلت: رُوحُ المؤمن يُعْرَجُ بها إلى الله عزَّ وجلَّ إذا قُبِضَتْ، والصوابُ أنها لا تُعْرَجُ إليه، وإنما تُعْرَجُ إلى كرامته، لكنك لم تعدل، وأتيت بلفظٍ مُوهِمٍ.

٢٢٤٤- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّ مِنْهُ يُنَزَّلُ الْـ قُرْآنُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ

٢٢٤٥- كَانَ الصَّوَابُ بِأَنَّ يُقَالَ: نُزُولُهُ مِنْ لَوْحِهِ أَوْ مِنْ مَحَلِّ ثَانٍ

نسأل الله العافية، يقول: أنت يا محمد قلت: إن القرآن ينزل من الله، وهذا جورٌ في العبارة، والصوابُ أنه ينزل من اللوح المحفوظ، ولا ينزل من الله، فهو ينزل من لوحه، أو من محلِّ ثانٍ، يُقَدَّرُهُ الجهميُّ.

٢٢٤٦- وَتَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ ذَاكَ الـ «أَيْنُ» مُـ تَتَعَنَّ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

٢٢٤٧- لَوْ قُلْتَ: مَنْ؟ كَانَ الصَّوَابُ كَمَا تَرَى فِي الْقَبْرِ يَسْأَلُ ذَلِكَ الْمَلَكَانَ

يقول: الرسولُ محمدٌ ﷺ لَمَّا قَالَ للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟»^(١) أخطأ ولم يعدل، بل كان الواجبُ عليه أن يقول: (من الله؟) كما يقول الملكان في القبر للميت: «مَنْ رَبُّكَ؟»^(٢) ولا يقولان: (أين ربُّك؟)، فمحمدٌ جَارٍ، وَعَدَلٌ عن الصواب.

٢٢٤٨- وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ الْـ أَعْلَى تَشْيِيرٍ بِأَصْبَحٍ وَبَنَانِ

٢٢٤٩- نَحْوَ السَّمَاءِ وَمَا إِشَارَتُنَا لَهُ حِسِّيَّةً، بَلْ تِلْكَ فِي الْأَذْهَانِ

متى قال هذا؟ قاله في حجة الوداع، لَمَّا قَرَّرَ -صلواتُ الله وسلامه عليه-

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

ما قرّر من الأصول العظيمة، قال: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟». قالوا: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَرْفَعُ أُصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا لِلنَّاسِ^(١). ثلاث مرات وهو يُشْهَدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ أَقْرَأُوا بِالْبَلَاغِ.

أين يرفعُ أُصْبَعَهُ؟ الجواب: لِلسَّمَاءِ، قال: هذا لا يجوزُ، هذا خطأ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يُشَارُ إِلَيْهِ إِشَارَةً حِسِّيَّةً، وَإِنَّمَا يُشَارُ إِلَيْهِ إِشَارَةً مَعْنَوِيَّةً بِالْقَلْبِ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَشَارَ إِلَيْهِ بِأَصْبَعِهِ لَقَطَعْتُ أُصْبَعَهُ -أَعُوذُ بِاللَّهِ- لِأَنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ كُفْرٌ، نَسَأَلُ اللهُ الْعَافِيَةَ.

قال ابن القيم:

٢٢٥٠- وَاللهَ مَا نَذَرِي الَّذِي نُبْدِيهِ فِي هَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ لِلِإِخْوَانِ
يعني أَنَّ الرَّسُولَ لَمَّا أَشَارَ إِلَى السَّمَاءِ يُشْهَدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَانَ هَذَا نَصًّا قَاطِعًا فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ، كَذَلِكَ الدَّاعِي إِذَا دَعَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَذَا نَصٌّ قَاطِعٌ؛ لِأَنَّهُ فَطْرَةٌ.

٢٢٥١- قُلْنَا لَهُمْ: إِنَّ السَّمَاءَ هِيَ قِبْلَةُ الدُّعَايِ كَبَيْتِ اللهِ ذِي الْأَرْكَانِ
يقول: إِنَّ الدَّاعِي إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ إِنَّمَا يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى قِبْلَةِ الدَّعَاءِ، لَا إِلَى اللهِ، كَمَا أَنَّ الْمُصَلِّيَّ إِذَا صَلَّى يَتَّجِهُ إِلَى الْكَعْبَةِ الَّتِي هِيَ قِبْلَةُ الْمُصَلِّيِّ، فَإِذَا قُلْنَا: (يَا اللهُ) لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّنَا نَرْفَعُ أَيْدِيَنَا إِلَى اللهِ، إِنَّمَا نَرْفَعُ أَيْدِيَنَا إِلَى قِبْلَةِ الدَّاعِي كَمَا يَتَّجِهُ الْمُصَلِّيُّ إِلَى الْكَعْبَةِ الَّتِي هِيَ قِبْلَةُ الْمُصَلِّيِّ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

- ٢٢٥٢- قَالُوا لَنَا: هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ بِأَوْضَحِ الْبُرْهَانِ
 ٢٢٥٣- فَالْتَّاسُ طُرًّا إِنَّمَا يَدْعُونَهُ مِنْ فَوْقَ، هَذِي فِطْرَةُ الرَّحْمَنِ
 ٢٢٥٤- لَا يَسْأَلُونَ الْقِبْلَةَ الْعُلْيَا وَلَا كِنْ يَسْأَلُونَ الرَّبَّ ذَا الْإِحْسَانِ

صحيح، لو أنك سألت عجزًا ما قرأت العقيدة، ولا قرأت أي كتاب وهي ترفع يديها تسأل الله: إلى أي شيء رفعت يديك؟ فلن تقول: إلى السماء قبله الداعي، ولا تعرف هذا، بل تقول: رفعتها إلى الله.

كيف تقولون أنتم: إن رفع اليدين إلى السماء لأنها قبله الداعي؟ من قال لكم هذا؟! إنما يرفع الدعاء أيديهم إلى السماء لأنهم يعلمون أن ربهم في السماء.

- ٢٢٥٥- قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى غَيْرِ الشَّهِيدِ مُنْزِلِ الْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ» الذين يقولون هذا أهل السنة والجماعة ردًا على القائلين بأنهم إنما يرفعون أيديهم إلى السماء التي هي قبله الداعي على زعمهم. قَوْلُهُ: «قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى غَيْرِ الشَّهِيدِ» وهو الله - سبحانه وتعالى - مُنْزِلُ الْفُرْقَانِ.

- ٢٢٥٦- أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِدًا؟! حَاشَاهُ مِنْ مَّخْرِيفِ ذِي الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِدًا?!» يعني: أتظن الرسول ﷺ.

- ٢٢٥٧- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

- ٢٢٥٨- نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ وَكَذَلِكَ قَدْ سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ

- ٢٢٥٩- وَكَذَا يُنَادِي الْخَلْقَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ
 ٢٢٦٠- إِنِّي أَنَا الدِّيَانُ أَخَذُ حَقَّ مَظْ
 ٢٢٦١- وَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ وَقَائِلُ
 ٢٢٦٢- قَوْلٌ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ يُرَى
 ٢٢٦٣- أَوْفَعَتْ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ
 ٢٢٦٤- لَوْ لَمْ تَقُلْ: فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشْرُ-
 ٢٢٦٥- وَسَكَتَ عَنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي
 ٢٢٦٦- وَذَكَرْتَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ
 ٢٢٦٧- كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ بَلْ
 ٢٢٦٨- لَكِنْ مَنَحْتَهُمْ سِلَاحًا كُلَّمَا
 ٢٢٦٩- وَعَدُوا بِأَسْهُمِكَ الَّتِي أُعْطَيْتَهُمْ
 ٢٢٧٠- لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ فِي الْعِبَارَةِ بَيْنَنَا
 ٢٢٧١- هَذَا لِسَانَ الْحَالِ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي
 ٢٢٧٢- يَبْدُو عَلَى فَلَاتِ أَلْسِنِهِمْ وَفِي
 ٢٢٧٣- سِيمَا إِذَا قُرِئَ الْحَدِيثُ عَلَيْهِمْ
 ٢٢٧٤- فَهَنَّاكَ بَيْنَ النَّازِعَاتِ وَكُوِّرَتْ
- بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ:
 لَوْمٍ مِنَ الْعَبْدِ الظَّلُومِ الْجَانِي
 وَكَذَا يَقُولُ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
 مِنْ غَيْرِ مَا شَفَّةٍ وَغَيْرِ لِسَانِ
 لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ
 بِإِشَارَةِ حِسِّيَّةٍ بَيْنَانِ
 قَدْ صَرَّحْتَ بِالْفَوْقِ لِلدِّيَانِ
 فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجَ الْأَكْوَانِ
 كَانُوا لَنَا أَسْرَى عَبِيدَ هَوَانِ
 شَاءُوا لَنَا مِنْهُمْ أَشَدَّ طِعَانِ
 يَرْمُونَنَا عَرَضًا بِكُلِّ مَكَانِ
 مَا كَانَ يُوجَدُ بَيْنَنَا رَجْفَانِ
 ذَاتِ الصُّدُورِ يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ
 صَفَحَاتِ أَوْجُهُهُمْ يُرَى بَعِيَانِ
 وَتَلَوْتَ شَاهِدَهُ مِنَ الْقُرْآنِ
 تِلْكَ الْوُجُوهُ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ

- ٢٢٧٥- وَيَكَادُ قَائِلُهُمْ يُصْرِحُ لَوْ يَرَى
 ٢٢٧٦- يَا قَوْمُ شَاهِدْنَا رُءُوسَكُمْ عَلَى
 ٢٢٧٧- إِلَّا وَحَشُوا فُؤَادِهِ غِلًّا عَلَى
 ٢٢٧٨- وَهُوَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ لَكِنْ بَلُطُ
 ٢٢٧٩- وَأَخُو الْجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِللَّفْظِ وَالْ
 ٢٢٨٠- يَا مَنْ يَظُنُّ بِأَنَّا حِفْنَا عَلَيْهِ
 ٢٢٨١- فَانظُرْ تَرَى لَكِنْ تَرَى لَكَ تَرَكَهَا
 ٢٢٨٢- فَشَبَّاهُهَا وَاللَّهُ لَمْ يَعْلُقْ بِهَا
 ٢٢٨٣- إِلَّا رَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي قَفْصِ الرَّدَى
 ٢٢٨٤- وَيَظَلُّ يَخْبُطُ طَالِبًا لِخَلَاصِهِ
 ٢٢٨٥- وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ خَلَى أَطْيَبَ الثُّ
 ٢٢٨٦- وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الْمَزَابِلِ يَبْتَغِي الْ
- مِنْ قَابِلٍ فَتَرَاهُ ذَا كِتْمَانٍ
 هَذَا وَلَمْ نَشْهَدُهُ مِنْ إِنْسَانٍ
 سُنَنَ الرَّسُولِ وَشِيعَةَ الْقُرْآنِ
 فِي عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانٍ
 مَعْنَى فَنَسَبُ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ
 هُمْ كُتُبُهُمْ تُنْبِئُكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
 حَذَرًا عَلَيْكَ مَصَايِدَ الشَّيْطَانِ
 مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيْرَانِ
 يَبْكِي لَهُ نُوحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ
 فَيَضِيقُ عَنْهُ فُرْجَةَ الْعِيدَانِ
 ثَمَرَاتٍ فِي عَالٍ مِنَ الْأَفْنَانِ
 فَضَلَاتٍ كَالْحَشَرَاتِ وَالذِّيدَانِ

الشرح

سبق أن المؤلف - رحمه الله - ذكر أن الجهمية، بل المعطلة عموماً، هم الذين يُشبهون الخوارج، حيث قالوا: إن الرسول ﷺ لم يعدل فيما وصف الله به نفسه، حتى قالوا: إن قوله: «أين الله؟» ليس بعدل، والصواب أن يقول: من الله؟ أمّا «أين الله؟» فلا.

هذا القول على لسان الجهمي المعطل، ويخاطب النبي ﷺ فيقول:

٢٢٥٧- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

٢٢٥٨- نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ وَكَذَلِكَ قَدْ سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ

قَوْلُهُ: «نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ» «نَادَى» أَي: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الْكَلِيمَ» موسى - عليه الصلاة والسلام -.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَدْ سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ» «الْأَبْوَانِ» أَي: آدَمُ وَحَوَاءُ،

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴿[الأعراف: ٢٢-٢٣].

٢٢٥٩- وَكَذَا يُنَادِي الْخَلْقَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ:

٢٢٦٠- إِنِّي أَنَا الدِّيَانُ آخُذٌ حَقَّ مَظْ لُومٍ مِنَ الْعَبْدِ الظُّلْمِ الْجَانِي

وذلك كما جاء في الحديث الصحيح أنه يُنَادِي بِصَوْتٍ، قال رسول الله ﷺ:

«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْ دَرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ»^(١).

٢٢٦١- وَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ وَقَائِلٌ وَكَذَا يَقُولُ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

٢٢٦٢- قَوْلٌ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ يُرَى مِنْ غَيْرِ مَا شَفَةِ وَغَيْرِ لِسَانٍ

كُلُّ هَذَا كَلَامُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ يُخَاطِبُونَ الرَّسُولَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم:

كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم لا يخرجك بعث النار، رقم (٢٢٢).

وَيَرُونَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَيْسَ بِعَدْلِ، وَأَنَّ الْعَدْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا يَدْعُونَ أَنَّهُ التَّنْزِيهِ، وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ.

٢٢٦٣- أَوْقَعْتَ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: «أَوْقَعْتَ» أَي: الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

قَوْلُهُ: «فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ لَمْ يَنْفِ» (مَنْ) مَفْعُولٌ (أَوْقَعْتَ).
قَوْلُهُ: «لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ» وَيَعْنُونَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ الَّذِينَ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ.

فَهَذَا الرَّجُلُ الْمَعْطَلُ يَقُولُ لِلرَّسُولِ ﷺ: إِنَّكَ أَوْقَعْتَ مَنْ لَمْ يَنْفِ مَا قُلْتَ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ.

٢٢٦٤- لَوْ لَمْ تَقُلْ: فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ- بِإِشَارَةِ حِسِّيَّةِ بِنَانٍ
٢٢٦٥- وَسَكَتَ عَنِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي قَدْ صَرَّحْتَ بِالْفَوْقِ لِلدِّيَانِ
٢٢٦٦- وَذَكَرْتَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ
٢٢٦٧- كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ بَلْ كَانُوا لَنَا أَسْرَى عَبِيدَ هَوَانٍ
قَوْلُهُ: «لَوْ لَمْ تَقُلْ» كُلُّ الْكَلَامِ الْآنَ يَحْكِيهِ ابْنُ الْقَيْمِ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ يَخَاطَبُونَ الرَّسُولَ ﷺ.

قَوْلُهُ: «فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ بِإِشَارَةِ حِسِّيَّةِ بِنَانٍ» كَمَا أَشَارَ فِي حَالِ خُطْبَةِ حُجَّةِ الْوُدَاعِ.

فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ فَعَلْتَ هَذَا (كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ).

يعني: يقول: لو أنك ما قلتَ هذا الكلامَ، ولا وصفتَ اللهَ بيا وصفتَ لكنَّا انتصفنا من أولي التجسيم، يعني: أننا أخذنا بالنَّصْفِ منهم فغلبناهم وكانت الحُجَّةُ لنا، لكنك قلتَ ذلك فصار الانتصافُ لأهل التجسيم على زعمهم، ويعني بهم: الذين يثبتون الصفات.

٢٢٦٨- لَكِنْ مَنَحْتَهُمْ سِلَاحًا كُلَّمَا شَاءُوا لَنَا مِنْهُمْ أَشَدَّ طِعَانِ
٢٢٦٩- وَغَدَوْا بِأَسْهُمِكَ الَّتِي أُعْطِيَتْهُمْ يَرْمُونَنَا غَرَضًا بِكُلِّ مَكَانٍ
قَوْلُهُ: «لَكِنْ مَنَحْتَهُمْ» الخطاب للنبيِّ -عليه الصلاة والسلام-.

والمعنى أنه كلَّمَا أرادوا أن يطعنونا بهذا السُّلَاحِ وجدنا منهم أشدَّ شيء.

٢٢٧٠- لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ فِي الْعِبَارَةِ بَيْنَنَا مَا كَانَ يُوجَدُ بَيْنَنَا رَجْفَانٌ
أعوذ بالله، يقولون للرسول: لو كنتَ عادلاً ما كان بيننا هذا الرَّجْفَانُ وهذا الخوف من أن يسطوَ علينا أهل الإثبات.

٢٢٧١- هَذَا لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي ذَاتِ الصُّدُورِ يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ
قَوْلُهُ: «هَذَا لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُمْ» ابنُ القيم -رحمه الله- احترز لَمَّا ذكر أنهم يقولون كذا، ويقولون كذا، قال: (هَذَا لِسَانُ الْحَالِ) يعني أنهم لم يقولوا ذلك بألسنتهم، لكن هذا لسان حالهم.

والفرق بين لسان الحال ولسان المقال: أن لسان المقال هو النطق باللسان، ولسان الحال هو شواهدُ القرائن؛ ولهذا قال: (هَذَا لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي ذَاتِ الصُّدُورِ يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ) ذات الصدور هي القلوب.

قَوْلُهُ: «يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ» يعني: يُجَبَّسُ وَيُمْنَعُ بِالْكِتْمَانِ، فلا يُصَرِّحون به.

٢٢٧٢- يَبْدُو عَلَى فَلَاتِ السُّنَنِمْ وَفِي صَفَحَاتِ أَوْجُهُمْ يُرَى بَعِيَانِ

يعني: هذا القول الذي قلناه عنهم بناءً على لسان الحال يبدو على فلات السُنهم، أي أنهم أحياناً يطلقونه فلتةً.

قَوْلُهُ: «وَفِي صَفَحَاتِ أَوْجُهُمْ يُرَى بَعِيَانِ» وهذا صحيح، فالإنسان قد تشعرُ بأنه رَدَّ قولك من صفحات وجهه، أنت إذا قلتَ قولاً يُناسِبُه تجد وجهه يستنيرُ وينتشرُ وينبسطُ، وإذا قلتَ قولاً يكرهه تجده بالعكس، وهذا لا يشعرُ به إِلَّا مَنْ أعطاه اللهُ فِرَاسَةً وَفِطْنَةً.

٢٢٧٣- سِيَمَا إِذَا قُرِئَ الْحَدِيثُ عَلَيْهِمْ وَتَلَوْتَ شَاهِدَهُ مِنَ الْقُرْآنِ

يعني: إذا قرأتَ الحديثَ، وأيدته بشاهدٍ من القرآن، فانظر ماذا يكونُ على وجوههم من الانقباض والكراهة.

٢٢٧٤- فَهَنَّاكَ بَيْنَ النَّازِعَاتِ وَكُورَتِ تِلْكَ الْوُجُوهُ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «بَيْنَ النَّازِعَاتِ وَكُورَتِ» (النازعات) و(كورت) بينهما سورة (عَبَسَ).

قَوْلُهُ: «تِلْكَ الْوُجُوهُ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ» أي: تجد العبوسَ، وتجد قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١] يعني: إذا تلوت عليهم الحديثَ، وأتيتَ بشاهدٍ له من القرآن، فإنك تجد عبوسًا وغبرةً وقترَةً. نسأل الله العافية.

٢٢٧٥- وَيَكَادُ قَائِلُهُمْ يُصْرِّحُ لَوْ يَرَى مِنْ قَابِلٍ فَتَرَاهُ ذَا كِسْمَانِ

يُصْرِّحُ بكراهته لِمَا سَمِعَ لو رأى قَابِلًا، ولكنّه لا يرى أحدًا يَقْبَلُ قوله وحيثئذٍ يكتُم.

٢٢٧٦- يَا قَوْمُ شَاهِدْنَا رُءُوسَكُمْ عَلَى هَذَا وَلَمْ نَشْهَدْهُ مِنْ إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «يا قوم» يجوز (يا قوم) ويجوز (يا قوم)، فعلى لفظ (قوم) يكون على اعتبار أن الياء حُذِفَتْ وبقيت الكسرة دليلاً عليها، وعلى لفظ (يا قوم) على اعتبار أنه مقطوعٌ عن الإضافة ويكون نكرةً مقصودة، والنكرة المقصودة يُبْنَى فيها المنادى على الضم.

قَوْلُهُ: «شَاهِدْنَا رُءُوسَكُمْ» ليس المرادُ رأسَ الجسد، المرادُ رؤوسكم في العلم، يعني: رؤساءكم شاهدناهم على هذا، إذا تَلِي عليهم الحديثُ وأُيد بشاهدٍ من القرآن تجد وجوهاً عابسةً عليها غبرةٌ، ترهقها قترَةٌ، والعياذ بالله.

٢٢٧٧- إِلَّا وَحَشَوْ فُؤَادِهِ غِلٌّ عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَشِيعَةِ الْقُرْآنِ

يعني: لم يُشَاهِدْ هذا الشيءُ من إنسانٍ إِلَّا وَحَشَوْ فُؤَادِهِ غِلٌّ عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ. قَوْلُهُ: «حَشَوْ» أي: ملء، يعني أن قلبه مملوءٌ من الغِلِّ على سنن الرسول وشيعة القرآن.

٢٢٧٨- وَهُوَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ لَكِنْ بِلُطْفٍ فِي عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانٍ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ» أي: في كتب الرؤوس.

قَوْلُهُ: «لَكِنْ بِلُطْفٍ فِي عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانٍ» يعني: أنهم لا يُصَرِّحُونَ، ولكنهم يأتون بعباراتٍ لا يفهمها إِلَّا الْحَدَّاقُ؛ ولهذا قال بعض العلماء في تفسير الزَّخَشَرِيِّ الذي إذا قرأته قلت: هذا التفسيرُ في القمَّة، يقول: إِنَّكَ تَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْاِعْتِرَالَ بِالْمُنَاقِشِ. يعني أنه خَفِيٌّ، ما تستخرجه بالأصبع، فالشُّوكَةُ إذا كانت ضعيفةً تستخرجها بالمناقش لا بالإصبع، أمَّا لو كان مسارًا بَيِّنًا فستخرجه بالإصبع.

الحاصل أن هذه الكتب يأتون بها بعبارات موهمة مُزخرفة، يَحْسِبُهَا الجَاهِلُ حقًا وهي باطلٌ؛ ولهذا قال - رحمه الله تعالى -: (لَكِنَّ بَلُطْفِ عِبَارَةِ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانِ).

٢٢٧٩- وَأَخُو الْجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلْفِظِ وَالْمَعْنَى فَنَسَبُ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ قَوْلُهُ: «وَأَخُو الْجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلْفِظِ» يعني أن الجاهل يَعْتَرُّ بالألفاظ، وينخدعُ بها.

قَوْلُهُ: «وَالْمَعْنَى فَنَسَبُ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ» يعني: أن العالم هو الذي ينظرُ للمعنى ولا يعترُّ باللفظ، والجاهلُ يعترُّ باللفظ والظاهر، فهو صاحبُ اللفظ، أما العالمُ فهو صاحبُ المعاني.

٢٢٨٠- يَا مَنْ يَظُنُّ بِأَنَّا حِفْنَا عَلَيْكَ هُمْ كُتُبُهُمْ تُنْبِئُكَ عَن ذَا الشَّانِ وهذا إنصافٌ من المؤلف، يقول: الذي يظنُّ أننا حِفْنَا عليهم فليُنظر إلى كتبهم تُنْبِئُكَ عن ذَا الشَّانِ.

٢٢٨١- فَانظُرْ تَرَى لَكِنَّ تَرَى لَكَ تَرَكَهَا حَذَرًا عَلَيْكَ مَصَايِدَ الشَّيْطَانِ يعني: انظر كتبهم ترى أن ما قلناه حقٌّ، ولكنَّه - رحمه الله - لنصحه قال: ترى ألا تقرؤها، لماذا؟ خوفًا عليك من مصائد الشيطان؛ لأنَّ الإنسان إذا قرأ في كتب أهل الزَّيغِ، سواءً في العقيدة، أو في الأخلاق، أو في السلوك، أو في أيِّ شيء، إذا قرأ فيها، وليس عنده حصيلةٌ من العلم الصحيح، فإنه يعترُّ؛ ولهذا يجبُ أن يحذرَ الشبابُ، وأن نحذَرهم أيضًا من الكتب التي فيها الضلالُ، حتَّى لو قالوا: إننا نعرفُ الحقَّ ولن ننخدعَ، فإنهم على خطر؛ ولهذا حذَر النبي ﷺ من سَمِعَ

الدَّجَالُ بَأَنَّ يَنَأَى عَنْهُ، يَعْنِي: يَبْعُدُ عَنْهُ، فَقَالَ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَنَأَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبْهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ»^(١)، والعيادُ بالله؛ فلهذا يجبُ على الإنسان أن يبتعدَ عن الشرِّ، ولكنه إذا ابتلي فليصبر، قال النبي ﷺ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»^(٢).

٢٢٨٢- فَشَبَّكَهَا وَاللَّهُ لَمْ يَعْلُقْ بِهَا مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيْرَانِ
شَبَّكَ هَذِهِ الْكُتُبِ لَمْ يَعْلُقْ بِهَا مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيْرَانِ، مَنْ هُوَ صَاحِبُ
الْجَنَاحِ الْقَاصِرِ الطَّيْرَانِ؟ الْجَوَابُ: هُوَ الْمَبْتَدِئُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ حَصِيلَةٌ مِنَ الْعِلْمِ
يَدْفَعُ بِهَا مَا يَجِدُ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ.

٢٢٨٣- إِلَّا رَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي قَفْصِ الرَّدَى يَبْكِي لَهُ نَوْحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ
قَوْلُهُ: «قَفْصِ الرَّدَى» الْقَفْصُ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ الطَّيْرُ، فَهَلْ
يَكُونُ الطَّيْرُ فِي الْقَفْصِ طَلِيقًا؟! لَكِنَّهُ يَنْوَحُ عَلَى الْأَغْصَانِ؛ يَبْكِي عَلَى الْأَغْصَانِ
الَّتِي فِي الْأَشْجَارِ، فَهُوَ فِي الْبَدَايَةِ كَانَ عَلَى الْأَغْصَانِ طَلِيقًا، ثُمَّ دَخَلَ فِي هَذَا
الْقَفْصِ فَبَدَأَ يَنْوَحُ عَلَى الْأَغْصَانِ؛ وَهَذَا قَالَ: (لَهُ نَوْحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ).

٢٢٨٤- وَيَظَلُّ يَخْبِطُ طَالِبًا لِحَلَاصِهِ فَيَضِيقُ عَنْهُ فُزْجَةَ الْعِيدَانِ
قَوْلُهُ: «وَيَظَلُّ» يَعْنِي: يَسْتَمِرُّ يَخْبِطُ بِجَنَاحِهِ يَرِيدُ أَنْ يَطِيرَ، لَكِنْ كَلَّمَا أَرَادَ

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، أبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، رقم (٢٨٠٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (١٩٠٢).

أن يخرج ضاقت عليه فُرْجَةُ العِيدَانِ، أي: عيدان القفص، فالفتحاتُ ضيِّقَةٌ لا يستطيعُ أن يخرجَ منها.

٢٢٨٥- وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ خَلَى أَطْيَبَ الثَّمَرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الْأَفْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ» يعني: نقولُ لهذا الطير الذي وقع في القفص: الذَّنْبُ ذَنْبُكَ.

قَوْلُهُ: «خَلَى أَطْيَبَ الثَّمَرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الْأَفْنَانِ» أي: الأغصان، الذَّنْبُ ذَنْبُكَ أيها الطيرُ، لماذا ترك الثمراتِ في أعلى الأغصان وتأتي إلى هذا القفص؟!

٢٢٨٦- وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الْمَرْابِلِ يَبْتَغِي الْفَضْلَاتِ كَالْحَشْرَاتِ وَالذِّدَانِ

يعني: وَخَلَى الثمراتِ على الأغصانِ العالية.

٢٢٨٧- يَا قَوْمِ وَاللهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةٌ مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانٍ

٢٢٨٨- جَرَّبْتُ هَذَا كَلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي تِلْكَ الشِّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانٍ

٢٢٨٩- حَتَّى أَتَاخَ لِي الْإِلَهِ بِفَضْلِهِ مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي

٢٢٩٠- حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانٍ

٢٢٩١- فَاللهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

٢٢٩٢- أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَرْمَ حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

- ٢٢٩٣- وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا
نَزَلَ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ
- ٢٢٩٤- وَرَأَيْتُ آثَارًا عَظِيمًا شَأْنُهَا
مُحْجُوبَةً عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
- ٢٢٩٥- وَوَرَدَتْ رَأْسَ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيًا
حَضْبَاؤُهُ كَلَالِي التَّيْجَانِ
- ٢٢٩٦- وَرَأَيْتُ أَكْوَازًا هُنَاكَ كَثِيرَةً
مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدِ ظَمَّانِ
- ٢٢٩٧- وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكَوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي
لَا زَالَ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ:
- ٢٢٩٨- مِيزَابُ سُنَّتِهِ، وَقَوْلُ إِلَهِهِ
وَهُمَا مَدَى الْأَيَّامِ لَا يَنْبَانِ
- ٢٢٩٩- وَالنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إِلَّا مِنَ الْـ
آلَافِ أَفْرَادٌ ذُووِ إِيْمَانِ
- ٢٣٠٠- وَوَرَدْتُمْ أَنْتُمْ عَذَابَ هَوَانِ
وَرَدُّوا عَذَابَ مَنْهَلٍ أَكْرَمِ بِهَا
- ٢٣٠١- فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ وَالـ
فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ وَالـ
- ٢٣٠٢- مَنْ ذَا عَلَى دِينِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ ذَا
أَنْتُمْ أَمْ الْحَشَوِيِّ؟ مَا تَرِيَانِ
- ٢٣٠٣- وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ لَدَى الْحَشَوِيِّ أَهْلُ
لَا أَنْ يُقَدِّمَكُمْ عَلَى عُثْمَانَ
- ٢٣٠٤- فَضْلًا عَنِ الْفَارُوقِ وَالصِّدِّيقِ فَضْـ
لَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
- ٢٣٠٥- وَاللَّهُ لَوْ أَبْصَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ الْـ
حَشَوِيَّ حَامِلَ رَايَةِ الْإِيْمَانِ
- ٢٣٠٦- وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ
فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانِ
- ٢٣٠٧- مِنْ أَنْ يُحَرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ
يُقْضَى- لَهُ بِالْعَزْلِ عَنْ إِيْقَانِ
- ٢٣٠٨- وَيَرَى الْوِلَايَةَ لِابْنِ سَيْنَا أَوْ أَبِي
نَضْرٍ أَوْ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانِ

- ٢٣٠٩- أَوْ مَنْ يَتَابِعُهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمْ
 ٢٣١٠- يَا قَوْمَنَا بِاللَّهِ قَوْمُوا وَاَنْظُرُوا
 ٢٣١١- نَظْرًا وَإِنْ شِئْتُمْ مُنَاطِرَةً فَمَنْ
 ٢٣١٢- أَيُّ الطَّوَائِفِ بَعْدَ ذَا أَدْنَى إِلَى
 ٢٣١٣- فَإِذَا تَبَيَّنَ ذَا فِيمَا تَتَّبَعُوا
 أَوْ مَنْ يُقَلِّدُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ
 وَتَفَكَّرُوا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
 مَثْنَى عَلَى هَذَا وَمَنْ وُحْدَانِ
 قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ؟
 أَوْ تُعْذِرُوا أَوْ تُؤْذِنُوا بِطِعَانِ

الشرح

- ٢٢٨٧- يَا قَوْمِ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةٌ
 جزاه الله خيراً، أقسم بأنه سيهدي إلينا نصيحةً من مشفقٍ خائفٍ (وأخ
 معوان) أي: معين على الحق.

- ٢٢٨٨- جَرَّبْتُ هَذَا كَلِّهُ وَوَقَعْتُ فِي
 تِلْكَ الشُّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانِ
 ابنُ القِيَمِ - رحمه الله - كان في أول أمره صُوفِيًّا مبتدعًا، وقع في شباك
 المبتدعة، لكن من أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ يَسِّرْ لَهُ الْهَدَايَةَ، حتى كان يَعْمَدُ إِلَى الْخَلَوَاتِ
 بعيدًا عن الناس، ويتعبَّدُ بعباداتٍ طبعًا ليست من عبادات أهل التصوف، فكانت
 هذه حاله - رحمه الله -، ولكنه يقول:

- ٢٢٨٩- حَتَّى أَتَّاحَ لِي الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ
 مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي
 هَيَّا اللهُ لَهُ مَنْ لَا تَجْزِيهِ يَدُهُ وَلَا لِسَانُهُ، يعني: لو أعطيتُه من يدي ما أعطيتُه،
 وأثَّيْتُ عَلَيْهِ بِلِسَانِي مَا أَثْنَيْتُ عَلَيْهِ، فلن أكافئه على معروفه عليه، فمن هو؟

قال - رحمه الله -:

٢٢٩٠- حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَانٍ فَيَا أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَانِ

قَوْلُهُ: «حَبْرٌ أَتَى» وهو شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني - رحمه الله -، يَسْرَهُ اللهُ لابن القيم فاهتدى على يديه.

قَوْلُهُ: «أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ» (مَنْ) هذه من صيغ العموم، لكنه عامُّ أُريدَ به الخاص، أُريدَ به شيخ الإسلام، وليس كل مَنْ جاء من حَرَان، فحَرَان فيها الصابئةُ وفيها الفُسَّاقُ، لكن يريدُ بذلك شيخ الإسلام فقط.

٢٢٩١- فَاللهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرَّضْوَانِ

وهذا من بعض حقوق الشيوخ على تلاميذهم، أن يدعو الله لهم، فهو دعا لشيخه، ونعم الشيخ، ونحن نسأل الله تعالى أن يجزي الجميع ما هو أهله من جنة المأوى مع الرضوان.

٢٢٩٢- أَخَذْتُ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَزِمْ حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «أَخَذْتُ يَدَاهُ يَدِي» يعني: أمسك بيدي.

٢٢٩٣- وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا نَزَلَ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ» يعني المدينة النبوية، مدينة الرسول - عليه الصلاة والسلام -، حولها نُزِّلُ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ.

٢٢٩٤- وَرَأَيْتُ أَنْارًا عَظِيمًا شَأْنُهَا مَحْجُوبَةٌ عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ

كان - رحمه الله - في أوَّل أمره يَتَّبِعُ كَلَامَ الشيوخ، لكن لَمَّا وَفَّقَهُ اللهُ لشيخ

الإسلام صار مُنهمكًا بالآثار.

٢٢٩٥- وَوَرَدَتْ رَأْسَ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيًا حَصْبَاؤُهُ كَلَالِي التَّيْجَانِ

٢٢٩٦- وَرَأَيْتُ أَكْوَارًا هُنَاكَ كَثِيرَةً مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدِ ظَمَّانِ

٢٢٩٧- وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكُوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي لَا زَالَ يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ:

قَوْلُهُ: «يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ» ذكرهما بقوله:

٢٢٩٨- مِيزَابُ سُنَّتِهِ، وَقَوْلُ إِلَهِهِ وَهَمَّامَدَى الْأَيَّامِ لَا يَنْبِيَانِ

يعني أنه - رحمه الله - أخذ بيده حتى أوردَه هذا الماء الصافي الذي يصبُّ فيه ميزابان: الأوَّل: كتابُ الله، والثاني: سنةُ رسولِ الله ﷺ.

٢٢٩٩- وَالنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إِلَّا مِنْ أَلْفِ أَفْرَادٍ ذُووِ إِيْمَانِ

يعني: لا يَرِدُ هذا الحوض الذي يصبُّ فيه هذان الميزابان إلا أفرادُ ذُووِ إِيْمَانِ.

٢٣٠٠- وَرَدُّوا عَذَابَ مَنْهَلٍ أَكْرَمَ بِهَا وَوَرَدْتُمْ أَنْتُمْ عَذَابَ هَوَانِ

قَوْلُهُ: «عَذَابَ»، و«عَذَابَ» بينهما جناسٌ تامٌّ، أو غيرُ تامٍّ؟

نقول: إذا اتَّفَقَ اللفظان في الحركات والحروف فهو تامٌّ، وإن اختلفا فهو ناقصٌ، وهنا اختلفا: (عَذَابَ وَعَذَابَ).

٢٣٠١- فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالتَّخْصِيصِ بِالْعِرْفَانِ

٢٣٠٢- مَنْ ذَا عَلَى دِينِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ ذَا أَنْتُمْ أَمْ الْحَشَوِيِّ؟ مَا تَرِيَانِ

قَوْلُهُ: «فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ» يعني: أنه ناشدهم بحقِّ الله عزَّ وجلَّ.

وَقَوْلُهُ: «مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعُدْلِ وَالْإِنصَافِ وَالتَّخْصِصِ بِالْعِرْفَانِ» هذا نوعٌ من التهكُّم، لكن مع ذلك أنتم تدعون أنكم أهل العدل وأهل التخصيص والتحقيق.

فَمَنْ الذي على دين الخوارج أنتم أم الحشويُّ؟ والحشويَّة هم أهل الإثبات، فكلُّ أهلِ الإثبات يُسمَّونَ حَشَوِيَّةً عندهم.

٢٣٠٣- وَالله مَا أَنْتُمْ لَدَى الْحَشَوِيِّ أَهْلٌ - لَأَنْ يُقَدِّمَكُم عَلَى عُثْمَانَ
يخاطب هؤلاء الذين يتبعون شيوخهم ورؤساءهم، يقول: ما أنتم أهلاً بأن نقدمكم على عثمان.

٢٣٠٤- فَضْلاً عَنِ الْفَارُوقِ وَالصِّدِّيقِ فَضْلاً - لَأَعَنْ رَسُولِ اللهِ وَالْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «فَضْلاً عَنِ الْفَارُوقِ» أي: عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «عُثْمَانُ» و«الْفَارُوقُ» و«الصِّدِّيقُ» هؤلاء ثلاثةٌ من الخلفاء: عثمان وعمر وأبو بكر، ولا يمكنُ أن نُقدِّمَكم عليهم، فضلاً عن كلامِ الله وكلامِ رسول -صلى الله عليه وسلم-.

٢٣٠٥- وَالله لَوْ أَبْصَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ أَلْحَشَوِيَّ حَامِلَ رَايَةِ الْإِيمَانِ

٢٣٠٦- وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانِ

٢٣٠٧- مِنْ أَنْ يُحَرِّفَ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ يُقْضَى - لَهُ بِالْعَزْلِ عَنِ إِيقَانِ

وطريقُ أهلِ النفيِّ والتعطيلِ أنَّ القرآنَ والسُّنةَ مُحَرَّفَانِ عن مواضعهما،

فيقولون: (استوى) يعني (استولى)، و(يد) يعني (قوة)، وهكذا.

وأيضاً يقولون: هي معزولة عن الإيقان؛ أي: لا تفيدُ إلا الظنَّ فقط.

٢٣٠٨- وَيَرَى الْوَلَايَةَ لِابْنِ سَيْنَا أَوْ أَبِي نَصْرِ أَوْ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانَ

٢٣٠٩- أَوْ مَنْ يُتَابِعُهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمْ أَوْ مَنْ يُقَلِّدُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «وَيَرَى الْوَلَايَةَ لِابْنِ سَيْنَا» يعني: يتولَّى ابنَ سينا^(١) وأتباعه، ويتركُ وِلايَةَ الله ورسوله.

قَوْلُهُ: «أَوْ أَبِي نَصْرِ» أي: أبي نصرِ الفَارَابِيِّ^(٢).

قَوْلُهُ: «أَوْ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانَ» أي: الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ.

٢٣١٠- يَا قَوْمَنَا بِاللَّهِ قُومُوا وَانظُرُوا وَتَفَكَّرُوا فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٢٣١١- نَظَرًا وَإِنْ شِئْتُمْ مُنَاطِرَةً فَمِنْ مَثَى عَلَى هَذَا وَمِنْ وُحْدَانَ

يقول - رحمه الله -: قوموا وانظروا، فكروا أينما أولى بالخوارج، هل هو الحُشويُّ - على زعمهم - أو هؤلاء الرؤساء؟

إن شئتم أن تنظروا بأنفسكم فانظروا، وإن شئتم مناظرةً ومنازلةً، فنحن مستعدون لمناظرتكم ومنازلتكم.

٢٣١٢- أَيُّ الطَّوَائِفِ بَعْدَ ذَا أَدْنَى إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَحُكْمِ الْقُرْآنِ؟

(١) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا، فيلسوف، له تصانيف في الطبِّ وغيره، كان من أهل دعوة الحاكم العبيدي، معروفاً بالإلحاد، وُلِدَ في إحدى قُرَى بُخَارَى (سنة ٣٧٠هـ)، وتوفي في سَفَرِهِ إلى هَمْدَانَ (سنة ٤٢٨هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/٥٣١).

(٢) الفارابي: هو محمد بن طرخان، تركي الأصل، سمي بذلك لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وُلِدَ في فاراب على نهر جيحون سنة (٢٦٠هـ)، كان فيلسوفاً، وتوفي بدمشق سنة (٣٣٩هـ). انظر ترجمته في: مرآة الجنان (٢/٢٤٦).

٢٣١٣- فَإِذَا تَبَيَّنَ ذَا فِيمَا تَتَّبِعُوا أَوْ تُعْذِرُوا أَوْ تُؤْذِنُوا بِطِعَانِ

يعني: إذا تبين فإمّا أن تتبعوا وهذا هو الخير، (أو تُعْذِرُوا) وهذا وَقْفٌ سَلْمِيٌّ، تعذروننا ولا تتكلمون فينا، (أَوْ تُؤْذِنُوا بِطِعَانِ) يعني: ونتكلم وتتكلمون.

والواقع أنهم لا اتبعوا ولا عذروا، بل كانوا يسبون أهل الإثبات، ويقولون: هم حشويّة، هم نوابت، هم غشاء، هم عامة وليس عندهم علم، وهكذا، وحينئذ يكونون قد آذنوا بطعان، وإذا آذنوا بطعان، فلا تلوموننا، إذا قلنا فيهم ما يستحقونه من أوصاف ذميمة.

فصل

فِي تَلْقِيهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالْحَشَوِيَّةِ ، وَبَيَانِ مَنْ أَوْلَى بِالْوَصْفِ الْمَذْمُومِ مِنْ هَذَا اللَّقْبِ مِنْ
الطَّائِفَتَيْنِ ، وَذِكْرِ أَوَّلِ مَنْ لَقِبَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ

- ٢٣١٤ - وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنِ اقْتَدَى
٢٣١٥ - حَشَوِيَّةٌ ، يَعْنُونَ حَشَوًا فِي الْوُجُو
٢٣١٦ - وَيَظُنُّ جَاهِلُهُمْ بِأَتَمِّ حَشَوًا
٢٣١٧ - إِذْ قَوْلُهُمْ: فَوْقَ الْعِبَادِ وَفِي السَّمَاءِ
٢٣١٨ - ظَنَّ الْحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ ، وَالرُّ
٢٣١٩ - وَاللَّهُ لَمْ يُسْمَعْ بِذَا مِنْ فِرْقَةٍ
٢٣٢٠ - لَا تَبْهَتُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِهِ فَمَا
٢٣٢١ - بَلْ قَوْلُهُمْ: إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
٢٣٢٢ - حَقًّا كَحَرْدَلَةٍ تَرَى فِي كَفِّ مُمَّ
٢٣٢٣ - أَتَرُونَهُ الْمَحْضُورَ بَعْدَ أَمِّ السَّمَاءِ؟
٢٣٢٤ - كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ وَكَمْ حَشَوِيَّةٌ
٢٣٢٥ - يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْ
- بِالْوَحْيِ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ:
دِ وَفَضْلَةً فِي أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
رَبِّ الْعِبَادِ بِدَاخِلِ الْأَكْوَانِ
رَبِّ الرُّبِّ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
رَحْمَنُ مَحْيٍ بِظَرْفٍ مَكَانِ
قَالَتُهُ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ
ذَا قَوْلُهُمْ تَبَّ الَّذِي الْبُهْتَانِ
فِي كَفِّ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
سِكِّهَا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
يَا قَوْمَنَا ارْتَدِعُوا عَنِ الْعُدَاوَنِ
فَالْبُهْتُ لَا يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ
مُخْتَارِ حَشَوًا فَاشْهَدُوا بِبَيَانِ

- ٢٣٢٦- أَنَا بِحَمْدِ إِلَهِنَا حَشَوِيَّةٌ صَرَفُ بِلَا جَحْدٍ وَلَا كِثْمَانِ
 ٢٣٢٧- تَذْرُونَ مَنْ سَمَّتْ شُيُوكُمْ بِهِ- ذَا الإِسْمِ فِي المَاضِي مِنَ الأَزْمَانِ
 ٢٣٢٨- سَمَى بِهِ ابْنُ عُبَيْدٍ عَبْدَ اللَّهِ ذَا كَ ابْنِ الحَلِيفَةِ طَارِدُ الشَّيْطَانِ
 ٢٣٢٩- فَوَرِثْتُمْ عَمْرًا كَمَا وَرِثُوا لِعَبِّ- بِدِ اللَّهِ أَنَّى يَسْتَوِي الإِرْتِنَانِ؟
 ٢٣٣٠- تَذْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الإِسْمِ وَهُوَ- وَوَمُنَاسِبٌ أَحْوَالُهُ بِوِرَانِ؟
 ٢٣٣١- مَنْ قَدْ حَشَا الأُورَاقَ والأَذْهَانَ مِنْ بِدَعِ نُحَالِفُ مُوجِبِ القُرْآنِ
 ٢٣٣٢- هَذَا هُوَ الحَشَوِيُّ لَا أَهْلُ الحَدِيدِ- ثِ أَيْمَةَ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ
 ٢٣٣٣- وَرَدُّوا عِدَابَ مَنَاهِلِ السَّنَنِ الَّتِي لَيْسَتْ زُبَالَةَ هَذِهِ الأَذْهَانِ
 ٢٣٣٤- وَوَرَدْتُمْ القُلُوطَ بِجَرَى كُلِّ ذِي أَلِّ- أَوْسَاحِ وَالأَقْدَارِ وَالأَنْتَانِ
 ٢٣٣٥- وَكَسَلْتُمْ أَنْ تَضَعُدُوا لِلوَرْدِ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ حَيَّةَ الكَسْلَانِ

الشرح

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذا الفصل أن أهل البدع لقبوا أهل الحديث -وهم السلف- بلقب سيئ، حيث سموهم حشويةً، والحشو: معناه الشيء الزائد الذي لا خير فيه، فهم يقولون: هؤلاء حشويةً، يعني أنهم من أطراف الناس، وليسوا من رؤسائهم، ولا من أهل العلم منهم، وإنما هم فضلةٌ، فيقول -رحمه الله-: لننظر من هو أولى باللقب منا أو منكم؟ فيقول -رحمه الله-:

٢٣١٤- وَمِنَ العَجَائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنِ اقْتَدَى بِالوَحْيِ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ:

٢٣١٥- حَشْوِيَّةٌ، يَعْنُونَ حَشْوًا فِي الْوُجُو دِ وَفَضْلَةً فِي أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «حَشْوِيَّةٌ» يَعْنِي: هُم حَشْوِيَّةٌ.

إِذْنُ أَهْلِ الْحَدِيثِ عِنْدَهُمْ جُهَّالٌ، مِنْ أَطْرَافِ النَّاسِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَلَا يُرَدُّ
لِقَوْلِهِمْ، وَمَعَ هَذَا يَقُولُ:

٢٣١٦- وَيَظُنُّ جَاهِلُهُمْ بِأَنَّهُمْ حَشَوُا رَبَّ الْعِبَادِ بِدَاخِلِ الْأَكْوَانِ
يَظُنُّ بَعْضُ مَنْ يَسْمَعُ تَلْقِيْبَ هَؤُلَاءِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ بِأَنَّهُمْ حَشْوِيَّةٌ بِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ
أَنَّهُمْ حَشَوُا الْإِلَهَ فِي السَّمَاءِ بِدَاخِلِ الْأَكْوَانِ، يَعْنِي: جَعَلُوا السَّمَاءَ حَشْوًا لَهُ، أَي:
مَحِيْطَةً بِهِ.

٢٣١٧- إِذْ قَوْلُهُمْ: فَوْقَ الْعِبَادِ وَفِي السَّمَاءِ ۚ الرَّبُّ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
أَهْلُ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، فَظَنَّ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ
الَّذِي سَمَّوْا أَهْلَ السُّنَّةِ حَشْوِيَّةً أَنَّهُمْ سَمَّوْهُمُ حَشْوِيَّةً لِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَشَوَّ فِي
السَّمَاءِ، يَعْنِي أَنَّ السَّمَاءَ تُحِيْطُ بِهِ.

٢٣١٨- ظَنَّ الْحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ، وَالرَّحْمَنُ مُحْوِيٌّ بِظَرْفِ مَكَانٍ
قَوْلُهُ: «ظَنَّ الْحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ» وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ حَمِيرٌ، وَلَا غَرَابَةَ أَنْ
يُوصَفَ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ النَّصَّ بِأَنَّهُ حَمَارٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ
ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ [الجمعة: ٥] وَقَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-:
«مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يُخْطَبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١/٤٥٨، رَقْم ٥٣٠٥)، وَأَحْمَدُ (١/٢٣٠، رَقْم ٢٠٣٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ (١٢/٩٠، رَقْم ١٢٥٦٣)، وَشَطْرُهُ الْأَخِيرُ لَفْظُهُ: «وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ أَنْصَتَ لَا جُمُعَةَ لَهُ».

فلا غرابة أن يُسمِّي ابنُ القِيَمِّ -رحمه الله- هؤلاء حميرًا؛ لأنهم لم يفهموا قولَ الله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] لم يفهموه على حقيقته، بل حرّفوه، ثمّ أنكروا أن يكونَ اللهُ في السَّمَاءِ.

فصار هؤلاء الذين لَقَّبوا أهلَ الحديثِ بالحشويّة لهم طريقان:

الطريق الأول: أنّهم فضلةٌ من حشوِ الناس، وليسوا من اللبِّ، وليسوا من الأصل.

الطريق الثاني: أنّهم حشويّة؛ لأنهم حشوا الله في السماء، يعني: جعلوا السماءَ محيطَةً بالله عزّ وجلّ.

٢٣١٩- وَاللّٰهُ لَمْ يُسْمَعْ بِذَٰلِكَ مِنْ فِرْقَةٍ قَالَتْهُ فِي زَمَنٍ مِّنَ الْأَزْمَانِ
يعني: ما سمعنا أبدًا أنّ فرقةً من أهل الحديث قالوا بأنّ السماءَ تحيطُ بالله.

٢٣٢٠- لَا تَبْهَتُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِهِ فَمَا ذَا قَوْلُهُمْ تَبَّالِذِي الْبُهْتَانِ

هل أهل الحديث يقولون: إنّ الله في السماء أي: في جوف السماء؟ الجواب: أبدًا، بل يقولون: إنّ الله في السماء يعني: في العلوّ، أو إنّ الله في السماء يعني: على السماء، ولم يقل أحدٌ منهم: إنّ الله في السماء أي: مُحيط به كما تُحيط الحجرَةُ بمن فيها.

أنت لو قلت: إنّ فلانًا في الحجرَة عرفنا أنه حشوها، وأنه داخلها، وأنها محيطَةٌ به، لكن ليس هذا كما إذا قلت: (إنّ الله في السماء) فبينهما فرقٌ عظيمٌ.

و(في) يختلف معناها باختلاف متعلّقها، فأنت تقول مثلاً: (الماء في الكأس)، (الرجل في الحجرَة)، هذا واضح، أنّ الماء كان حشواً في الكأس، والرجل كان حشواً في الحجرَة.

أَمَا لَوْ قَلَّتْ: (الوجه في المرأة) فيختلف هذا عن هذا، (الكتابة في الورق) تختلف، (الروح في الجسد) تختلف، فتختلف معاني مدخول (في) باختلاف المتعلق، أي: ما تعلقت به.

٢٣٢١- بَلْ قَوْلُهُمْ: إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى فِي كَفِّ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
٢٣٢٢- حَقًّا كَحَرْدَلَةٍ تَرَى فِي كَفِّ مُمٍّ سِيكِيهَا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
قَوْلُهُ: «بَلْ قَوْلُهُمْ» أي: قول أهل الحديث.

السَّمَوَاتِ السَّبعِ وَالْأَرْضُونَ كُلُّهَا فِي كَفِّ اللَّهِ -سبحانه وتعالى- مثل
الْحَرْدَلَةِ فِي كَفِّ أَحَدِنَا، وهذا أيضًا على سبيل التقريب، وإلا فالأمر أعظم من
هذا.

الْحَرْدَلَةُ حَبَّةٌ صَغِيرَةٌ جَدًّا يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الصَّغَرِ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَنْتَنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ومع
ذلك هي فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ كَحَرْدَلَةٍ، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ أي: كُلُّهَا ﴿مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾
[الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ
خَلْقِ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] مثلما يطوي صاحبُ
السَّجَلِ الْكِتَابِ إِذَا أَنهَاهُ، وكان في الزَّمنِ الْمَاضِي لَيْسَ عِنْدَهُمْ ظُرُوفٌ، إِذَا انْتَهَوْا
مِنَ الْكِتَابِ طَوَّوهُ بِقَدْرِ مَا يُمْكِنُ مِنَ الطِّيِّ ثُمَّ أَغْلَقُوهُ.

فهل يُعْقَلُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّ السَّمَاءَ تُحِيطُ بِاللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ حَسُوهَا؟
الجواب: أبدأ، ولا قاله أحدٌ، لكن هؤلاء يبهتون أهل السُّنَّةِ.

٢٣٢٣- أَتَرَوْنَهُ الْمَحْضُورَ بَعْدُ أَمْ السَّامَا؟ يَا قَوْمَنَا ارْتَدِعُوا عَنِ الْعُدَاوَنِ

أيها المحضور؟ الجواب: السَّامَا، فالسَّامَاءُ يُحِيطُ اللَّهُ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَالْأَرْضُ كَذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

٢٣٢٤- كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ وَكَمْ حَشْوِيَّةٌ فَالْبُهْتُ لَا يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ

يعني: كم من مرة تقولون عن أهل الحديث: إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ، وتقولون: إِنَّهُمْ حَشْوِيَّةٌ، مُجَسِّمَةٌ، نَوَابِتٌ، غُثَاءٌ، وَهَلَمَّ جَرًّا مِنْ أَلْقَابِ السُّوءِ، وَكُلُّهَا لَا تَخْفَى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٣٢٥- يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْـ مُخْتَارِ حَشْوًا فَاشْهَدُوا بِبَيَانِ

٢٣٢٦- أَنَا بِحَمْدِ إِلَهِنَا حَشْوِيَّةٌ صِرْفٌ بِلَا جَحْدٍ وَلَا كِتْمَانِ

يقول: إِنْ كَانَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ حَشْوًا فَحَنِّ - بِحَمْدِ اللَّهِ - حَشْوِيَّةٌ، اشْهَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَنَّنَا حَشْوِيَّةٌ. قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -^(١):

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَبِي رَافِضِي

المهم أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: إِنْ كَانَ حَشْوًا الْقَوْلُ بِهَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّا بِحَمْدِ اللَّهِ حَشْوِيَّةٌ.

٢٣٢٧- تَدْرُونَ مَنْ سَمَّتْ سُيُوحُكُمُ بِهِ - ذَا الْإِسْمِ فِي الْمَاضِي مِنَ الْأَزْمَانِ

٢٣٢٨- سَمَّى بِهِ ابْنُ عُبَيْدٍ عَبْدَ اللَّهِ ذَا كَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ طَارِدُ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «ابْنُ عُبَيْدٍ» هُوَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ إِمَامُ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ.

(١) انظر: تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر (ص: ٣٦٣).

قَوْلُهُ: «سَمَّى بِهِ» أَي: سَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْخَلِيفَةِ، أَيُّ خَلِيفَةٍ؟ قَالَ: (طَارِدُ الشَّيْطَانِ) وَهُوَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْنِي أَنَّ عَمْرًا وَبْنَ عُبَيْدٍ سَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ حَشْوًا. فَإِذَا هَذَا اللَّقْبُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُعْطَلَةَ كَانَ قَدِيمًا مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ.

٢٣٢٩- فَوَرِثْتُمْ عَمْرًا كَمَا وَرِثُوا الْعَبَّ - بِإِذْنِ اللَّهِ أَنِّي يَسْتَوِي الْإِرْثَانِ؟
قَوْلُهُ: «فَوَرِثْتُمْ عَمْرًا» فَقُلْتُمْ: إِنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ حَشْوِيَّةٌ (كَمَا وَرِثُوا لِعَبْدِ اللَّهِ) وَرِثُوا لِعَبْدِ اللَّهِ فَالْتَزَمُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «أَنِّي يَسْتَوِي الْإِرْثَانِ؟» الْإِسْتِفْهَامُ هُنَا لِلنَّفْيِ وَالْإِنْكَارِ، لَا يَسْتَوِي الْإِرْثَانُ، فَلَا يَسْتَوِي مَنْ وَرِثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ وَرِثَ عَمْرًا وَبْنَ عُبَيْدٍ الْمُعْتَزَلِيِّ.

٢٣٣٠- تَدْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الْإِسْمِ وَهوَ - وَوَأَسْبَبُ أَحْوَالَهُ بِوِزَانٍ؟
قَوْلُهُ: «تَدْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الْإِسْمِ» يَقُولُ: الْأَوْلَى بِهِ هُوَ (مَنْ قَدْ حَشَا الْأُورَاقَ وَالْأَذْهَانَ مِنْ بَدْعٍ....)؛ وَلِذَا قَالَ:

٢٣٣١- مَنْ قَدْ حَشَا الْأُورَاقَ وَالْأَذْهَانَ مِنْ - بِدْعٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ الْقُرْآنِ
صَحِيحٌ، وَاللَّهُ هَذَا هُوَ الْحَشْوِيُّ، حَشْوِيُّ الْأُورَاقِ وَالْأَذْهَانَ مِنْ الْبَدْعِ وَالْكَلامِ الْفَارِغِ، تَقْرَأُ كَلَامًا طَوِيلًا وَلَا تَحْصُلُ عَلَى فَائِدَةٍ، هَؤُلَاءِ هُمُ الْحَشْوِيَّةُ حَقًّا؛ وَلِذَا قَالَ:

٢٣٣٢- هَذَا هُوَ الْحَشْوِيُّ لَا أَهْلَ الْحَدِيدِ - ثِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
٢٣٣٣- وَرَدُّوا عَذَابَ مَنْاهِلِ السُّنَنِ الَّتِي - لَيْسَتْ زُبَالَةَ هَذِهِ الْأَذْهَانَ

قَوْلُهُ: «وَرَدُّوا عِذَابَ مَنَاهِلِ السُّنَنِ» ونعم المورد، مناهل السنن، وليست زبالة هذه الأذهان، أمّا المعطّلة وأهل الكلام فقال عنهم:

٢٣٣٤- وَوَرَدَتْهُمُ الْقُلُوطُ مَجْرَى كُلِّ ذِي الْاُوسَاخِ وَالْاَقْدَارِ وَالْاَنْتَانِ

القلوط سبق الكلام عليه، وهو المجاري، مجاري في الشام معروفة تُسمّى القلوط، كُلُّ الأوساخ من الأبوال والعذرات كُلُّها تدبُّ فيه وتمشى.

فإذن أهل السنة وردوا المناهل العذبة: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أمّا هؤلاء فوردوا القلوط مجرى كُلِّ ذي الأوساخ والأقدار والانتان.

٢٣٣٥- وَكَسَلْتُمْ أَنْ تَصْعَدُوا لِلْوَرْدِ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ

قَوْلُهُ: «خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ» يعني: يا خيبة الكسلان.

وصدق -رحمه الله-، هذا هو الواقع، فإذا من أحق بالوصف؟ هم أحقُّ بلا شك، حشوا الأوراق والأذهان من الكلام الفارغ، أمّا نحن -والحمد لله- فلم نقل إلا بما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فصل

فِي بَيَانِ عُدْوَانِهِمْ فِي تَلْقِيبِ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ بِالْجَسْمَةِ،
وَبَيَانِ أَنَّهُمْ أَوْلَىٰ بِكُلِّ لَقَبٍ خَبِيثٍ

- ٢٣٣٦- كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ نَوَا
بِتَّةٌ مَسَبَّةٌ جَاهِلٍ فَتَّانٍ
- ٢٣٣٧- أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَهْلَ الْحَدِيثِ
ثِ وَنَاصِرِي الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ
- ٢٣٣٨- سَمَّيْتُمُوهُمْ أَنْتُمْ وَشِيُوخُكُمْ
بُهْتًا بِهَا مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطَانِ
- ٢٣٣٩- وَجَعَلْتُمُوهَا سُبَّةً لِنُفُورُوا
عَنْهُمْ كَفَعَلِ السَّاحِرِ الشَّيْطَانِ
- ٢٣٤٠- مَا ذَنَّبْتُمْ وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُمْ
أَخَذُوا بِوَحْيِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ
- ٢٣٤١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَحَيَّرُوا لِمَقَالَةٍ
غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ
- ٢٣٤٢- وَأَبَوْا يَدِينُوا بِالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ
مِنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ وَالْهَذْيَانِ
- ٢٣٤٣- وَصَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فِي النَّصِيحِينَ مِنْ
خَبَرٍ صَاحِحٍ ثُمَّ مِنْ قُرْآنِ
- ٢٣٤٤- إِنْ كَانَ ذَا التَّجْسِيمِ عِنْدَكُمْ فَيَا
أَهْلًا بِهِ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
- ٢٣٤٥- إِنَّا مُجَسَّمَةٌ بِحَمْدِ اللَّهِ لَمْ
نَجْحَدْ صِفَاتِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
- ٢٣٤٦- وَاللَّهُ مَا قَالَ امْرُؤٌ مِنَّا بِأَنْ
نَ اللَّهُ جِسْمٌ يَا أَوْلِي الْبُهْتَانِ
- ٢٣٤٧- وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي وَصْفِهِ
لَمْ نَعُدْ مَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ

- ٢٣٤٨- أَوْ قَالَهُ أَيُّضًا رَسُولُ اللَّهِ فَهوَ
- ٢٣٤٩- أَوْ قَالَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ
- ٢٣٥٠- سَمَّوْهُ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهَا فَلَسْنَا
- ٢٣٥١- بَلْ بَيَّنَّا فَرْقَ لَطِيفٍ بَلْ هُوَ الْ
- ٢٣٥٢- إِنَّ الْحَقِيقَةَ عِنْدَنَا مَقْصُودَةٌ
- ٢٣٥٣- لَكِنْ لَدَيْكُمْ فَهِيَ غَيْرُ مُرَادَةٍ
- ٢٣٥٤- فَكَلَامُهُ فِيمَا لَدَيْكُمْ لَا حَقِيقَ
- ٢٣٥٥- فِي ذِكْرِ آيَاتِ الْعُلُوِّ وَسَائِرِ الْ
- ٢٣٥٦- بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَيْسَ حَقِيقَةً
- ٢٣٥٧- وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ
- ٢٣٥٨- وَحَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ
- ٢٣٥٩- نَفْيُ الْحَقِيقَةِ، وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ إِنْ
- ٢٣٦٠- وَنَصِيبِنَا إِنْ بَاتُ ذَلِكَ جَمِيعِهِ
- ٢٣٦١- فَمَنْ الْمَعْطَلُ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُكُمْ؟!
- ٢٣٦٢- وَإِذَا سَبَبْتُمْ بِالْمُحَالِ فَسَبَبْنَا
- ٢٣٦٣- تُبْدِي فُضَائِحَكُمْ وَتَهْتِكُ سِرَّكُمْ
- وَالصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ بِالْبُرْهَانِ
- فَهُمُ النَّجُومُ مَطَالِعُ الْإِيمَانِ
- نَا جَاحِدِيهِ لِذَلِكَ الْهَدْيَانِ
- فَرَقُ الْعَظِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
- بِالنَّصِّ وَهِيَ مُرَادَةُ التَّبْيَانِ
- أَنِّي يُرَادُ مُحَقَّقُ الْبُطْلَانِ!؟
- سَقَّةٌ تَحْتَهُ تَبْدُو إِلَى الْأَذْهَانِ
- أَوْصَافٍ وَهِيَ الْقَلْبُ لِلْقُرْآنِ
- فِيمَا لَدَيْكُمْ يَا أَوْلِي الْعِرْفَانِ
- يُنْفَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْكَانِ
- فِيمَا زَعَمْتُمْ فَاسْتَوَى النَّفْيَانِ:
- دَلَّتْ عَلَيْهِ فَحَظُّكُمْ نَفْيَانِ
- لَفْظًا وَمَعْنَى ذَاكَ إِنْ بَاتَانِ
- لَقَبٌ بِلا كَذِبٍ وَلَا عُذْوَانِ
- بِأَدْلَةٍ وَحِجَاجِ ذِي بُرْهَانِ
- وَتُبِينُ جَهْلِكُمْ مَعَ الْعُدْوَانِ

- ٢٣٦٤- يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ السَّبَابِ بِذَاكُمْ
وَسِبَابِكُمْ بِالْكَذِبِ وَالطُّغْيَانِ
٢٣٦٥- مَنْ سَبَّ بِالْبُرْهَانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ
وَالظُّلْمُ سَبُّ الْعَبْدِ بِالْبُهْتَانِ
٢٣٦٦- فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ إِنَّ يَكُ عِنْدَكُمْ
وَصَفُ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
٢٣٦٧- بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا
آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلَانِ
٢٣٦٨- فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَاشْهَدُوا
فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانٍ
٢٣٦٩- أَنَا مُجَسِّمَةٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَلِـ
يَشْهَدُ بِذَلِكَ مَعَكُمْ الثَّقَلَانِ
٢٣٧٠- اللَّهُ أَكْبَرُ كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا أَلـ
حَرْبُ الْعَوَانُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ
٢٣٧١- وَتَقَابَلَ الصَّفَانِ وَانْقَسَمَ الْوَرَى
قِسْمَيْنِ وَأَنْصَحَتْ لَنَا الْقِسْمَانِ

الشرح

- ٢٣٦٦- كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نَوَا
بِتَّةٌ مَسَبَّةٌ جَاهِلٍ فَتَّانِ
قَوْلُهُ: «كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ» يعني: كم ذا يقولون لأهل السنة والجماعة:
إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَمُجَسِّمَةٌ.
قَوْلُهُ: «وَنَوَابِتُ» النَّوَابِتُ: قال العلماء: إنها هي الزرع الذي يَنْبُتُ فِي وَسْطِ
الزَّرْعِ الْمَقْصُودِ، وَهُوَ الزَّرْعُ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ، وَالَّذِي يَضُرُّ الزَّرْعَ الْمَقْصُودَ، وَليْسَ
فِيهِ فَائِدَةٌ.

قَوْلُهُ: «مَسَبَّةٌ جَاهِلٍ فَتَّانٍ» الْمَسَبَّةُ يَعْنِي: الْقَدْحُ وَالْعَيْبُ.

٢٣٣٧- أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَهْلَ الْحَدِيدِ - وَنَاصِرِي الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

حيث ذكر أنهم سموهم مُشَبَّهَةً، مُجَسَّمَةً، نوابت.

٢٣٣٨- سَمَّيْتُمُوهُمْ أَنْتُمْ وَشَيْوُخُكُمْ بِهَتَايَا مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطَانِ

يعني: أنكم سميتم أهل السنة بهذه الألقاب كذبًا وبهتانًا عليهم.

٢٣٣٩- وَجَعَلْتُمُوهَا سُبَّةً لْتَنْفَرُوا عَنْهُمْ كَفَعَلِ السَّاحِرِ الشَّيْطَانِ

أي: وصفتموهم بهذه الأوصاف المنفرة من أجل أن ينفّر الناس عنهم.

قوله: «كفعل الساحر» أي: الذي يسحر الناس فيصرفهم؛ لأنّ السحر

أنواع، منه الصّرف، ومنه العطف، الصّرف: أن يصرف الشخص عمّن يحبّه كما

قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]

والمحبّة من أشدّ العلاقات بين الزوجين كما قال تعالى: ﴿لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فهم يأتون بهذه الكلمات

لتنفّر الناس عن أهل السنة والجماعة ويُبغضوهم.

٢٣٤٠- مَا ذَنَبْتُمْ بِهِمْ وَاللَّهُ إِلَّا أَنْتُمْ أَخَذُوا بِوَحْيِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ

ما ذنبهم إلا أنتم أخذوا بوحى الله والقرآن، وهذا ذمٌّ أو مدحٌ؟ الجواب: هذا

مدحٌ، ومثل هذه الصيغة تُسمّى عند أهل البلاغة: تأكيد المدح بما يُشبهه الذمُّ؛ كقوله

تعالى: ﴿وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] وكقول الشاعر^(١):

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ
بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ

(١) البيت للنابغة، كما في الكامل للمبرد (٤٦/١).

وهذا مدحٌ للشجاعة والإقدام.

وقول ابن القيم هذا كفعل من سبقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا نَفَعُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

٢٣٤١- وَأَبَوًا بِأَنْ يَتَحَيَّزُوا لِمَقَالَةٍ غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أبوا» أي: أهل السنة، فأبوا أن يتحيزوا لكل مقالة إلا ما جاء به الحديث ومقتضى القرآن.

٢٣٤٢- وَأَبَوًا يَدِينُوا بِالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَرَءِ وَالْهَذْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَبُوا يَدِينُوا» يدينوا: منصوبة بـ(أن) محذوفة من أجل الروي، والأصل: وَأَبُوا أَنْ يَدِينُوا بِالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَرَءِ وَالْهَذْيَانِ.

٢٣٤٣- وَصَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فِي النَّصِّينِ مِنْ خَيْرِ صَاحِحٍ ثُمَّ مِنْ قُرْآنِ

يعني أن أهل الحديث وصفوا الله عز وجل بالأوصاف الواردة في النصين من الأخبار الصحيحة والقرآن الكريم.

٢٣٤٤- إِنْ كَانَ ذَا التَّجْسِيمِ عِنْدَكُمْ فَيَا أَهْلًا بِهِ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

قَوْلُهُ: «إِنْ كَانَ ذَا» الإشارة تعود إلى وصف الله تعالى بما جاء في القرآن والسنة. إن كان هذا هو التجسيم فيا أهلاً به ما فيه من نكران، بل إن الواجب قبوله وعدم إنكاره.

٢٣٤٥- إِنَّا مُجَسِّمَةٌ بِحَمْدِ اللَّهِ لَمْ نَجْحَدْ صِفَاتِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

يقول: إِنَّا مُجَسِّمَةٌ عَلَى حَدِّ قَوْلِ هَؤُلَاءِ، فَإِذَا كَانُوا يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ

صفة فهو مجسّم، فنقول: نحن مجسّمَةٌ.

٢٣٤٦- وَاللّٰهُ مَا قَالَ امْرُؤٌ مِّنَّا بِأَنَّ نَ اللّٰهَ جِسْمٌ يَا اَوْلِي الْبُهْتَانِ

كيف يقول: إِنَّا مُجَسِّمَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ: وَاللّٰهُ مَا قَالَ امْرُؤٌ مِّنَّا بِأَنَّ اللّٰهَ جِسْمٌ؟ يقول: قال بَأَنَّا مُجَسِّمَةٌ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِمْ، حَيْثُ قَالُوا: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلّٰهِ صِفَةً فَهُوَ مُجَسِّمٌ، فَنَحْنُ نُثْبِتُ لِلّٰهِ كُلَّ صِفَةٍ وَصَفَ اللّٰهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَنَحْنُ -عَلَى قَاعِدَتِهِمْ- مُجَسِّمَةٌ، أَمَا أَتَنَّا قَلْنَا بِأَنَّ اللّٰهَ جِسْمٌ فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ قَالَ: إِنَّ اللّٰهَ جِسْمٌ أَبَدًا، وَلَا قَالَ: إِنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِجِسْمٍ أَيْضًا، بَلْ هُمْ يَتَوَقَّفُونَ فِي هَذَا اللَّفْظِ.

فلو قال لهم قائل: أتقولون: إنَّ اللهَ جسمٌ؟ قالوا: لا نقول، أتقولون: إنَّ اللهَ ليس بجسمٍ؟ قالوا: لا نقول؛ لأنَّ اللهَ ما قال عن نفسه: إنه جسمٌ، ولا قال عن نفسه: إنه ليس بجسمٍ، لكننا نقول إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- بائنٌ من خلقه، موصوفٌ بصفاته.

٢٣٤٧- وَاللّٰهُ يَعْلَمُ أَنَّنَا فِي وَضْفِهِ لَمْ نَعُدْ مَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ

٢٣٤٨- أَوْ قَالَهُ أَيْضًا رَسُولُ اللّٰهِ فَهَـ وَ الصّٰدِقُ المّصْدُوقُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: لم نتجاوز ما قاله الله في القرآن، أو قاله الرسول -عليه الصلاة والسلام-، (فهو الصادق) فيما أخبر به، (المصدوق) فيما أخبر به، أمّا الكُهان فكاذبون مكذوبون، كاذبون فيما أخبروا به، مكذوبون فيما أخبروا به، إن أخبرتهم الشياطينُ بالكذب، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- صادقٌ مصدوقٌ.

٢٣٤٩- أَوْ قَالَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَهُمُ النَّجُومُ مَطَالِعُ الْإِيمَانِ

إِذْ نَ عُمَدُنَا فِيهَا نُثْبِتُهُ لِلّٰهِ: كَلَامُ اللّٰهِ، وَكَلَامُ رَسُوْلِهِ، وَكَلَامُ الصّٰحِبَةِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ.

٢٣٥٠ - سَمَّوْهُ تَجْسِيماً وَتَشْبِيهاً فَلَسْنَا جَاحِدِيهِ لِذَلِكَ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «سَمَّوهُ»: يخاطبُ هؤلاء المعتدين.

الحمدُ لله، هذا من تثبيت الله لنا، أن هؤلاء الذين يرموننا بهذه الألقاب السيئة يريدون منا أن نتحول عن رأينا، ولكننا لن نتحول، ولن نخضع لهذا الهديان.

٢٣٥١ - بَلْ بَيْنَنَا فَرْقٌ لَطِيفٌ بَلْ هُوَ الْفَرْقُ الْعَظِيمُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

يعني: بيننا وبينكم (فرقٌ لطيف) لكنه عظيمٌ، ما هو؟ قال:

٢٣٥٢ - إِنَّ الْحَقِيقَةَ عِنْدَنَا مَقْصُودَةٌ بِالنَّصِّ وَهِيَ مُرَادَةُ التَّبَيَّانِ

نحن نقول: إِنَّ الْحَقِيقَةَ مَقْصُودَةٌ بِالنَّصِّ، ومرادةُ النَّصِّ أيضًا، أمَّا أنتم

فقال:

٢٣٥٣ - لَكِنْ لَدَيْكُمْ فَهِيَ غَيْرُ مُرَادَةٍ أَنَّى يُرَادُ مُحَقِّقُ الْبُطْلَانِ؟!

هذا الفرقُ لطيفٌ، لكنه عظيمٌ جدًّا، فمثلًا قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾

[الفجر: ٢٢] عندنا مرادٌ بها حقيقتها، وهي مجيئه حقًّا، وعندكم هذا غيرُ مرادٍ، ولا يمكنُ أن يُرادَ؛ لأنه عندكم محققُ البطلان، وما كان محققَ البطلان فإنه لا يمكنُ أن يُرادَ بكلام الله وكلام الرسول، فهذا هو الفرقُ بيننا وبينكم أننا نُجري النصوصَ على حقيقتها وأنتم لا تُجرونها.

٢٣٥٤ - فَكَلَامُهُ فِيمَا لَدَيْكُمْ لَا حَقِيْقَةَ تَحْتَهُ تَبْدُو إِلَى الْأَذْهَانِ

كلامُ الله عندكم ليس فيه حقيقةٌ تبدو لأحدٍ.

٢٣٥٥- فِي ذِكْرِ آيَاتِ الْعُلُوِّ وَسَائِرِ الْ- أَوْصَافِ وَهِيَ الْقَلْبُ لِلْقُرْآنِ

نسأل الله العافية، يعني: هؤلاء عمدوا إلى قلب القرآن النابض كما يقولون، وهو ما تحدّث الله به عن نفسه من العلوّ وغيره من الصفات، وقالوا: إنّ هذه لا يُرادُ بها حقيقتها، وليست حقيقةً، فكُلُّها مجازٌ؛ ولهذا سَمَّى ابنُ القيم -رحمه الله- المجازَ بالطاغوت؛ لأنّهم طَعَنُوا به، وتجاوزوا به الحدَّ، وسلّطوه على آيات الصفات وأحاديثها، وقالوا: إنّهُ لا يُرادُ بها حقيقتها لا في العلوّ ولا في غيره.

٢٣٥٦- بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَيْسَ حَقِيقَةً فِيمَا لَدَيْكُمْ يَا أُولِي الْعُرْفَانِ قَوْلُهُ: «قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ» يعني القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ حَقِيقَةً»؛ لأنَّ الجهميّة يقولون: إنّ القرآن مخلوقٌ بائنٌ من الله، والأشاعرة يقولون: إنّ القرآن مخلوقٌ، وكلامُ الله هو المعنى القائم بنفسه.

فالجميعُ اتَّفَقوا على أنّ ما بين دفتي القرآن مخلوقٌ، لكنَّ الجهميّة قالوا: هو كلامُ الله، والأشاعرة قالوا: هو عبارةٌ عن كلامِ الله.

٢٣٥٧- وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ يُنْفَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْكَانِ إِذَا جَعَلْتُمْ هَذَا مَجَازًا فَإِنَّ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَجَازِ صِحَّةَ نَفْيِهِ، فَالْمَجَازُ لَهُ عِلَامَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَمِنْ أَبْرَزِهَا شَيْئَانِ:

الأوّل: تبادرٌ غيره لولا القرينة، وهذه هي الحُجَّةُ التي يحتجُّ بها شيخُ الإسلام ويقول: لا مجازَ في اللغة؛ لأنه بالاتفاق أنّ المجازَ لا بدُّ له من قرينة، هذه القرينةُ تجعلُ الكلمةَ في هذا الموضع حقيقةً في مدلولها.

الثاني: صحّة نفيه.

فإذا قلتَ: (رأيتُ أسدًا) ما الذي يتبادرُ إلى ذهنك؟ الجواب: الأسدُ الحقيقيُّ المفترسُ، فإذا قلتَ: (رأيتُ أسدًا يحملُ كتابه)، أو (يقرأُ كتابه) فالمرادُ بالأسد هنا الرجلُ الشجاعُ، وهذا بالقرينة.

هل يصحُّ أن أقولَ: (هذا ليس بأسد؟) نعم، يصحُّ أن نفيه، فالمجاز يصحُّ نفيه؛ ولهذا -عندهم وعلى القاعدة المتفق عليها- يصحُّ أن يقولَ القائلُ: (ما جاء ربُّك)؛ لأنَّ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] عندهم مجازٌ عن مجيء أمره، وبناءً عليه يصحُّ أن أقولَ: (ما جاء ربُّك).

و﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] عندهم مجازٌ عن الاستيلاء، فيصحُّ -على زعمهم- أن يُنْفَى، فيقال: (إنَّ اللهَ لم يَسْتَوِ على العرش).

وهذا هو الذي جعل بعض العلماء يقولُ: إنَّ المجازَ موجودٌ في اللغة، ممنوعٌ في القرآن، قال: لأنَّ القرآنَ لا يمكنُ أن يصحَّ نفيُّ شيءٍ منه أبدًا بخلاف اللغة، فكلامُ امرئ القيس وغيره من أئمة اللغة يصحُّ أن نفيه، لكن كلامُ الله لا يصحُّ.

على كُلِّ حالٍ يقولُ ابنُ القيم -رحمه الله-: «وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ يُنْفَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْكَانِ» يعني: صحَّ أن نقولَ: (لم يستوِ على العرش)، ليس له يدٌ، لا يجيءُ، لا يأتي، لا يعجبُ، وما أشبه ذلك.

٢٣٥٨- وَحَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ فِيمَا زَعَمْتُمْ فَاسْتَوَى النَّفْيَانِ:

قَوْلُهُ: «وَحَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ»؛ لأنهم يدعون أنَّ العقلَ ينفي حقائق اللفظ، كيف ذلك؟ هم يعتمدون في إثبات الصفات ونفيها على العقل، فيقولون: انتفت حقيقة (المجيء) بدلالة العقل، انتفت حقيقة (الاستواء) بدلالة العقل، انتفت حقيقة (اليد) بدلالة العقل.

قَوْلُهُ: «بِالْعَقْلِ انْتَفَتَ»، (بالعقل): جازّ ومجروور متعلّق بـ(انتفت)، يعني: انتفت بالعقل عندكم فيما زعمتم.

قَوْلُهُ: «فَاسْتَوَى النَّفْيَانِ» ما النفيان؟ الجواب: نفي الحقيقة باعتبار الصفة، ونفي أن يكون القرآن كلام الله عزّ وجلّ.

٢٣٥٩- نَفْيُ الْحَقِيقَةِ، وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ إِنِّ دَلَّتْ عَلَيْهِ فَحَظُّكُمْ نَفْيَانِ

قَوْلُهُ: «نَفْيُ الْحَقِيقَةِ» يعني أنّهم يقولون: كلّ ما ورد من آيات الصفات مجاز لا حقيقة له.

قَوْلُهُ: «وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ» حيث قالوا: إنّ القرآن ليس كلام الله.

فصار عندهم نفيان: النفي الأول: أنّ القرآن ليس كلام الله، والنفي الثاني: أنّ ما فيه من الصفات ليس حقيقة.

٢٣٦٠- وَنَصِيبِنَا إِثْبَاتُ ذَلِكَ جَمِيعِهِ لَفْظًا وَمَعْنَى ذَلِكَ إِثْبَاتَانِ

نصيبنا نحن -والحمد لله- نُثِبْتُ اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى، ونقول: كلّهُ كلامُ الله.

٢٣٦١- فَمَنْ الْمَعْطَلُ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُكُمْ؟! لَقَبُ بِلاَ كَذِبٍ وَلَا عُدْوَانِ

وصدق -رحمه الله- فهم المعطلّة، لا نقول ذلك كذبًا ولا اعتداءً عليهم، وإنّا نقول ذلك بدلالة حالهم التي تشهد لهم بذلك.

٢٣٦٢- وَإِذَا سَبَيْتُمْ بِالْمَحَالِ فَسَبْنَا بِأَدِلَّةٍ وَحِجَاكِ ذِي بُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «إِذَا سَبَيْتُمْ بِالْمَحَالِ فَسَبْنَا بِأَدِلَّةٍ» يعني: إذا سببتمونا بأن هذا محالٌ وأنّ إثباته تجسيمٌ فنحن نسبكم بأدلة؛ لأنكم لم تثبتوا ما أثبت الله لنفسه، وفرق بين الإثباتين.

٢٣٦٣- تُبْدِي فَضَائِحَكُمْ وَتَهْتِكُ سِرِّكُمْ وَتُبِينُ جَهْلَكُمْ مَعَ الْعُدْوَانِ

٢٣٦٤- يَا بَعْدَ مَا بَيْنَ السَّبَابِ بِذَاكُمْ وَسَبَابِكُمْ بِالْكَذِبِ وَالطُّغْيَانِ

٢٣٦٥- مَنْ سَبَّ بِالْبُرْهَانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ وَالظُّلْمُ سَبُّ الْعَبْدِ بِالْبُهْتَانِ

هذا البيت الأخير ينبغي أن يكون قاعدةً، وهو مَنْ سَبَّ بِالْبُرْهَانِ فَلَيْسَ بِظَالِمٍ؛ لِأَنَّ لَدَيْهِ بُرْهَانًا، وَلَكِنَّ الظُّلْمَ سَبُّ الْعَبْدِ بِالْبُهْتَانِ.

وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فَمَنْ سَبَّ غَيْرَهُ بِدَلِيلٍ فَلَيْسَ بِظَالِمٍ، وَمَنْ سَبَّ غَيْرَهُ بِبَلَا دَلِيلٍ فَهُوَ ظَالِمٌ.

٢٣٦٦- فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ إِنْ يَكُ عِنْدَكُمْ وَصَفُ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

٢٣٦٧- بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلَانِ

قَوْلُهُ: «حَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ» إِنْ كَانَ هُنَاكَ حَقِيقَةٌ فِيهِ وَصَفُ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ، لَكِنْ بِمَاذَا؟ قَالَ: (بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلَانِ).

فَالتَّجْسِيمُ إِذَنْ عِنْدَ هَؤُلَاءِ هُوَ وَصَفُ الْإِلَهِ بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ وَيُقُولُونَ: مُجَسِّمَةٌ، وَجَسَّمُوا اللَّهَ، وَجَعَلُوهُ جَسْمًا مِنْ أَجْلِ التَّنْفِيرِ.

٢٣٦٨- فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَأَشْهَدُوا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانٍ

٢٣٦٩- أَنَا مُجَسِّمَةٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَلَوْ يَشْهَدُ بِذَلِكَ مَعَكُمْ الثَّقَلَانِ

قَوْلُهُ: «أَنَا مُجَسِّمَةٌ» وَذَلِكَ بِنَاءٍ عَلَى كَلَامِهِمْ، أَمَّا نَحْنُ فَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ اللَّهَ جَسْمٌ أَبَدًا، لَكِنْ عَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ تَجْسِيمٌ، فَنَحْنُ نُبَيِّنُ الصِّفَاتِ وَلَيْكُنْ ذَلِكَ تَجْسِيمًا.

٢٣٧٠- اللهُ أَكْبَرُ كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا أَلِ حَرْبُ الْعَوَانُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ

قَوْلُهُ: «كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا» يعني: أبانته، وفسرت عنه حتى بان.

قَوْلُهُ: «الْحَرْبُ الْعَوَانُ» أي: الشديدة المستمرة بيننا وبينكم.

٢٣٧١- وَتَقَابَلَ الصَّفَانِ وَأَنْقَسَمَ الْوَرَى قِسْمَيْنِ وَأَتَّصَحَتْ لَنَا الْقِسْمَانِ

إِذْنٌ فَالانقسامُ واضحٌ، إثباتٌ ونفيٌ، ولا شيء أَوْضَحُ من الفرق بين الإثبات والنفي، وأيضاً فرقٌ بَيِّنٌ بين رميٍ بِسَبِّ بَرهَانٍ، ورميٍ بِسَبِّ بَعْدَوَانٍ، فهم رَمُونَا بِالسَّبِّ بِالْعَدَوَانِ، ونحن رَمِينَاهُمْ بِالسَّبِّ بِالْبَرهَانِ، وفرق بين هذا وهذا.

فصل

فِي بَيَانِ مَوْرِدِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَأَنَّهْمُ تَعَوَّضُوا بِالْقُلُوطِ عَنِ مَوْرِدِ السَّسْبِيلِ

- ٢٣٧٢- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ وَيَحْكُ لَوْ تَرَى
مَاذَا عَلَى شَفَتَيْكَ وَالْأَسْنَانِ؟
- ٢٣٧٣- أَوْ مَا تَرَى آثَارَهَا فِي الْقَلْبِ وَالنَّوْءِ
نِيَّاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَرْكَانِ؟
- ٢٣٧٤- لَوْ طَابَ مِنْكَ الْوِرْدُ طَابَتْ كُلُّهَا
أَنَّى تَطِيبُ مَوَارِدُ الْإِتِّتَانِ؟
- ٢٣٧٥- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ طَهَّرْ فَاكَ مِنْ
خَبَثٍ بِهِ وَاغْسِلْهُ مِنْ أُنْتَانِ
- ٢٣٧٦- ثُمَّ اشْتُمِ الْحَشَوِيَّ حَشْوِ الدِّينِ وَالْأَنْبِيَاءِ
قُرْآنِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْإِيمَانِ
- ٢٣٧٧- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوِ الْهُدَى وَسِوَاهُمْ
حَشْوِ الضَّلَالِ فَمَا هُمَا سَيِّئَانِ
- ٢٣٧٨- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوِ الْيَقِينِ وَغَيْرِهِمْ
حَشْوِ الشُّكُوكِ فَمَا هُمَا صِنُونَانِ
- ٢٣٧٩- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوِ الْمَسَاجِدِ وَالسُّوَى
حَشْوِ الْكَنِيفِ فَمَا هُمَا عِدْلَانِ
- ٢٣٨٠- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوِ الْجَنَانِ وَغَيْرِهِمْ
حَشْوِ الْجَحِيمِ أَيَسْتَوِي الْحَشْوَانِ؟!
- ٢٣٨١- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ وَيَحْكُ لَوْ تَرَى الْوَيْلَ
حَشَوِيَّ وَارِدَ مَنْهَلِ الْفُرْقَانِ
- ٢٣٨٢- وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِبًا
مَنْ كَفَّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٢٣٨٣- وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ
وَخَتَامَهَا مِسْكٌ عَلَى رِيحَانِ
- ٢٣٨٤- لَعَدَزْتَهُ إِنْ بَالَ فِي الْقُلُوطِ لَمْ
يَشْرَبْ بِهِ مَعَ جُمَّلَةِ الْعُمَيَّانِ

- ٢٣٨٥- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ لَا تَكْسَلْ فَرَأُ سُسُ الْمَاءِ فَأَقْصِدْهُ قَرِيبٌ دَانٍ
 ٢٣٨٦- هُوَ مَنْهَلٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ وَاسِعٌ كَافٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الثَّقْلَانِ
 ٢٣٨٧- وَاللَّهِ لَيْسَ بِأَصْعَبِ الْوِرْدَيْنِ بَلْ هُوَ أَسْهَلُ الْوِرْدَيْنِ لِلظَّمْآنِ

الشرح

في هذا الفصل بين - رحمه الله - مورد أهل التعطيل، وأنهم تعوضوا بالقلوط عن السلسيل، والقلوط سبق أنه مجاري المياه والأنتان، والأبوال والعذرة، وهو يجري في دمشق كالنهر.

٢٣٧٢- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ وَيْحَكَ لَوْ تَرَى مَاذَا عَلَى شَفْتَيْكَ وَالْأَسْنَانِ؟

قوله: «مَاذَا عَلَى شَفْتَيْكَ وَالْأَسْنَانِ؟» لو رآه لراى أنتاناً وأوساخاً؛ لأنه من العادة أن الأنتان والأوساخ تطفو على سطح الماء، فإذا شرب منه لصقت بشفاهه.

٢٣٧٣- أَوْ مَا تَرَى آثَارَهَا فِي الْقَلْبِ وَالنِّبَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَرْكَانِ؟

وهذا صحيح، فأثار البدع تظهر على القلب، وعلى النبات، يعني: الإيرادات، وعلى الأعمال، والأركان يعني: الجوارح، فالبدعة لها آثار سيئة عظيمة على القلب، واللسان، والجوارح، والأعمال، وآثار سيئة على المجتمع كله؛ لأنه ينقل من أتباع الرسول ﷺ إلى الابتداع في دين الله.

٢٣٧٤- لَوْ طَابَ مِنْكَ الْوِرْدُ طَابَتْ كُلُّهَا أَنَّى تَطِيبُ مَوَارِدُ الْأَنْتَانِ؟

٢٣٧٥- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ طَهَّرْ فَآكَ مِنْ حَبَثٍ بِهِ وَاعْسِلْهُ مِنْ أَنْتَانِ

قوله: «لَوْ طَابَ مِنْكَ الْوِرْدُ طَابَتْ كُلُّهَا» يعني: الآثار التي هي على القلب

والنيات والأعمال والأركان لو طاب منك الوردُ طابت كُلُّها.

قَوْلُهُ: «أَنِّي تَطِيبُ مَوَارِدُ الْأَنْتَانِ؟» الاستفهام هنا للنفي، يعني: لا يمكنُ أن تطيبَ مواردُ الأنتان.

٢٣٧٦- ثُمَّ اشْتُمِ الْحَشَوِيَّ حَشْوَ الدِّينِ وَالْأَنْتَانَ وَالْإِيمَانَ
قَوْلُهُ: «ثُمَّ اشْتُمِ الْحَشَوِيَّ... إلخ»؛ لأنَّ هذا هو دأبه - والعياذ بالله - أن يشتمَ أهلَ العلمِ والإيمان.

٢٣٧٧- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الْهُدَى وَسِوَاهُمْ حَشْوُ الضَّلَالِ فَمَا هُمَا سَيِّئَانِ
قَوْلُهُ: «أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الْهُدَى» ويجوز (حشو) بالضم، فعلى قراءة الضم يكون (حشو) خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هم حشؤ، وعلى الفتح يكون حالًا من الضمير في قوله: «أَهْلًا بِهِمْ» يعني: حال كونهم حشؤ الهدى.

٢٣٧٨- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الْيَقِينِ وَغَيْرِهِمْ حَشْوُ الشُّكُوكِ فَمَا هُمَا صِنَوَانِ
فرق بين مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ باليقين في قلبه والثبات وَمَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بالشكِّ والحيرة؛ ولهذا قال العلماء: أكثرُ الناس شكًّا وحيرةً عند الموت أهلُ الكلام، والعياذ بالله! ذكر ذلك شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في (الفتوى الحموية).

وهذا صحيحٌ؛ ولهذا مَنْ وُفِّقَ مِنْهُمْ أَقَرَّ عند موته بأنه على دين العجائز اللائي لا يعرفن شيئاً؛ لأنَّ دينَ العجائز دينُ فِطْرَةٍ، لم يعرفن ما قاله هؤلاء المتكلمون من الأخذ والجدل، لكن هؤلاء المتكلمون أخذوا يقولون، ولكنهم لم يستفيدوا من القول إلا أن جمعوا قيل وقالوا، وآل أمرهم إلى الحيرة والشكِّ، والعياذ بالله.

٢٣٧٩- أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الْمَسَاجِدِ وَالسَّوَى حَشَوُ الْكَنِيفِ فَمَا هُمَا عِدْلَانِ

الذين يملئون المساجد والذين يملئون الكنف، واضح أن بينهما فرقا.

٢٣٨٠- أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الْحِنَانَ وَغَيْرُهُمْ حَشَوُ الْجَحِيمِ أَيَسْتَوِي الْحَشْوَانِ؟!

قوله: «أَيَسْتَوِي الْحَشْوَانِ؟!» لا والله، لا يستويان، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَبُ النَّارِ وَأَصْحَبُ الْجَنَّةِ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ هُمْ أَفْضَلُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

٢٣٨١- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ وَيُحْكَ لَوْ تَرَى الْ- حَشْوِيَّ وَارِدَ مَنْهَلِ الْفُرْقَانِ

٢٣٨٢- وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِبًا مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

قوله: «شَارِبًا مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ» يعني: من كف النبي -صلى الله عليه وسلم-.

٢٣٨٣- وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رِيحَانِ

قوله: «وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ» يعني: يفيض علمه على الناس.

قوله: «وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رِيحَانِ» ونعم الختام.

٢٣٨٤- لَعَدْرَتُهُ إِنْ بَالَ فِي الْقُلُوطِ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ مَعَ جُمْلَةِ الْعُمَيَّانِ

قوله: «لَعَدْرَتُهُ» هذا جواب (لو) في قوله: (لو ترى الحشويَّ واردَ منهل القرآن)، الجواب: (لعدرته إن بال في القلوط).

ففرق بين الحشوي الذي يشرب من هذا المورد العذب من يد النبي ﷺ، ويأتي إلى القلوط فيبول فيه، وبين الإنسان الذي يشرب من القلوط، فبينهما فرق عظيم.

٢٣٨٥- يَا وَارِدَ الْقُلُوبِ لَا تَكْسَلْ فَرَأُ سُسُ الْمَاءِ فَأَقْصِدْهُ قَرِيبُ دَانَ
يعني أن رأس الماء قريب دان، وهو الكتاب والسنة، فهو أقرب من كتب
هؤلاء المتبوعين.

٢٣٨٦- هُوَ مَنَهْلٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ وَاسِعٌ كَافٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الثَّقَلَانِ

٢٣٨٧- وَاللَّهُ لَيْسَ بِأَصْعَبِ الْوَرْدَيْنِ بَلْ هُوَ أَسْهَلُ الْوَرْدَيْنِ لِلظُّمَّانِ

وهذا واضح، فإذا جئت للقرآن وقرآته وجدته سهلاً قريباً المأخذ، وإذا
رجعت إلى كتب هؤلاء المتكلمين وجدتها من أصعب ما يكون.

وكذلك أيضاً إذا قرأت القرآن انتفعت به، وازددت يقيناً، وإذا قرأت كلام
المتكلمين ازددت شكاً وحيرة، نسأل الله العافية.

فصل

فِي بَيَانِ هَدْمِهِمْ لِقَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِعَزْلِهِمْ نُصُوصَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ

- ٢٣٨٨- يَا قَوْمُ بِاللَّهِ انظُرُوا وَتَفَكَّرُوا
 ٢٣٨٩- مِثْلَ التَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ لِلَّذِي
 ٢٣٩٠- فَأَقْلُ شَيْءٍ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ
 ٢٣٩١- وَاللَّهُ مَا اسْتَوَى لَدَى زُعَمَائِكُمْ
 ٢٣٩٢- عَزَلُوهُمَا بَلْ صَرَّحُوا بِالْعَزْلِ عَنِ
 ٢٣٩٣- قَالُوا: وَتِلْكَ أَدَلَّةٌ لَفِظِيَّةٌ
 ٢٣٩٤- مَا أَنْزَلْتَ لِيُنَالَ مِنْهَا الْعِلْمُ بِالْ
 ٢٣٩٥- بَلْ بِالْعُقُولِ يُنَالُ ذَاكَ وَهَذِهِ
 ٢٣٩٦- فَبِجُهْدِنَا تَأْوِيلُهَا وَالِدَفْعِ فِي
 ٢٣٩٧- كَكَبِيرِ قَوْمٍ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِي
 ٢٣٩٨- فَيَقُولُ: قَدْرُكَ فَوْقَ ذَا وَشَهَادَةٌ
 ٢٣٩٩- وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا
 ٢٤٠٠- فَلَقَدْ أَتَانَا عَنْ كَبِيرٍ فِيهِمْ
- فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 قَدْ قَالَهُ ذُو الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
 حَدًّا سِوَاءَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
 فِي الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
 نَيْلِ الْيَقِينِ وَرُتْبَةِ الْبُرْهَانِ
 لَسْنَا نَحْكُمُهَا عَلَى الْإِيْقَانِ
 إِبْتِاتٍ لِلْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ
 عَنْهُ بِمَعَزِلِ غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ
 أَكْتَفَاهَا دَفْعًا لِذِي الصَّوْلَانِ
 حُكْمٍ يُرِيدُ دِفَاعَهُ بِلَيَانِ
 لِسِوَاكَ تَصْلُحُ فَادْهَبَنَّ بِأَمَانِ
 لَكِنْ مَخَافَةَ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
 وَهُوَ الْحَقِيرُ مَقَالَةَ الْكُفْرَانِ

- ٢٤٠١ - لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي وَلَيْسَ بِمُمَكِّنٍ لَحَكَّكَتُ مِنْ ذَا الْمُصْحَفِ الْعُمَّانِي
 ٢٤٠٢ - ذِكْرُ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ لَ
 ٢٤٠٣ - وَاللَّهِ لَوْ لَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ وَالْ-
 ٢٤٠٤ - لَأَتَوْا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَلَدَكَّدُوا الْ-
 إِسْلَامَ فَوْقَ قَوَاعِدِ الْأَرْكَانِ

الشرح

في هذه الأبيات يقول المؤلف - رحمه الله - مُناديًا لهؤلاء القوم الذين قَدَّموا نصوصَ أئمتهم وشيوخهم على الكتابِ والسُّنة، يقول:

٢٣٨٨ - يَا قَوْمُ بِاللَّهِ انظُرُوا وَتَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٣٨٩ - مِثْلَ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ لِلَّذِي قَدَّ قَالَهُ ذُو الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ

يعني: أقل ما نطلبُ منكم العدلُ بأن تنظروا في نصوص الكتاب والسُّنة كما تنظرون في مقالات شيوخكم.

والمؤلف - رحمه الله - في عدة مواضع يذكرُ السُّنة قبل القرآن من أجل مناسبة الرويِّ (القافية)، كما أن الله - سبحانه وتعالى - قدَّم ذكرَ هارون على موسى من أجل تناسب رءوس الآيات في سورة طه، حيث قال السَّحَرَةُ: ﴿إِنَّمَا رَبِّي هَارُونُ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠] فقدَّم هارونَ من أجل أن تتناسب رءوس الآيات.

٢٣٩٠ - فَأَقْلُ شَيْءٍ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ حَدًّا سِوَاءَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «فَأَقْلُ شَيْءٍ» يعني: أقل شيءٍ نطالبكم به أن يكون عندكم حدًّا سواء يا أولي العدوان، وما هو أعلى شيء؟

الجواب: تقديم الكتابِ والسُّنَّةِ أعلى شيء، أقل شيء أن يكونَ الكتابُ والسُّنَّةُ عندكم مثل كلامِ شيوخكم.

٢٣٩١- وَاللَّهِ مَا اسْتَوَىٰ لَدَىٰ زُعَمَائِكُمْ فِي الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ قَوْلُهُ: «مَا اسْتَوَىٰ» يعني: نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ وكلامُ الشيوخ.

قَوْلُهُ: «مَا اسْتَوَىٰ لَدَىٰ زُعَمَائِكُمْ فِي الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ» لأنَّ نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ عندهم لا تفيدهُ العلمَ ولا العرفانَ والتَّحْقِيقَ؛ لأنهم يقولون: إن كان النَّصُّ من كتابِ الله فالدلالةُ لفظيَّةٌ، ودلالةُ اللفظِ ظنيَّةٌ وليست قطعِيَّةً، وإن كانت من السُّنَّةِ فإن كانت أخباراً آحاداً فأخبارُ الآحاد لا تفيدهُ اليقينَ والقطع، بل تفيدهُ الظنَّ، وإن كانت متواترةً فهي لفظيَّةٌ، والدلالةُ اللفظيَّةُ لا تفيدهُ اليقينَ.

وأما الذي يفيدُ اليقينَ فكلامُ شيوخهم؛ ولهذا قال:

٢٣٩٢- عَزَلُوهُمَا بَلْ صَرَّحُوا بِالْعَزْلِ عَنِ نَيْلِ الْيَقِينِ وَرُتَبَةِ الْبُرْهَانِ قَوْلُهُ: «عَزَلُوهُمَا» الضميرُ يعودُ على الكتابِ والسُّنَّةِ.

٢٣٩٣- قَالُوا: وَتِلْكَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَسْنَا نُحْكِمُهَا عَلَى الْإِيقَانِ قَوْلُهُ: «تِلْكَ» المُشارُ إليه نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ، فهي أدلةٌ لفظيَّةٌ لا تفيدهُ اليقينَ، ولا يصلُ الحكمُ بها إلى اليقينِ.

٢٣٩٤- مَا أَنْزَلْتَ لِنَيْالٍ مِنْهَا الْعِلْمُ بِالْإِبْتَاتِ لِلْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ

يعني: ما أنزلها اللهُ لِنَيْالٍ بها عِلْمٌ أو صافٍ ربُّنا عزَّ وجلَّ، إذنْ لماذا نزلت؟

قالت فرقةٌ منهم: للتعبُّد بلفظها، وتسليم معناها لله.

وقالت فرقة أخرى: نزلت للتعبد بلفظها، ونيل الأجر بحمل معانيها على مجازها؛ لأنَّ حمل اللفظ على مجازه يحتاج إلى شواهد وأدلة وتعب بخلاف الظاهر، قالوا: فتحمّل على المجازات، وعلى المعاني الغريبة، وكون الإنسان يتعب في تخريجها على هذه المجازات ينال بذلك أجراً؛ لقول النبي ﷺ لعائشة في عمرتها بعد حجّها: «أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ»^(١).

فصار الذي يُراد بالكتاب والسنة عندهم: إمّا التعبد باللفظ وتسليم المعنى لله، وهؤلاء هم المفوضون، أو التعبد باللفظ ونيل الأجر بالتعب في تخريج الكلام على مجازاته وشواذ اللغة العربية، أمّا أن يُراد بذلك العلم فلا، فلا يُراد بهذا العلم بإثبات أوصاف الله عزّ وجلّ.

٢٣٩٥- بَلِ بِالْعُقُولِ يُنَالُ ذَاكَ وَهَذِهِ عَنْهُ بِمَعَزِلٍ غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ
قَوْلُهُ: «بَلِ بِالْعُقُولِ يُنَالُ ذَاكَ» يُنَالُ: نَائِبُ الْفَاعِلِ يَعُودُ عَلَى (العلم)،
يُنَالُ الْعِلْمُ بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ.

قَوْلُهُ: «وهذه» يعني نصوص الكتاب والسنة.

قَوْلُهُ: «غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ» يعني: ليس لها سلطاناً وقدرةً وقوةً تُوصِلُ إِلَى الْعِلْمِ.

يعني أن نصوص الكتاب والسنة بمعزِلٍ عن الاستدلال وعن الدلالة، وليس لها سلطانٌ حتّى نستدلّ بها على إثبات الشيء أو على نفيه؛ لأنَّ السلطان للعقل.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب أجرة العمرة على قدر النصب، رقم (١٧٨٧)، ومسلم: كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، رقم (١٢١١).

٢٣٩٦- فَبَجْهَدِنَا تَأْوِيلَهَا وَالدَّفْعُ فِي أَكْتَانِهَا دَفْعًا لِذِي الصَّوْلَانِ

يعني أننا نبذل الجهد في تأويلها ونتعب؛ لأجل أن ننال الأجر.

لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ لَيْسَ الْمَرَادُ الظَّاهِرَ لِمَاذَا لَمْ يَأْتِ اللهُ بِالْمَرَادِ وَأَتَى بِظَاهِرٍ خِلَافَ الْمَرَادِ؟ قَالُوا: لِأَجْلِ أَنْ نَتَعَبَ فِي حَمْلِ هَذَا الظَّاهِرِ عَلَى مَجَازِهِ وَتَتَّبِعَ شَوَاطِئَ اللُّغَةِ حَتَّى نَنَالَ بِذَلِكَ أَجْرًا.

ثُمَّ ذَكَرَ مِثَالًا فَقَالَ:

٢٣٩٧- كَكَبِيرِ قَوْمٍ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِي حُكْمٍ يُرِيدُ دِفَاعَهُ بِلَيَانِ

٢٣٩٨- فَيَقُولُ: قَدْرُكَ فَوْقَ ذَا وَشَهَادَةُ لِسَوَاكَ تَصْلُحُ فَادْهَبْ بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ» أَي: الْحَاكِمِ.

هَذَا رَجُلٌ كَبِيرٌ شَيْخٌ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ الْقَاضِي، وَالْقَاضِي أَرَادَ عَدَمَ قَبُولِ شَهَادَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي، قَدْرُكَ عِنْدِي أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَأْتِيَ تَشْهَدُ، فَالشَّهَادَةُ لغيرِكَ، فَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ مُوقَّرٌ مُحْتَرَمٌ لَا تَأْتِيَ تَشْهَدُ عِنْدِي، فَالشَّهَادَةُ لغيرِكَ، فَادْهَبْ، هُوَ لَمْ يَنْزَلُوا نصوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كَذَلِكَ، فَقَالُوا: الْقُرْآنُ عِنْدَنَا مُحْتَرَمٌ وَعَظِيمٌ، وَالسُّنَّةُ كَذَلِكَ، لَكِنِ الشَّهَادَةُ لغيرِهَا، فَهِيَ لِلْعُقُولِ.

وَهَذَا مِثْلٌ غَرِيبٌ قَلَّ أَنْ يَتَفَطَّنَ الْإِنْسَانُ لِمِثْلِ هَذَا الْمِثْلِ.

أَحْيَانًا يَأْتِي الْإِنْسَانُ بِمِثَالٍ يَكُونُ أَعْدَمَ مَا يَكُونُ عَنِ الذَّهْنِ فِي تَصَوُّرِهِ، وَمِنْ

ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

بَلِيَّتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَوُقُوفَ شَحِيحِ ضَاعَ فِي التُّرْبِ حَاتِمُهُ

قَوْلُهُ: (الأطلال) يعني المساكن المهدّمة لمعشوقته.

قَوْلُهُ: (شحيح) أي: بخيل. ضاع خاتمه في التراب.

فهذا الشَّحِيحُ لا يذهبُ أبدًا عن مكانه، فلو وصل إلى الأرض السابعة لا يذهبُ، فهو يبحثُ عن الخاتم.

على كُلِّ حالٍ أقولُ: بعضُ الناسِ يكونُ عنده خيالٌ واسعٌ، فمَن يتخيَّلُ أنَّ هؤلاء جعلوا نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ بمنزلة هذا الشيخِ الكبيرِ المعظَّمِ عند الحاكم الذي جاء يشهدُ، فقال له: والله يا سيدي أنت رجلٌ كبيرٌ عندنا، وعظيمٌ، ومحترمٌ، وأنت أكبرُ من أن تشهدَ عندنا، ولكن اذهب بأمان، والشهادةُ عند غيرك.

٢٣٩٩- وَبُودُّهُ لَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا لَكِنَّ مَخَافَةَ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
يعني: بودُّه أن الأمر كان فوق ذلك.

ويَحْتَمِلُ أن يكون قوله: (بُودُّه) يعني الحاكم الذي طرد هذا الشيخ، أو بودُّ هذا المحرِّف الذي حرَّف نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ، فبودُّه لو كان شيءٌ غيرُ ذا.

٢٤٠٠- فَلَقَدْ أَتَانَا عَنْ كَبِيرٍ فِيهِمْ وَهُوَ الْحَقِيرُ مَقَالَةُ الْكُفْرَانِ

٢٤٠١- لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي وَلَيْسَ بِمُمَكِّنٍ لَحَكَّكَتُ مِنْ ذَا الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِي

٢٤٠٢- ذِكْرُ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنَّ ذَاكَ مُتَمَنِّعٌ عَلَى الْإِنْسَانِ

هذا رجلٌ مِنَ المعطَّلة الذين ينكرون الصفات، يقولُ: لو كان يمكنني أن أحكَّ قولَ الله تعالى في القرآن: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] لفعلتُ؛ لأنه لا يريدُ أن يسمعَ أحدًا يقولُ: (إنَّ اللهَ استوى على العرشِ)، ولكن هل يمكنُ هذا

والمسلمون يقرؤونه في كُلِّ يومٍ وليلة؟ الجواب: لا؛ ولهذا قال: (لَكِنَّ ذَاكَ مُتَمَتِّعٌ عَلَى الْإِنْسَانِ).

٢٤٠٣ - وَاللَّهُ لَوَلَا هَيْبَةَ الْإِسْلَامِ وَالْ— قُرْآنِ وَالْأُمَرَاءِ وَالسُّلْطَانِ

٢٤٠٤ - لَا تَوَاتُوا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَلَدَكُنْ كُوا الْ— إِسْلَامَ فَوْقَ قَوَاعِدِ الْأَرْكَانِ

المؤلف - رحمه الله - يعرف هذا منهم؛ لأنه ابتلي في زمنه وفي عهد شيخه ابن تيمية - رحمه الله -، ابتلي بهم، وابتلي الناس من قبل، ماذا فعل هؤلاء المعطلة بالأئمة؟ وشوا بهم إلى الحكام حتى حبسوهم وضربوهم وقتلوهم، هؤلاء لو تمكّنوا من أن يهدموا الإسلام كُلَّهُ لفعلوا، لك تهم يخافون هيبة الأمراء، والسُلطان، والإسلام عند العامة، وإلّا لفعلوا.

٢٤٠٥ - فَلَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرَى لِأَيِّمَةِ الْ— إِسْلَامِ مِنْ مَحْنٍ عَلَى الْأَزْمَانِ

٢٤٠٦ - لَا سِيَالًا اسْتَمَالُوا جَاهِلًا

٢٤٠٧ - وَسَعَوْا إِلَيْهِ بِكُلِّ إِفْكٍ بَيْنِ

٢٤٠٨ - أَنْ النَّصِيحَةَ فَضَدُّهُمْ كَنَصِيحَةِ الشُّ

٢٤٠٩ - فَيْرَى عَمَائِمَ ذَاتَ أَدْنَابٍ عَلَى

٢٤١٠ - وَيَرَى هَيُولَى لَا تَهْوُلُ لِمُبْصِرٍ

٢٤١١ - فَإِذَا أَصَاحَ بِسَمْعِهِ مَلْئُوهُ مِنْ

٢٤١٢ - فَيْرَى وَيَسْمَعُ فَشَرَّهُمْ وَفَشَارَهُمْ

يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَانِ

- ٢٤١٣ - فَتَحُوا جِرَابَ الْجَهْلِ مَعَ كَذِبٍ فَخُذْ
وَاحْمِلْ بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانٍ
- ٢٤١٤ - وَأَتُوا إِلَى قَلْبِ الْمُطَاعِ فَفَتَّشُوا
عَمَّا هُنَاكَ لِيَدْخُلُوا بِأَمَانٍ
- ٢٤١٥ - فَإِذَا بَدَأَ غَرَضٌ لَهُمْ دَخَلُوا بِهِ
مِنْهُ إِلَيْهِ كَحَيْلَةِ الشَّيْطَانِ
- ٢٤١٦ - فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ
ظَفِرُوا وَقَالُوا: وَيْحَ آلِ فُلَانٍ
- ٢٤١٧ - هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلَانَا عَنِ الْوَيْلِ
مَقْصُودٍ وَهُوَ عَدُوٌّ هَذَا الشَّانِ
- ٢٤١٨ - فَإِذَا هُمْ غَرَسُوا الْعَدَاوَةَ وَاطَّابُوا
سَقِيَّ الْغِرَاسِ كَفَعَلِ ذِي الْبُسْتَانِ
- ٢٤١٩ - حَتَّى إِذَا مَا أَنْمَرْتَ وَدَنَا لَهُمْ
وَقْتُ الْجُدَاذِ وَصَارَ ذَا إِمْكَانٍ
- ٢٤٢٠ - رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحَمِيَّةٍ
وَاسْتَنْجَدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
- ٢٤٢١ - فَهَنَالِكَ ابْتَلَيْتَ جُنُودَ اللَّهِ مِنْ
جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ
- ٢٤٢٢ - ضَرْبًا وَحَبْسًا ثُمَّ تَكْفِيرًا وَتَبًّا
سِدِيْعًا وَشَتْمًا ظَاهِرَ الْبُهْتَانِ
- ٢٤٢٣ - فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ
أَمْرًا يَهْدِي لَهُ قُوَى الْإِيمَانِ
- ٢٤٢٤ - مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَدِينَهُمْ
أَخَذَ الْحَدِيثَ وَتَرَكَ قَوْلَ فُلَانٍ

الشرح

في هذه الأبيات يقول المؤلف - رحمه الله - مبيِّنًا ما جرى لأئمة الإسلام من محنٍ من هؤلاء المعطلَّة، يقول:

٢٤٠٥ - فَلَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرَى لِأَيْمَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ مِحْنٍ عَلَى الْأَرْزَامِ

ولا سيما إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبلٍ - رحمه الله -.

٢٤٠٦- لا سيما لما استمالوا جاهلاً ذَا قُدْرَةٍ فِي النَّاسِ مَعَ سُلْطَانِ

يعني بذلك الخلفاء الجهَّال الذين لهم قدرةٌ وسلطانٌ على الناس، استمالهم هؤلاء المعتزلة أو المعطلَّة.

٢٤٠٧- وَسَعَوْا إِلَيْهِ بِكُلِّ إِفْكٍ بَيْنِ بَلْ قَاسَمُوهُ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «قَاسَمُوهُ» يعني: حلفوا له، كما قال الله تعالى عن الشَّيْطَانِ: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] على أي شيء قاسموه؟

قال:

٢٤٠٨- أَنَّ النَّصِيحَةَ قَصْدُهُمْ كَنَصِيحَةِ الشُّ شَيْطَانِ حِينَ خَلَا بِهِ الْأَبْوَانَ

قَوْلُهُ: «أَنَّ النَّصِيحَةَ قَصْدُهُمْ» يعني: يأتون للخليفة يقولون: الأمرُ كذا وكذا وكذا، والله ما قصدنا إلا النصيحة.

قَوْلُهُ: «كَنَصِيحَةِ الشَّيْطَانِ حِينَ خَلَا بِهِ الْأَبْوَانَ» ماذا قال لها؟ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

والخليفة الجاهل الذي له السلطان يغترُّ.

٢٤٠٩- فَيَرَى عَمَائِمَ ذَاتَ أَذْنَابٍ عَلَى تِلْكَ الْقُشُورِ طَوِيلَةَ الْأَرْدَانِ

صَوَّرَ هَؤُلَاءِ الشُّيُوخَ بِأَتَمِّمْ جَاءُوا وَعَلَيْهِمْ عَمَائِمٌ طَوِيلَةُ الْأَرْدَانِ، يعني: لها رُذُنٌ طَوِيلٌ يَصِلُ إِلَى الْفَخْذَيْنِ، هي طويلة الأردن لكنها على قشورٍ من الناس، لكنَّ الخليفة الجاهل يظنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُيُوخٌ كَبَارٌ فَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِمْ.

٢٤١٠ - وَيَرَى هَيُولَى لَا تَهْوُلُ لِمُبْصِرٍ وَتَهْوُلُ أَعْمَى فِي ثِيَابِ جَبَانِ

الهيولى يعني: الهيئة، يرى هيئةً عظيمةً، شيوْخًا كبارًا، جاءوا بهذه الأُبهة لكنها لا تهوُلُ لمُبْصِرٍ؛ لأنه يعرفُ أنه ليس تحت الثياب إلا الخراب، وإنما تهوُلُ الأعمى الجبان.

٢٤١١ - فَإِذَا أَصَاخَ بِسَمْعِهِ مَلْثُوهُ مِنْ كَذِبٍ وَتَلْبِيسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «أَصَاخَ بِسَمْعِهِ» يعني: اسْتَمَعَ إِلَيْهِمْ وَأَنْصَتَ.

٢٤١٢ - فَيَرَى وَيَسْمَعُ فَشْرَهُمْ وَفَشَارَهُمْ يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَانِ

الفشْرُ والفُشَارُ^(١) هو الحديثُ الطويلُ المُنَمَّقُ، ولكنه ليس تحتَه فائدة، إذا سَمِعَهُ الإنسانُ ظنَّه حسنًا صوابًا، ولكنه بالعكس.

٢٤١٣ - فَتَحُوا جِرَابَ الْجَهْلِ مَعَ كَذِبٍ فَحُذِّ وَأَحْمَلِ بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

قَوْلُهُ: «فَحُذِّ وَأَحْمَلِ» أي: واحمل جهلاً وكذبًا.

وَقَوْلُهُ: «بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ» يعني: من كثرة الكذب والبهتان والجهل.

٢٤١٤ - وَأَتَوْا إِلَى قَلْبِ الْمُطَاعِ فَفَتَّشُوا عَمَّا هُنَاكَ لِيَدْخُلُوا بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَوْا إِلَى قَلْبِ الْمُطَاعِ» مَنِ الْمُطَاعُ؟ الْجَوَابُ: الْخَلِيفَةُ.

أتوا إلى قلبه ففتشوا عمَّا هناك ليدخلوا بأمان.

(١) الفُشَارُ، كُغْرَابٍ: الذي تستعمله العامة بمعنى الهديان، وكذا التَّفْشِيرُ ليس من كلام العرب، وإنما هو من استعمال العامة. انظر: تاج العروس، مادة: فشر.

٢٤١٥- فَإِذَا بَدَأَ غَرَضٌ لَهُمْ دَخَلُوا بِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ كَحِيلَةِ الشَّيْطَانِ

يعني: أنهم ينتهزون الفرصة كُلِّمَا بَدَأَ غَرَضٌ، والغرضُ فيما يظهر لي أنه الذي يُرْمَى إليه، وليس الغرض الحاجة، بل الغرض الذي يُرمى إليه بالسَّهام، كُلِّمَا بَدَأَ غَرَضٌ دَخَلُوا بِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْغَرَضِ هُنَا الْحَاجَةُ، يَعْنِي: كُلِّمَا بَدَتْ لَهُمْ حَاجَةٌ دَخَلُوا مِنْهَا إِلَى هَذَا الْخَلِيفَةِ.

٢٤١٦- فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ ظَفَرُوا وَقَالُوا: وَيَحَ آلِ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ» يَعْنِي: إِذَا رَأَوْهُ قَدْ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ وَأَصَاحَ إِلَيْهِ «ظَفَرُوا وَقَالُوا: وَيَحَ آلِ فُلَانٍ» يَعْنِي: ظَفَرُوا بِمَطْلُوبِهِمْ، وَقَالُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ: وَيَحَ آلِ فُلَانٍ، وَيَعْنُونَ بِآلِ فُلَانٍ: أَهْلَ الْحَدِيثِ، يَعْنِي: وَيَحَهُمْ؛ لِأَنَّ الْخَلِيفَةَ هَشَّ لِقَوْلِهِمْ.

٢٤١٧- هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلَانَا عَنِ الْـ مَقْصُودٍ وَهُوَ عَدُوُّ هَذَا الشَّانِ

يقول أيضًا هؤلاء الجماعة: هذا يعوق أمرك، ويؤلِّبُ الناسَ عليك، ويفعل ويفعل ويفعل.

٢٤١٨- فَإِذَا هُمْ غَرَسُوا الْعَدَاوَةَ وَاطْبَأُوا سَقِيَّ الْغِرَاسِ كَفِعْلِ ذِي الْبُسْتَانِ

إذا غرسوا العداوة من السلطان على أهل الحديث لم يتركوه بل يتابعونه كما يتابعُ الرجلُ شجرته إذا غرسها.

٢٤١٩- حَتَّى إِذَا مَا أَثْمَرَتْ وَدَنَا لَهُمْ وَقْتُ الْجُدَاذِ وَصَارَ ذَا إِمْكَانٍ

٢٤٢٠- رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحِمِيَّةٌ وَأَسْتَنْجِدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحِمِيَّةٌ» يعني الخيلَ الجردَ، ويجوز (عَلَى حَرْدٍ)

يعني: على حَنَقٍ.

٢٤٢١- فَهَنَالِكَ ابْتُلِيَتْ جُنُودُ اللَّهِ مِنْ جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ

لماذا؟ لَأَنَّ السُّلْطَانَ صَارَ مَعَهُمْ، وَأَذَى أَهْلَ الْحَدِيثِ.

٢٤٢٢- ضَرْبًا وَحَبْسًا تَمَّ تَكْفِيرًا وَتَبَّ - دَيْعًا وَشَتْمًا ظَاهِرَ الْبُهْتَانِ

يعني: يأتون بكلِّ مَسَبَّةٍ لأهلِ الحديثِ إلى أن يقولوا: هم كُفَّارٌ، والعياذُ

بالله.

٢٤٢٣- فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَمْرًا يُهْدِلُهُ قُوى الْإِيمَانِ

٢٤٢٤- مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَدِينَهُمْ أَخَذَ الْحَدِيثِ وَتَرَكَ قَوْلَ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «وَدِينَهُمْ» أي: دينُ أهلِ الحديثِ.

والمعنى أَنَّهُمْ يَسُبُّونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ؛ لَأَنَّ دِينَهُمْ أَخَذُوا الْحَدِيثَ وَتَرَكَ رَأْيَ فُلَانٍ

وَفُلَانٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يَسُبُّونَهُمْ.

فابنُ القيمِ - رحمه الله - كما سبق كثيرًا يظهرُ من كلامه أَنَّ في قلبه عليهم من

الحنقِ والعداوة ما هم السَّببُ فيه؛ لأنهم آذَوْا أَهْلَ الْحَدِيثِ، آذَوْا أَهْلَ السُّنَّةِ،

صاحوا بهم ظاهراً وباطناً وفي كُلِّ مكانٍ، وهذا الذي جعل بعضَ التعطيلِ منتشرًا

في العالمِ الإسلاميِّ أَنَّهُمْ كانوا -والعياذُ بالله- يُضَيِّقُونَ الحِنَاقَ على أَهْلِ الْحَدِيثِ

وَأَهْلِ السُّنَّةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ.

فهؤلاء آذوا أهل السنّة، ولا بُدَّ من صراع بين الحقِّ والباطل، وأهل الحقِّ قد يُؤذون من هؤلاء لكن لحكمة يريدُها اللهُ عزَّ وجلَّ من أجلِّ أن ينالوا درجة الصابرين؛ لأنَّ الصبرَ درجةٌ عاليةٌ، ولا تُنالُ درجتهُ إلا بشيءٍ يُصبرُ عليه كما قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقُهُ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

- ٢٤٢٥ - يَا أُمَّةَ غَضِبَ إِلَهُ عَلَيْهِمْ الْأَجَلِ هَذَا تَشْتُمُوا بِهِوَانِ؟!
 ٢٤٢٦ - تَبًّا لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الْإِسْلَامِ حِزْبَ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٤٢٧ - وَسَيَّبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُنْفَاهُمْ فَرَأَوْا مَسَبَّتَكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ
 ٢٤٢٨ - هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الْأَوْثَانِ
 ٢٤٢٩ - حَذَرَ الْمُقَابَلَةِ الْقِيْحَةِ مِنْهُمْ بِمَسَبَّةِ الْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ
 ٢٤٣٠ - وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ضَرِبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلَانِ
 ٢٤٣١ - سَبُّوكُمْ جُهَالَهُمْ فَسَبَّيْتُمْ سُنْنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الْإِيمَانِ
 ٢٤٣٢ - وَصَدَدْتُمْ سُفَهَاءَكُمْ عَنْهُمْ وَعَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ
 ٢٤٣٣ - وَدَعَوْتُمُوهُمْ لِلَّذِي قَالَتْهُ أَشْءٌ يَأْخُذُكُمْ بِالْحَرْصِ وَالْحُسْبَانِ
 ٢٤٣٤ - فَأَبَوْا إِجَابَتَكُمْ وَلَمْ يَتَحَيَّزُوا إِلَّا إِلَى الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٤٣٥ - وَإِلَى أُولِي الْعِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيدِ فِي خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ وَالْأَكْوَانِ

- ٢٤٣٦- قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْإِلَٰهَ لِحِفْظِ هَـ
 ٢٤٣٧- وَأَقَامَهُمُ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّـ
 ٢٤٣٨- يَزُكُّ عَلَى الْإِسْلَامِ بَلْ حِصْنٌ لَهُ
 ٢٤٣٩- فَهُمْ الْمِحْكُ فَمَنْ يَرَى مُتَنَقِّصًا
 ٢٤٤٠- إِنْ تَتَّهَمُهُ فَقَبْلَكَ السَّلْفُ الْأَلَى
 ٢٤٤١- أَيْضًا قَدْ اتَّهَمُوا الْخَبِيثَ عَلَى الْهُدَى
 ٢٤٤٢- وَهُوَ الْحَقِيقُ بِذَلِكَ إِذْ عَادَى رُؤَا
 ٢٤٤٣- فَإِذَا ذَكَرْتَ النَّاصِحِينَ لِرَبِّهِمْ
 ٢٤٤٤- فَاغْسِلْهُ وَيَلِّكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيلِ وَالتَّـ
- هَذَا الدِّينِ مِنْ ذِي بَدْعَةٍ شَيْطَانٍ
 تَحْرِيفِ وَالتَّوْمِيمِ وَالتَّقْصَانِ
 يَأْوِي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الْفُرْقَانِ
 لَهُمْ فِرْزَانِيَّةٌ حَيْثُ جَنَانِ
 كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 وَالْعِلْمِ وَالْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 هَذَا الدِّينِ وَهِيَ عَدَاوَةُ الدِّيَانِ
 وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ بِلِسَانِ
 تَكْذِيبِ وَالْكَفْرَانِ وَالْبُهْتَانِ

الشرح

- ٢٤٢٥- يَا أُمَّةَ غَضِبَ الْإِلَٰهَ عَلَيْهِمْ
 قَوْلُهُ: «يَا أُمَّةَ» يخاطبُ أهلَ التعطيلِ الذين عطَّلوا صفاتِ الله عزَّ وجلَّ
 ومنعوا كمالَ الله - سبحانه وتعالى - .
 قَوْلُهُ: «غَضِبَ الْإِلَٰهَ عَلَيْهِمْ» بسببِ مجانبتهم لِهُدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ
 وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْدِهِمْ .
 قَوْلُهُ: «الْأَجَلِ هَذَا تَشْتُمُوا بِهِوَانٍ؟!» يعني: الْأَجَلِ أَنْ خَالَفْتُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ
 تَشْتُمُونَهُمْ؟! .

٢٤٢٦- تَبَّ لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الْإِسْلَامِ حِزْبَ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «زَوَامِلُ» جمع (زامله)، وهي الناقة التي تحمّل المتاع أو الجمل الذي
يحمّل المتاع، والمراد أن هؤلاء أهل الحديث هم الذين يحملون السنة كما تحمّل
الإبل الزوامل أمتعة المسافرين.

٢٤٢٧- وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفَاهُمْ فَرَأَوْا مَسَبَّتْكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ
قَوْلُهُ: «وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفَاهُمْ» يعني: لستم مكافئين لهم، بل أنتم
أحقر منهم، وأدنى، وأذل، ومع ذلك تسبونهم، ولكن العقلاء منهم أعرضوا عن
سببكم؛ ولهذا قال: «فَرَأَوْا مَسَبَّتْكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ» يعني أنهم لم ينتزلوا وينزلوا
بأنفسهم حتى يسبوكم، بل جانبوكم وتركوكم.

٢٤٢٨- هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الْأَوْثَانِ

٢٤٢٩- حَذَرَ الْمُقَابَلَةَ الْقَبِيحَةَ مِنْهُمْ بِمَسَبَّةِ الْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ

يعني: تركوا سببكم؛ لأنهم لو سبوكم لسببتم القرآن والحديث، كما أن الله
- سبحانه وتعالى - نهى عن سب الآلهة التي تُعبد من دونه؛ خوفاً من أن يسبب الله
عز وجل، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ
عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أمّا أنتم إذا سببتم الذين يدعون من دون الله فإنكم تسبونهم
بحقّ وبعلم، لكن هم إذا سبوا الله فإنها يسبون الله عدواً بغير علم.

٢٤٣٠- وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ضَرَبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلَانِ

قَوْلُهُ: «بِذَا» أي: بالنهي عن سب آلهة المشركين؛ لثلاث سبوا الله، فكذلك
أهل السنة (أهل الحديث) تركوا مسبتهم لثلاث سبوا منهاهم وتسبوا أدلتهم من

كتاب الله وسنة رسوله.

٢٤٣١- سَبُّوَكُمْ جُهَّالَهُمْ فَسَبِّتُمْ سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الْإِيمَانَ

يعني أن الجهال من أهل السنة صاروا يسبون أئمة أهل البدعة سباً قبيحاً، فإلى أي شيء أدى ذلك؟ قال: (فَسَبِّتُمْ سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الْإِيمَانَ) أي: سببتم السنن وأصحاب السنن.

٢٤٣٢- وَصَدَدْتُمْ سُفَهَاءَكُمْ عَنْهُمْ وَعَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ

يعني: صددتم سفهاءكم عنهم، أي: عن أهل الحديث وعن قول الرسول، وذا من الطغيان وتجاوز الحد بلا شك.

٢٤٣٣- وَدَعَوْتُمُوهُمْ لِلَّذِي قَالَتَهُ أَشْءٌ سِيَّئٌ لَكُمْ بِالْحَرْصِ وَالْحُسْبَانِ

٢٤٣٤- فَأَبَوْا إِجَابَتَكُمْ وَلَمْ يَتَحَيَّرُوا إِلَّا إِلَى الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٤٣٥- وَإِلَى أَوْلِي الْعِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ

قوله: «دَعَوْتُمُوهُمْ» يعني: دعوتهم سفهاءكم، وصددتموهم عن الحق، ودعوتموهم للباطل، وهو قول الشيوخ (فأبوا إجابتكم).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ قَوْلَ الْمُؤَلِّفِ: (وَدَعَوْتُمُوهُمْ) أي: دعوتهم جهال أهل السنة إلى ما أنتم عليه، وهذا الاحتمال الذي ذكرته هو الظاهر؛ لأن قوله: (فَأَبَوْا إِجَابَتَكُمْ) لا يعني به سفاههم؛ إذ إن سفاههم قد أجابوهم.

٢٤٣٦- قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْإِلَهُ لِحِفْظِهِ هَذَا الدِّينِ مِنْ ذِي بَدْعَةٍ شَيْطَانِ

قوله: «قَوْمٌ» يعني أهل الحديث.

الْيَزَكُ: هو المشي الضعيف، يعني أَنَّهُم بالنسبة للإسلام لا يَعْدُونَ عليه عَدْوًا، أَمَا على المعنى الأول (أَنَّهُم يَزَكُ عَلَيْهِ) فبمعنى أَنَّهُم يَزَكُ لَهُ، أَي: سَهَامٌ للإسلام.

٢٤٣٩- فَهُمُ الْمِحَكُّ فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصًا لَهُمْ فَرِزْنَدِيقُ خَيْثُ جَنَانِ

قَوْلُهُ: «فَهُمُ الْمِحَكُّ» أَي: أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمُ الْمِحَكُّ.

معنى (المحك): الذين يُحْتَبَرُ بِهِمُ الْإِنْسَانُ، مَنْ أَحَبَّهُمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ تَنَقَّصَهُمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ؛ وَهَذَا يُقَالُ مَثَلًا: إِذَا رَأَيْتَ الْإِنْسَانَ يُحِبُّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ فَهُوَ سُنِّيٌّ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يُبْغِضُهُ فَهُوَ بَدْعِيٌّ.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصًا لَهُمْ فَرِزْنَدِيقُ خَيْثُ جَنَانِ» وَهَذَا حَقِيقَةٌ، فَلَا يُبْغِضُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِلَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ، لَا شَكَّ فِي هَذَا، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُ اللَّهِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا عَوَانٌ دَائِمًا وَأَبَدًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقَدْسِيِّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَّهُ بِالْحَرْبِ»^(١).

فَأَهْلُ الْحَدِيثِ هُمُ الْمَحَكُّ، مَنْ تَنَقَّصَهُمْ فَهُوَ زَنْدِيقٌ.

قَوْلُهُ: «خَيْثُ جَنَانِ» أَي: خَيْثُ قَلْبٍ.

٢٤٤٠- إِنْ تَتَّهَمُهُ فِقَبْلَكَ السَّلْفُ الْأَكْبَرُ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

٢٤٤١- أَيْضًا قَدْ اتَّهَمُوا الْخَبِيثَ عَلَى الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «إِنْ تَتَّهَمُهُ» يَعْنِي: تَتَّهَمُ الْبَدْعِيَّ فِي زَمَانِكَ، فَإِنَّ قَبْلَكَ مَنْ اتَّهَمَ جَنْسَهُ؛ وَهَذَا قَالَ: فَإِنَّ قَبْلَكَ السَّلْفُ الْأَكْبَرُ أَيْضًا قَدْ اتَّهَمُوا الْخَبِيثَ عَلَى الْهُدَى. مِثْلُ اتِّهَامِ ابْنِ عُمَرَ لِلْقَدَرِيَّةِ، وَاتِّهَامِ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ لَجْهَمٍ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَاضُعِ، رَقْمٌ (٦١٣٧).

فالمهم أن الرجل إذا اتهم الرجل بكراهة أهل السنة لأنه بدعي، فإن هذا حق؛ لأن السلف الصالح اتهموا من كان على شاكلته بذلك.

٢٤٤٢- وَهُوَ الْحَقِيقُ بِذَلِكَ إِذْ عَادَى رَوْا ةَ الدِّينِ وَهِيَ عَادَاةُ الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «الْحَقِيقُ بِذَلِكَ» أي: بالخبث، فهو حقيق بأن يكون خبيثاً؛ لأنه عادى رواة الدين، ومعاداة رواة دين الله معاداة الله عز وجل.

٢٤٤٣- فَإِذَا ذَكَرْتَ النَّاصِحِينَ لِرَبِّهِمْ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ بِلِسَانِ

٢٤٤٤- فَاغْسِلْهُ وَيَلِّكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيلِ وَالنَّ كُذِّبِ وَالْكَفْرَانِ وَالْبُهْتَانِ

يعني: إذا ذكرت الناصحين لله وكتابه ورسوله بلسانك فاغسل لسانك من دم التعطيل والتكذيب، أي: سر على منواهم؛ لتغسل لسانك من هذه الأوصاف القبيحة، وهي التعطيل، والتكذيب، والكفران، والبهتان.

وهنا إيراءُ وارداً؛ إذ كيف يقول -رحمه الله- بأنهم جهال، وسبوا أهل السنة، وهو نفسه يسبهم، ووصفهم فيما سبق بأنهم حير، وأنهم يلجئون القلوط ويشربون منه، وتظهر على شفاههم وأسنانهم الأخباط والأنتان؟

الجواب عن هذا أن يقال: السب المواجه هو الذي تحصل به الفتنة، أما السب غير المواجه من أجل التحذير منهم فلا بأس به؛ ولهذا لما استأذن رجل على النبي ﷺ وقالوا: فلان، قال: «بئس أخو العشييرة»^(١) فسبه، ولما دخل أعطاه ساحة في الوجه، ففرق بين المقابلة وبين المدابرة، بمعنى أنك تسب الرجل تحذيراً من طريقته، لكن أمامه إذا سبته ربها تثير حفيظته فيسب ما أنت عليه من الدين.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب «لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً»، رقم (٥٦٨٥)، ومسلم: كتاب البر والآداب والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه، رقم (٢٥٩١).

- ٢٤٤٥- أَتَسُبُّهُمْ عَدُوًّا وَلَسْتَ بِكُفِّهِمْ!؟ فَاللَّهُ يَفْئِدِي حِزْبَهُ بِالْجَانِي
- ٢٤٤٦- قَوْمٌ هُمْ بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولُهُ أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلْإِيمَانِ
- ٢٤٤٧- شَتَّانَ بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصَهُ حَقًّا لِأَجْلِ زُبَالَةِ الْأَذْهَانِ
- ٢٤٤٨- وَالتَّارِكِينَ لِأَجْلِهَا آرَاءَ مَنْ آرَأُوهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ
- ٢٤٤٩- لَمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ ثَقُلَتْ رءُوسُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ
- ٢٤٥٠- فَلِذَاكَ نَامُوا عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحُوا يَتَلَاعَبُونَ تَلَاعِبَ الصَّبِيَانِ
- ٢٤٥١- وَالرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا الْعُلَى وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضٍ طَيِّبَةً مَطَّلِعِ الْإِيمَانِ
- ٢٤٥٢- وَأَتَوْا إِلَى رَوْضَاتِهَا وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضٍ مَكَّةَ مَطَّلِعِ الْقُرْآنِ
- ٢٤٥٣- قَوْمٌ إِذَا مَا نَجِدُ النَّصَّ بَدَا طَارُوا لَهُ بِالْجَمْعِ وَالْوُحْدَانِ
- ٢٤٥٤- وَإِذَا بَدَا عِلْمُ الْهُدَى اسْتَبَقُوا لَهُ كَتَسَابِقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ
- ٢٤٥٥- وَإِذَا هُمْ سَمِعُوا بِمُبْتَدِعِ هَدَى صَاحُوا بِهِ طُرًّا بِكُلِّ مَكَانِ
- ٢٤٥٦- وَرِثُوا رَسُولَ اللَّهِ لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدْ رَاحَ بِالنَّقْصَانِ وَالْحِرْمَانِ
- ٢٤٥٧- وَإِذَا اسْتَهَانَ سِوَاهُمْ بِالنَّصِّ لَمْ يَرْفَعِ بِهِ رَأْسًا مِنَ الْخُسْرَانِ
- ٢٤٥٨- عَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوْاجِدِ رَغْبَةً فِيهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ بِمُهَانِ
- ٢٤٥٩- لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً وَتَلَاوَةً قَصْدًا بِتَرْكِ فَلَانِ
- ٢٤٦٠- عَزَلُوهُ فِي الْمَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةَ السُّلْطَانِ

- ٢٤٦١- ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ وَبِسَكَّةٍ رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَثْمَانِ
 ٢٤٦٢- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمُطَاعُ لِغَيْرِهِ وَلِمُهْتَدٍ ضُرِبَتْ بِذَا مَثَلَانِ
 ٢٤٦٣- يَا لِلْعُقُولِ أَيْسَتَوِي مَنْ قَالَ بِالْـ قُرْآنِ وَالْآثَارِ وَالْبُرْهَانِ
 ٢٤٦٤- وَخَالَفَ هَذَا وَفِطْرَةَ رَبِّهِ؟ اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

الشرح

هذه الأبيات يقول فيها المؤلف - رحمه الله -:

- ٢٤٤٥- أَتَسُبُّهُمْ عَدُوًّا وَلَسْتَ بِكُفِّهِمْ؟! فَاللَّهُ يَفْدِي حِزْبَهُ بِالْجَانِي
 تَسَّبُ أَهْلَ الْحَدِيثِ عَدُوًّا، يعني اعتداءً وطغياناً عليهم، (وَلَسْتَ بِكُفِّهِمْ)؛
 لأنهم خيرٌ منك.

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ يَفْدِي حِزْبَهُ بِالْجَانِي» يعني: سأل الله أن يجعل الجاني فداءً
 لحزب الله، وهذا لا بأس به.

وفداء الجاني لحزب الله إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِدَاءً حَسِيًّا بِأَنْ يُهْلِكَ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ، أَوْ
 فِدَاءً مَعْنَوِيًّا بِأَنْ يُظْهَرَ أَهْلَ الْحَدِيثِ عَلَى هَوْلَاءِ الْجُنَاةِ.

- ٢٤٤٦- قَوْمٌ هُمْ بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلْإِيمَانِ
 قَوْلُهُ: «قَوْمٌ» يعني أهل الحديث.

قَوْلُهُ: «هُمْ بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلْإِيمَانِ» يعني: هم أَوْلَى بِاللَّهِ
 ورسوله منك، وأقرب للإيمان منك.

٢٤٤٧- شَتَّانَ بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصَهُ حَقًّا لِأَجْلِ زُبَالَةِ الأَذْهَانِ

٢٤٤٨- وَالتَّارِكِينَ لِأَجْلِهَا آرَاءَ مَنْ آرَأُوهُمْ صَرَبٌ مِنَ الهَدْيَانِ

قوله: «شَتَّانَ» أي: بعد ما بين هؤلاء وهؤلاء.

شَتَّانَ بين هؤلاء وبين هؤلاء، أي: بين التاركين نصوصه وبين الآخذين بنصوصه، وهم أهل الحديث، بين الذين تركوا لأجلها آراءً من آراؤهم صَرَبٌ من الهدْيَانِ وبين من أخذوا بهذه الآراء.

٢٤٤٩- لَمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ ثَقَلَتْ رءُوسُهُمْ عَنِ القُرْآنِ

٢٤٥٠- فَلِذَاكَ نَامُوا عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحُوا يَتَلَاعَبُونَ تَلَاعِبَ الصَّبِيَانِ

هذان البيتان مأخوذان من قول النبي ﷺ حين قيل له: إِنَّ فُلَانًا نَامَ عَنِ صَلَاةِ الصُّبْحِ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»^(١) فانسَدَّتْ ببول الشيطان عن سماع الأذان.

هؤلاء أيضًا تَلَطَّفَ بهم ابنُ القيم، فجعل بدلَ البول فسواً.

٢٤٥١- وَالرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا العُلَى وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ طَيِّبَةٍ مَطَّلِعِ الإِيمَانِ

٢٤٥٢- وَآتَوْا إِلَى رَوْضَاتِهَا وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ مَطَّلِعِ القُرْآنِ

وفرق بين هؤلاء وهؤلاء، هؤلاء قصدوا المدينة لأجل الإيمان، ومكة لأجل القرآن.

واختلف التعبيران في كلام المؤلف؛ لأن مكة بها ابتداء نزول القرآن، وأكثر

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب إذا نام ولم يصل بال الشيطان في أذنه، رقم (١٠٩٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم (٧٧٤).

ما نزل من السور في مكة .

وأما المدينة فهي مقرّ الإيَّان؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] يعني الأنصار الذين في المدينة، فجعل المؤلف المدينة مطلع الإيَّان، ومكة مطلع القرآن .

٢٤٥٣- قَوْمٌ إِذَا مَا نَجِدُ النَّصَّ بَدَا طَارُوا لَهُ بِالْجَمْعِ وَالْوَحْدَانِ
إذا بدا ناجد النَّصَّ طاروا له جُموعًا ومنفردين .

٢٤٥٤- وَإِذَا بَدَا عِلْمُ الْهُدَى اسْتَبَقُوا لَهُ كَتَسَابِقِ الْفَرَسَانِ يَوْمَ رِهَانٍ
وهؤلاء هم الذين لهم الفخر في الحقيقة .

٢٤٥٥- وَإِذَا هُمْ سَمِعُوا بِمُبْتَدِعِ هَذَى صَاحُوا بِهِ طُرًّا بِكُلِّ مَكَانٍ
صاحوا به يُبَيِّنُونَ بدعته ويُحَدِّثُونَ منها .

٢٤٥٦- وَرِثُوا رَسُولَ اللَّهِ لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدَرًا بِالنَّقْصَانِ وَالْحِرْمَانِ
قَوْلُهُ: «ورثوا رسول الله» يعني أهل الحديث .

قَوْلُهُ: «لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدَرًا بِالنَّقْصَانِ وَالْحِرْمَانِ» يعني بذلك أهل التعطيل .

٢٤٥٧- وَإِذَا اسْتَهَانَ سِوَاهُمْ بِالنَّصِّ لَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا مِنَ الْخُسْرَانِ
يَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا مِنَ الْخُسْرَانِ

٢٤٥٨- عَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوْاجِدِ رَغْبَةً فِيهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ بِمُهَانَ

أهل الحديث إذا استهان سواهم بالنَّصِّ، ولم يرفع به رأسًا، تلقَّوه هم بالقبول وعَضُّوا عليه بالنواجذ، وقالوا: نحن -بحمد الله- أهلُه، وهذا يدلُّ على أنهم ليسوا إمعةً يتبعون الناس على كلِّ شيء، ولكن يأخذون بالحقِّ أينما كان .

٢٤٥٩- لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً وَتِلَاوَةً قَصْدًا بِتَرْكِ فَلَانٍ

يعني: ليس أهل الحديث كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً وَتِلَاوَةً.

قَوْلُهُ: «حَقِيقَةً» يعني: لم يأخذوا بمعانيه، وما دَلَّ عليه.

قَوْلُهُ: «وَتِلَاوَةً» يعني: اشتغلوا بغيره حتى عن تلاوة القرآن، فاشتغلوا بكتب هؤلاء المتبوعين والأشياخ، وتركوا القرآن حَقِيقَةً وَتِلَاوَةً.

٢٤٦٠- عَزَلُوهُ فِي الْمَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةَ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «عَزَلُوهُ فِي الْمَعْنَى» فنصبوه إمامًا في اللفظ، وَوَلَّوْا غَيْرَهُ الْقِيَادَةَ.

هؤلاء مثلاً قالوا: القرآن أشرفُ الأشياءِ، وكلامُ الله - إن كانوا يقولون بأنه كلامُ الله - لكنهم لا يتبعونه، فهذا عَزَلُ له في المعنى.

قَوْلُهُ: «كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةَ السُّلْطَانِ» أبو الربيع يبدو أنه خليفة لسلطانٍ سابقٍ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ، لكنه تَوَلَّى الْخِلَافَةَ اسْمًا، والتدبيرُ لغيره، فهذا لو سُمِّي خليفةً وسلطانًا، هل له سلطانٌ؟ الجواب: لا، لكن له شيءٌ خاصٌّ به؛ ولذا قال:

٢٤٦١- ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ وَبِسِكَّةٍ رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَثْمَانِ

قَوْلُهُ: «ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ» قالوا مثلاً: اللَّهُمَّ أَيَّدْ سُلْطَانَنَا فَلَانَ بْنَ فَلَانٍ، اللَّهُمَّ أَيَّدْ خَلِيفَتَنَا فَلَانَ بْنَ فَلَانٍ، وهو في الحقيقة ليس بسلطانٍ ولا خليفة لهم، فالأمرُ لغيره.

قَوْلُهُ: «وَبِسِكَّةٍ رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَثْمَانِ» كان الخلفاءُ فيما سبق وإلى الآن يكتبون أسماءهم على الدنانير والدراهم تعظيمًا لهم، فأبو الربيع هذا كَتَبَ اسْمَهُ عَلَى الدنانير والدراهم، ويُدعى له فوق المنابر، ولكن لا سلطة له، بل السلطة لغيره.

المهم أن ابن القيم -رحمه الله- ضرب مثلاً للقرآن عند هؤلاء بخليفة ليس له أمر ولا نهي، إنما يُذكر اسمه فوق المنابر، ويُدعى له، ويُكتب اسمه على السِّكك، يعني: على النقود: الذهب والفضة.

٢٤٦٢- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمَطَاعُ لغيرِهِ وَلِلمُهْتَدِ ضَرِبَتْ بِذَا مَثَلَانِ
قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمَطَاعُ لغيرِهِ» أي: لغير هذا الحاكم.

قَوْلُهُ: «وَلِلمُهْتَدِ ضَرِبَتْ بِذَا مَثَلَانِ» أي: مثلنا ومثلكم بالنسبة للقرآن كمثل خليفة ليس له أمر ولا نهي عند أهل التعطيل، لكن عند أهل الحديث الأمر والنهي كُله للقرآن والسُّنة.

٢٤٦٣- يَا لِلْعُقُولِ أَيْسَتَوِي مَنْ قَالَ بِالْ— قُرْآنِ وَالْأَنْبَارِ وَالْبُرْهَانِ

٢٤٦٤- وَمُحَالِفٌ هَذَا وَفِطْرَةَ رَبِّهِ؟ اللهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

قَوْلُهُ: «أَيْسَتَوِي مَنْ قَالَ بِالْقُرْآنِ... وَمُحَالِفٌ هَذَا؟» الجواب: لا يستويان.

قَوْلُهُ: «كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟» يعني: لا يستويان، وصدق -رحمه الله-.

٢٤٦٥- بَلْ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرُوا عَلَى مَضْمُونِهَا وَالْعَقْلُ مَقْبُولَانِ

٢٤٦٦- وَالْوَحْيُ جَاءَ مُصَدِّقًا لَهَا فَلَا تُلْقِ الْعَدَاوَةَ مَا هُمَا حَرْبَانِ

٢٤٦٧- سَلْمَانٍ عِنْدَ مُوَفَّقٍ وَمُصَدِّقٍ وَاللهُ يَشْهَدُ أَنْ هُمَا سَلْمَانِ

٢٤٦٨- فَإِذَا تَعَارَضَ نَصُّ لَفْظٍ وَارِدِ وَالْعَقْلُ حَتَّى لَيْسَ يَلْتَقِيَانِ

٢٤٦٩- فَالْعَقْلُ إِمَّا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الرُّرَائِي صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ

- ٢٤٧٠- أَوْ أَنَّ ذَاكَ النَّصَّ لَيْسَ بِثَابِتٍ مَا قَالَهُ الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ
 ٢٤٧١- وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضَهَا بَعْضًا فَسَلَّ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانٍ
 ٢٤٧٢- وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا مِنْ آفَةِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ
 ٢٤٧٣- أَوْ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ مَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله -:

إِنَّ الْفِطْرَةَ الَّتِي فُطِرَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَالْعَقْلَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَارَضَا؛ وَلِذَا قَالَ:

- ٢٤٦٥- بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فُطِرُوا عَلَى مَضْمُونِهَا وَالْعَقْلُ مَقْبُولَانِ
 ٢٤٦٦- وَالْوَحْيُ جَاءَ مُصَدِّقًا لِهَمَا فَلَا تُلْقِ الْعِدَاوَةَ مَا هُمَا حَرْبَانِ

عندنا ثلاثة أشياء: الفطرة، والعقل الصريح، والنقل الصحيح، هذه الأشياء الثلاثة لا يمكن أن تتعارض إلا لآفة.

فالفطرة ربِّها تُعَارِضُ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ، لِأَنَّهَا فَسَدَتْ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١).

فَأَمَّا فِطْرَةٌ سَلِيمَةٌ فَإِنَّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُعَارِضَ الْعَقْلَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم (١٣٥٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨).

العقل هل يعارض النقل؟

الجواب: لا، لا يمكنُ أبدًا، فالعقلُ الصريحُ -يعني السَّالِم من الشُّبهات والشهوات- لا يمكنُ أبدًا أن يُعارضَ النقلَ الصحيحَ.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتابٌ سمّاه: (دَرءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ) واشتهر بين العلماء باسم (العقل والنقل)، وقد سبق ثناءُ ابن القيمِ عليه، حتّى قال فيه:

وَلَهُ كِتَابُ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ الَّذِي مَافِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانٍ

إِذَنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَارَضَ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ، وَلَكِنْ كَيْفَ نَعْمَلُ إِذَا تَعَارَضَا؟
يقول المؤلف -رحمه الله-:

٢٤٦٧- سِلْمَانٍ عِنْدَ مُوَفَّقٍ وَمُصَدِّقٍ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنْ هُمَا سِلْمَانٍ

قَوْلُهُ: «سِلْمَانٍ» لَكِنْ هُمَا سِلْمَانٍ عِنْدَ مَنْ؟ الْجَوَابُ: عِنْدَ الْمُوَفَّقِ الْمُصَدِّقِ، أَمَّا الْمُنْكَرُ فَهُوَ يَدَّعِي أَنَّ الْعَقْلَ يُعَارِضُ النَّقْلَ، وَالَّذِي لَمْ يُوَفَّقْ لِلْجَمْعِ بَيْنَهُمَا يَظُنُّ أَيْضًا تَعَارُضَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ.

٢٤٦٨- فَإِذَا تَعَارَضَ نَصٌّ لَفْظٍ وَارِدٍ وَالْعَقْلُ حَتَّى لَيْسَ يَلْتَقِيَانِ

٢٤٦٩- فَالْعَقْلُ إِذَا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الرُّرَّ رَائِي صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بُطْلَانٍ

٢٤٧٠- أَوْ أَنَّ ذَلِكَ النَّصَّ لَيْسَ بِثَابِتٍ مَا قَالَهُ الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا تَعَارَضَ نَصٌّ لَفْظٍ وَارِدٍ وَالْعَقْلُ» يَعْنِي: تَعَارُضَ النَّصِّ

والعقل.

يقول: إذا تعارض عقلٌ ونقلٌ في نظر الرائي فلا يخلو من حالين:
الحال الأولى: إمَّا أنَّ العقلَ فاسدٌ أفسدته الشبهةُ أو الشهوةُ، ولستُ أريدُ
بالشهوة هنا شهوةَ الجنس (الجماع)، بل الشهوة هنا تعني سوءَ القصد.

الحال الثانية: أو أنَّ النصَّ ليس بثابتٍ عن المعصوم.
فأمَّا أن يكونَ النصُّ ثابتًا والعقلُ صحيحًا فإنَّ التعارضَ لا يمكنُ أبدًا.
إذن إذا وجدتَ من نفسك أنَّ النصَّ معارضٌ للعقل فاتَّهمْ عقلك أو النصَّ.
واتَّهمْ النصَّ ليس معناه اتِّهامه أنه صدقٌ أو كذبٌ، إنما تتهم هل هو ثابتٌ أو
غيرُ ثابتٍ؟ فإذا ثبت عن المعصوم فإنه لن يعارضَ العقلَ أبدًا.

ثمَّ انتقل المؤلفُ - رحمه الله تعالى - إلى تعارضِ النصوصِ بعضها مع بعضٍ،
فقال:

٢٤٧١- وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَسَلَّ عَنْهَا عَلِيمٌ زَمَانٍ

أيضًا النصوصُ لا يمكنُ أن تتعارضَ أبدًا، ولاحظوا أنَّ المرادَ بالتعارضِ
هنا ليس التعارضُ بين النصوصِ في العموم والخصوص فإنَّ هذا واردٌ، لكن
التعارضُ أن تتقابلَ من كُلِّ وجه بحيث لا يمكنُ أن يجتمعَ بعضها مع بعضٍ.

فالتعارضُ الذي هو التقابلُ من كُلِّ لا يمكنُ أن يوجدَ في النصوصِ أبدًا.

فإن قال قائل: أليس قد ثبتَ النسخُ فعارضَ الناسخُ المنسوخَ؟ فالجواب:
بلى، لكن إذا ثبتَ النسخُ فلا تعارضُ؛ لأنَّ المنسوخَ غيرُ قائمٍ، فالمنسوخُ نُسِخَ
وذهب، لكن كلامنا على النصوصِ التي ليست بمنسوخةٍ لا يمكنُ أن تتعارضَ
أبدًا.

٢٤٧٢- وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا مِنْ آفَةِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

٢٤٧٣- أَوْ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ مَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

إذا رأيتَ تعارضًا بين نصّين، سواء كان ذلك من نصوص القرآن أو من السنّة فاعلم أن ذلك من قُصور فهمك وذهنك، وإلا فلا يمكن أن تتعارض، أو أن النصّ ليس بثابت، وهذا لا يكون إلا في تعارض السنّة بعضها مع بعض التي تُنسبُ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

٢٤٧٤- لَكِنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ وَالْجَهْمِ فِي قَلْبِ الْمُوحِدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

٢٤٧٥- إِلَّا وَيَطْرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا فَمُقْتَلَانِ

٢٤٧٦- وَالنَّاسُ بَعْدُ عَلَى ثَلَاثٍ: حِزْبُهُ أَوْ حَرْبُهُ أَوْ فَارِعٌ مَتَوَانِ

٢٤٧٧- فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَيَّنَ تَجْعَلُهَا؟ فَلَا وَاللَّهِ لَسْتُ بِرَابِعِ الْأَعْيَانِ

٢٤٧٨- مَنْ قَالَ بِالتَّعْطِيلِ فَهُوَ مُكْذَّبٌ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ

٢٤٧٩- إِنَّ الْمُعْطَلَّ لَا إِلَهَ لَهُ سِوَى الْـ مَنُحُوتِ بِالْأَفْكَارِ فِي الْأَذْهَانِ

٢٤٨٠- وَكَذَا إِلَهُ الْمُشْرِكِينَ نَحِيَّتُهُ الْـ أَيَّدِي هُمَا فِي نَحْتِهِمْ سَيَّانِ

٢٤٨١- لَكِنَّ إِلَهَ الْمُرْسَلِينَ هُوَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاءِ مُكُونُ الْأَكْوَانِ

٢٤٨٢- تَاللَّهِ قَدْ نَسَبَ الْمُعْطَلُّ كُلَّ مَنْ بِالْبَيِّنَاتِ أَتَى إِلَى الْكِتْمَانِ

٢٤٨٣- وَاللَّهُ مَا فِي الْمُرْسَلِينَ مُعْطَلُّ نَافِي صِفَاتِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

- ٢٤٨٤- كَلَّا وَلَا فِي الْمُرْسَلِينَ مُشَبَّهٌ حَاشَاهُمْ مِنْ إِنْكَ ذِي بُهْتَانٍ
 ٢٤٨٥- فَخَذِ الْهُدَى مِنْ عَبْدِهِ وَكِتَابِهِ فَهَمَّا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبِيَانٍ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ الْعَقْلَ وَالْفِطْرَةَ، وَالشَّرْعَ لَا يَتَنَاقِضَانِ أَبَدًا وَلَا يَتَعَارِضَانِ؛ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِي يَتَعَارِضُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ هُوَ عَقْلُ جَهْمٍ وَأَتْبَاعِهِ؛ وَهَذَا قَالَ:

- ٢٤٧٤- لَكِنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ وَالْجَهْمِ فِي قَلْبِ الْمُوَحِّدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
 ٢٤٧٥- إِلَّا وَيَطْرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا فَمُقْتَبِلَانِ
 قَوْلُهُ: «قَوْلَ مُحَمَّدٍ» يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ.

- ٢٤٧٦- وَالنَّاسُ بَعْدَ عَلَى ثَلَاثٍ: حِزْبُهُ أَوْ حَرْبُهُ أَوْ فَارِغٌ مُتَوَانٍ
 قَوْلُهُ: «وَالنَّاسُ بَعْدُ» يَعْنِي: النَّاسُ بَعْدَ هَذَا التَّقْسِيمِ عَلَى ثَلَاثِ طَوَائِفٍ: حِزْبٍ، وَحَرْبٍ، وَفَارِغٍ مُتَوَانٍ.

فَحِزْبُ اللهِ هُمُ اتَّبَاعُ رَسَلِهِ، وَحَرْبُ اللهِ هُمُ أَعْدَاءُ رَسَلِهِ، وَالثَّلَاثُ: فَارِغٌ لَا مَعَ هَوْلَاءٍ وَلَا مَعَ هَوْلَاءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَاةِ بِجِدٍّ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَاةِ وَكَأَنَّهُ بَهِيمَةٌ.

- ٢٤٧٧- فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيْنَ تَجْعَلُهَا؟ فَلَا وَاللَّهِ لَسْتَ بِرَابِعِ الْأَعْيَانِ
 قَوْلُهُ: «فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيْنَ تَجْعَلُهَا؟» مِنَ الْحِزْبِ، أَوْ مِنَ الْحَرْبِ، أَوْ مِنَ الْفَارِغِ الْمُتَوَانِي.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ لَسْتُ بِرَبِّيعِ الْأَعْيَانِ» فليس هناك قسمٌ رابعٌ، فالناسُ ثلاثٌ طوائفٌ.

٢٤٧٨- مَنْ قَالَ بِالتَّعْطِيلِ فَهُوَ مُكْذَّبٌ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ
الذي يقول بالتعطيل مُكْذَّبٌ لجميع الرُّسل؛ لأنَّ جميع الرُّسلِ يُثْبِتُونَ لله تعالى ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال، وكذلك أتباعهم، فلا تجدُ في كلام الرُّسلِ نفيًا لأيِّ صفةٍ كمالٍ من صفات الله.

٢٤٧٩- إِنَّ الْمُعْطَلَّ لَا إِلَهَ لَهُ سِوَى الْ— مَنْحُوتِ بِالْأَفْكَارِ فِي الْأَذْهَانِ
أراد -رحمه الله- أن يجعل المعطلة كالمشركين، فالمشركون نحتوا أصنامًا يعبدونها من دون الله، والمعطلُّ نحت شيئًا يعبدُه من دون الله؛ لأنَّ حقيقة قول المعطلُّ أنه لا إله، لا سيما الذين يعطلُّون الأسماء والصفات.

يوجد أناسٌ يقولون: لا تقل: (إِنَّ اللَّهَ موجودٌ)، ولا تقل: (إِنَّ اللَّهَ غيرُ موجودٍ)؛ لأنك إن قلت: (إِنَّ اللَّهَ موجودٌ) شَبَّهْتَهُ بالموجودات، وإن قلت: (إِنَّ اللَّهَ غيرُ موجودٍ) شَبَّهْتَهُ بالمعدومات.

نقول لهم: سبحان الله! أنتم إذا قلتم: لا موجودٌ ولا معدومٌ شَبَّهْتُمُوهُ بالممتنعات المستحيلات؛ لأنه لا يمكنُ أبدًا أن يكون شيءٌ لا موجودًا ولا معدومًا.

فهم نحتوا إلهاً وقالوا: هذا الإلهُ، نحتوه بالأفكار والأذهانِ الفاسدةِ الباطلة.

والمشركون نحتوا أيضًا؛ ولذا قال:

٢٤٨٠- وَكَذَّا إِلَهُ الْمُشْرِكِينَ نَحِيَّتَهُ الْ— أَيَدِي هُمَا فِي نَحْتِهِمْ سَيَّانِ

هؤلاء إلههم نحيته الأفكار، وهؤلاء إلههم نحيته الأيدي، فهما في نحتهم سيان.

٢٤٨١- لِكِنْ إِلَهَ الْمُرْسَلِينَ هُوَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاءِ مَكُونُ الْأَكْوَانِ
إله المرسلين - سبحانه وتعالى - هو الذي فوق السماء مكوّن الأكوان، نسأل الله أن يجعلنا من أتباعهم.

٢٤٨٢- تَاللَّهِ قَدْ نَسَبَ الْمُعْطَلُ كُلَّ مَنْ بِالْبَيِّنَاتِ أَتَى إِلَى الْكِتْمَانِ
المعطل يقول: الحقّ عندي، نقول له: إذا كان الحقّ عندك فهل أتت به الرّسل الذين جاءوا بالبينات؟ ماذا يقول؟ يقول: لا، إذنّ كتموا الحقّ وأتوا بالباطل.
فكلّ إنسانٍ يُعْطَلُ صفاتِ الله فقد أتهم الرّسل كلّهم بالكتمان.

٢٤٨٣- وَاللَّهُ مَا فِي الْمُرْسَلِينَ مُعْطَلٌ نَافِي صِفَاتِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

٢٤٨٤- كَلَّا وَلَا فِي الْمُرْسَلِينَ مُشَبَّهٌ حَاشَاهُمْ مِنْ إِيكَ ذِي بُهْتَانِ

وكذلك - والله الحمد - أتباع المرسلين ليس فيهم معطل وليس فيهم مُشَبَّهٌ، بل يقولون: آمنّا بالله كما أراد الله عزّ وجلّ؛ ولهذا قال الرّازي - وهو من زعماء المعطلة -: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تُشْفِي عَلِيًّا، وَلَا تُرْوِي عَلِيًّا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الْإِبْتِاتِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»^(١).

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٨).

وهذا الكلامُ حقٌّ، فكُلُّ كلامِ أهلِ الكلامِ والفلسفةِ هُراءٌ، لم يستفيدوا من بحثهم طولَ أعمارهم إلَّا قِيلَ وقال.

٢٤٨٥- فَخُذِ الْهُدَى مِنْ عَبْدِهِ وَكِتَابِهِ فَهَمَّا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبَبَانِ

قَوْلُهُ: «خُذِ الْهُدَى» يعني: العلمَ والحقَّ.

قَوْلُهُ: «مِنْ عَبْدِهِ» وهو محمدٌ صلوات الله وسلامه عليه.

قَوْلُهُ: «وَكِتَابِهِ» أي: القرآن العظيم.

فصل

فِي بَطْلَانِ قَوْلِ الْمُلْحِدِينَ: إِنَّ الْأَسْتِدْلَالَ بِكَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ

- ٢٤٨٦- وَأَحْذَرُ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا
شِيْعًا وَكَانُوا شِيْعَةَ الشَّيْطَانِ
- ٢٤٨٧- وَأَسْأَلُ خَيْرًا عَنْهُمْ يُنْبِئُكَ عَنْ
أَسْرَارِهِمْ بِنَصِيحَةٍ وَبَيَانِ
- ٢٤٨٨- قَالُوا: الْهُدَى لَا يُسْتَفَادُ بِسُنَّةِ
كَلَّا وَلَا أَثَرٍ وَلَا قُرْآنِ
- ٢٤٨٩- إِذْ كُلُّ ذَلِكَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ
لَمْ تُبَدِّعْ عَنْ عِلْمٍ وَلَا إِيقَانِ
- ٢٤٩٠- فِيهَا اشْتِرَاكٌ ثُمَّ إِجْمَالٌ يُرَى
وَتَجَوُّزٌ بِالزَّيْدِ وَالنَّقْصَانِ
- ٢٤٩١- وَكَذَلِكَ الْإِضْمَارُ وَالتَّحْقِيقُ وَالْأَلْفِ
حَذْفُ الَّذِي لَمْ يُبَدِّعْ عَنْ تَبْيَانِ
- ٢٤٩٢- وَالتَّنْقِصُ أَحَادٌ فَمَوْقُوفٌ عَلَى
صِدْقِ الرُّوَاةِ وَلَيْسَ ذَا بُرْهَانِ
- ٢٤٩٣- إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا
وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهُوَ ذُو إِمْكَانِ
- ٢٤٩٤- وَتَوَاتُرٌ وَهُوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ
جِدًّا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ؟
- ٢٤٩٥- هَذَا وَيَخْتَاجُ السَّلَامَةَ بَعْدَ مَنْ
ذَلِكَ الْمَعَارِضِ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
- ٢٤٩٦- وَهُوَ الَّذِي بِالْعَقْلِ يُعْرِفُ صِدْقَهُ
وَالنَّفْيُ مَظْنُونٌ لَدَى الْإِنْسَانِ
- ٢٤٩٧- فَلِأَجْلِ هَذَا قَدْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَّ
- لَيْنَا الْعُقُولَ وَمَنْطِقَ الْيُونَانِ

الشرح

هذه الآيات يُبَيَّنُ فيها المؤلفُ -رحمه الله- طريقة هؤلاء المعطلَّة، وخلاصةُ كلامهم: أن نصوص الكتاب والسنة لا تفيدُ اليقين، وأنَّ العقل هو الذي يفيدُ اليقين، والقاعدةُ المتفقُ عليها بين جميع الفرق أنه إذا تعارضَ اليقينُ والظنُّ قُدِّمَ اليقينُ، فإذا تعارضت دلالةُ الكتاب والسنة، ودلالةُ العقل، وَجَبَ أن نُقدِّمَ دلالةَ العقل. لكن ما هو السَّببُ؟ يقول:

٢٤٨٦- وَاحْذَرْ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا شِيعًا وَكَانُوا شِيعَةَ الشَّيْطَانِ

احذر هذه المقالات؛ لأنَّ الذين تفرَّقوا شِيعًا ليسوا على حقٍّ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وإذا كان النَّبِيُّ ﷺ ليس منهم في شيء، فهم ليسوا على حقٍّ.

٢٤٨٧- وَأَسْأَلُ خَيْرًا عَنْهُمْ يُنَبِّئُكَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِنَصِيحَةٍ وَبَيَانٍ قَوْلُهُ: «اسأل خَيْرًا» يريدُ بذلك نفسه؛ لأنه -رحمه الله- يعرفُ من أقوالهم الشيءَ الكثيرَ.

٢٤٨٨- قَالُوا: الْهُدَى لَا يُسْتَفَادُ بِسُنَّةٍ كَلَّا وَلَا أَثَرٍ وَلَا قُرْآنٍ

الهدى لا يُستفادُ لا بالسنة، ولا بالأثر عن الصحابة، ولا بالقرآن، لماذا؟ قال:

٢٤٨٩- إِذْ كُلُّ ذَلِكَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُبَدِّعْ عَنِ عِلْمٍ وَلَا إِيقَانٍ

قَوْلُهُ: «أدلة لفظية» أي: لا تفيدُ العلمَ واليقينَ، لماذا؟ قال -رحمه الله-:

٢٤٩٠- فِيهَا اشْتَرَاكَ ثُمَّ إِجْمَالَ يُرَى وَتَجَوُّزُ بِالزَّيْدِ وَالتَّقْصَانِ

٢٤٩١- وَكَذَلِكَ الْإِضْمَارُ وَالتَّحْقِيقُ وَالْ- حَذْفُ الَّذِي لَمْ يُبَدَّ عَنْ تَبْيَانِ

قَوْلُهُ: «فِيهَا اشْتِرَاكٌ» أَي: أَلْفَاظٌ مَشْرُوكَةٌ بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ فَأَكْثَرُ، وَاللَّفْظُ الْمَشْرُوكُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ هُوَ اللَّفْظُ الصَّالِحُ لِمَعْنِيَيْنِ فَأَكْثَرُ، مِثْلُ كَلِمَةِ: (عَيْن) فَهِيَ لَفْظٌ مَشْرُوكٌ بَيْنَ الشَّمْسِ، وَالذَّهَبِ، وَعَيْنِ الْمَاءِ الْجَارِيَةِ.

فَإِذَنْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَلْفَاظٌ مَشْرُوكَةٌ، وَاللَّفْظُ الْمَشْرُوكُ مُحْتَمِلٌ لِكُلِّ مَعْنِيَةٍ، إِذَنْ فَلَا يَفِيدُ الْيَقِينَ.

قَوْلُهُ: «إِجْمَالٌ» أَي: فِيهَا أَيْضًا إِجْمَالٌ، وَالْإِجْمَالُ يَقْتَضِي الْإِبْهَامَ؛ لِأَنَّ الْمُجْمَلَ ضِدُّ الْمَيَّنِّ.

قَوْلُهُ: «وَتَجَوُّزٌ» أَي: فِيهَا أَيْضًا تَجَوُّزٌ، يَعْنِي: مَجَازًا.

قَوْلُهُ: «بِالزَّيْدِ وَالتَّنْقِصَانِ» يَعْنِي: تَارَةً يَكُونُ هُنَاكَ مَجَازٌ بِالْحَذْفِ، وَهُوَ التَّنْقِصُ، وَتَارَةً يَكُونُ مَجَازٌ بِالزِّيَادَةِ.

فَمِثْلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] قَالُوا: الْكَافُ زَائِدَةٌ، هَذَا مَجَازٌ بِالزِّيَادَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] قَالُوا: التَّقْدِيرُ: (جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) فَهَذَا مَجَازٌ بِالتَّنْقِصِ.

قَوْلُهُ: «كَذَلِكَ الْإِضْمَارُ» أَي: فِيهَا إِضْمَارٌ يَقْتَضِي الْإِبْهَامَ، أحيانًا يَحْتَمِلُ عَوْدَ الضَّمِيرِ إِلَى كَذَا، وَأحيانًا يَحْتَمِلُ عَوْدَهُ إِلَى كَذَا.

قَوْلُهُ: «التَّحْقِيقُ» فِي نَسْخَةِ (التَّخْصِيسِ)، وَلَعَلَّ النُّسخَةَ الثَّانِيَةَ: (التَّخْصِيسُ) أَصْح.

يَعْنِي: فِيهَا التَّخْصِيسُ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّفْظَ الْعَامَّ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيسُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّفْظَ الْعَامَّ إِذَا دَخَلَهُ التَّخْصِيسُ انْتَفَتْ دَلَالَتُهُ عَلَى الْعُمُومِ، وَهَذَا نَقْصٌ فِيهَا.

قَوْلُهُ: «الْحَذْفُ الَّذِي لَمْ يُبَدَّ عَنْ تَبْيَانٍ» أَي: فِيهَا حَذْفٌ، وَلَا يُعْرَفُ مَا هُوَ الْمَحْذُوفُ وَلَمْ يَتَبَيَّنْ.

كُلُّ هَذِهِ يَرَوْنَ أَنَّهَا عَيُوبٌ تَمْنَعُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيقَانِ.

كَذَلِكَ أَيْضًا عَيُوبٌ أُخْرَى مِنْ نَوْعِ ثَانٍ، قَالَ:

٢٤٩٢- وَالنَّقْلُ أَحَادٌ فَمَوْقُوفٌ عَلَى صِدْقِ الرَّوَاةِ وَلَيْسَ ذَا بُرْهَانٍ

النقل إما آحادٌ وإما متواتر، نقل الآحاد موقوفٌ على صدق الرواة، وليس ذا برهان، وصدق الرواة ليس متيقنًا؛ إذ كُـلُّ أَحَدٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكْذِبَ، كُـلُّ أَحَدٍ يُمْكِنُ أَنْ يَنْسَى، كُـلُّ أَحَدٍ يُمْكِنُ أَنْ يَتَوَهَّمَ؛ وَهَذَا قَالَ:

٢٤٩٣- إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا» إِذَا طَالَعْنَا كُتُبَ الرِّجَالِ وَجَدْنَا أَنَّ الرَّوَاةَ يُقَالُ فِيهِمْ: هَذَا ضَعِيفٌ الْحَفْظِ، هَذَا سَيِّئُ الْحَفْظِ، هَذَا فِيهِ بَدْعَةٌ، هَذَا فِيهِ كَذَا، فَيَقْدَحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قَوْلُهُ: «وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ» يَعْنِي أَنَّ الْقَدْحَ فِي الرَّوَاةِ لَيْسَ مَمْتَنَعًا عَقْلًا، بَلْ هُوَ مُمْكِنٌ.

٢٤٩٤- وَتَوَاتُرٌ وَهُوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ جِدًّا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَتَوَاتُرٌ وَهُوَ الْقَلِيلُ» يَعْنِي: النَّقْلُ أَحَادٌ، وَ(تَوَاتُرٌ) مَعْطُوفَةٌ عَلَى (أَحَادٍ) يَعْنِي: وَالنَّقْلُ أَيْضًا تَوَاتُرٌ.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ جِدًّا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ؟» فَهَذَا عَابُوا النَّصُوصَ أَيْضًا مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَهُوَ السَّنْدُ، قَالُوا: إِنَّهَا تَأْتِي عَنْ طَرِيقِ الْآحَادِ، وَطَرِيقِ الْآحَادِ

غير مقطوع بصدقه؛ لأن الرواة يحصل فيهم الوهم والسيان والكذب، وما أشبه ذلك.

أيضاً العلة الثالثة من نوع ثالث، قال:

٢٤٩٥- هَذَا وَيَخْتَاجُ السَّلَامَةَ بَعْدَ مَنْ ذَاكَ الْمَعَارِضِ صَاحِبِ السُّلْطَانِ

٢٤٩٦- وَهُوَ الَّذِي بِالْعَقْلِ يُعْرِفُ صِدْقَهُ وَالنَّفْيِ مَظْنُونٌ لَدَى الْإِنْسَانِ

٢٤٩٧- فَلِأَجْلِ هَذَا قَدْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَّيْنَا الْعُقُولَ وَمَنْطِقَ الْيُونَانِ

قَوْلُهُ: «يُعْرِفُ» فِي نَسْخَةِ (يُفَرِّضُ) وَفِي نَسْخَةِ ثَالِثَةِ (يَعْرِضُ) وَأَقْرَبُهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: (يُعْرِفُ).

يوجد أيضاً النوع الثالث، فيقول: هذه النقول تحتاج إلى أن تكون سالمة من المعارض الذي له السُّلْطَةُ، وهو العقل؛ لأنهم يرون أن العقل مُقَدَّمٌ على النقل، فإذا عارضها العقل وجب الرجوع إليه.

ولكن سيأتي ردُّ المؤلف - رحمه الله - على هذه الشبهة على وجه التفصيل.

٢٤٩٨- فَانظُرْ إِلَى الْإِسْلَامِ كَيْفَ بَقَاؤُهُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ؟

٢٤٩٩- وَانظُرْ إِلَى الْقُرْآنِ مَعْرُوزًا لَدَيْهِمْ عَنِ نَفُودِ وَآيَةِ الْإِيقَانِ

٢٥٠٠- وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعَهُ زُورًا لَدَيْهِمْ لَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

٢٥٠١- وَاللَّهُ مَا عَزَلُوهُ تَعْظِيمًا لَهُ أَيْظُنُّ ذَلِكَ قَطُّ دُوَّ عِرْفَانَ؟!

٢٥٠٢- يَا لَيْتَهُمْ إِذْ يَحْكُمُونَ بِعَزْلِهِ لَمْ يَرْفَعُوا رَايَاتِ جَنْكِرْخَانَ

- ٢٥٠٣ - يَا وَيْلَهُمْ وَلَوْ نَتَّيَجْ فِكْرِهِمْ
وَقَضَوْا بِهَا قَطْعًا عَلَى الْقُرْآنِ
- ٢٥٠٤ - وَرُذَالُهُمْ وَلَوْ إِشَارَاتِ ابْنِ سَيِّدِنَا حِينَ
وَلَوْ مَنْطِقَ الْيُونَانِ
- ٢٥٠٥ - وَأَنْظُرْ إِلَى نَصِّ الْكِتَابِ مُجَدَّلًا
وَسَطَ الْعَرَبِينَ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ
- ٢٥٠٦ - بِالطَّعْنِ بِالْإِجْمَالِ وَالْإِضْمَارِ وَالتَّحْصِيسِ
وَالتَّأْوِيلِ بِالْبُهْتَانِ
- ٢٥٠٧ - وَبِالِاشْتِرَاكِ وَبِالْمَجَازِ وَحَذْفِ مَا
شَاءُوا بِدَعْوَاهُمْ بِلَا بُرْهَانِ
- ٢٥٠٨ - وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ
بَيْنَ الْخُصُومِ وَمَا لَهُ مِنْ شَانِ
- ٢٥٠٩ - وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يُقْبَلُ قَوْلُهُ
فِي الْعِلْمِ بِالْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ
- ٢٥١٠ - لَكِنَّمَا الْمَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا
أَحْكَامُهُ لَا يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ
- ٢٥١١ - يَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَجُنُودُهُ
بِدِمَائِهِمْ وَمَدَامِعِ الْأَجْفَانِ
- ٢٥١٢ - عَهْدُوهُ قَدَمًا لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ
وَسِوَاهُ مَعْرُوضٌ عَنِ السُّلْطَانِ
- ٢٥١٣ - إِنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُولِ
لِ هَمَّا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانِ
- ٢٥١٤ - فَآتَاهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ
فِي حُكْمِ جَنْكِزْ خَانَ ذِي الطُّغْيَانِ
- ٢٥١٥ - بِجُنُودِ تَعْطِيلٍ وَكُفْرَانٍ مِنْ أَلْمَنْغُولِ ثُمَّ الْبَلَّاصِ وَالْعَلَّانِ
فَعَلُّوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا
- ٢٥١٦ - فَعَلُّوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا
فَعَلُّوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا
- ٢٥١٧ - وَاللَّهُ مَا انْقَادُوا لِجَنْكِزْ خَانَ حَتَّى
تَى أَعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
- ٢٥١٨ - وَاللَّهُ مَا وَلَّوهُ إِلَّا بَعْدَ عَزْ
لِ الْوَحْيِ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ إِيقَانِ

- ٢٥١٩- عَزَلُوهُ عَن سُلْطَانِهِ وَهُوَ الْيَقِينُ نُنِ الْمُسْتَفَادُ لَنَا مِنَ السُّلْطَانِ
- ٢٥٢٠- هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتَّى تَى تَمَمُوا الْكُفْرَانَ بِالْبُهْتَانِ
- ٢٥٢١- جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضَّهُوهُ أَكْ سَوَاعًا مُعَدَّةً مِنَ النُّقْصَانِ
- ٢٥٢٢- مِنْهَا انْتِفَاءً خُرُوجِهِ مِنْ رَبَّنَا لَمْ يَبْدُ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ
- ٢٥٢٣- لَكِنَّهُ خَلَقَ مِنَ اللَّوْحِ ابْتَدَا أَوْ جِبْرِئِيلَ أَوْ الرَّسُولِ الثَّانِي
- ٢٥٢٤- مَا قَالَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى لَيْسَ الْكَلَامُ بِوَصْفِ ذِي الْغُفْرَانِ
- ٢٥٢٥- تَبَّ لَهُمْ سَلْبُوهُ أَكْمَلَ وَصَفِهِ عَضَّهُوهُ عَضَهُ الرَّيْبِ وَالْكُفْرَانِ
- ٢٥٢٦- هَلْ يَسْتَوِي - بِاللَّهِ - نَسْبَتُهُ إِلَى بَشَرٍ وَنَسْبَتُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ؟
- ٢٥٢٧- مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنُ صِفَاتِهِ؟ اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
- ٢٥٢٨- بَيْنَ الصِّفَاتِ وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا بَيْنَ الْإِلَهِ وَهَذِهِ الْأَكْوَانِ

الشرح

تقدّم أن أهل التعطيل والإلحاد عزلوا القرآن عن إفادة العلم واليقين، وجعلوا الذي يفيد العلم واليقين هو العقل، وتعلّلوا بتعاليل كلّها عليلّة، وكلّها إن صدقوا في دعواها، فإنها لبّست عليهم؛ لأنّ قلوبهم مغمورة بمعاصيهم وسوء قصودهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا سَطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ [القم: ١٥] وكما قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

فالذي لا يعرف للقرآن حرّمته ولا للسنة حرّمته فالبلاء في قلبه.

يقول - رحمه الله -:

٢٤٩٨- فَاَنْظُرْ إِلَى الْإِسْلَامِ كَيْفَ بَقَاؤُهُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ؟

وصدق، كيف يبقى الإسلام ونحن نقول: إنَّ الأصلين العظيمين اللذين تركز عليهما أحكامه لا يُفِيدَانِ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ، بل لا يفيدان شيئاً على زعمهم؟! إذا قالوا: إنها تحتملُ كذا وتحتملُ كذا، وهي مُجْمَلَةٌ وتحتاجُ إلى بيانٍ وما أشبه ذلك، معناه أنَّ الدلالة رُفِعَتْ فِيهَا إِطْلَاقًا، فأين يبقى الإسلام؟ الجواب: لا يبقى شيءٌ، نسأل الله العافية.

٢٤٩٩- وَأَنْظُرْ إِلَى الْقُرْآنِ مَعْرُوزًا لَدَيْهِمْ عَنْ نُفُوزِ وَلايَةِ الْإِيْقَانِ

فهو - عندهم - معزولٌ عن اليقين، لا يمكنُ أن يدلَّ على اليقين أبدًا.

٢٥٠٠- وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعْرُوزًا لَدَيْهِمْ لَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

٢٥٠١- وَاللَّهِ مَا عَزَلُوهُ تَعْظِيمًا لَهُ أَيُّظُنُّ ذَلِكَ قَطُّ ذُو عِرْفَانٍ؟!

ما عزلوا القرآنَ والسُّنَّةَ تَعْظِيمًا لهما عن دلالة اليقين، ولكن استهانةً بهما؛ لأنهم لو عَظَّمُوا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ حَقَّ التَعْظِيمِ؛ لأخذوا بها دَلَالًا عَلَيْهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ فِيهَا مِنَ الْيَقِينِ وَالْعُلُومِ مَا لَيْسَ فِي عَقُولِهِمْ.

٢٥٠٢- يَا لَيْتَهُمْ إِذْ يَحْكُمُونَ بِعِزْلِهِ لَمْ يَرْفَعُوا رَايَاتِ جَنْكِزْخَانَ

يعني أنهم جمعوا - والعياذ بالله - بين التفریط والتنقيص للكتاب والسُّنَّةِ وبين رفعِ راية الكفر والطغيان، فصاروا ينادون بما قاله جنكيز خان وغيره من أئمة الملاحدة، وَيَدْعُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

٢٥٠٣- يَا وَيْلَهُمْ وَلَوْ نَتَّيَجُ فِكْرِهِمْ وَقَضَوْا بِهَا قَطْعًا عَلَى الْقُرْآنِ

يعني: أنهم رجعوا إلى الأفكار وتركوا القرآن وجعلوها هي الحاكمة عليه.

٢٥٠٤- وَرُذَالُهُمْ وَلَوْ إِشَارَاتِ ابْنِ سِينَا حِينَ وَلَوْ مَنْطِقَ الْيُونَانِ

الأراذل منهم صاروا مقلدين لابن سينا في إشاراتِهِ وتابعين للمنطق اليوناني، وإنما نسبه إلى اليونان؛ لأنَّ هذا البلاء الذي أصاب الأمة الإسلامية إنما جاء حين عرَّبت الكتب اليونانية والرومانية كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

٢٥٠٥- وَأَنْظُرْ إِلَى نَصِّ الْكِتَابِ مُجَدَّلًا وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ

قوله: «مجدلاً» في نسخة: «مجدلاً» بالنون، وكلاهما لغة، فيصح.

يعني أن القرآن مجدل كما تجدل الميتات عند عربن الأسد ممزقة اللحمان، أي أنهم لم يرفعوا به رأساً، ولم يبالوا به، ولم يرجعوا إليه.

٢٥٠٦- بِالطَّعْنِ بِالْإِجْمَالِ وَالْإِضْمَارِ وَالنَّ تَخْصِيصِ وَالتَّأْوِيلِ بِالْبُهْتَانِ

٢٥٠٧- وَبِالِاشْتِرَاكِ وَبِالْمَجَازِ وَحَذْفِ مَا شَاءُوا بِدَعْوَاهُمْ بِلَا بُرْهَانِ

كل هذه عيوب في الكلام يرمون بها القرآن والسنة، مرة يقول: مجمل، ومرة يقول: يحتاج إلى إضمار، ومرة يقول: هذا خاص أو عام مخصوص، مرة يقول بالتأويل، وليس بتأويل حق، بل هو تأويل بهتان وكذب، ومرة يقول: هذا مشترك يحتمل معنيين، ومرة يقول: هذا مجاز لا يراد به الحقيقة، وهكذا.

٢٥٠٨- وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ بَيْنَ الْخُصُومِ وَمَا لَهُ مِنْ شَانٍ

قَوْلُهُ: «وَانظُرْ إِلَيْهِ» يعني: إلى القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ بَيْنَ الْخُصُومِ»؛ لَأَنَّ الْحُكْمَ عِنْدَهُمْ لِلْعَقْلِ، فَالْقُرْآنُ

لَيْسَ بِحَاكِمٍ، بَلْ مَعزُورٌ عَنِ الْحُكْمِ.

٢٥٠٩- وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي الْعِلْمِ بِالْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ

يَعْنِي: لَا يُقْبَلُ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ أَوْصَافِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٥١٠- لَكِنَّمَا الْمَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا أَحْكَامُهُ لَا يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا الْمَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا أَحْكَامُهُ» يعني: لا أحكام القرآن.

قَوْلُهُ: «لَا يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ» وفي نسخة: «الْحُكْمَانِ» وكلاهما صحيح؛ لَأَنَّ

الْحُكْمَ حَاكِمٌ، وَإِذَا كَانَ حُكْمَانِ صَارَ الْحُكْمُ حُكْمَيْنِ.

٢٥١١- يَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَجُنُودُهُ بِدِمَائِهِمْ وَمَدَامِعِ الْأَجْفَانِ

قَوْلُهُ: «يَبْكِي عَلَيْهِ» يعني: على القرآن أو الإسلام الذي مصدره القرآن.

٢٥١٢- عَهْدُوهُ قَدَمًا لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ وَسِوَاهُ مَعزُورٌ عَنِ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «عَهْدُوهُ» الضمير يعود على القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ» وكان هذا في زمن الصحابة والتابعين وتابعي

التابعين؛ لَأَنَّ الْكُتُبَ الرُّومِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ إِنَّمَا عُرِّبَتْ بَعْدَ انْقِضَاءِ تَابِعِي التَّابِعِينَ،

وَكَانَ النَّاسُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ عَلَى النُّهْجِ الْمُسْتَقِيمِ لَا يَرْجِعُونَ إِلَّا إِلَى الْقُرْآنِ

وَالسُّنَّةِ.

٢٥١٣- إِنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُولِ لِي هُمَا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانَ
قَوْلُهُ: «إِنْ غَابَ» يعني القرآن.

قَوْلُهُ: «نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُولِ هُمَا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانَ» يعني: إذا
لم يجدوا في كتاب الله رجعوا إلى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -عليه الصلاة والسلام-.

٢٥١٤- فَآتَاهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ فِي حُكْمِ جَنْكِزْ خَانَ ذِي الطُّغْيَانِ
أَتَاهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ وَحُسْبَانِهِمْ مَعَ جُنُودِ جَنْكِزْ خَانَ وَأَحْكَامِهِ.

٢٥١٥- بِجُنُودٍ تَعْطِيلٍ وَكُفْرَانٍ مِنَ الْ
مَنْغُولِ ثُمَّ اللَّاصِ وَالْعَلَانِ
المنغول هم المغول الذين خرجوا على الأمة الإسلامية، وهم التتر، وحصل
منهم شرٌّ عظيمٌ، تحدّث عنه ابن الأثير -رحمه الله- في كتابه: (الكامل في علم
التاريخ) ويُسمّى (النهاية) وذكر أشياءً مَوْجَعَةً جَدًّا.

٢٥١٦- فَعَلُوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا فَعَلُوا بِأُمَّتِهِ مِنَ الْعُدْوَانِ
يعني أنّ هؤلاء الطوائف الثلاث: المنغول، واللاص، والعلان، فعلوا بملة
الرسول ﷺ وسنّته كما فعلوا بأُمَّته من العُدوان.

٢٥١٧- وَاللَّهُ مَا انْقَادُوا لِجَنْكِزْ خَانَ حَتَّى أَعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
وصدق -رحمه الله تعالى-، فما انقاد هؤلاء لمتابعة جنكيز خان إلا بعد أن
أعرضوا عن القرآن؛ وذلك لأنّ قلوبهم لو كانت مشغولةً بالقرآن ما انشغلت
بغيره، لكن إذا كان القلب فارغًا -والعياذ بالله- صارت الأهواء تتقاذفه حتى
يضلّ.

٢٥١٨- وَاللَّهُ مَا وَلَّوْهُ إِلَّا بَعْدَ عَزْرِ لِ الْوَحْيِ عَنِ عِلْمٍ وَعَنِ إِيقَانِ
يعني: ما جعلوا الولاية له والاتباع له إلا بعد عزل الوحي عن علم وعن
إيقان.

٢٥١٩- عَزَلُوهُ عَنِ سُلْطَانِهِ وَهُوَ الْيَقِينُ نُنُ الْمُسْتَفَادُ لَنَا مِنَ السُّلْطَانِ
قَوْلُهُ: «عَزَلُوهُ عَنِ سُلْطَانِهِ» أي: عزلوا الوحي.

٢٥٢٠- هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتَّى تَمَّمُوا الْكُفْرَانَ بِالْبُهْتَانِ
يعني: أنهم نفوا أن يكون القرآن حكماً في باب الصفات، وجعلوا الحكم هو
العقل، وعللوا ذلك بأن النصوص لا يُستفاد منها اليقين - كما سبق - لثلاثة
احتمالات؛ لأن الدلالة تختلف، ولأن الإسناد قد يكون ضعيفاً، ولأنه قد يعارض
بالعقل.

هنا يقول: إنهم تمموا الكفران بالبهتان.

٢٥٢١- جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضُّهُ أَنْ سَوَاعًا مُعَدَّةً مِنَ النَّفْصَانِ
قَوْلُهُ: «جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضُّهُ» يعني: جعلوه أعضاء.

٢٥٢٢- مِنْهَا انْتِفَاءٌ خُرُوجِهِ مِنْ رَبِّنَا لَمْ يَيْدِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ

٢٥٢٣- لَكِنَّهُ خَلَقَ مِنَ اللَّوْحِ ابْتَدَاءً أَوْ جِبْرِئِيلَ أَوْ الرَّسُولِ الثَّانِي
قَوْلُهُ: «مِنْهَا»: أي: من هذه الأنواع.

إذا قالوا: إن القرآن ليس كلام الله، إنما هو مأخوذ من اللوح المحفوظ، أو
إن جبريل تكلم به، أو إن محمداً تكلم به فهذا بلا شك تنقُص للقرآن، وجهه:

ذكره المؤلف بقوله:

٢٥٢٤- مَا قَالَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى لَيْسَ الْكَلَامُ بِوَصْفِ ذِي الْغُفْرَانِ

٢٥٢٥- تَبَّالَهُمْ سَلْبُوهُ أَكْمَلَ وَصْفِهِ عَضُّهُوَ عَضُّهُ الرَّيْبِ وَالْكَفْرَانِ

٢٥٢٦- هَلْ يَسْتَوِي - بِاللَّهِ - نِسْبَتُهُ إِلَى بَشَرٍ وَنِسْبَتُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ؟

الجواب: لا، إذا قالوا: القرآنُ كلامُ جبريل، القرآنُ كلامُ الرسولِ الثاني وهو محمد - عليه الصلاة والسلام -، القرآنُ أُخِذَ من اللوح المحفوظ وليس كلامَ الله، لا شكَّ أنَّ هذا تنقُّصٌ له، فلا يستوي كلامُ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ وكلامُ الخلقِ مهما كانوا.

لَمَّا بَيَّنَّ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ الَّذِينَ يَنْسُبُونَ الْقُرْآنَ إِلَى كَلَامِ الْبَشَرِ أَوْ الْمَلِكِ أَنَّ هَذَا تَنْقُصٌ لِلْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَوِي أَنْ يُنْسَبَ الْقُرْآنُ لِلَّهِ، وَأَنْ يُنْسَبَ لِلْبَشَرِ، فَإِنَّهُ إِذَا تُسِبَّ لِلْبَشَرِ - وَهُوَ مِنَ اللَّهِ - فَهَذَا تَنْقُصٌ لِلَّهِ، لَمَّا بَيَّنَّ ذَلِكَ قَالَ:

٢٥٢٧- مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنٌ صِفَاتِهِ؟ اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنٌ صِفَاتِهِ؟» يعني: كيف ينال المخلوق عينَ صفة الخالق، وهو هنا كلامه.

وقَوْلُهُ: «عَيْنٌ صِفَاتِهِ» وفي نسخة: «عِزٌّ صِفَاتِهِ» أي: عزُّ صفاتِ الله وعظمَةُ صفاتِ الله لا يمكنُ أن تكونَ لكلامِ المخلوق.

قَوْلُهُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ»؛ ولهذا قال الله - سبحانه وتعالى - لِلَّذِي قَالَ: إنه قولُ البشر: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ۖ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا سَقَرُوا ۖ لَا يُبْقِي وَلَا نَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨] نعوذُ بالله.

٢٥٢٨- بَيْنَ الصِّفَاتِ وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا بَيْنَ الْإِلَهِ وَهَذِهِ الْأَكْوَانِ

يعني: بين صفات البشر وصفات الخالق كما بين الخالق والمخلوق؛ ولهذا كان من القواعد المقررة عند أهل السنة أن الصفات يُحْدَى بها حدو الذات، يعني أن صفات الخالق تليقُ به وتختصُّ به، وصفات المخلوق تليقُ به وتختصُّ به.

خلاصة هذا البحث كُله: أَنَّ ابْنَ الْقِيَمِ -رحمه الله تعالى- يَبَيِّنُ أَنَّ هَؤُلَاءِ عَزَلُوا دَلَالَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَنِ الْيَقِينِ، وَقَالُوا: الْيَقِينُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

أَيْضًا نَفَوْا أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللَّهِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَخَذَهُ جَبْرِيلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أَوْ إِنَّ جَبْرِيلَ تَكَلَّمَ بِهِ تَعْبِيرًا عَنِ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ إِنَّ مُحَمَّدًا تَكَلَّمَ بِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] وهو جبريل، ويقول: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] فالرسول الكريم هنا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-.

٢٥٢٩- هَذَا وَقَدْ عَضَّهُوهُ أَنَّ نُصُوصَهُ مَعْرُوْلَةٌ عَنِ إِمْرَةِ الْإِبْقَانِ

٢٥٣٠- لَكِنَّ غَايَتَهَا الظُّنُونُ وَلَيْتَهُ ظَنًّا يَكُونُ مُطَابِقًا بَيِّنًا

٢٥٣١- لَكِنَّ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنُّهَا مَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَنَا بِوَرَانِ

٢٥٣٢- إِلَّا إِذَا مَا أَوْلَتْ فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوْ النُّقْصَانِ

٢٥٣٣- أَوْ بِالْكَنْيَاةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْبِئِهِ وَأَنْوَاعِ الْمَجَازِ الثَّانِي

- ٢٥٢٤- فَالْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ وَالظَّنُّ مِنْهُ فِي كَذَلِكَ فَانْتَفَى الْأَمْرَانِ
 ٢٥٢٥- فَلِمَ الْمَلَامَةُ إِذْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَدَ لَيْنَا الْعُقُولَ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانَ؟!
 ٢٥٢٦- فَاللَّهُ يُعْظِمُ فِي النُّصُوصِ أُجُورَكُمْ يَا أُمَّةَ الْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٥٢٧- مَاتَتْ لَدَى الْأَقْوَامِ لَا يُحْيُونَهَا أَبَدًا وَلَا تُحْيِيهِمْ لِهَوَانِ

الشرح

- ٢٥٢٩- هَذَا وَقَدْ عَضَّهُوهُ أَنْ نُصُوصَهُ مَعْرُوزَةٌ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ
 كُلُّ هَذَا فِي الْحَقِيقَةِ كَرَّرَهُ الْمُؤَلِّفُ لِأَهْمِيَّتِهِ، أَي: أَنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى الْيَقِينِ.
 ٢٥٣٠- لَكِنَّ غَايَتَهَا الظُّنُونُ وَلَيْتَهُ ظَنًّا يَكُونُ مُطَابِقًا بَيِّنًا
 يعني: هي دلالتها ظنيَّة، ومع ذلك ليتها تكون مطابقةً.
 ٢٥٣١- لَكِنَّ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنُّهَا مَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَنَا بِوِزَانِ
 فمثلاً يقولون: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] ظاهره أن الله هو الذي
 يجيء، وهذا ليس بمراد، بل المراد (جاء أمر ربك) هذا هو الحقيقة.
 ٢٥٣٢- إِلَّا إِذَا مَا أَوْلَتْ فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوْ النُّقْصَانِ
 ٢٥٣٣- أَوْ بِالْكِنَايَةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْبِهُهِ وَأَنْوَاعِ الْمَجَازِ الثَّانِي

هنا ذكر المؤلف - رحمه الله - أنواع المجاز.

قوله: «فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوْ النُّقْصَانِ» أي: أن المجاز يكون بالزيادة أحياناً، ويكون بالنقص أحياناً.

فقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] - على زعمهم - فيه مجازٌ بالنقص، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فيه مجازٌ بالزيادة، وهي الكاف، قالوا: والتقدير: (ليس مثله).

قَوْلُهُ: «أَوْ بِالْكِنَايَةِ» يعني: كنايةً عن كذا، فـ(اليدُ) عندهم كنايةٌ عن القدرة أو النعمة.

قَوْلُهُ: «أَوْ اسْتِعَارَاتٍ» وهذا أيضًا نوعٌ من أنواع المجاز، والاستعارةُ أن يُجْعَلَ المُشَبَّهُ عَيْنَ المُشَبَّهِ بِهِ، فتقولُ مثلًا: (رأيتُ بحرًا لا تنقضي نقودُهُ) يعني كريماً، هذا يسمونه استعارة.

قَوْلُهُ: «أَوْ التَّشْبِيهِ» يعني: وليس على سبيل الحقيقة.

قَوْلُهُ: «وَأَنْوَاعِ الْمَجَازِ الثَّانِي» هل هناك مجازٌ أوَّلٌ وثانٍ؟

الجواب: لا، لكن المجاز هو الثاني بالنسبة للحقيقة، فـ (الثاني) في قوله: (المجاز الثاني) صفةٌ كاشفةٌ؛ لأنَّ المجازَ في المرتبة الثانية في الدلالة.

٢٥٣٤ - فَالْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ وَالظَّنُّ مَنْ - فِي كَذَلِكَ فَانْتَقَى الْأَمْرَانَ

إِذْنُ الْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ، وَالظَّنُّ لَيْسَ يُفِيدُهُ أَيضًا، إِذَا كَانَتْ الدَّلَالَةُ الْآنَ لَيْسَتْ قَطْعِيَّةً وَلَا ظَنِّيَّةً لَمْ تُثَبِّتْ إِطْلَاقًا، وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ.

٢٥٣٥ - فَلِمَ الْمَلَامَةُ إِذْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَدَ لَيْنَا الْعُقُولَ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانَ؟!

يعني: إذا كانت لا تدلُّ على شيءٍ فلماذا تلوموننا إذا قلنا: إذا كانت النصوصُ لا تدلُّ على شيءٍ، فالواجبُ الرجوعُ إلى العقل؟!

٢٥٣٦- فَاللَّهُ يُعْظِمُ فِي النُّصُوصِ أُجُورَكُمْ يَا أُمَّةَ الْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٥٣٧- مَاتَتْ لَدَى الْأَقْوَامِ لَا يُحْيِيوَنَهَا أَبَدًا وَلَا تُحْيِيهِمْ لِهَوَانِ
 يُعْزِي أُمَّةَ الْقُرْآنِ وَالْأَنْبَارِ، وَيَقُولُ لَهَا: اللَّهُ يُعْظِمُ أُجْرَكُمْ؛ لِأَنَّ النُّصُوصَ
 مَاتَتْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَا يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى شَيْءٍ وَهِيَ لَا تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ فِي نَفْسِ الْوَاقِعِ
 فَهَذَا مَوْتُهَا.

قَوْلُهُ: «لَا يُحْيِيوَنَهَا أَبَدًا وَلَا تُحْيِيهِمْ لِهَوَانِ» هُمْ لَا يُحْيِيوَنَهَا وَلَا يَرْفَعُونَهَا، وَهِيَ
 أَيْضًا لَا تُحْيِيهِمْ، بَلْ تُهَيِّنُهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسًا بِالْقُرْآنِ لَمْ يَرْفَعْهُ اللَّهُ.

٢٥٣٨- هَذَا وَقَوْلُهُمْ خِلَافُ الْحِسِّ وَالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
 ٢٥٣٩- مَعَ كَوْنِهِ أَيْضًا خِلَافَ الْفِطْرَةِ الَّتِي
 ٢٥٤٠- فَاللَّهُ قَدْ فَطَرَ الْعِبَادَ عَلَى التَّفَاوُتِ
 ٢٥٤١- كُلُّ يَدُلُّ عَلَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ
 ٢٥٤٢- فَتَرَى الْمُخَاطَبَ قَاطِعًا بِمُرَادِهِ
 ٢٥٤٣- إِذْ كُلُّ لَفْظٍ غَيْرِ لَفْظِ نَبِيِّنَا
 ٢٥٤٤- حَاشَا كَلَامَ اللَّهِ فَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي
 ٢٥٤٥- لَمْ يَفْهَمِ الثَّقَلَانِ مِنْ لَفْظٍ كَمَا
 ٢٥٤٦- فَهُوَ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى التَّبْيَانِ كَاسِ
 مَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
 أُولَى وَسُنَّةِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ
 هُمْ بِالْخِطَابِ لِمَقْصِدِ التَّبْيَانِ
 بِكَلَامِهِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ
 هَذَا مَعَ التَّقْصِيرِ فِي الْإِنْسَانِ
 هُوَ دُونَهُ فِي ذَا بِلَانِكُرَانِ
 قُصُوى لَهُ أَعْلَى ذُرَى التَّبْيَانِ
 فَهَمُّوا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 تَبْيَانِهِ حَقًّا عَلَى الْإِحْسَانِ

- ٢٥٤٧- مَا بَعْدَ تَبْيَانِ الرَّسُولِ لِنَاطِرِ
إِلَّا الْعَمَى وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَانَ
- ٢٥٤٨- فَانظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلِ
مَنْ صَحِبَهُ عَنِ رُؤْيَا الرَّحْمَنِ:
- ٢٥٤٩- حَقًّا تَرَوْنَ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اللَّقَا
رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
- ٢٥٥٠- كَالْبَدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ وَالشَّمْسِ فِي
نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ
- ٢٥٥١- بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَيْنَا لَهُ
فَأَتَى بِأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعِيَانِ
- ٢٥٥٢- وَنَفَى السَّحَابَ وَذَلِكَ أَمْرٌ مَانِعٌ
مِنْ رُؤْيَا الْقَمَرَيْنِ فِي ذَا الْآنِ
- ٢٥٥٣- فَأَتَى إِذْنُ بِالْمُقْتَضِي وَنَفَى الْمَوَا
نِعَ خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْيَانِ
- ٢٥٥٤- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ، مَا هَذَا الَّذِي
يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا بَيَانِ؟
- ٢٥٥٥- مَاذَا يَقُولُ الْقَاصِدُ التَّبْيَانِ يَا
أَهْلَ الْعَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ؟
- ٢٥٥٦- فَبِأَيِّ لَفْظٍ جَاءَكُمْ قُلْتُمْ لَهُ:
ذَا اللَّفْظُ مَعْرُوضٌ عَنِ الْإِيقَانِ
- ٢٥٥٧- وَضَرَبْتُمْ فِي وَجْهِهِ بِعَسَاكِرِ الثِّ
تَأْوِيلِ دَفْعًا مِنْكُمْ بِلِيَانِ
- ٢٥٥٨- لَوْ أَنَّكُمْ وَاللَّهِ عَامَلْتُمْ بِذَا
أَهْلَ الْعُلُومِ وَكُتِبَتْ لَهُمْ بِوِزَانِ
- ٢٥٥٩- فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَا
وَعَدَتْ عُلُومُ النَّاسِ ذَاتَ هَوَانِ
- ٢٥٦٠- هَذَا وَلَيْسُوا فِي بَيَانِ عُلُومِهِمْ
مِثْلَ الرَّسُولِ وَمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

الشرح

- ٢٥٣٨- هَذَا وَقَوْلُهُمْ خِلَافُ الْحِسِّ وَالْ
مَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

٢٥٣٩- مَعَ كَوْنِهِ أَيْضًا خِلَافَ الْفِطْرَةِ أَلْ أُولَى وَسُنَّةِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُهُمْ» يعني أن أدلة الكتاب والسنة ظنية، وهي أيضًا ظواهر لا تنفيذ اليقين، يقول: إن قولهم هذا خلاف العقل، والنقل، والفترة.

٢٥٤٠- فَاللَّهُ قَدْ فَطَرَ الْعِبَادَ عَلَى التَّفَا هُمْ بِالْخِطَابِ لِمَقْصِدِ التَّبَيَّنِ

الناس مفطورون على التفاهم ليعبروا عما في نفوسهم بطريق التفاهم، أي: بالخطاب.

٢٥٤١- كُلُّ يَدُلُّ عَلَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ بِكَلَامِهِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ

فأنت لا تعلم ما في نفسي إلا بما أعبر به، وأنا لا أعلم ما في نفسك إلا بما تعبر به، فالمعبر يريد أن يدل الناس على ما في قلبه.

٢٥٤٢- فَتَرَى الْمُخَاطَبَ قَاطِعًا بِمُرَادِهِ هَذَا مَعَ التَّقْصِيرِ فِي الْإِنْسَانِ

المخاطب (المتكلم) حينما يتكلم فهو قاطع بمراده، يعني: يعلم ما أراد ويقطع به، وليس عنده شك في ذلك.

ويجوز أن يكون المراد: ترى المخاطب قاطعًا بمراد المتكلم، هذا مع التقصير في الإنسان.

والمعنيان كلاهما صحيح: فالتكلم يقطع بمراده، ويريد المعنى الذي يقوله إذا كان عاقلاً، والمخاطب كذلك يقطع - أحياناً - بمراد المتكلم، مع أن الإنسان قاصر في الفهم، هذا إذا قلنا: (المخاطب)، وإذا قلنا: (المخاطب) فالتكلم قاصر في التعبير، قد لا يستطيع أن يعبر عما في نفسه، والمخاطب قاصر في الفهم، قد لا يستطيع فهم كلام المتكلم، ومع ذلك يقطع المخاطب والمخاطب بمراد المتكلم.

٢٥٤٣- إِذْ كُلُّ لَفْظٍ غَيْرِ لَفْظِ نَبِيِّنَا هُوَ دُونَهُ فِي ذَا بِلَانِكِرَانِ

وصدق - رحمه الله -، فجميعُ كلامِ الوَرَى دونِ كلامِ رسولِ الله ﷺ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَفْصَحُ الْخَلْقِ بِلَا مَنَازِعٍ، ثُمَّ اسْتَشْنَى فَقَالَ:

٢٥٤٤- حَاشَا كَلَامَ اللَّهِ فَهُوَ الْغَايَةُ الـ قُضْوَى لَهُ أَعْلَى ذُرَى التَّبْيَانِ

صدق، يعني: إلاً كلامَ الله، فإنه أَيْبُنُ من كلامِ الرسول ﷺ؛ لأنَّ كَلَامَ اللَّهِ أَيْبُنُ الْكَلَامِ، وَأَفْصَحُ الْكَلَامِ، وَأَوْضَحُ الْكَلَامِ، لَكِنَّ أَفْهَامَنَا قَاصِرَةٌ ضَعِيفَةٌ، لَا نَفْهَمُ هَذَا الْكَلَامَ الْعَظِيمَ حَقَّ الْفَهْمِ؛ وَلِذَلِكَ قَدْ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ أَيْبَنَ الْكَلَامِ.

وهذا لاشكَّ أنه قد يكونُ صادقاً، وذلك من قصوره أو تقصيره، أمَّا حقيقةُ الأمرِ فوالله إنَّ كَلَامَ اللَّهِ أَيْبُنُ الْكَلَامِ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ مُحْضِرًا مُلْتَزِمًا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧] أي: فَادْكُرُوا؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ مُيسَّرٌ، لَكِن مَعَ الْأَسْفِ فَإِنَّا - وَلَا سِيْمَا فِي هَذَا الْعَصْرِ - إِنَّمَا يَتْلُو الْقُرْآنَ أَكْثَرُنَا لِلتَّبَرُّكِ بِهِ، وَنِيلِ الثَّوَابِ بِقِرَاءَتِهِ، لَا لِلتَّدْبِيرِ، وَتَفْهَمُ الْمَعْنَى؛ وَلِذَلِكَ حُجِبَ عَنَّا مَعْنَاهُ الْعَظِيمُ، وَصَارَ صَعْبًا عَلَيْنَا.

٢٥٤٥- لَمْ يَفْهَمِ الثَّقَلَانِ مِنْ لَفْظِ كَمَا فَهَمُوا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

وهذا صحيحٌ، يعني: لم يفهم الثقلان: (الجنُّ والإنس) كما فهموا من القرآن والأخبار، وذلك فيمنَ فهمه صحيحٌ، ولغته صحيحةٌ، أمَّا العامِّيُّ فإنه يأتيه عامِّيٌّ متعجرفٌ ويفهم من كلامه أكثر مما يفهم من كلامِ الله ورسوله؛ لأنه عامِّيٌّ لا يعرف، لكن مراده بالناس: الذين أعطاهم الله تعالى صححة الفهم ومعرفة اللغة.

٢٥٤٦- فَهَوَ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى التَّبْيَانِ كَأْسٌ - تِيْلَائِهِ حَقًّا عَلَى الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «اسْتَوَى عَلَى التَّبْيَانِ» أي: التوضيح.

قَوْلُهُ: «كَاسْتِيْلَائِهِ حَقًّا عَلَى الْإِحْسَانِ» أي: الفصاحة والكمال، فالقرآن كاملٌ

في تبيانه، وفي فصاحته وبلاغته.

٢٥٤٧- مَا بَعْدَ تَبْيَانِ الرَّسُولِ لِنَاطِرٍ إِلَّا الْعَمَى وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَانَ

وهذا صحيحٌ، فهل بعد بيان الرسول بيان؟ الجواب: أبدًا، لكن الأعمى

لا يُحْسُّ به.

قَوْلُهُ: «وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَانَ» يعني: عميان البصائر، لا عميان البصر.

٢٥٤٨- فَانظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلٍ مِنْ صَاحِبِهِ عَنِ رُؤْيَا الرَّحْمَنِ:

٢٥٤٩- حَقًّا تَرَوْنَ إِلَهُكُمْ يَوْمَ اللَّقَا رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ

قَوْلُهُ: «انظُرْ» يعني: انظر أيها الإنسان نظرًا تأملًا.

انظر إلى قول الرسول لمن؟ قال: (لسائلٍ من صحبه) يعني: من الصحابة.

قَوْلُهُ: «عَنِ رُؤْيَا» متعلقٌ بسائل.

رَجُلٌ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّكُمْ

سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا

سَحَابٌ»^(١)، وهل هناك شيءٌ أبين من هذا؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب

الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

٢٥٥٠- كَالْبَدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ وَالشَّمْسِ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَالشَّمْسِ» يعني: وكالشمس.

قَوْلُهُ: «فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ»؟ قوله: «ما هما»، أي: المرثيان، يعني: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، لا على أَنَّ اللهَ مِثْلُ الشَّمْسِ أو مِثْلُ الْقَمَرِ؛ ولذا قال:

٢٥٥١- بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَيْنَا لَهُ فَآتَى بِأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعِيَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَيْنَا لَهُ» أي: قصدُ النَّبِيِّ ﷺ حين قال: «تَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ»، تحقيقُ الرؤية؛ ولهذا دخلت الكاف على المصدر المؤول من الفعل: «تَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ» أي: كرؤيتكم، ولم تدخل على المُشَبَّه به، يعني: لم يقل: إنكم ترون ربكم كالقمر، بل قال: «كَمَا تَرُونَ»، فالتشبيهُ إِذْنٌ للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي.

٢٥٥٢- وَنَفَى السَّحَابَ وَذَاكَ أَمْرٌ مَانِعٌ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَمَرَيْنِ فِي ذَا الْآنِ

قَوْلُهُ: «نَفَى السَّحَابَ» أي: في قوله: «صَحُوا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ».

قَوْلُهُ: «فِي ذَا الْآنِ» أي في حال وجود السحاب، فَإِنَّ السَّحَابَ يَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَمِنْ رُؤْيَةِ الْقَمَرِ.

٢٥٥٣- فَآتَى إِذْنَ بِالْمُقْتَضِي وَنَفَى الْمَوَا نِعَ خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «آتَى إِذْنَ بِالْمُقْتَضِي» أي: أتى بالمقتضي للرؤية، وهو الصَّحْوُ.

قَوْلُهُ: «وَنَفَى الْمَوَانِعَ» وهو قوله: «لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ».

ومعلومٌ أنه إذا وُجِدَ المقتضي وانتفى المانعُ ثَبَّتَ الْحُكْمُ.

قَوْلُهُ: «خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْيَانِ» يعني: لتلا يكون هناك تقصيرٌ في البيان.

٢٥٥٤- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا بَيَانٍ؟

قَوْلُهُ: «مِنْ بَعْدِ ذَا بَيَانٍ» وفي نسخة: (مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ).

يعني: هل يمكن لأحد أن يأتي ببيان أحسن من هذا البيان؟ الجواب: لا.

٢٥٥٥- مَاذَا يَقُولُ الْقَاصِدُ التَّبْيَانِ يَا أَهْلَ الْعَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ؟

ماذا يقول؟ الجواب: لا يقول شيئاً، فليس هناك أبين من هذا.

٢٥٥٦- فَبِأَيِّ لَفْظٍ جَاءَ كُمْ قُلْتُمْ لَهُ: ذَا اللَّفْظُ مَعْرُوضٌ عَنِ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «جَاءَ كُمْ» يعني محمداً -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ لَهُ: ذَا اللَّفْظُ مَعْرُوضٌ عَنِ الْإِيقَانِ» حتى لو قاله النَّبِيُّ ﷺ مباشرةً

وجهاً لوجه، قالوا: هذا الكلام معزول عن اليقين، هذا يفيد الظن ولا يفيد اليقين.

٢٥٥٧- وَضَرَبْتُمْ فِي وَجْهِهِ بَعْسَاكِرِ التُّنْجِ تَأْوِيلٌ دَفْعًا مِنْكُمْ بِلَيَانٍ

قَوْلُهُ: «دَفْعًا مِنْكُمْ بِلَيَانٍ» يعني: تسهياً للأمر؛ لأنهم لا يستطيعون أن

يقولوا: لا، بل هم يقولون: نعم، لكن المراد كذا.

فمثلاً في قول النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا

لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(١)، أو «كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(٢)، لا يستطيعون أن

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

يقولوا: لا نرى رَبَّنَا، بل يقولون: نعم نرى رَبَّنَا، لكن رؤية بصيرة لا رؤية بصر، وإنما ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ هذا المَثَل من أجل تحقيق رؤية البصيرة، لا رؤية البصر.

ولا شك أن هذا قلبٌ للحقائق؛ ولهذا يدفعونها بالتأويل تلييناً للردِّ؛ لأنهم لو كَذَّبوا ما قُبِلَتْ أقوالهم، ولكفرهم الناس، لكن يأتون بالتأويلات المستكرهة من أجل لين الردِّ؛ ولهذا قال: (دَفَعًا مِنْكُمْ بِلْيَانٍ).

٢٥٥٨- لَوْ أَنَّكُمْ وَاللَّهِ عَامَلْتُمْ بِذَا أَهْلَ الْعُلُومِ وَكُتِبَتْ لَهُمْ بِوِزَانٍ

٢٥٥٩- فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَا وَغَدَتْ عُلُومُ النَّاسِ ذَاتَ هَوَانٍ

يعني: لو أنكم قلمتم في جميع كلام الناس: هذا لا يفيد اليقين، هذا ليس على ظاهره، هذا مؤوَّل، لو قلمتم ذلك فسدت الكتب، وصار كلُّ كتابٍ لا يمكن أن تأخذ منه الكلام واليقين.

٢٥٦٠- هَذَا وَلَيْسُوا فِي بَيَانِ عُلُومِهِمْ مِثْلَ الرَّسُولِ وَمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

ليسوا مثل كلام الرسول ولا كلام الله، ومع ذلك يحترمون كلام شيوخهم، ويأخذون بظاهره، ولا يأخذون بظاهر القرآن والسنة.

٢٥٦١- وَاللَّهُ لَوْ صَحَّ الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

٢٥٦٢- فَالْعَقْلُ لَا يَهْدِي إِلَى تَفْصِيلِهَا لَكِنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

٢٥٦٣- فَإِذَا غَدَا التَّفْصِيلُ لَفْظِيًّا وَمَعْدَ زُؤَالًا عَنِ الْإِيقَانِ وَالرُّجْحَانِ

٢٥٦٤- فَهَنَّاكَ لَا عِلْمًا أَفَادَتْ لَا وَلَا ظَنًّا وَهَذَا غَايَةُ الْحَرَمَانِ

- ٢٥٦٥- لَوْ صَحَّ ذَاكَ الْقَوْلُ لَمْ يَحْضُلْ لَنَا
 ٢٥٦٦- وَغَدَا التَّخَاطُبُ فَاسِدًا وَفَسَادُهُ
 ٢٥٦٧- مَا كَانَ يَحْضُلُ عَلِمْنَا بِشَهَادَةٍ
 ٢٥٦٨- وَكَذَلِكَ الْإِقْرَارُ يُضْبِحُ فَاسِدًا
 ٢٥٦٩- وَكَذَا عُقُودُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهَا
 ٢٥٧٠- أَيَسُوعُ لِلشُّهَدَا شَهَادَتُهُمْ بِهَا
 ٢٥٧١- إِذْ تَلَكُّمُ الْأَلْفَاظِ غَيْرُ مُفِيدَةٍ
 ٢٥٧٢- بَلْ لَا يَسُوعُ لِشَاهِدٍ أَبَدًا شَهَا
 ٢٥٧٣- بَلْ لَا يُرَاقُ دَمٌ بِلَفْظِ الْكُفْرِ مِنْ
 ٢٥٧٤- بَلْ لَا يُبَاحُ الْفَرْجُ بِالِإِذْنِ الَّذِي
 ٢٥٧٥- أَيَسُوعُ لِلشُّهَدَاءِ جَزْمُهُمْ بِأَنْ
 ٢٥٧٦- هَذَا وَجْهَةٌ مَا يُقَالُ بِأَنَّهُ
- قَطَعَ بِقَوْلٍ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ
 أَصْلُ الْفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الْإِنْسَانِ
 وَوَصِيَّةٍ كَلًّا وَلَا أَيْمَانَ
 إِذْ كَانَ مُحْتَمَلًا لِسَبْعِ مَعَانٍ
 بِاللَّفْظِ إِذْ يَتَخَاطَبُ الرَّجُلَانِ
 مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِبَيَانٍ!
 لِلْعِلْمِ بَلْ لِلظَّنِّ ذِي الرَّجْحَانِ
 دُتُّهُ عَلَى مَدْلُولٍ نُطْقِ لِسَانِ
 مُتَكَلِّمٍ بِالظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ
 هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النَّسْوَانِ
 رَضِيَتْ بِلَفْظٍ قَابِلٍ لِمَعَانٍ؟
 فِي ذَا فَسَادِ الْعَقْلِ وَالْأَدْيَانِ

الشرح

- ٢٥٦١- وَاللَّهُ لَوْ صَحَّ الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ
 قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 ما الذي قالوا؟ قالوا: إن ألفاظ الكتاب والسنة ظنية لا تفيد اليقين، لو صح هذا يقول - رحمه الله -: «قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ».

٢٥٦٢- فَالْعَقْلُ لَا يَهْدِي إِلَى تَفْصِيلِهَا لَكِنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

العقل لا يهدي إلى تفصيل صفات الله عز وجل وأسمائه، وإنما الذي يهدي إلى ذلك ما جاءت به الوحيان.

فإذا قلنا: إن العقل لا يهدي إلى تفصيلها وإن ما جاء به الوحيان ظني، إذن أين العقيدة؟! كيف نبني عقيدتنا على ظنٍّ ووهمٍ؛ ولهذا قال: يفسد كل شيء.

٢٥٦٣- فَإِذَا غَدَا التَّفْصِيلُ لَفْظِيًّا وَمَعْفٍ زُورًا عَنِ الْإِيقَانِ وَالرُّجْحَانِ

٢٥٦٤- فَهَنَّاكَ لَا عِلْمًا أَفَادَتْ لَا وَلَا ظَنًّا وَهَذَا غَايَةُ الْحَرَمَانِ

قوله: «فإذا غدا التفصيل لفظياً» (التفصيل): يعني: في أسماء الله وصفاته؛ لأن العقل لا يهدي إلى التفصيل، إنما يعرف الإجمال، والتفصيل جاء في الكتاب والسنة، فإذا غدا لفظياً معزولاً عن الإيقان، فهناك لا نستفيد لا علماً ولا ظناً.

إذن إذا قلنا بما قال هؤلاء: العقل لا يهدي إلى التفصيل، والقرآن والسنة لا يدلان على اليقين، إذن ليس عندنا علم، بل ولا ظن؛ لأن ما كان على خلاف الظاهر مرجوح، والمرجوح لا يُظنُّ، فضلاً عن أن يُعتَقَدَ ويقال: إنه هو اليقين.

٢٥٦٥- لَوْ صَحَّ ذَاكَ الْقَوْلُ لَمْ يَحْضُلْ لَنَا قَطْعُ بَقَوْلٍ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ

٢٥٦٦- وَغَدَا التَّخَاطُبُ فَاسِدًا وَفَسَادُهُ أَصْلُ الْفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الْإِنْسَانِ

قوله: «لو صحَّ ذاك القول» ما المراد بهذا القول؟ الجواب أن دلالة الألفاظ ظنية لا تفيد اليقين.

قوله: «وغدا التخاطب فاسداً» أي: التخاطب بين الناس؛ لأنهم يقولون: دلالة الألفاظ ظنية، فيبقى التخاطب بين الناس ظنياً، فيكون فاسداً.

قَوْلُهُ: «وَفَسَادُهُ» أَي: فسادُ التخاطب.

قَوْلُهُ: «وَفَسَادُهُ أَصْلُ الْفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الْإِنْسَانِ» إِذَا كَانَ التَّخاطِبُ بَيْنَ النَّاسِ فَاسِدًا، وَلَا يَفِيدُ الْيَقِينَ وَلَا الْعِلْمَ، فَكَيْفَ يَثِقُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ؟ كَيْفَ يَتَعَامَلُونَ؟ وَكَيْفَ تُعَقَّدُ الْبُيُوعُ، وَالْإِقْرَارَاتُ، وَالشَّهَادَاتُ، وَالْأَنْكِحَةُ، وَالْوُقُوفُ وَغَيْرَهَا؟ وَالْمَسْأَلَةُ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الظَّنِّ؛ وَهَذَا قَالَ:

٢٥٦٧- مَا كَانَ يَحْضُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ وَوَصِيَّةٍ كَلًّا وَلَا أَيَّامَانَ

قَوْلُهُ: «مَا كَانَ يَحْضُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ» إِذَا شَهِدَ الشَّاهِدَانِ نَقُولَ: وَاللَّهِ شَهَادَتُهُمَا ظَنِّيَّةٌ، مَا نَعْلَمُ، فِيهَا احْتِمَالٌ، بَلْ فِيهَا أَلْفُ احْتِمَالٍ.

قَوْلُهُ: «وَوَصِيَّةٍ» كَذَلِكَ الْوَصِيَّةُ، فَهَذَا إِنْسَانٌ أَوْصَى، نَقُولُ: كَلَامُهُ ظَنِّيٌّ، لَا يَفِيدُ الْيَقِينَ، فِيهِ احْتِمَالٌ، يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُوصِيَ بِالْثَلَاثِ، أَوْ ثَلَاثِ الثَّلَاثِ... وَهَكَذَا، مَا يَبْقَى هُنَاكَ ثِقَةٌ بِأَيِّ كَلَامٍ.

قَوْلُهُ: «كَلًّا وَلَا أَيَّامَانَ» حَتَّى الْإِيْمَانَ (الْحَلْفُ بِاللَّهِ) فِيهِ احْتِمَالَاتٌ، إِذَا قَالَ: (وَاللَّهِ لَا أَتَغَدَّى إِلَّا عَلَى وَتَد) سَبَّحَانَ اللَّهِ! هَلْ هُوَ عَصْفُورٌ يَقِفُ عَلَى الْوَتَدِ وَيَأْكُلُ؟! يَقُولُ: إِنَّ الْجِبَالَ جَعَلَهَا اللَّهُ أَوْ تَادًا.

عَلَى كُلِّ حَالٍ لَوْ أَنَّا جَعَلْنَا دَلَالَاتِ الْفِظِ ظَنِّيَّةً، وَقَلْنَا: هَذَا يَحْتَمِلُ، مَا بَقِيَ أَنْ يَثِقَ بِشَيْءٍ إِطْلَاقًا.

٢٥٦٨- وَكَذَلِكَ الْإِقْرَارُ يُصْبِحُ فَاسِدًا إِذْ كَانَ مُحْتَمِلًا لِسَبْعِ مَعَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْإِقْرَارُ» (أَقَرَّ) لَهُ عِدَّةٌ مَعَانٍ، يَعْنِي: نَطَقَ بِالْإِقْرَارِ، أَقَرَّ الشَّيْءَ: أَبْقَاهُ مُسْتَقَرًّا، وَهَكَذَا سَبْعَةٌ مَعَانٍ لِلْإِقْرَارِ.

إِذَنْ لَا نَحْكُمُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ: (أَقْرَرْتُ بِكَذَا وَكَذَا) فَإِنَّهُ مُقَرَّرٌ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ مُحْتَمَلٌ.

٢٥٦٩- وَكَذَا عُقُودُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهَا بِاللَّفْظِ إِذْ يَتَخَاطَبُ الرَّجُلَانِ كُلُّ الْعُقُودِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ الدَّلَالَهَ ظَنِّيَّةٌ عَلَى كَلَامِهِمْ، إِذَنْ لَا تَثِقُ بِأَيِّ عَقْلِ كَانَ؛ لِأَنَّ دَلَالَتهَ ظَنِّيَّةٌ.

٢٥٧٠- أَيَسُوعُ لِلشَّهَادَا شَهَادَتُهُمْ بِهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بَيَانٍ؟!!

الجواب: لا، ومع ذلك إذا شهد الشاهدان على الرجلين بأثمتها تبايعا نحكم بالشهادة، مع أن الشهادة لا تكون إلا عن علم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] وَيُذَكَّرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «تَرَى الشَّمْسَ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أَوْ دَعْ»^(١).

إِذَنْ الشَّهَادَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى عِلْمٍ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ الْأَلْفَاظَ دَلَالَتُهَا ظَنِّيَّةٌ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَشْهَدَ عَلَى ظَنٍّ إِذَا تَعَاقَدَ الرَّجُلَانِ عَقْدَ بَيْعٍ، أَوْ عَقْدَ إِجَارَةٍ، أَوْ عَقْدَ رَهْنٍ.

٢٥٧١- إِذْ تِلْكَمُ الْأَلْفَاظُ غَيْرُ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ بَلْ لِلظَّنِّ ذِي الرَّجْحَانِ

٢٥٧٢- بَلْ لَا يَسُوعُ لِشَاهِدٍ أَبَدًا شَهَا دَتُهُ عَلَى مَدْلُولٍ نُطِقَ لِلسَّانِ

لماذا؟ لأن الشهادة لا بُدَّ أن تكون عن علم و يقين، فإذا جعلنا الألفاظ ظنيَّة صار كُلُّ ما يَثْبُتُ بالنطق ظنيًّا لا تجوزُ الشهادةُ عليه.

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١١٠، رقم ٧٠٤٥)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٥٥، رقم ١٠٩٧٤).

٢٥٧٣- بَلْ لَا يُرَاقُ دَمٌ بِلَفْظِ الْكُفْرِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِالظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ

يعني: على زعمكم أن دلالة الألفاظ ظنيّة، لو أن رجلاً نطق بكلمة الكفر فإنه لا يجوز أن تُريقَ دمه؛ لأنّ دمّ المسلم حرامٌ، لا تجوزُ استباحته إلا بعلم، ونحن الآن نقول: إنّ دلالة الألفاظ ظنيّة، فكيف نستبيحُ دمه بلفظٍ دلّلتُه ظنيّة؟

على هذا نقول: هنيئاً للمرتدين؛ لأنّ كلامهم ظنيّ؛ إذ لا يجوز أن تُريقَ دمَاءهم به بناءً على كلام هؤلاء أنّ الألفاظ دلّلتها ظنيّة.

٢٥٧٤- بَلْ لَا يُبَاحُ الْفَرْجُ بِالِإِذْنِ الَّذِي هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النِّسْوَانِ

وهذه مشكلة، رجل تمّ له العقدُ على امرأة بشهادة الشهود على إذنِ المرأة وعلى العقد، هل يجوز أن نستبيحَ الفرجَ بأمرٍ ظنيّ؟ الجواب: لا يجوز.

هم يقولون: دلالة الألفاظ ظنيّة، إذنِ إذنِ المرأة لوليّها بالعقد دلّلتُه ظنيّة، وقولُ الوليّ للزوج: (زوّجتك بنتي) فيقول: (قبلتُ) ظنيّ أيضاً، كيف نستبيحُ به الفرجَ الذي تحريمه قطعيّ بأمرٍ دلّلتُه ظنيّة؛ لأنّ من المعروف أنّ القطعيّ لا يُزيلُهُ إلا ما كان قطعياً.

فانظر إلى هذا القول -والعياذ بالله- الذي يترتّب عليه فسادُ الدين والدنيا.

٢٥٧٥- أَيْسُوغُ لِلشَّهَدَاءِ جَزْمُهُمْ بِأَنْ رَضِيَتْ بِلَفْظِ قَابِلٍ لِمَعَانٍ؟

٢٥٧٦- هَذَا وَجُمْلَةٌ مَا يُقَالُ بِأَنَّهُ فِي ذَا فَسَادِ الْعَقْلِ وَالْأَدْيَانِ

قوله: «أيسوغُ للشّهداءِ جزمُهُم... إلخ؟» الجواب: لا؛ لأنه يحتمل أنه لما قيل: أترضين أن نزوّجك فلاناً؟ فقالت: نعم أرضى، يعني: أرضى بسواه، على تقدير شيءٍ محذوفٍ، فهناك احتمال.

إذا جعلنا الاحتمالات العقلية داخلة في الدلالات اللفظية ما بقي كلام يُوثق به إطلاقاً.

- ٢٥٧٧- هَذَا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ أَنَّ اللَّغَا
بِتِ أَتَتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوُحْدَانِ
٢٥٧٨- فَانظُرْ إِلَى الْأَلْفَاظِ فِي جَرَيَانِهَا
فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
٢٥٧٩- أَتَظُنُّهَا تَحْتَاجُ نَقْلًا مُسْتَنَدًا
مُتَوَاتِرًا أَوْ نَقْلَ ذِي وُحْدَانٍ؟
٢٥٨٠- أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لَا
تَحْتَاجُ نَقْلًا وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ
٢٥٨١- إِلَّا الْأَقْلَ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ لِلنَّ
نَقْلِ الصَّحِيحِ وَذَلِكَ ذُو تَبْيَانٍ؟
٢٥٨٢- وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بِأَنَّ
نَ «اللَّهُ» أَظْهَرَ لَفْظَةً بِلِسَانِ
٢٥٨٣- وَخِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ
عَرَبِيٌّ وَضَعِ ذَاكَ أَمْ سُرْيَانِيٌّ؟
٢٥٨٤- وَكَذَا اخْتِلَافُهُمْ أَمُشْتَقًّا يُرَى
أَمْ جَامِدًا؟ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ
٢٥٨٥- وَالْأَصْلُ مَاذَا؟ فِيهِ خُلْفٌ ثَابِتٌ
عِنْدَ النَّحَاةِ وَذَلِكَ ذُو أَلْوَانٍ
٢٥٨٦- هَذَا وَلَفْظُ «اللَّهُ» أَظْهَرَ لَفْظَةً
نَطَقَ اللِّسَانُ بِهَا مَدَى الْأَزْمَانِ
٢٥٨٧- فَانظُرْ بِحَقِّ اللَّهِ مَاذَا فِي الَّذِي
قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانٍ؟
٢٥٨٨- هَلْ خَالَفَ الْعُقَلَاءُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ
بُ الْعَالَمِينَ مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ؟
٢٥٨٩- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ
نَقْلَ الْمَجَازِ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ
٢٥٩٠- وَالْخُلْفُ فِي أَحْوَالِ ذَلِكَ اللَّفْظِ لَا
فِي وَضْعِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلَانِ

- ٢٥٩١- وَإِذَا هُمْ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «مَكَّةِ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَعْرُوفَانِ
- ٢٥٩٢- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ حَرَمُ الْإِلَهِ وَقِبْلَةُ الْبُلْدَانِ؟
- ٢٥٩٣- وَإِذَا هُمْ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «أَحْمَدِ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَذْكُورَانِ
- ٢٥٩٤- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْبُرْهَانِ؟
- ٢٥٩٥- وَنَظِيرُ هَذَا لَيْسَ يُحْصَرُ كَثْرَةً يَا قَوْمُ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٢٥٩٦- أَبِمِثْلِ ذَا الْهَدْيَانِ قَدْ عَزَلْتُ نُصُوصِ الْوَحْيِ عَنِ عِلْمٍ وَعَنِ إِيقَانِ
- ٢٥٩٧- فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعَافِي عَبْدَهُ مِمَّا بَلَائِكُمْ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ
- ٢٥٩٨- فَلِأَجْلِ ذَا نَبَدُوا الْكِتَابَ وَرَاءَهُمْ وَمَضُّوا عَلَى آثَارِ كُلِّ مَهَانِ
- ٢٥٩٩- وَلِأَجْلِ ذَاكَ عَدَدُوا عَلَى السُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ وَأَهْلِيهَا ذَوِي أَضْغَانِ
- ٢٦٠٠- يَرْمُونَهُمْ كَذِبًا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ حَاشَاهُمْ مِنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ

الشرح

٢٥٧٧- هَذَا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ أَنَّ اللَّغَا تِ اتَّتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوُحْدَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ» أَي: مِنْ كَذِبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ دَلَالََةَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ دَلَالَةٌ لَفْظِيَّةٌ فِي سَنَدِهَا؛ لِأَنَّهَا آحَادٌ، وَفِي مَدْلُوهَا؛ لِأَنَّهَا ظَوَاهِرٌ.

قَوْلُهُ: «أَنَّ اللَّغَا تِ اتَّتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوُحْدَانِ» يَعْنِي أَنَّ اللَّغَاتِ نُقِلَتْ إِلَيْنَا عَنْ طَرِيقِ الْأَفْرَادِ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْبُهْتَانِ بِلَا شَكٍّ، هَلِ اللَّغَاتُ نُقِلَتْ إِلَيْنَا بِالْأَفْرَادِ؟ الْجَوَابُ: لَا، فَاللَّغَاتُ نُقِلَتْ بِالتَّوَاتُرِ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ تَوَاتُرٌ.

اللغة الآن بين الأمة العربية منذ نشأت إلى اليوم، والناس ينقلونها أمةً أمةً، وليس فردًا ينقلها إلى فرد، بل أمة تنقلها إلى أمة، لكن هذا من بهتانهم أن اللغات تُنقل عن طريق الآحاد، فهذا من البهتان العظيم.

٢٥٧٨- فَاَنْظُرْ إِلَى الْأَلْفَاظِ فِي جَرَيَانِهَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٥٧٩- أَتَظُنُّهَا تَحْتَاجُ نَقْلًا مُسْنَدًا مُتَوَاتِرًا أَوْ نَقْلَ ذِي وَحْدَانٍ؟

الجواب: لا، الألفاظ في جريانها بين الأمم، سواء أكان في خبر أم في القرآن المنقول بالمتواتر كلها لا تحتاج نقلًا مسندًا.

لو قال مثلاً: معنى (أكل): تناول الطعام فأدخله في فمه، هل نحتاج أن نقول: من الذي نقل (أكل) إلى معناها هذا في اللغة؟ الجواب: لا نحتاج ذلك؛ لأنها معروفة، فهي من الضروريات؛ ولهذا قال في البيت الثالث:

٢٥٨٠- أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لَا تَحْتَاجُ نَقْلًا وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ

لا نحتاج أن نقول: إن اللغات المنقولة بخبر الآحاد تحتاج إلى إسناد، ثم يُنظر في السند هل هم ثقات أو غير ثقات؟ لا، هذا شيء يجري في الألفاظ جريان الهواء والريح، ولا يحتاج إلى نقل، فهي جارية مجرى الضروريات.

ثم قال:

٢٥٨١- إِلَّا الْأَقْلَ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ لِلنَّ نَقْلِ الصَّحِيحِ وَذَلِكَ ذُو تَبَيَانٍ؟

يعني: صحيح أنه توجد كلمات غريبة في اللغة العربية، غريبة لا تستعمل إلا نادرًا، هذه الكلمات الغريبة تحتاج إلى نقل بحيث ينقلها إمام من أئمة العربية ك(سيبويه) أو غيره، ويقول: هذه نطق بها العرب، أمّا عامة اللغة العربية فإنها

لا تحتاج إلى سند؛ لأنها جرت بين الناس مجرى الأمور الضرورية، تنقلها الأمة بكاملها، أمة عن أمة، قرناً عن قرن.

٢٥٨٢- وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بِأَنَّ نَ «الله» أَظْهَرَ لَفْظَةَ بِلِسَانِ

٢٥٨٣- وَخِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ عَرَبِيٌّ وَضَعِ ذَاكَ أُمَّ سُرْيَانِي؟

قوله: «الله» يعني لفظ (الله)، أي: كلمة (الله).

يقول: أظهر لفظاً في القرآن تدلُّ على مدلولها هي كلمة (الله)، فكلُّ يعرفُ أنَّ المراد بها رَبُّ العالمين، هم يحتجُّون علينا فيقولون: أظهر لفظاً هي (الله)، ومع ذلك فيها خلافٌ، فإذا كان أظهر لفظاً في القرآن وهي (الله) فيها خلافٌ، فما بالك بالكلمات الأخرى التي لا توازنها في الظهور؟!

وقصدُهم بذلك أنَّ جميع القرآن مشكوكٌ في دلالاته، نسأل الله العافية.

قَوْلُهُ: «وَخِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ» يعني أنَّ الناسَ مختلفون في كلمة (الله)، كيف الاختلاف؟ قال: (عربي وضع ذلك أم سُرياني؟)، يعني: هل هذا اللفظ (الله) عربيٌّ أم سُريانيٌّ، أي: باللغة السُريانية لغة الإنجيل؟

٢٥٨٤- وَكَذَا اخْتِلَافُهُمْ أَمُشْتَقَّ يُرَى أُمَّ جَامِدًا؟ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ

إِذْ عِنْدَنَا اخْتِلَافَانِ:

الأول: هل هو عربيٌّ أم سُريانيٌّ؟

الثاني: إذا قلنا: إنه عربيٌّ، هل هو مشتقٌّ أم جامدٌ؟

مع أنَّ كلمة (الله) أظهر لفظاً في القرآن، ومع ذلك الخلاف فيها موجودٌ، فما بالك بما دونها في الظهور؟! يكون الخلاف فيه من باب أولى.

النتيجة بعد هذا أن مدلولات ألفاظ القرآن غير معلومة ولا متيقنة؛ لأنَّ الخلاف فيها كثيرٌ.

وكلامهم هذا يُشكِّك الواحد.

إذا جاءنا إنسانٌ عَفِرِيَّتٌ في المناظرة، وقام يتكلَّم بمثل هذا الكلام، نقول: والله صحيحٌ، كلمةُ (الله) التي هي أوضحُ شيءٍ في القرآن يختلفُ فيها الناسُ، هل هي عَرَبِيَّةٌ أو سُريَانِيَّةٌ؟ ثُمَّ إذا كانت عَرَبِيَّةً هل هي مشتقةٌ أو جامدةٌ؟ إِذْنُ ما سواها من الكلمات من باب أولى، فيبقى القرآنُ كُلُّه غيرَ معتمَدٍ على دلالته، نسألُ اللهَ العافيةَ.

وهذا إجرامٌ، والعياذُ بالله، فإذا كان القرآنُ غيرَ معتمَدٍ على دلالته فالأحاديثُ من باب أولى؛ لأنَّ الأحاديثَ فيها آفةٌ أخرى، فلعلَّ الرواة نقلوها بالمعنى فأخطئوا، بخلاف القرآن فإنه متواترٌ، ولا يمكنُ وجودُ خطأٍ في النقل فيه.

فالحاصل أن هؤلاء -والعياذُ بالله- شياطينُ الإنسِ يأتون بمثل هذا الكلام ليُلَبِّسوا على الناسِ دينهم، ولولا أن اللهَ حفظَ دينه بما قيَّضَ من العلماءِ الربَّانِيِّينَ لَضاعَ الدينُ وضاعَ كُلُّ شيءٍ.

٢٥٨٥- وَالْأَصْلُ مَاذَا؟ فِيهِ خُلْفٌ ثَابِتٌ عِنْدَ النَّحَاةِ وَذَلِكَ ذُو الْأَوَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَصْلُ مَاذَا؟» يعني: ما أصلُ الله، هل هو الإلهُ، أو كلمةٌ مرتجلةٌ، أو ماذا؟ هذا أيضًا فيه خلاف: بعضهم يقول: (اللهُ) أصلُها (الإله) فَحُذِفَتِ الهمزةُ لكثرة الاستعمال، كما حُذِفَتِ الهمزةُ من (الناس)، وأصلُها (أناس)، وحُذِفَتِ من (شر) و(خير)؛ تقول: (هذا خيرٌ من هذا)، و(هذا شرٌّ من هذا)، والأصلُ: أخيرٌ وأشرٌ، فهذا فيه أيضًا خلافٌ.

٢٥٨٦- هَذَا وَلَفْظُ «الله» أَظْهَرَ لَفْظَةً نَطَقَ اللِّسَانُ بِهَا مَدَى الْأَزْمَانِ

وصدق -رحمه الله-، فأظهر لفظاً في الوجود لفظاً (الله)، فما من إنسانٍ تقولُ أمامه: (الله) إلا وينصرفُ ذهنه إلى ربِّ العالمين عزَّ وجلَّ، لا ينصرفُ يميناً ولا شمالاً، لا إلى صنمٍ، ولا إلى ملكٍ، ولا إلى رسولٍ، ولا إلى وليٍّ، إنما ينصرفُ إلى الله؛ ولهذا كان اسم (الله) من الأشياء الخاصة بالله عزَّ وجلَّ.

٢٥٨٧- فَاَنْظُرْ بِحَقِّ اللهِ مَاذَا فِي الَّذِي قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانٍ؟

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ» انظُرْ نَظَرَ تَعَجُّبٍ وَإِنْكَارٍ!

قَوْلُهُ: «مَاذَا فِي الَّذِي قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانٍ؟» لكن ما هو اللبس الذي

قالوه؟

قالوا: كلمة (الله) الآن مختلفٌ في مدلولها، لا ندري هل هي عربيَّةٌ أو سُريانيَّةٌ؟ وهل هي مشتقةٌ أو جامدةٌ؟ وهل هي مرتجلةٌ أو منقولةٌ؟ ما ندري.

ومعنى (مرتجل) أي: الذي وُضِعَ ابتداءً، والمنقول هو الذي نُقِلَ عن غيره.

٢٥٨٨- هَلْ خَالَفَ الْعُقَلَاءُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ؟

قَوْلُهُ: «هَلْ خَالَفَ الْعُقَلَاءُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟» يعني أن لفظاً (الله) يُرادُ

بها رَبُّ الْعَالَمِينَ، يعني: مع اختلافهم في الكلمة هل اختلفوا في المراد؟

هؤلاء جعلوا اختلافَ الكلمة سبباً لاختلاف المراد، لكن يقول -رحمه الله-:

هل خالف العقلاء أن (الله) رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ المراد بـ(الله) هنا هل هو مدلولُ الكلمة

أو اللفظ؟ الجواب: اللفظ، يعني أن لفظاً (الله) هو رَبُّ الْعَالَمِينَ.

٢٥٨٩- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوَهِّمٌ نَقَلَ الْمَجَازَ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ

وهذا متفق عليه، فأنتم حين تلبسون على العامة وتقولون: (الله) مختلف فيه: عربيٌّ أو سُريانيٌّ؟ هل هو مشتقٌّ أو جامدٌ؟ هل هو منقولٌ أو مرتجلٌ؟ إنما تريدون بهذا التسمية، أما المرادُ منه فإنَّ العقلاء متفقون على أن المراد رَبُّ العالمين.

٢٥٩٠- وَالْخُلْفُ فِي أَحْوَالِ ذَاكَ اللَّفْظِ لَا فِي وَضْعِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلَانِ

الْخُلْفُ الَّذِي قَالُوا يَعُودُ إِلَى أَحْوَالِ اللَّفْظِ هَلْ هُوَ سُريَانِيٌّ عَرَبِيٌّ؟ أَمَا لِمَنْ وُضِعَ فَلَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ؛ وَهَذَا قَالَ: «لَا فِي وَضْعِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلَانِ».

٢٥٩١- وَإِذَا هُمْ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «مَكَّةَ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَعْرُوفَانِ

٢٥٩٢- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ حَرَمَ الْإِلَهِ وَقِبْلَةَ الْبُلْدَانِ؟

يعني: الناسُ اختلفوا أيضًا في لفظ (مكة)، لماذا سُميت (مكة)؟ وأحيانًا تُسَمَّى (بَكَّةَ)، وقد سَمَّاها اللهُ في القرآن بالاسمين: (بَكَّةَ) و(مَكَّةَ)، ولكن هذا الخلاف الذي وقع هل اختلف الناسُ في المراد به؟ الجواب: لا.

٢٥٩٣- وَإِذَا هُمْ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «أَحْمَدَ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَذْكُورَانِ

٢٥٩٤- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْبُرْهَانِ؟

فهم اختلفوا في لفظ (أحمد) لماذا سُمِّي (أحمد)؟ هل لأنه أحمدُ الناسِ لله؟ أو لأنه أحقُّ الناسِ أن يُحْمَدَ؟ فهم اختلفوا في هذا، لكن هل الذين اختلفوا في هذا هل هو أحمدُ الناسِ لله؟ أو هو أحقُّ الناسِ أن يُحْمَدَ؟ هؤلاء الذين اختلفوا هل اختلفوا في أنَّ المرادَ به رسولُ الله؟ الجواب: لا، إذنَّ الاختلاف في اللفظ لا فيما وُضِعَ له.

فهذه ثلاثة أمثلة جيدة يختلفُ الناسُ فيها في اللفظ ولا يختلفون في المراد: (الله)، (مكة)، (أحمد) يعني الرسول -عليه الصلاة والسلام-، يختلفون في اللفظ ولا يختلفون في المراد.

٢٥٩٥- وَنَظِيرُ هَذَا لَيْسَ يُحْصَرُ كَثْرَةً يَأْتُونَ فَاَسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

يعني: نظير هذا يختلفون في اللفظ واشتقاقه، لكن لا يختلفون في المراد منه، وهذا كثير، لكن أحياناً أيضاً يتفقون على اللفظ ويختلفون في المراد، مثل: (قُرْء) جمع (قُرْء)، هل المرادُ بها الحيضُ أو الطُّهُرُ؟ خلاف، مع أنهم متفقون على اللفظ.

٢٥٩٦- أَبِمِثْلِ ذَا الْهَدْيَانِ قَدْ عَزَلْتِ نَصُو صُ الْوَحْيِ عَنِ عِلْمٍ وَعَنْ إِيقَانِ

الجَوَابُ: لا والله لا تُعزَلُ، وهذا هَدْيَانِ، وكوئهم يُلبَّسون على الناس ويقولون: (الله) هل هو عربيٌّ أو سُريانيٌّ؟ هل هو مشتقٌّ أو جامدٌ؟ هل هو مُرتَجَلٌ أو منقولٌ؟ هذا لا يؤثر؛ لأنَّ المدلولَ متفقٌ عليه.

٢٥٩٧- فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعَافِي عَبْدَهُ مِمَّا بَلَائِكُمْ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

إي والله، الحمدُ لله الذي عافنا ممَّا ابتلاهم به. وفي قوله: «يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ» تهكُّمٌ واضحٌ؛ لأنهم أبعدُ الناسِ عن المعرفة وعن العرفان.

٢٥٩٨- فَلْأَجَلِ ذَا نَبْدُوا الْكِتَابَ وَرَاءَهُمْ وَمَصَّوْا عَلَى آثَارِ كُلِّ مُهَانِ

نعم، نبذوا كتابَ الله وراءَ ظهورهم، ولكنهم ساروا على آثارِ كُلِّ مُهَانِ، يعني: من شيوخهم الذين يُعظِّمونهم ويُقدِّمون أقوالهم على قولِ الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام-.

٢٥٩٩- وَلَا أَجَلَ ذَاكَ غَدَوَا عَلَى السُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ وَأَهْلِهَا ذَوِي أَضْغَانٍ
قَوْلُهُ: «غَدُوا... ذَوِي أَضْغَانٍ» (غدوا) تعملُ عملَ (كان)، والواو اسمُها،
و(ذوي أضغان) خبرُها.

يعني: صاروا ذوي أضغان على السنن وعلى أهل السنن.

٢٦٠٠- يَرْمُونَهُمْ كِذْبًا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ حَاشَاهُمْ مِنْ إِيكَ ذِي بُهْتَانٍ
هؤلاء يرمون أهل الحديث كذبًا بكلِّ عظيمَةٍ، وقالوا عنهم: مُجَسِّمَةٌ،
مُشَبِّهَةٌ، حَسَوِيَّةٌ، نوابتٌ، عُثَاءٌ، عامَةٌ... وهكذا.

إِذْنِ هَذَا الْفَصْلِ كُلُّهُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ دَلَالََةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ظَنِّيَّةٌ
غَيْرُ يَقِينِيَّةٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ لَفْظٍ - عَلَى كَلَامِهِمْ - يَحْتَمِلُ مَعَانِي، فَيُلَبَّسُونَ، وَيَأْتُونَ بِالْأَلْفَاظِ
الَّتِي اخْتُلِفَ فِيهَا فِي أَصْلِهَا لِأَجْلِ أَنْ يَلْبَسُوا عَلَى النَّاسِ، وَلَفْظُ (اللَّهُ) أَظْهَرُ لَفْظٍ.

فصل

فِي تَنْزِيهِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالشَّرِيعَةِ عَنِ الْأَلْقَابِ الْقَبِيحَةِ الشَّيْعَةِ

- ٢٦٠١- فَرَمَوْهُمْ بَغِيًّا بِمَا الرَّمِي بِهِ
أَوْلَى لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الْجَانِي
- ٢٦٠٢- يَرْمِي الرِّبِّيَّ بِمَا جَنَاهُ مُبَاهِتًا
وَلِذَلِكَ عِنْدَ الْغَرِّ يَشْتَبِهَانِ
- ٢٦٠٣- سَمَّوْهُمْ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتًا
وَمُجَسِّمِينَ وَعَابِدِي أَوْثَانِ
- ٢٦٠٤- وَكَذَلِكَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ
وَهُمُ الرَّاوِفُضُ أَخْبَثُ الْحَيَوَانِ
- ٢٦٠٥- نَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِلصَّحَابَةِ ثُمَّ سَمَّوْا
مَوًّا بِالنَّوَاصِبِ شَيْعَةَ الرَّحْمَنِ
- ٢٦٠٦- وَكَذَا الْمُعْطَلُ شَبَّهَ الرَّحْمَنَ بِأَلٍ
مَعْدُومٍ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْوُصْفَانِ
- ٢٦٠٧- وَكَذَلِكَ شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلَامِنَا
حَتَّى نَفَاهُ وَذَانِ تَشْبِيهَانِ
- ٢٦٠٨- وَكَذَلِكَ شَبَّهَ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا
حَتَّى نَفَاهَا عَنْهُ بِالْبُهْتَانِ
- ٢٦٠٩- وَأَتَى إِلَى وَصْفِ الرَّسُولِ لِرَبِّهِ
سَمَاءَهُ تَشْبِيهًا، فَيَا إِخْوَانِي
- ٢٦١٠- بِاللهِ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الْإِسْمِ مِنْ
هَذَا الْحَبِيثِ الْمُخْبِثِ الشَّيْطَانِي؟
- ٢٦١١- إِنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ
سُبْحَانَهُ فَيَا كَمَلٍ (١) ذِي شَانِ
- ٢٦١٢- لَكِنَّ نَفْيَ صِفَاتِهِ تَشْبِيهُهُ
بِالْجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانِ

(١) في نسخة برلين والتميمورية والظاهرية والإفتاء والسفارينية ونسخة ابن سحمان: «فبكمال»، وأشار شيخنا -رحمه الله- في شرحه إلى نسخة ثالثة: «أكمل به ذي شان».

- ٢٦١٣- بَلْ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ وَهُوَ مَعَهُ دُومٌ وَإِنْ يُفْرَضُ فَفِي الْأَذْهَانِ
 ٢٦١٤- فَمَنْ الْمُسَبَّهِ بِالْحَقِيقَةِ أَنْتُمْ أَمْ مُثِبْتُ الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ؟

الشرح

٢٦٠١- فَرَمَوْهُمْ بَعِيًّا بِمَا الرَّامِي بِهِ أَوْلَى لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الْجَانِي

قَوْلُهُ: «رَمَوْهُمْ» يعني أن هؤلاء المعطلة رَمَوْا أهل الحديث بما هم أولى به من الألفاظ القبيحة الشنيعة، كما رمى المنافقون رسول الله ﷺ وأصحابه بما هم أولى به، قال المنافقون: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ»^(١). ويعنون بذلك الرسول ﷺ وأصحابه.

وفي الحقيقة أن هذه الأوصاف تنطبق عليهم، فما رأينا أكذب ألسنا من المنافقين؛ ولهذا من علامات المنافق: الكذب.

ولا رأينا أجبنَ منهم حتى في غير اللقاء، قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] لو صاح أحدٌ من الناس لأولاده، أو طفل في السوق ظنوا أنه يصيحُ عليهم.

قوله: «ولا أرغبَ بُطُونًا» (أرغب) يعني: أوسع؛ لكثرة الأكل وأنه ليس لهم همٌّ إلا ملء هذه البطون، ونحن نعلم أن الذين ليس لهم همٌّ إلا ملء البطون هم المنافقون، ما نافقوا إلا ليقبوا حتى لا يقتلهم المؤمنون.

إِذَنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْطَلَةُ رَمَوْا أَهْلَ السُّنَّةِ بِمَا هُمْ أَوْلَى بِهِ.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٩/٦)، رقم (١٠٠٤٤)، والطبري (٣٣٣/١٤).

قَوْلُهُ: «لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الْجَانِي» يعني: ليدفع عن نفسه السوء برمي غيره، ومن أمثال العوام: «ضربني وبكى وسببني واشتكى».

٢٦٠٢- يَرْمِي الرِّيَّ بِمَا جَنَاهُ مُبَاهِتًا وَلِذَاكَ عِنْدَ الْغَرِّ يَشْتَبِهَانِ

يعني: أنه يرمى البراء بما جناه هو بنفسه، فالغُرُّ الذي لا يدري يشته عليه الأمر، ويقول: لعل الصواب مع أهل التعطيل.

٢٦٠٣- سَمَّوْهُمْ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتًا وَمُجَسِّمِينَ وَعَابِدِي أَوْثَانَ

أعوذ بالله، يعني: سمّوا أهل الحديث بهذه الألقاب:

■ «حَشْوِيَّةً»، وقد تقدّم معنى الحَشْوِيَّةِ.

■ «نَوَابِتًا» أي: نوابت الزروع، وهي نوابت تبت في الزرع ليس لها فائدة.

■ «مُجَسِّمِينَ» يعني: يقولون: إِنَّ اللَّهَ جَسْمٌ، وقد سبق في هذه القصيدة أنه لم يقل أحدٌ من أهل الحديث: إِنَّ اللَّهَ جَسْمٌ.

■ كذلك أيضًا «عَابِدِي أَوْثَانَ» قالوا: أنتم تقولون: إِنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بهذه الصفات، وهذا يقتضي أن يكونَ جَسْمًا، وحينئذٍ تكونون عابدي أوثان، جعلتم الله وثناً.

٢٦٠٤- وَكَذَاكَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ وَهُمْ الرَّوَافِضُ أَحْبَبُ الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ» هم الروافض.

قَوْلُهُ: «أَحْبَبُ الْحَيَوَانِ» هذا كقول القحطاني - رحمه الله - في نُؤْيَيْتِهِ:

إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ

والذي يظاً الحصى كُلُّ شيء من بني آدم، والحيوانات، وغيرها، فهم شرٌّ من وطئ الحصى، وهنا يقول: (هم الروافضُ أخبثُ الحيوان).

٢٦٠٥- نَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِلصَّحَابَةِ ثُمَّ سَمَّ مَوَا بِالنَّوَابِ شِيعَةَ الرَّحْمَنِ

الله المستعان، نصبوا العداوة للصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لأنهم يكفرون الصحابة إلا آل البيت ونفراً قليلاً من غيرهم، يكفرون أبا بكر، وعمر، وعثمان، وبقية الصحابة، إلا آل البيت ونفراً قليلاً من غيرهم، كسلمان الفارسي وما أشبهه.

ويُسمون أهل الحديث الذين هم شيعة الرحمن نواب، لماذا؟ قالوا: لأنكم تحبون هؤلاء الصحابة، ومن القواعد المقررة عندهم: (كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أبا بكرٍ وعمرَ فقد أبغض علياً).

وكذبوا وربَّ العرش، بل إننا نحبُّ علياً وأبا بكرٍ وعمرَ وعثمان، ولا ينافي هذا هذا، لكن هم يقولون: مَنْ أَحَبَّ الصَّحَابَةَ فَقَدْ نَصَبَ الْعَدَاوَةَ لِآلِ الْبَيْتِ.

٢٦٠٦- وَكَذَا الْمُعْطَلُ شَبَّهَ الرَّحْمَنَ بِأَلْ مَعْدُومٍ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْوَصْفَانِ

قوله: «الوصفان»: شبه الخالق بالمعدوم؛ ولهذا عطَّله عن صفاته، فاجتمع له الوصفان؛ أي: وصفُ العدوان، ووصفُ التشبيه، فقد اعتدى على أهل الحديث ووصفهم بهذه الأوصاف الشنيعة، وشبهه.

٢٦٠٧- وَكَذَاكَ شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلَامِنَا حَتَّى نَفَاهُ وَذَانِ تَشْبِيهِانِ

قوله: «شبهه قوله بكلامنا» يعني: قال: لو أثبتنا لله كلاماً لزم أن يكون مشابهاً للمخلوق، فنفي الكلام، فصار عنده تشبيهان: تشبيهه كلام الله بكلامنا، ثم تشبيهه الله بالأخرس الذي لا يتكلم.

٢٦٠٨- وَكَذَلِكَ شَبَّهَ وَصَفَهُ بِصِفَاتِنَا حَتَّى نَفَاهَا عَنْهُ بِالْبُهْتَانِ

أتدرون لماذا أنكر هؤلاء المعطلة لصفات الله؟ الجواب: لأنهم تصوّروا أن إثباتها يَسْتَلْزِمُ التشبيه، فلما تصوّروا هذا قالوا: إذَنْ يجب أن ننفىها لئلا نقع في التشبيه، فشبّهوا أوّلاً وعطلّوا ثانيًا؛ ولهذا قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في الفتوى الحمويّة^(١): «كل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل».

وصدق -رحمه الله-، فالمعطلُّ ممثّلٌ؛ لأنه إنّما عَطَّلَ لاعتقاده أن إثبات الصفات يَسْتَلْزِمُ التمثيل، فَمَثَّلَ أوّلاً في تصوّره، ثم عَطَّلَ ثانيًا، ثم نقول: هو أيضًا في تعطيله مُمَثَّلٌ؛ لأنه إذا أنكر الصفات شبّه الله بالمعدومات، فَمَثَّلَ بالمعدوم.

وَكُلُّ مُمَثَّلٍ مَعَطَّلٌ؛ لأنَّ الممثَّلَ عَطَّلَ كُلَّ نَصٍّ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ المماثلة، فالممثَّلُ عَطَّلَ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، والمُمَثَّلُ عَطَّلَ الله من كماله الواجب؛ لأنَّ تمثيل الخالق بال مخلوق يجعله ناقصًا، فيكون في هذه الحال معطلًا لكمال صفات الله عزَّ وجلَّ.

فالْحاصلُ أنَّ المؤلِّفَ -رحمه الله- يقول: إنّ هؤلاء الذين شبّهوا وصفه بصفاتنا حتّى نفّوها، نفوا ذلك بالبهتان، وهم في الحقيقة لم يَسْلَمُوا من التمثيل.

٢٦٠٩- وَأَتَى إِلَى وَصَفِ الرَّسُولِ لِرَبِّهِ سَمَاءَهُ تَشْبِيهًا، فَيَا إِخْوَانِي

سبحان الله! أتى إلى وصف الرسول لربه فقال: إنّ الرسول ﷺ مُشَبَّهٌ لله بخلقه، وهذا قد يقوله بعضهم وقد لا يقوله، لكن يكون هذا من لازم قولهم.

(١) انظر: الفتوى الحموية (٢٧٦).

٢٦١٠- بِالله مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الإِسْمِ مِنْ هَذَا الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطَانِي؟
الجواب: هم أولى بذلك من أهل الحديث.

٢٦١١- إِنْ كَانَ تَشْبِيهًا تُبَوِّتُ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ فَبِأَكْمَلِ ذِي شَانٍ قَوْلُهُ: «فَبِأَكْمَلِ ذِي شَانٍ» فِي نَسْخَةِ «أَكْمَلُ بِهِ ذِي شَانٍ» وَالْمَعْنَى: إِذَا كَانَ ثُبُوتُ صِفَاتِ اللهِ تَشْبِيهًا فَإِنَّ ذَلِكَ تَشْبِيهٌُ بِالْأَكْمَلِ، يَعْنِي إِنَّمَا تُثَبِّتُ عَلَى أَنَّ اللهُ المَثَلُ الأَعْلَى.

معنى آخر تبين لي: إن كان إثبات الصفات تشبيهاً فقد مثلناه بالأكمل؛ لأن المتصف بصفات الكمال أولى بمن لم يتصف بها.

فهو يقول: إن كان هذا تشبيهاً فإنما شبّهناه بمن يتصف بالصفات، وأنتم شبّهتموه بمن لا يتصف، مثلاً إذا قلنا: الله سمع، أثبتنا له السمع، شبّهناه -على زعمهم- بالكامل، لكن هم يقولون: لا سمع له، فشبهوه بالناقص.

فعلى كلام هؤلاء المعطّلة أن الله تعالى لا يسمع بسمع، ولا يعلم بعلم، ولا يُبصر ببصر.

فنقول: هذا كلام غير معقول، وإنما هو في الحقيقة مُصانعة ومُداهنة، وإلا فحقيقة قولكم أنه لا يسمع، لكن تخشون من ثورة العامة، وتقولون: يسمع بلا سمع، ويُبصر بلا بصير، ويتكلّم بلا كلام، وهكذا.

٢٦١٢- لَكِنَّ نَفْسِي صِفَاتِهِ تَشْبِيهُهُ بِالْجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانٍ

يعني: إذا نفينا صفاته فقد شبّهناه بالأنقص، وليس بالأكمل؛ ولهذا يقول: «بِالْجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانٍ».

٢٦١٣- بَلِ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ وَهُوَ مَعَهُ دُومٌ وَإِنْ يُفْرَضُ فِئِي الْأَذْهَانَ

قَوْلُهُ: «بَلِ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ»؛ لأنك إذا نفيت الصفات عن الله مطلقاً فهذا هو العدم، وإذا كان هو العدم فقد وصفت الله بالعدم بأنه لا موجود.

قَوْلُهُ: «وَإِنْ يُفْرَضُ فِئِي الْأَذْهَانَ» يعني: إِنْ فُرِضَ وجودُ ذاتٍ لا تتصفُ بصفاتٍ فإنَّ هذا يُقَدَّرُ في الذَّهن، أمَّا في الواقع فلا، فلا تُوجَدُ ذاتٌ خاليةٌ من الصفات.

٢٦١٤- فَمَنْ الْمُسَبَّهُ بِالْحَقِيقَةِ أَنْتُمْ أَمْ مُثِبُّ الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ؟

الجواب: هم! فإذا قُدِّرَ أَنَّ المَثْبِتِينَ شَبَّهوه فقد شَبَّهوه بالأكمل؛ لأنَّ مَنْ يتصفُ بصفات الكمالِ أكملُ، وأمَّا هؤلاء فقد شَبَّهوه بالأنقص، بما لا صفة له، بل إنَّهم في الحقيقة شَبَّهوه بالعدم.

فصل

فِي نَكْتَةِ بَدِيعَةٍ تَبِينُ مِيرَاثَ الْمُتَّقِينَ وَالْمُلَقَّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُوحِدِينَ

- ٢٦١٥ - هَذَا وَتَمَّ لَطِيفَةٌ عَجَبٌ سَأَبُ
٢٦١٦ - فَاسْمَعْ فَذَاكَ مُعْطَلٌ وَمُشَبَّهٌ
٢٦١٧ - لَا بُدَّ أَنْ يَرِثَ الرَّسُولَ، وَضِدَّهُ
٢٦١٨ - فَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى مِنْهَاجِهِ
٢٦١٩ - إِحْدَاهُمَا حَرْبٌ لَهُ وَلِحِزْبِهِ
٢٦٢٠ - فَرَمَوْهُ مِنْ أَلْقَابِهِمْ بَعْظَائِمٍ
٢٦٢١ - فَآتَى الْأَلْسَى وَرِثُوهُمْ فَرَمَوْا بِهَا
٢٦٢٢ - هَذَا يُحَقِّقُ إِزْثَ كُلِّ مِنْهُمَا
٢٦٢٣ - وَالْآخَرُونَ أَوْلُو النِّفَاقِ فَأَضْمَرُوا
٢٦٢٤ - وَكَذَا الْمُعْطَلُ مُضْمَرٌ تَعْطِيلُهُ
٢٦٢٥ - هَذِي مَوَارِيثُ الْعِبَادِ تَقَسَّمَتْ
٢٦٢٦ - هَذَا وَتَمَّ لَطِيفَةٌ أُخْرَى بِهَا
- سَدِيدًا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
وَاعْقِلْ فَذَاكَ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ (١)
فِي النَّاسِ طَائِفَتَانِ مُخْتَلِفَانِ
وَالْوَارِثُونَ لِضِدِّهِ فِتْنَانِ:
مَا عِنْدَهُمْ فِي ذَاكَ مِنْ كِتْمَانِ
هُمُ أَهْلُهَا لَا خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
وَرَأَيْتُهُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
فَاسْمَعْ وَعِهِ يَا مَنْ لَهُ أُذُنَانِ
شَيْئًا وَقَالُوا غَيْرُهُ بِلِسَانِ
قَدْ أَظْهَرَ التَّنْزِيهَ لِلرَّحْمَنِ
بَيْنَ الطَّوَائِفِ قِسْمَةَ الْمَنَانِ
سُلُوانٌ مَنْ قَدْ سُبَّ بِالْبُهْتَانِ

- ٢٦٢٧- تَجِدُ الْمُعْطَلَّ لِاعِنَّا لِمُجَسِّمٍ
وَمُشَبِّهِ لِهِنَّ بِالْإِنْسَانِ
- ٢٦٢٨- وَاللَّهُ يَصْرِفُ ذَاكَ عَنْ أَهْلِ الْهُدَى
كَمَحْمَدٍ وَمُذَمَّمِ إِسْمَانِ
- ٢٦٢٩- هُمْ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَمُحَمَّدًا
عَنْ شَتْمِهِمْ فِي مَعَزِلِ وَصِيَانِ
- ٢٦٣٠- صَانَ الْإِلَهَ^(١) مُحَمَّدًا عَنْ شَتْمِهِمْ
فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى هُمَا صِنَوَانِ^(٢)
- ٢٦٣١- كَصِيَانَةِ الْأَتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ الْمُعْطَلِّ
طَلَّ لِلْمُشَبِّهِ هَكَذَا الْإِزْتِنَانِ^(٣)
- ٢٦٣٢- وَالسَّبُّ مَرْجِعُهُ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ
أَهْلٌ لِكُلِّ مَذْمُومَةٍ وَهَوَانِ
- ٢٦٣٣- وَكَذَا الْمُعْطَلُّ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهِ
وَاسْمَ الْمُوَحَّدِ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ
- ٢٦٣٤- هَذِي حِسَانُ عَرَائِسٍ زُفَّتْ لَكُمْ
وَلَدَى الْمُعْطَلِّ هُنَّ غَيْرُ حِسَانِ
- ٢٦٣٥- وَالْعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ^(٤) مُوَفَّقٍ
مَنْ غَيْرِ بَوَابٍ وَلَا اسْتِئْذَانِ
- ٢٦٣٦- وَيَرُدُّهُ الْمَحْرُومُ مِنْ خُذْلَانِهِ
لَا تُشَقِّنَا اللَّهُمَّ بِالْحِرْمَانِ
- ٢٦٣٧- يَا فِرْقَةً نَفَتِ الْإِلَهَ وَقَوْلُهُ
وَعُلُوَّهُ بِالْبَحْدِ وَالْكَفْرَانِ
- ٢٦٣٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَرَبِّي عَالِمٌ
بِسَرَائِرِ مِنْكُمْ وَحُبِّثِ جَنَانِ

(١) في نسخة السفارينية: «الإيمان».

(٢) في نسخة برلين والظاهرية وابن سحمان والإفتاء: «صونان».

(٣) في نسخة ابن سحمان: «الأوثان».

(٤) في نسخ السفارينية والتميمورية والظاهرية والإفتاء ونسختي ابن سحمان وبقية النسخ: «قلب

كل»، والمثبت في نسخة برلين، وكلاهما صحيح، كما في آية غافر: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ

قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

- ٢٦٣٩- فَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ بِالْعِلْمِ وَالشُّلْطَانِ
 ٢٦٤٠- وَالْحَقُّ رُكْنٌ لَا يَقُومُ لِهَدِّهِ أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ
 ٢٦٤١- تَوْبُوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ فَالرَّبُّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ النَّدْمَانِ
 ٢٦٤٢- مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالْجَنَانُ مَصِيرُهُ^(١) أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فَفِي النَّيْرَانِ

الشرح

هذه نكتة بديعة ذكرها المؤلف - رحمه الله -، وهي بديعة في الواقع، يقول:

- ٢٦١٥- هَذَا وَتَمَّ لَطِيفَةٌ عَجَبٌ سَأَبُ دِيهَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
 جزاء الله خيراً، فألفاظه - رحمه الله - مُشَوِّقَةٌ، فالإنسانُ إذا سَمِعَ هذا البيتَ يقول: هاتِ ما عندك.

- ٢٦١٦- فَاسْمَعْ فَذَلِكَ مُعْطَلٌ وَمُشَبَّهٌ وَاعْقِلْ فَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ
 قَوْلُهُ: «اعْقِلْ فَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ» يعني: العقلُ حقيقةُ الإنسان؛ ولهذا لا يتميِّزُ الإنسانُ عن الحيوانِ إِلَّا بالعقلِ، فإذا فَقَدَ العقلَ - والمراد عقلَ الرشد - صارَ أَحَبَّتْ من الحيوانِ؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

- ٢٦١٧- لَا بُدَّ أَنْ يَرِثَ الرَّسُولَ، وَضِدَّهُ فِي النَّاسِ طَائِفَتَانِ مُخْتَلِفَانِ
 وهذا صحيحٌ، فالرسولُ ﷺ له أعداء، وورثَ الرسولَ كذلك لا بُدَّ أَنْ

(١) في نسخة الإفتاء وبعض النسخ: «نصيبه».

يكون لهم أعداء؛ لأن النبي ﷺ لم يُعَادَ لشخصه، وإنما عُوِدِيَ لشرعه، فمن تمسك بشرعه فسيجد له أعداء كما وجد النبي ﷺ له أعداء.

٢٦١٨- فالوارثون له على منهاجه والوارثون لضده فتتان:

الوارثون للرسول ﷺ وأسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم على منهاجه، لا يحيدون عنه.

٢٦١٩- إحداهما حرب له ولحزبه ما عندهم في ذلك من كتمان

قوله: «إحداهما حرب له ولحزبه» وهم الكفار الخالص الذين يعلنون الكفر، هؤلاء حرب للرسول وحزبه، يعلنونها إعلاناً صريحاً، ما عندهم في ذلك من كتمان.

٢٦٢٠- فرموه من ألقابهم بعظائم هم أهلها لا خيرة الرحمن

يعني: رموا النبي ﷺ من ألقابهم بالعظائم، فقالوا: ساحر، ومجنون، وشاعر، وكاهن، وكذاب.

٢٦٢١- فأتى الألى ورثوهم فرموا بها وراثه بالبغى والعُدوان

الذين ورثوا الكفار رموا بهذه العظائم وراث النبي ﷺ، وهم أتباعه.

٢٦٢٢- هذا محقق إرث كل منهما فاسمع وعه يامن له أذنان

الفريق الثالث، وهو الثاني ممن ضاد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، قال

عنهم:

٢٦٢٣- والآخرون أولو النفاق فأضمروا شيئاً وقالوا غيره بلسان

قَوْلُهُ: «فَأَضْمَرُوا شَيْئًا» ماذا أضمروا؟ الجواب: الكفر.

قَوْلُهُ: «وَقَالُوا غَيْرَهُ بِلِسَانٍ» أي: الإسلام، فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر.

٢٦٢٤- وَكَذَا الْمُعْطَلُ مُضْمَرٌ تَعْطِيلُهُ قَدْ أَظْهَرَ التَّنْزِيهَ لِلرَّحْمَنِ

المعطل يُنكِرُ الصفاتِ ويكفرُ بها؛ مدَّعيًا أَنَّ ذلك تنزيهٌ لله عزَّ وجلَّ وتوحيدٌ له، ويقولُ: إِنَّ أَهْلَ الإِثْبَاتِ مشرِّكون كما سبق، عابدو أوثان، مُجَسِّمَةٌ.

٢٦٢٥- هَذِي مَوَارِيثُ الْعِبَادِ تَقَسَّمَتْ بَيْنَ الطَّوَائِفِ قِسْمَةَ الْمَنَانِ

واللهُ - سبحانه وتعالى - يُؤْتِي فضلَهُ مَنْ يشاء، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ حُرِّمَ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ وَمُنِحَ، وهذه لطيفةٌ.

٢٦٢٦- هَذَا وَثَمَّ لَطِيفَةٌ أُخْرَى بِهَا سُؤْلَانٌ مِّنْ قَدْ سُبَّ بِالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «سُؤْلَانٌ» يعني التَّسْلِي، ما هذه اللطيفة؟ قال - رحمه الله -:

٢٦٢٧- تَجِدُ الْمُعْطَلَّ لَاعِنًا لِمُجَسِّمٍ وَمُشَبِّهًا لِلَّهِ بِالْإِنْسَانِ

المعطلُّ يلعنُ المُجَسِّمَ والمُشَبِّهَ لله بالإنسان.

والحقيقة أَنَّ لعنه يعودُ عليه؛ لأنَّ المعطلَّ مُشَبِّهٌ - كما مرَّ علينا آنفًا - فإذا لعن المُمَثَّلُ قال: (اللَّهُمَّ العنِ المُمَثَّلَ وَالْمُشَبِّهَ) فقد لعن نفسه؛ لأنَّ أَهْلَ الحديثِ ينكرون هذا، فلا يُشَبِّهون اللهَ بخلقه، ويقولون: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ولا يُجَسِّمون، فلم يقولوا: إنه جسمٌ.

٢٦٢٨- وَاللَّهُ يَصْرِفُ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الْهُدَى كَمَحَمَّدٍ وَمُذَمَّمِ إِسْمَانَ

قَوْلُهُ: «يَصْرِفُ ذَلِكَ» أي: اللِّعْنَ.

قَوْلُهُ: «عَنْ أَهْلِ الْهُدَى» أَي: لِفِظًا وَمَعْنَى؛ لِأَنَّهْم لَيْسُوا -وَاللَّهُ الْحَمْدُ-
مُجَسَّمَةً، وَلَيْسُوا مُشَبَّهَةً.

مثاله: «كَمْ مُحَمَّدٍ وَمُدَّمِمِ إِسْمَانٍ» يَجُوزُ قَطْعُ الْهَمْزَةِ لِلضَّرُورَةِ. يَشِيرُ إِلَى أَنَّ
الْمُشْرِكِينَ سَمَّوْا النَّبِيَّ ﷺ مُدَّمَمًا^(١)، وَقَالُوا: هُوَ مُدَّمَمٌ، لَا مُحَمَّدٌ؛ لِأَنَّ (مُحَمَّدًا) مِنَ
الْحَمْدِ، وَ(مُدَّمَمًا) مِنَ الذَّمِّ، فَيَشْتُمُونَ مُدَّمَمًا فَيَقُولُونَ: مُدَّمَمٌ لَا حَيَّاهُ اللَّهُ وَلَا بَيَّاهُ.

٢٦٢٩- هُمْ يَشْتُمُونَ مُدَّمَمًا، وَحُمَّدٌ عَنِ شَتْمِهِمْ فِي مَعَزِلٍ وَصِيَانٍ

انظر، هم يشتمون مُدَّمَمًا، وَحُمَّدٌ الَّذِي هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَتْمِهِمْ فِي
مَعَزِلٍ وَصِيَانٍ، إِذَنْ يَنْصَبُ الشَّتْمُ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهْم هُمْ أَهْلُ الذَّمِّ.

٢٦٣٠- صَانَ إِلَاهَهُ مُحَمَّدًا عَنْ شَتْمِهِمْ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى هُمَا صِنْوَانٍ

فِرْسَوُّ اللَّهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي اللَّفْظِ اسْمُهُ (مُحَمَّدٌ)، وَفِي الْمَعْنَى
كَذَلِكَ (مُحَمَّدٌ)، وَلَيْسَ مُدَّمَمًا، لَا بِاللَّفْظِ وَلَا بِالْمَعْنَى.

٢٦٣١- كَصِيَانَةِ الْإِتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ الْمُعْطِ طِلُّ لِلْمُشَبَّهِ هَكَذَا الْإِرْثَانِ

٢٦٣٢- وَالسَّبُّ مَرْجِعُهُ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ أَهْلٌ لِكُلِّ مَذْمَةٍ وَهَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَالسَّبُّ مَرْجِعُهُ عَلَيْهِمْ» فِي نَسْخَةِ: (إِلَيْهِمْ) وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا الْإِرْثُ مُتَّفِقٌ تَمَامًا.

الْمُشْرِكُونَ يَسُبُّونَ الرَّسُولَ ﷺ وَيَلْعَنُونَ مُدَّمَمًا، فَتَعُودُ اللَّعْنَةُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَيْهِمْ.

(١) وَفِي هَذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَتَهُمْ، يَشْتُمُونَ
مُدَّمَمًا، وَيَلْعَنُونَ مُدَّمَمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمٌ (٣٣٤٠).

وهؤلاء أهل التعطيل يسبون أهل الإثبات ويلعنونهم، وفي الحقيقة أن الأمر يعود إليهم.

٢٦٣٣- وَكَذَا الْمُعْطَلُ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهِهِ وَأَسْمُ الْمُوَحِّدِ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: «وَكَذَا الْمُعْطَلُ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهِهِ» يقول: لعن الله المُشَبِّهَ، فيقال: بل هو المُشَبِّه.

قَوْلُهُ: «وَأَسْمُ الْمُوَحِّدِ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ» يعني: أهل الحديث الذين يثبتون هل هم مُشَبِّهون؟ الجواب: أبداً، فهم أهل التوحيد الذين قالوا: إن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

٢٦٣٤- هَذِي حِسَانٌ عَرَائِسٍ زُفَّتْ لَكُمْ وَلَدَى الْمُعْطَلِ هُنَّ غَيْرُ حِسَانٍ لا يوجد شك، فالحسان عند أهل الإثبات غير حسان عند أهل التعطيل.

٢٦٣٥- وَالْعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ مُوَفِّقٍ مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ وَلَا اسْتِئْذَانٍ قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ» في نسخة: (من غير أبواب)، والأولى أحسن، وأيضاً نسخة (الأبواب) تصح؛ لأن الغالب أن الأبواب لا تُجْعَلُ إِلَّا لِمَنْعِ الدَّخُولِ.

وصدق -رحمه الله-، فالموَفِّقُ يدخل العلم قلبه من غير بوابٍ ولا استئذان؛ لأن القلب هو الذي يطلب العلم، فبمجرد ما يرد إليه العلم يقبله، ولا يحتاج إلى بوابٍ ولا إلى استئذان، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفأً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

يحضرون مجلس الرسول ﷺ يُعَلِّمُهُمْ، ولكنهم لا يعون، ولا يفهمون، فإذا خرجوا قالوا: ماذا قال آنفاً؟ يحتمل أنهم يقولون ذلك على سبيل التحقير؛ يعني:

إننا لم نُبالِ به ماذا قال؟ ويحتمل أن يكونَ على سبيل الاستخبار، لكن لم يصل العلمُ إلى قلوبهم؛ لأنهم ليسوا أهلاً للعلم، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦] نعوذُ بالله.

أيضاً ابنُ القيم -رحمه الله- يقول: إِنَّ الْعِلْمَ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ مُوَفَّقٍ مِنْ غَيْرِ بَوَّابٍ وَلَا اسْتِئْذَانٍ.

قد يكون عندنا في الحقيقة مشكلة دخول العلم، هذه واحدة.

وهناك مشكلة أخرى: إذا دخل العلمُ من بابٍ مفتوح عندنا يخرجُ من ذلك الباب المفتوح، ولا ينغلقُ عليه البابُ حتى يحفظه؛ ولهذا تجدنا نقرأ كثيراً، ونحفظُ ولكن يطير العلم، فالعلم يخرج من الباب، والنافذة، والسقف أيضاً، بل لا يوجدُ سقفٌ، فهو يخرجُ من كُلِّ جانبٍ حتى لو دخل.

فالعلمُ في الحقيقة يحتاجُ إلى أمرين: إلى بابٍ مفتوحٍ لقبوله، وإلى بابٍ مغلقٍ، لمنعه من الخروج، نسألُ الله أن يوفِّقنا إلى هذا.

٢٦٣٦- وَيَرُدُّهُ الْمَحْرُومُ مِنْ خُذْلَانِهِ لَا تُشَقِنَا اللَّهُمَّ بِالْحِرْمَانِ

المحروم -نسألُ الله العافية- يَرُدُّ الْعِلْمَ؛ لأنه مخدولٌ.

٢٦٣٧- يَا فِرْقَةً نَفَتِ الْإِلَهَ وَقَوْلُهُ وَعُلُوَّهُ بِالْجَحْدِ وَالْكُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «يا فرقة»؛ لأنه ينادي نكرة غير مقصودة.

٢٦٣٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَرَبِّي عَالِمٌ بِسَرَائِرِ مِنْكُمْ وَخُبَثِ جَنَانِ

قَوْلُهُ: «موتوا بغَيْظِكُمْ» يعني: اغتاظوا غيظاً يقتلكم ويهلككم، وقد أمر الله

نبيه بذلك فقال: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢٦٣٩- فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولُهُ بِالْعِلْمِ وَالسُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ... بِالْعِلْمِ وَالسُّلْطَانِ»؛ لِأَنَّ الدِّينَ يَقُومُ بِالْعِلْمِ، وَبِثِّ الدِّينِ، وَبِالسُّلْطَانِ أَيْ: بِالقُوَّةِ: بِالْجِهَادِ بِالسِّنَانِ وَالسَّلَاحِ.

٢٦٤٠- وَالْحَقُّ رُكْنٌ لَا يَقُومُ لِهُدَاهِ أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ

وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللهُ-، فَالْحَقُّ رُكْنٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُهْدَى أَحَدٌ مَهْمَا كَانَ؛ وَهَذَا تَجَدُّ عَلَى كَثْرَةِ الْمُبْتَدِعَةِ وَكَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ هَلْ غَابَتْ شَمْسُ الْهُدَى؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا، لَمْ تَغِبْ -وَاللَّهُ الْحَمْدُ- شَمْسُ الْهُدَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يُضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١)، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُهْدَى الْحَقُّ أَبَدًا.

٢٦٤١- تَوَبُّوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ فَالرَّبُّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ النَّدْمَانِ

قَوْلُهُ: «تَوَبُّوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ» ابْنُ الْقَيِّمِ -جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا- لَمَّا ذَكَرَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالْبَغْيِ، لَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ، وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

وَانظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وَضِدُّ هَذَا الشَّرْكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَفْتَلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] هَذَا اعْتِدَاءٌ عَلَى الْإِنْفَسِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] اعْتِدَاءٌ عَلَى الْأَعْرَاضِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ»، رَقْمُ (٧٣١١)، مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ نَزُولِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِينَا، رَقْمُ (١٥٦).

فأكبرُ اعتداء على الأعراض الزنا، وأكبرُ اعتداء على الأنفس القتل، وأكبرُ عدوان على حقِّ الله الشُّركُ.

هؤلاء: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْكُذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْتَلِدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]
فالله عزَّ وجلَّ يقبلُ التوبة؛ ولهذا قال ابن القيم: توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم، فالرب يقبل توبة الندمان.

فالتوبة المبنية على الندم هي التوبة الحقيقية، أما التوبة المبنية على غير ذلك فهي توبة ناقصة، بل إنَّ العلماء جعلوا من شروط قبول التوبة الندم.

٢٦٤٢- مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالْجَنَانُ مَصِيرُهُ أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فَفِي النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالْجَنَانُ مَصِيرُهُ» أي: وإن كان في البداية كافرًا؛ ولهذا نحن نعلمُ حسب التاريخ ما حصل من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَوَّلِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الْمُنَابَذَةِ وَالْمُضَادَّةِ، لَوْ مَاتَ عَلَى هَذَا الْحَالِ لَكَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، لَكِنَّ مَنْ اللَّهَ عَلَيْهِ بِالتَّوْبَةِ، فَصَارَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَصَارَ هُوَ الثَّلَاثُ مِنَ الْقُبُورِ الَّتِي فِي بَيْتِ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

قَوْلُهُ: «أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فَفِي النَّيْرَانِ» يعني: مَنْ مَاتَ عَلَى مَذْهَبِ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ فَإِنَّهُ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ السَّلَفِ كَفَرُوا الْجَهْمِيَّةَ، وَالْكَافِرُ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

فصل

فِي بَيَانِ اقْتِضَاءِ التَّجْهِمِ وَالْجَبْرِ وَالْإِرْجَاءِ لِلخُرُوجِ عَنْ جَمِيعِ دِيَانَاتِ الْأَنْبِيَاءِ

- ٢٦٤٣- وَاسْمَعُ وَعِهِ سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكَ
 ٢٦٤٤- فَأَدْعُهُ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي
 ٢٦٤٥- جِيمٌ وَجِيمٌ ثُمَّ جِيمٌ مَعَهُمَا
 ٢٦٤٦- فِيهَا لَدَى الْأَقْوَامِ طَلَسُمٌ مَتَى
 ٢٦٤٧- فَإِذَا رَأَيْتَ الثَّوْرَ فِيهِ تَقَارَنُ^(١) الْ
 ٢٦٤٨- دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النَّحُوسَ جَمِيعَهَا
 ٢٦٤٩- جَبْرٌ وَإِرْجَاءٌ وَجِيمٌ تَجْهِمٌ
 ٢٦٥٠- فَأَحْكُمُ بِطَالِعِهَا لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ
 ٢٦٥١- فَأَحْمِلْ عَلَى الْأَقْدَارِ ذَنْبَكَ كُلَّهُ
 ٢٦٥٢- وَافْتَحْ لِنَفْسِكَ بَابَ عُنْدِكَ إِذْ تَرَى الْ
 ٢٦٥٣- فَالْجَبْرُ يُشْهِدُكَ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا
 ٢٦٥٤- لَا فَاعِلٌ أَبَدًا وَلَا هُوَ قَادِرٌ
- تُومًا مِنَ الْأَقْوَامِ مُنْذُ زَمَانٍ
 نُصْحًا وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الْكِتْمَانِ
 مَقْرُونَةٌ مَعَ أَحْرَفِ بِيُورَانَ
 تَحْلُلُهُ تَحْلُلُ ذُرْوَةَ الْعِرْقَانِ
 حِيَمَاتُ بِالتَّثْلِيثِ شَرَّ قِرَانِ
 سَهْمُ الَّذِي قَدْ فَازَ بِالْحُدْلَانِ
 فَتَأَمَّلِ الْمَجْمُوعَ فِي الْمِيزَانِ
 بِخَلَاصِهِ مِنْ رِبْقَةِ الْإِيمَانِ
 حَمَلُ الْجُدُوعِ عَلَى قُوَى الْجُدْرَانِ
 أَفْعَالٌ فِعْلُ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
 مِثْلُ اذْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجْفَانِ
 كَالْمَيْتِ أُدْرِجُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

(١) في نسخة برلين والإفتاء والتيمورية: «مقارن».

- ٢٦٥٥- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ اللَّذَانِ تَوَجَّهَا
 ٢٦٥٦- وَكَأَمْرِهِ الْأَعْمَى ^(١) بِنَقْطِ مَصَاحِفِ
 ٢٦٥٧- وَإِذَا ارْتَفَعَتْ دُرَيْجَةٌ أُخْرَى رَأَى
 ٢٦٥٨- إِنْ قِيلَ: قَدْ خَالَفتَ أَمْرَ الشَّرْعِ قُلْ
 ٢٦٥٩- وَمُطِيعُ أَمْرِ اللَّهِ مِثْلُ مُطِيعِ مَا
 ٢٦٦٠- عَبْدُ الْأَوْامِرِ مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ
 ٢٦٦١- فَانظُرْ إِلَى مَا قَادَتِ الْجِيمُ الَّذِي ^(٢)
 ٢٦٦٢- وَكَذَلِكَ الْإِزْجَاءُ حِينَ تُقْرَأُ بِالْ
 ٢٦٦٣- فَارْمِ الْمَصَاحِفَ فِي الْحُشُوشِ وَخَرِّبِ الْأَ
 ٢٦٦٤- وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعْتَ ^(٣) كُلَّ مُوَحِّدٍ
 ٢٦٦٥- وَاشْتَمِ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ أَتَوْا
 ٢٦٦٦- وَإِذَا رَأَيْتَ حِجَارَةً فَاسْجُدْ لَهَا
 ٢٦٦٧- وَأَقْرَأْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
 ٢٦٦٨- وَأَقْرَأْ أَنَّ رَسُولَهُ حَقًّا أَتَى
- فَهُمَا كَأَمْرِ الْعَبْدِ بِالطَّيْرَانِ
 أَوْ شَكْلِهَا حَذْرًا مِنَ الْأَلْحَانِ
 تِ الْكُلِّ طَاعَاتٍ بِلَا عِضْيَانِ
 لَكِنْ أَطَعْتُ إِرَادَةَ الرَّحْمَنِ
 يَقْضِي بِهِ وَكِلَاهُمَا عَبْدَانِ
 عِنْدَ الْمُحَقِّقِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
 لِلْجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
 مَعْبُودٍ تُصْبِحُ كَامِلَ الْإِيمَانِ
 بَيْتَ الْعَيْتِ وَقَدْ فِي الْعِضْيَانِ
 وَمَسَّحَنَ بِالْقَسِّ وَالصُّلْبَانِ
 مِنْ عِنْدِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
 بَلْ خَرَّ لِلْأَضْنَامِ وَالْأَوْثَانِ ^(٤)
 هُوَ وَحَدَهُ الْبَارِي لِذِي الْأَكْوَانِ
 مِنْ عِنْدِهِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

(١) في نسخة برلين: «أعمى».

(٢) في نسخة برلين والتميمورية والسفارينية والإفتاء والظاهرية: «التي».

(٣) في نسخة السفارينية والإفتاء ونسختي ابن سحمان: «اسطعت» بدون تاء في أوله.

(٤) في نسخة ابن سحمان: «والصلبان».

- ٢٦٦٩- فَتَكُونُ حَقًّا مُؤْمِنًا وَجَمِيعُ ذَا
 ٢٦٧٠- هَذَا هُوَ الْإِرْجَاءُ عِنْدَ غَلَابِهِمْ
 ٢٦٧١- فَأَضْفُ إِلَى الْجِيمَيْنِ جِيمٌ تَجْهُمٌ
 ٢٦٧٢- قُلْ: لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ
 ٢٦٧٣- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو سَمْعٍ وَلَا
 ٢٦٧٤- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعْبُودٌ سِوَى الْا
 ٢٦٧٥- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ
 ٢٦٧٦- كَلًّا وَلَا كَلِمٌ إِلَيْهِ صَاعِدٌ
 ٢٦٧٧- أَنِّي وَحَظُّ الْعَرْشِ مِنْهُ كَحَظِّ مَا
 ٢٦٧٨- بَلْ نِسْبَةُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
 ٢٦٧٩- فَعَلَيْهِمَا اسْتَوْلَى جَمِيعًا قُدْرَةً
 ٢٦٨٠- هَذَا الَّذِي أَعْطَنَهُ جِيمٌ تَجْهُمٌ
 ٢٦٨١- تَاللهِ مَا اسْتَجْمَعْنَ عِنْدَ مُعْطَلٍ
 ٢٦٨٢- وَالْجَهْمُ أَصْلُهَا جَمِيعًا فَاغْتَدَتْ
 ٢٦٨٣- وَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُمْ
 ٢٦٨٤- لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلُهُ
 وَزُرُّ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالْكَفْرَانِ
 مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي الشَّيْطَانِ
 وَأَنْفِ الصِّفَاتِ وَأَلْقِ بِالْأَرْسَانِ
 بِسَرَائِرٍ مِنَّا وَلَا إِعْلَانِ
 بَصْرِ وَلَا عَدْلٍ وَلَا إِحْسَانِ
 عَدَمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ
 بِأَوَامِرٍ وَرَوَاجِرٍ وَقُرَّانِ
 أَبَدًا وَلَا عَمَلٍ لِذِي سُكْرَانِ
 تَحْتَ الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الدَّانِي
 لِلْعَرْشِ نَسْبَتُهُ إِلَى الْبُنْيَانِ
 وَكِلَاهُمَا مِنْ ذَاتِهِ خِلْوَانِ
 حَشَوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ
 جِيَاهُمَا وَلَدَيْهِ مِنْ إِيْمَانِ
 مَقْسُومَةٌ فِي النَّاسِ بِالْمِيزَانِ
 أَصْحَابُهَا لَا شَيْعَةَ الْإِيْمَانِ
 ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسُّهْمَانِ

- ٢٦٨٥- لَكِنْ نَجَا أَهْلُ الْحَدِيثِ الْمُحْضَرِ أَتَى - سَبَّحَ الرَّسُولَ وَتَابِعُوا الْقُرْآنَ
- ٢٦٨٦- عَرَفُوا الَّذِي قَدْ قَالَ مَعَ عِلْمٍ بِمَا - قَالَ الرَّسُولُ فَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
- ٢٦٨٧- وَسِوَاهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالِدَعْوَى مَعَ أَلْ - كَبُرَ الْعَظِيمِ وَكَثْرَةَ الْهَدْيَانِ
- ٢٦٨٨- مَدُّوا يَدًا نَحْوَ الْعُلَى بِتَكْلُفٍ - وَتَخَلُّفٍ وَتَكْثُرٍ وَتَوَانٍ
- ٢٦٨٩- أَتَرَى يَنَالُوهَا وَهَذَا شَأْنُهُمْ؟ - حَاشَا الْعُلَى مِنْ ذَا الزَّبُونِ الْفَانِي

الشرح

هذا الفصل عجيب غريب، ذكر المؤلف - رحمه الله - فيه أن الجهم والجبر والإرجاء يقتضي الخروج من جميع ديانات الأنبياء.

فالتجهم، والجبر، والإرجاء، ثلاث جيمات تقتضي الخروج عن جميع ديانات الأنبياء.

قال المؤلف - رحمه الله -:

٢٦٤٣- وَاسْمَعْ وَعِهِ سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكْ - تُوْمًا مِنَ الْأَقْوَامِ مُنْذُ زَمَانِ

قَوْلُهُ: «سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكْتُومًا» يعني: ما أبداه أحدٌ ولا أظهره، وإن كان عند التأمل معلومًا، لكنه لم يُظْهَرْ، هذا السِّرُّ يقول:

٢٦٤٤- فَأَذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي - نُصْحًا وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الْكِتَابِ

قَوْلُهُ: «فَأَذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي» هذا التركيب تأتي به العربُ للدلالة على معاناة الشيء، وأنه لم يحصل بسهولة.

يقول: إنه أذاعه - رحمه الله - بعد اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا، أذاعه لماذا؟ قال: (نُصْحًا وَخَوْفَ
مَعْرَةَ الْكُتْمَانِ).

٢٦٤٥- جِيمٌ وَجِيمٌ ثُمَّ جِيمٌ مَعَهُمَا مَقْرُونَةٌ مَعَ أَحْرَفِ بِيوزَانٍ
ثلاثة جيماتٍ مقرونةٌ مع حروفٍ تُكْمَلُهَا، جيم الجبر يُكْمَلُهَا الباء والراء،
التجهم يُكْمَلُهَا الهاء والميم، الإرجاء يُكْمَلُهَا الهمزتان والراء.
هذه ثلاثة جيمات، يقول:

٢٦٤٦- فِيهَا لَدَى الْأَقْوَامِ طَلَّسُمٌ مَتَى تَحْلُلُهُ تَحْلُلُ ذُرْوَةَ الْعِرْقَانِ
قَوْلُهُ: «طلسم» الطَّلَّسُمُ هو عبارة عن قراءاتٍ مُعَيَّنَةٍ تُقْرَأُ عَلَى الْمَرْضَى تَكُونُ
سَبَبًا لِلشِّفَاءِ، وَتُجْمَعُ عَلَى (طَلَّاسِمِ).

٢٦٤٧- فَإِذَا رَأَيْتَ الثَّوْرَ فِيهِ تَقَارَنَ الْـ جِيَمَاتُ بِالتَّثْلِيثِ شَرَّ قِرَانِ
قَوْلُهُ: «الثور» أحدُ البروج الاثني عشر، الذين يقولون بعلم النجوم
يتكهنون في مثل هذه الأمور باقتران النَّجْمِ الْفِلَانِيِّ بِالنَّجْمِ الْفِلَانِيِّ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ، وَهُوَ عِلْمٌ بَاطِلٌ لِأَشْكَ، لَكِنِ الْمَوْلَفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا
فَقَط.

٢٦٤٨- دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النُّحُوسَ جَمِيعَهَا سَهُمُ الَّذِي قَدْ فَازَ بِالْحُدْلَانِ
٢٦٤٩- جَبْرٌ وَإِرْجَاءٌ وَجِيمٌ تَجْهَمُ فَتَأْمَلِ الْمَجْمُوعَ فِي الْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «جَبْرٌ» فِيهَا جِيمٌ، «إِرْجَاءٌ» فِيهَا جِيمٌ، «تَجْهَمُ» فِيهَا جِيمٌ، هَذِهِ الثَّلَاثَةُ
مَجْمُوعَةٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَرَجَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْإِسْلَامِ.

٢٦٥٠- فَأَحْكُمُ بِطَالِعِهَا لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ بِخَلَاصِهِ مِنْ رَبَقَةِ الْإِيمَانِ

يعني: تَخَلَّصَ مِنْ رَبَقَةِ الْإِيمَانِ وَفَصَلَّهَا، ودخل في الكفر والعياذ بالله.

٢٦٥١- فَأَحْمِلْ عَلَى الْأَقْدَارِ ذَنْبَكَ كُلَّهُ حَمَلُ الْجُدُوعِ عَلَى قُوَى الْجُدْرَانِ

بدأ المؤلفُ بالجبر، وأهل الجبر يقولون: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ، ليس له حَوْلٌ وَلَا قُوَّةَ، فأحمل جميع الذنوب على الأقدار، إذا أَحَدٌ عَاتَبَكَ عَلَى ذَنْبٍ فَقُلْ: هَذَا قَدَرُ اللَّهِ، كُلُّ ذُنُوبِكَ أَحْمِلُهَا عَلَى الْقَدَرِ.

قَوْلُهُ: «حَمَلُ الْجُدُوعِ عَلَى قُوَى الْجُدْرَانِ» الجِدْعُ إِذَا أَسْنَدْتَهُ إِلَى الْجِدَارِ اتَّكَأَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

٢٦٥٢- وَافْتَحْ لِنَفْسِكَ بَابَ عُدْرِكَ إِذْ تَرَى الْأَفْعَالَ فِعْلَ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

هؤلاء الغلاةُ من الجبرية يقولون: إِنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ فِعْلُ اللَّهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يَفْتَحُ عَلَيْنَا بَابَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْخَلْقَ عَيْنُ الْخَالِقِ، فَإِذَا فِعْلُ الْخَلْقِ هُوَ فِعْلُ الْخَالِقِ.

٢٦٥٣- فَالْجَبْرُ يُشْهِدُكَ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا مِثْلَ ارْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجَفَانِ

رَجُلٌ ذَهَبَ إِلَى مُجَمَّعِ بَغَايَا، وَفَعَلَ الْفَاحِشَةَ وَرَجَعَ، حَرَكَاتُهُ وَخَطَوَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا بغير اختياره، كشيخٍ فإِنَّ كَبِيرٍ قَدْ ذَهَبَتْ قُوَاهُ، فَهُوَ يَرْتَعِشُ هَكَذَا، هَذَا الْفِعْلُ وَهُوَ (الارتعاش) اخْتِيَارِيٌّ أَوْ اضْطِرَارِيٌّ؟ الْجَوَابُ: اضْطِرَارِيٌّ.

هو يقول: هذا الرجل الذي ذهب إلى سوق البغايا وقضى حاجته ورجع، كُلُّ فِعْلِهِ هَذَا اضْطِرَارِيٌّ، ليس له فيه حول لا قوة كارتعاش الشيخ الفاني.

٢٦٥٤- لا فاعِلٌ أبداً ولا هوَ قَادِرٌ كَالْمَيْتِ أَدْرَجَ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

قَوْلُهُ: «لا فاعِلٌ أبداً ولا هوَ قَادِرٌ» الإنسان ليس بفاعلٍ، وليس بقادرٍ على الفعل، علَّل ذلك بأنه مُجْبَرٌ.

قَوْلُهُ: «كَالْمَيْتِ أَدْرَجَ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ» فالميتُ يُحْمَلُ من سرير الغسل ويُوَضَعُ على الكفن، وهذا ليس باختياره.

لو اختار ما اختار أن يُغَسَّلَ ولا أن يُدْخَلَ في الأكفان، بل لا اختار الحياة.

٢٦٥٥- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ اللَّذَانِ تَوَجَّهَا فَهَمَّا كَأَمْرِ الْعَبْدِ بِالطَّيْرَانِ

لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: كيف تقولون هذا والله تعالى يُوجِّهُ الأمر إلى العباد، يقول: افعلوا، أقيموا الصلاة، آتوا الزكاة، كيف تقولون هذا؟ قال: هذا أمرٌ كما يُؤْمَرُ العبدُ -أي: الإنسان- الذي ليس عنده جناحٌ يُؤْمَرُ بالطيران.

توجيهُ الأمرِ بالطيران إلى مَنْ لا جناحَ له، هذا غيرُ ممكنٍ، يعني: لو أنَّ أحداً وجَّه الأمرَ بالطيران إلى شخصٍ لا جناحَ له، قيل: هذا جنونٌ وسَفَهٌ.

٢٦٥٦- وَكَأَمْرِهِ الْأَعْمَى بِنَقْطِ مَصَاحِفٍ أَوْ شَكْلِهَا حَذْرًا مِنَ الْأَلْحَانِ

أعطينا أعمى مصحفًا مكتوبًا بالحروف، وقلنا له: نَقِّطْهُ، وإذا انتهى من التنقيط قلنا: شَكَّلْهُ، وهو أعمى، فهذا لا يمكن إلا على طريقة (برايل)، لكن هذا ليس التشكيل المعهود المعروف.

على كُلِّ حالٍ هم يقولون-والعياذ بالله-: إنَّ أوامرَ الله وأوامرَ رسوله الموجهة إلى الناس كأوامر العبد الذي ليس له جناحٌ بالطيران، أو أمر الأعمى بأن يُنْقِطَ المصحفَ ويُسَكِّلَهُ.

٢٦٥٧- وَإِذَا ارْتَفَعَتْ دُرَيْجَةٌ أُخْرَى رَأَيْتَ الكُلَّ طَاعَاتٍ بِلا عِضْيَانِ

ارتفع نسيباً أيضاً في قول أهل الجبر، إذا ارتفعت رأيت الكل طاعات، فالمعاصي طاعات، فالزنا طاعة، شرب الخمر طاعة، السرقة طاعة!

٢٦٥٨- إِنْ قِيلَ: قَدْ خَالَفتَ أَمْرَ الشَّرْعِ قُلْ لَكِنْ أَطَعْتُ إِرَادَةَ الرَّحْمَنِ

أعوذ بالله، إن قيل: أنت شربت الخمر، وخالفت أمر الشرع، قال: لكن وافقت الإرادة، أليس الله قد أراد أن أشرب الخمر؟ الجواب: بلى، قال: إذن أنا مطيع؛ لأنني وافقت إرادة الله.

٢٦٥٩- وَمُطِيعُ أَمْرِ اللَّهِ مِثْلُ مُطِيعِ مَا يَقْضِي بِهِ وَكِلَاهُمَا عَبْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَمُطِيعُ أَمْرِ اللَّهِ» يعني أمر الله الكوني.

الذي يطيع أمر الله الكوني كالمطيع أمره فيما يقضي به من الشرع.

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا» أي: مطيع الأمر ومطيع الشرع، كلاهما عبدان.

وهذا صحيح، فهما عبدان، لكن الكافر عبد بالعبودية القدرية، والمؤمن عبد بالعبودية القدرية الشرعية.

٢٦٦٠- عَبْدُ الْأَمْرِ مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ عِنْدَ الْمُحَقِّقِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

قَوْلُهُ: «عَبْدُ الْأَمْرِ» عبد الأمر هو المؤمن الذي يطيع أمر الله.

قَوْلُهُ: «مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ» المشيئة لا تنقسم إلى شرعية وكونية، بل كلها كونية.

يقول: أمر الشرع طاعته واضحة؛ لأنها طاعة لله، أيضاً مشيئة الله طاعتها طاعة، ليس يفترقان.

٢٦٦١- فَانظُرْ إِلَى مَا قَادَتِ الْجِيمُ الَّذِي لِلْجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ بُهْتَانٍ

وهذا صحيح، فقد أدت إلى ثلاث فظائع عظيمة كبيرة:

الأولى: أدت إلى أن الإنسان مجبرٌ على العمل.

الثانية: أدت إلى أن أمر الله الخلق بالعبادة والطاعة عبث، وهو أمرٌ بها لا يُطاق،

كأمر العبد بالطيران، والأعمى بنقط المصاحف.

الثالثة: أدت إلى أن موافقة الأمر الكونيِّ كموافقة الأمر الشرعيِّ.

فجعلوا المعاصي طاعات، أي دين لشخص يقول: إن الزنا، والخمر والسرقه،

وقتل النفس؛ كل هذا طاعة، بل الشرك يكون طاعة؛ لأنه إن خالف الأمر

الشرعيّ فقد وافق الأمر الكونيّ؟!!

٢٦٦٢- وَكَذَلِكَ الْإِزْجَاءُ حِينَ تُقْرَأُ بِالْمَعْبُودِ تُصْبِحُ كَامِلَ الْإِيمَانِ

هؤلاء المرجئة يقولون: الإيمان: الإقرار بالمعبود، أقر بالله فأنت مؤمنٌ كامل

الإيمان، إيمانك مثل رسول الله ومثل جبريل، لكن أقر بالمعبود، فأنت مؤمنٌ كامل

الإيمان.

٢٦٦٣- فَارْمِ الْمَصَاحِفَ فِي الْحُشُوشِ وَخَرَّبِ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَجَدَّ فِي الْعِصْيَانِ

قوله: «فارم المصاحف في الحشوش» أعوذ بالله، فطالما تُقرأ بأن الله موجودٌ

فخذ المصحف وارمه في الحش؛ أخبث مكان.

قوله: «وخرّب البيت العتيق»: اذهب إلى الكعبة واهدمها.

قوله: «وجد في العصيان» أي معصية تُذكر لك اجتهد في الحصول عليها.

٢٦٦٤- وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعْتَ كُلَّ مَوْحِدٍ وَتَمَسَّحَنْ بِالْقَسِّ وَالصُّلْبَانِ
قَوْلُهُ: «وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعْتَ كُلَّ مَوْحِدٍ» يعني: لا تقتل أي نفس، لكن انظر
للموحدين واقتلهم.

قَوْلُهُ: «وَتَمَسَّحَنْ بِالْقَسِّ وَالصُّلْبَانِ» القس هو القسيس عالم النصارى.

قَوْلُهُ: «الصُّلْبَانِ»: الصليب الذي يعبدُه النصارى، يقول: تَمَسَّحَنْ بِهَا.

٢٦٦٥- وَاشْتُمَّ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ أَتَوْا مِنْ عِنْدِهِ جَهْرًا بِلَا كِثْمَانٍ

قَوْلُهُ: «وَاشْتُمَّ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ» أعوذ بالله، كلُّ رسولٍ اشتُمَّه.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ أَتَوْا مِنْ عِنْدِهِ» أي: الله عزَّ وجلَّ، نسألُ الله العافية.

٢٦٦٦- وَإِذَا رَأَيْتَ حِجَارَةً فَاسْجُدْ لَهَا بَلْ خِرٌّ لِلْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ

إذا رأيت حجراً ملقى في السوق فاسجد له، بل إذا رأيت معبوداً من دون
الله من الأوثان وغيرها فاسجد له.

٢٦٦٧- وَأَقِرَّ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ وَخَدَهُ الْبَارِي لِذِي الْأَكْوَانِ

٢٦٦٨- وَأَقِرَّ أَنَّ رَسُولَهُ حَقًّا أَتَى مِنْ عِنْدِهِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

٢٦٦٩- فَتَكُونَ حَقًّا مُؤْمِنًا وَجَمِيعُ ذَا وَزُرُّ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالْكَفْرَانِ

٢٦٧٠- هَذَا هُوَ الْإِرْجَاءُ عِنْدَ غُلَامِهِمْ مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «الباري» في نسخة (البادي)، والصواب: (الباري) يعني الخالق.

أعوذ بالله، فهو قادننا إلى أن تؤمن بوجود الله فقط، وافعل ما شئت.

فإذا قال: أنا مؤمن بالله بأنه الربُّ خالقُ المخلوقات، وأنه الباري، ثمَّ فعل ما قال المؤلف؛ أخذ المصاحفَ ورمى بها في الحشوش، أو ذهب إلى الكعبة ودمرها، أو ذهب إلى كُلِّ موحدٍ وقتله، أو تمسَّح بالقسِّ والصلبان.... إلى آخر ما قال المؤلف فهو عندهم مؤمنٌ كاملُ الإيَّان، هذا هو إرجاءُ الجهميَّة، فالإيَّانُ عندهم أن تُقرَّ بوجود الله فقط، والباقي افعَل ما شئت.

فلو سببتَ اللهَ ليس هناك مانعٌ عندهم، سبَّ اللهَ لكن تؤمن بأنه موجودٌ.

الرُّسلُ سُبِّهتْ، وقلَّ فيهم ما شئت، ولكن آمن بأنهم رسلٌ من عند الله فقط؛ ولهذا قال: «فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذَا وَزْرٌ عليك» كُلُّ هذه الأفعال وزرٌ ولكن ليست بكفر؛ لأنك مؤمنٌ كاملُ الإيَّان.

٢٦٧١- فَأَضِفْ إِلَى الْجِيمَيْنِ جِيمَ تَجْهَمٍ وَأَنْفِ الصِّفَاتِ وَأَلْقِ بِالْأَرْسَانِ

قَوْلُهُ: «فَأَضِفْ إِلَى الْجِيمَيْنِ» اللذين سبقا؛ جيمُ الجبر وجيمُ الإرجاء، وبقيت جيمُ التجهم.

قَوْلُهُ: «جيمُ التجهم» هي عبارة عن تعطيل الباري عزَّ وجلَّ من أوصافه، فجيمُ التجهم هي نفي الصفات.

٢٦٧٢- قُلْ: لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ بِسَرَائِرِ مَنْنَا وَلَا إِعْلَانِ

أعوذ بالله، إذا كان لا يعلمُ سرائرنا ولا إعلاننا إذنٌ هو جاهلٌ، فلا يُوجدُ مانعٌ عندهم؛ لأنه يقول: اشتمَّ اللهَ ولا يُهْمُك ما دمت مؤمناً بوجوده.

٢٦٧٣- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ وَلَا عَدْلٍ وَلَا إِحْسَانِ

يقولون ذلك لأنهم ينفون الصفات كُلَّها.

٢٦٧٤- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعْبُودٌ سِوَى اللَّهِ عَدَمَ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ
لأنهم إذا قالوا: إِنَّ اللَّهَ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا فَوْقَ، وَلَا تَحْتَ،
وَلَا يَمِينٍ، وَلَا شِمَالٍ، وَلَا مُتَّصِلٍ، وَلَا مُفَصَّلٍ، صَارَ عَدَمًا.

٢٦٧٥- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِأَوْامِرٍ وَزَوَاجِرٍ وَقُرَّانٍ
لأنهم يقولون: الكلامُ مخلوقٌ، واللهُ لا يتكلمُ.

٢٦٧٦- كَلَّا وَلَا كَلِمٌ إِلَيْهِ صَاعِدٌ أَبَدًا وَلَا عَمَلٍ لِذِي شُكْرَانٍ
لأنهم لو أثبتوا أَنَّ الْعَمَلَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ لِأَثْبَتُوا أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ، وَهَمَّ لَا يُقَرُّونَ
بهذا.

٢٦٧٧- أَنَّى وَحَظَّ الْعَرْشِ مِنْهُ كَحَظِّ مَا تَحْتَ الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الدَّانِي
قَوْلُهُ: «أَنَّى» يعني: كيف يكون ذلك؟! يقولون: الذي عند العرش والذي
في أسفل السَّافِلِينَ هُمَا عِنْدَ اللَّهِ فِي الْقَرَبِ سِوَاءً.

سبحان الله! هل يمكنُ هذا؟ قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾ [التكوير: ٢٠]
لو كانوا سواءً لكان الذي في الأرض السُّفْلَى عِنْدَ الْعَرْشِ، وَكَانَ الَّذِي فِي الْأَرْضِ
السُّفْلَى عِنْدَ اللَّهِ، فَلَا يُفَرِّقُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْعُلُوَّ.

٢٦٧٨- بَلْ نِسْبَةُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ لِلْعَرْشِ نِسْبَتُهُ إِلَى الْبُنْيَانِ

٢٦٧٩- فَعَلَيْهِمَا اسْتَوَىٰ جَمِيعًا قُدْرَةً وَكِلَاهُمَا مِنْ ذَاتِهِ خُلُوعًا

يقولون: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، يعني: استولى عليه، وكذلك البُنْيَانِ

الذي في الأرض استولى عليه.

إِذَنْ نَسَبَةُ الْبِنْيَانِ إِلَى اللَّهِ كَنَسَبَةِ الْعَرْشِ إِلَى اللَّهِ، كِلَاهُمَا قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٦٨٠- هَذَا الَّذِي أَعْطَتْهُ جِيْمٌ تَجْهْمٌ حَشَوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

إِذَنْ مَا الَّذِي أَعْطَتْهُ جِيْمٌ التَّجْهْمُ؟ الْجَوَابُ: لَا شَيْءَ، أَي: تَعْطِيلُ اللَّهِ حَقِيقَةً.

لَكِنْ أَتَيْتَنَّ أَشَدُّ: جِيْمُ الْجَبْرِ، أَوْ جِيْمُ الْإِرْجَاءِ، أَوْ جِيْمُ التَّجْهْمِ؟ الْجَوَابُ: كُلُّهُنَّ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدَةٍ يَكُونُ الْكُفْرُ عِنْدَهَا، نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْحَمَايَةَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ.

٢٦٨١- تَاللَّهِ مَا اسْتَجْمَعْنَ عِنْدَ مُعْطَلٍ جِيَاتِهَا وَلَدَيْهِ مِنْ إِيْمَانٍ

وَنَحْنُ نُقْسِمُ كَمَا أَقْسَمَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهُ مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَعْتَقِدُ هَذَا الْإِعْتِقَادَ إِلَّا وَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ بِلَا شَكٍّ، وَلَا نَشْكُ فِي هَذَا.

٢٦٨٢- وَالْجَهْمُ أَصْلُهَا جَمِيعًا فَاعْتَدَتْ مَقْسُومَةً فِي النَّاسِ بِالْمِيزَانِ

هُوَ أَصْلُ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَقَسَّمَتْ بَيْنَ النَّاسِ، فَمَثَلًا: التَّعْطِيلُ هَلْ اخْتَصَّ بِهِ الْجَهْمِيَّةُ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَالْإِرْجَاءُ وَالْجَبْرُ كَذَلِكَ، فَيُوجَدُ أَنَاسٌ أَخَذُوا مِنَ الْجَبْرِ شَيْئًا، وَأَنَاسٌ أَخَذُوا مِنَ الْإِرْجَاءِ شَيْئًا، وَأَنَاسٌ أَخَذُوا مِنَ التَّعْطِيلِ شَيْئًا، فَتَقَسَّمَهَا النَّاسُ، لَكِنْ أَصْلُ الثَّلَاثَةِ مِنْ عِنْدِ الْجَهْمِ -نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ- فَعَلِيهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٢٦٨٣- وَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُمْ أَصْحَابُهَا لَا شِيعَةَ الْإِيْمَانِ

وَهَذَا صَحِيحٌ، أَمَّا شِيعَةُ الْإِيْمَانِ فَسَالِمُونَ مِنْهَا، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

٢٦٨٤- لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسُّهْمَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ» أي: طوائفُ أهل البدع تقسّموا قوله.

قَوْلُهُ: «ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسُّهْمَانِ» يعني أَنَّ النَّاسَ أَخَذُوا مِنْ هَذَا التَّعْطِيلِ، مِنْهُمْ مَنْ عَطَّلَ سَهْمًا، سَهْمَيْنِ، ثَلَاثَةً، أَكْثَرَ، لَكِنْ أَصْلُ الْبَلَاءِ مِنَ الْجَهْمِ.

٢٦٨٥- لَكِنْ نَجَا أَهْلُ الْحَدِيثِ الْمُحْضِرِ أَتَّ بَاعُ الرَّسُولِ وَتَابِعُوا الْقُرْآنِ

٢٦٨٦- عَرَفُوا الَّذِي قَدْ قَالَ مَعَ عِلْمٍ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ فَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

٢٦٨٧- وَسِوَاهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالِدَّعْوَى مَعَ الْكِبْرِ الْعَظِيمِ وَكَثْرَةِ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَسِوَاهُمْ» يعني: سوى أهل الحديث.

قَوْلُهُ: «فِي الْجَهْلِ وَالِدَّعْوَى» هَاتَانِ خَصْلَتَانِ ذَمِيمَتَانِ: جَهْلٌ، وَدَعْوَى كِمَالٍ.

فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ بَلْ أَهْلُ الْبَدْعِ كُلُّهُمْ عِنْدَهُمُ الْجَهْلُ الْعَظِيمُ، وَعِنْدَهُمْ دَعْوَى الْكِمَالِ، تَجَدُّ الصَّوْفِيِّ مَثَلًا - وَلَا أَجَهْلٌ مِنَ الصَّوْفِيِّ - يَدَّعِي أَنَّهُ هُوَ الْعَالِمُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْكِمَالِ، وَهُوَ الْعَابِدُ لِلَّهِ، وَأَنَّ مَنْ سِوَاهُ لَيْسَ عِنْدَهُ رِقَّةٌ قَلْبٍ وَلَا لِينٌ قَلْبٍ وَلَا تَوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ، وَهَكَذَا أَهْلُ الْبَدْعِ كُلُّهُمْ عِنْدَهُمْ جَهْلٌ وَدَعْوَى.

قَوْلُهُ: «مَعَ الْكِبْرِ الْعَظِيمِ» هَذِهِ هِيَ الْخَصْلَةُ الثَّلَاثَةُ، وَبِئْسَ خَصْلَةٌ.

قَوْلُهُ: «وَكَثْرَةِ الْهَدْيَانِ» هَذِهِ هِيَ الْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ، تَجَدُّ كَلَامًا طَوِيلًا عَرِيضًا مُزْخَرَفًا، وَلَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ.

فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ أَوْصَافٍ: الْجَهْلُ، الدَّعَاوَى الْبَاطِلَةَ، الْكِبْرُ، الْهَدْيَانِ، هَذِهِ سِمَاتُ أَهْلِ الْبَدْعِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسَلِّمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

٢٦٨٨- مَدُّوْا يَدَا نَحْوِ الْعُلَى بِتَكْلُفٍ وَتَخْلُفٍ وَتَكْثِيرٍ وَتَوَانٍ

يعني: هم يدعون أنهم هم أصحاب العلى، ويمدُّون أيديهم إليها، لكن مع هذه الأوصاف لا يمكن أن ينالوها؛ ولهذا قال:

٢٦٨٩- أَتَرَى يَنَالُوهَا وَهَذَا شَأْنُهُمْ؟ حَاشَا الْعُلَى مِنْ ذَا الزَّبُونِ الْفَانِي

العلی لا يناله مثل هؤلاء الزبائن، فلا ينال العلی إلا أصحاب العلی، أمّا هؤلاء فلن ينالوها.

والحقیقة أن هذا الكتاب - سبحان الله - بین لنا أحوالاً كثيرة من أحوال البدع، ما كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهَا تَصُلُّ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، خُصُوصًا فِي هَذَا الْفَصْلِ؛ وَهَذَا نَقُولُ: جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، هُوَ أَذَاعَهَا بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهُ أَذَاعَهَا، وَصَارَ فِيهَا عِبْرَةٌ، وَتَعَجَّبَ كَيْفَ تَصُلُّ الْحَالُ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَى مَا وَصَفَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - !؟

فصل

فِي جَوَابِ الرَّبِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سَأَلَ الْمُعْطَلُ وَانْتَبِتَ
عَنْ قَوْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

- ٢٦٩٠ - وَسَلِ الْمُعْطَلُ مَا تَقُولُ إِذَا أَتَى
فِتْنَانِ عِنْدَ اللَّهِ يَخْتَصِمَانِ؟
- ٢٦٩١ - إِحْدَاهُمَا حَكَمَتْ عَلَى مَعْبُودِهَا
بِعُقُولِهَا وَبِفِكْرَةِ الْأَذْهَانِ
- ٢٦٩٢ - سَمَّتُهُ مَعْقُولًا وَقَالَتْ: إِنَّهُ
أَوْلَى مِنَ الْمَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ
- ٢٦٩٣ - وَالنَّصُّ قَطْعًا لَا يُفِيدُ فَنَحْنُ أَوْ
وَلْنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلَانِ
- ٢٦٩٤ - قَالَتْ: وَقُلْنَا فِيكَ: لَسْتَ بِدَاخِلٍ
فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجِ الْأَكْوَانِ
- ٢٦٩٥ - وَالْعَرْشُ أَخْلَيْنَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَوْ
قَ الْعَرْشِ، لَسْتَ بِقَابِلٍ لِمَكَانِ
- ٢٦٩٦ - وَكَذَلِكَ لَسْتَ بِقَائِلِ الْقُرْآنِ بَلْ
قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
- ٢٦٩٧ - وَنَسَبْتُهُ حَقًّا إِلَيْكَ بِنِسْبَةِ التُّه
تَشْرِيفِ تَعْظِيمًا لِذِي ^(١) الْقُرْآنِ
- ٢٦٩٨ - وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَسْتَ تَنْزِلُ فِي الدُّجَى
إِنَّ النُّزُولَ صِفَاتُ ذِي الْجُحْمَانِ
- ٢٦٩٩ - وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَسْتَ ذَا وَجْهِ وَلَا
سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!
- ٢٧٠٠ - وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّ

(١) كذا في الأصول، وفي نسخة الإفتاء: «لذا».

- ٢٧٠١ - وَكَذَلِكَ قُلْنَا: مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ
مِنْ أَجْلِهَا خَصَّصْتَهُ بِزَمَانٍ
- ٢٧٠٢ - مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَحْتَ
مِثْلًا عَلَى مِثْلِ بِلَا رُجْحَانٍ
- ٢٧٠٣ - لَكِنَّ مَنَّا مَنْ يَقُولُ بِحِكْمَةِ
لَيْسَتْ بِوَصْفٍ قَامَ بِالرَّحْمَنِ
- ٢٧٠٤ - هَذَا وَقُلْنَا مَا اقْتَضَتْهُ عَقُولُنَا
وَعُقُولِ أَشْيَاخِ ذَوِي عِرْفَانٍ
- ٢٧٠٥ - قَالُوا لَنَا: لَا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ الْأَلْوَانِ
وَوَحْيَيْنِ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ
- ٢٧٠٦ - بَلْ فَكِّرُوا بِعُقُولِكُمْ إِنْ شِئْتُمْ
أَوْ فَاقْبَلُوا آرَاءَ عَقْلِ فُلَانٍ
- ٢٧٠٧ - فَلْأَجَلِ هَذَا لَمْ نُحَكِّمْ لَفْظَ آ
نَارٍ وَلَا خَيْرٍ وَلَا قُرْآنٍ
- ٢٧٠٨ - إِذْ كُلُّ تِلْكَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ
مَعْرُوزَةٌ عَنِ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

الشرح

يقول ابن القيم - رحمه الله - في هذا الفصل:

٢٦٩٠ - وَسَلِ الْمُعْطَلَّ مَا تَقُولُ إِذَا أَتَى فِتْنَانَ عِنْدَ اللَّهِ يَخْتَصِمَانِ؟

إنه سيجتمع عند الله يوم القيامة فتنان تختصمان في الله: فئة معطلة، وفئة مثبتة، أما المعطلة فحكّموا العقل، وتركوا النقل؛ ولذا قال:

٢٦٩١ - إِحْدَاهُمَا حَكَمَتْ عَلَى مَعْبُودِهَا بِعُقُولِهَا وَبِفِكْرَةِ الْأَذْهَانِ

٢٦٩٢ - سَمَّيْتَهُ مَعْقُولًا وَقَالَتْ: إِنَّهُ أَوْلَى مِنَ الْمَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ

قوله: «سَمَّيْتَهُ مَعْقُولًا» أي: موصوفًا بمقتضى العقل.

قَوْلُهُ: «وَقَالَتْ: إِنَّهُ» أي: ما دلت عليه العقول (أَوْلَى مِنَ الْمَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ) يعني أن المعقول عندهم أولى من المنقول.

٢٦٩٣- وَالنَّصُّ قَطْعًا لَا يُفِيدُ فَنَحْنُ أَوْ لَنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّصُّ قَطْعًا لَا يُفِيدُ» ماذا يفيد؟ الجواب: يفيد الظن، يعني: والنص لا يفيد قطعًا، هذا معنى البيت.

قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ أَوْلْنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلَانِ» يعني: سلكنا في هذه النصوص أحد مسلكين: إما التأويل، وإما التفويض، مع أن ما يُسمونه تأويلًا هو في الحقيقة تحريف؛ لأن اللفظ لا يدل عليه.

٢٦٩٤- قَالَتْ: وَقُلْنَا فِيكَ: لَسْتَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجِ الْأَكْوَانِ

٢٦٩٥- وَالْعَرْشُ أَخْلَيْتَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَسْتَ بِقَابِلٍ لِمَكَانٍ

٢٦٩٦- وَكَذَلِكَ لَسْتَ بِقَابِلِ الْقُرْآنِ بَلْ قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ» أي: محمد - صلوات الله وسلامه عليه -.

وهذا كقول إمامهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

٢٦٩٧- وَنَسَبْتُهُ حَقًّا إِلَيْكَ بِنِسْبَةِ التَّوْحِيدِ تَشْرِيفٍ تَعْظِيمًا لِذِي الْقُرْآنِ

يعني: نسبت القرآن إليك نسبة تشريف فقط، لا على أنه صفة من صفاتك، فقولنا: (القرآن كلام الله) كقولنا: (ناقة صالح ناقة الله).

٢٦٩٨- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَسْتَ تَنْزِلُ فِي الدُّجَى إِنَّ النُّزُولَ صِفَاتُ ذِي الْجُحْمَانِ

٢٦٩٩- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَسْتَ ذَا وَجْهِ وَلَا سَمْعٍ وَلَا بَصِيرٍ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!
وَكُلُّ هَذَا سَبْقٌ.

٢٧٠٠- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَا يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي
هاهنا مسألتان:

المسألة الأولى: قوله: «لَا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا»، وهذه المسألة اختلف فيها علماء السلف، هل يرى الله في الدنيا أو لا؟
واختلافهم ليس لكلٍ أحدٍ، بل للنبي ﷺ هل رأى ربه أو لا؟

والراجح أنه لم ير الله - سبحانه وتعالى -، وقد سُئِلَ هو نفسه - صلوات الله وسلامه عليه -: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «رَأَيْتُ نُورًا»^(١)، وفي لفظ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٢)؛ لأنَّ بيننا وبين الله حُجْبًا عَظِيمَةً مِنَ النُّورِ، لَا يَرَى مِنْ ورائِهَا الرَّبُّ - جَلَّ وَعَلَا -؛ ولهذا لَمَّا قَالَ مُوسَى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] اندكَّ الجبلُ لعظمة الله ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: عُشِي عَلَيْهِ ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ففي الدنيا لا أحد يقوم برؤية الله أبدًا، ولا يستطيعُ.

وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَلَّكَ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩] فالمرادُ به جبريلُ على القولِ الراجحِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).
(٢) هو رواية من الحديث السابق.

وما ورد من أن بعض السلف يرى الله في المنام، فالله أعلم، فأنا متوقِّفٌ في هذا، وإلا فقد نُسِبَ هذا القول للإمام أحمد، أما النبي ﷺ فقد رأى ربه في المنام^(١).

المسألة الثانية: قوله: «وَلَا يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي» يعني: في الآخرة لا يُرى، وهذا لم يقل به أحدٌ من أهل السُّنَّة، بل اتَّفَقَ أهلُ السُّنَّةِ على أن الله تعالى يُرى يوم القيامة عيانًا بالبصر كما تُرى الشمس.

٢٧٠١- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ مِنْ أَجْلِهَا خَصَّصْتَهُ بِزَمَانٍ

يعني: ليس لفعل الله حكمةً، من أجل هذه الحكمة خصَّ الفعل بهذا الزمان المعين.

فأفعال الله عزَّ وجلَّ تتجدَّد، يفعل هذا في يوم، ولا يفعله في يومٍ آخر.

لماذا فعله في هذا اليوم؟ الجواب: لحكمةٍ اقتضت تخصيصه في هذا اليوم.

لماذا رَضِيَ عن هذا الرجلٍ دون ذلك الرجل؟ الجواب: لحكمةٍ اقتضت الرضى؛ ولهذا قال: (مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ مِنْ أَجْلِهَا)، أي: من أجل هذه الحكمة (خصَّصته) أي: الفعل خصَّصته بزمان، يعني: نحن نؤمن بأن الله خصَّ هذا الزمن بهذا الفعل لحكمة.

فمثلاً: النزول إلى السماء الدنيا متى يكون؟ الجواب: في ثلث الليل الآخر، لماذا خصَّه الله بهذا؟ الجواب: لحكمة؛ لأنَّ هذا الجزء من الليل أطيب ما يكون الإنسان فيه نومًا ولذة نوم، فإذا هجر الإنسان فراشه وقام يناجي الله في صلاته كان هذا دليلًا على كمال إيمانه.

(١) كما في حديث: «إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَشَقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ؟ فَقَالَ: فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟». أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة (ص)، رقم (٣٢٣٤).

٢٧٠٢- مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَّحَتْ مِثْلًا عَلَى مِثْلِ بِلَا رُجْحَانٍ
يقولون: إن الله عز وجل يفعل الشيء بمشيئته لمجرد المشيئة، شاء أن يكون
هذا فكان، و شاء ألا يكون الثاني فلم يكن، لكن ليس هناك حكمة.

٢٧٠٣- لَكِنَّ مَنَّا مَنْ يَقُولُ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ بِوَصْفٍ قَامَ بِالرَّحْمَنِ
هذا قول آخر لهم، يقولون: إن الله يفعل لحكمة، لكن ليست الحكمة
وصفاً له؛ لأنه لا تقوم به الصفات، فهي شيء منفصل بآئن يتعلق بالمفعول
لا بالفعل.

فمثلاً: الأنعام خلقها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ
وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:٥] فيقولون: الحكمة ليست صفة الله، ولكن في
نفس المفعول، لا في فعل الفاعل.

٢٧٠٤- هَذَا وَقُلْنَا مَا افْتَضَتْهُ عُقُولُنَا وَعُقُولِ أَشْيَاحِ ذَوِي عِرْفَانٍ
٢٧٠٥- قَالُوا لَنَا: لَا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ الْوَحِيِّينَ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا لَنَا» مِنَ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ؟ الْجَوَابُ: الْأَشْيَاحُ.

قَوْلُهُ: «لَا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ الْوَحِيِّينَ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ» أَعُوذُ بِاللَّهِ، يَقُولُ
هؤلاء الأشياخ: إن أخذتم بظواهر الوحيين، وقلتم: لله يد، والله وجه، والله عين،
والله نزول، انسلختم من الإيمان؛ لأنهم يدعون أن هذا القول يستلزم تمثيل الله
بالخلق، ومن مثل الله بخلقه فهو كافر.

٢٧٠٦- بَلْ فَكَّرُوا بِعُقُولِكُمْ إِنْ شِئْتُمْ أَوْ فَاقْبَلُوا آرَاءَ عَقْلِ فُلَانٍ

٢٧٠٧- فَلْأَجَلٍ هَذَا لَمْ نُحَكِّمْ لَفْظًا نَارٍ وَلَا خَيْرٍ وَلَا قُرْآنٍ

٢٧٠٨- إِذْ كُلُّ تِلْكَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ مَعْرُوْلَةٌ عَنِ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

يعني: لا ترجعوا للقرآن والسنة في إثبات الصفات لله، أو نفيها عنه، بل
فكّر بعقلك، كأنك لا تقدر، إذن قلّد عقل فلان.

وكلّ هذا الفصل للخصم، والخصم هنا هم المعطلّة.

فصل

- ٢٧٠٩- وَالْآخِرُونَ أَتَوْا بِمَا قَدْ قَالَهُ
 ٢٧١٠- قَالُوا: تَلَقَيْنَا عَقِيدَتَنَا عَنِ الْـ
 ٢٧١١- فَالْحُكْمُ مَا حَكَمَ بِهِ لَا رَأْيُ أَهْـ
 ٢٧١٢- آرَأَوْهُمْ أَحَدًا هَذَا الدِّينِ نَا
 ٢٧١٣- آرَأَوْهُمْ رِيحُ الْمَقَاعِدِ أَيَّنَ تَلْـ
 ٢٧١٤- قَالُوا: وَأَنْتَ رَقِيبِنَا وَشَهِيدُنَا^(١)
 ٢٧١٥- إِنَّا أَبِينَا أَنْ نَدِينَ بِيَدَعَةٍ
 ٢٧١٦- لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ أَوْ قَالَهُ
 ٢٧١٧- وَكَذَلِكَ فَارَقْنَاهُمْ حِينَ احْتِيَا
 ٢٧١٨- كَيْلًا نَصِيرَ مَصِيرَهُمْ فِي يَوْمِنَا
 ٢٧١٩- فَمَنْ الَّذِي مِنَّا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ؟
 ٢٧٢٠- لَا بُدَّ أَنْ نَلْقَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
 مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا كِثْمَانٍ
 — وَوَحِيَيْنَ بِالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 لِـ الْاِخْتِلَافِ وَظَنَّ ذِي الْحُسْبَانِ
 قِصَّةً لِأَصْلِ طَهَارَةِ^(١) الْإِيمَانِ
 كِ الرِّيحُ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رِيحَانٍ؟
 مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
 وَضَلَالَةٍ أَوْ إِفْكٍ ذِي بُهْتَانِ
 مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالْفُرْقَانِ
 جِ النَّاسِ لِلْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
 هَذَا وَنَطْمَعُ مِنْكَ بِالْغُفْرَانِ
 فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
 فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

(١) في نسختي ابن سحمان: «ظاهر».

(٢) في نسختي ابن سحمان: «قالوا: وأين رقيبنا وشهيد».

- ٢٧٢١- وَهَنَّاكَ يَسْأَلُنَا جَمِيعًا رَبَّنَا
 وَلَدَيْهِ قَطْعًا نَحْنُ مُحْتَصِمَانِ
 ٢٧٢٢- فَتَقُولُ: قُلْتَ كَذَا وَقَالَ نَبِينَا
 أَيْضًا كَذَا فِيمَا مَنَّا الْوَحِيَانِ
 ٢٧٢٣- فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلٌ بَعْدَ ذَا
 نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
 ٢٧٢٤- أَفْتَقَدِرُونَ عَلَيَّ جَوَابٍ مِثْلِ ذَا
 أَمْ تَعْدِلُونَ إِلَيَّ جَوَابٍ ثَانِ
 ٢٧٢٥- مَا فِيهِ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
 بَلْ فِيهِ قُلْنَا مِثْلَ قَوْلِ فُلَانِ
 ٢٧٢٦- وَهُوَ الَّذِي أَدَّتْ إِلَيْهِ عُقُولُنَا
 لَمَّا وَرَزْنَا الْوَحْيَ بِالْمِيزَانِ
 ٢٧٢٧- إِنْ كَانَ ذَلِكُمْ الْجَوَابُ مُحَلِّصًا
 فَاْمُضُوا عَلَيْهِ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ
 ٢٧٢٨- تَاللَّهِ مَا بَعْدَ الْبَيَانِ^(١) لِمُنْصِفٍ
 إِلَّا الْعِنَادُ وَمَرْكَبُ الْخِذْلَانِ

الشرح

هذا الفريق الثاني، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

٢٧٠٩- وَالْآخَرُونَ أَتَوْا بِمَا قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا كِتْمَانِ

قَوْلُهُ: «قَالَ» الضمير في (قال) يعود على الله عز وجل.

٢٧١٠- قَالُوا: تَلَقَيْنَا عَقِيدَتَنَا عَنِ الْوَحْيَيْنِ بِالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

هذا مصدر تلقى العقيدة من الكتاب والسنة، وليس هناك مصدر تلقى سواهما.

٢٧١١- فَالْحُكْمُ مَا حَكَمَّا بِهِ لَا رَأْيَ أَهْلٍ لِي الْأَخْتِلَافِ وَظَنُّ ذِي الْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «الْحُكْمُ مَا حَكَمَّا بِهِ» أي: الكتاب والسنة.

(١) في نسخة برلين: «الزمان».

٢٧١٢- آرَأَوْهُمْ أَحَدَاتُ هَذَا الدِّينِ نَا قِصَّةٌ لِأَصْلِ طَهَارَةِ الْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «آرَأَوْهُمْ أَحَدَاتُ» (أَحَدَاتُ): جمع (حَدَثٌ)، والحَدَثُ يَنْقُضُ الْوُضُوءَ،
وآرَأَءُ هُوَ لَاءٌ تَنْقُضُ أَصْلَ طَهَارَةِ الْإِيمَانِ.

والْحَدَثُ هُوَ الْبَوْلُ وَالْغَائِطُ، فَالْبَوْلُ وَالْغَائِطُ يَنْقُضَانِ الْوُضُوءَ، وَهَذِهِ
الْأَحْدَاتُ الَّتِي أَتَوَا بِهَا تَنْقُضُ أَصْلَ طَهَارَةِ الْإِيمَانِ.

٢٧١٣- آرَأَوْهُمْ رِيحُ الْمَقَاعِدِ أَيْنَ تَلَدُ كَلِ الرِّيحِ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رِيحَانٍ؟
قَوْلُهُ: «آرَأَوْهُمْ رِيحُ الْمَقَاعِدِ» رِيحُ الْمَقَاعِدِ طَيِّبَةٌ أَوْ خَبِيثَةٌ؟ الْجَوَابُ: خَبِيثَةٌ.

قَوْلُهُ: «أَيْنَ تَلَدُ الرِّيحُ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رِيحَانٍ؟!» اللَّهُ أَكْبَرُ، بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

٢٧١٤- قَالُوا: وَأَنْتَ رَقِيبُنَا وَشَهِيدُنَا مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
قَوْلُهُ: «قَالُوا» أَي: الْآخَرُونَ.

قَوْلُهُ: «وَأَنْتَ» يَخَاطَبُونَ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وَفِي قَوْلِهِمْ: «مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ» إِثْبَاتُ الْإِسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَوْلَيْكَ الْقَوْمِ
السَّابِقُونَ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ لَا يُقَرُّونَ بِهَذَا.

٢٧١٥- إِنَّا أَبِينَا أَنْ نَدِينَ بِيَدَعَةٍ وَضَلَالَةٍ أَوْ إِنْكَ ذِي بُهْتَانِ

٢٧١٦- لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ أَوْ قَالَهُ مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ» يَعْنِي: نَدِينُ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ.

قَوْلُهُ: «أَوْ قَالَهُ مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالْفُرْقَانِ» يَعْنِي الرَّسُولَ ﷺ.

يعني: لا ندينُ إلا بقولِ الله أو قولِ رسوله.

٢٧١٧- وَكَذَلِكَ فَارَقْنَاهُمْ حِينَ اخْتِيَا جِ النَّاسِ لِلْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ

قَوْلُهُ: «فَارَقْنَاهُمْ» أي: فارقنا الفريقَ الأوَّلَ، وهم أهل التعطيل.

قَوْلُهُ: «حِينَ اخْتِيَا جِ النَّاسِ لِلْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ» يعني: مع حاجتنا إليهم

فارقناهم؛ لأننا فارقناهم لله، فنحن مستغنون بالله عنهم.

٢٧١٨- كَيْلًا نَصِيرَ مَصِيرَهُمْ فِي يَوْمِنَا هَذَا وَنَطْمَعُ مِنْكَ بِالْغُفْرَانِ

يعني: فارقناهم مع الحاجة إليهم؛ لئلا يصيرَ مصيرنا كمصيرهم في هذا

اليوم، فنحن نطمعُ منك بالغفران.

ثُمَّ قَالَ يَخَاطِبُ الْفَرِيقَ السَّابِقَ ذَكَرَهُ:

٢٧١٩- فَمَنْ الَّذِي مِنَّا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ؟ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَحَا الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «فَمَنْ الَّذِي مِنَّا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ؟» أي: مَنْ: أولئك القوم أو هؤلاء؟

الجواب: هؤلاء القوم - بلا شك - أحقُّ بذلك، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٢٧٢٠- لَا بُدَّ أَنْ نَلْقَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

نعم، والله لا بُدَّ أَنْ نَلْقَى خصومتنا يومَ العرضِ على الله في ذلك اليوم العظيم

الشَّانِ، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيهِ﴾

[الانشقاق: ٦].

٢٧٢١- وَهَنَّاكَ يَسْأَلُنَا جَمِيعًا رَبُّنَا وَلَدَيْهِ قَطَعْنَا نَحْنُ مُحْتَصِمَانِ

٢٧٢٢- فَنَقُولُ: قُلْتَ كَذَا وَقَالَ نَبِينَا أَيضًا كَذَا فِيمَا مَنَا الْوَحْيَانِ

٢٧٢٣- فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلٌ بَعْدَ ذَا نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ

يعني: نحن حَكَمْنَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ بَعْدَ هَذَا، وَمَا هُوَ الَّذِي أَهْلُهُ؟ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى، وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَأَهْلُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ.

٢٧٢٤- أَفْتَقِدِرُونَ عَلَيَّ جَوَابٍ مِثْلِ ذَا أَمْ تَعْدِلُونَ إِلَيَّ جَوَابٍ ثَانٍ

٢٧٢٥- مَا فِيهِ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ بَلْ فِيهِ قُلْنَا مِثْلَ قَوْلِ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «أَفْتَقِدِرُونَ» يَخَاطَبُ الْفِتْيَةَ السَّابِقَ ذَكَرُهَا.

٢٧٢٦- وَهُوَ الَّذِي أَدَّتْ إِلَيْهِ عَقُولُنَا لَمَّا وَزَّنَّا الْوَحْيَ بِالْمِيزَانِ

يعني: وَزَّنَّا بَيْنَ الْوَحْيِ وَبَيْنَ الْعَقْلِ فَرَجَّحْنَا الْعَقْلَ.

٢٧٢٧- إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْجَوَابُ مُخْلِصًا فَاْمُضُوا عَلَيْهِ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

والجواب ليس بِمُخْلِصٍ، لَكِنَّ ابْنَ الْقِيَمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَتَهَكَّمُ بِهِمْ، فَيَقُولُ: (يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ) وَمَا أَبْعَدَهُمْ عَنِ الْعِرْفَانِ!

٢٧٢٨- تَاللَّهِ مَا بَعْدَ الْبَيَانِ لِمُنْصِفٍ إِلَّا الْعِنَادُ وَمَرْكَبُ الْخِذْلَانِ

إِذْ هَذَانِ الْخِصْمَانِ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْأَدْلَةُ الشَّرْعِيَّةُ الرَّابِعُ مِنْهُمَا هُوَ الْخِصْمُ الثَّانِي ذَكَرًا، السَّابِقُ مَرْتَبَةً، وَالْخَاسِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ذَكَرًا الْآخِرُ مَرْتَبَةً.

فَأَنْتَ الْآنَ اخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ أَوْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ، وَكُلُّ عَاقِلٍ سَوْفَ يَخْتَارُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ حَكَمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ.

فصل

فِي تَحْمِيلِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ لِلْمُعْطَلِينَ شَهَادَةَ تُوَدَّى عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

- ٢٧٢٩- يَا أَيُّهَا الْبَاغِي عَلَى أَتْبَاعِهِ
بِالظُّلْمِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ
٢٧٣٠- قَدْ حَمَلُوكَ شَهَادَةً فَأَشْهَدُ بِهَا
إِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا لَدَى الرَّحْمَنِ
٢٧٣١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ إِنْ سُنِّتَ بِأَتْمِهِمْ
قَالُوا: إِلَهُ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ
٢٧٣٢- فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى حَقًّا عَلَى الْ
عَرْشِ اسْتَوَى سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!
٢٧٣٣- وَالْأَمْرُ يَنْزِلُ مِنْهُ ثُمَّ يَسِيرُ فِي الْ
أَقْطَارِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!
٢٧٣٤- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ مَا يَشَاءُ بِأَمْرِهِ
مِنْ طَيِّبَاتِ الْقَوْلِ وَالشُّكْرَانِ
٢٧٣٥- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ وَقَبْلَهُ
عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ
٢٧٣٦- وَكَذَلِكَ الْأَمْلاكُ تَصْعَدُ دَائِمًا
مِنْ هَاهُنَا حَقًّا إِلَى الدِّيَانِ
٢٧٣٧- وَكَذَلِكَ رُوحُ الْعَبْدِ بَعْدَ مَمَاتِهَا
تَرْقَى إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيْمَانٍ
٢٧٣٨- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
٢٧٣٩- سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَذَى
دَاهُ إِلَى الْمَمْبَعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
٢٧٤٠- هُوَ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةٌ
لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٤١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
قَدْ كَلَّمَ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ

- ٢٧٤٢ - سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولَ كَلَامَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ مَسْمَعَ الْأَذَانِ
 ٢٧٤٣ - وَاشْهَدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ نَادَاهُ^(١) بِلَا كِتْمَانٍ
 ٢٧٤٤ - وَاشْهَدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ نَادَى قَبْلَهُ الْأَبْوَانَ
 ٢٧٤٥ - وَاشْهَدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ
 ٢٧٤٦ - وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 ٢٧٤٧ - وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ
 ٢٧٤٨ - وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ: ﴿حَم﴾ مَعَ ﴿طه﴾ وَمَعَ ﴿يس﴾ قَوْلَ^(٢) بَيَانَ

الشرح

- في هذه الآيات يقول المؤلف - رحمه الله -: إنَّ أهل السُّنَّة حَمَلُوا أَهْلَ الْبِدْعَةِ
 إن كانت تُقْبَلُ شهادتهم هذا الحِمل، حَمَلُوهم الشَّهادة، يقولُ:
 ٢٧٢٩ - يَا أَيُّهَا الْبَاغِي عَلَى أَتْبَاعِهِ بِالظُّلْمِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ
 الباغي على أتباع الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالظلم والبُهتانِ
 والعُدوانِ، وهذا وصفُ أهلِ الْبِدْعِ بالنسبة لأهلِ السُّنَّةِ.
 ٢٧٣٠ - قَدْ حَمَلُوكَ شَهَادَةً فَاشْهَدْ بِهَا إِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا لَدَى الرَّحْمَنِ
 قَوْلُهُ: «إِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا» وهو غيرُ مقبول.

(١) في نسخ برلين والظاهرية والإفتاء وابن سحمان والتميمورية زيادة «ناداه وناجاه».

(٢) في نسختي ابن سحمان «بقول».

٢٧٣١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ إِنْ سُئِلَتْ بِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِلَهَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ

٢٧٣٢- فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى حَقًّا عَلَى الْ عَرْشِ اسْتَوَى سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!

قَوْلُهُ: «وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ» لَعَلَّهَا بِالْفَاءِ أَحْسَنَ لِلتَّفْرِيعِ أَي: فَاشْهَدُ.

قَوْلُهُ: «قَالُوا: إِلَهَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى» هَذَا الْعَلْوُ، يَعْنِي:

أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا اللَّهَ بِالْعَلْوِّ.

قَوْلُهُ: «حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» هَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ الْعَلْوِّ وَإِثْبَاتُ الْإِسْتِوَاءِ،

فَهُوَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وَهُوَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

٢٧٣٣- وَالْأَمْرُ يُنَزَّلُ مِنْهُ ثُمَّ يَسِيرُ فِي الْ أَفْطَارِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

قَوْلُهُ: «الْأَمْرُ يُنَزَّلُ مِنْهُ» وَلَا نَزْوَلَ إِلَّا مِنْ أَعْلَى، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

٢٧٣٤- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ مَا يَشَاءُ بِأَمْرِهِ مِنْ طَيِّبَاتِ الْقَوْلِ وَالشُّكْرَانِ

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

٢٧٣٥- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ وَقَبْلَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ

الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ صَعِدَ إِلَى اللَّهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ إِلَى السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، إِلَى مَوْضِعٍ سَمِعَ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ، لَمْ يَصِلْهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ فِيمَا نَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: «وَقَبْلَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ» كَاسِرُ الصُّلْبَانِ، وَذَلِكَ إِذَا نَزَلَ

-عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَإِنَّهُ «يَكْسِرُ الصُّلْبِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ

الجزیة»^(١)، فلا یقبل إلا الإسلام.

٢٧٣٦- وَكَذَلِكَ الْأَمْلاكُ تَصْعَدُ دَائِمًا مِنْ هَاهُنَا حَقًّا إِلَى الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «من هاهنا» أي: من الأرض.

الملائكة تصعد إلى الله عز وجل في كل آن وحین، فهي تصعد إلى الله - سبحانه وتعالى - بالأعمال، بالأرواح، وبغير ذلك من أوامره، قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] أي: تعرج دائما وأبداً.

٢٧٣٧- وَكَذَلِكَ رُوحُ الْعَبْدِ بَعْدَ مَمَاتِهَا تَرْقَى إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيمَانٍ

إذا قبض ملك الموت الروح أخذتها الملائكة، فصعدوا بها إلى السماء، فإن كان من المؤمنين - أسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم - فتحت لها أبواب السماء حتى تصعد إلى الرب عز وجل، وإن كان من الكافرين فلا تفتح له أبواب السماء، وتطرح روحه طرحاً، وترمى على الأرض رمياً، وقرأ النبي - عليه الصلاة والسلام - قوله تعالى: ﴿فَكأنما خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٢) [الحج: ٣١].

٢٧٣٨- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

نعم، هذا القرآن الذي بين أيدينا كلام ربنا عز وجل تكلم به حقيقة لفظاً ومعنى.

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، رقم (٢١٠٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٥).

(٢) أخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب ما يلقي به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم (١٨٣٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٢).

٢٧٣٩- سَمِعَ الْأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَدَّ دَاهُ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ الْأَمِينُ» أَي: جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَقَوْلُهُ: «سَمِعَ الْأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ... إلخ» هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَزُولَ الْقُرْآنِ مِنَ اللَّهِ إِلَى جَبْرِيلَ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَليْسَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَكَلَّمُ بِالْقُرْآنِ حِينَ أَنْزَلَهُ فَيَسْمَعُهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يَنْزِلُ بِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

٢٧٤٠- هُوَ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةً لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَنْفَرِقَانِ

وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا هَذَا كَثِيرًا، وَبَيْنَا اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي كَلَامِ اللَّهِ.

٢٧٤١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ كَلَّمَ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ

قَوْلُهُ: «قَدْ كَلَّمَ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ» وَهُوَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

٢٧٤٢- سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلَامَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ مَسْمَعِ الْأَذَانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلَامَهُ» يَعْنِي: سَمِعَهُ بِأُذُنَيْهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بِصَوْتٍ.

٢٧٤٣- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ نَ اللَّهُ نَادَاهُ بِلَا كِسْتَانَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

٢٧٤٤- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ نَ اللَّهُ نَادَى قَبْلَهُ الْأَبْوَانَ

قَوْلُهُ: «الْأَبْوَانَ» يَعْنِي آدَمَ وَحَوَاءَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَيْتَهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا

عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ ﴿ [الأعراف: ٢٢].

والتزم المؤلف - رحمه الله - في هذا البيت لغة مَنْ يُلْزِمُ المثنى الألف مطلقاً؛ لأنه قال: (نادى قبله الأبوان) ولو جرى على اللغة المشهورة لقال: (الأبوين).

٢٧٤٥- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بَانَ نَ اللَّهُ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقْلَانِ
يوم القيام يتكلم عز وجل بكلام، «فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ - الثَّقْلَانِ - مَنْ
بَعْدَكَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ»^(١).

٢٧٤٦- وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ» وهو موسى عليه السلام، قال الله تعالى له:
﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤] يزعم القائلون بأن موسى سَمِعَ الصَّوْتَ من
الشَّجَرَةِ، فهل يمكن أن تقول الشَّجَرَةُ: إني أنا الله؟ الجواب: لا يمكن.

٢٧٤٧- وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ» قال تعالى: ﴿أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
طَغَى﴾ [طه: ٢٤].

٢٧٤٨- وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ: ﴿حَمَّ مَعَ طَهَّ وَمَعَ يَسَّ﴾ قَوْلَ بَيَانِ

هذا القرآن، قال: حتَّى الحروف الهجائية قالها الله عز وجل، مع أن الحروف
الهجائية ليس لها معنى، ومع ذلك قالها الربُّ عز وجل.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥، رقم ١٦١٣٨)، والبخاري تعليقا: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى:
﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ
الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

- ٢٧٤٩- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا الْإِلَّاهَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 ٢٧٥٠- وَبِكُلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً
 ٢٧٥١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ
 ٢٧٥٢- نَصٌّ يُفِيدُ لَدَيْهِمْ عِلْمَ الْيَقِينِ
 ٢٧٥٣- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا النَّبِيَّ
 ٢٧٥٤- إِنَّ الْمُعْطَلَّ وَالْمُمَثَّلَ مَا هُمَا
 ٢٧٥٥- ذَا عَابِدٍ الْمَعْدُومِ لَا سُبْحَانَهُ
 ٢٧٥٦- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا أَنَّ
 ٢٧٥٧- وَكَذَلِكَ الْأَحْكَامُ أَحْكَامُ الصِّفَاتِ
 ٢٧٥٨- قَالُوا: عَلِيمٌ وَهُوَ ذُو عِلْمٍ وَيَعْلَمُ
 ٢٧٥٩- وَكَذَا بَصِيرٌ وَهُوَ ذُو بَصَرٍ وَيُبْصِرُ
 ٢٧٦٠- وَكَذَا سَمِيعٌ وَهُوَ ذُو سَمْعٍ وَيَسْمَعُ
 ٢٧٦١- مُتَكَلِّمٌ وَلَهُ كَلَامٌ وَصَفُهُ
 ٢٧٦٢- وَهُوَ الْقَوِيُّ بِقُوَّةِ هِيَ وَصَفُهُ
 ٢٧٦٣- وَهُوَ الْمُرِيدُ لَهُ^(١) الْإِرَادَةُ هَكَذَا
- ٢٧٤٩- هَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 ٢٧٥٠- مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُذْوَانٍ
 ٢٧٥١- وَكَلَامَ رَبِّ الْعَرْشِ ذَا التَّبَيُّانِ
 ٢٧٥٢- مِنْ إِفَادَةِ الْمَعْلُومِ بِالْبُرْهَانِ
 ٢٧٥٣- تَعْطِيلَ وَالتَّمْثِيلَ بِالتَّنْكِرَانِ
 ٢٧٥٤- مُتَيَقِّنِينَ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ
 ٢٧٥٥- أَبَدًا وَهَذَا عَابِدُ الْأَوْثَانِ
 ٢٧٥٦- أَسْمَاءَ وَالْأَوْصَافَ لِلدِّيَانِ
 ٢٧٥٧- وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ لِلْإِيمَانِ
 ٢٧٥٨- لَمْ غَايَةَ الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ
 ٢٧٥٩- صِرُّ كُلِّ مَرِيٍّ وَذِي الْأَكْوَانِ
 ٢٧٦٠- مَعَ كُلِّ مَسْمُوعٍ مِنَ الْأَكْوَانِ
 ٢٧٦١- وَيُكَلِّمُ الْمَخْصُوصَ بِالرِّضْوَانِ
 ٢٧٦٢- وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَحَا السُّلْطَانَ
 ٢٧٦٣- أَبَدًا يُرِيدُ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ

(١) في نسخة برلين «وله».

٢٧٦٤- وَالْوَصْفُ مَعْنَى قَائِمٍ بِالذَّاتِ، وَالْأَسْمَاءُ أَعْلَامٌ لَهُ بِوِزَانِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - من جملة ما حَمَلَ أهل الإثبات أهل التعطيل ليشهدوا به عند الله عزَّ وجلَّ، قال:

٢٧٤٩- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا الْإِلَهَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وهذه - والله الحمد - هي عقيدتنا، أننا نَصِفُ اللهَ بِكُلِّ وصفٍ جاء في القرآن، ولا نَجْبُنُ عن وصف الله به إذا كان الله قد وَصَفَ نفسه بذلك.

٢٧٥٠- وَبِكُلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوَانِ

أيضاً كُلُّ ما قاله النَّبِيُّ - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في وصفِ الله فإننا نَصِفُ اللهَ به، ولا نتوقَّفُ، ولا نَجْبُنُ، بل نقوله صريحاً علناً ونحن مطمئنون والله الحمد.

٢٧٥١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ وَكَلَامَ رَبِّ الْعَرْشِ ذَا التَّبَيُّانِ

٢٧٥٢- نَصٌّ يُفِيدُ لَدَيْهِمْ عِلْمَ الْيَقِينِ مِنْ إِفَادَةِ الْمَعْلُومِ بِالْبُرْهَانِ

قولُ الله ورسوله نَصٌّ يفيدُ لديهم علمَ اليقينِ إفادةَ المعلومِ بالبرهان، وعند أولئك المعطَّلة أنه لا يفيدُ القطعَ ولا اليقينَ، فلا يفيدُ إلا الظنَّ، وعرفتُم شُبُهَاتِهِمُ السَّابِقَةَ، وَرَدَّ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله - عليهم، قالوا: إنَّ (الرسولَ) يَحْتَمِلُ معاني كثيرة، وقالوا: إنَّ (العرشَ) يَحْتَمِلُ معاني كثيرة، و(الاستواء) يَحْتَمِلُ معاني كثيرة، وَرَدَّ عليهم - رحمه الله - بِرَدِّ مُقْنِعٍ سبق.

٢٧٥٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا التَّعْطِيلَ وَالتَّمْثِيلَ بِالنُّكْرَانِ

التعطيل والتمثيل طرفان، فالتعطيل نفي الصفات، والتمثيل إثباتها مع التمثيل، فهما ضدان، أمّا أهل الإثبات فأنكروا التعطيل والتمثيل.

٢٧٥٤- إِنَّ الْمُعْطَلَّ وَالْمُمَثَّلَ مَا هُمَا مُتَيَقِّنَيْنِ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ

وصدق - رحمه الله -، فالمعطل لم يعبد إلهًا يقينًا، والممثل لم يعبد الله يقينًا، فكلاهما لم يعبد الله يقينًا، لماذا؟ قال:

٢٧٥٥- ذَا عَابِدِ الْمَعْدُومِ لَا سُبْحَانَهُ أَبَدًا وَهَذَا عَابِدُ الْأَوْثَانِ

قَوْلُهُ: «ذَا عَابِدِ الْمَعْدُومِ» (ذا) المِشَارُ إليه المعطلُّ، قال عنه: (عَابِدِ الْمَعْدُومِ).

قَوْلُهُ: «لَا سُبْحَانَهُ أَبَدًا» يعني: لا عابدَ مَنْ يُنَزَّهَ عن النقائص.

قَوْلُهُ: «وَهَذَا عَابِدُ الْأَوْثَانِ» هذا هو الثاني وهو الممثل.

٢٧٥٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَتَبَتُوا الْأَسْمَاءَ وَالْأَوْصَافَ لِلدِّيَانِ

يعني: أن أهل الإثبات (أهل الحديث) أتبتوا الأسماء والأوصاف، فيثبتون الاسم وما دل عليه من صفة.

٢٧٥٧- وَكَذَلِكَ الْأَحْكَامُ أَحْكَامُ الصِّفَاتِ وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ لِلْإِيمَانِ

فأثبتوا الأسماء وما تضمته من الأوصاف، وما تضمته هذه الأوصاف من الأحكام، هذه أركان الإيمان باسم الله.

فالإيمان باسم الله لا بد فيه من ثلاثة أركان:

١- أن تؤمن به اسمًا لله.

٢- أن تؤمنَ بها تضمَّنه من الصفة.

٣- أن تؤمنَ بالحُكْمِ الذي يترتَّبُ على هذه الصفة.

وضرب - رحمه الله - لنا أمثلةً، فقال:

٢٧٥٨- قَالُوا: عَلِيمٌ وَهُوَ ذُو عِلْمٍ وَيَعْلَمُ غَايَةَ الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا: عَلِيمٌ» (عليم) اسم.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ ذُو عِلْمٍ» هذه صفة.

قَوْلُهُ: «وَيَعْلَمُ غَايَةَ الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ» هذا الحكم؛ لأنَّ العلمَ يقتضي أن يكونَ هناك معلومٌ.

٢٧٥٩- وَكَذَا بَصِيرٌ وَهُوَ ذُو بَصَرٍ وَيُبْصِرُ كُلَّ مَرِيٍّ وَذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا بَصِيرٌ» أي: قالوا: (بصير) وهذا اسم.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ ذُو بَصَرٍ» هذه صفة.

قَوْلُهُ: «وَيُبْصِرُ كُلَّ مَرِيٍّ وَذِي الْأَكْوَانِ» هذا الحُكْمُ، والحكمُ والأثرُ معناهما واحدٌ، لكن الحكمُ أحسنُ.

٢٧٦٠- وَكَذَا سَمِيعٌ وَهُوَ ذُو سَمْعٍ وَيَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا سَمِيعٌ»: (سميع) اسمٌ.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ ذُو سَمْعٍ» هذه صفةٌ.

قَوْلُهُ: «وَيَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الْأَكْوَانِ» هذا الحُكْمُ.

٢٧٦١- مُتَكَلَّمٌ وَلَهُ كَلَامٌ وَصَفُهُ وَيُكَلِّمُ الْمَخْصُوصَ بِالرِّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَكَلَّمٌ» هذا اسمٌ، لكنّه في الحقيقة ليس اسماً، بل هذا خبرٌ، يعني: نُخْبِرُ بِأَنَّهُ مُتَكَلَّمٌ؛ ولهذا ليس من أسماء الله (المتكلم)؛ لأنّ الكلامَ يَنْقَسِمُ إلى محمود ومذموم، وأساء الله كلّها حُسْنَى، وليس فيها ما يقتضي الدَّمَّ إطلاقاً، لكن يُجْبَرُ عن الله بأنّه متكلمٌ، ولا يُسَمَّى متكلمًا.

قَوْلُهُ: «وَلَهُ كَلَامٌ وَصَفُهُ»: الكلامُ هو الوصفُ والحكمُ.

قَوْلُهُ: «وَيُكَلِّمُ الْمَخْصُوصَ بِالرِّضْوَانِ» وهذا واضحٌ، والذي لم يَرْضَ عنه هل يُكَلِّمُهُ؟ الجواب: نعم، يكلمه كلامَ توبيخٍ، فإنّ الله أَخْبَرَ عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ أَنْخَسُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

٢٧٦٢- وَهُوَ الْقَوِيُّ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصَفُهُ وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْقَوِيُّ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصَفُهُ» (القوي): اسمٌ، الوصف: القوة، لكن القوة ليس لها حكمٌ إلّا إذا كانت قوةً قدرةً؛ ولهذا قال: «وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ» المؤلف - رحمه الله - ما أتى بحكمٍ للقوة؛ لأنّ (القوة) من الأوصاف التي لا تتعدّى.

(الحياة) كذلك من الأوصاف التي لا تتعدّى، وأمّا (العِزَّة) فهي من الأوصاف التي تتعدّى.

على كلّ حالٍ تُوجَدُ أوصافٌ لا تتعدّى الموصوف، و(القوة) من الأوصاف التي لا تتعدّى الموصوف، وإنّ تَعَدَّته صارت بمعنى القدرة، فتقول: (يقوى عليك)؛ فلهذا قال المؤلف: (وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ).

لماذا قال: (يا أخوا السُّلْطَانِ) لأنه - سبحانه - إذا قدر على صاحبِ السُّلْطَانِ فمن ليس له سلطانٌ من باب أَوْلَى، فهو يقدرُ على الملك، يقدرُ على الرئيس، يقدرُ على الوزير، فهو ذو سلطانٍ، ومن دونه من باب أَوْلَى.

٢٧٦٣- وَهُوَ الْمُرِيدُ لَهُ الْإِرَادَةُ هَكَذَا أَبَدًا يُرِيدُ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ
قَوْلُهُ: «الْمُرِيدُ» ليس من أسائه، لكنّه مما يُخْبِرُ به عن الله، فيقال: إِنَّ اللَّهَ مُرِيدٌ، لكن لا يُسَمَّى به.

واعلم أن الأسماء ثلاثة أقسام:

- ١- قِسْمٌ لا يَحْمِلُ إِلَّا مَعْنَى حَسَنًا، فهذا يكون من أسائه.
 - ٢- قِسْمٌ لا يَحْمِلُ إِلَّا مَعْنَى قَبِيحًا، فهذا لا يكون من أسائه، ولا يُخْبِرُ به عنه.
 - ٣- قِسْمٌ يكون منقسمًا: يَحْمِلُ هذا وهذا، أو لا يحملُ لا هذا ولا هذا، فهذا يُخْبِرُ به عنه، ولا يُسَمَّى به، فـ(مرِيدٌ)، (متكلِّمٌ)، (صانعٌ)، وما أشبهها، هذه يُخْبِرُ بها عن الله، ولا يُسَمَّى بها.
- (شيء) يُخْبِرُ به عن الله، ولا يُسَمَّى به، كذلك (ذات) يُخْبِرُ به عن الله، ولا يُسَمَّى به.

وقَوْلُهُ: «وهو المرِيدُ» الإرادة وصفٌ.

وقَوْلُهُ: «ويُرِيدُ» هذا حُكْمٌ.

٢٧٦٤- وَالْوَصْفُ مَعْنَى قَائِمٌ بِالذَّاتِ، وَالْأَسْمَاءُ أَعْلَامٌ لَهُ بِوِزَانِ

يقول - رحمه الله -: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مِنْ جِهَةِ أَعْلَامٍ، وَمِنْ جِهَةِ أَوْصَافٍ، فَمِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى ذَاتِ اللَّهِ أَعْلَامٌ، وَمِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الْوَصْفِ الْقَائِمِ بِهِ أَوْصَافٌ.

فمثلاً: اسم (القدير) من حيث دلالته على الله عَلمٌ، ومن حيث دلالته على القدرة وصفٌ؛ ولهذا نقول: أسماء الله أعلامٌ وأوصافٌ.

ينبغي على ذلك هل هي مترادفةٌ أو متباينةٌ؟ الجواب: من حيث دلالتها على الذات مترادفةٌ، ومن حيث دلالتها على المعنى متباينةٌ.

فمثلاً: الحَيُّ، العليمُ، القديرُ، السَّميعُ، البصيرُ تدلُّ على ذاتٍ واحدة، لكن من حيث الأوصافُ كُلُّ واحدٍ يدلُّ على وصفٍ غير ما يدلُّ عليه الآخرُ.

إِذْ نَ أَسْمَاءُ اللَّهِ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، أَسْمَاءُ اللَّهِ مَتَبَايِنَةٌ وَمَتْرَادِفَةٌ، وَهِيَ أَعْلَامٌ مِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الذَّاتِ، وَأَوْصَافٌ مِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي قَامَ بِهِ.

مَتْرَادِفَةٌ مِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الذَّاتِ، وَمَتَبَايِنَةٌ مِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الْوَصْفِ وَالْمَعْنَى.

وَأَمَّا أَسْمَاءُ غَيْرِ اللَّهِ - يَعْنِي: أَسْمَاءُ النَّاسِ - فَقَدْ تَكُونُ أَعْلَامًا مُحَضَّةً، فَيُسَمَّى هَذَا الرَّجُلُ مَثَلًا (عَبْدَ اللَّهِ) وَتَجِدُهُ يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ، وَلَا يَعْبُدُ اللَّهَ.

إِذْ نَ هَلْ دَلَّ الْأِسْمُ عَلَى مَا اشْتَقَّ مِنْهُ؟ الْجَوَابُ: لَا، فَيُسَمَّى الشَّخْصُ مُحَمَّدًا، وَتَجِدُهُ مَذْمَمًا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَيْسَ فِيهِ خَصْلَةٌ مُحَمَّدٌ، وَيُسَمَّى الرَّجُلُ خَالِدًا وَهُوَ سِيمُوتٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خَالِدًا، وَهَكَذَا، لَكِنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ كُلُّهَا أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ.

- ٢٧٦٥- أَسْأَوُهُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ مُشْتَقَّةٌ مِنْهَا اشْتِقَاقَ مَعَانِ
 ٢٧٦٦- وَصِفَاتُهُ دَلَّتْ عَلَى أَسْمَائِهِ وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الْأَمْرَانِ
 ٢٧٦٧- وَالْحُكْمُ نَسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلِّقَا تِ تَقْتَضِي آثَارَهَا بَيَّانِ
 ٢٧٦٨- وَلَرُبَّمَا يُعْنَى بِهِ الْإِخْبَارُ عَنْ آثَارِهَا يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ
 ٢٧٦٩- وَالْفِعْلُ إِعْطَاءُ الْإِرَادَةِ حُكْمَهَا مَعَ قُدْرَةِ الْفَعَالِ وَالْإِمْكَانِ
 ٢٧٧٠- فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ سُبْحَانَهُ فَجَمِيعُ هَذَا بَيْنَ الْبُطْلَانِ
 ٢٧٧١- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِهِ ذَا كُلِّهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
 ٢٧٧٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُحَرَّفِ شَيْطَانِ
 ٢٧٧٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ نَ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ فِي الْقُرْآنِ
 ٢٧٧٤- هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَهْلُ تَأْوِيلِ الَّذِي يُعْنَى بِهِ لَا قَائِلُ الْهَدْيَانِ
 ٢٧٧٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ تَأْوِيلَاتِهِمْ صَرَفٌ عَنِ الْمَرْجُوحِ لِلرُّجْحَانِ
 ٢٧٧٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النَّصُوصَ صَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي
 ٢٧٧٧- إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّ لَهُمْ لِمَجَازِهَا أَلْ مُضْطَرٌّ مِنْ حِسِّ وَمِنْ بُرْهَانِ
 ٢٧٧٨- فَهَنَّاكَ عِضْمَتُهَا أَبَاحَتُهُ^(١) بِغَيْبِ رِ تَجَانُفٍ لِلْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 ٢٧٧٩- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُكْفِرُونَ نَكْمَ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ

(١) في نسخة برلين: «أباحتها له».

- ٢٧٨٠- إِذْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ
 ٢٧٨١- لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْكُفْرَانِ بَلْ
 ٢٧٨٢- إِلَّا إِذَا عَانَدْتُمْ وَرَدَدْتُمْ
 ٢٧٨٣- فَهَنَّاكَ أَنْتُمْ أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ
 ٢٧٨٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا الْ
 ٢٧٨٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنْ حُجَّةَ رَبِّهِمْ
 ٢٧٨٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ هُمْ فَاعِلُو
 ٢٧٨٧- وَالْجَبْرُ عِنْدَهُمْ مُحَالٌ هَكَذَا
 ٢٧٨٨- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ إِيمَانَ الْوَرَى
 ٢٧٨٩- وَيَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعًا هَكَذَا
 ٢٧٩٠- وَاللَّهُ مَا إِيمَانُ عَاصِينَا كَيْبِ
 ٢٧٩١- كَلَّا وَلَا إِيمَانُ مُؤْمِنِنَا كَيْبِ
 ٢٧٩٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلِدُوا
 ٢٧٩٣- بَلْ يُخْرَجُونَ بِإِذْنِهِ بِشَفَاعَةٍ
 ٢٧٩٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ رَبَّهُمْ يُرَى
- لَسْتُمْ أَوْلِي كُفْرٍ وَلَا إِيمَانٍ
 لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
 قَوْلَ الرَّسُولِ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ
 إِنْ سِ وَجِنِّ سَاكِنِي النَّيرَانِ
 أَقْدَارَ وَارِدَةً^(١) مِنَ الرَّحْمَنِ
 قَامَتْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو غُفْرَانٍ
 نَ حَقِيقَةَ الطَّاعَاتِ وَالْعِصْيَانِ
 نَفْيِ الْقَضَاءِ فَبَسَّتِ الرَّأْيَانِ
 قَوْلٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ عَقْدُ جَنَانٍ
 بِالضِّدِّ يُمَسِّي وَهُوَ ذُو نُقْصَانٍ
 إِمَانِ الْأَمِينِ مُنْزَلِ الْقُرْآنِ
 إِمَانِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الْإِيمَانِ
 أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي حَمِيمِ^(٢) آنِ
 وَيُدُونَهَا لِمَسَاكِينِ بِحَنَانِ
 يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ

(١) في نسخة السفاريني: «وإرادة».

(٢) في نسخة برلين: «جحيم».

- ٢٧٩٥- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُو
لِ خِيَارُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانِ
٢٧٩٦- حَاشَا النَّبِيِّينَ الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ
خَيْرُ الرِّيَّةِ خَيْرُهُ الرَّحْمَنِ
٢٧٩٧- وَخِيَارُهُمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ
وَخِيَارُهُمْ حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ
٢٧٩٨- وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ أَحَقُّ بِالنِّ
تَقْدِيمِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ بَيَّانِ
٢٧٩٩- كُلُّ بِحَسَبِ السَّبْقِ أَفْضَلُ رُتْبَةً
مِنْ لَاحِقِ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

الشرح

- ٢٧٦٥- أَسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ
مُشْتَقَّةٌ مِنْهَا اشْتِقَاقَ مَعَانِ
٢٧٦٦- وَصِفَاتُهُ دَلَّتْ عَلَى أَسْمَائِهِ
وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الْأَمْرَانِ
تقدّم أنّ المؤلف -رحمه الله- يقول: إنّ أسماء الله تعالى متضمّنة للأوصاف وأحكامها، وضرب أمثلة لذلك، ثمّ ذكر أنّ صفاته دلّت على أسمائه، وأمّا الفعل فقال: (وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الْأَمْرَانِ) أي: الأسماء والصفات، فمثلاً: (السَّمِيعُ) اسمٌ دلّ على السمع وهو صفة، والفعل يسمع، ويُسمّى الحكم، ويُسمّى الأثر.

كذلك (الخالق) دلّ على الصفة، وهي الخلق، وعلى الفعل، وهو أنه يخلق.

- ٢٧٦٧- وَالْحُكْمُ نَسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلِّقًا
بِ تَقْتَضِي آثَارَهَا بَيَّانِ
قَوْلُهُ: «وَالْحُكْمُ» ما معنى الحكم؟ يقول: (نَسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلِّقَاتٍ تَقْتَضِي آثَارَهَا
بَيَّانِ) هذا الحكم، أن تُنسب إلى متعلقاتها التي تقتضي الآثار، وعلى هذا فلنا أن
نُعبر بالأحكام، ولنا أن نُعبر بالآثار.

٢٧٦٨- وَلَرَّبَّمَا يُعْنَى بِهِ الْإِخْبَارُ عَنْ أَثَارِهَا يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ
قَوْلُهُ: «وَلَرَّبَّمَا يُعْنَى بِهِ» أَي: بِالْحُكْمِ.

قَوْلُهُ: «يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ» إِذَنْ الْحُكْمُ أَحْيَانًا يُعْنَى بِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَتَعَلِّقَاتٍ
تَقْتَضِي أَثَارَهَا، وَأَحْيَانًا يُعْنَى بِهِ الْأَثَارُ نَفْسَهَا.

فَالْمَوْلُفُ يَقُولُ: لَا بُدَّ لِكُلِّ اسْمٍ مِنْ صِفَةٍ، ثُمَّ هَذِهِ الصِّفَةُ قَدْ تَقْتَضِي الْأَثَارَ، أَي:
تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ لَهَا أَثَرٌ، وَحَيْثُ يَكُونُ لَهَا حُكْمٌ، وَقَدْ لَا تَقْتَضِي ذَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَكُونُ
لَهَا حُكْمٌ، فَمَا كَانَ لَازِمًا فَإِنَّهُ لَا حُكْمَ لَهُ، وَمَا كَانَ مُتَعَدِّيًا فَلَهُ حُكْمٌ، هَذَا الضَّابِطُ.

فَمَثَلًا: (الْحَيُّ) لَازِمٌ، لَا يَتَعَدَّى إِلَى الْغَيْرِ، فَلَيْسَ لَهُ حُكْمٌ؛ وَهَذَا نَقَوْلُ: اسْمُهُ
(الْحَيُّ) وَوَصْفُهُ الْحَيَاةَ، وَلَا نَقَوْلُ: الْحُكْمُ يُحْيِي؛ لِأَنَّ (يُحْيِي) فِعْلٌ لِلْمَحْيِيِّ، وَلَيْسَ
فِعْلًا لِلْحَيِّ، فَالْحَيُّ وَصْفٌ لَازِمٌ.

وَأَمَّا (الْبَصِيرُ) فَهُوَ مُتَعَدٌّ، فَالْبَصِيرُ مُتَضَمِّنٌ لَصِفَةٍ تَتَعَدَّى وَهُوَ أَنَّهُ يُبْصِرُ.

وَأَمَّا (الْعَظِيمُ) فَهُوَ لَازِمٌ، فَإِذَنْ يَدُلُّ عَلَى الْاسْمِ وَعَلَى الصِّفَةِ وَلَيْسَ لَهُ
حُكْمٌ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

٢٧٦٩- وَالْفِعْلُ إِعْطَاءُ الْإِرَادَةِ حُكْمَهَا مَعَ قُدْرَةِ الْفَعَالِ وَالْإِمْكَانِ

الْفِعْلُ نَاتِجٌ عَنْ إِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَوْجَدَ فِعْلٌ بِلَا إِرَادَةٍ، وَلَا فِعْلٌ
بِلَا قُدْرَةٍ؛ وَهَذَا لَوْ أُرِدَتْ أَنْ تَسَافَرَ إِلَى بَلَدٍ وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَكَ رَاحِلَةٌ مَا اسْتَطَعْتَ
السَّفَرَ، لِمَاذَا؟ لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ، وَلَوْ كَانَ عِنْدَكَ رَاحِلَةٌ لَكِنْ الطَّرِيقَ مَخُوفٌ، فَلَمْ تُرِدْ
السَّفَرَ، فَإِنَّ السَّفَرَ لَا يَكُونُ، لِمَاذَا؟ لِعَدَمِ الْإِرَادَةِ، وَلَوْ وَجَدْتَ الْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ
حَيْثُ يَتَحَقَّقُ الْفِعْلُ.

٢٧٧٠- فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ سُبْحَانَهُ فَجَمِيعُ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ

إذا لم يكن لله أوصاف فأين أحكام هذه الأوصاف؟ إذن لا يكون له خلق ولا سمع ولا بصر، حتى المخلوقات ليست خلقاً لله؛ لأننا نعلم أن الخلاق متضمنٌ لوصفٍ هو الخلق، ومتضمنٌ لحكم وهو يخلق، وأن (يخلق) لا يمكن أن تكون إلا بإرادةٍ وقدرةٍ، فإذا انتفت الإرادةُ والقدرةُ والخلقُ والحكمُ ماذا يبقى؟ الجواب: انتفى كلُّ شيءٍ عن الله، نسأل الله العافية.

٢٧٧١- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِهِ- ذَا كُلِّهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ

قوله: «بهذا» المشار إليه إثبات الأسماء والأوصاف والأحكام.

٢٧٧٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُحَرِّفِ شَيْطَانِ

قوله: «من تأويل كل محرف» ولم يقل: (كل مؤول)؛ لأن التأويل قد يكون حقاً، أما التحريف فهو باطل.

٢٧٧٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ نَ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ فِي الْقُرْآنِ

والمراد بالتأويل هنا غير تأويل التحريف، بل المراد به التفسير المطابق لمراد الله ورسوله.

٢٧٧٤- هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَهْلُ تَأْوِيلِ الَّذِي يُعْنَى بِهِ لَا قَائِلُ الْهَدْيَانِ

قوله: «قائل الهديان» هو الذي يتأول تأويل التحريف، أما هم فيتأولون التأويل الذي يُعنى به الكلام، أي: التفسير.

٢٧٧٥- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ صَرَفٌ عَنِ الْمَرْجُوحِ لِلرَّجْحَانِ

وتأويلُ المحرّفِ بالعكس، صَرَفٌ عن الراجح للمرجوح.

٢٧٧٦- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النُّصُو صَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي

خلافًا لأهل التحريف الذين حملوها على المجاز، أمّا أهل الحديث فحملوها على الحقيقة لا على المجاز.

٢٧٧٧- إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّهْمُ لِمَجَازِهَا أَلْ مُضْطَرٌّ مِنْ حِسٍّ وَمِنْ بُرْهَانِ

٢٧٧٨- فَهَنَّاكَ عِصْمَتُهَا أَبَاحَتْهُ بَغِيًّا رِ تَجَانُفٍ لِلِإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

يقول: إذا وُجِدَتْ ضرورةٌ تُوجِبُ أن يُؤوّلوا أوّلوا؛ لأنّ النصوصَ معصومةً من مخالفةِ المحسوس والمعقول، فإذا كانت معصومةً من مخالفةِ المحسوس والمعقول وجاء فيها ما ظاهره مخالفةُ المحسوس والمعقول حيثنذ يتأوّلونها؛ ولذا قال: «فَهَنَّاكَ عِصْمَتُهَا أَبَاحَتْهُ» أي: أباحتُ تلك التأويل.

مثلاً قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] يتأوّلون: (إذا

قرأت) أي: إذا أردت أن تقرأ، وليس المعنى: إذا أتممت القراءة، لماذا يصرفون اللفظ عن ظاهره؟ الجواب: لأنّ هدي النبي ﷺ الاستعاذة قبل القراءة.

وقوله تعالى: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] أي: ربح عاد،

يقولون: نؤوّل هذا عن ظاهره، فالمراد: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ يُمكنُ تدميره بالريح؛ ولهذا

قال: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فالمساكنُ لم تُدَمَّرْ، والأرضُ لم

تُدَمَّرْ، والسَّمَاءُ لم تُدَمَّرْ، والنجومُ لم تُدَمَّرْ، إِذَنْ فالعمومُ هنا يُرادُ به الخاص، هم

يتأوّلون هذا لكن بحق بلا شك.

٢٧٧٩- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُكْفِرُوا نَكُم بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ
يعني: لا يقولون: أنتم كُفَّارٌ، وإن كان قولكم كفرًا لكن لا يُكفرونكم،
لماذا؟ يقول:

٢٧٨٠- إِذْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ لَسْتُمْ أَوْلِي كُفْرٍ وَلَا إِيمَانٍ
يعني: أنتم جُهَّالٌ لا تعرفون الكفرَ والإيمان؛ لذلك لا يقولون: أنتم كُفَّارٌ،
وإن كان ما قلتم كفرًا.

٢٧٨١- لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْكُفْرَانِ بَلْ لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
يعني: أنتم جُهَّالٌ بهذا وهذا.

٢٧٨٢- إِلَّا إِذَا عَانَدْتُمْ وَرَدَدْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ

٢٧٨٣- فَهَنَّاكَ أَنْتُمْ أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ سَاكِنِي النَّيْرَانِ

وهذه مسألة العذر بالجهل، هل يُعذَّرُ الإنسانُ بالجهل في أصول الدين أو لا يُعذَّرُ؟ الصواب أنه يُعذَّرُ بالجهل في أصول الدين وفروعه؛ لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فقوله: ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] لماذا؟ الجواب: لِيُعَلِّمَ النَّاسَ، فإذا كان الإنسانُ جاهلاً ولا يعرف شيئاً فإننا لا نكفِّره بذنبه إلا إذا كان ينتسبُ إلى الكفر فهو كافرٌ وحسابه في الآخرة على الله، يعني: مثلاً: إنسان لم تبلغه الدعوة الإسلامية لكنه يعيش على النصرانية مثلاً، ولا يعرف عن الإسلام شيئاً، فهذا وإن كان جاهلاً نعامله في الدنيا معاملة الكافر النصراني، وفي الآخرة حسابه على الله، كأهل الفترة، أمَّا إذا كان ينتسبُ إلى الإسلام، ويقول: إنه مسلمٌ، لكن يفعل ما هو كافرٌ جاهلاً أنه كافرٌ،

ولم يخبره أحدٌ بأنه كفرٌ فهذا لا نُكفِّرُه؛ للجهل، لكن إذا عاندَ وَرَدَّ قَوْلَ الرِّسُولِ لقول فلانٍ، حينئذٍ قامت عليه الحُجَّةُ، فلو أخبرناه وقلنا: هذا كفرٌ لأنه سجودٌ لغير الله، والسجودُ لغير الله كفرٌ، فقال: لا أقبلُ هذا لأنَّ الشيخَ الفلانيَّ يشاهدني أفعلُ هذا ولا يقولُ لي شيئاً، فأنا أتبعُ شيخي.

قلنا له: إنَّ سبَّ أبي بكرٍ وعمرَ كفرٌ، فقال: لا أقبلُ ذلك؛ لأنَّ شيخي الفلانيَّ يقولُ: سبُّ أبي بكرٍ وعمرَ قُرْبَةٌ. فهذا يُكفِّرُ؛ لأنَّ الحقَّ بلغه.

٢٧٨٤- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَتَبْتُوا الْـ أَقْدَارَ وَارِدَةً مِنَ الرَّحْمَنِ خِلَافًا لِلْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَدِّرُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ.

٢٧٨٥- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ حُجَّةَ رَبِّهِمْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو عُفْرَانٍ قَوْلُهُ: «حُجَّةَ رَبِّهِمْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ» بماذا قامت؟ الجواب: بإرسال الرُّسُلِ، فالجبرُ غيرُ وارِدٍ، فلا يمكنُ أن يحتجَّ الإنسانُ بالجبر؛ لأنَّ الحُجَّةَ قامت عليه.

٢٧٨٦- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ هُمْ فَاعِلُو نَ حَقِيقَةِ الطَّاعَاتِ وَالْعِضْيَانِ ٢٧٨٧- وَالْجَبْرُ عِنْدَهُمْ مُحَالٌ هَكَذَا نَفْيُ الْقَضَاءِ فَبِئْسَتِ الرَّأْيَانِ

إذِنِ الْمُؤَلَّفُ يَقُولُ: اشْهَدُ بَأَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ بَرَاءٌ مِنْ أَهْلِ الْقَدْرِ (الْقَدَرِيَّةِ) وَمِنْ أَهْلِ الْجَبْرِ (الْجَبْرِيَّةِ)، وَيَذُمُّ هَذَيْنِ الرَّأْيَيْنِ؛ وَلِذَا قَالَ: (فَبِئْسَتِ الرَّأْيَانِ).

٢٧٨٨- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ إِيْمَانَ الْوَرَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ عَقْدُ جَنَانٍ خِلَافًا لِلْمَرْجئةِ وَلِلْخَوَارِجِ، فَالْخَوَارِجُ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَاعْتِقَادٌ، لَكِنْ يَفَارِقُونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ بِأَنَّهُمْ يُكْفِّرُونَ أَهْلَ الْمَعَاصِي.

٢٧٨٩- وَيَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعًا هَكَذَا بِالضِّدِّ يُمْسِي وَهُوَ ذُو نُقْصَانٍ
 قَوْلُهُ: «يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعًا» وفي النقص لم يقل: (قطعًا)؛ لأنَّ الزيادة
 جاءت في القرآنِ صريحةً، قال تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١] وقال
 تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] أمَّا النقص فلم يردْ صريحًا
 في القرآن، إنما جاء في السنَّة: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِّ
 الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»^(١)، فقال: «مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ».

ولكن نقول: إذا ثبتت الزيادة فلا زيادة إلا بنقص، فالزيادة يقابلها النقص
 قطعًا، فإذا قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] نقول:
 هم قبل ذلك أنقص من الآن، فما دامت الزيادة ثبتت في القرآن فالنقص قد ثبت؛
 ولهذا نقول: إِنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَبَيْنَ النِّقْصِ فَقَوْلُهُ مَرْجُوحٌ، إِذِنَّ الصَّوَابُ أَنَّ
 الْإِيْمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

٢٧٩٠- وَاللَّهُ مَا إِيْمَانُ عَاصِينَا كَيْبِ — إِيْمَانِ الْأَمِينِ مَنْزِلِ الْقُرْآنِ

٢٧٩١- كَلَّا وَلَا إِيْمَانُ مُؤْمِنِنَا كَيْبِ — إِيْمَانِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الْإِيْمَانِ

والأوَّلُ خِلَافًا لِلْمَرْجُئَةِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْإِيْمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ، وَهَمَّ الْجَهْمِيَّةُ
 كَمَا مَرَّ، وَإِنَّ إِيْمَانَ أَفْسَقَ عِبَادَ اللَّهِ وَأَتَقَى عِبَادَ اللَّهِ عَلَى حَدِّ سِوَاءِ، وَإِنَّ إِيْمَانَنَا كَيْبَانَ
 جَبْرِيلَ، وَالْمُؤْمِنُ مِنْنَا كَيْبَانَ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (٣٠٤)، ومسلم: كتاب
 الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله،
 رقم (٨٠).

٢٧٩٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُجْلِدُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي حَمِيمٍ ^(١) آنِ
خِلَافًا لِلخَوَارِجِ وَالْمَعْتَزَلَةِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي
النَّارِ.

٢٧٩٣- بَلْ يُخْرِجُونَ بِإِذْنِهِ بِشَفَاعَةٍ وَيَدُونَهَا لِـمَسَاكِينِ بَجَنَانَ
خِلَافًا لِلخَوَارِجِ وَالْمَعْتَزَلَةِ.

٢٧٩٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ رَبَّهُمْ يُرَى يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
خِلَافًا لِلجَهْمِيَّةِ، وَالْمَعْتَزَلَةِ، وَكَذَلِكَ الْأَشَاعِرَةُ.

٢٧٩٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُولِ لِي خِيَارٌ خَلَقَ اللهُ مِنْ إِنْسَانِ

٢٧٩٦- حَاشَا النَّبِيِّينَ الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ خَيْرُ الرِّيَّةِ خَيْرَةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَصْحَابَ الرَّسُولِ خِيَارٌ خَلَقَ اللهُ» خِلَافًا لِلرَّوَافِضِ.

٢٧٩٧- وَخِيَارُهُمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَخِيَارُهُمْ حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ

قَوْلُهُ: «وَخِيَارُهُمْ» أَي: خِيَارُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ (خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ).

قَوْلُهُ: «وَخِيَارُهُمْ» أَي: خِيَارِ الْخُلَفَاءِ (حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ).

إِذْ أَنْ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عَثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، هَذَا الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ
أَهْلُ السُّنَّةِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي التَّفَاضُلِ بَيْنَ عَثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَلَكِنْ اسْتَقَرَّ
أَمْرُهُمْ عَلَى أَنْ تَرْتِيبُهُمْ فِي الْفَضِيلَةِ كترتيبهم في الخلافة.

(١) في نسخة برلين: «جحيم».

٢٧٩٨- وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ أَحَقُّ بِالتَّـ تَقْدِيمِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ بَيَانِ

لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ [الحديد: ١٠].

٢٧٩٩- كُلُّ بِحَسَبِ السَّبِقِ أَفْضَلُ رُتْبَةً مِنْ لَاحِقِ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ.

فصل

في عهدِ المُبْتَلِينَ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

- ٢٨٠٠- يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ وَالسَّنَنِ الَّتِي
جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
- ٢٨٠١- يَا مَنْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَقَوْلُهُ
وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بَيَّانٍ
- ٢٨٠٢- اشرحْ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوَحِّدٍ
شَرَحًا يُنَالُ بِهِ ذُرَى الْإِيمَانِ
- ٢٨٠٣- وَاجْعَلْهُ مُؤْتَمًّا بِوَحْيِكَ لَا بِمَا
قَدْ قَالَهُ ذُو الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ
- ٢٨٠٤- وَانصُرْ بِهِ حِزْبَ الْهُدَى وَانجِبْ بِهِ
حِزْبَ الضَّلَالِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ
- ٢٨٠٥- وَانْعَشْ بِهِ مَنْ قَضَدَهُ إِحْيَاؤُهُ
وَاعْصِمْهُ مِنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانٍ
- ٢٨٠٦- وَاضْرِبْ بِحَقِّكَ عُنُقَ^(١) أَهْلِ الزَّيْغِ وَالذُّلِّ
تَبْدِيلِ وَالتَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ
- ٢٨٠٧- فَوَحِّقْ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي
وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ
- ٢٨٠٨- وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مُتَابَعَةَ الْهُدَى
فَقَرَأْتُ فِيهِ أَسْطَرَ الْإِيمَانِ
- ٢٨٠٩- وَنَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أَصْحَابِ الْهَوَى
بِحَبَائِلٍ مِنْ مُحْكَمِ الْفُرْقَانِ
- ٢٨١٠- وَجَعَلْتَ شَرِبِي الْمَنْهَلَ الْعَذْبَ الَّذِي
هُوَ رَأْسُ مَاءِ الْوَارِدِ الظَّمَّانِ
- ٢٨١١- وَعَصَمْتَنِي مِنْ شُرْبِ سِفْلِ الْمَاءِ تَحْتِ
سِتِّ نَجَاسَةِ الْآرَاءِ وَالْأَذْهَانِ

(١) في نسخ برلين والظاهرية والسفاريينية والتمورية: «واصرف بحقك عنه».

- ٢٨١٢ - وَحَفِظْتَنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْأَلَى
- ٢٨١٣ - نَبَذُوا كِتَابَكَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ
- ٢٨١٤ - وَأَرَيْتَنِي الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ كَيْفَ يُدْ
- ٢٨١٥ - شَيْطَانُهُ فَيُظَلُّ يَنْقُشُهَا لَهُ
- ٢٨١٦ - فَيُظَنُّهَا الْمَغْرُورُ حَقًّا وَهِيَ فِي التُّ
- ٢٨١٧ - لِأَجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي
- ٢٨١٨ - وَلَا أَفْضَحْنَهُمْ عَلَى رُوسِ الْمَلَا
- ٢٨١٩ - وَلَا أَكْشِفَنَّ سَرَائِرًا خَفِيَتْ عَلَى
- ٢٨٢٠ - وَلَا أَتَبَعَنَّهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا
- ٢٨٢١ - وَلَا أَرْجُمَنَّهُمْ بِأَعْلَامِ الْهُدَى
- ٢٨٢٢ - وَلَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ مَرَاصِدَ كَيْدِهِمْ
- ٢٨٢٣ - وَلَا أَجْعَلَنَّ لِحُومِهِمْ وَدِمَاءَهُمْ
- ٢٨٢٤ - وَلَا أَخِيْلَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَسَاكِرِ
- ٢٨٢٥ - بِعَسَاكِرِ الْوَحِيِّ وَالْفِطْرَاتِ وَالْ
- ٢٨٢٦ - حَتَّى يَبِينَ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ مِنَ الْ
- ٢٨٢٧ - وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ ثُمَّ رَسُولَهُ
- حَكَمُوا عَلَيْكَ بِشِرْعَةِ الْبُهْتَانِ
- وَتَمَسَّكُوا بِزُخَارِفِ الْهَدْيَانِ
- قِيهَا مُزْخَرَفَةٌ إِلَى الْإِنْسَانِ
- نَقَشَ الْمُشَبَّهِ صُورَةَ بَدَهَانِ
- تَحْقِيقِ مِثْلِ اللَّالِ فِي الْقِيَعَانِ
- وَلَأَجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دَيْدَانِي
- وَلَأَفْرِيَنَّ أَدِيمَهُمْ بِلِسَانِي
- ضُعَفَاءِ خَلْقِكَ مِنْهُمْ بَيَّانِ
- حَتَّى يُقَالَ: أَبْعَدَ عَبَادَانِ؟
- رَجَمَ الْمَرِيدَ بِثَاقِبِ الشُّهْبَانِ
- وَلَأَخْصُرَنَّ رِجْلَهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ
- فِي يَوْمِ نَضْرِكَ أَعْظَمَ الْقُرْبَانِ
- لَيْسَتْ تَفْرُّ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ
- مَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ بِالْإِحْسَانِ
- أَوْلَى بِحُكْمِ الْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ؟
- وَكِتَابَهُ وَشَرَائِعَ الْإِيمَانِ

٢٨٢٨- إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ إِنْ^(١) لَمْ يَشَأْ فَالْأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-: «فَصَلِّ فِي عُهُودِ الْمُثْبِتِينَ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ» يعني: ما عاهدوا به الله، وعاهدوه عليه من بيان الحق ومحاربة الباطل وأهله.

توسّل المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل أولاً بما يكون وسيلة من صفات الله عزّ وجلّ على هذا الهدف العظيم النبيل، فقال:

٢٨٠٠- يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
قَوْلُهُ: «يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ...» النداء موجّهٌ لله عزّ وجلّ.

قَوْلُهُ: «الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ» وهو محمد -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «بِالْفُرْقَانِ» في نسخة: (بالقرآن) والفرقان هو القرآن.

٢٨٠١- يَا مَنْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَقَوْلُهُ وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بَيَانِ
قَوْلُهُ: «يَا مَنْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» وهو الله، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَيَعْلَمُونَ
أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

قَوْلُهُ: «وَقَوْلُهُ وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بَيَانِ» أي: ولقاؤه حق، ورسوله حق، أقول ذلك بياناً وعن يقين.

(١) في نسخ برلين والسفارينية والظاهرية والتميمورية وابن سحان: «أو».

٢٨٠٢- اشْرَحْ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوَحِّدٍ شَرْحًا يُنَالُ بِهِ ذُرَى الْإِيمَانِ

جزاه الله خيرًا، وتقبَّل منه، يعني: سأل الله بنصرتة الإسلام، وبأنه الحقُّ المبين أن يشرح لدينه صدر كلِّ مُوحِّدٍ إلى يوم القيامة.

٢٨٠٣- وَاجْعَلْهُ مُؤْتَمًّا بِوَحْيِكَ لَا بِمَا قَدْ قَالَهُ ذُو الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «مؤتمًّا» يعني: جاعلاً وحيك إمامًا له، لا ما قاله ذو الإفك والبهتان من أهل البدع والتعطيل.

٢٨٠٤- وَأَنْصُرْ بِهِ حِزْبَ الْهُدَى وَاكْتِبْ بِهِ حِزْبَ الضَّلَالِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «وأنصر به» أي: بالموحد.

٢٨٠٥- وَأَنْعَشْ بِهِ مَنْ قَضَدَهُ إِحْيَاؤُهُ وَأَعْصَمَهُ مِنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانٍ

قَوْلُهُ: «أنعش به» يعني: أحياه وقوه.

قَوْلُهُ: «من قاضده إحياءه» أي: إحياء الهدى.

قَوْلُهُ: «كيد» الكيد والمكر معناهما متقاربان، وهو أن يتوصل إلى الإيقاع بعدوه من غير أن يشعر به.

٢٨٠٦- وَأَضْرِبْ بِحَقِّكَ عُنُقَ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالذُّبِّ وَتَبْدِيلِ وَالتَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ

أيضًا توسل بالحق الذي جاء من عند الله أن يضرب به عنق أهل الزَّيْغِ والتبديل؛ لأنَّ أهل الزَّيْغِ والتبديل على باطلٍ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

٢٨٠٧- فَوَحَّقَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَوَحَّقَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي» الواو هنا قَسَمٌ، وَحَقُّ النعمة شكرُها، والشُّكْرُ من حقوقِ الله عزَّ وجلَّ، لكنَّه فعلُ العبد، فهل يجوزُ أن يُقسِمَ الإنسانُ بفعلِ العبد، فيقول: (وَحَقُّ نِعْمَتِكَ)؟

رَبِّنا نَقولُ: إنه يجوزُ على أساسِ أَنَّ حَقَّ النعمةِ وهو الشُّكْرُ أمرٌ واجبٌ، يعني: فبتأكُّدِ هذا الأمرِ الواجبِ لأفعلنَّ كذا وكذا.

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: (فَبِنِعْمَتِكَ الحَقِّ) فيكونُ من بابِ إضافةِ الصفةِ إلى موصوفها، وإذا كانَ: (فَبِنِعْمَتِكَ الحَقِّ) فنعمةُ الله التي هي إنعامُه من فعلِه، والقَسَمُ به لا بأسَ به.

إِذْنُ الأوَّلِ فيه شيءٌ من الإشكالِ، وهو أنه كيفِ يحلفُ بشكرِ نعمةِ الله وهي من فعلِ العبد، ولا يجوزُ أن تحلفَ بفعلك حتَّى لو كانَ عبادةً، فلو قلتَ: (فبعبادتي لك) أو (بصلاتي لك) لا يجوزُ.

فأنا أقولُ توجيهًا لكلامِ المؤلفِ: أن نجعلَ (حَقَّ) صفةً، فنجعلها من بابِ إضافةِ الصفةِ إلى موصوفها، ويكونُ المعنى: (فبنِعْمَتِكَ الحَقِّ) الثابتة التي أوليتني، ونعمةُ الله التي هي إنعامُه من فعلِ الله عزَّ وجلَّ، وفعلُ الله يجوزُ الإقسامُ به.

ومثُلُ هذا أيضًا قولُ بعضهم: (بِحَقِّ هذا الأذانِ) يعني الأذانَ الحَقَّ، وإلَّا فالأذانُ نفسُه ليس له حَقٌّ.

وَقَوْلُهُ: «فَوَحَّقَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ» كونه يُثني على الله - سبحانه وتعالى - بأنَّ الله أولاه النعمةَ واضحٌ، لكن قوله: (جَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ) لا يريدُ المؤلفُ بها أن يفتخرَ بالنعمةِ افتخارَ علوٍّ وتكبيرٍ،

وإنما يُريد بهذا أن يتحدّث بنعمة الله.

٢٨٠٨- وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مُتَابَعَةَ الْهُدَى فَقَرَأْتُ فِيهِ أَسْطُرَ الْإِيمَانِ

هذا أيضًا من باب التحدّث بنعمة الله عزّ وجلّ.

٢٨٠٩- وَنَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أَصْحَابِ الْهَوَى بِحَبَائِلٍ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

وقد سبق أن ابن القيم -رحمه الله- كان في أوّل الأمر بدعيًا حتّى منّ الله عليه بشيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-.

٢٨١٠- وَجَعَلْتَ شَرِبِي الْمَنْهَلَ الْعَذْبَ الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَاءِ الْوَارِدِ الظَّمَانِ

قَوْلُهُ: «الْمَنْهَلَ الْعَذْبَ» أي: الكتاب والسنة.

٢٨١١- وَعَصَمْتَنِي مِنْ شُرْبِ سِفْلِ الْمَاءِ تَحْتِ نَجَاسَةِ الْأَرَاءِ وَالْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «سِفْلِ الْمَاءِ» هو ما اعتنقه هؤلاء النفاة من تحكيم العقل على ربّ العالمين وصفاته ودعواهم أنّ هذه الصفة حقّ؛ لأنّ العقل يدلّ عليها، وهذه باطل؛ لأنّ العقل نفاها.

٢٨١٢- وَحَفِظْتَنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْأَلَى حَكَمُوا عَلَيْكَ بِشِرْعَةِ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْأَلَى» أي: النفاة.

قَوْلُهُ: «بِشِرْعَةِ الْبُهْتَانِ» أي: بالعقل، فإنّ العقل الفاسد لا شكّ أنّه بهتان، وأمّا العقل الصحيح فلا يخالف النقل.

وَقَوْلُهُ: «الْأَلَى» يعني: الذين، قال ابن مالك -رحمه الله-:

جَمْعُ الَّذِي: «الْأَلَى» «الَّذِينَ» مُطْلَقًا وَبَعْضُهُمْ بِالْوَاوِ رَفَعًا نَطَقًا

٢٨١٣- نَبَدُوا كِتَابَكَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِرِخَافِ الْهَدْيَانِ

هذه حالهم والعياذُ بالله، أتمهم لا يرجعون إلى الكتابِ والسُّنةِ في إثبات الصفات أو نفيها، وإنما يرجعون إلى زخارف الهديان الذي أصْلوه.

٢٨١٤- وَأَرَيْتَنِي الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ كَيْفَ يُدْ - قِيهَا مُزْخَرَفَةٌ إِلَى الْإِنْسَانِ

٢٨١٥- شَيْطَانُهُ فَيَظَلُّ يَنْقُشُهَا لَهُ نَقْشَ الْمُشَبِّهِ صُورَةً بِدِهَانِ

وهذا من نعمة الله عزَّ وجلَّ أن يجعلَ اللهُ - سبحانه وتعالى - للإنسان نورًا يهتدي به، فيرى الحقَّ حقًّا ويرى الباطلَ باطلاً، ومن سوء الطالع أن الإنسان تَعَمَّى عليه الحقائق، فلا يرى الباطلَ باطلاً ولا الحقَّ حقًّا، نسألُ الله السَّلَامَةَ.

قَوْلُهُ: «فَيَظَلُّ يَنْقُشُهَا لَهُ نَقْشَ الْمُشَبِّهِ صُورَةً بِدِهَانِ» نفرض أنه يرسمُ صورةَ شجرة، تجده يحرصُ أن تخرجَ هذه الصورةُ تامةً، إذا نظرتها كأنها تنظرُ إلى الشجرة الأصلية، هؤلاء شياطينهم ترسمُ لهم هذا الباطلَ هذا الرَّسْمَ الدقيقَ.

٢٨١٦- فَيَظُنُّهَا الْمَغْرُورُ حَقًّا وَهِيَ فِي التَّ - تَحْقِيقِ مِثْلُ اللَّالِ فِي الْقِيَعَانِ

قَوْلُهُ: «اللَّالِ» أي: السَّرَابُ، والسَّرَابُ إذا رآه الإنسانُ يظنُّه ماءً، لنفرض أنك في البرِّيَّةِ عطشانٌ، وأمامك أرضٌ سَبِخَةٌ يكون فيها السَّرَابُ كأنه ماءٌ، فتجدك تشعرُ بنفسك أنك حَيِّتٌ؛ لأنَّ الماءَ الكثيرَ أمامك، ولكنك إذا جئتَه وجدته سرابًا كما قال اللهُ تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَائِبًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩].

٢٨١٧- لِأَجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي وَلَا أَجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دَيْدَانِي

قَوْلُهُ: «لَأَجَاهِدَنَّ» هذه الجملة جوابُ القَسَمِ في قوله: (فَوَحَقَّ نِعْمَتِكَ) يعني: بما أنعمت عليّ أفعلُ كذا وكذا.

قَوْلُهُ: «لَأَجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي وَلَا أَجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دَيْدَانِي» جزاءُ الله خيراً، وهذه علامةُ الإيِّان، أن يجاهدَ الإنسانُ أعداءَ الله، وألَّا يُكِنَّ لهم حُبًّا أبداً؛ لأنك إذا أحببتَ أعداءَ الله لَزِمَ من ذلك معاداةُ أولياءِ الله، كما قال ابن القيم -رحمه الله-^(١):

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي حُبَّالَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ

فلا بُدَّ أن نُضْمِرَ العِدَاءَ لِكُلِّ عَدُوِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإن لم نفعلْ فَإِنَّ وِلَاءَنَا اللهُ غَيْرُ صَادِقٍ.

٢٨١٨- وَلَا فَضَحْنَهُمْ عَلَى رُوسِ الْمَلَا وَلَا فَرِينَّ أَدِيمَهُمْ بِلِسَانِي

قَوْلُهُ: «وَلَا فَرِينَّ أَدِيمَهُمْ» أديمهم يعني: جلودهم.

قَوْلُهُ: «بِلِسَانِي» يعني: بما أُبَيِّنُهُ من الحقِّ الذي يَدْخُضُ باطلَهُم.

٢٨١٩- وَلَا كُشِفَنَّ سَرَائِرًا خَفِيَّتْ عَلَى ضَعْفَاءِ خَلْقِكَ مِنْهُمْ بَيَّانٍ

وقد فعل -رحمه الله-، أبدى من معايبهم ما لم يُبَيِّدْهُ إِلَّا شَيْخُهُ ابنُ تَيْمِيَّةَ.

٢٨٢٠- وَلَا تَبَعْنَهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا حَتَّى يُقَالَ: أَبْعَدَ عَبَّادَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَلَا تَبَعْنَهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا» هل سيقف أم يتبعهم؟ الجواب: يتبعهم

إلى حيث انتهوا.

(١) البيت لابن القيم في هذه النونية، برقم (٣٥٠٣).

قَوْلُهُ: «حَتَّى يُقَالَ: أَبْعَدَ عَبَادَانِ؟» عَبَادَانِ: بَلَدٌ مَعْرُوفٌ فِي إِيرَانَ، وَالْمُؤَلَّفُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، يَقُولُ: أَتَبِعُهُمْ حَتَّى يُقَالَ: أَبْعَدَ عَبَادَانِ تَتَّبِعُهُمْ؟ يَعْنِي: مَنْ وَرَاءَ عَبَادَانِ، فَهُوَ يَقُولُ: أَتَبِعُهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا وَلَوْ يَصِلُونَ إِلَى الصَّيْنِ.

٢٨٢١- وَلَا زَجْمَنَّهُمْ بِأَعْلَامِ الْهُدَى رَجَمَ الْمَرِيدِ بِثَاقِبِ الشُّهْبَانِ
أَزَجْمَنَّهُمْ بِثَاقِبِ الشُّهْبَانِ رَجَمَ الْمَرِيدِ، وَالْمَرِيدُ: يَعْنِي الشَّيَاطِينَ، فَالشُّهْبُ تَرْمِي مَرَدَةَ الشَّيَاطِينَ.

٢٨٢٢- وَلَا أَعْدَنَ لَهُمْ مَرَايِدَ كَيْدِهِمْ وَلَا خُصْرَتَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
قَوْلُهُ: «مَرَايِدَ» الْمَرَايِدُ جَمْعُ: مَرِصِدٍ، يَعْنِي: الْمَكَانَ الَّذِي يُتَحَرَّى وَجُودَهُمْ فِيهِ أَقْعَدَنَ لَهُمْ.

٢٨٢٣- وَلَا أَجْعَلَنَّ لِحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ فِي يَوْمِ نَصْرِكَ أَعْظَمَ الْقُرْبَانِ
أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذَبْحِهِمْ كَمَا يَتَقَرَّبُ النَّاسُ بِذَبْحِ الْهَدَايَا وَالْقُرْبَانِ.

وقد ذكر -رحمه الله- في النونية أن خالد بن عبد الله القسري لما خرج بالجعدي بن درهم مؤسس مقالة التعطيل، أسرَهُ ثُمَّ خَرَجَ بِهِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحُّ بِالْجَعْدِ ابْنِ دَرَاهِمٍ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا»^(١). ثُمَّ نَزَلَ مِنْ عَلَى الْمَنْبَرِ فَذَبَحَهُ، وَهَذِهِ الْأُضْحِيَّةُ يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ عَنْهَا فِي النونية:

وَلَا أَجَلِذَا ضَحَّى بِجَعْدِ خَالِدِ الْ- قَسْرِيِّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ

(١) الحكاية أوردها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٣٨٢).

إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمُ الدَّانِي
 شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ اللَّهُ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانَ
 ونحن نشكره على تضحيته بهذا الرجل، ونرى أنها أقرب قربانٍ يتقرب به
 الإنسان إلى الله.

٢٨٢٤- وَلَا أَجْمَلَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَسَاكِرٍ لَيْسَتْ تَفَرُّ إِذَا التَّقَى الرَّحْفَانِ
 قَوْلُهُ: «بِعَسَاكِرٍ لَيْسَتْ تَفَرُّ» لماذا؟ لأنها قويةٌ مُريدةٌ للقتال تمامًا.

٢٨٢٥- بِعَسَاكِرِ الْوَحِيِّنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ بِالْإِحْسَانِ
 ٢٨٢٦- حَتَّى يَبِينَ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ مِنَ الْأُولَى بِحُكْمِ الْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ؟
 جزاءه الله خيرًا، يعني: بعدما يبيّن بطلانهم يبيّن للناس من الأولى بالعقل،
 هل هم أم أهل الحديث؟ ولا شك أن أهل الحديث هم أولى.

٢٨٢٧- وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ وَكِتَابُهُ وَشَرَائِعَ الْإِيمَانِ
 قَوْلُهُ: «وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ» يعني: أنصحنَّ الله، ولو كان البيت هكذا:
 وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ وَكِتَابِهِ وَشَرَائِعَ الْإِيمَانِ
 لاستقام.

وقوله: «وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ» ليوافق لفظ الحديث: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟
 قَالَ: «لِللَّهِ...»^(١)، أمّا على النسخ الموجودة في أيدينا (وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ) فالمعنى:
 لَا نَصَحَنَّ لَهُ، فيكون منصوبًا بنزع الخافض.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٥).

٢٨٢٨- إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ إِنْ لَمْ يَشَأْ فَالْأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ
 وَقَوْلُهُ: «إِنْ لَمْ يَشَأْ» في نسخة: (أَوْ لَمْ يَشَأْ)، على كُلِّ حَالٍ المعنيانِ
 صحيحان.

قَوْلُهُ: «إِنْ شَاءَ رَبِّي» الحمدُ لله أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- قال: (إِنْ شَاءَ رَبِّي)؛
 لأنَّ كُلَّ أَقْسَامِهِ الأولى لو لم يَقْرِنَهَا بالمشيئة لذهبت جفاءً؛ لأنَّ الرسولَ -عليه
 الصلاة والسلام- قال في سليمان: «لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَخْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا
 لِحَاجَتِهِ»^(١).

والإنسانُ إذا أقسمَ على شيءٍ فينبغي له أن يَقْرِنَ قَسَمَهُ بالمشيئة ليسهل ذلك؛
 ولهذا قال: (إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ).

قَوْلُهُ: «إِنْ لَمْ يَشَأْ» -وفي النسخة الثانية: أَوْ لَمْ يَشَأْ- فَالْأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ» لأنه
 إذا شاء اللهُ -سبحانه وتعالى- أن يهدي عبده فذلك بفضله وحوله، أو لم يشاء من
 الأمر إليه؟ الجواب: الأمرُ له عزَّ وجلَّ، فنسأل الله أن يهدينا وإياكم صراطه
 المستقيم.

(١) أخرجه البخاري: كتاب كفارات الأيمان، باب الاستثناء في الأيمان، رقم (٦٣٤١)، ومسلم:
 كتاب الأيمان، باب الاستثناء، رقم (١٦٥٤).

فصل

فِي شَهَادَةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ،
وَلَا لِلَّهِ بَيْنَنَا كَلَامٌ، وَلَا فِي الْقَبْرِ رَسُولٌ

- ٢٨٢٩- إِنَّا تَحْمَلْنَا الشَّهَادَةَ بِالَّذِي
قُلْتُمْ نُؤَدِّيهِا لَدَى (١) الرَّحْمَنِ
٢٨٣٠- مَا عِنْدَكُمْ فِي الْأَرْضِ قُرْآنٌ كَلَّا
مُ اللَّهُ حَقًّا يَا أُولِيَ الْعُدْوَانِ
٢٨٣١- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
رَبٌّ يُطَاعُ بِوَاجِبِ الشُّكْرِانِ
٢٨٣٢- كَلَّا وَلَا فِي الْقَبْرِ أَيضًا عِنْدَكُمْ
مِنْ مُرْسَلٍ وَاللَّهُ عِنْدَ لِسَانِ
٢٨٣٣- هَاتِيكَ عَوْرَاتٌ ثَلَاثٌ قَدْ بَدَتْ
مِنْكُمْ فَغَطُّوهَا بِلَا رَوْعَانَ
٢٨٣٤- فَالرُّوحُ عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَا
ئِمَّةٌ بِجِسْمِ الْحَيِّ كَالْأَلْوَانِ
٢٨٣٥- وَكَذَا صِفَاتُ الْحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ
مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاةِ ذِي الْجُتْمَانِ
٢٨٣٦- فَإِذَا انْتَمَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَيَنْتَهِي
مَشْرُوطُهَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ
٢٨٣٧- وَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ مَشْرُوطٌ بِهَا
كَصِفَاتِهِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
٢٨٣٨- فَإِذَا انْتَمَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَكُلُّ مَشْد
رُوطٍ بِهَا عَدَمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ

(١) في نسخة برلين وابن سحمان: «إلى».

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله-: إِنَّ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ يَشْهَدُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ:

أَوَّلًا: أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ كَلَامٌ لِلَّهِ.

ثَالِثًا: أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَبْرِ رَسُولٌ.

يقول -رحمه الله-:

٢٨٢٩- إِنَّا تَحَمَّلْنَا الشَّهَادَةَ بِالَّذِي قُلْتُمْ نُؤَدِّيهِا لَدَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ نُؤَدِّيهِا لَدَى الرَّحْمَنِ» لكن متى؟ الجواب: نُؤَدِّيهِا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ شَهِدَ بِهِ عِنْدَ اللَّهِ؛ وَهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أَشْهَدُكَ وَأُشْهَدُكَ حَمَلَةَ عَرْشِكَ...»^(٢) وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَظَاهِرٌ.

٢٨٣٠- مَا عِنْدَكُمْ فِي الْأَرْضِ قُرْآنٌ كَلَا مُمُّ اللَّهُ حَقًّا يَا أُولِي الْعُدُونِ

لماذا؟ لأنهم يقولون: إِنَّ الْقُرْآنَ عِبَارَةٌ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ.

٢٨٣١- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى رَبُّ يُطَاعُ بِوَأَجِبِ الشُّكْرَانَ

وذلك لأنهم ينكرون علو الله عز وجل، ويقولون إمَّا بالتعطيل المحض وإمَّا

(١) في نسخة برلين وابن سحمان: «إلى».

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (٥٠٦٩).

بالحلول، يقولون: إنَّ اللهَ ليسَ فَوْقَ العَالَمِ، ولا تَحْتَ العَالَمِ، ولا يَمِينُ ولا شَمَالُ، ولا مَتَصِلًا ولا مَنفَصَلًا، ولا مَبَايِنًا ولا مَحَايِدًا، وهذا تَعَطِيلٌ مَحْضٌ، ومُضْمُونُهُ: أَنَّ اللهَ ليسَ في السَّمَاءِ. أو يقولون: إنَّ اللهَ بَدَأَتْهُ في كُلِّ مَكَانٍ، وهذا أيضًا مُضْمُونُهُ: أَنَّ اللهَ ليسَ في السَّمَاءِ، فإِذْ نَ ليسَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ العُلَى رَبُّ يُطَاعُ بِوَأَجِبِ الشُّكْرَانِ.

٢٨٣٢- كَلَّا وَلَا فِي الْقَبْرِ أَيضًا عِنْدَكُمْ مِنْ مُرْسَلٍ وَاللهُ عِنْدَ لِسَانِ رَسُولٍ فِي الْقَبْرِ. قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا فِي الْقَبْرِ أَيضًا عِنْدَكُمْ مِنْ مُرْسَلٍ» يعني: لا يوجد أيضًا

قَوْلُهُ: «وَاللهُ عِنْدَ لِسَانِ» يعني: أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عند قولِ كُلِّ قَائِلٍ، فَكُلُّ مَنْ شَهِدَ اللهُ فَاللهُ تَعَالَى عند شهادته يحاسبه عليها.

٢٨٣٣- هَاتِيكَ عَوْرَاتٌ ثَلَاثٌ قَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ فَغَطُّوهَا بِلَا رَوْعَانِ قَوْلُهُ: «هَاتِيكَ» اسمُ إشارَةٍ، والمِشَارُ إليه ما سبق من أنه ليس في الأرض كلامٌ لله، وليس فوق السموات إله يُعْبَدُ، وليس في القبر رسولٌ. قَوْلُهُ: «قَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ فَغَطُّوهَا بِلَا رَوْعَانِ» يعني: إن استطعتم فَغَطُّوا هذه العوراتِ، ولكنَّهم لا يستطيعون.

أما العورتان الأوليان: أنه ليس في الأرضِ كلامٌ لله، وأنه ليس فوق السموات إله يُعْبَدُ، فقد سبق وجهها.

أما الثالثة فوجهها ما ذكره -رحمه الله- في قوله:

٢٨٣٤- فَالرُّوحُ عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَا ئِمَةً بِجِسْمِ الْحَيِّ كَالألْوَانِ

الرُّوحُ عند هَوْلَاءِ عَرَضَ من الأعراض: كالحرارة، والبرودة، والحركة، هذه الأشياءُ عَرَضٌ، إذا مات الإنسانُ زالت؛ ولهذا عندهم الرُّوحُ عَرَضٌ من أعراض الجسم، كاللون، وحرارة الجسم، وبرودته، ورطوبته، ويُبُوسته، وما أشبه ذلك، فإذا مات أين تذهبُ الرُّوحُ؟ الجواب: تزولُ كزوالِ بقية الصفات.

٢٨٣٥- وَكَذَا صِفَاتُ الْحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاةِ ذِي الْجُثْمَانِ

صفاتُ الحيِّ قائمةٌ به، لكنَّها مشروطةٌ بأيِّ شيء؟ الجواب: بحياته، لا يمكنُ أن يتحرَّك، ولا يأكل، ولا يشرب، ولا يغضب، ولا يرضى، إلَّا إذا كان حيًّا.

إِذَنْ لَا رُوحَ فِيهِ إِلَّا إِذَا كَانَ حَيًّا، وَإِذَا كَانَ مَيِّتًا فَقَدَتِ الرُّوحُ تَمَامًا كَمَا تُفْقَدُ بَقِيَّةُ الصِّفَاتِ، وَهَذَا أَحَدُ أَقْوَالِ الْقَائِلِينَ فِي الرُّوحِ: إِنَّهَا عَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِ الْجِسْمِ، تَذْهَبُ بِذَهَابِ الْجِسْمِ.

فـ «صِفَاتُ الْحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ» الرِّسَالَةُ مَشْرُوطَةٌ بِالْحَيَاةِ، كُلُّ الصِّفَاتِ مَشْرُوطَةٌ بِالْحَيَاةِ، فَالرِّسَالَةُ وَصِفٌ مَشْرُوطٌ بِحَيَاةِ الرَّسُولِ، فَإِذَا مَاتَ زَالَتِ الرِّسَالَةُ، كَمَا أَنَّ صِفَاتِ الْجِسْمِ إِذَا مَاتَ مَاتَتْ.

إِذَنْ هَذِهِ الْجُثَّةُ الَّتِي فِي الْقَبْرِ هَلْ هِيَ رَسُولٌ أَوْ لَا؟ الْجَوَابُ: عَلَى قَوْلِهِمْ لَيْسَتْ بِرَسُولٍ؛ لِأَنَّ صِفَاتِ الْحَيِّ مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاتِهِ، وَالْحَيَاةُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ قُفِدَتْ وَزَالَتْ، إِذَنْ فَالصِّفَاتُ الَّتِي لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ الْحَيَاةِ زَالَتْ؛ وَهَذَا قَالَ:

٢٨٣٦- فَإِذَا انْتَمَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَيَنْتَفِي مَشْرُوطُهَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ

إذا انتفت هذه الحياةُ انتفى مشروطُها وهو الصفات؛ لأنَّ الصفاتِ من شرطها الحياةُ، فإذا قُفِدَتْ قُفِدَتِ الصفاتُ.

٢٨٣٧- وَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ مَشْرُوطٌ بِهَا كَصِفَاتِهِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «وَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ مَشْرُوطٌ بِهَا» أي: من شرط كونه رسولاً أن يكون
حيّاً على زعمهم، فإذا مات قال:

٢٨٣٨- فَإِذَا انْتَفَتِ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَكُلُّ مَشْرُوطٍ بِهَا عَدَمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ
قَوْلُهُ: «كُلُّ مَشْرُوطٍ بِهَا عَدَمٌ» (كُلُّ): مبتدأ مضافة إلى (مشروط)، و(عدم):
خبر المبتدأ.

إِذَنْ - على قولهم - (ليس في السماء إله يُعبد)؛ لماذا؟ لأنهم ينكرون علو الله.
■ (ليس في الأرض كلامٌ لله)؛ لأنهم يقولون: كلامٌ الله مخلوقٌ، فهو كوجود
البعير والإنسان، ولا فرق.

■ (ليس في القبر رسول)؛ لأنَّ الرسالة وصفٌ مشروطٌ بالحياة، والحياة
مفقودة؛ لأنَّ الرُّوحَ عندهم عَرَضٌ من الأعراض تفوتُ بموت الجسم، فإذا
فُقِدَتِ الرُّوحُ التي هي شرطٌ للرسالة فُقِدَتِ الرسالة، وعلى هذا فالنبي ﷺ في
قبره ليس برسولٍ، يعني: انتفى عنه وصفُ الرسالة، هذا معنى قولهم: (ليس في
القبر رسول).

هؤلاء لو قالوا: (ليس في القبر حيٌّ) نقول: هذا صحيحٌ إن أرادوا الحياة
الدنيا، أمّا إن أرادوا الحياة البرزخية فغيرٌ صحيح؛ ولهذا جاء المؤلفُ في الفصل
الذي يليه بالكلام عن حياة الأنبياء في قبورهم.

فصل

فِي الْكَلَامِ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ

- ٢٨٣٩- وَلَا أَجَلَ هَذَا رَامَ نَاصِرُ قَوْلِكُمْ تَرْقِيعَهُ يَا كَثْرَةَ الْخُلُقَانِ
- ٢٨٤٠- قَالَ: الرَّسُولُ بِقَبْرِهِ حَيٌّ كَمَا قَدْ كَانَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَالرُّجْمَانِ
- ٢٨٤١- مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ التُّرْبِ وَاللِّبْنَاتُ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ
- ٢٨٤٢- لَوْ كَانَ حَيًّا فِي الضَّرِيحِ حَيَاتُهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ بَغَيْرِ مَا فُرْقَانِ
- ٢٨٤٣- مَا كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ بَلْ مِنْ فَوْقِهَا وَاللَّهُ هَدَى سُنَّةَ الرَّحْمَنِ
- ٢٨٤٤- أَنْرَاهُ تَحْتَ الْأَرْضِ حَيًّا ثُمَّ لَا يُفْتِيهِمْ بِشَرَائِعِ الْإِسْمَانِ؟
- ٢٨٤٥- وَيُرِيحُ أُمَّتَهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْخُلْفِ^(١) الْعَظِيمِ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ
- ٢٨٤٦- أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ وَعَنِ الْجَوَابِ لِسَائِلِ لَهْفَانِ؟
- ٢٨٤٧- وَمَا كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ وَأَنْتَرَاهُ تَحْتَ الْأَرْضِ حَيًّا ثُمَّ لَا
- ٢٨٤٨- هَذَا وَلِمَ لَا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ وَعَنِ الْحَرَكَ، فَمَا الْحَيَاةُ اللَّاتِ قَدْ
- ٢٨٤٩- إِذْ كَانَ ذَلِكَ دَأْبُهُمْ وَنَبِيَّهُمْ هَذَا وَلِمَ لَا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ
- ٢٨٥٠- هَلْ جَاءَكُمْ أَنْتَرِبَانٌ صِحَابُهُ حَيٌّ يُشَاهِدُهُمْ شُهُودَ عِيَانِ
- سَأَلُوهُ فُتِيًّا وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ

(١) في نسخة السفاريني: «السخف».

- ٢٨٥١- فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابٍ حَيٍّ نَاطِقٍ
- ٢٨٥٢- هَلَّا أَجَابَهُمْ جَوَابًا شَافِيًا
- ٢٨٥٣- هَذَا وَمَا شُدَّتْ رِكَائِبُهُ عَنِ الْ
- ٢٨٥٤- مَعَ شِدَّةِ الْحِرْصِ الْعَظِيمِ لَهُ عَلَى
- ٢٨٥٥- أَتْرَاهُ يَشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلَافَهُمْ
- ٢٨٥٦- إِنْ قُلْتُمْ: سَبَقَ الْبَيَانُ صَدَقْتُمْ
- ٢٨٥٧- هَذَا وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ اشْكَلَ بَعْدَهُ
- ٢٨٥٨- أَوْ مَا تَرَى الْفَارُوقَ وَدَّ بَأْنَهُ
- ٢٨٥٩- بِالْجَدِّ فِي مِيرَاثِهِ وَكِلَالَةِ
- ٢٨٦٠- قَدْ قَصَرَ الْفَارُوقُ عِنْدَ فَرِيقِكُمْ
- ٢٨٦١- أَتْرَاهُمْ يَأْتُونَ حَوْلَ ضَرْيِحِهِ
- ٢٨٦٢- وَنَبِيِّهِمْ حَيًّا يُشَاهِدُهُمْ وَيَسْمَعُونَ
- ٢٨٦٣- أَفَكَانَ يَعْجِزُ أَنْ يُجِيبَ بِقَوْلِهِ
- ٢٨٦٤- يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ الْعُقَلَاءِ وَالْ
- ٢٨٦٥- وَاللَّهِ لَا قَدْرَ الرَّسُولِ عَرَفْتُمْ
- فَأْتُوا إِذْنَ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
- إِنْ كَانَ حَيًّا نَاطِقًا بِلِسَانٍ؟
- حُجْرَاتٍ لِلْقَاصِي مِنَ الْبُلْدَانِ
- إِرْشَادِهِمْ بِطَرَائِقِ التَّبْيَانِ
- وَيَكُونُ لِلتَّبْيَانِ ذَا كَثْمَانٍ!؟
- قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذَا إِحْسَانِ
- أَعْنِي: عَلَى عُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ
- قَدْ كَانَ مِنْهُ الْعَهْدُ ذَا تَبْيَانِ
- وَيَبْعَضِ أَبْوَابِ الرَّبِّ الْفَتَّانِ
- إِذْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ
- لِسُؤَالِ أُمَّهُمْ أَعَزَّ حَصَانِ
- مَعَهُمْ وَلَا يَأْتِي لَهُمْ بَيَانِ!؟
- إِنْ كَانَ حَيًّا دَاخِلَ الْبُنْيَانِ!؟
- مَبْعُوثٍ بِالْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ
- كَلَّا وَلَا لِلنَّفْسِ وَالْإِنْسَانِ^(١)

(١) في نسختي ابن سحمان: «الإيمان».

- ٢٨٦٦- مَنْ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ
 فَلَيْسَتْ تَزِي بِالصَّمْتِ وَالْكَيْتْمَانِ
 ٢٨٦٧- وَلَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَهُ
 مَيِّتٌ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 ٢٨٦٨- أَفَجَاءَ أَنَّ اللَّهَ بَاعِثُهُ لَنَا
 فِي الْقَبْرِ قَبْلَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ؟
 ٢٨٦٩- أَثَلَاثُ مَوْتَاتٍ تَكُونُ لِرُسُلِهِ
 وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ مَوْتَانِ؟!
 ٢٨٧٠- إِذْ عِنْدَ نَفْحِ الصُّورِ لَا يَبْقَى امْرُؤٌ
 فِي الْأَرْضِ حَيًّا قَطُّ بِالْبُرْهَانِ
 ٢٨٧١- أَفَهَلْ يَمُوتُ الرُّسُلُ أَمْ يَبْقُوا إِذَا
 مَاتَ الْوَرَى أَمْ هَلْ لَكُمْ قَوْلَانِ؟
 ٢٨٧٢- فَتَكَلَّمُوا بِالْعِلْمِ لَا الدَّعْوَى وَجِي-
 ثًا بِالِدَّلِيلِ فَنَحْنُ ذُو أَدْهَانِ
 ٢٨٧٣- أَوْ لَمْ يَقُلْ مَنْ قَبْلَكُمْ لِلرَّافِعِيِّ الْ-
 أَصْوَاتِ حَوْلَ الْقَبْرِ بِالنُّكْرَانِ:
 ٢٨٧٤- لَا تَرْفَعُوا الْأَصْوَاتَ حُرْمَةَ عَبْدِهِ
 مَيِّتًا كَحُرْمَتِهِ لَدَى الْحَيَّوَانِ^(١)
 ٢٨٧٥- قَدْ كَانَ يُمَكِّنُهُمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ
 حَيٌّ فَغَضُّوا الصَّوْتِ بِالْإِحْسَانِ
 ٢٨٧٦- لَكِنَّهُمْ بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْكُمْ
 وَرَسُولِهِ وَحَقَائِقُ الْإِيمَانِ
 ٢٨٧٧- وَلَقَدْ أَتَوْا يَوْمًا إِلَى الْعَبَّاسِ يَس-
 تَسْقُونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدِبِ زَمَانِ
 ٢٨٧٨- هَذَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّهِمْ
 عَرْضُ الْجِدَارِ وَحُجْرَةُ النِّسْوَانِ
 ٢٨٧٩- فَبَيْنَهُمْ حَيٌّ وَيَسْتَسْقُونَ غَيْ-
 رَ نَبِيِّهِمْ حَاشَا أَوْلِيَ الْإِيمَانِ

(١) في نسختي ابن سحان «الحولان».

الشرح

المؤلف - رحمه الله - تكلم في حياة الأنبياء في قبورهم بعد أن ذكر شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس في السماء إله يُعبد، ولا بيننا كلامٌ لله، ولا في القبر رسولٌ لله، وبيّن وجه قولنا: إنه يلزم على قولهم بأن لا يكون في القبر رسولٌ لله هو أنهم يقولون: إنَّ الموتَ عَرَضٌ من الأعراض، فالموتُ كفقدِ اللون، وفقدِ الصحة، وما أشبه ذلك، فهو عَرَضٌ من الأعراض، إذا مات الإنسانُ ذهبت رُوحه، وإذا ذهبت رُوحه زال عنه وصفُ الرسالة؛ لأنَّ الرسالةَ مشروطةٌ بوجود الروح، وهذا تقدّم. بعد أن ذكر ذلك بيّن - رحمه الله - حياة الأنبياء في قبورهم، وقال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ليس حيًّا في قبره كحياتنا هذه؛ ولذا قال: «فَصَلِّ فِي الْكَلَامِ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ» يعني: هل هم أحياء؟ وما نوع الحياة؟ قال المؤلف:

٢٨٣٩- وَلَا أَجَلَ هَذَا رَامَ نَاصِرُ قَوْلِكُمْ تَرْقِيعَهُ يَا كَثْرَةَ الْخُلُقَانِ

يعني: أن من نصر قولكم رام أن يرقعه، ولكن الترقيع لا ينفع؛ لأن الثوب الخلق خلق سواء رقع أم لم يرقع.

٢٨٤٠- قَالَ: الرَّسُولُ بِقَبْرِهِ حَيٌّ كَمَا قَدْ كَانَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَالرُّجْمَانِ

سبق قبل قليل أنهم يرون أن الروح والحياة عرض، وأنه لما مات الرسول ﷺ زالت الرسالة، فكان في القبر غير رسول.

رام من نصر قولهم أن يقول: إن الرسول ﷺ لم يمت، بل هو حي في قبره، من أجل ترقيع هذا القول، لكن لا تنفع الرقع.

قوله: «والرجمان» يعني: الحصى التي يرمم بها.

٢٨٤١- مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ التُّرْبِ وَاللِّدِّ لِبَنَاتٍ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ
يعني: فيكون حيًّا ولو كان تحت التراب من أجل ألا يُسَلَبَ عنه وصفُ
الرسالة.

قال المؤلف ردًّا عليهم:

٢٨٤٢- لَوْ كَانَ حَيًّا فِي الضَّرْبِ حَيَاتُهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ بغيرِ مَا فُرِقَانَ
٢٨٤٣- مَا كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ بَلْ مِنْ فَوْقِهَا وَاللَّهُ هَذَا هَذِي سُنَّةَ الرَّحْمَنِ

وصدق -رحمه الله-، فلو كانت حياته في قبره كحياته في الدنيا ما كان تحت الأرض، بل كان فوقها، بل ولا ما دفنه أصحابه؛ لأنه لو كان حيًّا كحياته بالدنيا ودفنه أصحابه لكانوا أكبر الجناة عليه، وهذا أمرٌ معلوم؛ فلو أمسكت شخصًا حيًّا يُرْزَقُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ثُمَّ رَمَسْتَهُ بِالتُّرْبِ لكان هذا أعظم الجناية عليه، فلو كان حيًّا في قبره كحياته بالدنيا ما كان تحت الأرض، بل كان فوقها.

٢٨٤٤- أَتَرَاهُ تَحْتَ الْأَرْضِ حَيًّا ثُمَّ لَا يُفْتِيهِمْ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ؟
الجواب: لا، لو كان حيًّا تحت التراب كحياته بالدنيا لكان يُفْتِيهِمْ إِذَا أَشْكَلَ
عليهم الأمرُ مع أنه لم يُفْتِيهِمْ.

قد يقولون: هو مدفونٌ ولا يسمع، قد يقولون هكذا، فنقول: حتى وإن كان الأمر كذلك فلا بُدَّ أن يسمع إذا استفتوه لدعاء الحاجة.

٢٨٤٥- وَيُرِيحُ أُمَّتَهُ مِنَ الْأَرَاءِ وَالْخُلْفِ الْعَظِيمِ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ
لأنه لو كان حيًّا لأراح الأمة من هذا الخلاف العظيم الثابت بينها في العقائد والأحكام.

٢٨٤٦- أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ وَعَنِ الْجَوَابِ لِسَائِلِ لَهْفَانٍ؟

٢٨٤٧- وَعَنِ الْحَرَكَ، فَمَا الْحَيَاةُ اللَّاتِ قَدْ أَثْبَتُمُوهَا؟ أَوْضَحُوا بَيَّانٍ

قَوْلُهُ: «أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ؟» الجواب: لا؛ لأنه لو كان حياً لكان لصار ناطقاً، فمن أهم الأوصاف الحياتية النطق.

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الْحَرَكَ» يعني: لو كان حياً لكان قادراً على الحركة.

يعني: إن قلت: إنه حيٌّ لكن لا يستطيع أن يتكلم، ولا يستطيع أن يتحرك، نقول لكم: أي نوع من الحياة كانت؟! إذن لا بُدَّ أن تكون الحياة - وإن كان في قبره حياً - حياةً مُفَارِقَةً للحياة الدنيا.

٢٨٤٨- هَذَا وَلَمْ لَا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ يَشْكُونَ بِأَسْرِ الْفَاجِرِ الْفَتَّانِ؟

يعني: لماذا لم يجئه أصحابه إذا أصابهم بأس (حرب) أو غير حرب يشكون إليه؟ ومن أعظم ما أصابهم ما حصل في أيام الحرّة من القتل العظيم، والنهب، والسلب، وانتهاك الحرّمات، ومع ذلك لم يأتوا إلى النبي ﷺ يشكون إليه، ولو كان حياً لأتوا إليه يشكون إليه هذا البأس.

٢٨٤٩- إِذْ كَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُمْ وَنَبِيُّهُمْ حَيًّا يُشَاهِدُهُمْ شُهُودَ عِيَانٍ

قَوْلُهُ: «دَأْبَهُمْ» (الدأب) أي: العادة.

يعني: كانت عادتهم والنبي ﷺ حيٌّ أن يلجئوا إلى النبي ﷺ في الأحكام والفتيا بينهم، وحين يحين البأس يرجعون إلى النبي ﷺ - عليه الصلاة والسلام -.

٢٨٥٠- هَلْ جَاءَكُمْ أَنْتَرِبَانٌ صِحَابُهُ سَأَلُوهُ فُتْيَا وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ

٢٨٥١- فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابٍ حَيٍّ نَاطِقٍ فَأَتُوا إِذْنَ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

٢٨٥٢- هَلَّا أَجَابَهُمْ جَوَابًا شَافِيًا إِنْ كَانَ حَيًّا نَاطِقًا بِلِسَانٍ؟

يعني: هل جاء هذا؟ هل جاء أثرٌ بأن الصحابة يستفتونه وهو مُدرِّجٌ في أكفانه فأفتاهم؟ الجواب: أبداً.

اختلف الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَيْنَ يُدْفَنُ؟ وهل يُعَسَّلُ كما يُعَسَّلُ الموتى؟ وهل يُكْفَنُ كما يُكْفَنُ الموتى؟ اختلفوا في ذلك، ومع ذلك ما رجعوا إليه يسألونه، وهو بينهم لم يُدْفَنُ، فكيف يكون حياً؟!!

٢٨٥٣- هَذَا وَمَا شَدَّتْ رَكَابُهُ عَنِ الْحُجْرَاتِ لِلْقَاصِي مِنَ الْبُلْدَانِ

صحيحٌ، لو كان حياً لَشَدَّتْ رَكَابُهُ مِنْ حُجْرَاتِهِ إِلَى أَقْصَى الْبُلْدَانِ وَلَشَارَكَ النَّاسَ فِي الْغَزَوَاتِ وَالْحُرُوبِ.

٢٨٥٤- مَعَ شِدَّةِ الْحَرْصِ الْعَظِيمِ لَهُ عَلَى إِرْشَادِهِمْ بِطَرَائِقِ التَّبْيَانِ

ولا شكَّ أَنَّ الرَّسُولَ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- شَدِيدُ الْحَرْصِ عَلَى إِرْشَادِ الْأُمَّةِ، وَأَنَّهُ لَا يَأَلُو جَهْدًا فِي إِرْشَادِهِمْ فِي كُلِّ طَرِيقٍ.

٢٨٥٥- أَتَرَاهُ يَشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلَافَهُمْ وَيَكُونُ لِلتَّبْيَانِ ذَا كِتْمَانٍ؟!

ما الجوابُ؟ الجواب: لا، لا يمكنُ، وكُلُّ هذا يدلُّ على أنه ليس حياً في قبره كحياته في الدنيا؛ لأنه لو كان حياً كحياته بالدنيا لرجعوا إليه في هذه الأمور.

٢٨٥٦- إِنْ قُلْتُمْ: سَبَقَ الْبَيَانُ صَدَقْتُمْ قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذَا إِحْسَانٍ

لو قالوا: إنما لم يفعلِ النَّبِيُّ ﷺ ذلك؛ لأنه سبق أن بيَّنَّ البيانَ المبيِّنَ وترك

أُمَّتَهُ عَلَى حِجَّةٍ بِيضَاءَ، نَقُولُ: صَدَقْتُمْ، إِنَّهُ قَدْ بَيَّنَّ وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى الْمِحْجَةِ الْبِيضَاءِ، لَكِنْ مَا الَّذِي يُضِيرُهُ مِنْ تَكَرُّرِ الْبَيَانِ؟ تَكَرُّرُ الْبَيَانِ يَكُونُ زِيَادَةً إِحْسَانٍ لِلأُمَّةِ؛ وَهَذَا قَالَ: «إِنْ قُلْتُمْ: سَبَقَ الْبَيَانُ» يَعْنِي: فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ (صَدَقْتُمْ) وَهَذِهِ جَوَابُ (إِنْ).

قَوْلُهُ: «قَدْ كَانَ بِالتَّكَرُّارِ ذَا إِحْسَانٍ» يَعْنِي: لَوْ كَرَّرَ لَكَانَ زِيَادَةً خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ لِلأُمَّةِ.

٢٨٥٧- هَذَا وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ أَشْكَلَ بَعْدَهُ أَغْنِي: عَلَى عُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ

وَهَذَا صَحِيحٌ، فَمَا أَكْثَرَ الْأُمُورَ الَّتِي أَشْكَلَتْ عَلَى الْأُمَّةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ!

فَمِنْ أَوَّلِ مَا أَشْكَلَ: اِخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ بَعْدَ أَنْ اِخْتَلَفُوا فِي غَسَلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَأَيْنَ يُدْفَنُ؛ اِخْتَلَفُوا فِي إِنْفَازِ جَيْشِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مَهْمَةٌ، فَجَيْشُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ كَوَّنَهُ الرَّسُولُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فِي حَيَاتِهِ، وَعَقَدَ اللُّوَاءَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخَرَجَ الْجَيْشُ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ، وَلَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَسِرْ هَذَا الْجَيْشُ حَتَّى تُوفِّيَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

لَمَّا تُوفِّيَ اِخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا تُوفِّيَ ارْتَدَّ بَعْضُ الْعَرَبِ، فَاخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ هَلْ يُنْفَذُونَ هَذَا الْجَيْشَ أَوْ يَبْقُونَهُ يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى قِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ، فَمَنَعَ عَمْرُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَالُوا: يَبْقَى الْجَيْشُ نَسْتَعِينُ بِهِ، وَلَكِنْ أبا بَكْرٍ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَعْمِدُ سَيْفًا سَلَّهُ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَلَا أَحُلُّ لُوَاءَ عَقْدِهِ النَّبِيِّ ﷺ. أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ عَمْرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ^(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ وَجُوبِ الزَّكَاةِ، رَقْمُ (١٣٣٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَقْمُ (٢٠).

هذا الخلاف الذي حصل، هل رجعوا فيه إلى الرسول ﷺ في قبره؟
الجواب: أبدًا.

٢٨٥٨- أَوْ مَا تَرَى الْفَارُوقَ وَدَّ بَأْنَهُ قَدْ كَانَ مِنْهُ الْعَهْدُ ذَا تَبْيَانِ

٢٨٥٩- بِالْجَدِّ فِي مِيرَاثِهِ وَكَلَالَةٍ وَبِبَعْضِ أَبْوَابِ الرَّبَا الْفَتَّانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ مَا تَرَى الْفَارُوقَ» يعني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَدَّ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ قَدْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنَ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-
فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ: الْجَدُّ، وَالْكَالَالَةُ، وَشَيْءٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبَا^(١).

الأوّل: (الجدُّ) يُريد ميراثه مع الإخوة، وكما هو معلومٌ من اختلاف الصحابة ومن بعدهم في ميراث الجدِّ مع الإخوة على أقوالٍ كثيرة، والصحيح أنَّه بمنزلة الأب وأنه يُسقط الإخوة الأشقاء أو لأبٍ أو لأُمٍّ.

الثاني: (الكَالَالَةُ) ما الكَالَالَةُ؟ أشكلت على عمر، لكنَّها في الحقيقة واضحةٌ عند التأمل، الكَالَالَةُ مَنْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَكُلٌّ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا أُلْسُنٌ مِّمَّنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢] الإخوة من الأم لا يرثون مع وجود الأصول الذكور أو الفروع مطلقًا. وكذلك في آخر سورة النساء قال تعالى: ﴿سَتَقْفُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَلَاكٌ لِّسِ لَّهُ، وَلَدٌ وَكُلٌّ أَوْ أُخْتٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأشربة، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب، رقم (٥٢٦٦)، ومسلم: كتاب التفسير، باب في نزول الخمر، رقم (٣٠٣٢).

قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ هذا شرطٌ من شروط الكلالَةِ، فالشرطُ أن لا يكون له ولدٌ، ولا يكون له والدٌ، وهذا الشرطُ مأخوذٌ من القسمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، وهذا لا يُتصوَرُ مع وجود الوالد.

فإذن الكلالَةُ واضحةٌ في القرآن لمن تأمل، لكن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُريدُ بذلك بيانًا واضحًا لا جدالَ فيه إطلاقًا.

الثالث مما تمناه عمرٌ: شيءٌ من أبواب الرِّبَا، أبواب الرِّبَا كثيرةٌ، وقد وردَ في الحديث أنه «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا»^(١) أشكلت على عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه الأبوابَ فتمنَّى أن النَّبِيَّ بَيَّنَ ذلك، ولم يرجعوا إليه في قبره.

٢٨٦٠- قَدْ قَصَرَ الْفَارُوقُ عِنْدَ فَرِيقِكُمْ إِذْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ
معناه: أن ابنَ القِيَمِ -رحمه الله- يقول: أنتم تقولون: إنَّ عمرَ مُقَصَّرٌ؛ لأنه ما سأله بعد موته، لو سأله لوجده حيًّا فأجابه.

٢٨٦١- أَتَرَاهُمْ يَأْتُونَ حَوْلَ ضَرْيِحِهِ لِسُؤَالِ أُمَّهِمْ أَعَزَّ حَصَانِ
٢٨٦٢- وَنَبِيَّهُمْ حَيٌّ يُشَاهِدُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَلَا يَأْتِي لَهُمْ بَيَانٌ؟!
الجوابُ: لا، يعني أن الصحابةَ يأتون إلى حجرة النَّبِيِّ ﷺ وفيها عائشةُ أمُّ المؤمنين، يسألون عائشةَ، فهل تظنُّ أن يوجَّهوا السؤالَ إلى عائشةَ والنَّبِيِّ ﷺ يشاهدُهُم ويسمعُهُم؟ الجوابُ: لا، لا يمكنُ أن يسألوا عائشةَ في الحجرة، والنَّبِيُّ ﷺ في الحجرة حَيٌّ وَيَدْعُوا سُؤَالَ النَّبِيِّ ﷺ إلى سؤالِ عائشةَ، هذا محالٌ.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، رقم (٢٢٧٥).

٢٨٦٣- أَفَكَانَ يَعْجِزُ أَنْ يُجِيبَ بِقَوْلِهِ إِنَّ كَانَ حَيًّا دَاخِلَ الْبُنْيَانِ؟!
الجواب: لا يعجز؛ لأنه في الحجرة، فلو كان حياً داخل البنيان لأجابهم،
ولم تجبهم عائشة.

٢٨٦٤- يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ الْعُقَلَاءِ وَالْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ
استحيوا من العقلاء، ثم من الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ثم من الله،
استحيوا من الله، ما هذا الكلام الذي صدر منكم؟!

٢٨٦٥- وَاللَّهِ لَا قَدَرَ الرَّسُولِ عَرَفْتُمْ كَلًّا وَلَا لِلنَّفْسِ وَالْإِنْسَانِ
نعم، ما عرفوا قدر الرسول ﷺ حيث زعموا أنه حي في قبره كحياته في
الدنيا، ولا عرفوا أيضاً قدرًا للنفس والإنسان؛ لأنه يجب على الإنسان أن يترفع
بنفسه عن هذه السِّفاسفِ وهذه المقولات التي يضحك منها السُّفهاء، بل والله ما
عرفوا قدرًا للصحابة؛ لأنه لو كان حياً على زعمهم لكان الصحابة قد دفنوا نبيهم
وهو حي، وإذا كانت الموءودة تُسأل يوم القيامة عمَّن وأدَّها، فكيف بالرسول أن
يدفنه الصحابة وهو حي؟! هذا أكبرُ قدح في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢٨٦٦- مَنْ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ فَلَيْسَتْ تَرِ بِالصَّمْتِ وَالْكِتْمَانِ
يعني: من كان هذا مبلغ علمه بأن الرسول حي في قبره فعليه أن يستحيي من
نفسه، وأن يستتر عن بيان عيبه بالصمت والكتمان؛ حتى لا يفتضح أمام الناس.

٢٨٦٧- وَلَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَهُ مَيِّتٌ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وهذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

٢٨٦٨- أَفَجَاءَ أَنَّ اللَّهَ بَاعِثُهُ لَنَا فِي الْقَبْرِ قَبْلَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ؟
الجوابُ: لا. إذن ثبت أنه ميّت، ولم يثبت أنه مبعوث الآن، والأصل بقاء ما كان على ما كان عليه.

٢٨٦٩- أَثَلَاثُ مَوْتَاتٍ تَكُونُ لِرُسُلِهِ وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ مَوْتَانِ؟!
الجوابُ: لا يمكن، لكن على زعمهم تكون الموتات ثلاثاً: مات النبي قبل وجوده، قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، ومات بعد وجوده في الدنيا، ثم بُعِثَ في القبر فأحْيِي، ثم يموت يوم القيامة الموتة الأولى، الثانية: الموتة التي يصعق فيها الناس يوم القيامة، ثم يُنْفَخُ في الصور مرة ثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

٢٨٧٠- إِذْ عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ لَا يَبْقَى امْرُؤٌ فِي الْأَرْضِ حَيًّا قَطُّ بِالْبُرْهَانِ
الدليل قول الله تعالى: ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

٢٨٧١- أَفَهَلْ يَمُوتُ الرُّسُلُ أَمْ يَبْقُوا إِذَا مَاتَ الْوَرَى أَمْ هَلْ لَكُمْ قَوْلَانِ؟
٢٨٧٢- فَتَكَلَّمُوا بِالْعِلْمِ لَا الدَّعْوَى وَجِيءَ سُوًّا بِالِدَلِيلِ فَنَحْنُ ذُو أَدْهَانِ

لله ذرّه، أخرجهم تماماً، يقول: هل يموت الرسل أم يبقون إذا مات الوري؟ إن قلت: يموت الرسل فقد ماتوا ثلاث مرات، وإن قلت: يبقون، نقول: أين الدليل؟ أو لكم في هذا قولان، قول يقول: إنهم يبقون، وقول يقول: إنهم يموتون؟ وهكذا الإنسان إذا أُحْرَجَ يقول: في المسألة قولان، فيستريح.

٢٨٧٣- أَوْلَمْ يَقُلْ مَنْ قَبْلَكُمْ لِلرَّافِعِيِّ أَلْ- أَصْوَاتِ حَوْلَ الْقَبْرِ بِالتُّكْرَانِ:

٢٨٧٤- لَا تَرْفَعُوا الْأَصْوَاتَ حُرْمَةَ عَبْدِهِ مَيْتًا كَحُرْمَتِهِ لَدَى الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «لَدَى الْحَيَوَانِ» أَي: لَدَى الْحَيَاةِ.

جاء هذا في أثرٍ عن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه جاء قومٌ من أهل الطائف إلى مسجد النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- فجعلوا يتكلمون ويرفعون أصواتهم، فدعاهم، وقال: «لَوْلَا أَنْتُمْ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمْ ضَرْبًا»^(١). هذا ما قال أو معناه، أترفعون أصواتكم عند قبرِ النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام-؟ ولكن هذا على سبيل الاحترام والأدب.

٢٨٧٥- قَدْ كَانَ يُمَكِّنُهُمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ حَيٌّ فَعُضُّوا الصَّوْتِ بِالْإِحْسَانِ

قد كان يمكنهم أن يقولوا: إنه حيٌّ، فعُضُّوا الصوت، ولا يقولوا: لماذا ترفعون أصواتكم عند قبرِ الرسول، فإنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتًا كَحُرْمَتِهِ حَيًّا؟

٢٨٧٦- لَكِنَّهُمْ بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْكُمْ وَرَسُولُهُ وَحَقَائِقُ الْإِيمَانِ

الصحابةُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ مِنْكُمْ.

٢٨٧٧- وَلَقَدْ أَتَوْا يَوْمًا إِلَى الْعَبَّاسِ يَسْ- تَسْقُونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدَبٍ زَمَانَ

٢٨٧٨- هَذَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّهِمْ عَرَضُ الْجِدَارِ وَحُجْرَةُ النَّسْوَانِ

أتوا إلى العباس يستسقون، وذلك أنه لما أُصِيبَ النَّاسُ بِالْقَحْطِ فِي عَهْدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَجَمَعَ النَّاسَ لِلْإِسْتِسْقَاءِ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، رقم (٤٥٨).

بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا»^(١)، فَمُ يَا عَبَّاسُ فَادْعُ اللَّهَ. فَقَامَ
الْعَبَّاسُ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَلَوْ كَانَ الرَّسُولُ حَيًّا لَاسْتَسْقَوْا بِهِ، مَا ذَهَبُوا إِلَى
الْعَبَّاسِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّهِمْ إِلَّا عَرُضُ الْجِدَارِ وَحِجْرَةُ النِّسْوَانِ.

٢٨٧٩- فَنَبِيِّهِمْ حَيًّا وَيَسْتَسْقُونَ غَيْبًا رَرَبِيِّهِمْ حَاشَا أَوْلِيَ الْإِيمَانِ

يعني: هل يمكن أن يستسقوا بأحدٍ دون النبي ﷺ وهو حيٌّ؟ الجواب: لا.

والحديث فيه أنه لا بأس بالتوسُّلِ بدعاء الصالحين في حياتهم، يعني: مثلًا:
يوجد رجلٌ صالحٌ تتوسَّمُ فيه الخير، فتقول له: ادعُ اللهَ لنا.

وكره شيخ الإسلام طلب الدعاء من الغير في الأمور الخاصة، أمَّا الأمور
العامَّة كالاستسقاء العام للناس، فلا أظنُّ أحدًا يكرهه.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم (١٠١٠).

فصل

فِيمَا احْتَجُّوا بِهِ عَلَى حَيَاةِ الرَّسُلِ فِي الْقُبُورِ

- ٢٨٨٠- فَإِنِ احْتَجَجْتُمْ بِالشَّهِيدِ بِأَنَّهُ حَيٌّ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
- ٢٨٨١- وَالرُّسُلُ أَكْمَلُ حَالَةٍ مِنْهُ بِلا شَكٍّ وَهَذَا ظَاهِرُ التَّبَيَّنِ
- ٢٨٨٢- فَلِذَاكَ كَانُوا بِالْحَيَاةِ أَحَقَّ مِنْ شُهَدَائِنَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ
- ٢٨٨٣- وَبِأَنَّ عَقْدَ نِكَاحِهِ ^(١) لَمْ يَنْفَسَخْ فَنَسَاؤُهُ فِي عِصْمَةٍ وَصَيَانِ
- ٢٨٨٤- وَلَا جُلِّ هَذَا لَمْ يَحِلَّ لِغَيْرِهِ مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٢٨٨٥- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ حَيٌّ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ؟
- ٢٨٨٦- أَوَلَمْ يَرِ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا فِي قَبْرِهِ لِصَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ؟
- ٢٨٨٧- أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلَاةَ؟ وَإِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ وَوَاضِحِ الْبُطْلَانِ
- ٢٨٨٨- أَوَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أَرُدُّ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ؟
- ٢٨٨٩- أَيْرُدُّ مَيِّتٌ السَّلَامَ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِهِ؟ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ
- ٢٨٩٠- هَذَا وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ فِي الْأَجْدَاثِ ذَا تَبَيَّنِ
- ٢٨٩١- وَبِأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ عَلَيْهِ تُعْرَضُ رَضُ دَائِمًا فِي جُمُعَةٍ يَوْمَانِ

(١) في نسختي الإفتاء وابن سحمان: «نساءه».

٢٨٩٢- يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الَّذِي قَدْ خُصَّ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

الشرح

٢٨٨٠- فَإِنْ اِحْتَجَجْتُمْ بِالشَّهِيدِ بِأَنَّهُ حَيٌّ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

٢٨٨١- وَالرُّسُلُ أَكْمَلُ حَالَةٍ مِنْهُ بِلا شَكٍّ وَهَذَا ظَاهِرُ التَّبَيَّنِ

استدل هؤلاء الذين يقولون بأن الأنبياء أحياء في قبورهم بأدلة، منها: أنه لا شك أن الشهداء أحياء في قبورهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ومقام الأنبياء أعلى من مقام الشهداء بلا شك، فإذا كانوا أعلى مقاماً من الشهداء صارت حياتهم في قبورهم أولى من حياة الشهداء، وهذا هو الدليل الأول.

٢٨٨٢- فَلِذَاكَ كَانُوا بِالْحَيَاةِ أَحَقَّ مِنْ شُهَدَائِنَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ

وهذا دليل بقياس الأولى، وهو أنهم أحق بالحياة من الشهداء.

الدليل الثاني ذكره بقوله:

٢٨٨٣- وَيَبَانَ عَقْدَ نِكَاحِهِ لَمْ يَنْفَسِخْ فَنَسَاؤُهُ فِي عِصْمَةٍ وَصِيَانِ

٢٨٨٤- وَلَا أَجَلَ هَذَا لَمْ يَحِلَّ لِغَيْرِهِ مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ مَدَى الْأَرْمَانِ

قوله: «وَلَا أَجَلَ هَذَا» يعني: مما يدل على أن عقد نكاح الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - باقٍ بالنسبة لزوجاته قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] قالوا: وهذا دليل على أن نكاحه باقٍ،

وإِلَّا مَا حَرُمْتَ نَسَاؤَهُ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ، وَإِذَا كَانَ نِكَاحُهُ بَاقِيًا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ كحَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا.

٢٨٨٥- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ حَيٌّ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ؟
هم يستدلون بهذا، لكن هم يقولون: هو دليل، ونحن نقول: إنه لا دليل،
وسنُجيبُ عنه إن شاء اللهُ.

٢٨٨٦- أَوَلَمْ يَرِ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا فِي قَبْرِهِ لِصَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ؟
قَوْلُهُ: «أَوَلَمْ يَرِ الْمُخْتَارُ» وَهُوَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

قَوْلُهُ: «أَوَلَمْ يَرِ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا فِي قَبْرِهِ لِصَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ؟»
الجواب: بلى، فَالنَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - رَأَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ،
هَكَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ ^(١) وَصَحَّ.

٢٨٨٧- أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلَاةَ؟ وَإِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ وَوَاضِحُ الْبُطْلَانِ
يقولون: إذا كان النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - رَأَى مُوسَى حَيًّا يُصَلِّي فِي
قَبْرِهِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُصَلِّيَ وَهُوَ غَيْرُ حَيٍّ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَهَذَا الْجَوَابُ تَمْشِيًّا مَعَهُمْ،
لَكِنْ سَنَرُدُّ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللهُ.

٢٨٨٨- أَوَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أَرَدُّ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ؟
نعم، الرَّسُولُ أَخْبَرَ بَأَنَّ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ^(٢).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

(٢) كما في حديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ». أخرجه أبو داود:
كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤١) ..

٢٨٨٩- أَيْرُدُّ مَيِّتُ السَّلَامِ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِهِ؟ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ

هم يقولون لك: الرسول -عليه الصلاة والسلام- يسمعُ السَّلَامَ عليه، ويردُّ، هل الميت يرُدُّ؟ ستقول: لا، يقولون: إِذَنْ هُوَ حَيٌّ.

لكننا نقولُ في الجوابِ عن ذلك: لا يلزمُ من السَّماعِ أن يكون حيًّا، فهذا الإنسان إذا دُفِنَ وتولَّى عنه أصحابه يَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ^(١).

وهل يسمعُ النَّبِيُّ مطلقًا؟ هذا فيه خلاف، فمن العلماء مَنْ قال: يسمعُ، والصحيح أن الأصل أنه لا يسمعُ إلا ما جاء به النصُّ؛ مثل السَّلَامِ عليه، فإنه يسمعُ ويردُّ.

٢٨٩٠- هَذَا وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ فِي الْأَجْدَاثِ ذَاتِ بَيَانٍ قَوْلُهُ: «فِي الْأَجْدَاثِ» أَي: فِي الْقُبُورِ.

يعني: ورد حديثٌ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ»^(٢).

٢٨٩١- وَبِأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ عَلَيْهِ تُعْرَضُ دَائِمًا فِي جُمُعَةِ يَوْمَانِ

٢٨٩٢- يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الَّذِي قَدْ حُصَّ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «جُمُعَةٌ» أَي: أُسْبُوعٌ، يُعْبَرُ بِالْجُمُعَةِ عَنِ الْأُسْبُوعِ، كَمَا يُعْبَرُ عَنِ السَّنَةِ بِالْخَرِيفِ، وَالْخَرِيفُ فَصْلٌ مِنْ فُصُولِ السَّنَةِ، لَكِنْ يُعْبَرُ بِهِ عَنِ السَّنَةِ كُلِّهَا، فَيُعْبَرُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، رقم (١٣٣٨). ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه أبو يعلى (١٤٧/٦، رقم ٣٤٢٥)، والديلمي (١١٩/١، رقم ٤٠٣)، وقال الحافظ في الفتح (٤٨٧/٦): أخرجه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء في قبورهم وصححه.

بالجمعة عن الأسبوع؛ كما جاء في حديث الدَّجَالِ: «يَوْمَ كَجُمُعَةٍ»^(١).

فهم يستدلُّون بحديث: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ»^(٢).

لكن في النفس شيءٌ من مسألة عرض الأعمال على الرسول ﷺ في يوم الاثنين والخميس، فَإِنْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ فَلَعَلَّهُ انْقَلَبَ عَلَى الرَّاوي، وأراد أن ينقل ما يعرض على الله يوم الاثنين والخميس إلى ما يعرض على الرسول ﷺ؛ لأنه قد صَحَّ أَنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ^(٣).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

(٢) عزاه السيوطي في جامع الأحاديث (٢٩٢/١١)، رقم (١٠٨٠٨) للحكيم، وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٤٤٦): موضوع.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم (٢٥٦٥).

فصل

فِي الْجَوَابِ عَمَّا احْتَجُّوا بِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ

- ٢٨٩٣- فَيَقَالُ: أَصْلُ دَلِيلِكُمْ فِي ذَلِكَ حُجْجٌ جَتْنَا عَلَيْكُمْ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ
- ٢٨٩٤- إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ لَا بِالْقِيَاسِ الْقَائِمِ الْأَرْكَانِ
- ٢٨٩٥- هَذَا مَعَ النَّهْيِ الْمُؤَكَّدِ أَنَّنَا نَدْعُوهُ مَيْتًا ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ
- ٢٨٩٦- وَنَسَاؤُهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ وَالْمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى الشُّهُمَانِ
- ٢٨٩٧- هَذَا وَأَنَّ الْأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ وَسَبَاعُهَا مَعَ أُمَّةِ الدَّبْدَانِ
- ٢٨٩٨- لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ حَيٌّ فَارْحُ مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمَنِ
- ٢٨٩٩- فَالرُّسُلُ أَوْلَى بِالْحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعَ (١) مَوْتِ الْجُسُومِ وَهَذِهِ الْأَبْدَانِ
- ٢٩٠٠- وَهِيَ الطَّرِيقَةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا فَهِيَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
- ٢٩٠١- وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا أَيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ
- ٢٩٠٢- فَانظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمْ حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرِ التَّبْيَانِ

الشرح

المؤلف - رحمه الله - كغيره من أهل العلم إذا ذكر دليل الخصم فلا بُدَّ أن

(١) في نسختي ابن سحمان: «من».

يُجِيبَ عن هذا الدليل؛ لأنَّ الخصمَ لا بُدَّ له في مقابلة خصمه من أمرين: مدافعة لأدلة خصمه، وإثبات لأدلته، يقول:

٢٨٩٣- فَيَقَالُ: أَصْلُ دَلِيلِكُمْ فِي ذَاكَ حُجْبٌ جِتْنَا عَلَيْكُمْ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ

يعني أن ما احتججتم به علينا هو حجة لنا عليكم، فنقلب الدليل عليكم بعد أن جعلتموه لكم.

٢٨٩٤- إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ لَا بِالْقِيَاسِ الْقَائِمِ الْأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ» والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤] فنفي الله عز وجل هذا الظن، ونهى أن نقول: إنهم أموات بالنص.

أما حياة الأنبياء عندكم فهي بالقياس، وأمور الغيب ليس فيها قياس.

٢٨٩٥- هَذَا مَعَ النَّهْيِ الْمُؤَكَّدِ أَنَّنَا نَدْعُوهُ مَيِّتًا ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «هذا» أي: ثبوت كونه حيًا بالنص مع أنه إضافة إلى ذلك ورد النهي المؤكَّد عن تسميته مَيِّتًا، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤] هذا نهي، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وهذا نهي أيضًا أبلغ من الأول؛ لأنَّ الأول نهي عن اللفظ، والثاني نهي عن التقدير والظن.

٢٨٩٦- وَنِسَاؤُهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ وَالْمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى الشُّهْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَنِسَاؤُهُ» أي: نساء الشهيد المقتول في سبيل الله حل لنا من بعده،

ولو كان حيًّا حياةً دنيا لم تكن نساؤه حِلاً لنا.

قَوْلُهُ: «وَالسَّالُ مَقْسُومٌ عَلَى السُّهْمَانِ» أي: بعد موته، ولو كان حيًّا حياةً دنيا لم يُقَسَمْ ماله، ولم يَحِلَّ الاعتداءُ عليه.

٢٨٩٧- هَذَا وَأَنَّ الْأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ وَسَبَاعُهَا مَعَ أُمَّةِ الدَّيْدَانِ
قَوْلُهُ: «وَأَنَّ الْأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ» والحَيُّ لا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، وعلى ظهر الأرض ليس في بطنها مأكولاً.

٢٨٩٨- لَكِنَّهُ مَعَ ذَاكَ حَيٌّ فَارِحٌ مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمَنِ
قال الله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، فهم أمواتٌ أجسام، أحياءٌ أرواح.

٢٨٩٩- فَالرُّسُلُ أَوْلَى بِالْحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعَ مَوْتِ الْجُسُومِ وَهَذِهِ الْأَبْدَانِ
قَوْلُهُ: «فَالرُّسُلُ أَوْلَى بِالْحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعَ مَوْتِ الْجُسُومِ» الرُّسُلُ -صلى الله عليهم وسلم- أَوْلَى بِالْحَيَاةِ عِنْدَ اللَّهِ مَعَ مَوْتِ الْجُسُومِ، فهم أَوْلَى بِالْحَيَاةِ مِنَ الشُّهَدَاءِ.

٢٩٠٠- وَهِيَ الطَّرِيقَةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا فَهُوَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
قَوْلُهُ: «وَهِيَ الطَّرِيقَةُ» أي: أجسامهم وأبدانهم، أعني الأنبياء.

قَوْلُهُ: «وَأَكْلُهَا فَهُوَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ» أي: على التراب.

قَوْلُهُ: «وَأَكْلُهَا فَهُوَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ»؛ لأنَّ الرِّسُولَ ﷺ أَمَرَ بِالْإِكْتِثَارِ

عليه من الصلاة^(١)، وأخبر -عليه الصلاة والسلام- أن الصلاة تُعْرَضُ عليه، قالوا: كيف تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٢).

فقال النبي ﷺ: «حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ» مع أَنَّهَا ليست مُكَلَّفَةً حَتَّى تُخَاطَبَ بالتحريم، فيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ التَّحْرِيمَ هُنَا تَحْرِيمٌ لُغَوِيٌّ بِمَعْنَى الْمَنْعِ، لَا بِمَعْنَى التَّحْرِيمِ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ التَّكْلِيفُ؛ لِأَنَّ التَّحْرِيمَ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ التَّكْلِيفُ مُتَنَفٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَرْضِ، مُتَنَفٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال بعضهم: إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَيْهَا التَّحْرِيمُ وَالْإِيحَابُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُكَلَّفَةً تَكْلِيفًا تُعَاقَبُ بِالمُخَالَفَةِ فِيهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فَأَثْبَتَ لَهَا طَوَاعِيَّةً وَكِرَاهِيَّةً، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمَا الخُطَابَ.

وعلى كُلِّ حَالٍ المسأَلَةُ فِي هَذَا لَا تَكَادُ تَكُونُ ذَاتَ أَهْمِيَّةٍ جَدًّا؛ لِأَنَّ الجَمِيعَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ تَكْلِيفَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ لَيْسَ تَكْلِيفًا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ لِأَنَّهَا لَنْ يَخَالَفَا أَمْرَ اللَّهِ.

(١) أخرجه أحمد (٨٤/٢٦)، رقم (١٦١٦٢). وأبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧). والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧). والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤). وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم (١٠٨٥). وأحمد (٨/٤)، رقم (١٦٢٠٧).

٢٩٠١- وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا أَيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ
قَوْلُهُ: «وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا» يعني: أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ
أَجْسَادَهُمْ.

قَوْلُهُ: «وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ» يعني: رَأَوْا بِالْعِيَانِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَا تَأْكُلُهُمُ
الْأَرْضُ، وَهَم لَيْسُوا مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَلَيْسُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، لَكِنْ قَدْ يُكْرِمُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ
فَلَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ.

وقد حدثني بعض الناس أنهم كانوا في هذا البلد في عُنَيْزَةَ يَحْفَرُونَ لِسُورِ
الْبَلَدِ، وَأَتَمُّ مَرُّوا عَلَى قَبْرِ، فَلَمَّا انْفَتَحَ الْقَبْرُ خَرَجَ مِنْهُ رَائِحَةٌ مَسْكٍ لَا يُوجَدُ لَهَا
نَظِيرٌ، وَوَجَدُوا شَيْخًا لَمْ تَأْكُلْهُ الْأَرْضُ قَدْ خَضَّبَ لِحْيَتَهُ بِالْحِنَاءِ، وَكَانَ يَابِسًا
كَاللَّحْمِ الْيَابِسِ، أَمَّا كَفَنُهُ فَقَدْ صَارَ رَمَادًا، فَانْبَهَرُوا مِنْهُ، وَتَوَقَّفُوا، وَجَاءُوا إِلَى
الشَّيْخِ، وَأَظْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي بَطِينٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَاضِيًا فِي
هَذَا الْبَلَدِ، جَاءُوا إِلَيْهِ يَخْبِرُونَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: رُدُّوا الْقَبْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَانْحَرِفُوا
بِالشَّقِّ لِلْسُورِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا. ففعلوا.

فهذا شيءٌ مثل ما قال ابنُ القَيِّمِ: وَجِدَ بِالْعِيَانِ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا تَأْكُلُهُ
الْأَرْضُ، وَهَذَا مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِلْإِنْسَانِ.

٢٩٠٢- فَانظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمْ حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرِ التَّيَّانِ
نعم، انقلبَ الدليلُ عليهم، صارت حياةُ الشُّهَدَاءِ لَيْسَتْ كحياةِ الدُّنْيَا،
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ قُسِمَتْ، وَنِسَاءَهُمْ نُكِحَتْ وَأُحِلَّتْ، وَالدُّنْيَا تَأْكُلُ
أَجْسَادَهُمْ، فَكَيْفَ تَكُونُ حَيَاتُهُمْ كحياةِ الدُّنْيَا!؟

إِذَنْ فَالذِي اسْتَدَلَلْتُمْ بِهِ وَجَعَلْتُمُوهُ أَصْلًا وَهُوَ حَيَاةُ الشُّهَدَاءِ صَارَ عَلَيْكُمْ،
لَمْ يَكُونُوا أَحْيَاءَ حَيَاةً دُنْيَوِيَّةً، كَذَلِكَ حَيَاةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي هِيَ الْفَرْعُ عِنْدَكُمْ لَنْ تَكُونَ
حَيَاةً دُنْيَوِيَّةً، فَبِذَلِكَ انْقَلَبَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِمْ.

يعني: هم قالوا: حياة الأنبياء فرع عن حياة الشهداء؛ لأنه من باب قياس
الأولى، ومعلوم أن المقيس فرع عن المقيس عليه.

نقول لهم: حياة الشهداء هي موت، والدليل: نكاح نساءه من بعده، اعتداد
النساء، قسم الأموال، أكل الأرض للأجساد، كل هذه مُتَّفِقَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
فَإِذَنْ يَكُونُ مَوْتُ الْأَنْبِيَاءِ حَقِيقَةً، كَمَا أَنَّ مَوْتَ الشُّهَدَاءِ حَقِيقَةٌ، وَتَكُونُ حَيَاةُ
الْأَنْبِيَاءِ حَيَاةً بَرَزَخِيَّةً، لَا كَحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّ حَيَاةَ الشُّهَدَاءِ حَيَاةً بَرَزَخِيَّةً وَليست
حياةً دُنْيَا، فَانْقَلَبَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِمُ الْآنَ.

بقي عندنا أنهم احتجوا بأن نساء الرسول -عليه الصلاة والسلام- حرام
من بعده، وهذا يدل على أنه حي، وإلا لكان نساؤه حلالاً، وسيأتي الرد على هذا
إن شاء الله تعالى.

- ٢٩٠٣- لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ خُصَّ نِسَاؤُهُ بِخَصِيصَةٍ عَنِ سَائِرِ النِّسْوَانِ
٢٩٠٤- خَيْرٌ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسِوَاهُ فَاخِرٌ
٢٩٠٥- شَكَرَ الْإِلَهَ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبَّنَا
٢٩٠٦- قَضَى الرَّسُولُ عَلَى أَوْلِيكَ رَحْمَةً
٢٩٠٧- وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَضَى عَلَى مَعْدٍ
سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانٍ مِنْهُ يَهِنُّ وَشُكْرُ ذِي الْإِحْسَانِ
لَوْمْ بِلَا شَكِّ وَلَا حُسْبَانِ

- ٢٩٠٨ - زَوْجَاتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى يَقِينًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
 ٢٩٠٩ - فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ إِذْ ذَاكَ صَوْنٌ عَنْ فِرَاشِ ثَانٍ
 ٢٩١٠ - لَكِنْ أَتَيْنَ بَعْدَهُ شَرَعِيَّةٍ فِيهَا الْحِدَادُ وَمَلَزَمَ الْأَوْطَانَ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله - في الإجابة عن استدلالهم بأن النبي ﷺ حي في قبره بأن نساءه حرام على من بعده، يقول - رحمه الله - في الجواب عنه:

- ٢٩٠٣ - لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ خُصَّ نِسَاؤُهُ بِخَصِيصَةٍ عَنْ سَائِرِ النِّسْوَانِ
 ٢٩٠٤ - خَيْرٌ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسِوَاهُ فَاحْتَرَنَ الرَّسُولَ لِصِحَّةِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «وَسِوَاهُ» سِوَى الرَّسُولِ يَعْنِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا.

وهذا بأمر الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَجِكُ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَا حًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

الآن لو اخترت الدنيا فإن الرسول لن يغضب عليهن، وانظر إلى لطف الله بالمرأة، إذا اختارت الدنيا تمتع وتسرّح سراحا جميلا، ولا توبخ، ولا يقال: كيف اخترت الدنيا على الرسول؟ لماذا؛ لأن المرأة ناقصة عقل ودين، ربما تنخدع وتختار الدنيا على الرسول، فلا نقابلها بمقتضى عقلها، بل نقابلها بالحسن، قال تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَا حًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

الظاهر الآن لو قيل لشخص: خير زوجك، قل لها: هل تريدني أو تريدني غيري؟ لقال: إن كنت تريدني فالله يحبك، وإن كنت تريدني غيري فاذهبي

بعيداً عني. هذا الذي يقع من كثير من الناس؛ لأنها إذا قالت: لا أريدك، بل أختار غيرك هل يقابلها بالإكرام والتمتع والسراح الجميل؟ الجواب: أبداً، بالعكس، لكن لكمال خلق الرسول -عليه الصلاة والسلام- أمره الله أن يقول هذا ﴿فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرِحَنَّ سَرَلًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨] ثم ذكر المقابل فقال: ﴿وَلِنْ كُنْتَن تَرِدَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]. يعني: فأتنت محسنات، وقد أعد الله للمحسنات منكن أجراً عظيماً.

فبدأ -صلوات الله وسلامه عليه- بعائشة، وهي أحب النساء إليه؛ لأنه يريد امتثال أمر الله، فقدّم ما يرضي الله على ما تهواه نفسه، وعائشة أحب النساء إليه، وكان مقتضى الطبيعة البشرية أن يبدأ بالنساء الأخريات، لكنه بدأ بعائشة لتكون مقياساً، وقال لها لماً خيرها: «لَا عَلَيْكَ إِلَّا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ» يعني: لك الحق أن تشاوري أبويك في هذا، فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟! وَاللَّهِ لَا أُرِيدُ إِلَّا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ. فَمَشَى أَرْوَاجَهُ عَلَى هَذَا^(١).

فلما حصل منهنّ هذا الأمر شكر الله لهنّ، وقال له: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، فمنعه الله من نكاح نساءٍ عليهنّ، ومنعه أن يطلقهنّ وأن يتزوج غيرهنّ، قال تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، فشكر الله لهنّ هذه الحال.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لَازْوَجِكَ إِنْ كُنْتَن تُرِيدَن الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّبْتَهَا فَفَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرِحَنَّ سَرَلًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، رقم (٤٥٠٧)، ومسلم: كتاب الطلاق، باب بيان أن تخير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، رقم (١٤٧٥).

٢٩٠٥- شَكَرَ الْإِلَهَ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبَّنَا سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانَ

والله عز وجل أعظم شكراً منا، إذا تقرب الإنسان إليه شبراً تقرب إليه ذراعاً، وإن تقرب إليه ذراعاً تقرب إليه باعاً، وإن أتاه يمشي أتاه هرولة، فالله - سبحانه وتعالى - يشكر العبد أكثر مما يشكر العبد ربّه؛ ولهذا قال - رحمه الله -: «وربنا سبحانه للعبد ذو شكران»، وقد ذكر الله تعالى أن من أسماه (الشكور) في عدة آيات من القرآن.

٢٩٠٦- قَصَرَ الرَّسُولِ عَلَى أَوْلَيْكَ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِنَّ وَشُكْرُ ذِي الْإِحْسَانِ

قوله: «قصر الرسول على أولئك» ويجوز (قصر الرسول) بالفتح، لكن قوله في البيت الذي بعده: (وكذلك أيضاً قصرهنّ عليه) هذا يؤيد بأن الأول مصدر أيضاً (قصر).

قوله: «قصر الرسول على أولئك» يعني أنه لا يتزوج سواهنّ، ولا يستبدل بهنّ.

قوله: «رحمة منه» أي: من الله.

قوله: «بهنّ» أي: بالزوجات.

قوله: «وشكر ذي الإحسان» يعني: من شكر الله عز وجل، فهذا رحمة وشكر.

٢٩٠٧- وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ مَعَهُ لَوْمٌ بِلَا شَكٍّ وَلَا حُسْبَانَ

قوله: «وكذلك أيضاً قصرهنّ عليه معاً» أيضاً قصرنّ عليه فلا يتزوجنّ بعده، وهذا معلوم؛ ولذا يقول: «بلا شكٍّ ولا حُسبان»، وهو معلوم من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فصار الرسول مقصوراً عليهنّ وهنّ مقصوراتٍ عليه.

٢٩٠٨- زَوَّجَتْهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى يَقِينًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

هنّ زوجاته في الدنيا وزوجاته في الآخرة، فهنيئاً لهنّ؛ ولهذا لما خافت سودة بنت زمعة أن يطلقها الرسول ﷺ وتُحْرَمَ من هذه الخصيصة وهبت يومها لعائشة^(١)، فصار الرسول يقسم لثمانٍ بعد أن كان يقسم لتسع.

٢٩٠٩- فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ إِذْ ذَاكَ صَوْنٌ عَنِ فِرَاشِ ثَانٍ

حُرِّمَ أَنْ يَتَزَوَّجَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِثَلَاثٍ يَكُنَّ فِرَاشًا لِغَيْرِهِ ﷺ، هذه الخصيصة لا لأنه حيٌّ، ولكن لأن الله شكر لهنّ، فخصهنّ بهذه الخصيصة؛ ولذلك كانت زوجات الشهداء حلالاً مع أئمتهم أحياء، والدليل على أئمتهم -أي: زوجات الرسول ﷺ- انفصلن عنه وحُكِمَ بموته -صلوات الله وسلامه عليه- ما ذكره بقوله:

٢٩١٠- لَكِنْ أَتَيْنَ بَعْدَهُ شَرَعِيَّةٍ فِيهَا الْحِدَادُ وَمَلَزَمُ الْأَوْطَانِ

قوله: «لَكِنْ أَتَيْنَ بَعْدَهُ شَرَعِيَّةٍ» بعد موته اعتدذن لموته أربعة أشهر وعشرة أيام.
قوله: «فِيهَا الْحِدَادُ وَمَلَزَمُ الْأَوْطَانِ» يعني: لزوم البيت؛ لأن المرأة المُحَدَّ يجبُ عليها أمورٌ:

أولاً: ألا تخرج من بيتها إلا للضرورة، كما لو تصدّع وخيف أن يسقط عليها، أو استعرت فيه النار، أو جاءت أمطارٌ ويخشى من سقوطها عليها، أو ما أشبه ذلك، المهم للضرورة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب هبة المرأة لغير زوجها، رقم (٢٥٩٤)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم (٢٧٧٣).

ثانيًا: ألا تلبس الجميل من الثياب، فلا تلبس ثيابًا جميلةً يقال: إنها مُتَزَيِّئَةٌ، ولا يلزمها أن تلزم لونها واحدًا كما يقول العوامّ بأنه لا بُدَّ أن تلبس ثوبًا أخضر أو ثوبًا أسود، لا، بل المُحَرَّمُ ألا تلبس ثوبًا يُعَدُّ تَجَمُّلاً.

ثالثًا: ألا تلبس الحليّ بجميع أنواعه، لا في اليد، ولا في الرّجل، ولا في الأذن، ولا في الرأس، ولا في النحر.

رابعًا: ألا تتطيّب بجميع أنواع الطيب، لا بخورًا ولا دهنًا، إلا أن الشّارع رخص لها في قسطٍ من أظفار، مثل العود المعروف إذا طهرت من الحيض؛ إزالة اللّتن الذي يكون بسبب الحيض؛ لأنّ هذا حاجة.

خامسًا: ألا تتزيّن بوجهها أو يديها أو أيّ شيءٍ من أجزائها، فلا تكتحلّ ولا تُحمّر الشّفتين ولا تتحنّى، ولا تختضب، فهذه خمسة أشياء.

وأما ما يزعمه العوامّ ويقولون: لا تُقابل القمرَ وقت الإبدار، فهذا ليس بصحيح، وحجّتهم في ذلك يقولون: إنّ القمرَ رجلٌ، ولا يجوزُ أن تُكشَفَ عند الرجال، أمّا الشّمسُ فإنّها أنثى؛ ولهذا يجوزُ أن تظهرَ في النهار للشّمس.

يقول العامة أيضًا: إنه لا يجوز أن تصعدَ إلى السّطح، أو تخرجَ إلى فناء البيت. وكلُّ هذا ليس له أصلٌ، ويقولون أيضًا: لا يجوز أن تُكلّمَ أحدًا، وهذا أيضًا ليس له أصلٌ.

الغريب أيضًا عند العامة أنّهم يقولون: لا بُدَّ أن تكونَ صلاتها موافقةً لصلاة الإمام، يعني: لا تصليّ قبله ولا بعده، وأنه يجبُ أن تغتسلَ كلّ جمعة، وأشياء من هذا غريبة.

وأما الصابون فهل يجوز أن تستعمله المحدث؟ فنقول: إن كان طيباً فإنه لا يجوز، وإن كان زكاءً فهذا لا بأس به، والزكاء كالتفاح مثلاً له رائحة طيبة، النعناع له رائحة طيبة، الأترج له رائحة طيبة، هذا لا يضر؛ لأنه ليس بطيب.
وأيضاً مشط الشعر لا بأس به، وتغسيله بالصابون غير المطيب لا بأس به.
وأما كلامها في الهاتف فلا حرج فيه، وأما خروجها للقاضي فيجوز أيضاً؛ لأنه قد يكون للحاجة، وليس ضرورياً؛ لأنها تستطيع أن توكل ولكنه يجوز في النهار.

المهم الإحداذُ معروفٌ بالأشياء الخمسة التي ذكرناها.

- ٢٩١١ - هَذَا وَرُوِيَتْهُ الْكَلِيمُ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ أَثَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
٢٩١٢ - فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حُسَيْنَةٌ هَلْ قَالَه؟ فَالْحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ
٢٩١٣ - وَلِذَلِكَ أَعْرَضَ فِي «الصَّحِيحِ» مُحَمَّدٌ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ بِلَا نِسْيَانِ
٢٩١٤ - وَالِدَارَ قُطْنِي الْإِمَامُ أَعْلَهُ بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّانِ
٢٩١٥ - أَتَسُّ يَقُولُ: رَأَى الْكَلِيمَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ فَأَعْجَبَ لِذَا الْفُرْقَانِ! (١)
٢٩١٦ - فَرَوَاهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِالْمَرْفُوعِ وَاشْوَأَقًا إِلَى الْعِرْفَانِ
٢٩١٧ - بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ لَا تَطْرَحُنُهُ (٢) فَمَا هُمَا سَيَّانِ

(١) في نسخة برلين والتميمورية «العرفان».

(٢) في النسخ المخطوطة كلها «لا تطرحه» بدون نون.

- ٢٩١٨ - لَكِنْ تُقَلَّدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِنْ مَنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بَيَانِ
- ٢٩١٩ - فَرَوَاتُهُ الْأَثْبَاتُ أَعْلَامُ الْهُدَى حُفَاطُ هَذَا الدِّينِ فِي الْأَرْمَانِ
- ٢٩٢٠ - لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ
- ٢٩٢١ - فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ خَبْرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَأْنِ
- ٢٩٢٢ - فِيهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي قَدِمَاتَ وَهُوَ مُحَقِّقُ الْإِيمَانِ
- ٢٩٢٣ - فَتَمَثَّلُ الشَّمْسُ الَّتِي قَدِ كَانَ يَرُ عَاهَا لِأَجْلِ صَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ
- ٢٩٢٤ - عِنْدَ الْغُرُوبِ يَخَافُ فَوْتَ صَلَاتِهِ فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكِينَ: هَلْ تَدَعَانِي
- ٢٩٢٥ - حَتَّى أُصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا؟ قَالَا: سَتَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْآنِ
- ٢٩٢٦ - هَذَا مَعَ الْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ لَا الَّذِي حُكِيَتْ لَنَا بِشُبُوتِهِ الْقَوْلَانِ

الشرح

سبق أن الذين قالوا بحياة النبي ﷺ، بل بحياة الأنبياء في قبورهم استدلوا بأن النبي ﷺ رأى موسى يُصَلِّي في قبره^(١) فتكلم المؤلف - رحمه الله - على هذا الحديث فقال:

- ٢٩١١ - هَذَا وَرُؤْيَا الْكَلِيمِ مُصَلِّيًّا فِي قَبْرِهِ أَثَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
- ٢٩١٢ - فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةٌ هَلْ قَالَه؟ فَالْحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

قَوْلُهُ: «فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةٌ» تصغير حَسَكَةٍ، وَالْحَسَكُ فِي الْأَصْلِ نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ لَهُ شَوْكٌ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (حُسَيْكَةً) لِلْعِدَاوَةِ، إِذَنْ يَجُوزُ فِيهَا وَجْهَانُ:

الوجه الأول: (حُسَيْكَةٌ) أَي: بَعْضُ الْقَلْقِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِكَلَامِ ابْنِ الْقَيْمِ لَمَّا قَالَ: (فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةً) الْعِدَاوَةَ، بَلِ الْمُرَادُ فِيهِ قَلْقٌ وَشَكٌّ. الْوَجْهَ الثَّانِي: (حُسَيْكَةٌ).

فَالْمَعْنَى أَنَّ قَلْبَ الْمُؤَلَّفِ لَمْ يَرْتَحْ لِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، وَوَجْهُ هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي فِي قَلْبِ الْمُؤَلَّفِ يَقُولُ: (هَلْ قَالَ؟)، يَعْنِي: هَلْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

قَوْلُهُ: «فَالْحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ» يَعْنِي: فَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَهُ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَا عِبْرَةَ بِمَا فِي قَلْبِي؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَنْقَادَ انْقِيَادًا تَامًّا لِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلِمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْأَلَا يَتَرَدَّدُ فِي تَنْفِيذِهِ إِنْ كَانَ حُكْمًا، وَلَا فِي قَبُولِهِ إِنْ كَانَ خَبْرًا، ثُمَّ اسْتَدَلَّ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لِمَا فِي قَلْبِهِ عَنْ هَذَا الْأَثَرِ فَقَالَ:

٢٩١٣- وَلِذَلِكَ أَعْرَضَ فِي «الصَّحِيحِ» مُحَمَّدٌ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ بِلَا نَسِيَانٍ

قَوْلُهُ: «مُحَمَّدٌ» هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ.

يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ مُسْلِمٌ، وَالْبُخَارِيُّ أَعْرَضَ عَنْهُ، مَعَ أَنَّ إِعْرَاضَهُ عَنْهُ لَيْسَ نَسِيَانًا، وَلَكِنْ كَأَنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ؛ فَلِذَلِكَ أَعْرَضَ عَنْهُ، فَجَعَلَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- هَذَا عَلَّةً.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِعَلَّةٍ؛ لِأَنَّ كَوْنَ الْبُخَارِيِّ لَمْ يَرَوْهُ الْحَدِيثَ وَيُرْوِيهِ مُسْلِمٌ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ ضَعِيفٌ، فَكَمْ مِنْ أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ أَعْرَضَ عَنْهَا الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وَلَكِنْ غَيْرَهُ صَحَّحَهَا!

٢٩١٤- وَالِدَارَقُطْنِي الْإِمَامُ أَعْلَهُ بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةٍ التَّبَيَّانِ

٢٩١٥- أَنَسٌ يَقُولُ: رَأَى الْكَلِيمَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ فَاعْجَبَ لِذَا الْفُرْقَانِ!

قَوْلُهُ: «وَالِدَارَقُطْنِي الْإِمَامُ أَعْلَهُ» أَي: أَعْلَ الْحَدِيثِ. أَعْلَهُ بِمَاذَا؟ الْجَوَابُ: بِالْوَقْفِ، أَي أَنَّ الَّذِي قَالَ: إِنَّ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ- رَأَى مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ هُوَ أَنَسٌ، فَيَكُونُ مَتْنَهُ الْحَدِيثَ الصَّحَابِيِّ، وَمَا كَانَ مَتْنَهُ إِلَى الصَّحَابِيِّ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَوْقُوفًا.

وعندي أن هذا ليس بعلة، حتى لو ثبت أنه لم يصل إلا إلى أنس فليس بعلة؛ لأن هذا من أمور الغيب التي لا يمكن أن تُقال بالرأي، وأنس رضي الله عنه ليس من الذين عرفوا بالأخذ عن بني إسرائيل حتى نشك فيما أخبر به من هذه الأمور، وقد نصّ المحققون من أهل العلم بالحديث أنه إذا قال الصحابيُّ قولاً ليس للرأي فيه مجالٌ فله حكمُ الرَّفْعِ، إلا أن يكونَ هذا القائلُ ممن عرفَ بالأخذ عن بني إسرائيل، فحينئذٍ لا يُحْكَمُ لقوله بالرفع؛ لاحتمال أنه أخذه عن بني إسرائيل.

قَوْلُهُ: «فَاعْجَبَ لِذَا الْفُرْقَانِ» أَي: لِهَذَا الْفُرْقَانِ، فَ(ذَا) هُنَا لَيْسَتْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، بَلْ هِيَ اسْمُ إِشَارَةٍ، فَالْمَعْنَى: لِهَذَا الْفُرْقَانِ.

٢٩١٦- فَرَوَاهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِالْمَرْفُوعِ وَأَشْوَاقًا إِلَى الْعِرْفَانِ

جزاه الله خيراً، كلُّنا نشأتُ إلى العرفان، لكن واعجباً أن تفوت ابن القيم هذه المسألة؛ لأننا نقول: وإن كان موقوفاً على أنس فإنه في حكم الرفع.

على أنه من المعروف أيضاً عند علماء الحديث أنه إذا تعارض الوقفُ والرَّفْعُ، وكُلٌّ مِنَ الْوَاقِفِ وَالرَّافِعِ ثِقَّةٌ، فَالْمَقْدَمُ الرَّافِعُ؛ لِأَنَّ مَعَهُ زِيَادَةَ عِلْمٍ. وَلِأَنَّ

الإنسانَ قد يرفع الحديثَ إلى الرسول ﷺ في مجلسٍ من المجالس، ثم يحدثُ به من غير رفعٍ في مجلسٍ آخر، فيسمعه في المجلس الأول أناسٌ، ويروونه عنه مرفوعاً، ويسمعه في المجلس الثاني أناسٌ ويروونه عنه موقوفاً.

أرأيتم الآن لو أن أحداً أسندَ حديثَ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١) إلى عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ صار مرفوعاً، ولو أن أحداً في مجلسٍ من المجالس قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» فرواه عنه أحدٌ، فالذي سمعه في المجلس الأول سيرويه مرفوعاً، والثاني سيرويه موقوفاً؛ لأنه لم يُسِنِدْهُ، وهذا يقع دائماً، فمن ثمَّ نقولُ: إنَّه إذا تعارضَ الرَّفْعُ وَالْوَقْفُ وكلا الرَّاوِيَيْنِ ثِقَّةٌ يُقَدَّمُ الرَّافِعُ لسببين:

السبب الأول: أن معه زيادة علم.

السبب الثاني: أن الرَّاوِيَّ للحديث المرفوعِ قد يحدثُ به غير معزوٍّ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- في بعض المجالس، فيرويه عنه أحدٌ دون عزوِّ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وهذا لا ينفي أن يكون مرفوعاً.

قَوْلُهُ: «وَأَشَوَّاقًا إِلَى الْعِرْفَانِ» إذا كان ابنُ القِيَمِ -رحمه الله- يقول: «وَأَشَوَّاقًا إِلَى الْعِرْفَانِ» فما بالننا نحن؟! اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِهِ.

٢٩١٧- بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ لَا تَطْرَحُنُهُ فَهْمًا سِيَّانٍ

قَوْلُهُ: «بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ» يعني: بين هذا السِّيَاقِ وبين السِّيَاقِ الآخرِ تَفَاوُتٌ، فـ(إلى) هنا بمعنى (بَيْنَ).

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ». رقم (١٩٠٧).

قَوْلُهُ: «لَا تَطْرَحْنَهُ» وفي نسخة: (لَا تَطْرَحْهُ) بدون نون، إِذَنْ هُمَا نَسَخْتَانِ:
(لَا تَطْرَحْهُ فَمَا هُمَا سَيَّانٍ)، أَوْ (لَا تَطْرَحْنَهُ فَمَا هُمَا سَيَّانٍ).

٢٩١٨- لَكِنْ تَقْلَدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِنْ مَنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بَيَّانٍ

المعنى: أَنْ مَنْ قَلَّدَ مُسْلِمًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَصَحَّحَهُ، وَأَخَذَ بِهِ، فَلَيْسَ بِمَلُومٍ،
لِمَاذَا؟ قَالَ:

٢٩١٩- فُرُوتُهُ الْأَثْبَاتُ أَعْلَامُ الْهُدَى حُفَاطُ هَذَا الدِّينِ فِي الْأَزْمَانِ

فَكَانَ الْمُؤَلَّفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ أَنْ أَلْقَى الشُّكَّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ رَجَعَ وَبَيَّنَّ
أَنْ مَنْ قَلَّدَ مُسْلِمًا فِي تَصْحِيحِهِ فَقَدْ سَلَكَ مَسَلَكًا صَحِيحًا؛ لِأَنَّ رَوَاتِهِ أَثْبَاتٌ ثِقَاتٌ
أَعْلَامٌ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَلِّدَ.

وَالْعِلَّةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الدَّارِقُطْنِيُّ تُبَيِّنُ لَكُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِعِلَّةٍ، لَكِنْ يَقُولُ
الْمُؤَلَّفُ:

٢٩٢٠- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُحْتَضًا بِهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانٍ

يعني: كَوْنُ الْإِنْسَانِ يَصَلِّي فِي الْقَبْرِ لَيْسَ مُحْتَضًا بِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَاةُ -، بَلْ
قَدْ يَكُونُ لغيره.

٢٩٢١- فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ خَبْرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَانٍ

٢٩٢٢- فِيهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي قَدِمَاتَ وَهُوَ مُحَقَّقُ الْإِيمَانِ

٢٩٢٣- فَتَمَثَّلَ الشَّمْسُ الَّتِي قَدِ كَانَ يَرَى عَاهَا لِأَجْلِ صَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ

٢٩٢٤- عِنْدَ الْغُرُوبِ يَخَافُ فَوَتْ صَلَاتِهِ فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكِينَ: هَلْ تَدَعَانِي

٢٩٢٥- حَتَّى أَصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِمَها؟ قَالَا: سَتَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْآنِ

قَوْلُهُ: «فَتُمَثِّلُ الشَّمْسُ» يعني: تُمَثِّلُ له الشَّمْسُ، وكأَنَّها عند الغروب.

الله أكبر! ورد في هذا حديث: أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا دُفِنَ وَأَتَاهُ الْمَلَكَانِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تُمَثِّلُ لَهُ وَكَأَنَّهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ^(١)، وهذا المَيِّتُ مُحَقَّقُ الْإِيمَانِ، فهو مؤمنٌ إيمانًا حقيقيًّا، يرفعى الشمس من أجل الأوقات التي يُصَلِّي فيها، وصلاة العصر - كما نعلم - هي أفضل الصلوات، فتمثَّل له الشمس عند الغروب كأنها تريد أن تغرب، فإذا أتاه الملكان يقول لهما: دَعَانِي حَتَّى أَصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ.

فهذا رجلٌ ليس برسول، ويصلي في قبره، فيقول له الملكان: «إِنَّكَ سَتَفْعَلُ» يعني: ستصلي بعد السؤال.

والشاهد قوله: «كَانَ يَزْعَمُهَا لِأَجْلِ صَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ» كان الأولون قد يجدون مشقة في مراعاة الشمس، وذلك عند الزوال، وإذا صار ظلُّ كلِّ شيءٍ مثله، وعند مغيب الشفق، وعند طلوع الفجر، لكن نحن الآن - والحمد لله - بما أنعم الله علينا من الساعات صارت مراعاة الأوقات سهلةً علينا.

وقوله: «فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكَيْنِ: هَلْ تَدَعَانِي؟» أي: الملكان اللذان يأتيانه في قبره

(١) يعني حديث: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ حَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلَّوْنَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتْ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْحَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُوتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُوتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْحَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّلَاةُ، وَالْمَعْرُوفِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ. فَيَجْلِسُ، فَذُمَّتْ لَهُ الشَّمْسُ فَذُمَّتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَخْبَرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: دَعُونِي أَصَلِّي. قَالُوا: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ». أخرجه الخلال في السنة (٤/٦٤، رقم ١١٧٦).

يسألانه عن ربه ودينه ونبئه.

وقوله: «حَتَّى أَصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا؟ قَالَا: سَتَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْآنِ»

فصارت الصلاة الآن في القبر حتى لغير الأنبياء.

٢٩٢٦- هَذَا مَعَ الْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ لَا الَّذِي حُكِيَتْ لَنَا بِشُبُوتِهِ الْقَوْلَانِ

يعني: مع أن هذا الرجل قد مات موتًا مُحَقَّقًا، ليس شهيدًا، حتى نقول: إنه حيٌّ، وليس نبيًّا حتى نقول: إنه حيٌّ، ومع ذلك فإنه يُصَلِّيَ العصر، حتى لو مات في غير وقت العصر، حتى لو مات الضُّحَى، فإنه يصَلِّيَ العصر فقط.

وهل يُؤَجَّرُ على صلاته هذه؟ الجواب: لا يُؤَجَّرُ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا مات انقطع عمله، فصلاته في القبر ليست صلاةً ثواب، لكن تلذذ فقط، يعني: يرى أنها نعيمٌ، إذن هو لا يُؤَجَّرُ، لكن هذا دليلٌ على شِدَّةِ تعلقه بها.

إِذْنُ فَصَلَاةِ الْعَصْرِ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ.

٢٩٢٧- هَذَا وَثَابِتُ الْبَنَانِيِّ قَدْ دَعَا الرَّحْمَنَ دَعْوَةَ صَادِقِ الْإِيقَانِ

٢٩٢٨- أَنْ لَا يَزَالَ مُصَلِّيًّا فِي قَبْرِهِ

٢٩٢٩- لَكِنَّ رُؤْيَيْتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةَ الْ-

٢٩٣٠- يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الصَّحَابِ جَمِيعُهُمْ

٢٩٣١- وَلِذَلِكَ ظَنَّ مُعَارِضًا لِصَلَاتِهِ فِي قَبْرِهِ إِذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

٢٩٢٢- وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ لِيَرَاهُ ثُمَّ مُشَاهِدًا بِعِيَانِ
٢٩٢٣- فَرَأَاهُ ثُمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا
بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمَكَّنَ الْوَقْتَانِ

الشرح

٢٩٢٧- هَذَا وَثَابِتُ الْبُنَانِيِّ قَدْ دَعَا الرُّحْمَنَ دَعْوَةَ صَادِقِ الْإِيقَانِ

٢٩٢٨- أَنْ لَا يَزَالَ مُصَلِّيًّا فِي قَبْرِهِ إِنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَلِكَ مِنْ إِنْسَانٍ

ذكر المؤلف - رحمه الله - أن ثابتاً البنانى - رحمه الله (١) - قد دعا الرحمن دعوة أن لا يزال مصلياً؛ لأنه - رحمه الله - كثير الصلاة، وكانت قد ملكت قلبه، وجعلها الله قرّة عينه، فسأل الله إذا أماته أن يجعله مُصلياً في قبره.

والله أعلم هل أجاب الله دعوته أم لا؟ لكن الرجل لم يسأل شيئاً محالاً؛ لأنّ هذا لو كان شيئاً محالاً لكان سؤاله الله عدواناً؛ لأنّ الإنسان لا يجوز أن يسأل الله الشيء المحال؛ ولهذا قال: «إِنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَلِكَ مِنْ إِنْسَانٍ» يعني: سأل الله قائلاً: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أُعْطَيْتَ أَحَدًا الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ فَأَعْطِنِي الصَّلَاةَ فِي قَبْرِي (٢). والله أعلم، ومع ذلك فالأولى ألا يدعو الإنسان بهذا؛ لأنّ هذا لم يدعُ به الرسول ولا الصحابة، وهم أفضل من ثابت، والرسول - عليه الصلاة والسلام - نفسه يقول: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (٣).

(١) هو ثابت بن أسلم أبو محمد البنانى، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد البنانى مولا هم، البصري. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٤٠، رقم ٣٥٦٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨، رقم ١٢٣١٥)، والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم

ثُمَّ أورد المؤلفُ إشكالاً على الحديث الذي رواه مسلمٌ في صحيحه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»^(١) إشكالاً في الحقيقة قد يُقال: إنه أولى بتعليل الحديث ممَّا ذكره المؤلفُ سابقاً، فالمؤلفُ سابقاً أعلَّ الحديثَ بأنه رُوِيَ موقوفاً، لكن هذا الذي أورده الآن قد يكون أولى بتعليل الحديث ممَّا سبق، وهو أَنَّ بَعْضَهُمْ أعلَّ الحديثَ فقال: كيف يراه يُصَلِّي في قبره، ثُمَّ يراه في السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ هذا شيءٌ مستحيلٌ، أجاب عنه ابنُ القيمِ فقال:

٢٩٢٩- لَكِنَّ رُؤْيَيْتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةً أَلْ - مِعْرَاجٌ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

٢٩٣٠- يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الصَّحَاحِ جَمِيعُهُمْ وَالْقَطْعُ مُوجِبُهُ بِلَا نَكْرَانَ

قَوْلُهُ: «وَالْقَطْعُ مُوجِبُهُ بِلَا نَكْرَانَ» يعني أن هذا يُوجبُ القطعَ بلا نكران.

٢٩٣١- وَلِذَلِكَ ظَنَّ مُعَارِضًا لِصَلَاتِهِ فِي قَبْرِهِ إِذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

كيف يراه مُصلِّياً في قبره ويراه بعد ذلك في السَّمَاءِ السَّادِسَةِ؟! لكن أجاب عنه ابنُ القيمِ فقال:

٢٩٣٢- وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ لِيرَاهُ ثُمَّ مُشَاهَدًا بِعِيَانِ

يعني أَنَّ اللهَ أُسْرِيَ بِمُحَمَّدٍ ليرَى مُوسَى، وهما متلازمان، لكن رآه في الأرض في قبره يُصَلِّي، ورآه في السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، ولا تعارض؛ ولهذا قال:

٢٩٣٣- فَرَأَهُ ثُمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا بِنْتِنَاقُضٍ إِذْ أَمَكَّنَ الْوَقْتَانَ

قَوْلُهُ: «الضَّرِيحِ» يعني القبر.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ ذَا بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمَكَنَّ الْوَقْتَانِ»؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ طَوِيلٌ، وَهُوَ لَمْ يَرِ
مُوسَى فِي آنٍ هُوَ الَّذِي رَأَاهُ فِيهِ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، وَمَا دَامَ الْوَقْتَانِ مُخْتَلِفَيْنِ فَإِنَّهُ
يُمْكِنُ أَنْ يَرَاهُ أَوَّلًا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَرَاهُ ثَانِيًا فِي السَّمَاءِ لِاخْتِلَافِ الْوَقْتَيْنِ.

- ٢٩٣٤- هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَا التَّسْلِيمِ ^(١) مَنْ
يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ
٢٩٣٥- مَا ذَاكَ مُحْتَصًّا بِهِ أَيْضًا كَمَا
قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
٢٩٣٦- مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَاتَى بِتَسْ-
لِيمٍ عَلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيمَانٍ
٢٩٣٧- رَدَّ إِلَاهَهُ عَلَيْهِ حَقًّا رُوحَهُ
حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ رَدًّا بَيِّنًا
٢٩٣٨- وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ
لَمَّا يَصِحُّ وَظَاهِرُ النُّكْرَانِ
٢٩٣٩- فَانظُرْ إِلَى الْإِسْنَادِ تَعْرِفْ حَالَهُ
إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ
٢٩٤٠- هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ: هُمْ أَحْيَاءٌ لَمْ
كُنْ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الْأَبْدَانِ
٢٩٤١- وَالتُّرْبُ مَحْتَهُمْ وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ
وَعَنِ السَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيْمَانِ
بِاللَّهِ مِنْ إِنْكَ وَمِنْ بُهْتَانِ
مِثْلَ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُوهُ مَعَاذَنَا
بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمْ تَعَالَى مِثْلَ مَا
٢٩٤٤- لَكِنْ حَيَاتُهُمْ أَجَلٌ وَحَالُهُمْ
أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الْإِحْسَانِ
٢٩٤٥- هَذَا وَأَمَّا عَرَضُ أَعْمَالِ الْعِبَا
دِ عَلَيْهِ فَهُوَ الْحَقُّ ذُو إِمْكَانِ

(١) في النسخ المخطوطة كلها: «لسلام».

- ٢٩٤٦- وَأَتَى بِهِ أَثْرُ فَإِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ
 ٢٩٤٧- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُحْتَصًّا بِهِ
 ٢٩٤٨- فَعَلَى أَبِي الْإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعِيئُهُ
 ٢٩٤٩- إِنْ كَانَ سَعِيًّا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ
 ٢٩٥٠- أَوْ كَانَ سَعِيًّا سَيِّئًا حَزِنُوا وَقَا
 ٢٩٥١- وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى
 ٢٩٥٢- يَا رَبِّ إِنِّي عَائِدٌ مِنْ خِزْيَةٍ
 ٢٩٥٣- ذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ أَلِ
 ٢٩٥٤- لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي
 ٢٩٥٥- هَدَى نَهَائَاتُ لِإِقْدَامِ الْوَرَى
 ٢٩٥٦- وَالْحَقُّ فِيهِ لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُوبُ
 ٢٩٥٧- وَلِجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعَ أَحْكَامِهَا
 ٢٩٥٨- فَارَضَ الَّذِي رَضِيَ الْإِلَهَ لَهُمْ بِهِ
- سُتُّ بِهِ فَحَقُّ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
 أَيُّضًا بِأَثَارِ رُويْنَ حِسَانِ
 وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الْإِخْوَانِ
 وَاسْتَبَشَرُوا يَا لِدَّةِ الْفَرَحَانِ
 لُؤَا: رَبِّ رَاجِعُهُ إِلَى الْإِحْسَانِ
 هَذَا الْحَدِيثُ عَقِيبُهُ بِلِسَانِ
 أَخْزَى بِهَا عِنْدَ الْقَرِيبِ الدَّانِي
 مَحْبُوبٌ بِالْغُفْرَانِ وَالرَّضْوَانِ
 لِلْمُضْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلَانِ
 فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّنْكَ صَعْبُ الشَّانِ
 لُ بَنِي الزَّمَانِ لِنِغْلَظَةِ الْأَذْهَانِ
 وَصِفَاتِهَا لِلْإِلْفِ بِالْأَبْدَانِ
 أَتْرِيدُ تَنْقُضَ حِكْمَةَ الدِّيَانِ؟!

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله -:

- ٢٩٣٤- هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَا التَّسْلِيمِ مَنْ
 يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ

٢٩٣٥- مَا ذَاكَ مُحْتَصًّا بِهِ أَيضًا كَمَا قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

يعني: كون الرسول - عليه الصلاة والسلام - إذا سلم أحد عليه ردَّ الله عليه روحه فردَّ - عليه السلام -^(١) - وهذا الحديث أخرجه أبو داود - يقول ابن القيم: هذا ليس مختصًا به، بل قد قاله المبعوث بالقرآن، لكن ماذا قال المبعوث بالقرآن؟
قال:

٢٩٣٦- مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَاتَى بِتَسْمٍ لِيمٍ عَلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيْمَانٍ

٢٩٣٧- رَدَّ إِلَيْهِ عَلَيْهِ حَقًّا رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ رَدَّ بَيَانٍ

فقد روى ابن عبد البر^(٢) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ». قال ابن عبد البر: إسناده صحيح. لكن هذا الردُّ هل يقتضي أن يكون حيًّا كحياته على ظهر الأرض؟ الجواب: لا، بل هو حيٌّ حياةً برزخيةً لا نعلم كيفيتها.

أنت الآن في منامك حيٌّ لكنها حياة نوم، وهي وفاة، وفي القبر تكون حيًّا حياةً برزخيةً وأنت ميت، أي: وفاة، فالرُّوح لها شأنٌ عظيم في تعلُّقها بالبدن، لا أحد يدركه، فهذا الحديث صحيح، وإن كان بعض العلماء المتأخرين حمل عليه وقال: إنه ضعيفٌ ولا يصح.

(١) كما في حديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ». أخرجه أبو داود:

كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤١)..

(٢) انظر: الاستذكار (١/١٨٥).

ولا شكَّ أنَّهم أرادوا بهذا دفعَ كُلِّ شُبْهَةٍ يتعلَّقُ بها البطَّالون الذين يتعلَّقون بأصحاب القبور، ويقولون: إنَّهم يسمعون، وإننا نأتي إليهم نسألهم أن يشفعوا لنا عند الله، وما أشبه ذلك.

لكنَّ هذا لا يستلزم أن نُضَعِّفَ الأحاديثَ الصحيحةَ التي لا ترمي إلى هذا بصلَّةٍ، فكونُ الميت تُرَدُّ عليه رُوحُه ليرُدَّ السَّلامَ لا يستلزمُ أن تبقى رُوحُه حتَّى يخاطبه هذا المُسلَّمُ بكُلِّ ما يريد، والحديثُ إنما ورد بأنَّه يرُدُّ السَّلامَ فقط، فنقتصرُ على هذا، ونقول: بعد هذا لا يمكنُ أن يسمعَ شيئاً؛ لأنَّ الأصلَ فيما يُدعى من سماعِ أهل القبور الرجوعُ إلى السَّمْعِ؛ لأنه من الأمور الغيبية؛ فإذا كان الميتُ يسمعُ قرعَ نعالمهم إذا انصرفوا منه عند الدفن لم يلزمُ أن يكونَ يسمعُ ذلك إذا جاءوا إليه مرةً أخرى؛ لأنَّ الميتَ ميِّتٌ، ولا نُثبِتُ من أحواله إلَّا ما جاء به النَّصُّ.

فلو جاء أحدٌ إلى القبور وجعل يمشي بنعاله، فهل يمكنُ أن نقولَ: إنَّ أهل القبور يسمعون قرعَ النعال كما يسمعه مَنْ دُفِنَ؟ الجواب: لا، وهكذا كُلُّ الأمور الغيبية يجبُ أن يُقتصرَ فيها على النَّصِّ.

فنقول في درءِ مفسدةٍ تعلَّقَ أصحابُ القبور بحديثِ ردِّ الروح على المُسلَّمِ عليه ليرُدَّ على مَنْ سلَّم عليه؛ درءُ ذلك بأن نقولَ: إنَّ النَّصَّ إنما جاء في ردِّ السَّلام فقط، ولا تعلَّقَ لكم بما سوى ذلك؛ ولهذا جزم به ابنُ القيم -رحمه الله- هنا، ونقلَ عن ابن عبد البرِّ تصحيحَه في كتاب (الروح) ^(١) ولم يتعقَّبَه.

٢٩٢٨- وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ لَمَّا يَصِحُّ وَظَاهِرُ النُّكْرَانِ

(١) انظر: كتاب الروح (ص: ١٢).

٢٩٣٩- فَانظُرْ إِلَى الْإِنْسَانِ تَعْرِفَ حَالَهُ إِنَّ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ
قَوْلُهُ: «وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ» وهو حديث: «الأنبياءُ أحياءٌ في
قُبُورِهِمْ»^(١)، لكن ابن القيم يقول: إنه ليس بصحيح، وإنه لا يلزم من ردِّ الروح
عند السَّلام أن تكون مستقرَّةً في البدن دائماً.

٢٩٤٠- هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ: هُمْ أَحْيَاءٌ لَكِ كِنِ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الْأَبْدَانِ

٢٩٤١- وَالرُّبُّ تَحْتَهُمْ وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ وَعَنِ السَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيَّامِ

٢٩٤٢- مِثْلَ الَّذِي قَدْ قَلْتُمُوهُ مَعَاذَنَا بِاللَّهِ مِنْ إِفْكِ وَمِنْ بُهْتَانِ

يعني أننا نقول: هم أحياء، لكن هل نقول: إنهم أحياء كحياتنا والترُّب
تحتهم، وفوق رؤوسهم، وعن السَّمَائِلِ، ثُمَّ عَنْ أَيَّامِ، مثل الذي قد قلتموه؟! لأنَّ
هؤلاء يقولون: إنهم أحياء كحياة الدنيا، فنحن نقول: هم أحياء لكن ليس كحياة
الدنيا، (مَعَاذَنَا بِاللَّهِ مِنْ إِفْكِ وَمِنْ بُهْتَانِ).

٢٩٤٣- بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمْ تَعَالَى مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ فِي الْقُرْآنِ

كُلُّ هذا يريد أن يرَدَّ عليهم، حيث قال في أوَّل الكلام: إنَّه يلزم على قولهم
أنَّ الرُّسُلَ في قبورهم ليسوا برسلٍ، لماذا؟ قالوا: لأنَّ الحياةَ عَرَضٌ من أعراض
الجسم، ومعلومٌ أنه لا رسالةَ إِلَّا بحياء، فإذا كانت الحياةَ عَرَضًا وفُقدت بالموت
لزم من ذلك فَقْدُ الرِّسَالَةِ.

هم دفعوا هذا، وقالوا: إنَّ الأنبياءَ أحياءٌ، فقلنا لهم: هم أحياء لكن ليست

(١) أخرجه أبو يعلى (١٤٧/٦، رقم ٣٤٢٥)، والديلمي (١١٩/١، رقم ٤٠٣)، وقال الحافظ في
الفتح (٤٨٧/٦): أخرجه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء في قبورهم وصححه.

حياتهم كحياة الدنيا، بل هي حياة برزخيَّة، وعلى هذا فإنه لا يُمكنكم دَفْعُ ما قلناه من إلزامكم ببطلان الرِّسالة بموت الرسول؛ لأنَّ الحياة في البرزخ غيرُ الحياة في الدنيا، لكنَّه يقولُ:

٢٩٤٤- لَكِنْ حَيَاتُهُمْ أَجَلٌ وَحَالُهُمْ أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الْإِحْسَانِ

الحياة البرزخيَّة أعلى وأكمل من الحياة الدنيا، وكذلك مقامُ الأنبياء في الآخرة أعلى وأكمل عند الله عزَّ وجلَّ، فالإنسان إذا فارقت رُوحه بدنه في الدنيا مات، وانتقل من الدنيا بما فيها من الكدِّ والصَّفْو، والنعيم والبؤس، إلى دار النعيم؛ لأنَّ المؤمنَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ^(١)، ويأتيه من رُوحها ونيعمها وَيُسْرٌ؛ ولهذا تقولُ رُوحه عند حملة: «قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي»^(٢)؛ لأنها قد بُشِّرَتْ بنعيم أعلى من نعيم الدنيا بكثير، نسأل الله أن يجعلني وإيَّاكم منهم؛ فلهذا اختلفَ الحالُ، فحياة البرزخ وحياة الدنيا بينهما فرقٌ عظيمٌ.

٢٩٤٥- هَذَا وَأَمَّا عَرَضُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ دَعَلِيهِ فَهَوَ الْحَقُّ ذُو إِمْكَانٍ

٢٩٤٦- وَآتَى بِهِ أَثْرًا فَإِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ سُبُّ بِهِ فَحَقُّ لَيْسَ ذَا نِكْرَانٍ

عرضُ أعمالِ العباد على الرسول^(٣) - عليه الصلاة والسلام - يقولُ المؤلفُ: «حقُّ ذو إمكاني» لكن إن صحَّ الحديثُ فعرضُ الأعمالِ على الرسول ممكنٌ عقلاً، لكن يبقى النظرُ هل صحَّ سمعاً أم لم يصحَّ؟ ولهذا فقوله: «فَهُوَ الْحَقُّ ذُو إِمْكَانٍ»

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب كلام الميت على الجنائز، رقم (١٣١٤).

(٣) عزاه السيوطي في جامع الأحاديث (١١/٢٩٢، رقم ١٠٨٠٨) للحكيم، وقال الألباني في

ضعيف الجامع الصغير (٢٤٤٦): موضوع.

يعني: ليس مستحيلاً عقلاً؛ فإنَّ صَحَّ الأثرُ فإنه حقٌّ.

وقول المؤلف: «إِنْ صَحَّ» هذا طعنٌ في الحديث وتوقُّفٌ في صحته، وعليه فإنَّ كلامَ الشَّارحِ الهَرَّاسِ^(١) - رحمه الله - على ابنِ القَيِّمِ في هذا المقام فيه نظرٌ؛ لأنَّ ابنَ القَيِّمِ لم يصحح الحديث، بل قال: «إِنْ صَحَّ الحديثُ بِهِ فحقٌّ» والذي يقول: «إِنْ صَحَّ» هل هو كالذي يقول: قد صَحَّ؟ الجواب: أبداً، بل إنَّ هذا طعنٌ وعِلَّةٌ في الحديث.

٢٩٤٧- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصَّاً بِهِ أَيْضاً بِأَثَارِ رُوَيْنَ حَسَانَ
يعني: إذا صَحَّ فهو ممكنٌ، وأيضاً ليس بمختصٍّ به، بل تُعْرَضُ الأعمالُ على غير الرسولِ - عليه الصلاة والسلام -؛ ولذا قال:

٢٩٤٨- فَعَلَى أَبِي الْإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الْإِخْوَانِ

٢٩٤٩- إِنْ كَانَ سَعْيًا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ وَاسْتَبَشَرُوا يَا لَذَّةِ الْفَرْحَانِ

٢٩٥٠- أَوْ كَانَ سَعْيًا سَيِّئًا حَزَنُوا وَقَالُوا: رَبِّ رَاجِعْهُ إِلَى الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «فَعَلَى أَبِي الْإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ» يعني: أنَّ أبا الإنسان يُعْرَضُ سَعْيُ ابنه عليه في قبره بعد مماته، يعني: يُعْرَضُ عمله.

أشار المؤلفُ إلى أنَّ هناك آثاراً تدلُّ على أنَّ أعمالَ الإنسان تُعْرَضُ على أبيه وعلى أقاربه، فإنَّ كان حسناً فَرِحُوا واستبشروا، وإنَّ كان سيئاً حَزَنُوا لذلك، وسألوا الله أن يردَّه إلى الأعمالِ الصالحة^(٢).

(١) انظر: شرح القصيدة النونية (٢/٢٤)، للشَّيخِ محمد خليل هَرَّاس - رحمه الله -.

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٦٤، رقم ١٢٧٠٦).

لكنَّ الظاهرَ أنَّ هذه الأحاديثَ وإن كانت حساناً عنده لكنَّها لا تصحُّ؛ وذلك لأنَّ أعمالَ العباد التي لا ليس لها صلةٌ بالميت لا فائدةٌ من عرضها على الميت؛ لأنها إذا كانت سيئةً فسوف يحزنُ ويتألمُ، وإنما قلنا: (التي لا صلة لها بالميت) احترازاً من البكاء على الميت، فإنَّ البكاءَ على الميت يُعذِّبُ به الميتُ، ويتألمُ منه كما يتعذَّبُ المسافرُ بالسفر؛ كما صحَّ في الحديث: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»^(١)، «وَبِأَنْبِئِهِ عَلَيْهِ»^(٢) أما كونُ الأعمالِ تُعرَضُ على الأموات في القبور فهذا فيه نظرٌ.

والذي يظهرُ أنَّ الأحاديثَ كُلَّها لا تصلُّ إلى درجة الحسن كما قال ابنُ القيم -رحمه الله-، يعني أنَّ ابنَ القيم يرى أنَّ هذه الآثارَ تصلُّ إلى درجة الحسن، والظاهرُ خلاف ذلك.

٢٩٥١- وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَقِيْبَهُ بِلِسَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِذَا» أَي: وَلِأَجْلِ كَوْنِ أَعْمَالِ الْقَرَابَةِ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِهِمْ اسْتِعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَقِيْبَهُ، يَعْنِي أَنَّ الصَّحَابِيَّ الَّذِي رَوَى حَدِيثَ عَرْضِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ عَلَى أَقَارِبِهِ اسْتِعَاذَ لَمَّا ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ:

٢٩٥٢- يَارَبِّ إِنِّي عَائِذٌ مِنْ خِزْيَةِ أَخْزَى بِهَا عِنْدَ الْقَرِيبِ الدَّانِي

اسْتِعَاذَ بِاللَّهِ أَنْ يُخْزَى عِنْدَ قَرِيبِهِ، وَقَرِيبُهُ يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه». إذا كان النوح من سنته، رقم (١٢٨٦)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (٩٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم (١٢٣٠)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (٩٢٧).

٢٩٥٣- ذَاكَ الشَّهِيدُ الْمُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ أُلِّمَ مَحَبَّةً بِالْغُفْرَانِ وَالرَّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «ذَاكَ الشَّهِيدُ» الإِشَارَةُ إِلَى الْقَرِيبِ الدَّانِي.

والقائل هو أبو الدرداء، وكلام الهَرَّاس - رحمه الله - في هذا الموضوع فيه نظر؛ لأنه ذكر أن الذي استعاذ هو ابنُ رَوَاحَةَ، وليس كذلك؛ إنما الذي استعاذ أبو الدرداء، اسْتَعَاذَ مَنْ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا سَيِّئًا يُحْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)؛ لأنه كان من أقاربه؛ ولهذا يقول: (ولذا استعاذ من الصحابة من روى هذا الحديث عَقِيْبُهُ) متعلِّقٌ بـ(استعاذ) فالذي استعاذ هو أبو الدرداء.

٢٩٥٤- لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي لِلْمُصْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ هَذَا» الْمَشَارُ إِلَى عَرْضِ الْأَعْمَالِ عَلَى الْأَمْوَاتِ سِوَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ هَذَا مَخْتَصٌّ بِالْأَقْرَابِ، فَعَرْضُ الْأَعْمَالِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ مَخْتَصٌّ بِالْأَقْرَابِ، إِنْ صَحَّتِ الْآثَارُ، أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَالْعَرْضُ عَلَيْهِ يَكُونُ عَامًّا مِنْ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ.

والخلاصة أن أهل التعطيل استدلوا على حياة النبي ﷺ في قبره بأن الأعمال تُعْرَضُ عَلَيْهِ، فابنُ القَيْمِ - رحمه الله - يقول: هذا الحديث إن صحَّ فهو ممكن، ومع هذا فلا يلزم أن تكون حياته كحياة الدنيا، ثمَّ قال: وليس هذا خاصًا بالرسول؛ فَإِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرَابِهِمْ، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَ عَرْضِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ عَلَى الْأَقْرَابِ وَبَيْنَ عَرْضِ أَعْمَالِ الْأُمَّةِ عَلَى الرَّسُولِ بِأَنَّ عَرْضَ أَعْمَالِ الْأُمَّةِ عَلَى الرَّسُولِ عَامٌّ، وَعَرْضَ أَعْمَالِ الْأَقْرَابِ خَاصٌّ بِالْأَقْرَابِ.

(١) يعني حديث أبي الدرداء: «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ مَوْتَاكُمْ، فَيَسْرُونَ وَيَسَاءُونَ». وكان أبو الدرداء يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا يُحْزَى بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ». أخرجه ابن المبارك في الزهد (٤٢/٢).

٢٩٥٥- هَذِي نِهَائَاتٌ لِإِقْدَامِ الْوَرَى فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ
المؤلف - رحمه الله - بعد أن ذكر هذا قال: إن هذا ما انتهت إليه أقدام الناس
في هذا الزمان الضنك الصعب الدقيق.

٢٩٥٦- وَالْحَقُّ فِيهِ لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُوبَةُ بَنِي الزَّمَانِ لِغِلْظَةِ الْأَذْهَانِ
يعني: لأن أذهانهم غليظة لا تتحمل الأشياء الدقيقة والفروق الدقيقة،
فنحن الآن فرّقنا بين حياة الدنيا وحياة البرزخ، ونفرّق أيضًا بين حياة البرزخ
وحياة القيامة؛ فإنّ بينهما فرقًا عظيمًا كبيرًا؛ لأنّه في حياة القيامة تعودُ الرُّوحُ إلى
الجسد عودًا كاملًا، ويبقى الجسد متحرّكًا، لكن في الحياة البرزخية عودُ الرُّوحِ إلى
البدن ليس كاملًا، ولذلك لا يتحرّك البدن ولا يتغيّر عن حاله، أمّا في الآخرة فإنّ
عودَ الرُّوحِ إلى البدن عودٌ كاملٌ حقيقيٌّ، يتحرّك البدن، ويمشي الناس، ويكون
الناس أجسامًا بأرواح.

٢٩٥٧- وَلِجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعَ أَحْكَامِهَا وَصِفَاتِهَا لِلْإِلْفِ بِالْأَبْدَانِ
يعني: ولأنّ عقول بني الزمان يجهلون بالروح وأحكامها؛ ولهذا اختلفوا في
الروح، ما هي الروح؟ على خلاف كثير، وأحكام الروح وتعلّقاتها بالبدن أيضًا
اختلفوا فيها اختلافًا كثيرًا؛ لأنهم إنما ألفوا الأبدان وأحكامها، أمّا الأرواح فهم
عنها بمعزّل؛ ولهذا قال:

٢٩٥٨- فَارْضَ الَّذِي رَضِيَ الْإِلَهَ لَهُمْ بِهِ أَتْرِيدُ تَنْقُضَ حِكْمَةَ الدِّيَانِ؟!
معناه: ارض بحالهم، وتكلّم معهم على مقتضى حالهم.

قوله: «أتريدُ تنقضُ حكمةَ الديان؟!» الجواب: لا، فلا أحد يريد ذلك،

والله عزَّ وجلَّ حكيمٌ يَهَبُ فضلَهُ مَنْ يَشَاءُ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْطِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا تَتَبَّيَّنُ لَهُ بِهَا الْأَشْيَاءُ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ غَلِيظَ الطَّعْمِ مَتِينِ الذَّهْنِ، لَا يَفْهَمُ الْفُرُوقَ وَلَا يَعْرِفُهَا.

- ٢٩٥٩- هَلْ فِي عُقُولِهِمْ بِأَنَّ الرُّوحَ فِي
أَعْلَى الرَّفِيقِ مُقِيمَةٌ بِحِنَانِ
٢٩٦٠- وَتَرُدُّ أَوْقَاتَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنْ
أَتْبَاعِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ؟
٢٩٦١- وَكَذَلِكَ إِنْ زُرْتَ الْقُبُورَ مُسَلِّمًا
رُدَّتْ لَهُمْ أَرْوَاحُهُمْ لِأَنَّ
٢٩٦٢- فَهُمْ يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَيْكَ لَكِنْ
كَانَتْ تَسْمَعُهُ بِذِي الْأُذُنَانِ
٢٩٦٣- هَذَا وَأَجْوَابُ الطُّيُورِ الْخَضِرِ مَنْ
كُنْهَا لَدَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
٢٩٦٤- مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلَهُ هَذَا فَلَا
تَظْلِمُهُ وَاعْذُرُهُ عَلَى التُّكْرَانِ
٢٩٦٥- لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَيْرُ ذِي الْأَجْسَامِ لَا
تُهْمِلُهُ شَأْنُ الرُّوحِ أَعْجَبُ شَأْنِ
٢٩٦٦- وَهُوَ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِيهِ فَلَمْ
يَعْرِفْهُ غَيْرُ الْفَرْدِ فِي الْأَزْمَانِ
٢٩٦٧- هَذَا وَأَمْرٌ فَوْقَ ذَلِكَ لَوْ قُلْتُهُ
بَادَرْتَ بِالْإِنْكَارِ وَالْعُدْوَانِ
٢٩٦٨- فَلِذَلِكَ أَمْسَكْتُ الْعِنَانَ وَلَوْ أَرَى
ذَلِكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي الْمَيْدَانِ
٢٩٦٩- هَذَا وَقَوْلِي أَنَّهُا مَخْلُوقَةٌ
وَحُدُوثُهَا الْمَعْلُومُ بِالْبُرْهَانِ
٢٩٧٠- هَذَا وَقَوْلِي أَنَّهُا لَيْسَتْ كَمَا
قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ
٢٩٧١- لَا دَاخِلٌ فِينَا وَلَا هِيَ خَارِجٌ
عَنَّا كَمَا قَالُوهُ فِي الدِّيَانِ

- ٢٩٧٢- وَاللَّهُ لَا الرَّحْمَنَ أَنْبَأْتُمْ وَلَا
أَزْوَاحَكُمْ يَا مُدَّعِي الْعِرْقَانِ
- ٢٩٧٣- عَطَلْتُمْ الْأَبْدَانَ مِنْ أَزْوَاحِهَا
وَالْعَرْشَ عَطَلْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

الشرح

يَبِّنَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - أَنَّ شَأْنَ الرُّوحِ لَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِيهِ؛ لِأَنَّ شَأْنَهَا
أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَدْرِكَهُ الْعُقُولُ؛ وَهَذَا قَالَ:

- ٢٩٥٩- هَلْ فِي عُقُولِهِمْ بِأَنَّ الرُّوحَ فِي
أَعْلَى الرَّفِيقِ مُقِيمَةٌ بِجَنَانِ
- ٢٩٦٠- وَتَرُدُّ أَوْقَاتَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنْ
أَتْبَاعِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ؟

يعني بذلك أَنَّ رُوحَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، كَمَا كَانَ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ
صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(١)، وَمَعَ ذَلِكَ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الرُّوحَ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ إِلَى مَكَانِهِ فِي الْقَبْرِ وَبِلَحْظَةٍ؛ لِأَنَّ شَأْنَ
الرُّوحِ عَظِيمٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَاسَ بِشَأْنِ الْجِسْمِ الْكَثِيرِ، فَشَأْنُهَا عَظِيمٌ لَا يَدْرِكُهُ
الْعَقْلُ إِطْلَاقًا.

- ٢٩٦١- وَكَذَلِكَ إِنْ زُرْتَ الْقُبُورَ مُسَلِّمًا
رُدَّتْ لَهُمْ أَزْوَاحُهُمْ لِأَنَّ

يعني: عِنْدَ سَلَامِكَ إِذَا مَرَرْتَ فَقُلْتَ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) رَدَّ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ فَرَدُّوا عَلَيْكَ السَّلَامَ؛ وَهَذَا قَالَ:

- ٢٩٦٢- فَهُمْ يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَيْكَ لَـ
كِنْ لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الْأَذْنَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم (٤١٧٢)، ومسلم: كتاب
السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١).

قَوْلُهُ: «لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الْأُذُنَانِ» يعني: لا تسمعه، وهذا معلومٌ، لكن هم يسمعون؛ ولهذا تقول: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ) بحرف الخطاب (دار قوم مؤمنين).

وزعم بعض العلماء أَنَّ الْخِطَابَ هُنَا يُرَادُ بِهِ خِطَابُ الْحَاضِرِ، لَا الْفَاهِمِ، وَأَنَّهُ كَقَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْحَجَرِ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ»^(١)، فَقَالَ: «أَنَّكَ» بكاف الخطاب، ومعلومٌ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ خِطَابُهُ؛ لِأَنَّهُ حَجَرٌ، قَالَ: فَخِطَابُ هَؤُلَاءِ الْمَوْتَى بِقَوْلِكَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» كَخِطَابِ عُمَرَ لِلْحَجَرِ بِقَوْلِهِ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ»، وَلَكِنْ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَاسَ الْمَوْتَى بِالْحَجَرِ، فَالْمَوْتَى أَبْدَانٌ لَهَا أَرْوَاحٌ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ يَرُدُّ رُوحَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ فَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ يَرُدَّ أَرْوَاحَ هَؤُلَاءِ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُ لِيَرُدُّوا عَلَيْهِ؟! وَلَكِنْ لِيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الرَّدَّ لَيْسَ رَدًّا تَكْلِيفِيًّا، يَعْنِي: أَنَّهُ لَيْسَ يَثَابُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ «إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ»^(٢)، لَكِنَّ الْفَائِدَةَ مِنْهُ لِلْحَيِّ الْمُسْلِمِ، حَيْثُ يَقُولُونَ: (عَلَيْكَ السَّلَام).

وليس معنى أنهم يردُّون السَّلَامَ أَنْ نَذْهَبَ إِلَيْهِمْ وَنَوَاسِنَهُمْ، وَنُحَدِّثَهُمْ، نَقُولُ مِثْلًا: الْيَوْمَ حَصَلَ فِي الْبَلَدِ الْفُلَانِي كَذَا، حَصَلَ فِيضَانَاتٌ، حَصَلَ اضْطِرَابَاتٌ، فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ، وَلَا أَظُنُّ هَذَا يَثْبُتُ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْأَمْوَاتَ لَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ إِلَّا بَرْدَ السَّلَامِ فَقَطْ.

فَأَرَى أَنَّ هَذَا يُقَيَّدُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَكَثْرَةُ التَّرْدَادِ عَلَى الْأَمْوَاتِ رَبْمَا تُخْلَلُ بِالْإِنْسَانِ عَقْلِيًّا؛ لِأَنَّهُ مَعَ كَثْرَةِ التَّرْدَادِ رَبْمَا تَنْفَعُلُ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ فِي عَالَمٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧). ومسلم: كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

الأموات فيتأثر بهذا، ثُمَّ هل كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يزور المقبرة كلَّ يوم؟ إذا كان يزورها فعلى العين والرأس.

٢٩٦٣- هَذَا وَأَجْوَابُ الطُّيُورِ الْخُضْرِ مَسْدُ كُنْهَآ لَدَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ

أرواح المؤمنين في أجواف طيور خضر، وهم الشهداء عند الله -سبحانه وتعالى-، فهي في هذه الأجواف كرامة لها.

٢٩٦٤- مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلُهُ هَذَا فَلَا تَظْلِمُهُ وَاعْذُرْهُ عَلَى النُّكْرَانِ

وهذا صحيح، فالإنسان عدو ما لا يعرف، فإذا كانت عقول هؤلاء لا تتحمل هذه المعاني ولا يمكنها أن تجمع بين هذا وهذا فلا تظلمه واعذره على النكران.

ومراد المؤلف -رحمه الله- بهذا: تهوين شأن هؤلاء والخط من قدرهم، يعني أنهم ليسوا أهلاً لأن يُدركوا الجمع بين هذه النصوص، وإنما هم بُلَّةٌ فاعذرهم على بلاهتهم، وليس المراد أن لهم عذراً في عدم التصديق بالنصوص، بل هم غير معذورين، لكن إذا كانوا بُلَّةً لا يستطيعون الجمع بين ما ورد فهوؤلاء معذورون كما يُعذَرُ الطفل.

٢٩٦٥- لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَيْرُ ذِي الْأَجْسَامِ لَا تُهْمَلُهُ شَأْنُ الرُّوحِ أَعْجَبُ شَأْنِ

٢٩٦٦- وَهُوَ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِيهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ غَيْرُ الْفَرْدِ فِي الْأَزْمَانِ

من الذي يعرفه؟ الفرد في الأزمان هو الذي أقر بما جاء به الرسول ﷺ في شأن الأرواح؛ لأنه عرفه من طريقه الصحيح، وهو طريق الوحي؛ إذ إنه لا مدخل للعقول فيه.

٢٩٦٧- هَذَا وَأَمْرٌ فَوْقَ ذَا لَوْ قُلْتُهُ بَادَرْتَ بِالْإِنْكَارِ وَالْعُدْوَانِ

٢٩٦٨- فَلِذَاكَ أَمْسَكْتُ الْعِنَانَ وَلَوْ أَرَى ذَاكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي الْمَيْدَانِ

يقول: هناك شيء فوق الذي ذكرت، ولو قلته لبادرت بالإنكار؛ لأنه فوق مستواك، ويقول: فلذاك أمسكت العنان، ونقول: ليته أعلمنا به - رحمه الله -.

قوله: «ولو أرى ذاك الرفيق» يعني: لو أرى أحداً يكون رفيقاً لي في فهم ما أقول جريت في الميدان، ولكنه لا يرى أحداً يجاريه على ما فهم من النصوص؛ فلهذا أمسك عن الخوض والقول؛ لأنه يرى أن عقول هؤلاء لا تبلغه، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»^(١)؛ لأنه إذا لم يتحمّله عقله، فإنه يبادر إلى الإنكار فيكون في هذا فتنة.

٢٩٦٩- هَذَا وَقَوْلِي أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَحُدُوثُهَا الْمَعْلُومُ بِالْبُرْهَانِ

قوله: «هذا وقولي أنها مخلوقة» (أنها) يتعين الفتح؛ لأن (أنها) خبر (قول) وليست مقول القول، و(إن) إنما تُكسّر إذا كانت مقول القول، وهنا هي خبر، يعني: (هذا وأقول: إنها مخلوقة) هذا معنى الكلام.

قوله: «وقولي أنها مخلوقة» أي: كونها مخلوقة هو قولي الذي أقول به وأدين الله به.

قوله: «وحديثها المعلوم بالبرهان» يعني أن الأرواح مخلوقة حادثه، لكن متى تُخلق؟ الظاهر - والله أعلم - أنها تُخلق حين يُريد الله - سبحانه وتعالى - نفخها في الجسد؛ لأننا لا نعلم لها حالاً قبل ذلك كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه «إِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَنْفُخُ فِيهِ

(١) أخرجه مسلم: المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

الرُّوح»^(١)، فالظاهر أن الأرواح تُخلَق عند نفخ الروح في الجسد؛ لأنه قبل ذلك ليس لها ذِكْرٌ، قال تعالى: ﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، إذنٌ فهي حادثةٌ مخلوقةٌ، خلافًا لِمَن قال بِقَدَمِهَا.

٢٩٧٠- هَذَا وَقَوْلِي أَنَّهُ لَيْسَتْ كَمَا قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ

٢٩٧١- لَا دَاخِلٌ فِيْنَا وَلَا هِيَ خَارِجٌ عَنَّا كَمَا قَالُوهُ فِي الدِّيَانِ

يعني: وكذلك أقول: ليست الروحُ كما قال أهل الإفك والبُهتان: «لا داخلٌ فينا ولا هي خارجٌ عنَّا كما قالوه في الدِّيَانِ» سبحانه الله!

يقول: الروحُ ليست داخلَ العالم، ولا خارجَ العالم، كما أن الله ليس داخلَ العالم ولا خارجَ العالم، إذنٌ أين تذهبُ الروحُ؟ إذا كانت الروحُ لا داخلَ العالم ولا خارجَه فأين تذهبُ؟! إذنٌ هي عدمٌ، وأيضًا قولهم: الرحمنُ ليس بداخل العالم ولا خارجَه إذنٌ هو أيضًا عدمٌ؛ ولهذا قال:

٢٩٧٢- وَاللَّهُ لَا الرَّحْمَنَ أَتَّبَتُمْ وَلَا أَرْوَاحَكُمْ يَا مُدَّعِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ لَا الرَّحْمَنَ أَتَّبَتُمْ» لماذا لم يُتَّبِتُوا الرحمن؟ لأنهم يقولون: إنَّ الله لا داخلَ العالم ولا خارجَه.

قَوْلُهُ: «وَلَا أَرْوَاحَكُمْ» ولا أرواحهم؛ لأنهم يقولون: لا داخلَ العالم ولا خارجَ العالم، سبحانه الله!

قَوْلُهُ: «يَا مُدَّعِي الْعِرْفَانِ» ما أبلغَ هذا التهكُّمَ بهم! تهكُّمٌ شديدٌ، وهذا كما

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣٢)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٣).

قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] إن هذا من باب التهكم الذي يُرادُ به الإهانة التامة.

إن أحدهم يقول: والله إنَّ رُوحِي لا داخَلَ العالم ولا خارِجَه، فنقول: أليست بجسمك الآن؟ هل أنت لا داخَلَ العالم ولا خارِجَه؟ فأنت الآن لا عرفتَ اللهَ ولا عرفتَ نفسك، ومع ذلك تدَّعي أنت أنك صاحبُ الفلسفة، وصاحبُ الحكمة، وصاحبُ العقل، وصاحبُ النظر، ولهذا يُسمُّون أنفسهم النُّظَّارَ، جمع (ناظر) يعني أنهم هم أهلُ النظر والمعرفة، وهذا مُنتهى عقولهم.

٢٩٧٣- عَطَلْتُمُ الْأَبْدَانَ مِنْ أَرْوَاحِهَا وَالْعَرْشَ عَطَلْتُمُ مِنَ الرَّحْمَنِ

الأبدان عطلوها من الأرواح؛ لأنه إذا كانت رُوحُ الإنسان لا داخَلَ ولا خارِجَ العالم فمعناه أن جسده ليست به رُوحٌ، وإذا كان الرحمن لا داخَلَ العالم ولا خارِجَه فمعناه: أنه ليس هناك رحمنٌ على العرش.

لكن هل الأولى التوقُّف في مسألة الروح أو الأولى إذا بدا له شيءٌ واستنباطٌ من الكتاب والسُّنة أن يقولَ به؟

نقول: الواجبُ على مَنْ بدا له شيءٌ من الكتاب والسُّنة أن يعتقده، أمَّا نشرُه بين الناس فهذا يُنظرُ فيه للمصلحة، فقد يكونُ من المصلحة أن تُبقي الناسَ على ما هم عليه من فطرهم، وتدعَ هذا الخوضَ والتفاصيلَ في هذا الشيء، وقد يكونُ من المصلحة أن تُبيِّنَ، فإذا كُنَّا وسط قومٍ قد صار عندهم بحثٌ في حقيقة الروح وكيفيتها، وما أشبه ذلك، فالواجب أن تُبيِّنَ هذه الأشياء، ولا سيما إذا كنت ترى مثلاً أن هؤلاء يتكلمون فيها بباطل، أمَّا إذا كنت عند قومٍ لم يعرفوا إلا ما فطروا عليه على وجه الإجمال فقد يكونُ في التفصيل فتنةٌ.

فصل

فِي كَسْرِ الْمَنْجَنِيقِ الَّذِي نَصَبَهُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ عَلَى مَعَاقِلِ الْإِيمَانِ وَحُصُونِهِ (١)

جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ

- ٢٩٧٤ - لَا يُفْرِزَنَّكَ قَعَاقِعُ وَفَرَاقِعُ وَجَعَاجِعُ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
 ٢٩٧٥ - مَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ يَهْوُلُكَ غَيْرُ ذَا
 ٢٩٧٦ - وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوهُ التَّرْكِيبَ مَنْ
 ٢٩٧٧ - أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْجَنِيقَ فَإِنَّهُمْ
 ٢٩٧٨ - بَلَغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ فَهَدَّتِ (٢) الْأُ
 ٢٩٧٩ - اللَّهُ كَمْ حِصْنٍ عَلَيْهِ اسْتَوْلَتْ أَلِ
 ٢٩٨٠ - وَاللَّهُ مَا نَصَبُوهُ حَتَّى عَبَّرُوا (٣)
 ٢٩٨١ - وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ قَوْمًا بَيْنَ أَهْ
 ٢٩٨٢ - وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابُ أَهْ
 ٢٩٨٣ - فَتَرَكَّبَتْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَوَفَاقٍ مَنْ
 وَجَعَاجِعُ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
 كَ الْمَنْجَنِيقِ مُقَطَّعِ الْأَرْكَانِ
 صُوبًا عَلَى الْإِبْطَاتِ مُنْذُ زَمَانِ
 نَصَبُوهُ تَحْتَ مَعَاقِلِ الْإِيمَانِ؟
 سُرْفَاتٍ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ
 كُفَّارٌ مِنْ ذَا الْمَنْجَنِيقِ الْجَانِي!
 قَصْدًا عَلَى الْحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 لِ الْحِصْنِ وَاطْوَاهُمْ عَلَى الْعُدْوَانِ
 لِ الْحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الْكُفْرَانِ
 فِي الْحِصْنِ أَنْوَاعٌ مِنَ الطُّغْيَانِ

(١) في نسخة التيمورية: «وخصومه» بالخاء المعجمة.

(٢) في نسختي ابن سحمان: «فهزت» بالزاي المعجمة.

(٣) في نسخة برلين والإفتاء والتيمورية وابن سحمان: «غبروا» بغير بعدها ياء معجمتين.

- ٢٩٨٤- وَجَرَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ
مَنْ ذَيْنِ تَقْدِيرًا مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٢٩٨٥- وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ دِينَهُ الرُّ
رَحْمَنُ كَانَ كَسَائِرِ الْأَدْيَانِ
- ٢٩٨٦- لَكِنْ أَقَامَ لَهُ الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ
يَزَكَّا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
- ٢٩٨٧- فَرَمَوْا عَلَى ذَا الْمَنْجِنِيقِ صَوَاعِقًا
وَحَجَارَةً هَدَّتْهُ لِلْأَرْكَانِ
- ٢٩٨٨- فَاسْأَلْهُمْ مَا ذَا الَّذِي يَعْنُونَ بِالتَّ
تَرْكِيْبِ فَالتَّرْكِيبُ سِتُّ مَعَانٍ؟
- ٢٩٨٩- إِحْدَى ^(١) مَعَانِيهِ هُوَ التَّرْكِيبُ مِنْ
مُتَبَايِنٍ كَتَرَكَّبِ الْحَيَوَانَ
- ٢٩٩٠- مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، كَذَا أَعْضَاؤُهُ
قَدْرُكِبْتُ مِنْ أَرْبَعِ الْأَرْكَانِ
- ٢٩٩١- أَفَلَا زِمْنَا لِلصِّفَاتِ لِرَبِّنَا
وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ؟
- ٢٩٩٢- وَلَعَلَّ جَاهِلِكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتًا:
ذَا لَازِمَ الْإِثْبَاتِ بِالْبُرْهَانِ
- ٢٩٩٣- فَالْبُهْتُ عِنْدَكُمْ رَخِيصٌ سِعْرُهُ
حَنُوبًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ

الشرح

يقول المؤلف: «فصل في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الإيمان وحصونه جيلًا بعد جيل» المنجنيق والمنجنيق هو آلة حربية تستعمل في القتال تُشبه ما يسمّى الآن بالمدافع، والمراد بالمنجنيق هنا هو التركيب الذي جعله أهل التعطيل مُستندهم، وقالوا: إنَّ إثبات الصفات يستلزم التركيب، والتركيب ممتنع؛ لأنه يستلزم الحدوث من وجه، وافتقار المركب إلى ما معه من المركب، وإذا

(١) في نسخة التيمورية: «أهدى».

كان اللازم باطلاً كان المزوم باطلاً؛ فلذلك لا تُثبِت الصفاتِ خوفاً من التركيب.

قال المؤلف - رحمه الله -:

٢٩٧٤- لَا يُفْرِزَنَّكَ قَعَاقِعٌ وَفَرَاقِعٌ وَجَعَاجِعٌ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «لَا يُفْرِزَنَّكَ قَعَاقِعٌ وَفَرَاقِعٌ» القَعَقَعَةُ: هي صوتُ الجِلْدِ اليابس وما أشبَهَهُ يَقَعَعُ.

والفراقع: هي صوتٌ أضعفُ من هذا، ومنه قولهم: (فرقة الأصابع).

والجعاجع: بالقول، أو هو الصوت، ومنه قولهم: «تَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا تَرَى طِحْنًا».

يقول: هذه الأصواتُ مِنَ الْفَرَاقِعِ وَالْقَعَاقِعِ وَالْجَعَاجِعِ كُلُّهَا عَارِيَةٌ عَنِ الْبُرْهَانِ.

٢٩٧٥- مَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ يَهْوُلُكَ غَيْرُ ذَاكَ الْمَنْجَنِيقِ مُقَطَّعِ الْأَرْكَانِ

يعني أنه منجنيقٌ، لكنّه ليس له أركانٌ فلا يُثْبِتُ.

٢٩٧٦- وَهُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ التَّرْكِيبَ مَنْدُ صُوبًا عَلَى الْإِثْبَاتِ مُنْذُ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «يَدْعُونَهُ التَّرْكِيبَ» يعني: يُسَمُّونَهُ التَّرْكِيبَ، هذا هو الذي عندهم، فيقول ابنُ القيم:

٢٩٧٧- أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْجَنِيقَ فَإِنَّهُمْ نَصَبُوهُ تَحْتَ مَعَاقِلِ الْإِيمَانِ؟

قَوْلُهُ: «معاقل» المَعَاقِلُ: جمع (مَعْقِل)، وهو المكانُ الذي ينعقلُ به الإنسانُ ويتحصَّنُ به.

يقول: أَخْبِرْنِي عن هذا المنجنيق فَأَتَمُّهم نصبوه على أي شيء؟ الجواب: نصبوه تحت معاقل الإيمان.

٢٩٧٨- بَلَّغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ فَهَدَّتِ الْشُرَفَاتِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ قَوْلُهُ: «بَلَّغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ» يعني: أنه يبلغ، وليس منجنيقًا سهلاً، لكن سَيِّبِئِ الْمَوْلَفُ - رحمه الله - أن أثره ضعيفٌ.

٢٩٧٩- اللَّهُ كَمْ حِصْنٍ عَلَيْهِ اسْتَوْلَتْ الْكُفَّارُ مِنْ ذَا الْمَنْجَنِيقِ الْجَانِي!

هذا الحصن الذي نصبوه على معاقل الإيمان صار سُلَّمًا للكفار يُنكرون به ما ثبت بالتواتر، فمثلاً أهل التخيل أنكروا حقائق الإيمان باليوم الآخر، مستندين بذلك إلى العلة التي أنكروا بها أهل التعطيل صفات الله؛ لأنهم يقولون: إنَّ الإيمان باليوم الآخر لا يقبله العقل، فهم يقولون: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟ [يس: ٧٨] والذين أنكروا صفات الله قالوا: إنَّ العقل لا يقبلها أيضًا، وإذا كان لا يقبلها فإننا لا نثبتها.

فصار هذا المنجنيق^(١) الذي نصبوه على معاقل الإيمان سُلَّمًا للكفار يَسْتَبِدُّون إليه في كفرهم.

٢٩٨٠- وَاللَّهُ مَا نَصَبُوهُ حَتَّى عَبَّرُوا قَصْدًا عَلَى الْحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

يعني أنهم لم ينصبوا هذا المنجنيق إلا لِيَعْبُرُوا إِلَى الْحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّانِ، وهو ما جاءت به الرُّسُلُ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَهْدِمُوهُ وَيَقْضُوا عَلَيْهِ.

(١) الْمَنْجَنِيقُ بفتح الميم وكسرهما، مع فَتْحِ الجيم: آله تُرْمَى بِهَا الْحِجَارَةُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُشَدَّ سَوَارِ مُرْتَفَعَةً جَدًّا مِنَ الْخَشَبِ، يُوَضَّعُ عَلَيْهَا مَا يُرَادُ رَمِيهِ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِسَارِيَةٍ تُوصِلُهُ لِمَكَانٍ بَعِيدٍ جَدًّا، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١٣٢/٢٥) مادة: جنق.

٢٩٨١- وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنَّ قَوْمًا بَيْنَ أَهْلِ الْحِصْنِ وَاطْوَاهُمْ عَلَى الْعُدْوَانِ

من البليّة أنّ أهل الحصن الذين يرميهم هؤلاء بالمنجنيق واطئوا أهل المنجنيق على العدوان، وكأته يشير إلى أهل التعطيل الذين قاموا ضد أهل الإثبات؛ لأنّ الكفار ينصبون المنجنيق على أهل الإثبات والإيمان، فجاء قوم ممن يدعون أنّهم مسلمون فنصبوا على أهل الإثبات نفس المنجنيق.

٢٩٨٢- وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابٌ أَهْلَ الْحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الْكُفْرَانِ

يعني: الذي أصاب أهل الحصن من هؤلاء الذين واطئوا الكفار صار أشدّ ممّا أصابهم من الكفار؛ لأنّ الكافر إذا رمى أهل السنّة بشيء فكلُّ يردُّ قوله وكلُّ ينفّر منه، لكن إذا جاءنا إنسانٌ من أهل الملة ينصبُّ المنجنيق على أهل السنّة صار ذلك أشدّ؛ لأنّ الذي من أهل الملة يُقبَلُ أكثر من الإنسان الكافر.

٢٩٨٣- فَتَرَكَبَتْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَوَفَاقَ مَنْ فِي الْحِصْنِ أَنْوَاعَ مِنَ الطُّغْيَانِ

لأنّ العدو الآن صار من الداخل ومن الخارج.

٢٩٨٤- وَجَرَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ مِنْ ذَيْنِ تَقْدِيرًا مِنَ الرَّحْمَنِ

قوله: «من ذين» المشار إليه: من كان خارج الحصن، ومن كان داخل الحصن.

٢٩٨٥- وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ دِينَهُ الرَّحْمَنُ كَانَ كَسَائِرِ الْأَدْيَانِ

فالحمد لله، يعني: لولا أنّ الله تدارك دينه بمنّ منّ بهم من أهل السنّة الذين يناضلون ويدافعون لكان كسائر الأديان التي حُرِّفَتْ، وكُتِمَتْ، وتلاعب بها الناس.

٢٩٨٦- لَكِنْ أَقَامَ لَهُ الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ يَزْكَامِنَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانَ

أقام الله - سبحانه وتعالى - لهذا الدين يزكًا، واليزك: الظاهر - والله أعلم - أن معناه الجند القوي من الأنصار والأعوان حتى ردوا كيد الحاقدين من داخل الحصن وخارجة.

٢٩٨٧- فَرَمَوْا عَلَى ذَا الْمَنْجِنِيقِ صَوَاعِقًا وَحِجَارَةً هَدَّئْتَهُ لِلْأَرْكَانِ

الحمد لله، رموا على هذا المنجنيق صواعق من فوق، وحجارة من تحت، حتى هدموه وأزالوه، وذلك بما يأتي:

٢٩٨٨- فَاسْأَلْهُمْ مَاذَا الَّذِي يَعْنُونَ بِالْت- تَرْكِبٍ فَالتَّرْكِيبُ سِتُّ مَعَانٍ؟

يعني: اسألهم ما هو التركيب الممتنع الذي جعلوه وسيلة إلى إنكار صفات الله؛ لأنه - على حد زعمهم - باطل، وما استلزم الباطل فهو باطل.

يقول: التركيب له ستة معانٍ، ذكرها قائلًا:

٢٩٨٩- إِحْدَى مَعَانِيهِ هُوَ التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَبَايِنٍ كَتَرْكِيبِ الْحَيَوَانَ

يعني: المعنى الأول للتركيب ما تركب من أشياء متباينة، مثل: الحيوان، فهو مركب من أعضاء متباينة في حقيقتها، وفي شكلها، وفي منافعها، فاللحم غير العظم، والعظم غير الجلد، والكبد غير الكرش، والكرش غير الأمعاء... وهكذا.

جسم واحد لكنه مركب من أشياء عديدة لا يعلمها إلا الله عز وجل، يعني: ففي الجسم مركبات عظيمة وغريبة وعجيبة، هذا تركيب، هل تقولون: إن الجسم بهذا التركيب صار أجسامًا؟ الجواب: لا، هو جسم واحد، وهو مركب من أشياء متباينة.

٢٩٩٠- مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، كَذَا أَعْضَاؤُهُ قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ أَرْبَعِ الْأَرْكَانِ
الأعضاء أيضًا مركبة من أربعة أركان: يدٌ يمينى، ويدٌ يسرى، ورجلٌ يمينى،
ورجلٌ يسرى.

٢٩٩١- أَفَلَا زِمَ ذَا لِلصِّفَاتِ لِرَبَّنَا وَعُلُوَّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ؟
يعني: هل يلزم أن يكون الإنسان بهذا التركيب متعددًا؟ الجواب: لا.

فإذا كان هذا لا يلزم في المخلوق فكيف يلزم في الخالق؟! فالربُّ عزَّ وجلَّ
له صفاتٌ متعددةٌ: سمعٌ، وبصَرٌّ، وعِلْمٌ، وقُدرةٌ، وغيرُ ذلك من الصفات، وهذا
لا يلزم التعدد.

٢٩٩٢- وَلَعَلَّ جَاهِلِكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتًا: ذَا لَازِمٌ الْإِثْبَاتِ بِالْبُرْهَانِ
يعني: ربنا يقول الجاهل منكم: إنَّ هذا لازمٌ، يعني أنَّ هذا التركيبَ يلزمُ
منه التعددُ، ولكن يقول: هذا من باب المباهتة والمكابرة والمرادغة، وإلَّا فحقيقةُ
الأمر أنه ليس كذلك.

٢٩٩٣- فَالْبُهْتُ عِنْدَكُمْ رَخِيصٌ سِعْرُهُ حَنُوبًا بِلا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ
البهت: يعني: الكذب، سعره رخيصٌ أو بلا شيءٍ، ومع ذلك: (حَنُوبًا بِلا
كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ) مَنْ جَاءَ قَالَ: «الكيس بقرش وهات» وهذا لا شكَّ أنه بئسَ
المطيَّةُ، بئسَ مطيَّةُ الرجل زعموا.

فهؤلاء -والعياذ بالله- لا يُهمُّهم أن يبهتوا أو يكذبوا أو يقولوا شيئًا لا يدخلُ
في العقل بحُجَّةٍ أنه هو العقل.

- ٢٩٩٤ - هَذَا وَثَانِيهَا: فَتَرْكِيْبُ الْجَوَا
 ٢٩٩٥ - كَالْحِسْرِ وَالْبَابِ الَّذِي تَرْكِيْبُهُ
 ٢٩٩٦ - وَالْأَوَّلُ الْمَدْعُوُّ تَرْكِيْبَ امْتِزَا
 ٢٩٩٧ - أَفَلَا زِمَ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ؟
 ٢٩٩٨ - وَالثَّالِثُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَمَاتِلٍ
 ٢٩٩٩ - وَالرَّابِعُ: الْجِسْمُ الْمُرَكَّبُ مِنْ هَيْو
 ٣٠٠٠ - وَالْجِسْمُ فَهَوَ مُرَكَّبٌ مِنْ ذَيْنِ عِنْدَ
 ٣٠٠١ - وَمِنْ الْجَوَاهِرِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْكَلَا
 ٣٠٠٢ - فَالْمُثْبِتُونَ الْجَوْهَرَ الْفَرْدَ الَّذِي
 ٣٠٠٣ - قَالُوا بِأَنَّ الْجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ
 ٣٠٠٤ - هَلْ يُمَكِّنُ التَّرْكِيبُ مِنْ جُزْأَيْنِ أَوْ
 ٣٠٠٥ - أَوْ سِتِّ عَشْرَةَ قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ
 ٣٠٠٦ - أَفَلَا زِمَ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ
 ٣٠٠٧ - وَالْحَقُّ أَنَّ الْجِسْمَ لَيْسَ مُرَكَّبًا
 ٣٠٠٨ - وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي قَدْ أُثْبِتُوا
- رِ وَذَاكَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَفْتَرِقَانِ^(١)
 بِجَوَارِهِ لِمَحَلِّهِ مِنْ بَانِي^(٢)
 حٍ وَاخْتِلَاطٍ وَهُوَ ذُو تَبْيَانٍ
 أَيضًا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ!
 يُدْعَى الْجَوَاهِرَ فَرْدَةَ الْأَكْوَانِ
 لِأَهْ وَصُورَتِهِ لَدَى الْيُونَانِ
 سَدَ الْفَيْلَسُوفِ، وَذَاكَ ذُو بَطْلَانِ
 مِ وَذَاكَ أَيضًا وَاضِحُ الْبَطْلَانِ
 زَعَمُوهُ أَصْلَ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ
 وَلَهُمْ خِلَافٌ وَهُوَ ذُو أَلْوَانِ
 مِنْ أَرْبَعٍ أَوْ سِتَّةٍ وَتَمَانِ
 يُ لِدِي مَقَالَاتٍ عَلَى التَّبْيَانِ
 وَعُلُوِّهِ؟ سُبْحَانَ ذِي السُّبْحَانِ!
 مِنْ ذَا وَلَا هَذَا هُمَا عَدَمَانِ
 هُ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ

(١) في نسختي برلين والسفاريينية: «يقترنان» بقاف مثناة.

(٢) في نسخة الإفتاء: «ثاني».

- ٣٠٠٩ - لَوْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا لَزِمَ الْمُحَا
 ٣٠١٠ - مِنْ أَوْجِهٍ شَتَّى وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا
 ٣٠١١ - أَتَكُونُ خَرْدَلَةٌ تُسَاوِي الطُّودَ فِي الْ
 ٣٠١٢ - إِذْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا أَجْزَاؤُهُ
 ٣٠١٣ - وَإِذَا وَضَعْتَ الْجَوْهَرَيْنِ وَثَالِثًا
 ٣٠١٤ - فَلِأَجْلِهِ افْتَرَقَا فَلَا يَتَلَاقِيَا^(٢)
 ٣٠١٥ - مَا مَسَّهُ إِحْدَاهُمَا مِنْهُ هُوَ الْ
 ٣٠١٦ - هَذَا مُحَالٌ أَوْ تَقُولُوا غَيْرُهُ
- لِ لِيَوَاضِحِ^(١) الْبُطْلَانِ وَالْبُهْتَانِ
 جِدًّا لِأَجْلِ صُعُوبَةِ الْأَوْزَانِ
 أَجْزَاءٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْأَذْهَانِ!
 لَا تَنْتَهِي بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
 فِي الْوَسْطِ وَهُوَ الْحَاجِزُ الْوَسْطَانِي
 حَتَّى يَزُولَ إِذَنْ فَيَلْتَقِيَانِ
 مَمْسُوسٌ^(٣) لِلثَّانِي بِأَلَا فُرْقَانِ
 فَهُوَ انْقِسَامٌ وَاضِحٌ التَّبْيَانِ

الشرح

- ٢٩٩٤ - هَذَا وَثَانِيهَا: فَتَرْكِيْبُ الْجَوَا
 رِ وَذَلِكَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَفْتَرِقَانِ
 يعني: تركيب بين شيئين متباينين لكنهما متجاوران، مثل: تركيب الباب،
 فالباب مع الجدار هذا تركيب، والباب مع المحمل الدائر عليه (البرواز) هذا
 تركيب، لكن كل واحد منهما منفصل عن الثاني؛ ولهذا قال:
 ٢٩٩٥ - كَالْحِجْسِرِ وَالْبَابِ الَّذِي تَرْكِيْبُهُ
 بِجِوَارِهِ لِمَحَلِّهِ مِنْ بَانِي

(١) في نسخة الإفتاء وابن سحمان: «الواضح».

(٢) في نسخة التيمورية: «يتواليا».

(٣) في نسختي ابن سحمان: «المحسوس».

يعني: الجسر والباب، الجسر الذي نسميه نحن السقف الذي على الباب، ثم يركب الباب، وهذا نوع من التركيب، ويسمى تركيب الجوار، وتركيب الجوار بالاتفاق لا يعني أنهما شيء واحد، فكل يعرف أن المتجاورين متباينان.

٢٩٩٦- وَالْأَوَّلُ الْمَدْعُوُّ تَرْكِيْبَ امْتِزَا جٍ وَاخْتِلَاطٍ وَهُوَ ذُو تَبْيَانٍ قَوْلُهُ: «والأول» ما هو الأول؟ الجواب: هو تركيب الواحد من متباينين.

٢٩٩٧- أَفَلَا زِمْنَا مَنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ؟ أَيضًا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ! هل يلزم من ثبوت صفات الله أن يكون مركبًا بالمعنى الأول أو بالثاني يعني: تركيب جوار أو تركيب تباين؟ الجواب: لا.

٢٩٩٨- وَالثَّلَاثُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَمَاثِلٍ يُدْعَى الْجَوَاهِرَ فَرْدَةَ الْأَكْوَانِ الثالث: تركيب الفرد أو الجوهر، وهو أن يتركب شيء مع آخر مماثل له، وهذا وإن كان ابن القيم -رحمه الله- وشيخ الإسلام قد تكلموا به منذ قرون فقد أثبت العلم الحديث.

وقضية علم الذرة أو القنابل الذرية من هذا الباب؛ لأن كل شيء وإن كان متماثلًا فإنه يدور حول شيء، فكل شيء في الإنسان وفي غير الإنسان ذرات يدور بعضها حول بعض، وتتكون هذه الأجسام، منها اللين وهو الذي لا يلتصق بغيره كثيرًا، ومنها القاسي: وهو الذي يكون منضماً بقوة وكثرة مع الآخر؛ ولهذا نجد فرقاً بين لين القطن وقسوة الحديد أو الحجارة؛ وذلك لأن كل واحدة في الحديد والحجارة قد شدت إلى الأخرى بقوة بخلافها في الشيء اللين، هذا يسمونه فيما سبق عند الفلاسفة الجوهر الفرد، وهو الآن ثابت، وأساس القنابل الذرية على

هذا؛ لأنَّ النظرية فيها أنَّ هذه المكونات للأجسام للقنبلة تتمزَّق وتتفرَّق فيحصل التصدُّع للجبال والجدران حتَّى في الإنسان نفسه.

٢٩٩٩- وَالرَّابِعُ: الْجِسْمُ الْمُرَكَّبُ مِنْ هَيْوٍ لَاهُ وَصُورَتِهِ لَدَى الْيُونَانِ

الرابع: تركيبُ الهَيُولَى والصورة، وهذا التركيبُ العام لكلِّ مركَّب، مثلاً: الإنسان: زيد، عمرو، خالد... إلخ، هو في جسمه مركَّب، يسمُّونه المركَّب من الهَيُولَى والصورة، الهَيُولَى يعني كما نقول: الجسم، والصورة: الشَّكل، فيكون كلُّ شيءٍ مركَّباً من هَيُولَاهُ وصورته.

٣٠٠٠- وَالْجِسْمُ فَهَوَ مُرَكَّبٌ مِنْ ذَيْنِ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ، وَذَلِكَ ذُو بَطْلَانِ

الفلاسفة يقولون: الجسمُ مركَّبٌ من الهَيُولَى والصورة، لكنَّ ابنَ القَيِّمِ يقولُ: إنَّه ذُو بَطْلَانِ، وليس كذلك، فالجسمُ لا بُدَّ له من صورة، فلا نقولُ: إنَّ الصورةَ مركَّبةٌ معه، فكلُّ جسمٍ لا بُدَّ له من صورة، ولا يصحُّ أن نقولُ: إنَّه مركَّبٌ من شيئين، هو نفسه شيءٌ واحد، ولا بُدَّ لكلِّ شيءٍ موجودٍ بالفعل أن يكونَ له صورةٌ على حسب ما يليقُ به، فأنتم تقولون: إنَّ الجسمَ مركَّبٌ من الهَيُولَى والصورة مِن أَجْلِ إنكارِ صفاتِ الله وغيرها؛ لأنكم إذا جعلتم الجسمَ مركَّباً من شيئين صارت الصفاتُ غيرَ الموصوفِ، وهذا هو الذي جعلهم يُنكرون صفاتِ الله؛ لأنَّهم يقولون: لو أثبتنا لله صفةً لزم تعدُّ القدماء، وأن تكونَ هذه الصفاتُ قديمةً، ونفسُ الله عزَّ وجلَّ قديمٌ، فيلزم من ذلك تعدُّ القدماء.

شيخُ الإسلامِ وابنُ القَيِّمِ أنكرا هذا، وقالوا: لا يمكنُ أن نقولَ: إنَّ الجسمَ مركَّبٌ من شيئين، بل هو شيءٌ واحدٌ، ولكن لا بُدَّ لكلِّ شيءٍ موجودٍ من صورة.

قالوا: الجسمُ أيضًا مركَّبٌ من الجواهر؛ ولذا قال:

٣٠٠١- وَمِنَ الْجَوَاهِرِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْكَلَا مِ وَذَاكَ أَيْضًا وَاضِحُ الْبُطْلَانِ

الجسم عند الفلاسفة من القسم الرابع من التركيب، وعند أهل الكلام من القسم الثالث.

وابن القيم ذكر بطلان الأول، ثم ذكر بطلان الثاني فقال: «وذاك أيضًا واضح البطلان».

٣٠٠٢- فَالْمُثْبِتُونَ الْجَوْهَرَ الْفَرْدَ الَّذِي زَعَمُوهُ أَصْلَ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ

٣٠٠٣- قَالُوا بِأَنَّ الْجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ وَلَهُمْ خِلَافٌ وَهُوَ ذُو أَلْوَانِ

هؤلاء الذين يدعون أن الجسم مركَّبٌ من الجواهر الفردة، العلم الحديث يؤيد قولهم في الواقع، لكن ابن تيمية وابن القيم صارا ينكران هذا؛ لأنه لم يكن العلم المادي قد انتهى إلى ما انتهى إليه اليوم، فقالا: إن الجوهر الفرد - وهو الذي لا ينقسم - شيءٌ ممتنعٌ، ما من شيءٍ إلا وهو قابلٌ للانقسام، حتى رأس الإبرة قابلٌ للانقسام، فلا يوجد شيءٌ إلا وهو قابلٌ للانقسام، فإذا قلت: المركَّبُ كُلُّ قَابِلٍ للانقسام لزم أن تصفوا الله بأنه لا شيء، ولزم أن تصفوا الإنسان أيضًا بأنه لا شيء، أو يلزمكم بُبُوتُ الإنسانِ وادِّعاءُ أنه مركَّبٌ من الجواهر الفردة؛ ولهذا (قالوا بِأَنَّ الْجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ وَلَهُمْ خِلَافٌ وَهُوَ ذُو أَلْوَانِ) أي: أنواعٌ من الخلاف.

٣٠٠٤- هَلْ يُمَكِّنُ التَّرَكِيبُ مِنْ جُزْأَيْنِ أَوْ مِنْ أَرْبَعٍ أَوْ سِتَّةٍ وَثَمَانِ

٣٠٠٥ - أَوْ سِتَّ عَشْرَةَ قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ يُّ لِيذِي مَقَالَاتٍ عَلَى التَّبَيَّانِ
فَالْأَقْوَالُ إِذْنُ خَمْسَةٌ: جَزَانٌ، أَرْبَعَةٌ أَجْزَاءٍ، سِتَّةٌ أَجْزَاءٍ، ثَمَانِيَةٌ أَجْزَاءٍ، سِتَّةُ
عَشْرَ جِزَاءً.

قَوْلُهُ: «قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ لِيذِي مَقَالَاتٍ عَلَى التَّبَيَّانِ» (المقالات) أي: كتابُ
اسْمُهُ: (مقالات الإسلاميين) للأشعريِّ - رحمه الله -، ذكر هذه الأنواع من التراكيب،
وفند الباطل منها.

٣٠٠٦ - أَفَلَا زِمَ دَامِنٌ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ؟ سُبْحَانَ ذِي السُّبْحَانِ!

يعني: هذا التركيب الذي هو تركيبُ الجواهر الفردة هل يلزم من إثبات
صفاته أن نقول: إنه مركَّبٌ من الجواهر الفردة؟ الجواب: أبدًا؛ لأنَّ جنسَ الخالق
يخالف جنسَ المخلوق، ولا يمكن أن يوافق المخلوق في أيِّ شيءٍ من الأشياء.

فإذا كان بنو آدم مخلوقين من تراب، والملائكة من نور، والشياطين والجنُّ
من نار، ومع ذلك فكلُّها أجسامٌ تُرى، واختلفت في أصلها ومادتها، فكيف
تُلزَمون بأنَّ مَنْ أثبتَ لله صفةً لزمه أن يجعلَ الله مركَّبًا من الجواهر الفردة، أو
الهيولى والصورة، أو ما أشبه ذلك؟!

٣٠٠٧ - وَالْحَقُّ أَنَّ الْجِسْمَ لَيْسَ مُرَكَّبًا مِنْ ذَا وَلَا هَذَا هُمَا عَدَمَانِ

ابن القيم - رحمه الله - ينكر أن يكون الجسمُ مركَّبًا من الهيولى والصورة،
ويقول: إنَّ كلَّ جسمٍ فهو مقارنٌ لصورته، وليس مركَّبًا منها، وكذلك الجوهر
الفرد.

٣٠٠٨ - وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي قَدْ أَثْبَتُوهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ

٣٠٠٩- لَوْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا لَزِمَ الْمُحَا لُ لِوَأْضِحِ الْبُطْلَانَ وَالْبُهْتَانَ

٣٠١٠- مِنْ أَوْجِهِ شَتَّى وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا جِدًّا لِأَجْلِ صُعُوبَةِ الْأَوْزَانِ

يعني: أن إثبات الجوهر الفرد هذا مستحيل، وليس في الحقيقة ممكنا من أوجه متعددة، لكن اعتذر المؤلف عن سردها من أجل صعوبة الأوزان، يعني النظم، ولكنها مذكورة في كتب شيخ الإسلام - رحمه الله - كثيرا، وكذلك في بعض كتب ابن القيم، لكن من جملة بطلانه ما ذكره في قوله:

٣٠١١- أَتَكُونُ خَرْدَلَةٌ تُسَاوِي الطَّوْدَ فِي الْاَجْزَاءِ فِي شَيْءٍ مِّنَ الْأَذْهَانِ؟!

٣٠١٢- إِذْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَجْزَاؤُهُ لَا تَنْتَهِي بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

وهذا ليس بممكن، لكن عندهم ممكن؛ لأنهم يقولون: إن الخردلة - وهي حبة صغيرة جدا - تنقسم إلى أجزاء، ولا بد أن تنقسم، وإذا كانت تنقسم إلى أجزاء لا نهاية لها لزم أن تكون مساوية للجبل الطود العظيم.

وهذا شيء لا يمكن لا في شرع ولا في حس ولا في عقل، أن تكون الخردلة مثل الطود، بناء على أنه ما من شيء إلا وهو قابل للانقسام، فيكون هذا مساويا لهذا؛ لأنك حتى لو قلت: قسم الجبل إلى ألف، وقسم الخردلة إلى ألف، والواحد من ألف في الجبل أكثر من الخردلة قسمه أيضا إلى ألف، ثم قسم كل واحد منه إلى ألف، والنهاية أنها لا تنقسم كما أن الخردلة كذلك.

٣٠١٣- وَإِذَا وَضَعْتَ الْجَوْهَرَيْنِ وَثَالِثًا فِي الْوَسْطِ وَهُوَ الْحَاجِزُ الْوَسْطَانِي

٣٠١٤- فَلِأَجْلِهِ افْتَرَقَا فَلَا يَتَلَاقِيَا حَتَّى يَزُولَ إِذْنٌ فَيَلْتَقِيَانِ

٣٠١٥- مَا مَسَّهُ إِحْدَاهُمَا مِنْهُ هُوَ الْـ مَمْسُوسٌ لِلثَّانِي بِلَا فُرْقَانٍ

٣٠١٦- هَذَا مُحَالٌ أَوْ تَقُولُوا غَيْرَهُ فَهُوَ انْقِسَامٌ وَاضِحُ التَّبْيَانِ

هذا في الردِّ على المتكلمين الذين أثبتوا الجوهرَ الفردَ، والفلاسفة أثبتوا التركيبَ من الهيولى والصورة، والعجب أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء ردَّ على الآخر، وقال: إنَّ الجوهرَ الفردَ غيرُ ممكن، وإنما هو شيءٌ في الخيال، ولو أننا قلنا به للزم أن تتساوى الذرةُ الصغيرةُ التي لا تنتهى لأجزائها بالجبل الكبير؛ لأنَّ كلاً منهما ينتهى إلى لا شيء.

وهذا شيءٌ محالٌ ومكابرةٌ للحسِّ، فلذلك كفى الله المؤمنين القتالَ بردِّ بعض هؤلاء على بعض.

وأولئك المتكلمون أيضاً ردُّوا على هؤلاء بأنَّ الهيولى هي الصورة، وأنَّ لا يمكنُ وجودَ هيولى بلا صورة، والهيولى ماهيةُ الشيء، لا بُدَّ أن يكونَ الهيولى على صورة معيَّنة لا تنفكُ إحداها عن الأخرى.

٣٠١٧- وَالْخَامِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الْـ أَوْصَافٍ هَذَا بِاصْطِلَاحِ ثَانٍ

٣٠١٨- سَمَّوْهُ تَرْكِيبًا وَذَلِكَ وَضَعُهُمْ مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا فُرْقَانٍ

٣٠١٩- لَسْنَا نَقْرُ^(١) بِالْفِظَةِ مَوْضُوعَةٍ بِالْإِصْطِلَاحِ لِشِيعَةِ الْيُونَانِ

٣٠٢٠- أَوْ مَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ مِنْ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ لَيْسَتْ بِذِي عُرْفَانٍ

(١) في نسختي برلين وابن سحمان: «نفر» بالفاء الموحدة.

- ٣٠٢١ - مِنْ ^(١) وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الـ عُليَا وَنَتْرُكُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
- ٣٠٢٢ - وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَاتِ أَيْضًا كُلِّهَا قَبْلَ الْفَسَادِ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ
- ٣٠٢٣ - سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الـ أَسْمَاءِ بِالْأَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ
- ٣٠٢٤ - هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا التـ تَرْكِيبٍ مِنْ عَقْلِ وَمِنْ فُرْقَانٍ؟
- ٣٠٢٥ - وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوحُكُمْ لَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَلَوْ آتَى الثَّقَلَانِ
- ٣٠٢٦ - وَالسَّادِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مَا هِيََّةٍ وَوُجُودَهَا مَا هَاهُنَا شَيْئَانِ
- ٣٠٢٧ - إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا فِي الدَّهْنِ وَالثَّانِي فِي الْأَعْيَانِ
- ٣٠٢٨ - فَهَنَّاكَ يُعْقَلُ كَوْنُ ذَا غَيْرًا لِذَا فَعَلَى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ
- ٣٠٢٩ - أَمَّا إِذَا اتَّحَدَا اعْتِبَارًا كَانَ نَفْسُ وَجُودِهَا هُوَ ذَاتَهَا لَا ثَانِي
- ٣٠٣٠ - مَنْ قَالَ شَيْئًا غَيْرَ ذَا كَانَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ ضَرْبًا مِنَ الْفُعْلَانِ ^(٢)

الشرح

- ٣٠١٧ - وَالْخَامِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الـ أَوْصَافٍ هَذَا بِاصْطِلَاحِ ثَانِ
- الخامس: التركيب من الذات والأوصاف؛ فالإنسان مثلاً إنسانٌ بشرٌ ذاتٌ،
أوصافه: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وما أشبه ذلك، قالوا: فهذا
تركيبٌ، كيف كان تركيباً؟ قالوا: هذا تركيبٌ من الذات ومن الصفات، فسموا

(١) في نسخة الإفتاء: «في».

(٢) في نسخة الإفتاء: «الغفلان» بغير معجمة ثم فاء موحدة.

هذا تركيباً، ومن ثم أنكروا صفات الله، قالوا: لأننا لو أثبتنا لله صفةً لزم التركيب، ولكن ابن القيم ردّ عليهم فقال:

٣٠١٨- سَمَّوْهُ تَرْكِيْبًا وَذَلِكَ وَضَعُهُمْ مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنٍ

قَوْلُهُ: «سَمَّوْهُ تَرْكِيْبًا وَذَلِكَ وَضَعُهُمْ» يعني: اصطلاحاً، وليس من وضع اللغة.

قَوْلُهُ: «مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنٍ» يعني: ليس هذا في عُرف أهل اللغة ولا في القرآن الكريم العربيّ أن يكون الموصوفُ وصفته مُركَّبَيْنِ أبداً، بل الموصوفُ لا يمكنُ أن يوجدَ بلا صفةٍ، كُلُّ موجودٍ فلا بُدَّ له من صفةٍ.

٣٠١٩- لَسْنَا نَقْرُّ بِلَفْظَةِ مَوْضُوعَةٍ بِالِإِصْطِلَاحِ لِشَيْعَةِ الْيُونَانِ

يعني أن ابن القيم أنكّر هذا النوع من التركيب، وقال: هذا ليس بتركيب؛ لأنَّ كُلَّ ذاتٍ فهي ملازمةٌ للصفات، فكلُّ ذاتٍ لا بُدَّ أن يكونَ لها صفةٌ، وهل يمكنُ أن يكونَ الموصوفُ بصفاته مركَّبًا من ذاته وصفاته؟ الجواب: لا؛ إذ إنّ الصفاتِ ملازمةٌ للذات، فلا وجودَ لذاتٍ بلا صفةٍ أبداً.

قَوْلُهُ: «لَسْنَا نَقْرُّ» في النسخ التي عندنا: (لَسْنَا نَقْرُّ)، لكن يقول الشارحُ ابن عيسى - رحمه الله تعالى -: الصوابُ: (لَسْنَا نَقْرُّ) بدليل قوله: «مِنْ وَصْفِهِ سَبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الْعَالِيَا»^(١) يعني: لَسْنَا نَقْرُّ مِنْ وَصْفِهِ مِنْ أَجْلِ لَفْظَةِ مَوْضُوعَةٍ بِاصْطِلَاحٍ لَيْسَ مَعْرُوفًا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ.

(١) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم (٢/١٨٦)، ط. المكتب الإسلامي.

وعلى هذا فلعلها (نَفَرٌ) بدليل قوله: «من وصفه سبحانه» فيكون البيتُ
«لَسْنَا نَفَرٌ بِلَفْظَةِ مَوْضُوعَةٍ» أي: بسبب لفظة موضوعية بالاصطلاح من وصفه
سبحانه.

قَوْلُهُ: «بِلَفْظَةِ مَوْضُوعَةٍ بِالِاصْطِلَاحِ» ما هي اللفظة الموضوعية؟ هي التركيب
من الذات والصفات، وأنَّ وجودَ الصفاتِ مضافةٌ إلى الذات يُعْتَبَرُ تركيبًا.
قَوْلُهُ: «لِشَيْعَةِ الْيُونَانِ» شيعة اليونان هم المتفلسفة.

٣٠٢٠- أَوْ مَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ مِنْ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ لَيْسَتْ بِذِي عِرْفَانٍ
هنا -رحمه الله- وصف الجهميَّة بأهم مثل البيغاوات تُتَابِعُ بدون معرفة،
فهم أخذوا عن الفلاسفة هذا المعنى، وقالوا: إنَّ هذا تركيبٌ؛ ولهذا يُنكرون
صفاتِ الله عزَّ وجلَّ.

٣٠٢١- مِنْ وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الـ عُلْيَا وَنَتْرَكَ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
٣٠٢٢- وَالْعَقْلَ وَالْفِطْرَاتِ أَيْضًا كُلَّهَا قَبْلَ الْفَسَادِ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

يقول ابن القيم: إنَّ هذا التركيب -تركيب الذات مع الأوصاف- اصطلاحُ
حادثٌ، وهذا لا يُلْزِمُنَا بأن نَفَرَّ من وصف الله -سبحانه وتعالى- بصفاته ونتركُ
مقتضى القرآن، ومقتضى العقل، ومقتضى الفطرة قبل تغييرها وفسادها، ومقتضى
البرهان.

فلا يمكنُ أن نتركَ هذا من أجلِ اصطلاحِ حادثٍ مأخوذٍ عن اليونان، أو
عمَّن أخذ منهم من فرقة الجهميَّة الجاهلة، بل نقولُ: إنَّ الله -سبحانه وتعالى- ذو
ذاتٍ وصفاتٍ حتَّى وإن سَمَّيْتُمُوهُ تركيبًا فإنَّ ذلك لا يهْمُنَا.

٣٠٢٣- سَمُوهُ مَا سِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّانُ فِي الْاَسْمَاءِ بِالْاَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ
قَوْلُهُ: «سَمُوهُ مَا سِئْتُمْ» يعني: سَمُوا إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ مَا سِئْتُمْ تَرْكِيبًا أَوْ غَيْرِ
تَرْكِيْب.

قَوْلُهُ: «فَلَيْسَ الشَّانُ فِي الْاَسْمَاءِ بِالْاَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ» يعني: ليس الشان بأن
تسموه شيئاً مكروهاً فيكون مكروهاً، لا، بل الشان بالمعاني، لو سميتم هذا تركيباً
ونفرتم الناس منه، وقلتم: إن هذا يستلزم أن يكون الباربي عز وجل مركباً من
ذاتٍ وصفاتٍ فإن هذا لا يقبل الحق باطلاً.

٣٠٢٤- هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِيْ اِبْطَالَ ذَا التَّوْحِيدِ مِنْ عَقْلِ وَمِنْ فُرْقَانِ؟

قَوْلُهُ: «هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِيْ اِبْطَالَ ذَا التَّوْحِيدِ؟» الجواب: لا، ليس هناك
دليل يمنع هذا التركيب، ونحن إنما نقول: إنه تركيب بناءً على تسميتكم إياه، وإلا
فنعلم أن الإنسان بصفاته لا يكون مركباً من شيئين، بل هو بصفاته واحد وليس
متعدداً، إذن فلا تركيب، لكن أنتم إذا سميتموه تركيباً فنقول: سَمُوهُ مَا سِئْتُمْ،
نحن سنثبت لله عز وجل.

قَوْلُهُ: «من عقلٍ» أي: دليل عقلي.

قَوْلُهُ: «من فرقان» أي: من قرآن: أي: دليل سمعي.

٣٠٢٥- وَاللّٰهُ لَوْ نُشِرَتْ شَيْوُحُكُمْ لَمَّا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَلَوْ آتَى الثَّقَلَانِ

يعني: لَا يَقْدِرُ شَيْوُحُكُمْ لَوْ نُشِرُوا أَي: بُعِثُوا بَعْدَ مَوْتِهِمْ، مَا قَدَرُوا عَلَى أَنْ
يَأْتُوا بِدَلِيلٍ.

خلاصة هذا التركيب، وهو تركيب الذات مع الأوصاف:

أولاً: نحن نمنع أن يكون تركيبياً؛ لأنَّ الموصوفَ لا يرى تعدداً بتعدد الصفات، وكُلُّ إنسانٍ عاقلٍ لا يرى أنَّ الموصوفَ إذا وُصِفَ تعددًا بتعدد الصفات، فمثلاً (زيد) إذا قلنا: (إنَّ زيداً سميعٌ) فهل (زيدٌ) يكونُ واحداً؟ فإذا قلنا: (سميعٌ) صار اثنين، فإذا قلنا: (قدير) صار ثلاثة؟ الجواب: أبداً، لا أحد يقول بهذا.

ثانياً: لو سلّمنا جدلاً أنَّ هذا تركيبٌ فهل من مانعٍ منه؟ الجواب: أبداً، لا مانع، بل إنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ والنظرَ دَلَّ على وجوده، أي: على وجود ذاتٍ موصوفة بالصفات، ولا يُعدُّ هذا تركيباً، ولو سمَّيتموه تركيباً فإنه لا يكونُ تركيباً.

٣٠٢٦- وَالسَّادِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ وَوُجُودِهَا مَا هَاهُنَا شَيْئَانِ

السادس: التركيبُ من الماهية والوجود، هذا أيضاً يُسمَّى تركيباً عند الفلاسفة، ولكنه عند التأملِ ليس بتركيبٍ، فماهية الشيء هي ما يُسألُ عنه بـ(ما) فتقول: ما هو؟ الجواب: إنسانٌ، هذا الماهية.

يقولون: وجودُ الماهية شيءٌ، والماهية نفسها شيءٌ آخر، فإذا قلت: «ماهية ووجود ماهية» صار مركباً من الماهية ووجودها، ولكن هل هذا صحيح؟ لا يمكنُ أن يكونَ ماهيةً إلا بوجود، ووجودُ ماهية بلا وجود إنما هو في الذهن لا في الخارج.

يعني: قد يتصورُ الإنسانُ إنسانيةً بلا إنسان، كالتي يُسمونها الكليات، لكن حقيقة الأمر هل يمكنُ أن يوجدَ إنسانٌ بلا وجود؟ الجواب: أبداً، لا يمكن، ولذلك يقول المؤلف: «وَالسَّادِسُ التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ وَوُجُودِهَا» أي من: ماهية

ووجود ماهية، ثم قال: «مَا هَاهُنَا شَيْئَان» وهذا ردُّ لهذا التركيب، يقول: إنَّ هذا التركيب لا يمكن أن يُسمَّى تركيبًا؛ لأنه ليس هناك فرقٌ بين الماهية ووجود الماهية إلا في الذهن، فقد يتصورُ مثلًا ماهيةً بلا وجود، وهذا لا يُعتدُّ به؛ لأنَّ الذهن قد يفرض الشيءَ المستحيلَ على أنه ممكنٌ فقد يتصورُ اجتماعَ النقيضين وارتفاعهما مع أن ذلك في الخارج لا يمكنُ.

٣٠٢٧- إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا فِي الذَّهْنِ وَالثَّانِي فِي الْأَعْيَانِ

٣٠٢٨- فَهَنَّاكَ يُعْقَلُ كَوْنُ ذَا غَيْرًا لِذَا فَعَلَى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ

يعني: يقول -رحمه الله-: إنَّ الماهية هي وجودُ الشيءِ إلا إذا اختلف الاعتبار بحيث يُقال: إنَّ الذهن قد يفرض وجودَ ماهيةٍ بلا وجودٍ، كأن يفرض الذهن إنسانًا لكن بلا وجود إنسان، هذا ممكنٌ، فممكن أن نقول: إنَّ الماهية الذهنية غيرُ الماهية الخارجية، أمَّا الماهية الخارجية فإنَّ وجودها هو وجودها في الحقيقة، فليس هناك تركيبٌ.

٣٠٢٩- أَمَّا إِذَا اتَّخَدَا اعْتِبَارًا كَانَ نَفْسٌ وَجُودِهَا هُوَ ذَاتَهَا لَا ثَانِي

صحيحٌ، هذا أمرٌ واضح؛ لأنَّ الأوَّل تركيبُ ذاتٍ وصفاتٍ، والصفات غيرُ الوجود، لكن هنا تركيب الذات والوجود، ماهيةُ الشيء ووجود الشيء، نقول: لا يمكنُ أن توجدَ ماهيةٌ بلا وجودٍ أبدًا، صحيحٌ توجد مثلًا (ذاتٌ) بلا سمع وبلا بصر، لكن (ذات) بلا وجودٍ، هذا شيءٌ لا يوجدُ، إلا إذا قدرتها اعتبارًا بالذهن، وقلت: يمكنُ أن يتصورَ الإنسانُ ماهيةً بلا وجود، أمَّا في الخارج فلا توجدُ ماهيةٌ إلا بوجود، ولهذا قال: «أَمَّا إِذَا اتَّخَدَا اعْتِبَارًا» اعتبارًا يعني: باعتبار الخارج فهنا (كان نفسٌ وجودها هو ذاتها لا ثاني).

٣٠٣٠- مَنْ قَالَ شَيْئًا غَيْرَ ذَا كَانَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ ضَرْبًا مِنَ الْفُعْلَانِ

قَوْلُهُ: «ضَرْبًا مِنَ الْفُعْلَانِ» أي: من الوصف الذي على وزن «فُعْلَان» مثل: البُهتان، وهذا يفتح لنا بابًا إذا أردنا أن نُكْنِي، مثلًا: تريد أن تسأل عن شخص لا تحب أن يُعْرَفَ اسْمُهُ عند الحاضرين واسمُهُ مثلًا: (أحمد) تقول: (ما رأيت أفعل؟) فهذا يصلح تكنيةً.

وتقول: (ما رأيت مُفَعَّلًا) يعني: محمدًا، تريد أن لا يعرف الحاضرون اسمَهُ، وهذا جيّدٌ، أن يُكْنَى عن الاسم بوزنه اللُّغَوِيّ، فيُعْرَفُ المخاطَبُ المقصودَ، والسَّامِعُ لا يعرف المقصودَ.

٣٠٣١- هَذَا وَكَمْ حَبَطِ هُنَا قَدْ رَالَ بِالتَّ

٣٠٣٢- وَابْنُ الْخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ

٣٠٣٣- بَلْ حَبَطُوا نَقْلًا وَبَحْثًا أَوْجَبَا

٣٠٣٤- هَلْ ذَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجُودُهُ

٣٠٣٥- فَيَكُونُ تَرْكِيبًا مُحَالًا ذَاكَ إِنْ

٣٠٣٦- وَإِذَا نَفَيْنَا ذَاكَ صَارَ وَجُودُهُ

٣٠٣٧- وَحَكَّوْا أَقَاوِيلًا ثَلَاثًا ذَيْنِكَ الْ

٣٠٣٨- وَالثَّالِثُ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْوَاجِبِ الْ

- ٣٠٣٩ - وَسَطُوا عَلَيْهَا كُلَّهَا بِالنَّقْضِ وَالْإِبْطَالِ وَالتَّشْكِيكِ لِلْإِنْسَانِ^(١)
- ٣٠٤٠ - حَتَّى أَتَى مِنْ أَرْضِ أَمَدٍ آخِرًا ثَوْرٌ كَبِيرٌ بَلَّ حَقِيرُ الشَّانِ
- ٣٠٤١ - قَالَ: الصَّوَابُ الْوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ وَالشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التَّبَيَّانِ
- ٣٠٤٢ - هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

الشرح

هذا تكميلٌ لما سبق في النوع السادس من التركيب وهو التركيب من الوجود والماهية، وهو رأي الفلاسفة، يقولون: إنَّ الشيء مركَّبٌ من وجوده وماهيته، ونحن نقول: إنَّ الوجود هو الماهية، ولا يتصوَّر انفكاك أحدهما عن الآخر إلا في الذهن، أمَّا في الواقع والحقيقة والخارج فإنَّه لا يمكن أن يفترقا.

٣٠٣١ - هَذَا وَكَمْ خَبَطَ هُنَا قَدْ زَالَ بِالتَّحْبُطِ وَهُوَ الْأَصْلُ فِي الْعِرْفَانِ

(التَّحْبُطُ) معناه التَّحَدُّثُ بالشيء على غير رَوِيَّةٍ، بل يُحْبَطُ خَبَطَ عَشْوَاءَ.

قَوْلُهُ: «كَمْ خَبَطَ هُنَا قَدْ زَالَ بِالتَّفْصِيلِ وَهُوَ الْأَصْلُ» ولهذا نجدُ أنَّ التَّفْصِيلَ دَائِمًا فِي الْأَقْوَالِ الْمُضْطَرِبَةِ يَكُونُ حَلًّا لِلنِّزَاعِ، مِثَالُ ذَلِكَ: اخْتِلَافُهُمْ فِي الْجِسْمِ، هَلْ يُوَصَفُ اللَّهُ بِأَنَّهُ ذُو جِسْمٍ أَوْ لَا؟ فَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَثْبَتَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ فَصَّلَ.

وكذلك (الحيز) و(الحُدُّ)، وما أشبه ذلك من الكلمات المُحَدَّثَةُ التي اختلف الناس في إثباتها أو نفيها، فيأتي التَّفْصِيلُ فيقضي عليها، ويبيِّنُ الحقَّ، فالأصل في هذه المُجْمَلَاتِ الْمُشْتَبِهَةِ الْأَصْلُ أَنَّهَا تُحُلُّ بِالتَّفْصِيلِ.

(١) في نسخ برلين والتميمورية والإفتاء والسفارينية: «للأذهان»، وهو أولى.

٣٠٣٢- وَابْنُ الْخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَهْتَدُوا لِمَوَاقِعِ الْفُرْقَانِ

٣٠٣٣- بَلْ خَبَطُوا نَقْلًا وَبَحْثًا أَوْجَبًا شَكًّا لِكُلِّ مُلَدِّدِ حَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «ابْنُ الْخَطِيبِ» هو الرازي المفسر المشهور، والمتكلم الصوفي الفلسفي، وهو معروف، ويُعتبر من أذكى العلماء، وله شَطَحَاتٌ كثيرةٌ في التفسير وغيره، ولكن يُقَالُ: إِنَّهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ تَابَ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لَكِنْ مَوْلَفَاتُهُ مَعْرُوفَةٌ شَهِيرَةٌ.

قَوْلُهُ: «خَبَطُوا نَقْلًا» أي: فيما نقلوه عن غيرهم.

قَوْلُهُ: «وَبَحْثًا» أي: فيما ناقشوه من آراء غيرهم؛ ولهذا يقولون: إِنَّ الرَّازِيَّ مِنْ خِصَائِصِ بَحْثِهِ أَنَّهُ يُورِدُ الْمَشْكَلاتِ عَلَى وَجْهِ يُوقِعُ فِي الْحَيْرَةِ وَلَا يَأْتِي بِحَلِّهَا، فَهُوَ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ فِيهِ: «إِنَّهُ يَعْزِضُ الْمَشْكَلاتِ نَقْدًا وَلَكِنْ يَكُونُ حَلُّهَا نَسِيئَةً» يعني: يعطيك المشكلاتِ حَالَةً وَأَمَّا الْحُلُّ فَلَا يَعطيك إِيَّاهُ، بَلْ يَأْتِي بِهِ نَسِيئَةً.

وهذا لا شكَّ أَنَّ فِيهِ مصلحةٌ من وجه، وهو أَنَّهُ يَسُدُّ عَلَى الْخِصْمِ كُلَّ أَبْوابِ الإِيراداتِ، لَكِنَّهُ إِذَا لَمْ يَنْتَصِرْ لِقَوْلِهِ صَارَ فِيهِ نَقْصٌ مِنْ هَذِهِ الناحية؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ لِلإنسانِ: إِمَّا أَنْ تَأْتِيَ بِحُجْجِ الْغَيْرِ كَامِلَةً وَتَرَدَّ عَلَيْهَا وَإِمَّا أَنْ تَسْكُتَ، أَمَّا أَنْ تَفْتَحَ عَلَى قَوْلِكَ بَابَ الثُّغراتِ ثُمَّ تَعْجِزَ عَنْ سَدِّ هَذِهِ الأَبْوابِ فَهَذَا يُعْتَبَرُ نَقْصًا.

يقول المؤلف -رحمه الله-: إنهم خَبَطُوا نَقْلًا وَبَحْثًا، نَقْلًا فِيما نَقَلُوهُ عَنْ غَيْرِهِمْ، وَبَحْثًا فِيما نَاقَشُوهُ.

قَوْلُهُ: «أَوْجَبًا» الضميرُ يَعُودُ عَلَى الْمَنْقُولِ وَالْمَبْحُوثِ.

قَوْلُهُ: «شَكَّا لِكُلِّ مُلَدِّدٍ حَيْرَانَ» المُلَدِّدُ معناه الذي لم يُيسِّرْ له الأمور، بل يُلَدِّدُ الله أمره، ولا يُيسِّرْ له أمره، والحيران أي: المتحير.

٣٠٣٤- هَلْ ذَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجُودُهُ أَمْ غَيْرُهُ فَهِيَ إِذَنْ شَيْئَانِ؟

وهذا مَبْنِيٌّ على ما سبق وهو (التركيب السادس)، هل ذاتُ الله هي عينُ وجوده أم هناك ذاتٌ ثُمَّ وجود، أي: الوجود شيءٌ آخر؟ إن قلنا بالثاني صار هناك تركيبٌ بين الذات والوجود.

٣٠٣٥- فَيَكُونُ تَرْكِيبًا مُحَالًا ذَاكَ إِنْ قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانٍ

معلومٌ إذا قلنا: إن وجوده غيرُ ذاته لَزِمَ من هذا التركيبِ التعدُّدُ بأن يكون هناك وجودٌ وهناك ذاتٌ، وقد سبق لنا أن هذا التركيبَ باطلٌ، وأنَّ وجودَ كُلِّ شيءٍ هو ذاته، هذا باعتبار الأمرِ الخارج، لا باعتبار ما يفرضه الذهن، فالذهنُ قد يفرضُ أشياءً مستحيلةً.

قَوْلُهُ: «إِنْ قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانٍ» يعني: إن قلنا به صار ذَا إِمْكَانٍ مع أَنَّهُ شيءٌ مُحَالٌ.

٣٠٣٦- وَإِذَا نَفَيْنَا ذَاكَ صَارَ وَجُودُهُ كَالْمُطْلَقِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَذْهَانِ

يعني: أو نقول بنفي ذلك، يعني: أن ذاتَ الله ليست هي عينُ وجوده، فيكون وجوده كالمطلق الموجود في الأذهان، ومعنى (المطلق) إذا قالوا: (الشيء المطلق في الذهن): الذي لا يتقيَّدُ بصفةٍ، بل هو موجودٌ بشرط الإطلاق، ليس له صفةٌ، لا وجود، ولا حياة، ولا غيرها من الصفات.

فهم الآن ذكروا قولين: هل ذاته هي عين وجوده أو هما شيئان؟ وإذا نفينا

الشَّيئَيْنِ صارت الذاتُ موجودةً وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق، ومعنى مطلقًا يعني: غير متصفة بصفة، وهذا لا يمكن أن يوجد في الخارج أبدًا، فلا يوجد شيءٌ موجودٌ إلا وهو متصفٌ بصفة.

٣٠٣٧- وَحَكَّوْا أَقَاوِيلًا ثَلَاثًا ذَيْنِكَ الْـ قَوْلَيْنِ إِطْلَاقًا بِلَا فُرْقَانٍ

قَوْلُهُ: «وَحَكَّوْا أَقَاوِيلًا»: (أقاويلًا): صرفها المؤلفُ من أجلِ استقامة الوزن، وإلا فإنَّها ممنوعةٌ من الصرف لصيغة منتهى الجموع.

قَوْلُهُ: «بِلَا فُرْقَانٍ» الفرقانُ هو ما أشار إليه المؤلفُ أوَّلاً بأنه يُقالُ: إن كان المراد الفردَ الذهنيَّ فيمكنُ أن تنفكَّ الذاتُ عن الوجود، وأمَّا إذا كان الحقيقة الواقعية فلا يمكنُ أن تنفردَ الذاتُ عن الوجود؛ إذ إنَّ الذاتَ هي عينُ وجودها.

٣٠٣٨- وَالثَّالِثُ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الوَاجِبِ الْـ أَعْلَى وَبَيْنَ وُجُودِ ذِي الإِمْكَانِ

يعني: يُفَرِّقون بين الواجب الوجود وهو الله، وبين الممكن الوجود وهو المخلوق، فيقالُ: الرَّبُّ ذاته عينُ وجوده بخلاف المخلوق.

فتكون الأقاويلُ الآن ثلاثةً: إمَّا نفي أن يكون الوجودُ هو عين الذات، أو يكون هو عين الذات، ويكون مركَّبًا، أو يُفَرِّق بين وجود الممكن ووجود الواجب.

٣٠٣٩- وَسَطَّوْا عَلَيْهَا كُلَّهَا بِالنَّقْضِ وَالْـ إِبْطَالِ وَالتَّشْكِكِ لِلْإِنْسَانِ

يعني: لمَّا ذكروا الأقاويلَ الثلاثة نقضوها كُلَّها، وهل أتوا ببدلها؟ الجواب: لا، فبقي الإنسان متحيرًا، تُذَكَّرُ الأقاويلُ عنده ثُمَّ تُنْقَضُ ولا يُذَكَّرُ عنها بديلٌ، فيكون هذا هو غاية ما يكون من التشكيك للإنسان.

٣٠٤٠ - حَتَّى آتَى مِنْ أَرْضِ أَمَدٍ آخِرًا ثَوْرٌ كَبِيرٌ بَلُّ حَقِيرِ الشَّانِ

وهو الأمدِيُّ الأَصُولِيُّ المشهورُ، أتى من أرض أَمَدٍ، وقال:

٣٠٤١ - قَالَ: الصَّوَابُ الوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ وَالشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التَّبَيَّانِ

قال: «الصَّوَابُ الوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ» أي: نتوقَّف، فلا نقول: ذأته عينٌ وجوده،

ولا غيره، ولا نُفَرِّقُ بين الواجب والممكن، بل نتوقَّف.

قَوْلُهُ: «وَالشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التَّبَيَّانِ» الشَّكُّ فِي هَذَا القَوْلِ ظَاهِرُ التَّبَيَّانِ؛ لِأَنَّ

المتوقَّفَ شاكٌّ، لم يجزِمُ برجحان شيءٍ على شيءٍ.

٣٠٤٢ - هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ العَظِيمِ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أَنْ شَكَّ» قَوْلُهُ: «أَنْ شَكَّ» بدل من

«قُصَارَى» يعني: قُصَارَى بَحْثِهِ أَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ العَظِيمِ الشَّانِ، فصار غايةُ أمر

الأمديِّ الشَّكُّ فِي اللَّهِ -والعياذ بالله- وهذا غايةُ ما يكونُ من الضَّلالِ.

فصل

فِي أَحْكَامِ هَذِهِ التَّرَاكِيِبِ السِّتَّةِ

- ٣٠٤٣ - فَالْأَوْلَانِ حَقِيقَةُ التَّرْكِيبِ لَا تَعُدُّوهُمَا فِي اللَّفْظِ وَالْأَذْهَانِ
- ٣٠٤٤ - وَكَذَلِكَ الْأَعْيَانُ أَيْضًا إِنَّمَا التَّ
- ٣٠٤٥ - وَالْأَوْسَطَانِ هُمَا اللَّذَانِ تَنَازَعَا الْ
- ٣٠٤٦ - وَلَهُمْ أَقَاوِيلُ ثَلَاثٌ قَدْ حَكَيْنَا
- ٣٠٤٧ - وَالْآخِرَانِ هُمَا اللَّذَانِ عَلَيْنِهِمَا
- ٣٠٤٨ - أَنْتُمْ جَعَلْتُمْ وَصْفَهُ سُبْحَانَهُ
- ٣٠٤٩ - وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي ثَبَّتَ لَهُ
- ٣٠٥٠ - مِنْ جُمْلَةِ التَّرْكِيبِ ثُمَّ نَفَيْتُمْ
- ٣٠٥١ - فَجَعَلْتُمْ الْمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيلِ هَـ
- ٣٠٥٢ - لَكِنْ إِذَا قِيلَ: اضْطِلَاحٌ حَدِثٌ
- ٣٠٥٣ - فَنَقُولُ: نَفْيُكُمْ بِهِذَا الْاضْطِلَاحَ
- ٣٠٥٤ - وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِعُلُوِّهِ
- ٣٠٥٥ - وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِكَلَامِهِ
- تَعُدُّوهُمَا فِي اللَّفْظِ وَالْأَذْهَانِ
- تَّرْكِيبٌ فِيهَا ذَانِكَ النَّوْعَانِ
- عُقْلَاءٌ فِي تَّرْكِيبِ ذِي الْجُحْمَانِ
- سَنَاهَا وَيَبَيِّنَا أَنْتُمْ بَيَّانِ
- دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الَّتِي تَرِيَانِ
- بِعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ
- بِالْعَقْلِ وَالْمَنْقُولِ ذِي الْبُرْهَانِ
- مَضْمُونَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانِ
- ذَا الْاضْطِلَاحِ وَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ
- لَا حَجَرَ فِي هَذَا عَلَى إِنْسَانِ
- حِ صِفَاتِهِ هُوَ أَبْطَلُ الْبُطْلَانِ
- فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
- بِالْوَحْيِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ

- ٣٠٥٦- وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ لِرُؤُوتِنَا لَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
- ٣٠٥٧- وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ لِسَائِرِ مَا أَتَى فِي النُّقْلِ مِنْ وَصْفِ بَعْضِ مَعَانِ
- ٣٠٥٨- كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَصَابِعِ وَالَّذِي أَبَدًا يَسُوءُكُمْ بِبَلَا كِتْمَانِ
- ٣٠٥٩- وَبِوُدِّكُمْ لَوْلَمْ يَقُلْهُ رَبُّنَا وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ
- ٣٠٦٠- وَبِوُدِّكُمْ وَاللَّهِ لَمَّا قَالَهُ أَنْ لَيْسَ يَدْخُلُ مَسْمَعَ الْإِنْسَانِ

الشرح

بَيَّنَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَحْكَامَ هَذِهِ التَّرَاكِيْبِ السِّتَّةِ، فَقَالَ:

- ٣٠٤٣- فَالْأَوْلَىٰ لِحَقِيقَةِ التَّرْكِيبِ لَا تَعْدُوهُمَا فِي اللَّفْظِ وَالْأَذْهَانِ
- ٣٠٤٤- وَكَذَلِكَ الْأَعْيَانُ أَيْضًا إِنَّمَا التَّ- تَرْكِيبُ فِيهَا ذَانِكَ النَّوْعَانِ
- قَوْلُهُ: «فَالْأَوْلَىٰ لِحَقِيقَةِ التَّرْكِيبِ لَا تَعْدُوهُمَا» وهما: التركيب بين مُتْبَائِنَيْنِ
والتركيب بين مُتَجَاوِرَيْنِ، فهنا التركيبُ فيهما واضحٌ، فالجسمُ مثلاً مركَّبٌ من
عظم، ولحم، وعصب، وجلد، وما أشبه ذلك، والبابُ في إيطاره مركَّبٌ من
الباب، والإطار، والسَّارية، وما أشبه ذلك.

- ٣٠٤٥- وَالْأَوْسَطَانِ هُمَا اللَّذَانِ تَنَازَعَا الْ- عُقْلَاءُ فِي تَرْكِيبِ ذِي الْجُتْمَانِ
- قَوْلُهُ: «وَالْأَوْسَطَانِ» ما هما؟ الثالث: المركَّبُ من متماثلٍ يُدْعَى الجواهر،
والرابع: المركَّبُ من الهَيُوتَى والصورة، يعني: مذهب الفلاسفة: الهَيُوتَى
والصورة، ومذهب المتكلمين الجواهر الفردة.

٣٠٤٦- وَلَهُمْ أَقَاوِيلُ ثَلَاثٌ قَدْ حَكَيْتُ سَنَاهَا وَبَيَّنَّا أَنَّكُمْ بَيَّانِ

وهذه الأقاويل هي التي أشار إليها عن ابن الخطيب.

٣٠٤٧- وَالْآخِرَانِ هُمَا اللَّذَانِ عَلَيَّهِمَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الَّتِي تَرَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْآخِرَانِ...» وهما: التركيب من الذات والصفات، ومن الماهية والوجود؛ لأن الماهية والوجود في الحقيقة لا يعدو أن يكون من باب التركيب من الذات والصفات؛ إذ إن الوجود صفة الموجود.

ثُمَّ قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

٣٠٤٨- أَنْتُمْ جَعَلْتُمْ وَصْفَهُ سُبْحَانَهُ بَعْلُوهُ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ

٣٠٤٩- وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي ثَبَّتَ لَهُ بِالْعَقْلِ وَالْمَنْقُولِ ذِي الْبُرْهَانِ

٣٠٥٠- مِنْ جُمْلَةِ التَّرْكِيبِ ثُمَّ نَفَيْتُمْ مَضْمُونَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بُرِّهَانَ

قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمْ وَصْفَهُ بَعْلُوهُ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا» يعني: جعلتم ذلك من جملة التركيب.

فجعلوا اتَّصَفَ اللهُ بالصفات من باب التركيب، وقالوا: التركيب في حق الباري ممتنع، وقد ذكرنا أولاً ما قاله ابن القيم من أننا نُثِبْتُ هذا التركيب وإن سمَّيتموه تركيباً فإننا لن نفرَّ منه بمجرد ما سمَّيتموه، سمَّوه ما شئتم، فنحن نُثِبْتُ لله ذاتاً وثبَّتْ له صفاتٍ، أنتم سمَّيتموه تركيباً أم لم تُسمَّوه لا يُهمُّنا.

٣٠٥١- فَجَعَلْتُمْ الْمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيلِ هَذَا الْإِضْطِلَاحَ وَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمْ الْمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيلِ» أي: لتعطيل الرّبِّ عزَّ وجلَّ من صفاته.

٣٠٥٢- لَكِنْ إِذَا قِيلَ: اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ لَا حَجَرَ فِي هَذَا عَلَى إِنْسَانٍ

يعني: في مسألة ما إذا قيل: إن من التركيب تركيب الذات والصفات، فإذا قال إنسان: لا تُنكروا علينا هذا التركيب لأن هذا اصطلاح، ولا مُشاحّة في الاصطلاح، ولا حَجَرَ على الإنسان فيما اصطُح عليه؛ فإن المؤلف يقول:

٣٠٥٣- فَتَقُولُ: نَفْيُكُمْ بِهَذَا الْإِصْطِلَاحِ حِصْفَاتِهِ هُوَ أَبْطَلُ الْبُطْلَانِ

يعني: سلّمنا أن هذا اصطلاح حكم، ولا ننكر عليكم الاصطلاح، لكن الذي نُنكره هو نفيكم للصفات من أجل هذا الاصطلاح، حيث تقولون: إن إثبات الصفات يستلزم التركيب، والتركيب في حق الخالق مُحال، وحينئذ يكون إثبات الصفات مُحالاً.

٣٠٥٤- وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِعُلُوِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

يعني: فإن من أبطل البطلان أن تنكروا علو الله من أجل دعوكم أن هذا يستلزم التركيب، فهذا باطل.

٣٠٥٥- وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِكَلَامِهِ بِالْوَحْيِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ

أي: ننكره عليكم، ونقول: إنه باطل وإن وافقناكم على تسمية هذا تركيباً. قَوْلُهُ: «كَالْتَّوْرَةِ» المشهور عند السلف أنها من كلام الله، بل ولا أعلم أحداً منهم إلا ويقول: إنها كلام الله، وقد كان الناس زمن المأمون يُمتحنون في القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، فالتأولون منهم تأولاً صادقاً يشيرون إلى أيديهم ويقولون: هذه مخلوقة، والمؤلف أيضاً كلامه هنا يدل عليه؛ ولذا قال: (لكلامه بِالْوَحْيِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ).

لكن الذي ورد في القرآن أَنَّ اللهَ كتبها وأنزلها، وليس هناك شيءٌ صريحٌ أنَّها كلامُ الله، وأمَّا قوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] فهذا يحتمل أنهم يسمعون التوراة، أو أنهم سمعوا كلامَ الله حين كلمَ موسى، وقالوا: ﴿لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، أو يسمعون كلامَ الله، يعني: يسمعون القرآن ويحرفونه.

٣٠٥٦- وَكَذَلِكَ نَفِيكُم لِرُؤْيَيْنَا لَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
٣٠٥٧- وَكَذَلِكَ نَفِيكُم لِسَائِرِ مَا أَتَى فِي النَّقْلِ مِنْ وَصْفِ بَغَيْرِ مَعَانَ
كُلُّ هذا واضحٌ، يعني أَنَّ الذي تُنكرُ عليكم ليس تسميتكم هذا تركيباً، بل إنكاركم للصفات من أجله.

٣٠٥٨- كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَصَابِعِ وَالَّذِي أَبَدًا يَسُوءُكُمْ بِأَلَا كِتْمَانِ
(الوجه) ثابتٌ لله عزَّ وجلَّ بالقرآن والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلفِ، وكذلك (اليَدِ)، و(الأصابع) أيضًا ثبتت بالسُّنَّةِ، وكذلك الذي يسوءكم أبدًا كنزوله إلى السَّماءِ الدُّنيا، وما أشبه ذلك.

٣٠٥٩- وَبِوُدِّكُمْ لَوْلَمْ يَقْلَهُ رَبُّنَا وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ
يعني أنَّكم تَوَدُّونَ أَنَّ اللهَ لم يصف نفسه بهذه الصفات، وهذا من أغرب ما يكون، أن يكونوا أشدَّ غَيْرَةً من الله على الله، فيكروهون أن يصفَ الله نفسه بهذه الصفات؛ خوفاً من التركيب على زعمهم.

٣٠٦٠- وَيُودِّكُمْ وَاللَّهِ لَمَّا قَالَهُ أَنْ لَيْسَ يَدْخُلُ مَسْمَعَ الْإِنْسَانِ
يعني أنكم تودون أولاً أن الله لم يقله ولا رسوله، ثم تودون ثانياً ألا تدخل
مسمع الإنسان، ولا يسمعها الناس ولا تبلغهم.

- ٣٠٦١- قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اسْتِنَادِ الْكُونَِ أَجْرٌ مَعَهُ إِلَى خَلْقِهِ الرَّحْمَنِ
وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ
٣٠٦٢- مَا قَامَ قَطُّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ
هُوَ وَاحِدٌ^(١) فِي وَصْفِهِ وَعُلُوُّهُ
٣٠٦٣- مَا لِلْوَرَى رَبُّ سِوَاهُ ثَانٍ
وَصِفَاتِهِ بِالْفُشْرِ وَالْهَدْيَانِ؟
٣٠٦٤- فَلَإِيٍّ مَعْنَى مُجْحَدُونَ عُلُوُّهُ
لَ: مَعَ الْإِلَهِ لَنَا إِلَهُ ثَانٍ
٣٠٦٥- هَذَا وَمَا الْمَحْدُورُ إِلَّا أَنْ يُعَا
هَذَانِ مَحْدُورَانِ مَحْظُورَانِ
٣٠٦٦- أَوْ أَنْ يُعْطَلَ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ
أَوْصَافُهُ أَرَبَتْ عَلَى الْحُسْبَانِ
٣٠٦٧- أَمَّا إِذَا مَا قِيلَ: رَبُّ وَاحِدٌ
مُتَوَحِّدًا بَلْ دَائِمٌ الْإِحْسَانِ
٣٠٦٨- وَهُوَ الْقَدِيمُ فَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ
تُمْ: لَيْسَ هَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ؟
٣٠٦٩- فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْ
بُهِتٌ فَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ
٣٠٧٠- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ نُقْصٌ فَذَا
أَوْ شِرْكَةٍ بِالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
٣٠٧١- النَّقْصُ فِي أَمْرَيْنِ: سَلْبِ كَمَالِهِ
فِي أَيِّ عَقْلِ ذَلِكَ أَمْ قُرْآنِ؟!
٣٠٧٢- أَتَكُونُ أَوْصَافُ الْكَمَالِ نَقِيصَةً

(١) في نسخة ابن سحمان: «شيء» وما في المتن أولى.

- ٣٠٧٣- إِنَّ الْكَمَالَ بِكَثْرَةِ الْأَوْصَافِ لَا
فِي سَائِبِهَا ذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
- ٣٠٧٤- مَا النَّقْضُ غَيْرُ السَّلْبِ حَسْبُ وَكُلُّ نَقْضٍ
صِ أَوْلَهُ ذَا وَاضِحُ التَّبْيَانِ
- ٣٠٧٥- فَالْجَهْلُ سَلْبُ الْعِلْمِ وَهُوَ نَقِيصَةٌ
وَالظُّلْمُ سَلْبُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانُ
- ٣٠٧٦- مُتَنَقِّضُ الرَّحْمَنِ سَالِبٌ وَصْفِهِ
حَقًّا تَعَالَى اللَّهُ عَنِ نُقْصَانِ
- ٣٠٧٧- وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ
وَالْحَمْدُ وَالتَّمْجِيدُ كُلُّ أَوَانِ
- ٣٠٧٨- وَلِذَاكَ أَعْلَمُ خَلْقِهِ أَذْرَاهُمْ
بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٣٠٧٩- وَلَهُ صِفَاتٌ لَيْسَ يُحْصِيهَا سِوَا
هُ مِنْ مَلَائِكَةٍ وَلَا إِنْسَانِ
- ٣٠٨٠- وَلِذَاكَ يُثْنِي فِي الْقِيَامَةِ سَاجِدًا
لَمَّا يَرَاهُ الْمُصْطَفَى بَعِيَانِ
- ٣٠٨١- بِثَنَاءِ حَمْدٍ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
لِيُحْصِيَهُ مَدَى الْأَرْزَامِ
- ٣٠٨٢- وَثَنَاؤُهُ بِصِفَاتِهِ لَا بِالسُّلُوكِ
بِ^(١) كَمَا يَقُولُ الْعَادِمُ الْعِرْفَانِ
- ٣٠٨٣- وَالْعَقْلُ دَلٌّ عَلَى انْتِهَاءِ الْكَوْنِ أَجْزَاءً
مَعَهُ إِلَى رَبِّ عَظِيمِ الشَّانِ
- ٣٠٨٤- وَثُبُوتُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِذَاتِهِ
لَا يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا الْبُرْهَانِ
- ٣٠٨٥- وَالْكَوْنُ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهُ تَعَالَى
لِي ذُو الْكَمَالِ وَدَائِمُ السُّلْطَانِ
- ٣٠٨٦- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
فَوْقَ الْوُجُودِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
- ٣٠٨٧- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَلَّا
مَعْبُودٌ لَا شَيْءٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

(١) في نسخ التيمورية وابن سحمان: «بالسكوت» بالتاء المثناة.

- ٣٠٨٨ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو حِكْمَةٍ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
- ٣٠٨٩ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو قُدْرَةٍ حَيِّ عَلِيمٍ دَائِمٍ الْإِحْسَانِ
- ٣٠٩٠ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْفَعَّالُ حَقٌّ قَائِلٌ يَوْمَ رَبِّنَا فِي شَأْنِ أَفْعَالِهِ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ
- ٣٠٩٢ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ مَ بِنَفْسِهِ وَمُقِيمٌ ذِي الْأَكْوَانِ وَإِرَادَةٌ وَمَحَبَّةٌ وَحَنَانٌ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ خَلَّاقٌ بَاعِثٌ هَذِهِ الْأَبْدَانَ تَعْطِيلٌ تِلْكَ شَهَادَةُ الْبُطْلَانِ
- ٣٠٩٤ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ
- ٣٠٩٥ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
- ٣٠٩٦ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الـ
- ٣٠٩٧ - لَا تَجْعَلُوهُ شَاهِدًا بِالزُّورِ وَالتـ

الشرح

٣٠٦١ - قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اسْتِنَادِ الْكُونَِ أَجْبُ مَعَهُ إِلَى خَلْقِهِ الرَّحْمَنِ

يعني أن الكون كله مفتقر إلى الله عز وجل؛ لأنه هو الخلاق الذي خلقه، وأتى بـ(الرحمن) لأن الكون مفتقر لرحمة الله عز وجل، فلولا رحمة الله ما قام هذا الكون بأجمعه.

٣٠٦٢ - مَا قَامَ قَطُّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ قَوْلُهُ: «مَا قَامَ قَطُّ» يعني الدليل.

قَوْلُهُ: «قَطَّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ» يعني: ليس في القرآن ولا في السُّنَّةِ نفيُ صفاتِ الله، بل الذي فيها نفيُ المماثلة؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وكقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] وكقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٦٥] وهذا لا يدلُّ على انتفاء الصفات وإنما يدلُّ على كماله، وأنه لكمالِه لا يوجدُ له مثيلٌ.

٣٠٦٣- هُوَ وَاحِدٌ فِي وَصْفِهِ وَعُلُوِّهِ مَا لِلْوَرَى رَبِّ سِوَاهُ ثَانٍ
٣٠٦٤- فَلَايِي مَعْنَى تَجَحُّدُونَ عُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ بِالْفَشْرِ وَالْهَدْيَانِ؟
قَوْلُهُ: «الْفَشْرِ» الكلامُ اللَّغْوُ.

قَوْلُهُ: «الْهَدْيَانِ» الكلامُ الذي لا يقصده صاحبه، بل يأتي من كِبَرٍ أو نحوِه.
٣٠٦٥- هَذَا وَمَا الْمَحْذُورُ إِلَّا أَنْ يُقَا لَ: مَعَ الْإِلَهِ لَنَا إِلَهٌ ثَانٍ
وهذا هو الشُّرْكُ، هذا هو المحذور، أمَّا أن يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ مُتَّصِفٌ
بالصفات اللاتقة به فهذا ليس بمحذور، المحذورُ أن تجعلَ مع الله إلهًا آخَرَ.

٣٠٦٦- أَوْ أَنْ يُعْطَلَ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ هَذَانِ مَحْذُورَانِ مَحْظُورَانِ
قَوْلُهُ: «هَذَانِ مَحْذُورَانِ مَحْظُورَانِ» هما: الشُّرْكُ، والثاني: التعطيلُ.
وقَوْلُهُ: «مَحْظُورَانِ» أي: يجبُ الحذرُ منها.

وقَوْلُهُ: «مَحْظُورَانِ» أي: ممنوعان شرعًا، بل وعقلًا أيضًا؛ فإنَّ العقلَ قد دَلَّ على أنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - متصفٌ بصفات الكمال، وأنه لا شريكَ له في ذلك.

٣٠٦٧- أَمَّا إِذَا مَا قِيلَ: رَبُّ وَاحِدٌ أَوْ صَافُهُ أَرَبْتُ عَلَى الْحُسْبَانِ
قَوْلُهُ: «أَرَبْتُ» يعني: زادت.
قَوْلُهُ: «على الحسبان» يعني الحساب.

إذا قيل: هو رَبُّ واحدٌ لكن صفاته لا تُحصى فإن هذا ليس بمُنكرٍ.

٣٠٦٨- وَهُوَ الْقَدِيمُ فَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ مُتَوَحِّدًا بَلْ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْقَدِيمُ» أي: وهو القديم وصفًا وليس اسمًا، فإنَّ (القديم) ليس
من أسماء الله؛ لأنَّ ذلك لم يردْ لا في القرآن ولا في السُّنَّة، ولكن يُوصَفُ بأنَّه قديمٌ،
والقِدَمُ عندهم ليس هو القِدَمُ في اللغة العربية، القِدَمُ في اللغة العربية: سَبَقُ الغير
ولو كان حادثًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾
[يس: ٣٩] أمَّا القديمُ عند الفلاسفة والمتكلمين فهو الذي لم يُسبَقْ بعدم، ومع ذلك
لا نُسَمِّي الله به، وإن كان معناه صحيحًا، لكننا لا نُسَمِّي الله به؛ لأنَّ الأسماء
توقيفية.

وقد ذكر أهل العلم أنَّه يُغني عنه (الأوَّل) الذي جاءت به النصوصُ، وفيه
دلالةٌ صريحةٌ على أنَّه لم يسبقه أحدٌ، ولم يقارنه أحدٌ في وجوده عزَّ وجلَّ، وأنَّ
الأمورَ تؤوَّلُ إليه؛ لأنَّ (الأوَّل) قد يكون مشتقًّا من (الأوَّل) أيضًا.

إنما قول المؤلف: «وَهُوَ الْقَدِيمُ» هذا من باب الوصف لا الاسم.

٣٠٦٩- فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْ سُمْ: لَيْسَ هَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ؟

الاستفهامُ هنا للنفي والتحدِّي، يعني: أيُّ برهان ينفي ذلك وأنَّه لا يمكنُ
أنَّ يتصف بالصفات؟ إن كان فأتوا به.

٣٠٧٠- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ نَقْصٌ فَذَا بُهتٌ فَمَا فِي ذَاكَ مِنْ نُقْصَانٍ

يعني: لو قلتم: نفي ثبوت الصفات له؛ لأنه يقتضي أن يكون مركباً من ذاتٍ وصفاتٍ وهذا نقصٌ، ماذا نقول؟ نقول: هذا كذبٌ وبهتٌ، فأبى نقصٍ يكون في اتّصاف الله عزّ وجلّ بالصفات الكاملة، النقص في الحقيقة بسلب الصفات عنه؛ ولهذا قال:

٣٠٧١- النَّقْصُ فِي أَمْرَيْنِ: سَلْبِ كَمَالِهِ أَوْ شِرْكَةِ بِالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «سَلْبِ كَمَالِهِ» بدل.

النقص في أمرين: إمّا سلبُ كماله كما زعم أهل التعطيل، وإمّا الإشرافُ به كما زعم أهل التمثيل، فإنّ أهل التمثيل يثبتون لله المثل، وهذا شركٌ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] إذنّ فالتقص فيمن غلا في الإثبات فمثل، أو غلا في النفي فعطل.

٣٠٧٢- أَتَكُونُ أَوْصَافُ الْكَمَالِ نَقِيصَةً فِي أَيِّ عَقْلِ ذَاكَ أَمْ قُرْآنٍ؟!

الجواب: لا تكون، لا بدلالة العقل، ولا بدلالة السمع الذي أشار إليه المؤلف بقوله: (أم قرآن).

٣٠٧٣- إِنَّ الْكَمَالَ بِكَثْرَةِ الْأَوْصَافِ لَا فِي سَلْبِهَا ذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

وقوله: «إِنَّ الْكَمَالَ بِكَثْرَةِ الْأَوْصَافِ فِي سَلْبِهَا» (سلبها) أي: نفيها.

وهذا صحيحٌ، فالكمال بكثرة الأوصاف، يعني الكاملة، وكلّمَا كَثُرَتْ أَوْصَافُ الْكَمَالِ كَثُرَ الْكَمَالُ، وكلّمَا قَلَّتْ قَلَّ الْكَمَالُ؛ ولذلك نجد الرجل يكون أكمل إذا كان عنده علمٌ في التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، والحساب،

وغير ذلك، فيكون أكمل مما ليس عنده إلا علمٌ فنَّ واحد، فكُلَّمَا كَثُرَتِ الْأَوْصَافُ صار ذلك أكمل في الموصوف.

٣٠٧٤- مَا النَّقْصُ غَيْرَ السَّلْبِ حَسْبُ وَكُلُّ نَقْصٍ أَصْلُهُ ذَا وَاضِحِ التَّبْيَانِ

يقول: النقص - حقيقةً - هو السلب، وكلُّ نقصٍ فأصله السلب، يعني النفي؛ لأنَّ النفيَ عدمٌ، فإذا نَفَيْتَ سَلَبْتَ المنفيَّ عنه صفةَ الكمال، وهذا نقصٌ؛ ولهذا قال - رحمه الله - مَثَلًا:

٣٠٧٥- فَالْجَهْلُ سَلْبُ الْعِلْمِ وَهُوَ نَقِيصَةٌ وَالظُّلْمُ سَلْبُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

إذا قلنا: إنَّ الله لا يُوصَفُ بالعلم لزم أن يُوصَفَ بالجهل، وإذا قلنا: إنَّه لا يُوصَفُ بأنَّه عدلٌ لزم أن يكونَ ظالمًا ولا بُدَّ.

٣٠٧٦- مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبٌ وَصِفِهِ حَقًّا تَعَالَى اللَّهُ عَنِ نُقْصَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبٌ وَصِفِهِ» (مُتَنَقِّصٌ) خبرٌ مُقَدَّمٌ، و(سَالِبٌ وَصِفِهِ) مبتدأٌ مؤخَّرٌ، يعني: سالبٌ وصفِ الرحمن هو المتنقِّصُ له، وليس المَثْبُتُ لوصفِ الرحمن.

٣٠٧٧- وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ وَالْحَمْدُ وَالتَّمَجِيدُ كُلُّ أَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ» أي: الثناء على الله.

إذا قال: أَثْنَى عَلَى اللَّهِ يعني: كَرَّرَ أَوْصَافَهُ الْحَمِيدَةَ كما يدلُّ لذلك الحديث: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي»^(١).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٤).

٣٠٧٨- وَلِذَلِكَ أَعْلَمُ خَلْقَهُ أَدْرَاهُمْ بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
أَعْلَمُ خَلْقَهُ أَدْرَاهُمْ بِصِفَاتِهِ، وهو الذي جاء بالقرآن، يعني بذلك محمداً
-عليه الصلاة والسلام-.

٣٠٧٩- وَلَهُ صِفَاتٌ لَيْسَ يُحْصِيهَا سِوَا هُمِنْ مَلَائِكَةٍ وَلَا إِنْسَانٍ
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَفْتَحُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ صِفَاتٍ لَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ سِوَى الرَّسُولِ
-عليه الصلاة والسلام-، وذلك في يوم القيامة؛ ولهذا قال:

٣٠٨٠- وَلِذَلِكَ يُثْنِي فِي الْقِيَامَةِ سَاجِدًا لَمَّا يَرَاهُ الْمُصْطَفَى بَعِيَانٍ
يعني: إذا رأى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة عند طلب الشفاعة للعباد سجد،
فأثنى عليه^(١)، لكن بماذا؟ قال -رحمه الله-:

٣٠٨١- بِثَنَاءِ حَمْدٍ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيُحْصِيَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
٣٠٨٢- وَثَنَّاؤُهُ بِصِفَاتِهِ لَا بِالسَّلْوِ بِ كَمَا يَقُولُ الْعَادِمُ الْعِرْفَانِ
محامدٌ عظيمةٌ يفتحها الله عليه في ذلك الوقت لا يساويها شيءٌ من المحامد،
ولم يكن يعرفها في الدنيا.

٣٠٨٣- وَالْعَقْلُ دَلٌّ عَلَى انْتِهَاءِ الْكَوْنِ أَجْمَعٍ إِلَى رَبِّ عَظِيمِ الشَّانِ
وهذا كالبيت الذي سبق أن كل الكون يعود إلى الله ابتداءً وانتهاءً كما
قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، رقم (٤٤٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤).

٣٠٨٤- وَثُبُوتُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِذَاتِهِ لَا يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا الْبُرْهَانِ
يعني أن أوصاف الكمال لا تقتضي إبطال هذا البرهان، وهو أنه موصوف
بالمحامد، وكل الأشياء ترجع إليه.

٣٠٨٥- وَالْكَوْنُ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهُ تَعَالَى لِي ذُو الْكَمَالِ وَدَائِمُ السُّلْطَانِ
الكون يشهد شهادة قولية فيمن ينطق، وفعلية فيمن لا ينطق، يشهد بأن الله
- سبحانه وتعالى - خالقه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

٣٠٨٦- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوُجُودِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
الكون يشهد أنه فوق الوجود، أمّا بالنسبة للعقلاء فنعم يشهدون بذلك،
أمّا الجمادات فلا نعلم في هذا شيئاً يدل على أمّها تشهد بأن الله فوق الكون، ولعل
المؤلف اطلع على أشياء أو على أحاديث أو آثار تدل على هذا.

٣٠٨٧- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الـ مَعْبُودٌ لَا شَيْءٌ مِّنَ الْأَكْوَانِ
٣٠٨٨- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو حِكْمَةٍ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ

يشهد الكون أيضًا بلسان الحال أو بلسان المقال، فإذا تدبّر الإنسان هذه
المخلوقات وما فيها من الإبداع والانتظام عليم أن الذي خلقها ذو حكمة في غاية
الإتقان.

٣٠٨٩- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو قُدْرَةٍ حَيٍّ عَلِيمٍ دَائِمٍ الْإِحْسَانِ

٣٠٩٠- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْفَعَّالُ حَقًّا فَكُلُّ يَوْمٍ رَبِّنَا فِي شَانِ

يشهد أنه هو الفعَّال؛ وذلك لأنَّ الكونَ كما نشاهدُه يتجدَّدُ شيئًا فشيئًا، هذا يُولدُ، وهذا يموتُ، وهذا يُمرَّضُ، وهذا يشفى، وهكذا، ولا يقومُ هذا إلا بالله.

٣٠٩١- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْمُخْتَارُ فِي أَعْمَالِهِ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ

فإنَّ اللهَ لا مُكْرَهَ له، بل يفعلُ الشيءَ باختياره.

٣٠٩٢- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٣٠٩٣- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْقَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَمُقِيمٌ ذِي الْأَكْوَانِ

أتى المؤلف -رحمه الله- في تفسير (القيوم) على المعنيين: أنه القائم بنفسه، وأنه القائم به غيره؛ ولهذا قال: (القيوم قام بنفسه ومقيم ذي الأكوان) يعني: هو الذي أقام الأكوان وبه تقوم، وهو الذي قام بنفسه، والنتيجة أنه لا يحتاج إلى أحد، وأنَّ كلَّ أحدٍ محتاجٌ إليه.

٣٠٩٤- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَنَانِ

٣٠٩٥- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

٣٠٩٦- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْخَلْقُ بِاعْتِثُ هَذِهِ الْأَبْدَانِ

والمعنى في هذا واضح.

٣٠٩٧- لَا تَجْعَلُوهُ شَاهِدًا بِالزُّورِ وَالتَّعْطِيلِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْبُطْلَانِ

قوله: «لَا تَجْعَلُوهُ» أي: لا تجعلوا الكونَ (شاهدًا بالزور والتعطيل)، والخطابُ

في قوله: (لَا تَجْعَلُوهُ) لهؤلاء المعطلَّة الذين أنكروا ما شهد الكونُ بشوته لله.

- ٣٠٩٨- وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ
 ٣٠٩٩- بِشَهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا
 ٣١٠٠- وَكَذَلِكَ رُسُلُ اللَّهِ شَاهِدَةٌ بِهِ
 ٣١٠١- وَكَذَلِكَ كُتِبُ اللَّهُ شَاهِدَةٌ بِهِ
 ٣١٠٢- وَكَذَلِكَ الْفِطْرُ الَّتِي مَا غُيِّرَتْ
 ٣١٠٣- وَكَذَا الْعُقُولُ الْمُسْتَنِيرَاتُ الَّتِي
 ٣١٠٤- أَتَرُونَ أَنَا تَارِكُونَ ذَا كَلِّهِ
 ٣١٠٥- هَذِي الشُّهُودُ فَإِنْ طَلَبْتُمْ شَاهِدًا
 ٣١٠٦- إِذْ يَنْجَلِي هَذَا الْعِبَارُ فَيُظْهِرُ الْ
 ٣١٠٧- فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ
 ٣١٠٨- إِنْ قُلْتُ: لَا عَقْلَ وَلَا سَمْعَ لَكُمْ
 ٣١٠٩- هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ الْ
 ٣١١٠- فَالشيءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي لَدَى
 ٣١١١- قُلْتُمْ: نَفَيْنَا وَصَفَهُ وَعُلُوَّهُ
 ٣١١٢- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا
 ٣١١٣- أَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ مُرَكَّبًا
- إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
 اللَّهُ لَا بِشَهَادَةِ النَّكْرَانِ
 أَيْضًا فَسَلْ عَنْهُمْ عَلِيمَ زَمَانِ
 أَيْضًا فَهَذَا مُحْكَمُ الْقُرْآنِ
 عَنْ أَصْلِ خَلْقَتِهَا بِأَمْرِ ثَانِ
 فِيهَا مَصَابِيحُ الْهُدَى الرَّبَّانِي
 لِشَهَادَةِ الْجَهْمِيِّ وَالْيُونَانِي؟!
 مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بَعْدَ زَمَانِ
 حَقُّ الْمُبِينِ مُشَاهِدًا بِعِيَانِ
 مَلْزُومُ تَرْكِيبٍ فَمَنْ يُلْحَانِي
 وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانِ
 مَمْنُفِي؟ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ
 عَقْلِ سَلِيمٍ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ
 مِنْ خَشْيَةِ التَّرْكِيبِ وَالْإِمْكَانِ
 فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ
 فَالْفَوْقُ^(١) وَالتَّرْكِيبُ مُتَّفَقَانِ

(١) في نسخ الظاهرية والتممورية والسفارينية: «فالعرش».

- ٣١١٤ - فَفَنَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ مَعَ تَغْيِيرِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِشَانِ
- ٣١١٥ - بَلْ صُورَةُ الْبُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا شَكْلًا عَقِيًّا لَيْسَ ذَا بُرْهَانِ
- ٣١١٦ - لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ كَذَاكَ مَوْصُوفًا وَهَذَا حَاصِلُ الْبُرْهَانِ
- ٣١١٧ - فَإِذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرْكِيبِ بِأَلْفِ مَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ
- ٣١١٨ - جِئْنَا إِلَى الْمَعْنَى فَخَلَصْنَا مِنْهَا وَاطَّرَحْنَاهَا اطَّرَاحَ مُهَانَ
- ٣١١٩ - هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدَعِيَّةٍ مَذْمُومَةٌ مِّنَّا بِكُلِّ لِسَانِ
- ٣١٢٠ - وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ نَجَعَلُهُ مَكَانَ اللَّفْظِ بِالتَّرْكِيبِ فِي التَّبْيَانِ
- ٣١٢١ - وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ أَوْلَى بِالصِّفَا تِ وَبِالْعُلُوِّ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
- ٣١٢٢ - هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ الرُّسُلِ لَا أَصْحَابِ جَهْمٍ شِيعَةِ الْكُفْرَانِ

الشرح

- ٣٠٩٨ - وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
- ٣٠٩٩ - بِشَهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا اللَّهُ لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ

إذا تأملت الوجود رأيتَه - إن لم تكن من زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ، يعني أعمى -
 بشهادة الإثبات حَقًّا قَائِمًا، يعني: قائمًا بشهادة إثبات الصفات لله، فمثلًا: وجود
 النعم التي لا تُحصى على الخلق يدلُّ على الرحمة، ودفْعُ النقم كذلك يدلُّ على
 الرحمة، وإتقانُ المخلوقاتِ والشرائعِ يدلُّ على الحكمة، ومُجددُ الأشياءِ يدلُّ على
 الخلق، وهلمَّ جَرًّا.

فإذا تأملت الوجود رأيتَه قائماً بشهادة الإثبات، إلا أن تكون من العميان،
فالأعمى لا يبصر الشمس.

- ٣١٠٠ - وَكَذَلِكَ رُسُلُ اللَّهِ شَاهِدَةٌ بِهِ
أَيْضًا فَسَلْ عَنْهُمْ عَلِيمَ زَمَانٍ
- ٣١٠١ - وَكَذَلِكَ كُتِبَ اللَّهُ شَاهِدَةٌ بِهِ
أَيْضًا فَهَذَا مُحْكَمُ الْقُرْآنِ
- ٣١٠٢ - وَكَذَلِكَ الْفِطْرُ الَّتِي مَا غَيَّرَتْ
عَنْ أَصْلِ خَلْقَتِهَا بِأَمْرِ ثَانٍ
- ٣١٠٣ - وَكَذَا الْعُقُولُ الْمُسْتَيِّرَاتُ الَّتِي
فِيهَا مَصَابِيحُ الْهُدَى الرَّبَّانِي
- قَوْلُهُ: «شَاهِدَةٌ بِهِ» أَي: بِالْإِثْبَاتِ.

فالأدلة الآن خمسة:

الأول: الحس، وهذا سبق في قوله: (وإذا تأملت الوجود رأيتَه بشهادة
الإثبات حقاً قائماً)، الثاني: الرُّسُلُ، الثالث: الكتب، الرابع: الفِطْرُ، الخامس:
العقول، فكلُّها تشهدُ بإثبات الصفاتِ لله تعالى حقاً.

- ٣١٠٤ - أَتَرَوْنَ أَنَا تَارِكُونَ كَلِّهِ
لِشَهَادَةِ الْجَهْمِيِّ وَالْيُونَانِيِّ؟!
- الجواب: لا، فلا يمكن أن تُترك هذه الأدلة والبراهين القاطعة من أجل هذه
الشبهة التي أوردها اليونانيُّ أو الجهميُّ.

- ٣١٠٥ - هَذِي الشُّهُودُ فَإِنْ طَلَبْتُمْ شَاهِدًا
مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بَعْدَ زَمَانٍ
- ٣١٠٦ - إِذْ يَنْجَلِي هَذَا الْغُبَارُ فَيُظْهِرُ الْ
حَقَّ الْمَيِّينُ مُشَاهِدًا بَعِيَانٍ
- قَوْلُهُ: «هَذِي الشُّهُودُ» أَي: فِي الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ: «إِنْ طَلَبْتُمْ شَاهِدًا مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بَعْدَ زَمَانٍ» متى يقوم؟ الجواب: يوم القيامة، حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، وحين لا يتمكنون من التملص مما شهدت به عليهم.

٣١٠٧- فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ مَلْزُومٌ تَرْكِيبٍ فَمَنْ يُلْحَانِي

٣١٠٨- إِنْ قُلْتُ: لَا عَقْلَ وَلَا سَمْعَ لَكُمْ وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانٍ

٣١٠٩- هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ أَلَمْ

٣١١٠- فَالشيءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي لَدَى عَقْلِ سَلِيمٍ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا» المشار إليه يعني: هذا الإثبات، وهو إثبات الصفات، وقلتم: إنه ملزوم التركيب.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يُلْحَانِي» يعني: من يلومني إن قلت: إنه ليس عندكم عقل ولا سمع.

قَوْلُهُ: «وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانٍ» يعني: بإعلام بأنكم ليس عندكم سمع ولا عقل.

قَوْلُهُ: «هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ؟» الجواب: لا، وهم جعلوا الملزوم عينَ اللازم، فقالوا: إثبات الصفات تركيب، وهو يستلزم التركيب.

سبحان الله! كيف تقولون: تركيب يستلزم التركيب، وكلُّ العقلاء يقولون: إنَّ اللازمَ غيرُ الملزوم؟! أمَّا أن تجعلوا اللازمَ هو عينَ الملزوم، وتقولوا: إثبات الصفات تركيب وهو مستلزم للتركيب، فهذا باطل.

قَوْلُهُ: «فَالشيءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي» يعني: ليس ينفي نفسه.

قَوْلُهُ: «يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ» فِيهِ تَهْكُمٌ بِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْمَعْرِفَةِ، فَيَقُولُ: أَيْنَ مَعْرِفَتِكُمْ؟ كَيْفَ تَجْعَلُونَ اللَّازِمَ عَيْنَ الْمَلْزُومِ، وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا عَلَيْهِ الْعُقْلَاءُ كُلُّهُمْ؟!

فَحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ: أَنَّ اللَّازِمَ هُوَ عَيْنُ الْمَلْزُومِ، أَلَيْسَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ بَدَاةً فِي كُلِّ مَكَانٍ، قَلْنَا لَهُمْ: يَلْزِمُكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي الْحَشُوشِ وَالْقَاذُورَاتِ، وَبَطُونِ الْكِلَابِ، وَبَطُونِ الْحَمِيرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؟ هُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَذَا، لَوْ قَالُوا بِهَذَا كَفَّرَهُمُ الْعَالَمُ، وَرَمَوْهُمُ بِالْحِجَارَةِ، لَكِنَّهُ لَازِمٌ قَوْلِهِمْ، فَلَا يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ لَازِمُ الْقَوْلِ قَوْلًا لِقَائِلِهِ.

وَنَحْنُ ذَكَرْنَا فِيهَا سَبْقَ فِي كِتَابِ: (الْقَوَاعِدُ الْمُثَلِّيَّةُ) ^(١) هَلْ لَازِمُ الْقَوْلِ قَوْلٌ أَوْ لَا؟ وَقَلْنَا: إِنَّهُ إِذَا كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَازِمُهُ حَقٌّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَعْلَمُ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى قَوْلِهِ مِنَ اللُّوْازِمِ، أَمَّا الْبَشَرُ فَلَا زِمٌ قَوْلِهِ إِمَّا أَنْ يَنْفِيهِ وَيَصْرِّحَ بِنَفْيِهِ فَهَذَا لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وَإِمَّا أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ وَلَوْ ذُكِّرَ بِهِ لِرَجْعِ عَنْ قَوْلِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ وَلَوْ ذُكِّرَ بِهِ لِأَجَابٍ؛ فَالْإِنْسَانُ قَدْ يَقُولُ الْقَوْلَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِلُوْازِمِهِ، فَإِذَا ذُكِّرَتْ لَهُ لُوْازِمُهُ إِمَّا أَنْ يَجِيبَ عَنْهَا، أَوْ يَلْتَزِمَهَا وَهِيَ بَاطِلَةٌ، أَوْ يَقُولُ: هَذِهِ لَيْسَتْ بِلَازِمَةٍ فَيُنْكَرُهَا.

فَنَحْنُ نَقُولُ وَكُلُّ النَّاسِ يَقُولُونَ: إِنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ مَعَ الذَّاتِ تَرْكِيبًا أَبَدًا.

٣١١١- قُلْتُمْ: نَفْيًا وَصَفَهُ وَعُلُوَّهُ مِنْ حَشِيَّةِ التَّرْكِيبِ وَالْإِمْكَانِ

٣١١٢- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ

٣١١٣- أَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ مُرَكَّبًا فَالْفَوْقُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّفَقَانِ

(١) انظر: القواعد المثلى للشارح (ص: ١٣).

٣١١٤ - فَفَعَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ مَعَ تَغْيِيرِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِثَانِ قَوْلُهُ: «فَفَعَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ» يعني: نفيتم التركيب؛ لأنه يستلزم التركيب، فصار الدليل هو عين المدلول.

٣١١٥ - بَلْ صُورَةُ الْبُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا شَكْلًا عَقِيًّا لَيْسَ ذَا بُرْهَانٍ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي الْأَدَلَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُرْتَبَةِ أَنْ يَكُونَ الْإِلْزَامُ غَيْرَ الْمَلْزُومِ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ الْإِلْزَامُ هُوَ الْمَلْزُومِ، فَتَقُولُ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ تَرْكِيبٌ يَلْزَمُ مِنْهُ التَّرْكِيبُ، فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَشَكْلُ الْقَضِيَّةِ أَوْ الْاسْتِدْلَالِ عَلَى هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ.

٣١١٦ - لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ كَذَلِكَ مَوْصُوفًا وَهَذَا حَاصِلُ الْبُرْهَانِ هَذَا حَاصِلُ دَلِيلِكَ، لَوْ كَانَ مَتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ لَكَانَ مَتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ، لَوْ كَانَ مَرْكَبًا لَكَانَ مَرْكَبًا.

٣١١٧ - فَإِذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرْكِيبِ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ

٣١١٨ - جِئْنَا إِلَى الْمَعْنَى فَخَلَّصْنَا مِنْهَا وَاطْرَحْنَاهَا اطْرَاحَ مُهَانَ

قَوْلُهُ: «إِذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرْكِيبِ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ جِئْنَا إِلَى الْمَعْنَى فَخَلَّصْنَا مِنْهَا» فنقول: التركيب بين الموصوف والصفة غير ممتنع، وليس هناك تركيب بين شيئين مُتَبَايِنَيْنِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ لَازِمَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، وَمَا مِنْ مَوْصُوفٍ إِلَّا وَهُوَ صِفَةٌ، وَحِينَئِذٍ نُخَلِّصُ هَذِهِ الشُّبُهَةَ وَنَقُولُ: إِنَّ الصِّفَةَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَوْصُوفِ لَا تُعْتَبَرُ تَرْكِيبًا، وَلَا يُعْتَبَرُ هَذَا تَعَدُّدًا؛ لِأَنَّهَا مِنْ مَاهِيَّةِ الْمَوْصُوفِ، مِثْلَمَا قُلْنَا: إِنَّ وُجُودَ الشَّيْءِ هُوَ عَيْنُ مَاهِيَّتِهِ.

٣١١٩ - هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدَعِيَّةٍ مَذْمُومَةٌ مَنَّا بِكُلِّ لِسَانٍ

قَوْلُهُ: «هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدَعِيَّةٍ» الضميرُ (هي) يعودُ على لفظة التركيب.

٣١٢٠ - وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ نَجَعَلُهُ مَكَا نَ اللَّفْظِ بِالتَّرْكِيبِ فِي التَّبْيَانِ

٣١٢١ - وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ أَوْلَى بِالصِّفَا تِ وَبِالْعُلُوِّ لَمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

٣١٢٢ - هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ الرُّسُلِ لَا أَصْحَابِ جَهْمٍ شِيعَةِ الكُفْرَانِ

يعني: بدل أن نقول: (التركيب) نقول: (التوحيد)، فنقول: إثبات الصفات لله تعالى ليس بتركيبٍ ولكنه توحيدٌ، ولا يمكن قيام ذاتٍ بدون صفةٍ إطلاقاً، فإذا قلنا: إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - مُتَّصِفٌ بالصفات اللاتقة به من غير تمثيلٍ، فهذا توحيدٌ وليس بتركيبٍ.

والحاصل أنَّ المؤلفَ - رحمه الله - أبطل دليلهم الذي اعتمدوا عليه، وهو أنَّ إثبات الصفات يستلزم التركيب، والتركيب ممتنعٌ، ويبيِّن أنَّ التركيب ستة أنواعٍ، ومنه: تركيب الصفة مع موصوفها عندهم.

ونحن نقول: عن ذلك جوابان:

الجوابُ الأوَّلُ: أن نمنع كونه تركيباً.

الجوابُ الثاني: أن نقول: هو تركيبٌ باصطلاحكم، لكن أين الدليل على بطلانه؟

بفضل الله تعالى وتوفيقه تمَّ المجلد الثاني

ويليه بمشيئة الله تعالى المجلد الثالث

وأوله: فصلٌ في أقسام التَّوْحِيدِ، البيت رقم (٣١٢٣)

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الآيات

الصفحة	الآية
٥٥، ١٠	﴿وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
٣١٩، ٢١٦	
٢٣٧، ١٠	﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾
٦٢٤، ٤٨٥	
١٠	﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾
١٦	﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾
١٦	﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾
١٧	﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ﴾
١٧	﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾
	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ
١٧	﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾
٤٥٨، ١٨	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾
٦٧٢	
١٨	﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾
	﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢١﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ
٢٧، ١٨	﴿أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾
٢٨	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾
٣٣	﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

- ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ٢٣٧، ٣٤
- ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ٤٢
- ﴿ وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ٤٢
- ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ٤٦
- ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ٤٦
- ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْوِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ ﴾ ٤٧
- ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ٤٧
- ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ٥٥
- ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ٦٥، ١٠
- ٦٢٥، ٢٣٧، ١٠٣، ٧٤
- ﴿ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ ٦٥
- ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٧٦، ٦٦
- ٦٢٤، ١٠٠
- ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٦٩، ٦٦
- ﴿ الْمَ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴾ ٦٩، ٦٦
- ٧٦
- ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ﴾ ٦٧
- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٧٥
- ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ٧٦

- ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا ﴾ ٧٦
- ﴿ وَتَرَى الْمَلَكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٧٧
- ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ ﴾ ٧٧
- ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ ٨٠
- ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ ٨٠
- ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ٨١، ١٠١
- ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ٨١
- ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ ٨١
- ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ٨٣، ٥٣٨
- ٦٢٤
- ﴿ أَمْوَالٌ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ ٨٣
- ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ٨٥
- ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ٨٥
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ ٨٧
- ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ٨٧، ٢٦٢
- ٦١٣
- ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ ٩٠

- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ الَّذِي كَفَرُوا بِآيَاتِي وَتَمَّ كَيْدُهُمْ فَتَلَقَّى الشَّيْطَانُ الْوَعْدَ الَّذِي بَعَثَ فِيهِمْ رَبِّي فَأَوْصَتْ أَفْئِدَتُهُمْ بِمَا يَشَاءُ الشَّيْطَانُ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُونُ حَكِيمًا ﴾ ٩٠
- ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ ٩٢
- ﴿ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ٩٢
- ﴿ حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ ٩٦
- ﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ٩٦
- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴾ ٩٧
- ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ٩٧
- ﴿ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ١٥٤، ٩٧
- ٤٩٨، ٣٥٢، ٣٤١، ٣٣٩، ٣٠٣، ٢٢٧، ١٧٨
- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ٣٤١، ٩٧
- ٤٦٠
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ٩٨
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ بَحْرٍ مَّهِينٍ مِّنْ عَذَابِ الْهِمِّ ﴾ ٩٩
- ﴿ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ٩٩
- ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ١٠٢
- ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ١٠٥
- ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ١٠٥

- ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ١١٠
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ .. ١١٠
- ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ١١١
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ١١٢
- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ١١٣
- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١١٦
- ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ ١١٨
- ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ١٢١، ١١٨
- ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي﴾ ٦١٣، ١٢٠
- ﴿فَأَتُوا بِنَابِيَنَّا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ١٢٠
- ﴿وَجِئْهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا ﴿٢٤﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرًا﴾ ١٢٣
- ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ١٢٤
- ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ ١٢٤
- ﴿أَبْنِ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ١٨٦، ١٣٧
- ٣٤٦، ٣٤٣
- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ ١٣٩
- ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ ١٣٩

- ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ ١٤٠
- ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ١٤١
- ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ ١٤٥
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ١٧٢، ١٥٩
- ٦٢٤، ٥٣٨، ٣٨٤، ٣٥١، ٣٤١، ٣٣٥، ٣٠٣
- ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ١٦٠
- ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ١٦٠
- ﴿تَكْفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ١٦٩
- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ ١٧٢
- ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ١٧٥
- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ١٧٨
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٧٩
- ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ١٧٩
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ٣٤٤، ١٨٥
- ٣٤٦
- ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ١٨٦
- ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٨٦
- ﴿أَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٨٦
- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ ١٨٧
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ١٩٠

- ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ﴾ ٢٠١، ١٩٢
- ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ١٩٧
- ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ٢٠٤
- ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ ٢٠٥
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ٢١٤، ٢١١
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ٢٤١، ٢١١
- ٧٥٤، ٥٨٩، ٥٥٥، ٥٣٨، ٣٤٧
- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
 وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ ٢١١
- ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ٢١١
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ ٢١٢
- ﴿إِلَّا ابْنُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٢١٢
- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ٢١٢
- ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ٢١٢
- ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ ٢١٢
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٢١٢
- ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ ٢١٣
- ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ٢١٣
- ﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٢١٣

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ ٢١٣
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ٢١٤
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ٢١٤
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ٢١٤
- ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ٢١٥
- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ٢١٥
- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ٢٣٥، ٢١٦
- ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ٢١٦
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ٢٣٧، ٢١٦
- ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ ٢١٦
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ﴾ ٢٣٤
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ٢٣٤
- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ٢٣٤
- ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ٢٣٤
- ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٢٣٥
- ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ٢٣٥
- ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ٢٣٥
- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ ٢٣٥
- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ٢٣٧

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ٢٣٩
- ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ٢٣٩
- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا﴾ ٢٣٩
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ٢٣٩
- ﴿رَبِّ آدَمَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَكُلًّا سَبَّحْنَاهُ فِي سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢٤٠
- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا﴾ ٢٤٠
- ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ ٢٤٠
- ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ ٢٤١
- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿١١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٢٤٣
- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ٢٤٣
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ٢٥٢
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٥٢
- ﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ٢٥٧
- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ ٢٦٢
- ﴿لَا تُفْنَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ٢٦٤

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٢٦٧
- ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ٢٦٩
- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمِ يَوْمِ الْأَشْهَادِ﴾ ٢٧٠
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ٢٧١
- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ ٢٨٠
- ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ٢٨٠
- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ٢٨٠
- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ
الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ٢٨٠
- ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ٢٨٤
- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي
دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ٢٩٦
- ﴿وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ ٢٩٩
- ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ٢٩٩
- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ ٣٩٧، ٣٠٠
- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ٣٣٦، ٣٠٢
- ٥٥٥، ٥٢٣، ٤٩٦
- ﴿لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ﴾ ٣٠٩
- ﴿فَكَانَ مِنْ قَرَابَةِ أهلكنها وهي ظالمة﴾ ٣١٢

- ٣١٢ ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾
- ٣١٢ ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾
- ٣١٦ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾
- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طَعْنِهَا يَمَمُّونَ﴾
- ٣٢٩ ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾
- ٣٣١ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ﴾
- ٣٣٨ ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾
- ٣٤٠ ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾
- ٣٤٥ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾
- ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾
- ٣٤٧ ﴿وَمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾
- ٣٤٨ ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
- ٣٥٣ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾
- ٦٨٤، ٣٥٦ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾
- ٣٥٧ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾
- ٣٥٨ ﴿فَكَاتِبِينَ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾
- ٣٦٢ ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾

- ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ٣٦٣
- ﴿ وَسْئَلِ الْقَرِيَةَ ﴾ ٣٦٤
- ﴿ عُمَّلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ ٣٧٢
- ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ﴾ ٣٧٦
- ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْئَلُ بِهِ خَبِيرًا ﴾ ٣٧٩
- ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ٥٤٦، ٣٩٦
- ﴿ وَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ٣٩٨
- ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ٣٩٨
- ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ٣٩٨
- ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ٣٩٨
- ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ٣٩٨
- ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْهُ أَوْ جَنُودًا ﴾ ٤٠٩
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ ٤١١
- ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ ٤١١
- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ٤١١
- ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ٤١٣
- ﴿ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ٤١٥
- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ ٥٥٣، ٤٢٣
- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ٥٥٣، ٤٢٣

- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ ٤٢٣
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ٤٢٨
- ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ٤٢٨
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ٤٢٩
- ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ٤٣١
- ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ ٤٣١
- ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ٤٣١
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى﴾ ٤٣١
- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٤٤٥
- ﴿فَيَنْبِتْكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِقُونَ﴾ ٤٥٨
- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ٤٥٩
- ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ ٤٦٧
- ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ﴾ ٤٧٠
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ ٤٨٤
- ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ .. ٤٨٦
- ﴿وَمَا فَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرِهِ وَالْأَرْضَ جَمِيعًا فَبَضَّئُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ ٤٨٦

- ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٤٨٦
- ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ٤٨٧
- ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ ٤٩٣
- ﴿لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً﴾ ٤٩٣
- ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ٤٩٣
- ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ ٥٠٥
- ﴿إِنَّمَا يَرْبِي هَٰؤُلَاءِ وَنُوحًا وَمُوسَى﴾ ٥٠٨
- ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ﴾ ٥١٥
- ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ٥٢١
- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ٥٢٩
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ٥٣٨
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ ٥٤١
- ﴿إِذَا تَنَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٥٤٦
- ﴿سَٰضِلِيهِ سَقَرٌ ﴿١٦﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٧﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ﴾ ٥٥٢
- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ٥٥٩
- ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٥٦٧
- ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ٥٧٩
- ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ ٥٨٧

- ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾ ٥٩١
- ﴿ قُلْ مَوْتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ٥٩٢
- ﴿ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ٥٩٣
- ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ ٦٠٦
- ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ٦٠٦
- ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ ٦١٢
- ﴿ لَكُمْ فِيهَا رِزْقٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ٦١٥
- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ ٦٢٠
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلِّقِيهِ ﴾ ٦٢٠
- ﴿ فَكَانَمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَىٰ بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَجِيقٍ ﴾ ٦٢٥
- ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ٦٢٦
- ﴿ وَنَادَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ ٦٢٦
- ﴿ وَنَادَيْنَاهُمَا رَجِيمًا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنِ الشَّجَرَةِ ﴾ ٦٢٦
- ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ ٦٢٧
- ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ ٦٢٧

- ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ٦٣٢
- ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ٦٣٢
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ٦٤٠
- ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ﴾ ٦٤٠
- ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ٦٤١
- ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ ٦٤٣
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمُ إِيمَانًا﴾ ٦٤٣
- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُوتَيْكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنِ
الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ ٦٤٥
- ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ ٦٤٨
- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ٦٤٩
- ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَاقًا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ
فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ ٦٥٢
- ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَتْ كَلَلَةٌ أَوْ امْرَأَةٌ﴾ ٦٧٠
- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَلَةِ﴾ ٦٧٠
- ﴿وَكَنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ ٦٧٣
- ﴿فَإِذَا هُمْ فِيهَا يُنظَرُونَ﴾ ٦٧٣
- ﴿فَصَبِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ٦٧٣
- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ٦٨٢، ٦٧٧
- ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ ٦٨٩، ٦٧٧

- ٦٨٢ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءُ﴾
- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ ٦٨٤
- ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَنَعَالَيْنَ أُمَتَّعَكُنَّ وَأَسْرَحَكُنَّ سِرًّا جَمِيلًا﴾ ٦٨٧
- ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ﴾ ٦٨٨
- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ ٧١٧
- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ٧١٨
- ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ٧٢٢
- ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ
ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ ٧٥٠
- ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ٧٥٠
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُوا أَحَدًا﴾ ٧٥٤
- ﴿هَلْ نَعَلَهُ لَهُ، سَمِيًّا﴾ ٧٥٤
- ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٧٥٥
- ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٧٥٦
- ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٧٥٨
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ٧٥٩

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
١٠	كان ﷺ يقول في سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»
١١	«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ،...اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»
١١	«أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»
١١	«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا»
٦٢٤، ٣٤	«حَيْرَنِي الْهَمْدَانِيُّ»
٤٩	«أَيْنَ اللَّهُ؟»
١٣٠، ٥٠	
٤٦٢، ٢٥٣، ٢٢٥	
٥٨	«مَا فَعَلَ مَنْسُكَ حُبِيِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟»
٥٨	«أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُو أَبِيهِ»
٦٥	«فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرَّوْحُ»
٦٦	«مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا»
٨٤	«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ»
٨٤	«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»

- ٨٤ «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»
- ٨٦ «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ.....»
- ٨٨ «رَأَى جِبْرِيلَ لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ:»
- ما زال يترددُ بين موسى وبين الله، حتى صارت خمسًا في
الفضل، وخمسين في الميزان ٨٩
- ٩٠ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»
- ٩٢ «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»
- ١٠٠، ٩٧ «يُنزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»
- ٥٢٣، ٤٦١، ٤٢٨، ٢٨٨، ٢٥٨، ٢٢٧، ٢٢٤
- ٩٨ «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»
- ١٠٥ «الزِّيَادَةُ هِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ»
- ١٠٥ «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّ»
- ١٠٦ «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»
- «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ
غَضَبِي» ١١٠
- ١١٤ «هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»
- ١١٦ «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»
- ١١٦ «أَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ» ... ١٢٠، ٥٦٠

- «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» ١٢٠، ٥٦٠
- «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ١٢٢
- «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» ١٢٥
- «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ» ١٢٥
- «أَنَّ الرَّجُلَيْنِ يُهَاجِرَانِ أَحَدُهُمَا: هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ،
وَالثَّانِي: هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا» ١٢٥
- «أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَاللَّهُ يُجْزِيكَ بِذَلِكَ، فَأَمَّا
ظَاهِرًا مِنْكَ فَكَانَ عَلَيْنَا» ١٢٦
- «كَانَ فِي عَمَاءٍ» ١٢٩
- «أَيْنَ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. فَأَقْرَبَهَا» ١٢٩
- «مَنْ رَبُّكَ» ١٣٢، ٤٦٢
- «لَيْسَ لَكَ نُسْكَ، شَأْتِكَ شَأَةٌ لَحْمٍ» ١٤١
- «مُدْمِنُ الْحَمْرِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» ١٤٤
- «الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ
وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا» ١٥٩
- «خِلافة أبي بكر حق قضاها الله في سبائه» ١٦٢
- «إِنَّكَ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» ١٨١
- «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ» ١٨١
- «إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ» ١٨١

- ١٨٢ «مَا ظَنَنْكَ بِأَثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»
- ١٨٢ «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»
- «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُقَلَّدَ لَيْسَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَفْتَى، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ» ٢٠٥
- «إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» ٢١١
- «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٢٣٢
- «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» ٢٤٦
- «هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ٤٦٣، ٢٤٧
- «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ» ٢٤٧
- «أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ بَيْنَهَا مَسِيرَةٌ كَذَا وَكَذَا» ٢٤٨
- «مَنْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ فَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» ٢٤٩
- «إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ» ٢٥٦
- «وَيُحْكَمُ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» ٢٥٦
- «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ» ٢٥٦
- أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ، فَأَخَذَتْ السُّكَّيْنِ؛ لِأَنَّهَا غَارَتْ، كَيْفَ تَجَامَعُ الْجَارِيَةُ؟! ٢٦٠
- «لِمَنَادِيلِ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ» ٢٦٢
- «قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ» ٢٦٣

- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا». ٢٦٥
- «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ...» ٢٦٦
- «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ» ٢٦٧
- إنَّ من المقام المحمود أن الله - سبحانه وتعالى - يُجْلِسُ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى عَرْشِهِ ٢٧٠
- تجهيز جيش العُسرة ٢٧٦
- «مَنْ يَشْتَرِي بِنْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ فِيهَا مَعَ دِلَآءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ» ٢٧٦
- «أُنْبِتْ أُحْدًا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ» ٢٨٠
- «لَا إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ» ٢٨١
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» ٢٩٦
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» ٢٩٧
- «كَمَلَمَلٍ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٍ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا...» ٢٩٨
- «اللَّهُمَّ فَفِّهْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» ٢٩٨
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْتَبُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ...» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ ٣٠١

- «إِنَّ قَوْلَ أَهْلِ التَّفْوِيضِ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْإِلْحَادِ» ... ٣١٠
- «فَبَدَّلُوا وَقَالُوا حِنْطَةٌ حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ» ٣٣٨
- «أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ» ٣٩٩
- «إِنْ كَانَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ» ٤١٠
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُورَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ٤٢٢
- «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» ٤٥٦
- «اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ» ٤٦٠
- «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فِيقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ» ٤٦٧
- «مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فَلِينًا مِنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشَّبهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ» ٤٧٣
- «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ» ٤٧٣
- «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمَلُ أَسْفَارًا» ٤٨٤
- «أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ» ٥١٠
- «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ» ٥٢٤
- «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ» ٥٢٥
- «ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ» ٥٢٨

- ٥٣٢ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»
- ٥٣٨ «مَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»
- ٥٦٧ «تَرَى الشَّمْسَ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أَوْ دَعْ»
- ٥٧٩ «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هُوَ لَآءِ أَرْغَبَ بَطُونًا»
- «كل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل فهو جامعٌ بين
التعطيل والتمثيل»
- ٥٨٢ «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَتَهُمْ،
يَشْتُمُونَ مُدَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُدَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»
- ٥٩٠ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»
- ٥٩٣ «رَأَيْتُ نُورًا»
- ٦١٣ «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»
- ٦١٤ رأى ﷺ ربه في المنام
- «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ
مِنْ إِحْدَاكُنَّ»
- ٦٤٣ «أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَعِّجٌ بِالْجَعْدِ ابْنِ
دِرْهَمٍ»
- ٦٥٤ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ...»
- ٦٥٥ «لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَخْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ»
- ٦٥٦

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ.....» ٦٥٨
 فوالله ما هو إلا أن رأيتُ اللهَ قد شَرَحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتال،
 فعرفتُ أنه الحقُّ ٦٦٩
 وَدَّ عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ قَدْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أُمُورٍ
 ثَلَاثَةٍ: الْجِدُّ، وَالْكَلَالَةُ، وَشَيْءٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبَا ٦٧٠
 «بِضْعٍ وَسَبْعُونَ بَابًا» الربا ٦٧١
 «لَوْلَا أَنْتُمْ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمْ ضَرْبًا» ٦٧٤
 «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا» ٦٧٤
 رَأَى ﷺ مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ ٦٧٨، ٦٩٣
 ٧٠١
 «إِنَّ الرَّسُولَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٧٨
 إِذَا دُفِنَ الْإِنْسَانُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ٦٧٩
 «الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ» ٦٧٩، ٧٠٦
 «يَوْمَ كَجُمُعَةٍ» أيام المسيح الدجال ٦٨٠
 «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ» ٦٨٠
 «إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ٦٨٠
 أَمَرَ بِالْإِكْثَارِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ ٦٨٣
 «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ» ٦٨٤
 «لَا عَلَيْكَ إِلَّا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ» ٦٨٨

- ٦٩٠ إن سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ
- ٦٩٦ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»
- ٦٩٨ «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ»
- اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ فَأَعْطِنِي الصَّلَاةَ
- ٧٠٠ فِي قَبْرِي
- ٧٠٠ «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»
- إن الرسول ﷺ إذا سَلَّمَ أَحَدًا عَلَيْهِ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ
- ٧٠٤ السَّلَامَ
- «مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
- ٧٠٤ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»
- ٧٠٧ إِنْ الْمُؤْمِنَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ (وهو في قبره)
- ٧٠٧ «قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي»
- ٧٠٧ عَرَضَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ عَلَى الرَّسُولِ
- ٧٠٩ «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»
- ٧٠٩ «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نَبِحَ عَلَيْهِ»
- ٧١٠ «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى مَوْتَاكُمْ، فَيَسْرُونَ وَيُسَاءُونَ»
- ٧١٣ «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»
- ٧١٤ «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ»
- ٧١٤ «إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ»

- «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ
لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ» ٧١٦
- «إِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَنْفُخُ فِيهِ
الرُّوحَ» ٧١٦
- «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي
عَبْدِي» ٧٥٧
- ٧٥٨ حديث الشفاعة

فهرس الموضوعات والفوائد

الصفحة	الموضوع
٥	فصل: في الردِّ على الجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ.....
٥	تعريف الجَهْمِيَّةِ.....
٦	قولهم: ليس الله فوق العرشِ.....
٧	هل بَرَى البرِيَّةَ خارجًا عن ذاتِه، أو بَرَى البرِيَّةَ في ذاتِه؟.....
٧	هل البرية هي عين الله؟.....
٨	ماذا إن لم نُقل: إنَّ الله فوق كُلِّ شيءٍ.....
٨	قولُ الجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ يَعُودُ إلى قولِ الاتِّحَادِيَّةِ.....
١٠	هذا القولُ مُخَالَفٌ لِلوَحْيَيْنِ.....
١٠	تطابق الأدلة على علو الله عزَّ وجلَّ.....
١٢	لازم قولهم هو وصف الله عزَّ وجلَّ بالعدم.....
١٢	نفي دخولِ الله وخروجه معًا لا يَصُدُّقان إلا على عدم.....
١٣	هل يَصِحُّ أن نقول: عندنا ذاتان: ذاتُ الخالقِ وذاتُ المخلوقِ؟...١٣
١٤	هل يَصِحُّ أن نقول على جدار: إنه لا يظلمُ؟.....
١٥	مناقشة قولهم: إن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه.....
١٥	نفي الظلم عن الله.....
١٦	مناقشة كلام الجهمية والمعتزلة في هذا.....

- ١٦ نفى النوم والسنة عن الله
- ١٧ الشيء يثبت فيما لا يقبله، وينفى عما لا يقبله بنص القرآن
- ١٩ باتفاق العقلاء لا بد من أن يكون إما موجوداً وإما معدوماً
- ١٩ الفرق بين الصديق والنقيضين
- ١٩ مثال النقيضين:
- ١٩ مثال الصديقين:
- ٢٠ الخلافان
- ٢٠ المترادفات
- ٢٢ لازم قولهم هو أن يكون مستحيلاً
- ٢٣ تكلف أهل الكلام وتنطعمهم
- ٢٤ الشيء الذي يقوم بنفسه جسم، والذي يقوم بغيره عرض
- ٢٤ قولهم: إن الله منزّه عن الأجسام والأعراض
- ٢٥ يجب أن يكون إما قائماً بنفسه، وإما قائماً بغيره
- ٢٦ الله تعالى في مكان، وهو فوق كل شيء
- مناقشة إما أن الله يكون داخل العالم، أو خارج العالم، أو هو
- ٢٧ العالم بعينه
- ٣٠ فصل: في سياق هذا الدليل على وجه آخر
- ٣١ هل الله عز وجل خارج الأذهان؟
- ٣٣ هل هو نفس المخلوق أو غيره؟

- ٣٣ كيف يُعظَّم النصرى الصليب وقد صُلبَ عليه نبيُّهم؟!
- ٣٤ عقيدتنا في المسيح عيسى ابن مريم
- ٣٥ قولهم: إن الله هو كُلُّ شَيْءٍ
- ٣٦ نسألهم: هل قام بنفسه أو قام بغيره؟
- ٣٧ نسألهم: هل هما مثلان أو ضدان أو غيران؟
- ٣٨ المعطلة يفتحون الأبواب لأهلِ وَحْدَةِ الوجودِ
- فصل: في الإشارة إلى الطرقِ النَّقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ
- ٣٩ عَلَى عَرْشِهِ
- ٤٠ تعريف الأدلة النَّقْلِيَّةِ
- ٤٠ الاستواءُ ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سبعةِ مواضعٍ من القرآن
- ٤١ البيانُ إمَّا أَنْ يَكُونَ في نفسِ اللَّفْظِ، أو من سياقِ آخَرٍ يبيِّنُهُ
- ٤٣ عادةُ العربِ في الحذفِ
- ٤٥ فصل
- ٤٦ التصريحُ بالعلوِّ، وله صيغتان:
- ٤٦ أقسام العلو
- ٤٨ تَجَادَلُ رَجُلَانِ في مَنَى في يومِ العِيدِ في علوِّ الله الذَّاتِي
- ٤٩ قصة أبي جعفرِ الهَمْدَانِيِّ مع أبي المعالي الجَوِينِيِّ
- ما الفرقُ بين قولِ مَنْ يقولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ في مكانٍ، وبين قولِ مَنْ يقولُ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ لا في مكانٍ؟
- ٥٠

- ٥١ نهاية الشُّبُهَاتِ التَّشْكِيكِ وَالتَّخْمِيْشِ
- ٥٢ الشَّيْءُ الْمَعْلُومُ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تُبْطِلَهُ الشُّبُهَاتُ؟
- ٥٢ الشُّبُهَاتُ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُبْطِلَ مَا يُعْلَمُ بِالْبَدَاهَةِ؟
- ٥٢ مَا الْمَقَالَةُ الَّتِي فَطَرَ اللهُ الْعِبَادَ عَلَيْهَا؟
- ٥٤ فَضْلٌ
- ٥٥ التَّأْوِيلُ
- ٥٦ قَابِلُ التَّأْوِيلِ
- ٥٧ السِّيَاقُ، وَالْأَحْوَالُ، وَتَبْرَاتُ الْأَصْوَاتِ تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ
- ٥٧ شَوَاهِدُ الْأَحْوَالِ - أحيانًا - تَكُونُ كَالصَّرِيحِ
- ٥٩ ضَرُورَةُ النَّظَرِ إِلَى السِّيَاقِ
- ٦٠ الْفَوْقُ وَصِفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ
- ٦٢ الْفَوْقُ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ
- ٦٣ فَضْلٌ
- ٦٥ النَّوْعُ الرَّابِعُ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللهِ
- ٦٥ عُرُوجُ الْعَمَلِ وَالْمَلَائِكَةِ
- ٦٦ الْمُدَّةُ الَّتِي يَسْتَعْرِقُهَا الْعَمَلُ فِي الْعُرُوجِ
- ٦٧ مَرْوِيَّاتُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي سَمَكِ السَّمَوَاتِ وَمَا بَيْنَهُنَّ
- الْاِخْتِلَافُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾
- ٦٨

- ٧٦ ثَبَّتَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
- ٧٨ الجمع بين النصوص المقدرة ليوم القيامة تقديرات مختلفة
- ٧٩ ورع علماء أهل السنة
- ٨٢ فَصْلٌ
- ٨٣ من أدلة العلو صعود الأشياء إلى الله عز وجل
- ٨٣ صعود الكلم الطيب والعمل الصالح
- ٨٦ معراج الرسول إلى الله عز وجل
- ٨٧ هل رأى النبي ﷺ ربه عز وجل ليلة الإسراء؟
- ٨٩ فرض الصلاة ليلة الإسراء
- ٩٠ رفع عيسى عليه السلام
- ٩٠ حديث: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»،
- ٩١ صعود الأرواح
- ٩٢ دعاء المظلوم يصعد إلى الله
- ٩٣ من أحكام المخاصمة والقضاء
- ٩٥ فَصْلٌ
- ٩٦ من أدلة علو الله - جل وعلا - النزول والتنزيل
- ٩٦ «التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ»
- ٩٦ النزول
- ٩٧ أحاديث النزول، والاختلاف في وقته

- ٩٨ نزول الله عز وجل لا يستلزم ألا يكون عاليًا فوق الخلق
- ٩٨ كيف يكون فوق كل شيء وهو نازل إلى السماء الدنيا؟! قولهم: علو الله هو علو القدر والقهر، والنزول هو نزول الأمر والرحمة
- ١٠٠ فضل
- ١٠٢ من أدلة علو الله عز وجل، بعض أسائه وصفاته
- ١٠٢ ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥]
- ١٠٤ أحسن التفسير تفسير القرآن بالقرآن
- ١٠٥ من تفسير القرآن بالسنة
- ١٠٥ تفسير القرآن بقول الصحابي
- ١٠٥ هل يجوز التفسير بقول التابعي؟ قاعدة مهمة: كلما كان الناس أقرب إلى زمن النبوة كانوا أقرب إلى الصواب فيما يتعلق بالعقائد والعبادات
- ١٠٦ فضل
- ١٠٨ ماذا ينقم منكرو العلو؟
- ١٠٨ حال الذي يرد علو الله فوق كل شيء
- ١٠٨ رد الحق أسبابه ثلاثة: قصور، وتقصير، وسوء قصد ونية
- ١٠٩ فضل
- من أدلة علو الله - سبحانه وتعالى - أن الله تعالى ذكر عن بعض مخلوقاته أنه عند الله
- ١١٠

- ١١٠ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأنبياء: ١٩].....
- ١١٠ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]..
- ١١١ قولهم: المحبة هي الإرادةُ
- ١١١ ما المرادُ بالعِندِيَّة
- ١١٢ الحبُّ غيرُ المشيئة
- ١١٣ هل العِندُ قُرْبٌ أو تَكْوِينٌ؟.....
- ١١٤ فَصْلٌ
من أدلة علوِّ الله - سبحانه وتعالى - الدلالة الفعلية من رسولِ الله
- ١١٤ ﷺ
- ١١٥ فَصْلٌ
- ١١٦ من أدلة علوِّ الله عزَّ وجلَّ ما يستفادُ من اسمه (الظَّاهِرِ)
- ١١٧ فَصْلٌ
- ١١٨ من أدلة علوِّ الله عزَّ وجلَّ أنه أُخْبِرَ بأننا نراه في جنة الحيوانِ
- ١١٨ وجه هذا الاستدلال
- ١٢٠ إثبات رؤية الله في الجنة في الكتاب والسنة
- ١٢٠ مناقشة أقوال منكري الرؤية
- ١٢٢ قولهم: المرادُ بالرؤية رؤية العِلمِ واليَقِينِ
- ١٢٤ خاصمة أخلاء الشريوم القيامة
- ١٢٤ هل هؤلاء يكفرون إن كانوا مُتَأَوِّلينَ أو لا؟

- ١٢٥ نؤمن أن كلُّ مؤمنٍ في الجنَّة، لكن لا نشهد لمعيَّن
- ١٢٦ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَلَّا تَأْخُذَهُ الْعَاطِفَةُ فِي الْحُكْمِ
- ١٢٨ فَضْلٌ
- ١٢٩ ... من أدلَّةِ علوِّ الله - سبحانه وتعالى - إقرارُ سائلِهِ بلفظِ الـ (أين) ...
- ١٣١ قولهم: حرامٌ أن تقولَ: أين الله؟
- ١٣٤ فَضْلٌ
- ١٣٦ من أدلةِ علوِّ الله إجماعُ الرُّسُلِ على إثباتِهِ
- ١٣٦ فائدة: إعراب العدد المضاف
- ١٣٧ كلام عبد القادرِ الجيلانيِّ
- ١٣٧ كلام ابن رشد
- ١٣٧ اتهام المبدعة لابن تيمية بعدم الفحولة
- ١٣٩ إثباتُ قضاءِ الله
- ١٤٠ قولهم: لو ثبت النزول بالذات انتفى العلو؟
- ١٤١ لا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ يَحْتَصُّ بِشَخْصٍ لِعَيْنِهِ
- ١٤٢ حكم التضحية بالعناق
- ١٤٣ من قال: إنَّ ابنَ القيمِ مُقَصِّرٌ، لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكَرِ الإِيْمَانَ بِالْقَدَرِ؟
- ١٤٣ أصولُ المعتزلةِ خمسةٌ
- ١٤٣ التوحيد عند المعتزلة
- ١٤٥ العدلُ عند المعتزلة

- ١٤٦ ما معنى: المنزلةُ بينَ مَنْزِلَتَيْنِ؟
- ١٤٦ الرد على نفي المعتزلة للشفاعة.
- ١٤٧ المعتزلة حَكَمُوا على الله بالشريعة، والذي يَحْكُمُ بالشريعة هو الله.
- ١٥١ فَضْلٌ
- ١٥٢ مِنْ أَدِلَّةِ علو الله تعالى الإجماع.
- ١٥٢ إذا اختلفَ الصحابةُ على قولينِ ثُمَّ أجمعَ التابعون على أحدهما.
- ١٥٣ التفاسيرُ التي تُذَكِّرُ السَّنَدَ.
- ١٥٤ تفسيرهم الاستواء بالاستيلاء.
- ١٥٨ تفسيرُ (استوى) بـ(استولى) هو قولُ المعتزلةِ والجَهْمِيَّةِ.
- ١٥٩ الأئمة الأربعة.
- ١٥٩ قصة الإمام مالك مع من سأله عن كيفية الاستواء.
- ١٦١ حكم مَنْ ادَّعى أَنَّ اللهَ في الأرضِ.
- الإمام أبو حنيفة - رَحِمَهُ اللهُ - صَرَّحَ بأنَّ مَنْ لَمْ يُقِرَّ بعُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ وعمومِ علمِهِ فإنه كافرٌ.
- ١٦٣ سَعَةُ اِطِّلاعِ ابنِ القيمِ.
- ١٦٨ أهلُ الشَّرِّ والباطلِ كانوا يرمون الحنابلةَ بالمجسِّمةِ.
- ١٧٠ مَنْ ادَّعى أَنَّ مذهبَ السَّلَفِ الإيَّانُ باللفظِ.
- ١٧٢ فائدة: قولهم: «حتى يشيب الغراب» وما شابهه.
- ١٧٣ الغالبُ بعد القُرُونِ الثلاثةِ أَنَّ الحُكَّامَ قَلِيلُو البِضَاعَةِ من العلمِ ...
- ١٧٥

- وسائل أهل البدع في التليس على السلاطين والوشاية عندهم ... ١٧٧
- قولهم: إن ظاهر النصوص يقتضي التجسيم ١٧٨
- أخذ أهل البدع عن معتقدات الروافض ١٧٩
- إساءتهم لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ١٨٠
- فضائل أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ١٨١
- فَصْلٌ ١٨٤
- من أدلة علو الله، قوله تعالى: ﴿فَأَوْقَدَ لِي يَنْهَمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ١٨٥
- الجهم بن صفوان وفرعون كلاهما يُنَكِّرُ التَّكْلِيمَ ١٨٨
- وجوب تحكيم الوحيين ١٩٠
- لا بُدَّ من أمورٍ ثلاثة: التَّحْكِيمُ، والرضى والانشراح، والتَّسْلِيمُ
- التَّامُّ ١٩٢
- كيف يشهد رسول الله وهو ميِّتٌ؟ ١٩٦
- استهانة أهل البدع بالعلماء ١٩٩
- حرمة الكتاب والسُّنَّةِ ١٩٩
- ما الذي أَوْصَى به الأئمة؟ ٢٠٠
- الجهل البسيط، والجهل المركب ٢٠١
- استكبار أهل البدع على تلقي العلم من مصادره ٢٠٣
- أهل البدع يقلدون العلماء في الظاهر فقط ٢٠٤

- ٢٠٥ لا فرق بين المقلد والبهيمة
- ٢٠٥ أجمع العلماء على أن المقلد لا يُعدُّ من العلماء
- ٢٠٨ فَضْلٌ
- ٢١٠ من أدلة علو الله عز وجل أنه نزه نفسه عن كل نقصٍ وعيب
- ٢١٠ إن نفي النقائص عن الله يدلُّ على ثبوت علوه
- ٢١٤ نفي النقائص، منه نفي نقائص قيلت، ونفي نقائص لم تُقل
- ٢١٧ من أوجه كفر النصارى
- ٢١٩ فَضْلٌ
- ٢٢٢ من أدلة علو الله فصاحة النبي ﷺ
- ٢٢٩ القرامطة
- ٢٢٩ الحاكمة
- ٢٣٠ الفطرة السليمة تتفق مع نصوص الشريعة
- ٢٣٣ فَضْلٌ
- ٢٣٣ الدليل العشرون هو مجموع الأدلة كلها
- ٢٣٦ الأصلان اللذان قام عليهما الإسلام والإيمان
- ٢٤١ أهل الكلام يكرهون كل نصٍّ يخالف بدعتهم
- ٢٤٢ فَضْلٌ
- ٢٤٢ من أدلة علو الله عز وجل مجيئه للفصل بين عباده يوم القيامة
- ٢٤٥ فَضْلٌ: فِي الْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ

- أحاديثٌ متعددة تدل على علوه - سبحانه وتعالى - ٢٤٦
- كلمة (حَيْرٌ) لم تَرِدْ لا في الْقُرْآن ولا في السُّنَّة ٢٤٩
- قول المجوس: إِنَّ الْخَيْرَ يَخْلُقُهُ النُّورُ، وَالشَّرُّ تَخْلُقُهُ الظُّلْمَةُ ٢٥١
- العارف في زعم المعطلة ٢٥٢
- كلام ابن القيم عن ابن إسحاق ٢٥٤
- حديث الأبيط ٢٥٦
- حديث النزول والاختلاف فيه ٢٥٧
- هل إذا نزل يتنفي عنه العلوُّ؟ ٢٥٩
- حديث معراج النَّبِيِّ ﷺ ٢٦١
- حديث حكم سعد في بني قريظة ٢٦٣
- حديث ذبح الموت يوم القيامة ٢٦٥
- حديث في فضل يوم الجمعة ٢٦٥
- من أدلة العلو ذكر المقام المحمود ٢٦٨
- فَصْلٌ: فِي جِنَايَةِ التَّأْوِيلِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَرْدُودِ مِنْهُ
وَالْمَقْبُولِ ٢٧٢
- تفريق الأمة ٢٧٥
- مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٧٥
- قتل علي وابنه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٢٧٦
- ظهور الخوارج ٢٧٦

- ٢٧٨ ظهور الروافض
- ٢٨٠ حرمة الإمام وعدم تكفيره
- ٢٨٢ غلو القدرية والمعتزلة
- ٢٨٤ محنة الإمام أحمد في مسألة خلق القرآن
- ٢٨٥ انقسمت الجهمية إلى قسمين:
- ٢٨٦ إنكارهم صفات الكمال بالتأويل
- ٢٨٦ قول الجهمية: إِنَّ أفعالَ الله ليس لها استمرارٌ أَزليٌّ
- ٢٨٨ اعتماد أهل الكلام على أقوال الفلاسفة والملاحدة
- ٢٩٠ إنكارهم البعث
- ٢٩٠ القرامطة أصلهم شيعةٌ روافض
- ٢٩١ تحريفهم للعقائد والعبادات
- ٢٩٥ وجه تسمية التفسير تأويلاً
- ٢٩٧ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ
- ٢٩٨ فضل ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا
- ٣٠٠ قولهم: إِنَّ التَّأويلَ صرفٌ عن الرَّجْحانِ؟
- ٣٠٤ فَضْلٌ: فِيمَا يَلْزَمُ مُدْعِي التَّأويلِ لِتَصِحَّ دَعْوَاهُ
- ٣٠٥ محاذير صرف اللفظ عن ظاهره
- ٣٠٨ قراءة الألفاظ دون التعرُّض لمعناها خيرٌ من تحريفها
- ٣٠٩ التحريف هو تأويل الكلام عن ظاهره

- زعمهم أن طريقة الخلف أسلم وأحكم من طريقة السلف ٣١٠
- في القرآن والسنة ألفاظ لها معانٍ لكنها لا تصلح للمعاني المطلقة ٣١٢
- فصل: في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل ٣١٣
- ابن سينا والرد على آرائه ٣١٥
- قوله: إن المراد بالألفاظ حقيقتها، لكن من باب التخيل والتقريب للأذهان ٣١٦
- قوله: إن هذه النصوص لا يُرادُ بها حقائقها ٣١٦
- الفرق بين طريقة ابن سينا وبين طريقة غيره ٣١٧
- تسلطهم بالتحريف والبهتان من أجل القواعد التي أصلوها ٣١٨
- تأويلهم كل نص يدل على العلو ٣١٩
- قولهم: إن القيامة لا حقيقة لها ٣١٩
- يلزم المتأولين الجواب عن المعارض ٣٢٥
- قولهم في اليد ٣٢٦
- التأويل يكون بالنسبة للنصوص، والتعطيل بالنسبة للصفات ٣٢٨
- قولهم: إن السنة لا تُفيد العلم ٣٣٠
- فصل: في شبه المحرفين للنصوص باليهود، وإزتهم التحريف منهم، وبراعة أهل الإنبات مما رموهم به من هذه الشبه ٣٣٣
- المحرف ورث من اليهود ٣٣٤
- هل اليهود يتكلمون باللغة العربية؟ ٣٣٩

- ٣٤١ مشابهة أهل التأويل لليهود في تحريف الكلم
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ جُهْتَانِهِمْ فِي تَشْبِيهِ أَهْلِ الْإِنْبَاتِ بِفِرْعَوْنَ، وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ مَقَالَ
 ٣٤٢ الْعُلُوَّ عَنْهُ أَخَذَوْهَا، وَأَنْتَهُمْ أَوْلَىٰ بِفِرْعَوْنَ، وَهُمْ أَشْبَاهُهُ
- ٣٤٣ وجه مشابهتهم لفرعون ومخالفتهم له
- ٣٤٤ هل أهل السنة أولى بفرعون أم هؤلاء المعطلة؟
- ٣٤٩ فَصْلٌ: فِي بَيَانِ تَدْلِيْسِهِمْ، وَتَلْبِيْسِهِمُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
- ٣٥١ عودة لتعريف التجسيم والمجسم
- ٣٥٣ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ جَاؤُوا بِأَنَّ اللَّهَ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
- ٣٥٥ تشكيك المعطلة في العرش، وفي الاستواء
- ٣٥٦ التفريق بين (على) و(إلى)
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ سَبَبِ غَلْطِهِمْ فِي الْأَلْفَازِ، وَالْحُكْمِ عَلَيْهَا بِإِحْتِمَالِ عِدَّةٍ
 ٣٦١ مَعَانٍ؛ حَتَّىٰ اسْقَطُوا الْاسْتِدْلَالَ بِهَا
- ٣٦٢ قولهم: اللفظ قد يحتمل معنى في سياق وغيره في سياق آخر
- ٣٦٣ قولهم: الكلام نص في سياقه
- ٣٦٤ هل هذا الاختلاف اختلاف لفظي فقط؟
- ٣٦٦ الكلام ثلاثة أقسام:
- ٣٦٧ الناس باعتبار الدليل ثلاثة أقسام
- ٣٦٧ قدرة أهل الحديث على التفريق بين المقبول والمردود
- ٣٦٩ ينبغي لطالب العلم أن يركز على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

- ٣٧٢ قولهم: إن دلالة القرآن ظنيّة
- ٣٧٣ القاعدة عندهم: أن الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين
- ٣٧٦ جواز القسم ممن لم يستقسم
- ٣٧٨ إن اللفظ وإن احتمل معاني فإنه عند التركيب لا يحتمل واحداً ...
- ٣٨٠ القرائن
- ٣٨٤ تدليس أهل التعطيل وتلبسهم
- فصل: في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني
- ٣٨٥ المعاني
- ٣٨٦ تجريد اللفظ عن سياقه كتجريد العين عن صفته
- ٣٨٧ منطلق الإنسان، أو المنطق اليوناني
- ٣٨٨ المعاني كئيّة إذا طابقت أفرادها
- ٣٨٨ المعاني الكئيّة كئيّة في الأذهان لا في الخارج
- ٣٩٠ حكمهم بالمفروضات الذهنية على الموجودات العينية
- ٣٩٠ تجريد الكلمات من التركيب مستحيل
- فصل: في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب
- ٣٩٢ يجب
- ٣٩٥ التحريف سَمَّوه تأويلاً
- ٣٩٧ من العلم ما لا يعلم تأويله إلا الله
- ٤٠٣ تفريقهم بين الظاهر والباطن

- ٤٠٣ دعواهم أن الرسل أتوا بعلمين ظاهر وباطن
- ٤٠٣ قولهم: لا توجد جنة ولا نارٌ
- ٤٠٥ احتجاج أهل السنة على أهل البدعة من كلامهم
- ٤١٠ عروج الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -
- ٤١٠ الرسول ﷺ عُرِجَ بيده
- ٤١١ معاداة المعطلة لأهل السنة
- ٤١٥ كلام أرسطو والفارابي وابن سينا
- ٤١٧ الدِّيصَان
- ٤٢٠ قولهم: إِنَّ رُؤْيَيْنَا لَلَّهِ عَيْنُ الْمَحَالِ
- ٤٢٢ قولهم: مستحيلٌ أن الله - سبحانه وتعالى - يتكلم بكلامٍ يُسْمَعُ ...
- ٤٢٦ فَصْلٌ: فِي الْمَطَالِبَةِ بِالْفَرْقِ بَيْنَ مَا يُتَأَوَّلُ وَمَا لَا يُتَأَوَّلُ
- ٤٢٧ لوازم الاستواء
- ٤٢٧ لوازم الكلام
- ٤٢٨ لم يفرق الكتاب ولا السنة بين كلام يؤول وكلام لا يؤول
- ٤٣٠ الأشاعرة أثبتوا صفات لأن العقل دل عليها
- ٤٣١ قولهم: السَّمْعُ والبَصْرُ والإِرَادَةُ والْقُدْرَةُ كُلُّهَا فِي الْأَجْسَامِ
- ٤٣٢ ليس في القرآن ولا في السُّنَّةِ إثبات أو نفي أن الله جسمٌ
- ٤٣٣ فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ فَرْقٍ لَهُمْ آخَرَ، وَبَيَانِ بُطْلَانِهِ
- ٤٣٤ عمدتهم في إثبات الصِّفَاتِ أو نفيها عن الله العقل

- ٤٣٥ ينبغي نفي النقص عن الله عزَّ وجلَّ
- ٤٣٦ التناقض في كلام المعطلة
- ٤٣٨ «الصفات السبع» التي أثبتها الأشاعرة
- ٤٣ هل إذا انتفاء الدليل انتفاء للمدلول؟
- ٤٤٠ **فصل: في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً**
- ٤٤٣ ردُّ النصوص، والاحتجاج بقول شيوخهم
- ٤٤٦ ابن القيم - رحمه الله - يدينُ الله عزَّ وجلَّ بعداوة أهل البدع
- ٤٤٨ نحن لا ندعو على أحد ولا نلعن أحداً
- ٤٤٩ من أبطلوا النصوص أشد من الخوارج
- ٤٥١ **فصل: في بيان كذبهم ورَمِيهِمْ أهل الحقِّ بأنَّهم أشباهُ الخوارج، وبيان شبهِهم المُحقِّقِ بالخوارج**
- ٤٥٤ دعوى المعطلة أن أهل السنة شابهوا الخوارج في أمور
- ٤٥٥ تكفيرهم لأصحاب السنة
- ٤٥٦ الخوارجُ تمسَّكوا بظواهر النصوص
- ٤٥٨ الحكم بين الخلائق يوم القيامة بالعدل والميزان
- ٤٥٩ الواجبُ أن يقبلَ الإنسانُ الحقَّ من أيِّ إنسانٍ
- ٤٦١ تأويل الجهمية لأحاديث النزول
- ٤٦٣ الفطرة السليمة تثبت العلو
- ٤٦٤ الرد عليهم في صفات الاستواء والعلو والكلام

- ٤٦٩ الفرقُ بين لسان الحال ولسان المقال
- ٤٧٠ كراهة أهل البدع للحديث وأهله
- ٤٧١ تدليس أهل البدع واستخدامهم معسول الكلام
- ٤٧١ التنبيه على اعتزال تفسير الزمخشري
- ٤٧٦ كان ابن القيم صوفياً في بداياته
- ٤٧٧ فضل ابن تيمية على ابن القيم
- فصلٌ: فِي تَلْقِيهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالْحَشْوِيَّةِ، وَبَيَانِ مَنْ أَوْلَى بِالْوَصْفِ الْمَذْمُومِ
مِنْ هَذَا اللَّقْبِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ، وَذِكْرِ أَوْلَى مَنْ لَقَّبَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْ
أَهْلِ الْبِدْعِ ٤٨٢
- ٤٨٣ تعريف الحشوية
- ٤٨٧ ابن عبيد المعتزل
- فصلٌ: فِي بَيَانِ عُدْوَانِهِمْ فِي تَلْقِيْبِ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ بِالْمَجْسَمَةِ، وَبَيَانِ
أَنَّهُمْ أَوْلَى بِكُلِّ لَقْبٍ خَبِيثٍ ٤٩٠
- ٤٩٣ أهل السنة مأخوذون بالوحين
- ٤٩٤ نفي التجسيم عن أهل السنة
- ٤٩٧ المجاز والحقيقة
- فصلٌ: فِي بَيَانِ مَوْرِدِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَأَنَّهُمْ تَعَوَّضُوا بِالْقَلُوطِ عَنْ مَوْرِدِ
السَّلْسِيلِ ٥٠٢
- ٥٠٤ الفرق بين مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالْيَقِينِ وَمَنْ هُوَ فِي الشَّكِّ وَالْحَيْرَةِ

- فَصَلِّ: فِي بَيَانِ هَدْمِهِمْ لِقَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ بِعَزْهِمْ نُصُوصِ السُّنَّةِ
وَالْقُرْآنِ ٥٠٧
- ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ لِلسُّنَّةِ قَبْلَ الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ ٥٠٨
- فَائِدَةٌ ضَرَبَ الْمَثَالَ وَلَوْ كَانَ غَرِيبًا ٥١١
- الهِيُولَى ٥١٦
- أَهْلُ التَّعْطِيلِ يَسْبُونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ ٥١٨
- ذَمُّ الْمُبْتَدِعِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ لَا قِيَمَةَ لَهُ ٥٢٢
- اتِّفَاقُ الْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ ٥٣٢
- هَلِ الْعَقْلُ يِعَارِضُ النَّقْلَ؟ ٥٣٣
- مَاذَا نَعْمَلُ إِذَا تَعَارَضَا؟ ٥٣٣
- إِذَا تَعَارَضَ عَقْلٌ وَنَقْلٌ فِي نَظَرِ الرَّائِي فَلَا يَخْلُو مِنْ حَالِيْن ٥٣٤
- الْمَعْطَلُ مُكْذَّبٌ لِجَمِيعِ الرُّسُلِ ٥٣٧
- فَصَلِّ: فِي بُطْلَانِ قَوْلِ الْمُؤَلِّفِيْنَ: إِنَّ الْاِسْتِدْلَالَ بِكَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يُفِيدُ
الْعِلْمَ وَالْيَقِيْنَ ٥٤٠
- النَّقْلُ إِمَّا أَحَادٌ وَإِمَّا مُتَوَاتِرٌ ٥٤٣
- أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالْإِلْحَادِ عَزَلُوا الْقُرْآنَ عَنِ إِفَادَةِ الْعِلْمِ وَالْيَقِيْنَ ٥٤٦
- الْأَرَاذِلُ مِنْهُمْ صَارُوا مَقْلِدِيْنَ لِابْنِ سِيْنَا ٥٤٨
- مَنْ هُمُ الْمَغْوُولُ ٥٥٠
- نَفَوْا أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللَّهِ ٥٥١

- استخدامهم المباحث البلاغية لإثبات عقائدهم الفاسدة ٥٥٤
- قولهم: إنَّ أَلْفَاظَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ظَنِيَّةٌ لَا تَفِيدُ الْيَقِينَ ٥٥٨
- اللغة العربية وقدرتها على البيان ٥٦٠
- فَصْلٌ: فِي تَنْزِيهِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالشَّرِيعَةِ عَنِ الْأَلْقَابِ الْقَبِيحَةِ الشَّنِيعَةِ ٥٧٨
- المعطلَّة رَمَوْا أَهْلَ السُّنَّةِ بِمَا هُمْ أَوْلَى بِهِ ٥٧٩
- المعطلُّ ممثَّلٌ ٥٨٢
- فَصْلٌ: فِي نُكْتَةٍ بَدِيعَةٍ تُبَيِّنُ مِيرَاثَ الْمَلَقِّبِينَ وَالْمَلَقَّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَالْمُوحِّدِينَ ٥٨٥
- المعطلُّ يُنْكِرُ الصِّفَاتِ وَيَكْفُرُ بِهَا ٥٨٩
- تسمية المشركين النَّبِيِّ ﷺ مُذَمَّماً ٥٨٩
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ اقْتِضَاءِ التَّجَهُمِ وَالْجَبْرِ وَالْإِرْجَاءِ لِلْخُرُوجِ عَنْ جَمِيعِ
دِيَانَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ٥٩٥
- الجهمُّ والجبرُّ والإرجاءُ يقتضي الخروجَ من جميع ديانات الأنبياء .. ٥٩٨
- قول غلاة الجبريَّة: إِنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ فِعْلُ اللَّهِ ٦٠٠
- جعلوا المعاصي طاعاتٍ ٦٠٢
- أهل البدع كلُّهم عندهم الجهلُ العظيمُ ٦٠٨
- فَصْلٌ: فِي جَوَابِ الرَّبِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سَأَلَ الْمُعْطَّلَ
وَالْمُنْبِتَ عَنْ قَوْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٦١٠
- مسألة في قوله: « لَا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا » ٦١٣

- ٦١٣ أحاديث نفي الرؤية ليلة الإسراء.....
- وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩] فالمرادُ به جبريلُ على القولِ الراجح ... ٦١٣
- ٦١٤ رؤية الله في المنام.....
- ٦١٤ مسألة في قوله: «وَلَا يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي».....
- ٦١٤ النزول إلى السماء الدنيا متى يكون؟.....
- ٦١٧ فَضْلٌ.....
- ٦١٩ قَوْلُهُ: «أَرَأَوْهُمْ أَحْدَاثٌ».....
- ٦٢٢ فَضْلٌ: فِي تَحْمِيلِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ لِلْمُعْطَلِينَ شَهَادَةً تُؤَدِّي عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.....
- ٦٢٤ مسائل في حديث الإسراء والمعراج.....
- ٦٢٩ قولُ الله ورسوله نصٌّ يفيدُ علمَ اليقين.....
- ٦٣٠ التعطيلُ والتمثيلُ طرفان.....
- ٦٣٠ الإيِّانُ باسمِ الله لا بُدَّ فيه من ثلاثة أركان.....
- ٦٣٣ إِنَّ الْأَسْمَاءَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ.....
- ٦٣٤ هل دَلَّ الاسمُ على ما اشتقَّ منه؟.....
- ٦٤١ مسألة العذر بالجهل.....
- ٦٤٦ فَضْلٌ: فِي عُهُودِ الْمُثْبِتِينَ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.....
- ٦٥٣ لا بُدَّ أن نُضْمِرَ الْعِدَاءَ لِكُلِّ عَدُوٍّ لَلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.....
- ٦٥٤ قصة خالد القسري وتضحيته بالجعد.....

- فَصْلٌ: فِي شَهَادَةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلَا لِلَّهِ بَيْنَنَا كَلَامٌ، وَلَا فِي الْقَبْرِ رَسُولٌ ٦٥٧
- الرُّوحُ عِنْدَهُمْ عَرَضٌ ٦٦٠
- فَصْلٌ: فِي الْكَلَامِ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ ٦٦٢
- لو كانت حياته في قبره كحياته في الدنيا ما كان تحت الأرض ٦٦٦
- خلاف الصحابة بعد وفاة النبي دليل أنه لا يلجأ إليه ميتا ٦٦٨
- الصحابة أعلم بالله وبرسوله وبحقائق الإيمان منكم ٦٧٠
- حديث الاستسقاء بالعباس ٦٧٤
- فَصْلٌ: فِيمَا اخْتَجُّوا بِهِ عَلَى حَيَاةِ الرَّسُولِ فِي الْقُبُورِ ٦٧٦
- وهل يسمع النبي في قبره مطلقاً؟ ٦٧٩
- مسألة عرض الأعمال على الرسول ﷺ ٦٨٠
- فَصْلٌ: فِي الْجَوَابِ عَمَّا اخْتَجُّوا بِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ٦٨١
- هل الأرض منهيمة عن أكلهم ٦٨٣
- بعض الموتى لا تأكلهم الأرض، وقصة جرت في عنيزة ٦٨٥
- قولهم: حياة الأنبياء فرع عن حياة الشهداء ٦٨٦
- مسألة تسريح زوجات النبي ﷺ ٦٨٧
- هن زوجاته في الدنيا وزوجاته في الآخرة ٦٩٠
- أحكام المرأة المحددة ٦٩٠
- إذا تعارض الرفع والوقف وكلا الراويين ثقة ٦٩٥

٧٠٠ دعاء ثابت البناني

٧٠١ صلاة موسى في قبره

٧٠٢ رد روح النبي ﷺ عَلَيْهِ ليرد على من سلم عليه

٧٠٧ الحياة البرزخية

٧٠٧ عرض أعمال العباد على الرسول - عليه الصلاة والسلام -

٧١٠ استدلال المعطلة بما ورد من أن الأعمال تُعرض على النبي

٧١٣ رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ في أعلى عِلِّيِّين

٧١٥ أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر

٧١٦ متى تُخلق الأرواح؟

فَصْلٌ: فِي كَسْرِ الْمَنْجَنِيْقِ الَّذِي نَصَبَهُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ عَلَى مَعَايِلِ الْإِيمَانِ

٧١٩ وَحُصُونِهِ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ

٧٢٣ لولا أن الله تدارك دينه بأهل السنة لحُرف الدين

٧٢٥ هل يلزم أن يكون الإنسان بهذا التركيب متعددًا؟

٧٢٩ الفلاسفة يقولون: الجسم مركَّبٌ من الهَيُولَى والصورة

٧٢٩ الرَّدُّ عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ وَالْفلاسفة فِي مسألة الخلق

٧٣٤ تركيبُ الذات مع الأوصاف

٧٣٨ الماهية هي وجودُ الشيء

٧٤٣ هل ذاته هي عين وجوده أو هما شيئان؟

فَصْلٌ: فِي أَحْكَامِ هَذِهِ التَّرَاكِيِبِ السَّنَةِ

٧٤٦

- ٧٤٧ جعلوا أتصافَ الله بالصفات من باب التركيب
- ٧٥٣ الكونُ كُلُّهُ مفتقرٌ إلى الله عزَّ وجلَّ
- ٧٥٦ النقصُ يكون في أمرين
- ٧٥٨ أعلمُ خلقه أدراهم بصفاته
- ٧٥٩ الوجودُ قائمٌ يشهد على وجود الله وصفاته
- ٧٦٣ في الأدلة العقلية المرتبة يكونُ اللازمُ غيرَ الملزوم
- ٧٦٩ فهرس الآيات
- ٧٨٧ فهرس الأحاديث والآثار
- ٧٩٧ فهرس الموضوعات والفوائد

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com